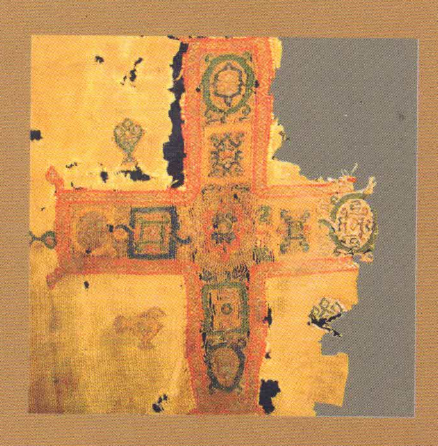
الهيئة العامة لقصور الثقافة



تاريخ مصر

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

1

إعداد و تحقيق :

عبد العزيز جمال الدين

لم يكن ابن المقفع آخر المؤرخين المصريين، لكنه ومخطوطته كانا الأشهر فى هذا السياق، وقد تعاقب من بعده من الآباء والرهبان المصريين من عكفوا على استكمال هذا التأريخ حتى بداية القرن العشرين. وبجهد الباحث المجد عكف المحقق المصرى عبد العزيز جمال الدين على جمع هذه المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها، موضحاً ما كتب فيها وما كتب فى التاريخ الرسمى الشهير، ليضع أمامنا عملاً قل أن نجده فى الثقافات الحديثة، لنقف أمام وجهتى نظر للتاريخ متأملين كيفية عمل الفعل البشرى فى تسجيل الأحداث حسب الانتماء الثقافى، وليفتح الباب على مصراعيه أمام العاملين فى مجال البحث التاريخى ليعيدوا التأمل فى آلية ومسار واحدة من أهم عمليات التدوين الذى حكم مخيلة البشر فى رؤيتهم لماضيهم التليد.

وزارة الثقافة



السعر: سبعة جنيهات

تصميم الغلاف : أحمد اللباد

تاريخ مصر

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

الجزء الأول



مطبوعات

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

سعد عبد الرحمن

أمين عام النشر

محمد أبو المجد

الإشراف العام

صبحي موسى

الإشراف الفنى

د. خالد سرور

المتابعة والتنفيذ

عادل سميح

• تاريخ مصر
من خلال مخطوطة
تاريخ البطاركة (الجزء الأول)

• إعداد وتحقيق:
عبدالعزيز جمال الدين

• طبعة:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2012م
17x 24 سم

• تصميم الغلاف: أحمد اللباد

• رقم الإيداع: ٢٦٤٢٣/ ٢٠١٢

• الترقيم الدولى: 978-977-704-939-9

• المراسـلات:
باسم / المشرف العام
على العنوان التالى: 16 أ شارع
أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947897

التجهيزات والطباعة:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.

• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الجزء الأول

من مار مرقس حتى أنستاسيوس البطرك ٣٦ (٦٠٥- ٦١٦م)

إن أهم الأسئلة هو هذا: أين يبدأ التاريخ؟ ومن الذى يصنعه؟ وكيف حصلنا على أثاره ومدوناته؟.

مبدئياً علينا أن نؤمن بأن هناك ما يسمى بالقوة الطليعية التى واتتها الفرصة لتقود البشرية نحو التطور والتقدم. فمثلاً حين نرى المصريين وقد تحولوا إلى أمة متحدة تقيم الدولة الواحدة لأول مرة فى التاريخ، وحين تظهر الدولة بمؤسساتها الهرمية المتعددة المعقدة، والقوانين التى تنظم علاقاتها الاجتماعية، والسلطة التى يتربع فوقها ملك، وما تمارسه فيها اللغة والكتابة كوظيفة كبرى. حينئذ تماماً يبدأ تاريخ البشرية الذى صنعه المصريون منذ سبعة آلاف سنة على ضفاف نيلهم، وسجلوه كتابة على جدران المعابد والمسلات والأضرحة والأهرامات والتوابيت وأوراق البردى فأمكننا بذلك معرفة أين بدأت البشرية تاريخها، ومن الذى صنعه.

من أجل هذا يُعد التاريخ من الأعمال الأدبية والفنية الرائعة التى أسسها المصريون ومارسوها منذ القدم، وظلوا طوال تاريخهم شغوفون بالتدوين والكتابة التاريخية. لهذا يحفل التاريخ المصرى بالعديد من المصادر الوثائقية المخطوطة التى تكشف عن أحداثه، واشتهرت فى مكتبات العالم منذ مكتبة الإسكندرية أعظم مكتبة فى تاريخ البشر. ولكن مخطوطة «تاريخ البطاركة» لساويرس ابن المقفع تعد أكبر هذه المخطوطات من حيث الفترة التاريخية التى تغطيها، فهى المخطوطة الوحيدة التى تغطى تاريخ مصر منذ الاحتلال الرومانى (أى من بدايات القرن الأول الميلادى على وجه التقريب) وحتى عهد الملك فؤاد فى بدايات القرن العشرين. وبالرغم من ذلك فإن معظم مؤرخى مصر يتجاهلونها بسبب ندرتها بين يدى الباحثين وبسبب ظن من يسمعون عنها أنها تاريخ للكنيسة المصرية فقط غير مدركين للرصد التاريخى الهام لوقائع مصر العديدة التى ترصدها هذه المخطوطة الهامة.

عبدالعزيز جمال الدين

تقديم المحقق

الأهمية التاريخية لكتاب ساويرس

تمهيد

من بين المصادر التى يعتمد عليها الباحثون فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى، كتب أرخها كتاب ومؤرخون مسيحيون من مصر، أو غيرها من البلدان، مثل سعيد بن بطريق، البطرك الملكانى فى مصر والمعروف باسم أوتيخا صاحب كتاب «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» (ت٩٤٠م) ويحيى بن سعيد الأنطاكى (ت١٠٦٦م) صاحب «التاريخ» أو «صلة كتاب سعيد بن بطريق» وابن مماتى (ت١٢٠٩م) صاحب كتاب «قوانين الدواوين» وابن العبرى «أبو الفرج بن هارون الملطى» (ت١٢٨٦م) صاحب كتاب «تاريخ مختصر الدول» وابن العميد المعروف بالمكين (ت١٢٧٤م) صاحب كتاب «تاريخ المسلمين».

أما صاحبنا ساويرس بن المقفع فقلما يعرفه العلماء والطلاب الباحثون فى تاريخنا الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى أن ساويرس أرخ لبطاركة الكنيسة، فظن الباحثون ـ خطأ ـ أن تاريخ البطاركة والكنيسة المصرية لا يرتبط بتاريخ مصر.

ولم يترجم لساويرس أحد من أصحاب كتب التراجم المعروفة وانما نعرف عنه مما كتب هو

عن نفسه، ومما كُتب عنه فى الكتاب المنسوب إليه وهو كتاب «سير الآباء البطاركة» أو تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية».

مصادر كتاب ساويرس:

وقد جمع ساويرس معلوماته وأخباره مما وجده في الأديرة المختلفة مثل دير القديس أبى مقار ودير نهيا ودير وادى هبيب (وادى النطرون) وغيرها من الديارات، ومما وجده فى أيدى النصارى، ويذكر ساويرس أنه أضاف إلى معلومات الأوائل ما عرفه هو من سير من شاهدهم من الآباء البطاركة.

ويذكر ساويرس أنه لاقى مشقة كبيرة فى ترجمة الوثائق القبطية واليونانية إلى العربية، وأنه استعان ببعض القبط ممن كان لهم دراية باللسان القبطى أو اليونانى. منهم الشماس ميخاييل ابن بدير والواضح بولس بن رجا، وقد ورد خبر الأخير فى سيرة أنبا فيلوتاوس البطرك (٦٣).

وقد أتم كتاب ساويرس من أتى بعده من الكتاب والأساقفة، ولكن الكتاب ينسب إلى ساويرس، ولعل ذلك يرجع إلى أن ساويرس كان أول من تكبد جمع السير والوقوف عليها وترجمتها.

منهج كتاب ساويرس:

يعتبر كتاب ساويرس خاص بتراجم البطاركة فى مصر من أيام ظهور المسيحية فيها زمن الإمبراطور الرومانى أغسطس قيصر، وقد وصل ما نشر من هذه التراجم إلى بداية حكم الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ١١٠٩م حوالى ٦٨ بطركاً.

ويبدو من هذه التراجم التى صنفها وجمعها ساويرس، أنها كانت بمثابة تقويم أو روزنامة للكنيسة المصرية، وأنها كانت تعتمد على المشاهدات والإتصال بأبطال الحوادث، أو كتابة الأخبار المتواردة حينذاك، فهى أشبه شيء «بالمذكرات» أو «اليوميات»، ولا نتبين من كتابتها الرجوع إلى مؤلفات سابقةأو معاصرة اللهم إلا فى النادر، فنرى ساويرس يستشهد أحياناً بسعيد أبن بطريق لتأكيد صحة بعض ما يكتبه من الأخبار.

ونلاحظ أنه منذ القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) ـ وخاصة منذ غزو العرب لمصر ـ يصبح تاريخ البطاركة أكثر اكتمالاً وأعظم أهمية، إذ يدون الأخبار ويكتب التراجم كتبة معاصرون.

ويهدف ساويرس من تراجم البطاركة وسيرهم إلى غرض دينى بحت وهو تمجيد الدين المسيحى والإشادة بالمذهب الأرتودكسى أو ـ كما يسميه ساويرس ـ الأمانة المستقيمة، وبيان جهاد البطاركة فى سبيل حمل أمانتهم.

فهذا الكتاب يختلف فى هدفه عن الكتب التاريخية العامة أو الخاصة ومع ذلك فهو يشترك معها جميعاً فى أن الدين كان يمتزج بالتاريخ امتزاجاً شديداً وهذه ظاهرة نلمسها فى تاريخ أوربا فى العصور الوسطى كما نلمسها فى التاريخ الإسلامى، ومن هنا نرى أن ساويرس وإن كان قد أرخ للبطاركة وللكنيسة القبطية فى ظل الحكم الإسلامى إلا أنه اشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخى العصور الوسطى الأوروبية فى أنه مزج بين الدين والتاريخ.

كذلك نرى مؤرخ البطاركة يشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخى أوربا فى العصور الوسطى فى سرد الأساطير والقصص العجيبة والخوارق والكرامات، فيحدثنا مثلاً عن الدموع التى تسيل من صور القديسين والشهداء، والدم الذى يقطر من هذه الصور والأيدى التى تمتد خارجها، كما يكثر ساويرس من ذكر كرامات بعض البطاركة ورجال الدين المسيحيين، مثل إعادة البصر لمن فقده وإعادة الحياة لمن غرق، وإعادة الصحة لمن استعصى شفاؤه.

وليس هذا الكلام بمستغرب على ساويرس، فإن ساويرس يمثل عقلية العصور الوسطى، إذ كان الاعتقاد بالخرافات والكرامات لا يقتصر على الطبقة العامة كما هو معروف الآن وإنما كان هذا الاعتقاد شائعاً بين مختلف طبقات الشعب، بل أننا نرى أمير مصر فى أوائل القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى، محمد بن طغج الأخشيد، يكرم رجلاً من دمياط قيل أن يده كانت مقطوعة وأنه غاب عن البلد زماناً ثم عاد ويده صحيحة.

ولعل الإكثار من الكلام على كرامات البطاركة ورجال الدين المسيحيين كان الغرض منه حث الأقباط على الاستمساك بدينهم والإلتفاف حول كنيستهم وتقوية روحهم المعنوية فى أوقات المحن والشدائد.

كذلك نرى ساويرس ـ مثل غيره من مؤرخى العصور الوسطى ـ يعلل الأشياء فى الغالب تعليلاً الهياً سماوياً فكل ما يحدث سببه رضا الله أو غضبه وسخطه، ولا يحاول بعد ذلك تعليل الأشياء بالدرس والنقد والتمحيص، فيذكر مثلا أن الله كان يخذل جيوش الروم عند غزو العرب مصر بسبب أمانتهم الفاسدة وبسبب عقيدتهم الخلقدونية، دون أن يحاول بيان أسباب انتصار العرب وخذلان الروم، وليست تلك العقلية ببعيدة عنا، فعندما أرادت وزارة

المعارف العمومية فى مستهل القرن العشرين إدخال مادتى الطبيعة والكيمياء فى الأزهر اعترض بعض رجاله على ذلك وقال أحدهم:

فمن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملـة

ثم أدخلت هاتات المادتان ضمن برامج الدراسة فى الأزهر الشريف بعنوان: «علم خواص الأشياء التى أودعها الله فى المخلوقات».

ونلاحظ أن مؤرخ البطاركة يستخدم بعض الألفاظ الدخيلة الوافدة مثل كلمة المؤمنين ويعنى بهم الأرتدكسيين، والمصاحف ويعنى بها المجلدات، كذلك يطلق لفظ المصطفى على القديسين فيقول مثلاً القديس مرقص الإنجيلى المصطفى.

أهمية كتاب ساويرس فى تاريخ مصر القومى:

يتعرض كتاب ساويرس ـ خلال تراجم البطاركة ـ لتاريخ العصور الوسطى وطبيعى أن يركز ساويرس اهتمامه بتاريخ مصر، فيبين لنا كيف تم غزوها على يد العرب، ثم كيف كانت معاملة العرب للمصريين من النواحى الدينية والمالية والاجتماعية والإدارية.

كذلك يفصل ساويرس الكلام على الأحداث الهامة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى العصر الذى اصطلحنا على تسميته «عصر الولاة» وهو الذى يبدأ بغزو العرب لمصر وينتهى بقدوم أحمد بن طولون إليها وتأسيسه الدولة الطولونية فيها، ويبين ساويرس انتقال مصر من التبعية للخلافة إلى الاستقلال الذاتى أيام الدولتين الطولونية والأخشيدية، ثم قيام الخلافة الفاطمية فى مصر التى نافست الخلافة العباسية فى بغداد لفترة من الزمن، كذلك يبين ساويرس علاقة البطاركة المصريين بولاة مصر وأمرائها وخلفائها من ناحية، ثم علاقة هؤلاء البطاركة بالنوبة والحبشة وشمال أفريقية والشام من ناحية أخرى.

وقد أشار ساويرس فى تاريخه إلى الرخاء فى مصر، كما فصل الكلام عن القحط والوباء والمجاعات فى بعض السنين، بل إن ساويرس يهتم بهذه الظواهر التى ترد فى حوليات الكنيسة المصرية أكثر من اهتمام سائر المؤرخين بها، وينفرد بذكر بعض المجاعات التى لم يرد ذكرها لدى غيره من المؤرخين المصريين.

ولاشك أن ساويرس يشترك مع بقية المؤرخين فى ذكر كافة الأحداث الهامة مع العناية بشئون مصر على غرار المؤرخين المصريين مسلمين كانوا أم مسيحيين، لكنه يمتاز عليهم جميعاً بأن كتابه له قيمة الحوليات، والمذكرات، والمصادر المعاصرة، فى وقت نتلمس فيه المصادر

المعاصرة للغزو العربى لمصر وما بعد الغزو بحوالى قرنين ونصف من الزمان فلا نكاد نجدها اللهم إلا فى بعض الأوراق البردية، وكتاب «التاريخ» للمؤرخ حنا أسقف نقيوس[1] الذى توفى فى القرن السابع الميلادى.

وقد وضع حنا النقيوسى كتابه فى تاريخ مصر باللغة القبطية، وجاء فيه ذكر الحوادث التى وقعت زمن الغزو العربى لمصر، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اليونانة والعربية، ثم قام أحد القساوسة المصريين بترجمة النسخة العربية إلى اللغة الأثيوبية، ولم يبق مما كتبه هذا المؤرخ المصرى سوى النسخة الأثيوبية التى نشرها الدكتور M.H.Zotenberg مع ترجمة فرنسية لها.

أما أقدم مؤرخ مسلم نعرفه بعد ذلك فهو ابن عبدالحكم صاحب كتاب «فتوح مصر وأخبارها» والمتوفى سنة (٨٧٠ ـ ٨٧١م).

ومما يزيد فى قيمة كتاب ساويرس أنه يبين منذ غزو العرب لمصر وجهة نظر المصريين فى الحكومات الإسلامية المتتالية.

ولا يهمنا الآن الحديث فيما اشترك فيه ساويرس مع بقية مؤرخى الخلافة الإسلامية، وإنما يهمنا الكلام فى حديثنا هذا على بعض ما انفرد ساويرس بالكتابة فيه أو توضيحه.

ولعل من أهم الأمور التى انفرد ساويرس ببيانها أو توضيحها بحكم تأريخه للبطاركة وللكنيسة وللأقباط، ما كتبه عن مركز المصريين فى ظل السلطة الإسلامية من الناحية الاجتماعية، ومدى تمتعهم بالحرية الدينية، وقيامهم بشعائرهم، والاحتفال بأعيادهم، وبناء أو تجديد كنائسهم، وعلاقة المصريين بالمسلمين فى مصر وفى غيرها من البلدان، وموقفهم من الحكومات الإسلامية المتعاقبة فى مصر.

كذلك أفاض ساويرس فى حديثه عن نشر الإسلام فى مصر بل إنه فى بعض الأحيان يعطينا أرقاماً بعدد الذين تحولوا إلى الدين الإسلامى فى ظل الظروف الاقتصادية القاسية تخلصاً من الجزية.

وقد أكد ساويرس أن العرب منذ البداية، انتصروا لكنيسة اليعاقبة على أعدائهم فى المذهب وهم الملكانيين وغيرهم.

وكما اعتبر الأقباط أن الملكانيين هم أتباع الملك البيزنطى، وأنهم ليسوا أعداءهم فى المذهب الدينى فقط وإنما أعداءهم فى القومية. كذلك آزر العرب الأرثوذكس المصريين باعتبارهم أصحاب البلاد، واعتبروا الملكانيين سنداً لأعدائهم الروم.

---

(١) نقيوس: قرية أبشادى الآن ـ مركز تلا بالمنوفية.

ويذكر ساويرس أن الملكانيين فى مصر، لم يتمتعوا بالحرية الدينية إلا فى فترات وتحت ظروف محددة.

ولم تكن للسلطة الإسلامية سياسة ثابتة بشأن بناء الكنائس والأديرة فكانت تسمح للمسيحيين فى بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة، وكانت تمنعهم فى بعض الأحيان حتى من إصلاح الكنائس القديمة.

كذلك يبين لنا ساويرس أن الأقباط شغلوا كثيراً من الوظائف فى ظل السلطة الإسلامية خاصة الوظائف المالية والادارية، ويورد ساويرس فى مناسبات مختلفة أسماء كثير من كبار الموظفين الأقباط.

ويشيد ساويرس بتسامح الخلفاء الفاطميين، اللهم إلا عهد الحاكم بأمر الله الذى كان يمتاز بالتقلب مع جميع المذاهب، بل إن ساويرس يذكر أنه فى العصر الفاطمى أصبح «جميع مقدمى المملكة والناظرين فى دواوينها وتدبير أمورها كلهم نصارى».

أما عن انتشار الإسلام فى مصر منذ أواخر عصر الولاة، فيتضح لنا مما كتبه ساويرس أن العامل المالى من أهم العوامل التى حولت أغلبية الأقباط إلى اتباع الدين الإسلامى.

ويتضح من كتابات ساويرس أن الرهبان كانوا يبغضون السلطة الإسلامية لأنهم كانوا يفلتون فى البداية من دفع الجزية والخراج إلى أن بدأ والى مصر عبدالعزيز ابن مروان (٦٨٤ ـ ٧٠٥م) سنة فرض الجزية عليهم.

فمن المعروف أن الرهبنة كانت منتشرة حينذاك فى مصر. وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين من ظلم واضطهاد زمن البيزنطيين، ففضل الكثيرون أن يعيشوا فى عزلة عن العالم، لذا لم تفرض عليهم أى ضريبة فى عهد الرومان والبيزنطيين بل أعفيت الأديرة والرهبان من الضرائب.

ولما احتل العرب مصر حافظوا على هذا التقليد تقرباً من الكنيسة اليعقوبية وما لبث العرب أن فطنوا إلى أن الأديرة أصبحت تملك ثروات ضخمة وإلى أن كثيراً من الأقباط لجئوا إليها كى يتخلصوا من الضرائب.

ولذا نرى والى مصر عبدالعزيز بن مروان ـ وأخ الخليفة عبدالملك بن مروان ـ يأمر بإحصاء الرهبان وفرض الجزية عليهم. كما أنه ألزم الأساقفة بأن يؤدوا قدراً معيناً من المال سنوياً بالإضافة إلى خراج أوقاف الأديرة والكنائس.

وكانت السلطة الإسلامية تفرض أشد العقاب على الرهبان أو رجال الدين الفارين من الجزية والضرائب، كما كانت تتشدد فى جمع الجزية من المصريين.

ويبين ساويرس أن كثيراً من المصريين أسلموا ليتخلصوا من الجزية والضرائب المفروضة عليهم، كما يذكر أن الأقباط الذين بقوا على دينهم قاموا بمقاومة سلبية ضد الحكومة، تنطوى على الهروب من مكان إلى مكان، وهجر الأراضى الزراعية، وذلك منذ خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى (٧٠٥ ـ ٧١٤). وفى أثناء ولاية أخيه عبدالله بن عبدالملك أصدر والى مصر أمراً بوسم الفارين الذين وجدوا فى الأقاليم المختلفة، على أيديهم بالإختام المحماة بالنار مثلما يفعل مع البهايم ونفيهم إلى أماكن مختلفة بلغت حد نفى البشمور إلى مستنقعات جنوب دجله والفرات.

واستمرت حركة الهروب فى ولاية قرة بن شريك الذى أتى بعد عبدالله بن عبدالملك. وتشدد قرة فى قمع تلك الحركة والقضاء عليها.

وقد اتخذت حركة الهروب فى عهد قرة بن شريك شكلاً واسعاً. فيذكر ساويرس أن أسر بأكملها كانت تهرب من مكان إلى مكان فراراً من دفع الضرائب والجزية. واضطر قرة إزاء هذا إلى إنشاء هيئة خاصة مسلحة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه. وظل قرة يقاوم تلك الحركة بنشاط إلى أن توفى سنة ٧١٤م.

ويؤكد كلام ساويرس ما استخلصناه من الأوراق البردية العربية واليونانية التى ترجع إلى عهد هذا الوالى (انظر جروهمان).

وبعد وفاة قرة والخليفة الوليد، ولى خراج مصر أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة سليمان ابن عبدالملك.

وقد تشدد أسامة بن زيد فى طلب الجزية والخراج. وأسلم الكثيرون فى أيامه كى يتخلصوا من الأعباء المالية، ولكن حركة الهرب استمرت، من جانب الذين أثقلت كاهلهم الأعباء المالية والجزية ولم يرغبوا فى اعتناق الدين الإسلامى.

ولكى لا يتمكن أحد من الهروب من منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالى أشبه بالبطاقات الشخصية اليوم. فألزم كل شخصى يريد الإنتقال من جهة إلى أخرى فى أنحاء القطر، أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها، أن يحمل معه سجله. أما من فقد سجله أو أتلفه فقد ألزمه الوالى بالحصول على سجل آخر مقابل دفع خمسة دنانير.

والواقع أن ساويرس هو المؤرخ الوحيد الذى كتب وفصل لنا الكلام على حركة الهروب، تلك الحركة التى تنطوى على مقاومة المصريون لسلطة العرب مقاومة سلبية بعدما أصبح الإلتجاء إلى الأديرة، لا يعفهم من الإلتزامات المالية منذ خلافة عبدالملك بن مروان وولاية أخيه عبدالعزيز على مصر.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة العباسى الأول أبا العباس عبدالله السفاح قرر أن يعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامى ويقيم شعائره، فتخلى كثير من المسيحيين، أغنياء كانوا أو فقراء، عن يدنهم وأعتنقوا الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاه عليهم.

ومما لاشك فيه أن الأمثلة التى يوردها ساويرس، والتى تبين أن الأقباط الأغنياء ضجوا من الجزية والضرائب كما ضج الفقراء، تظهر أن الجزية كانت المورد الرئيسى للمال الذى تعنى به السلطة الإسلامية، وأنها كانت أمراً ثقيلا، ولم تكن بالضريبة الهينة وإلا لما حملت الكثيرين على التخلى عن دينهم.

وتؤكد كتابات ساويرس أن الحكومة الإسلامية فى مصر لم تحدد الجزية على أهل الذمة بعد الفتح، وإنما أكتفت بفرضها وتركت تقديرها للظروف. وهذا يذكرنا برواية كتبها أقدم مؤرخ مسلم وهو ابن عبدالحكم، إذ يقول أن أحد أصحاب الكور الأقباط (والكورة لفظ مشتقى من اليونانية ومعناه قسم من أقسام مصر) قدم على عمرو بن العاص فقال له: «أخبرنا ما على أحدنا من الجزية..». فقال عمرو وهو يشير إلى ركن الكنيسة: «لو أعطيتنى من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك. إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثر عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم.

على أن الأقباط بدءوا منذ سنة ٧٢٥م فى التخلى عن مقاومتهم السلبية وأخذوا يقاومون سلطة العرب مقاومة إيجابية وذلك بالقيام بالثورات العلنية ضدهم.

والمعروف أن العرب بعد احتلالهم لمصر فرضوا على المصريين الجزية وعلى أراضهم الخراج، في الوقت الذى عاملوا فيه الأراضى التى نهبتها قبائلهم البدوية بنظام الزكاة (أى تحصيل العُشر).

ونلاحظ أن الأراضى التى كانت ملكا خاصاً للأباطرة أو التى هرب أهلها أو هلكوا زمن الغزو العربى، آلت إلى القبائل البدوية فى مصر. وقد زادت تلك الأراضى زيادة كبيرةأثناء الحكم العربى نفسه بما أضيف إليها من الأراضى المهجورة والمستقطعة والمصادرة وطرح النهر والتى هاجر عنها أهلها بسبب الظلم وفداحة الأعباء المالية المفروضة عليها.

ومن الوجهة النظرية كان المصرى الذى يعتنق الإسلام تصبح أرضه عشرية ولكن الحكام العرب رأوا في هذا جل الخطر على ماليتهم، وأصبح المصرى إذا أعتنق الإسلام لا تعفى أرضه من الخراج حتى لو أسقطت عنه الجزية. كأن الأرض ظلت كافرة رغم إسلام صاحبها.

ثورة البشمور:

وحين بدأ المصريون الأقباط يثورون ضد سلطة العرب بسبب مطالبها المالية المجحفة، وجدوا فى المصريين المسلمين الذين زاد عددهم فى مصر وأصبحوا يملكون أراضى خراجية، شريكا لهم فى تلك الثورات. ولذلك نرى سائر مؤرخى مصر المسلمين يشتركون مع ساويرس فى ذكر تلك الثورات بل يفصلون الكلام أحيانا فيما لا يفصل فيه مؤرخ البطاركة.

وقد تعددت ثورات المصريين وشملت الوجهين البحرى والقبلى. وكانت أعنف هذه الثورات تلك التى كان يقوم بها أهل البشمور أو البشرود، وهى المنطقة الرملية الساحلية بين فرعى دمياط ورشيد.

ولقد ظل المصريون الأقباط يقومون بالثورة بعد الأخرى طوال القرن الثامن الميلادى، وكانت حكومة العرب تقابل تلك الثورات بالقوة.

وكان يتبع أخماد تلك الثورات فى العادة تحول عدد كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى.

وكان آخر تلك الثورات وأعظمها تلك التى أنتهت فى بداية القرن التاسع الميلادى (٨٣٢م) بمجىء الخليفة المأمون وإبادته للثائرين والتى كان من نتائجها أن أصبح الإسلام أغلبية فى القطر المصرى.

ويخبرنا ساويرس عن هذه الثورة فيقول أن الخليفة المأمون صحب معه إلى مصر البطرك ديونوسيوس بطرك أنطاكية وأنه استعان به وببطرك الأقباط الأنبا يوساب، لإخماد ثورة البشموريين وسير إليهم قائدة الأفشين لمحاربتهم، ثم سار إليهم بنفسه وجحافلة وقضى على حركتهم.

يتضح لنا مما كتبه ساويرس أن الشعور الوطنى كان ضعيفاً بين المصريين آنذاك، فلم يكن فى ثورات الأقباط ضد سلطة العرب عنصر وطنى، بل كانت كلها بسبب الضرائب والجزية إما لحمل الحكام المسلمين على تخفيفها وعدم اتباع القوة فى جبايتها، وأما للهرب من دفعها. ولعل ضعف هذا الشعور الوطنى كان أكبر عون للحكام المسلمين للقضاء على حركات المصريين.

ويؤكد سلبية الشعب المصرى حينئذ ما نعرفه من أن أهل البلاد لم يشتركوا فى الحركات السياسية والدينية التى قامت فى ظل الخلافة، والتى اشترك فيها الجند العربى فى مصر والإجناد الأخرى الذين أتوا إليها فى عهد الدولة العباسية من الترك والفرس، مثل الثورة التى أنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، والنزاع بين على ومعاوية، والخلاف بين الأمين والمأمون.

أما الأقباط فقد اشتركوا فقط فى معاونة العباسيين الذين كانوا قد نجحوا فى إسقاط الدولة الأموية فى المشرق والذين أتت جيوشهم وراء الخليفة الأموى مروان بن محمد فى مصر.

ولا يدعنا ساويرس نتلمس الأسباب التى دعت المصريين إلى معاونة العباسيين فى مصر فيذكر صراحة أن العباسيين وعدوا الأقباط بتخفيف الجزية والخراج عنهم.

والواقع أننا لا نجد مؤرخاً غير ساويرس يفسر لنا السبب الذى حمل أغلبية القبط على التحول إلى الدين الإسلامى. فساويرس يؤكد دائما أن الهروب من الجزية ومن الخراج كان أكبر عامل على إنتشار الإسلام فى مصر.

وهو يزن دائما الولاة والأمراء والخلفاء الفواطم بالميزان المالى، ولهذا نرى مؤرخ البطاركة قد يحكم على أمير أو خليفة واحد حكمين على طرفى نقيض، لأن هذا الأمير قد يكون رحيما بأهل الذمة فى وقت من الأوقاف، وقد يشتد فى جمع الضرائب والجزية، عندما يحتاج إلى الأموال فى وقت آخر، ومثل ذلك كلام ساويرس على الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك، والخليفة المتوكل على الله العباسى وأمير مصر أحمد بن طولون والحاكم بأمر الله.

وواضح من كتابات ساويرس أن الأساقفة والبطاركة ورجال الدين المسيحيين كان يفرض عليهم أموال كثيرة، وكان رجال الدين يلجئون بدورهم إلى الشعب المصرى القبطى ليدفع هذه الأموال، وكانت أحسن فرصة للخلاص من كل هذه الأعباء الدخول فى الدين الإسلامى، تحت أمل إعفائهم من أموال الجزية والخراج.

ومن الأمثلة الصارخة التى يبين فيها ساويرس إسلام الكثيرين بسبب الفقر وقلة ما معهم من المال ما حدث فى خلافة المنتصر العباسى (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ ٨٦١ ـ ٨٦٢م) حينما ولى خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبر، إذ فرض هذا الوالى ضرائب باهظة على الكنيسة وعلى المصريين عامة مما دفع الكثيرين إلى التحول إلى الإسلام تحت أمل إعفائهم من الجزية والخراج.

والمعروف أنه أنشيء فى العصر العباسى ديوان خاص للنظر فى شئون أهل الذمة المصريين سمى «ديوان الجوالى» وكان على رأسه موظف من كبار المسلمين.

ويحدثنا ساويرس عن شخصيات من رجال الدين الأقباط الذين خرجوا للشكوى فى مقر الخلافة العباسية من الأعباء المالية وأعمال السلب، ومثل ذلك خروج أحد رجال الدين المسيحيين فى مصر واسمه إبراهيم إلى مقر الخلافة فى أيام المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ ـ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) يشكو تعسف ابن الدبر، فكتب الخليفة سجلاً بالتخفيف عن النصارى، ثم أكد هذا السجل الخليفة المهتدى (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ) الذى ولى بعد المعتز والذى أمر بأن يرد إلى النصارى ما اغتصب منهم من المنقولات والأراضى.

وقد أتيح لأهل الذمة فى مصر وفى مختلف أنحاء الخلافة أن يتقلدوا وظائف مختلفة فى الدولة وأن يزداد نفوذهم حتى وصل بعضهم إلى الوظائف العليا فى الإدارة، كما وصل آخرون إلى أن يصبحوا الكتاب الرئيسيين والوزراء عند بعض الولاة والأمراء والخلفاء، وذلك بسبب عدم كفاءة الجهاز الإدارى وحاجته إلى خبرات غير المسلمين فى إدارته.

وكان هذا يؤدى فى بعض الأحيان إلى احتجاج فقهاء الدين، وثورة المسلمين أصحاب المصلحة للمطالبة بالحيلولة دون سيطرة أهل الذمة المصريين أو ابتزازهم، مما كان يستتبع إصدار تشريعات تحد من نشاط أهل الذمة المصريين وتبعدهم عن وظائف الحكومة وتلزمهم بالتزام زىّ يميزهم عن المسلمين.

ومن ذلك ما حدث فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز الذى أمر بعزل أهل الذمة من مناصب الدولة الهامة ومنعهم من إنشاء الكنائس أو المعابد الجديدة ومن لبس العمائم، ويحدثنا ساويرس عن عمر بن عبدالعزيز بأنه كان يفعل خيراً عظيماً أمام الناس، ويفعل السوء أمام الله، إذ أمر بإعفاء الأساقفة والكنائس من الخراج، وعمر المدن التى خربت، وأبطل الجبايات (الضرائب المستحدثة) فعاش الأقباط فى أمن وهدوء، ولكنه ما لبث أن أرسل كتاباً يأمر فيه الأقباط بالتخلى عن أعمالهم فى الدولة ما داموا على دينهم، أما من يريد منهم الاحتفاظ بعمله فليكن على دين محمد، ولهذا سلم الأقباط ما بيدهم من الوظائف والأعمال إلى المسلمين.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة المتوكل على الله العباسى ٧٣٢٠ ـ ٢٤٧هـ = ٨٤٧ ـ ٨٦١م) أمر بهدم الكنائس وأن يتميز المسيحيون واليهود فى لباسهم عن المسلمين كما أمر أن

يشغل الوظائف المسلمون فقط، ويذكر ساويرس أن كثيرين أسلموا حينئذ إما لحاجتهم وفقرهم، وإما رغبة منهم فى الإبقاء على مناصبهم.

والواقع أن مؤرخى الخلافة يشتركون مع ساويرس فى تفصيل اضطهاد المتوكل لأهل الذمة المصريين.

لكن من الملاحظ أن التشريعات التى كانت تصدر ضد أهل الذمة، لم تكن تنفذ كاملة فى بعض الأحيان خوفاً من ازدياد التذمر واندلاع الثورات، وكان أثرها يخف كثيراً إلى أن تقوم تشريعات جديدة لتأكيدها.

ولعل أبلغ مثل لذلك أن ساويرس نفسه يعود فيمتدح المتوكل مدحاً كثيراً، فيقول أنه فى أواخر أيام المتوكل استقامت أمور النصارى وأسبغت عليهم النعم العظيمة.

المساجلات الدينية

ونعرف مما كتبه ساويرس أنه كانت هناك مساجلات دينية فى بلاط الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٦٣٢ ـ ٣٦٥ هـ = ٩٧٣ ـ ٩٧٥م) للمناظرة والتحدث فى الأديان السماوية الثلاثة والمفاضلة بينها، وكان ساويرس نفسه ممن جادل شيوخ المسلمين واليهود فى بلاط المعز [انظر قصة نقل جبل المقطم].

استشهد المؤلف فى هذا الكتاب بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس ولعله اعتمد فى ذلك على نص التوراة السريانى أو على ترجمة عربية قديمة.

والواقع أن أقساماً من التوراة كانت قد نقلت إلى العربية فى نهاية القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) عن السريانية أو اليونانية، ولكن أول ترجمة عربية هامة للتوراة كانت على يد سعيد الفيومى المصرى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (النصف الأول من القرن العاشر الميلادى) ولا تزال معتمدة عند اليهود المتكلمين بالعربية إلى اليوم.

الإسكندرية:

ونلاحظ أن ساويرس يعنى بالتأريخ للإسكندرية عناية خاصة، وليس هذا بمستغرب فالإسكندرية كانت مقراً لبطركية الأقباط، ولذا نراه يسميها فى معظم الأحيان المدينة العظمى.

ويذكر ساويرس أن الإسكندرية كانت تعرف باسم مدينة قيسرون ويقول أيضا أنها تسمى باللغة العبرانية مدينة آمون.

ويؤكد ساويرس فى مناسبات مختلفة ما نستشفه من سائر المصادر بأن الإسكندرية كانت

منذ العهد اليونانى حتى عصر الأخشيديين تعتبر فى معظم الأحيان جزءا مستقلا عن مصر حتى فى القضاء.

وبهذه المناسبة عندما وصل إلى الأمير أحمد بن طولون، تقليد بولاية جميع أعمال مصر من الخليفة العباسى، يذكر ساويرس أن هذا الأمر كان بخلاف ما جرت به العادة فإنه لم يكن بين والى الإسكندرية ووالى مصر معاملة ولا خطاباً بل كانوا يتهادون الهدايا فيما بينما وكانوا من تحت سلطان واحد.

كذلك يحدثنا ساويرس عن أهمية الإسكندرية التجارية وأنها احتفظت بتلك الأهمية بعد غزو العرب لها فظلت ميناءاً تجاريا هاماً تأتيها التجارة براً وبحراً.

ويثنى ساويرس على الخليفة المتوكل ثناءاً كثيراً لأنه أمر بتوصيل القناة التى تجلب ماء النيل إلى داخل الإسكندرية. وكان الماء العذب لا يصل قبل ذلك إلى الإسكندرية إلا وقت الفيضان، وبعد حفر هذا الخليج أصبحت المراكب الكبار تصل إلى داخل المدينة وكثرت المراكب والتجار فى الإسكندرية كما زرع الناس الكروم والبساتين على جانبى القناة.

ويحدثنا ساويرس عن ثائر من سكان الإسكندرية من بنى مدلج قام بثورة فى أواخر عصر الولاة فى الوجه البحرى وانضم إليه جماعة كبيرة مقاتلة من أصحابه، ومن البدو، وأخذوا يهاجمون عمال الخراج ويأخذون ما لديهم من أموال.

ويذكر أنه لما زادت جماعته، حاصر مدينة الإسكندرية، ولكنه لم يستطع فتحها بأى وجه من الوجوه، وذلك لوقوف حصونها حجر عثرة فى سبيل ذلك، ولعدم وجود آلات لدك الحصون لدى الثوار، ومع ذلك فأنهم حاصروها ومنعوا الميرة من الوصول إليها عن طريق البحر والبحيرة. ويذكر ساويرس أنه لما طال حصار الإسكندرية اجتمع رؤساؤها وتشاورا مع واليها واتفقوا على إحاطتها بسور كبير حولها. وقد اشترك فى بناء هذا السور أهل الإسكندرية، إذ بنى كل صاحب دار أو أرض حائطاً أمامه ووصله إلى حائط جاره، وبذلك أصبح للإسكندرية سور حولها وجعلوا له أبواباً، ولم يكن يفتح إلا باب واحد فى المرة الواحدة وبذلك تحصنت الإسكندرية وأمن أهلها الأعداء.

ولما وصل والى مصر مزاحم بن خاقان (٢٥٣ ـ ٢٥٤هـ = ٨٦٧ ـ ٨٦٨م) استطاع أن يشتت هؤلاء الثوار الذين كانوا قد اتخذوا مراكز لهم بين بنا وأبو صير فى الوجه البحرى فأعمل فيهم القتل بالسيف وأغرق آخرين وانهزم من بقى منهم فى الجبال بالصعيد.

اللواتيون والشدة العظمى

ومن الأمور التى يوضحها ساويرس وتساعدنا على فهم الوضع الحقيقى للأمور ما يذكره عن الشدة العظمى التى حدثت أيام الخليفة المستنصربالله الفاطمى (الشدة المستنصرية).

فقد ذكر المؤرخون المصريون مثل ابن ميسر، والمقريزى، وأبى المحاسن ابن تغرى بردى، أن الشدة العظمى كان سببها انخفاض ماء النيل وانتشار الوباء فى مصر حتى انعدمت الغلات من أرض مصر وأكل الناس البغال والحمير والميتة ثم أكل بعضهم بعضا.

ولكن مؤرخ البطاركة يبين أثر القلاقل والفتن فى إيجاد هذه الشدة، فقد عمت الفوضى والحروب بين الجند وخاصة بين السودانية والأتراك، فكانت القاهرة فى يد الجند الترك، وكان الصعيد فى يد الجند السودانية، وكانت الإسكندرية وجزء كبير من الدلتا فى يد فريق آخر من الجند التركية تساعدهم قبائل قيس ولواتة. ويبين ساويرس تسلط اللواتيين، وهى قبائل بربرية الأصل، على الريف ويذكر أنهم ملكوا أسفل الأرض أى الوجه البحرى، وأصبحوا يزرعونه كما يريدون بلا خراج ولم يهتموا بحفر الترع أو عمل الجسور وانفردوا بالزراعة دون غيرهم وامتنعوا عن بيع الغلات، وكانت النتيجة أن رزئت مصر بفترة مجاعة قاربت من سبع سنين عرفت بالشدة العظمى (٤٥٩ ـ ٤٦٥هـ = ١٠٦٦ ـ ١٠٨٢م).

وقد استطاع بدر الجمالى (الارمنى) والى عكا الذى استدعاه الخليفة المستنصر لتولى الوزارة فى مصر، أن يقبض على ناصية الحال فيها فأباد اللواتين من الريف، وسار إلى الصعيد ففتحه ثم عاد إلى مصر وأقام بها ورتب الأمور فيها كما كانت عليه فى السابق.

ويذكر ساويرس أن أميراً عرف بكنز الدولة كان قد ملك الصعيد الأعلى فلما وصل بدر الجمالى إلى مصر هرب كنز الدولة إلى النوبة فأرسل بدر الجمالى رسولا إلى ملك النوبة كى يسلم له كنز الدولة. وقد سلمه الملك لرسول بدر الجمالى الذى قتله وصلبه عند باب الحديد الذى يحدد ساويرس موقعه فيما بين القاهرة المعزية وبين مصر أى الفسطاط أو مصر القديمة.

فكرة الحروب الصليبية

وحين يحدثنا ساويرس عن الصليبيين وقدومهم إلى الشرق لا يعتبر أن هذه الحروب حرب بين المسيحية والإسلام. وإنما ينظر إلى الصليبيين كغزاة أعداء للشرق. ويعلق على امتلاكهم لبيت المقدس بأن الأقباط اليعاقبة سوف لا يستطيعون الحج لإختلافهم والصليبيين فى المذهب الدينى.

خطة تحقيق الكتاب

المخطوطات الموجودة الآن لكتاب « سير البطاركة » تتوزع ما بين محفوظة بالمتحف القبطى تحت رقم (١) تاريخ، وأخرى فى مكتبة البطركية تحت رقم (٣) تاريخ ومخطوطة أخرى تحت رقم (١٥) تاريخ، ومخطوطة بالمكتبة الوطنية فى باريس تحت ر قم ٣٠١، ٣٠٢ بالإضافة إلى مخطوطة فى المتحف البريطانى وأخرى بمكتبة الفاتيكان وصورة فوتوغرافية لمخطوطة المكتبة الوطنية بباريس بدار الكتب المصرية تحت رقم «تاريخ ٦٤٣٤ ح».

ولقد عرفت الأوساط الكنسية الأوربية كتاب «سير البطاركة» أول ما عرفته تحت اسم التاريخ اللاتينى للكنيسة القبطية»الذى كان قد نشره المستشرق الفرنسى يوساب رينوده وطبع فى باريس فى القرن الثامن عشر (حوالى عام ١٧١٣م) تحت اسم «تاريخ بطاركة الإسكندرية» .Historia Patriarcharum Alixandrinorum 4: Paris, 1713

ولكن يعيب ما فعله هذا العالم الكبير إنه لم يستطع أن يترجم كل ما فى مخطوط الكتاب والذى يحتوى على كم هائل من المعلومات المتعلقة بمعتقدات الكنيسة المصرية وشعائرها. وما يتعلقى بالعلاقات الاجتماعية بين الحكام المسلمين والأقباط، والحالة المزاجية لهؤلاء الأقباط وكذلك التاريخ العام لمصر.

وقد نشر المستشرق إفتس B.Evetts كتاب ساويرس بعنوان «سير الآباء البطاركة» أو «تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية فى الإسكندرية» ضمن مجموعة Patrologia Orientalis أى كتابات «آباء الكنيسة فى الشرق»، وذلك فى الجزء الأول من هذه المجموعة الذى نشر فى باريس عام ١٩٠٧م، والجزء الخامس، باريس عام ١٩١٥م.

وتولت جمعية الآثار القبطية، مشكورة، نشر الأجزاء الباقية من هذا الكتاب بمعاونة الأستاذ يسى عبدالمسيح أمين مكتبة المتحف القبطى سابقاً.

ونشرت الجمعية القبطية هذا الكتاب بعنوان «تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروفة بسير البيعة المقدسة». واعتمد الناشرون على مخطوطة محفوظة بالمتحف القبطى، وعلى مخطوطة ثانية بمكتبة دار البطركية القبطية.

ونشرت الجمعية القبطية، الجزء الأول من المجلد الثانى فى القاهرة عام ١٩٤٣، ثم ظهر الجزء الثانى، من المجلد الثانى فى القاهرة عام ١٩٤٨م، ونشر أخيراً الجزء الثالث من المجلد

الثانى فى القاهرة ١٩٥٩م. ثم تتابعت إصدارات بقية أجزاء المخطوط حتى اكتملت بصدور المجلد الرابع عام ١٩٧٤م.

ولإعداد وضبط وانتخاب نص هذا الكتاب قمت بالإطلاع على المخطوطة المصورة من المكتبة الأهلية بباريس والموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤٣٤ح فى أربعة مجلدات وكذلك مخطوطاته الموجودة بالمتحف القبطى بالقاهرة باعتبارها الأصل فى التحقيق، وهى فى أربعة أجزاء الأول والثانى فى مخطوط تحت رقم ١ أ تاريخ (٩٣عام) باسم تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين ومن أتى بعده من المؤرخين، يحتوى على السير من مارمرقس إلى البابا شنودة الأول (الخامس والخمسين)، بمقدمة. نسخ فى القرن الثالث عشر الميلادى. عدد صفحاته ١٣٣ ورقة، عدد أسطر الورقة حوالى ٢٦ سطرا، قياس الورقة ٢٤ × ١٥ سم، بأوله حاشية مطالعة بالخط الكرشونى والعربى.

أما الجزءان الثالث والرابع ففى مخطوط تحت رقم ١ ب تاريخ (٩٤عام) بنفس الاسم السابق. وهو يحتوى السير من البابا خايال (البطرك ٥٦) إلى الباب كيرلس الخامس ـ (البطرك ١١٢)، يبتدىء من الورقة ١٣٣ إلى الورقة ٢٣٣. رممه وأكمل السير من البابا كيرلس الثالث (البطرك ٧٥) إلى الآخر، مرقس بن يوحنا جرجس سميكة باشا سنة ١٨٩٨م بخطه عن نسخة بالدار البطريركية، وذيله بجدول تاريخ البطاركة. مقاس الورقة ٢٤ × ١٥ سم عدد أسطرها من ٢٠ إلى ٢٦ سطرا.

وبعد أن أعددت من هذه المخطوطات نص كتاب تاريخ البطاركة أضفتُ إليه بعض الكلمات والعبارات وضعتها بين قوسين هكذا [ ]، إما للإيضاح، أو لإضافة يستدعيها السياق، وإما لأستكمال حروف كلمات المتن.. وأستخدمتُ علامات الترقيم ليسهل قراءة المتن، ووضعت عناوين جانبية، إضافة للمتن للكشف عما يتناوله من أحداث وغيرها.

كما قسمت المتن إلى فقرات، ووضعت له هوامش لشرح معنى بعض الكلمات أو معادلة التواريخ القبطية بالميلادية.

وقد أضفت إلى المتن المحقق للمخطوط (الموجود أعلى صفحات هذا الكتاب) الوقائع التاريخية المواكبة له (فى أسفل صفحات الكتاب)، وبهذا نحصل على متابعة إضافية لتاريخ مصر تمتد لأكثر من ألفى عام (منذ الإحتلال الرومانى وحتى عصرنا الحديث).

ساورى (ساويرس) ابن المقفع

كل ما نعلمه عن حياة ساورى المعروف باسم «أبى البشر بن المقفع الكاتب» أو «أبى البشرجا ـ رود الكاتب المصرى» ينحصر فى ثلاثة تواريخ:

١ـ نوفمبر ٩٥٠م، وهو تاريخ تأليفه لكتاب «تفسير الأمانة»، الذى استكمل به كتابه السابق لهذا التاريخ وهو كتاب «المجامع»، وهو رد على كتاب «نظم الجوهر» لسعيد بن بطريق البطريرك الملكانى المقرب للفاطميين.

٢ـ سبتمبر ٩٥٥م. تاريخ إعادة تفسير كتابه السابق.

٣ـ سنة ٩٨٧م. مساهمته فى تحرير الرسالة المجمعية إلى بطرك السريان.

هذه هى التواريخ الأكيدة، وكل ما يضاف بعد ذلك هو استنتاج ومحاولة للاقتراب من الحقيقة.

* * *

ولد ساورى حوالى عام ٩١٥م من والد لُقب بالمقفع، وقد درج بعض الكتاب على استعارة

معنى «المقفع» الذى عُرف به عبدالله بن المقفع الكاتب الشهير الذى عاش فى القرن الثامن الميلادى، والذى نقل كتاب «كليلة ودمنة» من «البهلوية» إلى «العربية» والذى اتهم باختلاس مال الخراج، فعوقب بالضرب على يديه حتى «تفقعت أى تشنّجت، كما ذكر البعض فى تفسير «المقفع» إنها تعنى «منكس الرأس أبداً».

وحقيقة تفسير معنى «المقفع» ترجع غالباً إلى الكلمة المصرية «قفَه» التى حُرفت إلى «قفعه» ـ ولكنها ما زالت تنطق حتى اليوم فى لفظها الأول «قفَه» وهى تطلق على وعاء من الخوص أو حبال ليف النخيل، يصنعه عادة الفلاحون فى الريف المصرى، وكذلك الرهبان والمتصوفة، ولعل والد ساورى كان يمتهن هذه المهنة فاشتهر بالمقفع، أى صانع «القفع». أما السين المضافة إلى ساورى فهى من اللواحق المقدونية.

وأغلب الظن أن ساورى نشأ فى منف الشرقية فى المكان الذى كان يعرف باسمه المصرى«كا ـ هى ـ رع) الذى يعنى بيت (معبد) روح الإله رع، والذى حُرِّف بعد ذلك إلى كاهرا «القاهرة» التى أسسها فى نفس الموضع جوهر الصقلى بأمر خليفته المعز لدين الله الفاطمى».

تربى ساورى تربة علمية تليق بمثقف ذلك الوقت «القرن العاشر الميلادى» فجمع بين العلوم الدينية، والعلوم الدنيوية، فعرف الفلسفة التى كانت مزدهرة فى الإسكندرية، وعلوم الكلام التى قرأها فى مصادرها، وأتقن اللغة العربية الوافدة وطورها فى شكلها المصرى وعمل فى الوظائف الإدارية والدواوين.

ثم أخذ يتدرج فى الوظائف، أيام حكم الأسرة الأخشيدية حتى أصبح كاتباً ماهراً، وكانت رتبة الكاتب آنذاك رتبة مهمة فى الجهاز الإدارى للحكام الوافدين، وقد عُرف فى هذا الوقت بكنيته «أبى البشر ساورى بن المقفع، والشاهد على ذلك عنوان رسالته إلى الوزير القبطى أبى اليُمن قزمان بن مينا، الذى كان تولى الوزارة على أيام أبى المسك كافور الأخشيد (٩٦٦ ـ ٩٦٨م) ونال ثقة الملك المعز لدين الله (٩٧٢ ـ ٩٧٥) فقد جاء فى عنوان الرسالة: «نبتدى بعون الله وتأييده نكتب رسالة انبا ساويرى أسقف الأشمونيين المعروف قبل رهبنته بأبى البشر ابن المقفع الكاتب، إلى أبى اليُمن قزمان بن ميناء، عامل مصر (أيده الله!) فيما سأله من الكتاب إليه بمذاهب النصارى، على طريق الاختصار والإيجاز» وهذه الكنية «أبو البشر» لا تعنى أنه أنجب ولداً سماه «بشر» وانما تدل على مكانته الوظيفية فى الديوان، ولا ندرى إذا

كان أبو البشر قد تزوج أم لا، إلا أن أغلب الظن أنه كان عازباً، إذا لم يذكر أحد من المؤرخين أنه ترك امرأته عندما ترهب، وإن لم يكن ذلك دليلاً قاطعاً.

ولا يخفى على القارىء أن من أهم شروط وظيفة الكاتب فى الدواوين حينذاك أن يكون متضلعاً فى اللغة العربية الوافدة قادراً على تطويرها وتطويعها للعصر، ومن هنا نكتشف مدى الجهد الشاق الواعى الذى بذله ساويرى لينقل إلى اللغة الوافدة منجزات لغة أخرى أكثر منها تطوراً فى صوتياتها ونحوها وكتابتها، ومحتوى ألفاظها الحضارية والدينية والأدبية، فكان ساويرى هكذا واضعاً لأول قاموس للترجمة من المصرية إلى العربية (لم يعثر بالطبع على هذا القاموس، ولكن من المؤكد أنه كان متوافراً عنده).

ولقد كان ساويرس يتمتع - كما هى عادة المصريين - بروح فكاهة عالية تنبع من حدة ذهنه وحضور بداهته، يتضح ذلك من القصة التى ذكرها مؤلف الجزء الثالث، من كتابنا هذا وهى: «اتفق أنه (ساورى) كان جالس عند قاضى القضاه إذ عبر عليهم كلب، وكان يوم الجمعة، وكان هناك جماعة من الشهود، فقال له قاضى القضاة: ماذا تقول يا سويرس فى هذا الكلب، هو نصرانى أو مسلم؟[1] فقال له: اسأله فهو يجيبك عن نفسه، فقال له القاضى: هل الكلب يتكلم؟ إنما نريدك أنت تقول لنا، قال: نعم يجب أن نجرب هذا الكلب، وذلك أن اليوم يوم جمعة والنصارى يصوموا ولا يأكلوا فيه لحم، فإذا فطروا عشيه يشربوا النبيذ والمسلمين ما يصوموه ولا يشربوا فيه النبيذ ويأكلوا فيه اللحم فحطوا قدامه لحم ونبيذ فإن أكل اللحم فهو مسلم وإن لم يأكله وشرب النبيذ فهو نصرانى، فلما سمعوا كلامه تعجبوا من حكمته وقوة جوابه وتركوه».

ترهبه واختياره أسقفا

بعد أن ترقى أبو البشر إلى أعلى المناصب،تخلى عن وظيفته ليترهبن فى أحد الأديرة، ولا ندرى أين ترهب، ولا متى، كما أننا نجهل السبب الذى جعله يترك العالم، ليذهب إلى البرية، إلا أن هذا دليل قاطع عن تقواه، وورعه وخبرته بأمور السلطة التى خدمها وعرف عنها الغدر السريع، والانتقام لأتفه الأسباب.

(١) لاحظ هنا حذف أداة الاستفهام وهى الهمزة فى قول القاضى: هو نصرانى.. ففى اللغة الوافدة تكتب «أهو نصرانى..» وكذلك استبدلت «أم» بـ«أو» عند قول القاضى «أو مسلم». كما نلاحظ هنا ظاهرة حذف نون «الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم كما جاء فى الكلمات «يصوموا»، «يأكلوا»«يشربوا».

ولذ أتقن ساويرس (ساورى) فى ظل رهبنته علوم الكتاب المقدس، وألف فيها بالعربية العديد من الكتب منها كتاب «الدر الثمين فى إيضاح الاعتقاد فى الدين» الذى ينقسم إلى ١٥ بابا، يذكر فيها ساويرس ١١٦١ (ألف ومائة وواحد وستون) نصاً من الكتاب المقدس (هذا بصرف النظر عن التلميحات إلى نصوص كتابية)، منها ٣٠٧ مرجع إلى العهد القديم، و٨٥٤ إلى العهد الجديد ترجمها جميعها بجهده الذاتى من اللغة القبطية إلى العربية، دون أن يسبقه إلى ذلك أحد، حتى أن أحد الكتاب يذكر عنه أنه لم يوجد فى عصره من يضاهيه فى معرفة الكتاب المقدس.

كذلك معرفته لآباء الكنيسة تفوق مستوى معاصريه، ففى نفس كتاب «الدر الثمين» المذكور، قد أحصى الناشر الألمانى لهذا الكتاب ١٩١ مرجعاً لآباء الكنيسة، سوى نصوص أخرى لم يعتبرها من التراث الآبائى.

وإذا تذكرنا أن كثيراً من هذه النصوص، أو قل معظمها، لم تكن مترجمة بعد إلى العربية، لفهمنا المجهود الذى بذله ساويرس للتعرف على الآباء فى الأصول.

لكل ما سبق اختير ساويرس ليسام أسقفاً على مدينة الأشمونين[1]، فغير اسمه من أبو البشر إلى الأنبا ساويرس، ولم يذكر ساويرس، اسم البطرك الذى وسمه، وإن كان فى شبه المؤكد أنه البطرك الستينى (تاوفانيوس) الذى أدار شئون الكنيسة القبطية من سنة ٩٥٣إلى سنة ٩٥٦، أو على يد البطرك أنبا مينا الثانى (٩٥٦ ـ ٩٧٥).

---

(١) الأشمونين: هو إقليم هرموبولس .Hermopolis فى ظل العصر البطلمى، تقع شمال غرب ملوى بحوالى ٨كم. وردت فى كشف الأسقفيات عند أميلنو هكذا: «مدينة الأشمونين» = Schemoun وهى Ermoueno Eshomuncin ، ثم قال: إنه ورد فى بعض الأوراق القبطية مدينتان، أحدهما باسم أشمون رقم (١)، والثانية باسم أشمون رقم (٢) وكانت أشمون رقم (١) واقعة على النيل، فلما شعر أهل المدينة بقرب وصول الملك قمبيز بجيشه إليهم تخلوا عنها من الخوف والتجئوا إلى أشمون رقم (٢).
ثم قال: وإن مدينة أشمون رقم (١) سميت فى عهد البطالمة Kleopatris «كليوباتريس» وكانت هى الميناء لبعد أشمون الأصلية عن النيل، ولما اختفى أسمها صاروا يطلقون بعد ذلك على أشمون (٢) اسم مدينة الأشمونين، التى كانت تسمى بالمصرية Sesounnou، ويقال لها Schemoun . أما كليوباتريس ميناء الأشمونين الحالية فقد صار اسمها «الروضة» اشتهرت الأشمونين بنوع خاص من الثياب الجيدة الثمينة، كما كانت قاعدة لمقاطعة «أونو» فى ظل الممالك الفرعونية، ثم قاعدة لكورة الاشمونين فى ظل الاحتلال العربى، ثم قاعدة لأعمال الأشمونين خلال حكم الأيوبيين إلى آخر أيام المماليك الجراكسة، ثم قاعدة لولاية الأشمونين فى ظل الاحتلال العثمانى.
وفى سنة ١٨٢٦ صدر أمر من الوالى بتسمية ولاية الأشمونين باسم مأمورية أسيوط، وجعلت مدينة أسيوط قاعدة لهذه المأمورية، وبذلك حذف اسم الأشمونين من الأقسام الإدارية بمصر، وأصبحت قرية من قرى مركز ملوى/ محافظة أسيوط.

أول تأليفه

ألف ساويرس قبل سنة ٩٥٠ كتاب «المجامع» وهو رد على كتاب «نظم الجوهر» لسعيد بن بطريق،البطريرك الملكي، وكان الخلاف كبيراً بين الكنيسة القبطية والملكيين،خصوصاً أن الملكانيين كانوا مقربين لدى الفاطميين، حتى أن العزيز ٩٧٥٠ ـ ٩٩٦) اتخذ سرية رومية كانت أخت بطريرك الروم في القدس وفي الإسكندرية.

وفي نوفمبر سنة ٩٥٠م ألف ساويرس كتاب «تفسير الأمانة» ولكنه ضاع منه، فلما فقد الأمل في العثور عليه أعاد كتابته في سبتمبر ٩٥٥م.

علاقته بالملك المعز

كان المعز مؤسس الخلافة الفاطميةرجل علم وسياسة، يقضي أيامه في تعلم العلوم واللغات حتى أنه حسبما قال المقريزي في خططه «أخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها، ثم تعلم الرومية، والسودانية، حتى أتقنهما، ثم أخذ يتعلم الصقلية».

كانت علاقة المعز بالبطرك ابرام (إفراهام) علاقة طيبة، حتى حسده الوزير اليهودي «يعقوب بن كلس» ولما كان ساويرس من أصدقاء ابرام البطرك، وأكبر علماء الكنيسة في ذلك الوقت، كان كثيراً ما يتردد على ديوان الملك وكان المعز يدعوه للمناظرة مع أئمة المسلمين واليهود في حضوره و«دفعات كثيرة جادل قضاة من شيوخ المسلمين بأمر الملك المعز».

الرسالة المجمعية

كانت العادة جارية بين الكنيستين السريانية والقبطية، عند اختيار بطرك جديد، أن يرسل رسالة إلى نظيره في الكنيسة الأخرى يوضح فيها عقيدته، فيرد عليه البطريرك الآخر برسالة يعترف فيها به، ويعلن عن إيمانه وكانت تسمى هذه الرسالة «السنيوديكا» أو الرسالة المجمعية، وقد جمعت هذه الرسائل المجمعية في كتاب «اعتراف الأباء» في سنة ١٠٧٨م.

وفي سنة ٩٨٧ أو بعدها بقليل، أرسل البطريرك الانطاكي أتناسيوس الخامس (٩٨٧ ـ ١٠٠٣م) أربعة مندوبين عنه إلى البطريرك فيليوتاوس (٩٧٩ ـ ١٠٠٣). وهم: توفيل المفسر مطران دمشق، وباسيلوس مطران طبرية، والقمص يوحنا، والشماس سلمون، وكان هؤلاء المندوبون حاملين رسالة من البطريرك الانطاكي تعبر عن إيمانهم[١] .

(١) انظر الخريدة النفيسة جـ٢ ص٢٦٨ ـ ٢٧٣ للأسقف أيسودوروس (القاهرة . د.ت).

وتضمنت هذه الرسالة مسألة لاهوتية يطلب من البطريرك المصرى حلها، وها هى المسألة «أن موت سيدنا المسيح، لما كان من مفارقة النفس للجسد بحيث لم يفارقه اللاهوت، كما لم يفارق النفس حال فارقها الجسد، فلم يكن موتاً لأن اللاهوت أعظم وأجل وأقوى من النفس المخلوقة، وكيف كان حياً حال اتحاد نفسه بجسده المخلوقين، ولم يكن كذلك. فى حين أن اللاهوت لم يفارق الجسد؟»(١).

فرحب البطريرك فيلوتاوس بالضيوف الكرام أحسن ترحيب، وطلب من كل أساقفة مصر أن يذكروا البطريرك الانطاكى الجديد فى قداساتهم. إذ يقول: «ونخبركم أنه على أثر مجيهم له «مجىء المندوبين الأربع» وقراءة الرسايل التى بأيديهم، أصدرنا منشوراً إلى عموم الأبروشيات المصرية أن يدرجوا اسمكم الكريم فى الطلبات، ويذكروكم فى كل قداس حسب المعتاد».

ثم جمع فيلوتاوس بعض الأساقفة العلماء وحرر رسالة يرد فيها على مسألة اتناسيوس.

وكان ساويرس فى مقدمة هؤلاء الأساقفة، فزودهم بعلمه وثقافته الدينية، فجاءت الرسالة حافلة بنصوص أباء الكنيسة، مزودة بالتعليقات اللاهوتية، مما جعلها من أجود الرسائل المجمعية لهذا العصر.

وقد اعترف فيلوتاوس بفضل أنبا ساويرس فى تحرير هذه الرسالة، إذ ختمها بقوله: ومن عندنا، يقدم إلى قدسكم السلام بخضوع آباؤنا الأساقفةالحاضرون معنا، كل واحد باسمه، لاسيما أنباساويرس أسقف الأشمونين، وأنبا مرقس أسقف البهنسا الكاتب، والقسوس والشمامسة، والرهبان، والاراخنه المحبون لله، وعموم شعب كرسى مارمرقس الإنجيلى المؤمنين، وأبو رهبان ديركم الذى عندنا، والأخوة الذين فيه.

فقد ذكر ساويرس أول الكل ولم يذكر معه إلا أسقف البهنسا، وكان ساويرس قد بلغ الثمانين عام وأكثر عند تحرير هذه الرسالة، ولم يزل عضواً عاملاً فى كنيسته، يؤلف الأبحاث اللاهوتية وكتبه التاريخية.

قائمة مؤلفات ساويرس

لساويرس مؤلفات عديدة، بعضها مطبوع وبعضها مخطوط وبعضها مفقود.

وقد ذكر أنبا ميخايل، أسقف تنيس فى زمن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله، وأحد الذين

(١) الخريدة جـ٢ ص ٢٦٩.

أكملوا كتاب ساويرس، سنة ١٠٥١، عشرين كتاباً له وصلت إليه، ثم أضاف إلى هذه المؤلفات عدة ميامر وتفاسير وأجوبة على مسائل لأبى البشر ابن جارود الكاتب المصرى.

أما أبو البركات بن كبر، المتوفى سنة ١٣٢٤م، فقد ذكر له ٢٦ مؤلفاً فى الباب السابع من موسوعته المعروفة بكتاب «مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة» وهى كالآتى:

١ـ فى التوحيد.

وقد ذكر ساويرس هذا الكتاب فى الباب الثانى من «مصباح العقل» إذ قال: «وهذه الأسماء (أعنى: الآب والابن وروح القدس) مما قد استعمله الأوايل وقالوا به ودانوا بصحته، أعنى قدما الفلاسفة، منهم: هرمس (أوزير)، أفلاطون، فيثاغورس، أمونيوس، ونظائرهم، وتوالت به الكتب العتيقة، وأنا أذكر أقاويلهم فى كتاب التوحيد.

٢ـ فى الاتحاد.

٣ـ الباهر، فى الرد على اليهود والمعتزلة.

ذكر ساويرس كتابه عن المعتزلة واليهود دون تحديد عنوان فى كتاب «مصباح العقل» مرتين كما يلى:

أ ـ «فمن أنكر ثبات هذه الصفات وقيامها وأزليتها، فقد أنكر ما قد اعترف به، وجحد ما قد أقر بوجوده، كما فعل اليهود وباسيليوس، والمعتزلة الذين يجعلون صفات البارى أسماء خالية من المعانى، ولأنا قد قلنا أن غرضنا ها هنا الاختصار والإيجاز، رأينا ترك الاحتجاج والرد على المخالفين، لأنا قد فعلنا ذلك فى كتبنا عليهم».

ب ـ « فأما ما وصفته التوراة من تحريم أشيا بأعيانها، أو تحليل أشيا بأعيانها، فأمر قد نسخ بشريعة المسيح، وذلك إنما كان لعلة ما، قد بينا الأمر، فى هذا وغيره، فى كتبنا فى الرد على اليهود».

٤ـ البليغ، فى مثل ذلك.

٥ ـ فى الرد على سعيد بن بطريق الملكى، البطريرك المعروف بابن الفراش، صاحب كتاب التاريخ [مطبوع].

٦ـ الشرح والتفصيل فى الرد على نسطور وشيعته.

٧ـ رسالة فى الديانة. كتبها إلى ابن أبى اليمن قزمان بن مينا الكاتب.

٨ـ نظم الجوهر والدر، فى الرد على القول بالقضاء والقدر.

٩ـ المجالس.

١٠ـ طب الفم وشفا الحزين.

١١ـ المجامع.

١٢ـ تفسير الأمانة الأرتودكسية. [طبعة الأب لورواه].

١٣ـ رسالة فى حال الأطفال، من المؤمنين والكافرين، وكيف تقوم النفس فى الحكم وهى رسالة تربوية.

١٤ـ فى الإستبصار، وهو مصباح العقل [نشرة الأب سمير خليل].

١٥ـ السير.

وهو الكتاب الذى بين يدينا الآن، والمعروف باسم تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية» وقد طبع مراراً وترجم إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، كما طبعت منه أيضاً روايات مختصرة. [انظر ما كتبناه عن هذا المؤلف فى هذا التقديم].

١٦ـ الإنتصار.

١٧ـ ترتيب الكهنوت، وهو الانباء عن طقوس الكنيسة [طبعة يوليوس أسفلج].

١٨ـ فى إختلاف الفرق. [طبعة يوليوس أسفلج، ثم طبع جزءاً منه الأب سمير خليل، ثم طبعه بكامله المطران بطرس كامل مدور].

١٩ـ فى الأحكام. ذكر ساويرس هذا الكتاب فى الباب الأخير من «مصباح العقل» إذ يقول: «لأن الغرض فى هذه الشريعة: معرفة الله وتقديسه وتمجيده، واستعمال العدل والفضايل والإنصاف، والمواساة، وطلب الدايم الباقى، والإعراض عن الزايل الفانى. وأما ما سوى ذلك من الشرايع والأحكام فأثبتها فى كتاب الأحكام»، ويبدو أن هذا الكتاب اليوم مفقود.

٢٠ـ إيضاح الاتحاد، والقول على تجسد الرب. هذا الكتاب إما أن يكون «كتاب الدر الثمين» واما أن يكون المقالة الثانية من «كتاب الإيضاح» وعنوانها «كتاب إيضاح تأنيس ابن الله وصلبه»، وقد ذكر ساويرس نفسه كتاب «إيضاح الاتحاد» مرتين فى «مصباح العقل» كما يلى:

أ ـ «فأما لم تجسد؟» و«كيف تجسد القديم بالمحدث؟» فقد شرحته شرحاً بيناً، وأوضحته إيضاحاً مستفيضاً فى كتابى «فى إيضاح الاتحاد».

ب ـ أنه، لما تجسد، كان تجسده بجسد تام، ذى نفس وعقل، [تجسداً] كاملاً تاماً، أى أنه خلق الجسد، وحدد الصورة، وصار إنساناً كاملاً من غير تغير ذات، فجعله له هيكلاً ومحلاً وحجاباً، على أنه اتحد به اتحاداً تركيبياً، كما بينت فى كتابى «فى إيضاح الاتحاد».

٢١ـ تفسيير الأناجيل المقدسة، ذكر ساويرس هذا التفسير للأناجيل عندما تحدث عن صلاة «أبانا الذى فى السموات» فى الباب العاشر، إذ قال: «ومن كان لا يعلم شيأ غير تلك الصلاة أجيز له، لأنها قد جمعت كل الأمور: من الإيمان والإقرار والتسبيح والتمجيد والطلبة والإستغاثة والمسألة، فمن أراد أن يعلم ذلك فلينظر فى «تفسير الإنجيل» فإنا هناك قد بينا معانى تلك الصلاة على الشرح».

٢٢ـ أجوبة مسائل لابن جارود (ساويرس).

٢٣ـ شرح أصول الدين، وترتيب الخدمة، والبخور، ورشم الصليب، ونسبة السيده.

٢٤ـ كتاب البيان المختصر فى الأيمان.

٢٥ـ كتاب المثاليات والرموز. من المحتمل أن يكون هذا الكتاب هو المقالة الثالثة من «كتاب الإيضاح» وعنوانها «كتاب تفسير الكلام من سفر يشوع بن نون، والتوراة بحق المذهب المسيحى، أو المقالة الرابعة «إيضاح تفسير الفصح والحروف، وكيف يصير الخبز والخمر لحم المسيح ودمه» إذ أن المقالتين تطرق موضوع المثالات والرموز.

٢٦ـ كتاب التعاليم فى الإعتراف والذنوب.

وجدير بالذكر أن عناوين مؤلفات ساويرس تختلف كثيراً بين نسخة ونسخة، وكان قد أشار إلى ذلك أنبا ميخاييل أسقف تنيس (١٠٥١م) فيقول: «وهذه الكتب قد سمى بعضها بخلاف ما ذكرناه، وربما للكتاب أسمان» وهذه الظاهرة تدل دلالة واضحة على انتشار كتب ساويرس، إذ أن أسماءها اختلفت لكثرة نقلها وتداولها، وذلك فى أقل من نصف قرن بعد وفاة المؤلف.

ونحن لا نعرف سنة وفاة ساويرس ولكن يتضح لنا مما كتب فى سير الآباء البطاركة أنه عاش حتى زمن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله أى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وفى أواخر القرن العاشر الميلادى.

مقدمات تاريخية

(١) الإسكندر الأكبر وأسرته

الإسكندر الثالث (الأكبر)[١]	ملكا	٣٣٢	٣٢٣
فيليب أرهيدايوس (أخو الإسكندر)	ملكا	٣٢٣	٣١٧
الإسكندر الرابع (ابن الإسكندر الأكبر)	ملكا	٦/٣١٧	٣١٠[٣٠٥/ ٤][٢].

الملوك البطالمة

بطلميوس الأول	والياً	٣٢٣	٣٠٥/ ٤
(سوتير[٣])	ملكا[٤]	٣٠٥/ ٤	

---

(١) غزا الإسكندر الثالث (الأكبر) مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق م. ولعله توج فى منف (ممفيس) ملكا على مصر فى آخر عام ٣٣٢. أسس الإسكندرية فى ٢٥ طوبة الموافق ٢٠ يناير عام ٣٣١.

ولكن الأستاذ E.Welles يذهب فى مقال له نشرة فى: The Discovery of Sarapis, Historia, II, 1962 إلى أن تأسيس الإسكندرية كان فى يوم ٧ أبريل عقب زيارة الإسكندر لواحة آمون، وليس قبل هذه الزيارة (قارن إبراهيم نصحى «تاريخ مصر فى عصر البطالمة» جـ٢، ص٢٨٢، حاشية ٣). كما يذهب الأستاذ ولز إلى أن الإسكندر هو الذى أمر ببناء معبد سرابيس فى الإسكندرية.

- توفى الإسكندر فى بابل يوم ١٣ يونيو ٣٢٣. وفى رأى حديث آخر أن اليوم الذى توفى فيه الإسكندر وهو ٢٩ من شهر دايسيوس Daisios (المقدونى) يوافق مساء يوم ١٠ أى بداية يوم ١١ يونيو عام ٣٢٣ (لأن اليوم وفقا للتقويم المقدونى يبدأ فى المساء بينما يبدأ اليوم فى التقويم المصرى مع طلوع النهار.

(٢) قتل الإسكندر الرابع (ابن الإسكندر الأكبر من روكسانة) فى عام ٣١٠. ومع ذلك فقد ظلت الوثائق (الديموطيقية) فى مصر تؤرخ باسمه إلى ما بعد موته تأريخا صوريا حتى سنة ٣٠٥/ ٤ ق م، وهى السنة التى اتخذ فيها بطليموس الأول (سوتير) لقب ملك (basileus) بصفة رسمية بدلا من لقب ساترابيس (Satrapês) أى والى نائب عن الملك.

(٣) خلع أهل رودس على بطلميوس الأول لقب «سوتير» (المنقذ) بعد عام ٣٠٤ وفقا لرواية ديودور الصقلى (ك. ٢٠ - ١٠٠ - ٤) ورواية باوسنياس (ك١ - ٨ - ٦). لكن يبدو أن هذا اللقب (لقب الإله المنقذ) خلع عليه قبل اتخاذه لقب «ملك» بصفة رسمية، أى بين سنتى ٣٠٨، ٣٠٦، وذلك وفقا لما يفهم من نقش عثر عليه فى هليكرناسوس بآسيا الصغرى.

(٤) اتخذ بطلميوس الأول لقب «ملك» بصفة رسمية فيما بين ٧ نوفمبر ٣٠٥، ٦ نوفمبر ٣٠٤، أن لم يكن بين ٧ نوفمبر ٣٠٥، ١ فبراير ٣٠٤. وبينما يفضل الأستاذ «سكيت» التاريخ الأخير، يرجع باحث حديث (الن صامويل) أن بطلميوس الأول أعلن نفسه ملكا فى يوم ٧ نوفمبر ٣٠٥ الذى كان فى ذلك الوقت يوافق أول توت، رأس السنة المصرية. حيث يتضح أيضا أن شهر «دايسيوس» المقدونى كان -=

٢٨٣/ ٢[(٥)]

بطلميوس الثانى (فيلادلفوس)[(٦)]	مشتركا (مع أبيه)[(٧)]	٢٨٥/ ٤	٢/٢٨٣
	منفردا[(٨)]	٢٨٣/ ٢	٢٤٦

....

=فيما يبدو ـ يقابل شهر أكتوبر/ نوفمبر. وقد ظل الأمر كذلك حتى عهد يورجتيس الثانى حين قوبلت (بين سنتى ١٣١/ ١٣٠ ـ ١١٩/ ١١٨) الشهور المقدونية بالشهور المصرية وصار ديوس يوافق توت، أول شهر فى السنة المصرية. ويلاحظ أيضا أن بداية أى شهر مقدونى توافق دائما يوم ٢١ من الشهر المصرى.

ـ وبعد مضى سنوات من حكمه كملك، رأى بطلميوس الأول أن يضيف سنوات حكمه كوال عند حساب مدة حكمه، وأرجع بداية حكمه (صوريا) إلى يوم وفاة الإسكندر الأكبر، أى إلى يوم ٢٩ من شهر دايسيوس Daisios (المقدونى) عام ٣٢٣ الموافق ١٠/ ١١ من شهر يونيو عام ٣٢٣. وبذلك يصبح المجموع الكلى لسنوات حكمه (كوال وملك) ٤١ عاما، وكملك فقط ٢٣ عاما. ولدينا وثائق (كلها يونانية) مؤرخة بعام ٤١ من حكمه لكن ذلك لا يظهر فى الوثائق الديموطيقية لأن الكتبة المصريين لم يرجعوا ببداية حكمه إلى عام ٣٢٣، بل حسبوها ابتداء من تاريخ إعلانه نفسه ملكا فى نوفمبر ٣٠٥/ ٤.

(٥) تاريخ وفاة بطلميوس الأول غير معروف على وجه التحقيق. لكنه توفى بعد سنتين (وبضعة أشهر) من إشراكه لابنه معه فى الحكم، أى أنه توفى فى عام ٢٨٣/ ٢، وربما بين يناير ومارس عام ٢٨٢ على وجه أكثر تحديداً.

(٦) بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) هو ابن بطلميوس الأول (سوتير) من زوجته الثانية برنيقى (Berenicê). وقد ولد فى يوم ٢٤ من شهر ديستروس (Dystros) المقدونى الموافق ٢١ مارس عام ٣٠٩، فى جزيرة قوس (Côs) قرب ساحل آسيا الصغرى.

(٧) أشرك سوتير ابنه بطلميوس الثانى معه فى الحكم بمناسبة عيد ميلاد (هذا الابن) الخامس والعشرين فى يوم ٢١ مارس عام ٢٨٥.

(٨) حسب بطلميوس فيلادلفوس سنوات حكمه إبتداء من عام ٢٨٣/ ٢ الذى انفرد فيه بالحكم عقب وفاة أبيه. لكن بعد مضى سنوات من حكمه، وفى عام ٢٦٧ على وجه التحديد، قرر ـ كما فعل أبوه من قبل ـ (ولسبب لا نعرفه) إرجاع بداية حكمه إلى سنة إشتراكه مع أبيه فى الحكم، أى إرجاعه إلى ٢١ مارس عام ٢٨٥/ ٤. وكان ذلك فى السنة الـ١٦ من حكمه وبمناسبة عيد ميلاده الثانى والأربعين (٢٤ ديستروس = ٢١ مارس عام ٢٦٧). وبذلك أصبح ٢١ مارس عام ٢٦٧ بداية السنة الـ١٩ من حكمه (وفقا للحساب الجديد) وليس بداية للسنة الـ ١٦ من حكمه. وهكذا صار يوم عيد ميلاده (genethlia) ٢١ مارس يوافق يوم عيد جلوسه على العرش (basileia) [كشريك لأبيه فى الحكم] فى يوم ٢١ مارس. ويلاحظ أن عيد الميلاد (والجلوس على العرش) لم يكن يحتفل به سنويا فقط، بل شهريا (فى نفس اليوم ٢١). وكان هذا تقليدا مقدونيا. ويلاحظ أيضا أنه نتيجة للتأريخ بأثر رجعى صارت سنة الحكم المقدونية متقدمة على السنة المصرية بمعنى أن السنة المصريية الثالثة ـ مثلا ـ كانت تقابلها السنة المقدونية الرابعة. كذلك كانت الحال فى عهد بطلميوس الثالث.

بطلميوس الثالث (يورجتيس)	ملكا	٢٤٦	١ /٢٢٢
بطلميوس الرابع (فيلو باتور)	ملكا	٢٢١	٢٠٥
بطلميوس الخامس (إيبفانيس)[٩]	ملكا	٤/٢٠٥	١٨٠
بطلميوس السادس (فيلوميتور)	منفردا	١٨٠	١٧٠
	مشتركا	١٧٠	١٦٤[١٠]
	(مع أخويه):		
	بطلميوس الثامن وكليوبترة الثانية		
	مشتركاً (مع أخته):	١٦٣	١٤٥
	كليوبترة الثانية		
بطلميوس السابع	مشتركاً (مع أبيه)[١١]	١٤٥	

(٩) زوجة إيبفانيس هى كليوبترة (الأولى) وأم فيلوميتور. وجدير بالذكر أن حجر رشيد (Rosetta Stone) يرجع إلى عهد إيبفانيس، إذ يحمل تاريخ ٢٧ مارس عام ١٩٦. والحجر مدون عليه قرار أصدره الكهنة المصريون فى اجتماع عام فى منف (Memphis) وهو مكتوب بصورتين أو خطين من اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية والديموطيقية) مع ترجمة باللغة اليونانية. وكان هذا الحجر اكتشفه رجال الحملة الفرنسية فى بلدة رشيد عام ١٧٩٩، واستولى عليه الإنجليز عام ١٨٠١ وأودعوه المتحف البريطانى.

(١٠) فى عام ١٧٠ رأى البلاط البطلمى تدعيما للحكم (ربما بمناسبة غزو أنطيوخوس الرابع أبيفانيس لمصر أن يتخذ إجراء ـ لا مثيل له من قبل ـ وهو أن يشرك مع فيلوميتور فى الحكم أخاه الأصغر بطلميوس (الثامن) وأخته ـ وهى زوجته أيضا ـ كليوبترة (الثانية). وبمناسبة هذا التغيير رؤى أيضا تغيير حساب سنوات الحكم فأصبح عام ١٧٠ ـ وهو السنة الثانية عشرة من حكم فيلوميتور وحده ـ يعتبر أيضا السنة الأولى من حكم الأخوة الثلاثة المشترك. ويسود الاضطراب السنوات الأولى من هذا الحكم المشترك، وطريقة التاريخ ليست موحدة أو متناسقة فى مختلف أنحاء الوادى. ولعل هذا يرجع إلى الغزو السورى وإلى النزاع الذى احتدم أواره بين فيلوميتور (وزوجته كليوبترة الثانية) من ناحية وبين أخيهما بطلميوس (الثامن) من ناحية أخرى، فقد انحاز الإسكندريون إلى جانب فيلوميتور وكليوبترة الثانية ضد بطلميوس (الثامن)، ومن ثم بدأت كراهية الأخير للإسكندريين وبخاصة أقطاابهم وتنكيله بهم، وثورتهم ضده وتمردهم عليه. كذلك انحاز اليهود ـ فيما يروى إلى فيلوميتور وأخته كليوبترة الثانية ضد بطلميوس (الثامن) مما أثار الأخير عليهم وبدأ فى اضطهادهم كالإسكندريين سواء بسواء.

وقد طرد بطلميوس فيلوميتور من عرشه فترة امتدت من أكتوبر ١٦٤ إلى ما قبل ٢٩ مايو ١٦٣. ويبدو أن أخاه الأصغر بطلميوس (الثامن) انفرد بالحكم فترة قصيرة تقع بين أبريل ومايو ١٦٣.

(١١) حكم نيوس فيلوباتور (أى فيلوباتور الجديد) مشتركا مع أبيه من ربيع إلى خريف عام ١٤٥ (الموافق ٣٦ من حكم أبيه فيلوميتور). وتوفى أبوه قبل ١٩ سبتمبر ١٤٥. لكن نيوس فيلوباتور لا يظهر هو الآخر=

(نيوس فيلوباتور)			
بطلميوس الثامن	منفردا[١٢]	١٤٥	١١٦
(يورجتيس الثانى)			

= بعد ذلك التاريخ. وفى أكبر الظن أنه قتل. ولعل هو ذلك الابن (ابن فيلوميتور وكليوبترة الثانية) الذى تخلص منه بطليموس الثامن ولم يلبث هذا الأخير أن تولى العرش فى نفس العام منفردا بالحكم. ولقد لقب نفسه يورجتيس (الثانى) أى «الخير» أو «المحسن»، ولقبه الإسكندريون ـ نظرا لسمنته المفرطة ـ بالبدين .

(١٢) تزوج بطليموس الثامن مرتين، الأولى من أخته كليوبترة الثانية (وهى أرملة أخيه فيلوميتور) فى عام ١٤٤ (أى بعد انفراده بالحكم). لكن لم يلبث أن نشب بينهما صراع رهيب على السلطة، وساءت بينهما العلاقة. لذلك تزوج فى عام ١٤٢ مع ابنتها كليوبترة الثالثة (التى كانت قد أنجبتها من أخيها وزوجها فيلوميتور). وبذلك يكون قد تزوج أولا من أرملة أخيه (وهى أخته أيضا) المسماة كليوبترة الثانية، وبعدئذ تزوج من ابنتها كليوبترة الثالثة التى كان هو عمها وخالها فى الوقت نفسه. ولا ندرى إذا كان قد طلق كليوبترة الثانية عندئذ. لكنها ظلت تحكم معه بلقب «الملكة كليوبترة الأخت»، بينما لقب ابنتها كليوبترة الثالثة (التى تزوجها يورجتيس الثانى) «بالملكة كليوبترة الزوجة».
كيف رضيت كليوبترة الثانية أن تعيش على هذا الوضع؟ ربما بدافع حب السلطة والتمسك بلقب ملكة.
وقد كان لها ابنة أخرى (من أخيها فيلوميتور) اسمها كليوبترة نيا، وقد تزوجت ديميتريوس ملك سوريا.
ودبرت مقتله، وقتلت أحد أبنائها، وحاولت قتل الآخر عندما اعترضوا سبيل طموحها.
وقد أنجب يورجتيس الثانى من كليوبترة الثانية (أثناء تتويجه فرعونا فى منف عام ١٤٤) ابنا فلقب بالمفيسى (Memphites) بهذه المناسبة. وعندما ثار الإسكندريون عليه بتدبير من كليوبترة الثانية، واضطر إلى الفرار مع زوجته كليوبترة الثالثة إلى قبرص (١٣١ ـ ١٣٠)، انتقم من كليوبترة الثانية بأن قتل ابنها منه «ممفيس» الذى كان قد أخذه معه إلى المنفى، ومزقه أربا ووضع أشلاءه فى صندوق بعث به إلى كليوبترة فى الإسكندرية كهدية عيد ميلاده. ولم يكن هذا الابن الذى قتل بيد أبيه وهو فى سن الرابعة عشر، هو الابن الوحيد الذى أنجبه يورجتيس الثانى من أخته كليوبترة الثانية، إذ يبدو أنه أنجب ابنا آخر (ربما فى عام ١٤٢).
وتؤرخ ثورة كليوبترة الثانية بتأييد من الإسكندريين ضد زوجها يورجتيس الثانى بعام ١٣١ ـ ١٣٠ وقد أعلنت نفسها ملكة بلقب «كليوبترة فيلوميتور سوتيرا» لكنه لم يلبث أن عاد من منفاه فى قبرص بالقوة المسلحة، وطرد كليوبترة الثانية التى لجأت إلى زوج ابنتها ملك سوريا فى أنطاكية. ولم يلبث أن عاد الوئام بينهما فعادت إلى الإسكندرية حوالى عام ١٢٤. وفى الحق أن هذه السنوات (١٣٢ ـ ١١٨) هى سنوات حافلة بالاضطرابات وقد سميت بسنوات انقطاع الاتصال أو الفوضى (amixia).
كذلك أنجب يورجتيس الثانى من كليوبترة الثالثة أبناء من بينهم كليوبترة الملقبة بكليوبترة تريفانا (Tryphaena) وكليوبترة «الرابعة» وكليوبترة سيلينى (Selênê) هذا عدا من أنجبهم من محظياته (مثل ايرينى Eirênê) وقد نصب أحد هؤلاء الأبناء غير الشرعيين (وهو بطلميوس أبيون) ملكا على مدينة قورينة (ومكانها الآن بلدة الشحات فى برقة).
ـ وقد توفى يورجتيس الثانى فى ٢٨ يونيو ١١٦. وماتت عدوته اللدود كليوبترة الثانية فى العام نفسه (قبل ١٩ أكتوبر عام ١١٦).

كليوبترة الثالثة[١٣]	مشتركة مع أبنيها:		
	بطلميوس التاسع[١٤]	١١٦/ ١٥	١٠٧
	وبطلميوس العاشر	١٠٧	١٠١
بطلميوس العاشر	مشتركا مع زوجته:	١٠١	٨٨
(الإسكندر الأول)[١٥]	كليوبترة برينيقى[١٦]		
بطلميوس التاسع	منفردا	٨٨	٨١
(سوتير الثانى)[١٧]	(بعد العودة من المنفى)		
كليوبترة برينيقى[١٨]	منفردة	٨٠	
بطلميوس الحادى عشر	منفردا	٨٠	
(الإسكندر الثانى)[١٩]			

---

(١٣) كليوبترة الثالثة هى ـ كما ذكرنا ـ الزوجة الثانية ليورجتيس الثانى. وكانت تؤثر ابنها بطلميوس العاشر (الإسكندر الأول) على أخيه بطلميوس التاسع (سوتير الثانى).
وكانت تلقب بالملكة الربة الخيرة أو «بالملكة كليوبترة الربة أفروديتى الخيرة الشهيرة بفيلوميتور) أى محبة أمها.
وقد ماتت كليوبترة الثالثة قبل ٢٦ أكتوبر عام ١٠١.

(١٤) طرد بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) الملقب لاثيروس (Lathyros) (أى الحمص) ثلاث مرات:
من آخر ١١٠ إلى أول ١٠٩، ثم بضعة أشهر أثناء عام ١٠٨، وأخيرا من قبل خريف ١٠٧ حتى ٨٨.

(١٥) مات بطلميوس العاشر (الإسكندر الأول) عام ٨٨ (قبل يوم ١٤ سبتمبر).

(١٦) كليوبترة برينيقى (Cleokpatra Berenice) هى برينيقى (الثالثة). وفى رأى البعض أنها ابنة بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) من زوجته كليوبترة الرابعة (ابنة يورجتيس الثانى)، وفى رأى البعض الآخر أنها ابنة سيلينى (ابنة يورجتيس الثانى الصغرى) وقد تزوجها عمها بطلميوس العاشر (الإسكندر الأول) وتلقب بالملكة برينيقى الربة محبة أخيها (Thea Philadelphus) لكنها تلقب هى وزوجها معا بالالين المحبين لأمهما (Theoi Philomêtores).

(١٧) عاد بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) من المنفى إلى العرش عقب وفاة أخيه الإسكندر الأول مباشرة فى خريف عام ٨٨. وكان قد نفى (للمرة الثالثة) على نحو ما ذكرنا قبل خريف ١٠٧.

(١٨) مات سوتير الثانى حوالى مارس عام ٨٠. وحكمت كليوبترة برينيقى حوالى ستة شهور أثناء ذلك العام.

(١٩) خلف بطلميوس الحادى عشر (الإسكندر الثانى) الملكة كليوبترة برينيقى على العرش وحكم ١٩ يوما فقط أثناء عام ٨٠.

بطلميوس الثانى عشر	منفردا	٨٠	٥٨
(نيوس ديونيسوس)[٢٠]			
برينيقى الرابعة[٢١]	مع كليوبترة تريفاينى[٢٢]	٧/٥٨	٥٦
	مع أرخيلاوس[٢٣]	٥٦	٥٥
بطلميوس الثانى عشر	منفردا	٥٥	٥٢
(نيوس ديونيسوس)	(بعد العودة من المنفى مع ابنيه:[٢٤]	٥٢	٥١
	كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر		
كليوبترة السابعة	مع أخيها بطلميوس	٥١	٤٧
(فيلوباتور)[٢٥]	الثالث عشر[٢٦]		=

---

(٢٠) طرد بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) الملقب بأوليتيس (Aulêtês) أى «الزمار» من عام ٥٨ (بعد ٧ سبتمبر) إلى عام ٥٥ (قبل ٢٢ أبريل).

(٢١) برينيقى الرابعة هى ابنة بطلميوس «الزمار» الكبرى من زوجته كليوبترة تريفاينا. (Cleopatra Tryphaena) وقد قتلها أبوها بعد عودته من المنفى.

(٢٢) ليس من المعروف إذا كانت كليوبترة تريفاينا هذه هى زوجة بطلميوس «الزمار» أم ابنته التى كانت تحمل نفس الاسم.

(٢٣) أرخيلاوس (Archelaus) بن أرخيلاوس أحد قواد متريداتيس، ملك بنطوس؛ وقد انحاز إلى الرومان قبل الحرب المتريداتية الأخيرة. وقد أدعى أرخيلاوس الأصغر أنه ابن متريداتيس نفسه. وقد جىء به إلى الإسكندرية ليتزوج برينيقى الرابعة.

(٢٤) اشترك الابنان فى الحكم مع أبيهما ابتداء من ٥ سبتمبر ٥٢.

(٢٥) كليوباترة السابعة (فيلوباتور) ـ أى محبة أبيها ـ هى كليوباترة الشهيرة، آخر ملكات مصر البطلمية. وكان عمرها ١٨ سنة عند وفاة أبيها (بين فبراير ومارس ٥١). وأما أخواها فكان أحدهما عمره ١٠ والآخر ٨. وكان لها أخت أصغر منها هى أرسينوى «الرابعة» وعمرها عندئذ يتراوح بين ١٤، ١٧ سنة.

(٢٦) استبعدت كليوبترة أخاها بطلميوس الثالث عشر لفترة مؤقتة بعد ستة أشهر فقط من موت أبيها خلال عام ٥١.

ـ ثم عادت واستبعدته بصفة نهائية فى السنة الثالثة من حكمها (سبتمبر ٥٠ ـ سبتمبر ٤٩)، وأحلت مكانه أخاها بطلميوس الرابع عشر. ونتيجة لهذا التغيير الجوهرى أعادت نظام حساب سنوات حكمها فأصبحت السنة الأولى من حكمها تسمى أيضا بالسنة الثالثة. ويلاحظ أن اسمها يرد دائما سابقا على أسم شريكها.

ـ وهناك وثيقة أخرى مؤرخة بيوم ٢٧ أكتوبر عام ٥٠ فى عهد ملك غير مسمى وملكة غير مسماة. ومن المرجح أن الملك هنا هو بطلميوس الثالث عشر وأن الملكة أما كليوبترة السابعة متنازلة لأخيها ـ بمقتضى تسوية معينة ـ عن مركز الصدارة بحيث يرد اسمه سابقا على اسمها فى تاريخ الوثائق، أو أن تكون=

مع أخيها بطلميوس الرابع عشر[٢٧]	٤٧	٤٤
منفردة[٢٨]	٤٤	٣٦
مع ابنها بطلميوس قيصر[٢٩]	٣٦	٣٠
ـ سقوط الإسكندرية في يد أكتافيانوس[٣٠]	٣ أغسطس	٣٠
ـ إنتحار كليوبترة[٣١]	١٢ أغسطس	٣٠
ـ بداية الحكم الرومانى فى مصر[٣٢]	٣١ أغسطس	٣٠ ق م

=الملكة هنا (كما يقترح الأستاذ سكيت) هى أرسينوى «الرابعة» أختها الصغيرة، وذلك فى الفترة التى طردت فيها كليوبترة من الإسكندرية ولجأت إلى شرق الدلتا قبل اغتيال بومبى [فى ٢٨ سبتمبر ٤٨ وفقا للتقويم الرومانى غير المنقح = ٢٤ وليو وفقا لتقويم يوليوس] ببضعة شهور، أى فى الشطر الأخير من سنة حكمها الثالثة (سبتمبر ٥٠ ـ سبتمبر ٤٩) وأوائل سنة حكمها الرابعة (سبتمبر ٤٩ ـ سبتمبر ٤٨)، ولعلها كانت قد طردت منذ ٢١ يناير ٤٨.

وقد مات بطلميوس الثالث عشر غريقا أثناء معركة النيل قبل عام ١٥ يناير عام ٤٧.

(٢٧) قتلت كليوبترة السابعة أخاها الأصغر بطلميوس الرابع عشر فى تاريخ يقع بين ٢٦ يوليو و٢ سبتمبر من عام ٤٤ ق م (أى فى نهاية السنة الثامنة من حكمها، والسنة الرابعة من حكمهما المشترك.

(٢٨) يظهر بطلميوس قيصر مع أمه كليوبترة كشريك لها فى الحكم لفترةقصيرة خلال عام ٤١.

(٢٩) أنجبت كليوبترة ابنها بطلميوس قيصر (وهو بطلميوس الخامس عشر) آخر ملوك البطالمة، من يوليوس قيصر، الدكتاتور الرومانى، أثناء وجوده فى مصر من أكتوبر ٤٨ حتى مايو أو يونيو ٤٧ .ولد يوم ٢٣ يونيو عام ٤٧. وقد أطلق عليه الإسكندريون لقب قيصرون (Caesarion) أى «قيصر الصغير» وقد أشركته معها فى الحكم بصفة مستديمة فى السنة الـ١٦ من حكمها.

وعن المدة التى قضاها قيصر فى مصر، انظر: عبداللطيف أحمد على «التاريخ الرومانى: عصر الثورة (١٩٦٧) ص٢٧٢، حاشية ٢.

(٣٠) سقطت الإسكندرية فى يد أكتافيانوس يوم ٨مسرى عام ٣٠ ق م. وكان يوم ٨ مسرى يوافق أول الشهر السادس (Sextilis) عند الرومان (وكان يسمى «السادس» لأن السنة كانت عندهم تبدأ أصلا فى مارس). وهذا الشهر «السادس» هو الذى سمى فيما بعد (عام ٢٧ ق م) بشهر أغسطس تكريما لاكتافيانوس الذى خلع عليه السناتو هذا اللقب (Augustus) ـ بمعنى الجليل أو العظيم ـ فى يناير عام ٢٧ ق م، تاريخ ميلاد الحكم الإمبراطورى. كان يوم ٨ مسرى إذن يوافق (فى السنوات غير الكبيسة) أول أغسطس، طبقا للتقويم الرومانى المعمول به وقتئذ من الناحية الواقعية، ولكنه كان يوافق يوم ٣ أغسطس طبقا «لتقويم يوليوس» النظرى المثالى الذ كان متبعا عند المؤرخين.

(٣١) لا يعرف أحد عن يقين متى انتحرت كليوبترة بالتحديد. لكن الأستاذ سكيت حاول أن يثبت أنها انتحرت فى يوم ١٧ مسرى الموافق ١٢ أغسطس عام ٣٠ ق م.

(٣٢) لا تاريخ سقوط الإسكندرية يوم ٨ مسرى الموافق ١ أغسطس (حسب التقوييم الرومانى المعمول به) أو الموافق ٣ أغسطس (حسب تقويم يوليوس النظرى المتبع عند المؤرخين) ولا تاريخ انتحار كليوبترة =

واختتم ثبت الملوك البطالمة بالملاحظات الآتية:

اتضح من إحدى البرديات الديموطيقية (P.Dem. Carlsberg,9) وجودة دورة قمرية مداها ٢٥ سنة بمعنى أن التقويم المقدونى (وهو تقويم قمرى) يحتاج إلى إضافة سنتين كل خمس وعشرين عاما لكى يتفق زمنياً مع التقويم الشمسى. وكان عام ٢٥٧/ ٦ ق م هو بداية الدورة القمرية الثانية مما يدل على أنها قد اتبعت منذ حوالى عام ٢٨٣ (قبل السنة الأربعين من حكم بطلميوس الأول سوتير). وعلى أى حال فمن المرجح الآن أنه للتوفيق بين السنة المقدونية القمرية والسنة الشمسية كان يضاف منذ عام ٢٨٠/ ٢٧٩ (وهو العام السادس من حكم فيلادلفوس) شهر مرة كل سنتين إلى السنة المقدونية. ويسمى بالشهر الكبيسى أو الإضافى أو النسىء (embolimos) وكان يضاف بعد شهر بريتيوس، وهو آخر شهر فى السنة المقدونية وقتئذ (حيث أن ديستريوس كان يوافق توت). ويسمى عندئذ Peritiosembolimos (بريتيوس الإضافى أو النسىء). ومن الجائز أن هذا النظام اتبع ـ كما ذكرنا ـ منذ آخر عهد بطلميوس الأول.

ـ ويتبين من قرار كانوب (OGIS, 56) أن بطلميوس الثالث (يورجتيس الأول) حاول

= يوم ١٧ مسرى الموافق ١٢ أغسطس عام ٣٠ ق م، لا هذا التاريخ ولا ذاك اتخذ كبداية رسمية للحكم الرومانى فى مصر. ذلك أن اكتافيانوس لاحظ أن السنة المصرية تبدأ يوم ١ توت الموافق ٢٩ أغسطس (من الناحية الواقعية) والموافق ٣١ أغسطس (من الناحية النظرية). لهذا رأى أن يتغاضى عن أيام شهر أغسطس الواقعة بين التاريخين المتقاربين (٣ أغسطس، ٣١ أغسطس) حتى لا يجعل للسنة الأولى من حكمه بدايتين متقاربتين، وأن يتخذ من بداية السنة المصرية وهى أول توت (الموافق ٢٩ أغسطس واقعيا، ٣١ أغسطس نظريا) أن يتخذ منها بداية رسمية لحكمه فى مصر. ومعنى هذا أنه قرب أو وفق بين تاريخ سقوط الإسكندرية ورأس السنة المصرية. وهكذا اعتبر يوم ٣١ أغسطس عام ٣٠ ق م هو البداية الرسمية للحكم الرومانى فى مصر، وذلك طبقا «لتقويم يوليوس» النظرى الذى كان يتبعه المؤرخون القدامى (ولو أن ١ توت يوافق ٢٩ أغسطس طبقا للتقويم الرومانى المستعمل فعلا فى ذلك الوقت، ويوافق ٣٠ أغسطس فى السنوات الكبيسة).

ويبقى بعد ذلك سؤال: من الذى كان يحكم مصر من ١ أو ٣ أغسطس حتى ٢٩ أو ٣١ أغسطس عام ٣٠ ق م؟ كان اكتافيانوس هو الحاكم من الناحية الواقعية. لكن كليوبترة كانت لا تزال ـ من الناحية النظرية ـ هى الملكة الحاكمة على الأقل حتى انتحارها فى يوم ١٢ أغسطس عام ٣٠ق م. ولهذا قيل أنها أكملت السنة الثانية والعشرين من حكمها (الذى بدأ فى سبتمبر عام ٥١) يوم ٥ نسىء (آخر يوم فى السنة المصرية) الموافق ٢٨ أغسطس (عام ٣٠ ق م). وفى رأى كاتب قديم (كليمنتس السكندرى) أن أبناءها حكموا مدة ١٨ يوما (من ١٢ إلى ٢٩ أغسطس عام ٣٠ ق م).

إصلاح التقويم المصرى، وربما أيضا تعديل نظام الدورة القمرية. لكن ذلك لم يتم، بل أن نظام الدورة القمرية الذى كان متبعا فى عهد سلفه بانتظام، لم يتبع فى عهده إلا نادرا. وقد أعترى كلا من التقويمين المصرى والمقدونى الاضطراب، ولم تعد العلاقة بين التقويمين ثابتة أو مطردة، بل شابها التقلب والتناقض. والخلاصة هى أن التقويم فى عهد بطلميوس الثالث لم يحكمه نظام موحد فى كل مكان من مصر أو فى جميع الأوقات، وليس أدل على اضطراب التقويم من عدم إثبات أو اطراد الشهر النسيء (embolimos) فهو تارة يضاف إلى شهر بريتيوس (Peritios) وتارة أخرى إلى شهر هوبربويتايوس (Hyperberetaions) وتارة ثالثة إلى شهر باناموس أو بانيموس (Panemos) وكان الشهر النسيء فى أوائل عهد هذا الملك يضاف بعدئذ إلى السنوات الزوجية. وكانت الوثائق فى عهده تؤرخ أما بسنة الحكم المقدونية أو السنة المصرية أو بما يسمى بالسنة المالية (التى تبدأ من أمشير وتنتهى فى طوبة). وكان من أسباب اضطرابى التقويم - على ما يبدو - عدم الاستقرار على بداية سنة حكمه فكانت سنة حكمه المقدونية تبدأ - بمقتضى طرق مختلفة فى الحساب - فى أوقات مختلفة (ديوس - ديستروس - لويوس)، وإن كانت بدايتها فى شهر ديستروس هى الأرجح.

- ولم تحدث المقابلة أو التوفيق الزمنى بصفة نهائية بين السنة المقدونية والسنة المصرية ألا فى عهد بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) بين سنتى ١٣١/ ١٣٠ - ١١٩ - ١١٨ على نحو ما ذكرنا وأصبح شهر ديوس (Dios)، وهو أول شهر فى السنة المقدونية، يقابل شهر توت، وهو أول شهر فى السنة المصرية. وقد استقر الأمر على ذلك الوضع حتى نهاية العصر الرومانى. واليك جدول يبين ذلك ومقابلته مع تقويم يوليوس (أو الجريجورى) المعمول به حاليا:

Dios	= Thôth	(توت)	= 29 Aug.-27 Sept.
Apellaios	= Phaôphi	(بابة)	= 28 Sept .-27 Oct.
Audnaios	= Hathyr	(هاتور)	= 28 Oct.-26 Nov.
Peritios	= Choiach	(كيهك)	= 27 Nov.-26 Dec.
Dystros	= Tybi	(طوبة)	= 27 Dec.-25 Jan.
Xandikos	= Mecheir	(أمشير)	= 26 Tan.-24 Fed.
Artemisios	= Phamenôth	(برمهات)	= 25 Feb.-26 Mar.

Daisios	= Pharmouthi	(برمودة)	= 27 Mar.-25 Apr.
Panêmos	= Pachôn (s)	(بشنس)	= 26 Apr.-25 May.
Loios	= Paüni	(بؤونة)	= 26 May.-24 June.
Gorpiaios	= Epeiph	(أبيب)	= 25 June.-24 July.
Hyperberetaios	= Mesorê	مسرى)	= 25 July-23 Aug.

ـ ويلاحظ أن السنة المصرية المنتهية بيوم ٢٣ أغسطس كان يضاف إليها ـ لاستكمالها ـ خمسة أيام تسمى بأيام النسىء (epagomenai) تبدأ من يوم ٢٤ أغسطس وتنتهى يوم ٢٨ أغسطس وقد ثبت الإمبراطور اكتافيانوس أغسطس بداية السنة المصرية بأن جعل يوم ١ توت يوافق ٢٩ من شهر أغسطس.

ـ لكن لما كانت السنة المصرية (وهى سنة شمسية) تتألف أصلا من ١٢ شهرا كل منها يشتمل على ٣٠ يوما + ٥ أيام نسىء فإن المجموع الكلى للأيام كان ٣٦٥. معنى ذلك أنها كانت متخلفة عن السنة الشمسية الواقعية بحوالى ربع يوم.

ـ وعلى ذلك فقد قرر الإمبراطور أغسطس أن يزداد عدد أيام النسىء فى السنوات الكبيسة (أى مرة كل أربع سنوات) إلى ستة أيام تبدأ من يوم ٢٤ أغسطس وتنتهى فى يوم ٢٩ أغسطس ومعنى هذا أن السنة الكبيسة تبدأ من يوم ٣٠ أغسطس (ومع هذا فقد تبين من بعض الوثائق البردية أن بعض المصريين كانوا يؤرخون العقود وفقا للسنة المصرية القديمة (Kat'archaious) غير المستقرة (annus vagus) غير حافلين بتنظيم أغسطس).

ـ وقد تعرفنا على السنوات الكبيسة منذ بداية العصر الرومانى، وتبين أنها السنوات ٢٢ ـ ١٨ ـ ١٤ ـ ١٠ ـ ٦ ـ ٢ قبل الميلاد؛ والسنوات: ٣ ـ ٧ ـ ١١ ـ ١٥ ـ ١٩ .. إلخ بعد الميلاد.

ـ وعند مقابلة يوم فى التقويم الجريجورى (يقع قبل شهر Phamenôth برمهات) بنظيره فى التقويم المصرى، يراعى إضافة يوم آخر إلى اليوم الأول وذلك فى السنوات الكبيسة فقط.

ـ وأما فى التقويم المقدونى فكانت السنة قمرية تنقسم إلى ١٢ شهرا أحدها ٣٠ يوما والآخر ٢٩ على التوالى. وقد رأينا كيف طغت عليها السنة المصرية، وكيف قامت محاولات

منذ نهاية القرن الثالث ق م للتوفيق بينهما انتهت عند نهاية القرن الثانى ق م بالمقابلة بينهما بصفة نهائية. ومن الغريب أن التاريخ المقدونى ظل فى بعض الأحيان يوضع قبل التاريخ المصرى (حتى العصر الرومانى) كمجرد تقليد شكلى لا معنى له.

ـ كان تاريخ الوثائق فى العصر البطلمى والعصر الرومانى بسنوات حكم الملوك والأباطرة. وبعد عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥) صار التاريخ بسنوات حكم القناصل. ولما جاء جستنيان قرر فى عام ٥٣٧ أن تؤرخ الوثائق بسنوات حكم الأباطرة أيضا على أن تسبق سنوات القناصل: حيث يقول الأستاذ «بل» أن القنصلية ألغيت على أيام الإمبراطور جستنيان [عام ٥٤١]. لكن نظام القنصلية ـ فى الواقع ـ ظل معمولا به حتى عهد الإمبراطور هرقل [عام ٦١٣] وإن كان المنصب اقتصر على الأباطرة أنفسهم، ولم يعد يتولاه سواهم.

ـ ومنذ عام ٣١٢م كان هناك تاريخ حسب الدورة الضريبية المسماة إندكتيو (indictio). ولكنها لا تصلح لتحديد السنة التى دونت فيها الوثيقة، إلا إذا كان أمكن بمعلومات إضافية تحديد موضع هذه الدورة التى كان مداها ١٥ سنة.

(٢) علاقات مصر البطلمية بروما

تتطور علاقات مصر البطلمية بروما وتتخذ مظهراً يتمثل فى ازدياد اهتمام الرومان بشئون مصر، والتعرف على أحوالها، طمعاً فى ثروتها، وتمهيداً للاستيلاء عليها عندما تسنح الفرصة. ففى عام ١٤٠ ـ ١٣٩ زارت مصر سفارة رومانية على رأسها سكيبيو ايميليانوس (Scipio Aemilianus). وكان سكيبيو، الذى دمر قرطاجة عام ١٤٦ فيما يعرف بالحرب البونية الثالثة، قطباً من أقطاب الرومان، عهد إليه السناتو بمهمة تفقد الأحوال فى ذلك الشرق وتسوية المنازعات القائمة فيها. وقد نزل الإسكندرية حيث استقبله يورجتيس بحفاوة بالغة، ومشى معه من الميناء إلى القصر الملكى وهو يلهث من بدانته. وتروى القصة أن سكيبيو أسر فى أذن بنايتيوس الفيلسوف الرواقى، وأحد رفقائه فى الرحلة، أن مواطنى الإسكندرية مدينون له بشىء واحد وهو أنهم شاهدوا ملكهم يسير على قدميه. ومع أن طبيعة المهمة التى وكلت إليه فى مصر لا تزال غير واضحة، إلا أننا نرجح أنه كان يدخل فى نطاقها توطيد النفوذ الرومانى فيها عن طريق اتصال شخصية كبيرة مثل سكيبيو بعاهلها البطلمى، إلى جانب التعرف على موارد البلاد. فقد تابع سكيبيو جولته فركب النيل حتى ممفيس وشاهد فى الطريق الحقول الفسيحة الخصبة والقرى المتناثرة الآهلة بالسكان. ولا يساورنا الشك فى أنه عاد إلى

روما بتقرير وافٍ كان له أثر فى توجيه سياسة السناتو إزاء مصر. ولم يقتصر الأمر على المهام الرسمية، فتوافدت على مصر شخصيات رومانية فى زيارات لا تتسم فى ظاهرها بأى طابع رسمى. والوثيقة التالية وهى بردية من تبتونيس (Tebtunis) (أم البرجات) بجنوب الفيوم، تنهض دليلاً ساطعاً على مدى اطراد اهتمام السناتو بأحوال مصر وما أحرزته روما من مكانه فى وادى النيل. وهذه الوثيقة الطريفة صورة من خطاب أرسله أحد كبار الموظفين بالإسكندرية إلى موظف آخر من مرءوسيه يدعى اسكليبيادیس بمناسبة زيارة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى لإقليم الفيوم فى مارس من عام ١١٢(١):

من هرمياس إلى حورس، تحية. فيما يلى صورة من الخطاب المرسل إلى اسكليبيادیس. فلتعمل على اتباع التعليمات الواردة به. والسلام. السنة الخامسة، كسانديكوس ١٧ الموافق أمشير ١٧ (= ٥ مارس ١١٢).

إلى اسكليباديس لوكيوس مميوس عضو مجلس الشيوخ (الرومانى)، وهو رجل كبير المقام ويشغل منصبا رفيعا سيقوم برحلة (نيلية) من المدينة (الإسكندرية) إلى إقليم أرسينوى (الفيوم) لمشاهدة مناظرة. فلتعمل على استقباله استقبالا بالغ الفخامة، واحرص على إعداد قاعات الضيافة فى الأماكن المناسبة، والانتهاء من تهيئة أماكن النزول إليها، وتقديم الهدايا المذكورة أدناه عند نزوله (من المركب)، وتجهيز أثاث قاعة الضيافة، والطعام لبيتيسوخوس (اله الغيوم) وللتماسيح، وما يلزم للتفرج على اللابيرنت، وكذلك للأضاحى وحفل القرابين. وبالإجمال أبذل أقصى عنايتك فى كل شىء لإرضاء الزائر، وأظهر كل اهتمامك.... [وهنا تنتهى البردية].

ولا تلبث روما أن تكشف القناع عن نواياها الاستعمارية، فتتعمد اختلاق مشكلة أوتتلمس عذراً واهياً للتحكم فى ملوك مصر وفرض مطالبها عليهم. فما أن ارتقى العرش بطلميوس الثانى عشر أوليتيس (Aulêtês) (الزّمار) فى عام ٨٠ حتى بدأت متاعبه التى لم تنته إلا بوفاته. فقد رفضت روما الاعتراف به ملكا شرعياً على مصر، بدعوى أن سلفه بطلميوس الحادى عشر الملقب بالإسكندر الثانى، والذى لم يحكم سوى عدة أيام، كان قد أوصى

---

(1) P.Teot. 33 = Set Pap. II, 416

انظر تصويبات قراءة هذه الوثيقة فى:

A. Wiihelm "Papyrus Tebtunis 33", J.R.S. 27 (1937), PP. 145 - 151.

بمملكته للرومان، وهى وصية لم تثبت صحتها بصورة قاطعة ولا يستبعد أنها كانت مختلقة[1]. وقضى بطلميوس الزمار حياته مدافعاً عن حقه، مريقاً ماء وجهه فى سبيل الحصول على اعتراف الرومان به، فما أن تم له ذلك حتى ثار شعب الإسكندرية فى وجهه فعاش طريداً مرتمياً مرة أخرى فى أحضان زعماء الرومان، ومبدداً ثروة بلاده عليهم، ومستديناً من مرابيهم، كل ذلك حتى يعيدوه إلى عرشه. وظهرت تبعاً لذلك على مسرح السياسة الرومانية «مسألة مصرية» وهى مسألة استغلتها الأحزاب المتطاحنة لتحقيق مآربها وتدعيم مركز زعمائها. وحسب القارىء أن يرجع إلى الشذرات المتبقية من الخطاب الذى ألقاه شيشرون عن الملك الإسكندرى (De rege Alexandrino) بوصفه نصيراً لبومبى ليرى كيف أن الحرص على المصلحة الحزبية وليس الحرص على مصلحة مصر هو الذى دفعه إلى عرقلة مشروع كراسوس الرقيب، ذلك المشروع الذى كان يرمى به إلى فرض الجزية على مصر فى عام ٦٥، أو أن يقرأ فقرات من خطابه ضد مشروع الأراضى (in Legem agrariam) الذى اقترحه روللوس، نقيب العامة، فى ديسمبر من عام ٦٤ بإيعاز من كراسوس ويوليوس قيصر مستهدفاً به ضم مصر إلى ممتلكات الجمهورية واتخاذها قاعدة لمناهضة نفوذ بومبى. فلما استطاع قيصر أن يوفق بين الزعيمين الكبيرين بومبى وكراسوس وفاز بالقنصلية فى عام ٥٩ وألف معهما جبهة ديمقراطية لمناوأة حزب السناتو أو الحزب الأرستقراطى، وهى ما عرفت فى التاريخ باسم «الائتلاف الثلاثى الأول»، حصل بطلميوس على اعتراف رسمى بحقه فى تاج مصر ولقب «بصديق وحليف الشعب الرومانى» بعد أن دفع لأعضاء الائتلاف رشوة ضخمة.

غير أن ذلك لم ينه المسألة المصرية، التى احتدمت من جديد، وأدت فى النهاية ـ مع عوامل أخرى ـ إلى تصدع هذا الائتلاف. ذلك أن مواطنى الإسكندرية ما لبثوا أن ثاروا على بطلميوس الزمار لتفريطه فى قبرص وتعسفه معهم، وأكرهوه على الفرار من المدينة فالتجأ إلى روما ليناشد أصدقاءه هناك مساعدته على استرداد عرشه. وأكرم بومبى وفادته وأنزله بأحد قصوره. ولكنه لم يكد يستقر بالعاصمة الرومانية حتى جاءها فى أعقابه وفد كبير بعث به الإسكندريون ليشكوه إلى السناتو ويناشدوه ألا يعيده إليهم. واحتدمت المناقشات حول «المسألة المصرية»، فقرر السناتو أن يسند إلى لنتولوس سبنثر، قنصل عام ٥٧، الذى كان يتأهب

---

(1) Cf. E. Volterra, "Le Testament de Ptolémée Alexandre II Roi d'Egypte", Bull Inst. d'Eg., 21 (1938 - 39), pp. 67 ff.

للرحيل إلى قيليقية ليتولى حكمها، مهمة إعادة بطلميوس إلى عرشه. غير أن أنصار بومبى بذلوا كل ما فى وسعهم لنقض هذا القرار وتحويل المهمة إليه حتى تتاح له فرصة قيادة أحد الجيوش الرومانية. ولما وجدوا أن الحزب الأرستقراطى يقف حائلا دون تحقيق غايتهم، بحثوا عن وسيلة أخرى. وحدث أن نزلت صاعقة بتمثال الإله جوبيتر فى يناير من عام ٥٦ ـ وهى ظاهرة كانت تعتبر من نذر الشر ـ فعهد السناتو إلى جماعة الكهنة الخمسة عشر باستشارة كتب النبوءات السيبوليّة فيما ينبغى عمله. وأوصت النبوءة بمساعدة بطلميوس ولكنها حذرت من استخدام الجيش لمساعدته. وعندئذ أرغم أحد نقباء العامة الموالين لكراسوس جماعة الكهنة على إذاعة النبوءة دون إذن من السناتو خلافا للعرف المتبع. وبديهى أن كراسوس هو الذى حمل الكهنة على اختلاق النبوءة وأن المناورة الدينية كان يقصد منها إبطال قرار السناتو واستبعاد لنتولوس سبنثر وتزهيد بومبى فى المهمة بعد أن فقدت صفتها العسكرية. ولكن أنصاره نادوا بأنه طالما كانت الحملة العسكرية قد تحولت إلى سفارة دبلوماسية فليس هناك من هو أجدر منه برئاستها نظراً لمكانته وسمعته فى الشرق، وزعموا أن بطلميوس نفسه ـ الذى غادر العاصمة ـ أرسل يقول إنه يفضل أن تتم عودته إلى عرشه على يديه. وكاد بومبى الذى تظاهر بعدم الاكتراث بالموضوع يظفر برئاسة البعثة إلى الإسكندرية لولا معارضة السناتو ومناوأة كلوديوس الزعيم الديماجوجى الذى وقف له بالمرصاد وأوعز إلى الغوغاء بأن يطالبوا بإسناد المهمة إلى كراسوس.

وهكذا اتضح أن الأخير كان ما يزال يحقد على بومبى ويطمع فى الظفر برئاسة البعثة من دونه. وقد أفضى ذلك بداهة إلى توتر العلاقة بين بومبى وكراسوس، عضوى الائتلاف الثلاثى، مما عجل بتصدعه. وأبديت آراء أخرى بشأن المسألة المصرية، فاقترح فريق تأليف وفد من ثلاثة سفراء متساوين فى السلطة لإنجاز المهمة، ونادى فريق آخر بعدم معاونة بطلميوس إطلاقاً. وجدير بالذكر أن شيشرون كان من أنصار إسناد المهمة إلى لنتولوس سبنثر الذى اقترح وهو قنصل إعادة الخطيب الكبير من المنفى. ولما كان بومبى قد تظاهر بعدم الاعتراض عليه، فقد كتب شيشرون إلى لنتولوس بعد رحيله إلى قيليقية، فى مايو عام ٥٦، يقول إن بومبى يقترح أنه ليس هناك ما يمنع من استخدام الجيش لإعادة النظام إلى مصر، وبعدئذ إعادة بطلميوس إلى عرشه بدون الجيش عملا بما جاء فى النبوءة السيبولية. وإزاء هذا التضارب الشديد وضيق الوقت أرجأ السناتو البت فى المسألة المصرية[١].

(١) عن هذه الأحداث راجع:
Cicero, Pro Caelio; ad fam. I, 1,2.4.7; adQ. fr. II, 2.3.4.

ولم يبق هناك من حل «المسألة المصرية» سوى الالتجاء إلى القوة. وبذلك تنتقل علاقات روما بمصر إلى دور التدخل المسلح. فقد تراءى لجابينيوس، والى سوريا فى عام ٥٧، وعميل حكومة الائتلاف الثلاثى، أن يقدم على مغامرة عسكرية مربحة. فقد اتصل ببطلميوس أو اتصل بطلميوس به وهو فى منفاه ووعده بمبلغ ضخم إذا هو أعانه على استرداد عرشه. واستجاب جابينيوس إلى طلبه وترك ولايته دون إذن من السناتو منتهكاً إحدى مواد دستور سلا فى هذا الصدد. واقتحم مصر فى ربيع عام ٥٥ متجاهلا قرار عدم استخدام القوة فى إرجاع بطلميوس إلى عرشه، ومتذرعاً بحجة أن الملك الذى ولاه الإسكندريون عليهم كان يتأهب لغزو سوريا. وبلغ جابينيوس بيلوزيوم (الفرما)، فاستسلمت له الحامية اليهودية دون مقاومة، وسار إلى الإسكندرية حيث أجلس بطلميوس على عرشه الذى افتقده عدة سنوات. وسرعان ما عاد جابينيوس إلى ولايته فى سوريا التى اختل فيها الأمن تاركاً وراءه فى مصر حامية من بضع كتائب مؤلفة من جنود رومان وجرمان وغال لتشد أزر بطلميوس. وكان من الجائز أن تصبح مصر ولاية رومانية منذ هذا التاريخ لولا الحرب الأهلية التى نشبت بين زعماء روما وأرجأت ذلك إلى حين.

ولم تلبث مصر أن تعرضت مرة أخرى للتدخل المسلح من جانب الرومان بعد وفاة بطلميوس الزمار فى عام ٥١. وكان قد أوصى بعرشه لكبرى بناته كليوبطرة (السابعة) أشهر ملكات مصر البطلمية، التى كانت تبلغ من العمر ١٨ عاماً، ولأكبر أبنائه بطلميوس (الثالث عشر) الذى كان أصغر من أخته. وقد أرسل إلى روما صورة من وصيته ناشد فيها الشعب الرومانى مراعاة تنفيذها وحماية ابنيه. ولما وجد أوصياء الملك الصغير أن كليوبطرة لم تعد بمرور الزمن أداة طيعة فى أيديهم اتهموها بالرغبة فى الانفراد بالحكم دون أخيها مثيرين عليها غضب جمهور الإسكندرية. وقد أرغمها ذلك على الفرار إلى الحدود الشرقية حيث استطاعت أن تجمع شيئاً من القبائل الساميّة البدوية القاطنة هناك وتأهبت للزحف على الإسكندرية. وأعد الأوصياء لبطلميوس الصغير جيشاً رابط على مقربة من بيلوزيوم (الفرما) لصد قوات أخته. وفى تلك الأثناء كان مصير العالم الرومانى بل مصير العالم القديم كله معلقاً على نتيجة الحرب الأهلية التى دارت رحاها بين يوليوس قيصر زعيم الحزب الديمقراطى وبومبى الذى انضوى الحزب الأرستقراطى تحت لوائه.

وقد تمخضت هذه الحرب عن انهزام بومبى فى معركة فرسالوس (Pharsalus) فى بلاد

اليونان عام ٤٨ . ولم يلبث أن فر بعدها إلى مصر حيث كان يأمل أن يجد ملاذاً وعوناً فى ساعة الشدة لدى أبناء بطلميوس «الزمار»، الملك الراحل الذى كانت تربطه به صلات ودية. ولم يتجه بومبى إلى الإسكندرية، بل اتجه إلى مكان قريب من بيلوزيوم حيث كانت ترابط قوات الملك الصغير. ولم يكد يدنو بقاربه من الساحل المصرى حتى اغتاله ضابط رومانى بأمر من قائد جيش بطلميوس. وكان القصد من الجريمة ألا تتهيأ لقيصر فرصة لغزو مصر بحجة إيوائها لخصمه وتأييده. ولم تمض أيام ثلاثة حتى وصل قيصر مع قواته إلى نفس المكان وعلم بمصرع غريمه، وحزن عليه، ولكنه لم يرحل بل نزل بالإسكندرية فى أكتوبر من عام ٤٨ . ولم يكد يسير فى شوارعها تتقدمه شارات سلطته القنصلية حتى أثار ذلك المشهد امتعاض جمهور المدينة وغلى مرجل غضبه لما ينطوى عليه من امتهان للسلطة الملكية. وسرعان ما حدثت اشتباكات سقط فيها عدد كبير من الجنود الرومان فى مختلف أنحاء المدينة.

وعندئذ دعا قيصر، بوصفه دكتاتوراً متمتعاً بكامل السلطة وممثلاً للشعب الرومانى، الأخوين لتسريح قواتهما وقبول التحكيم، فجاء بطلميوس إلى الإسكندرية، ولكنه لم يسرح جيشه، بل تركه مرابطاً عند بيلوزيوم تحت قيادة أحد أوصيائه. ولم تلبث كليوبطرة هى الأخرى أن جاءت من الحدود الشرقية عن طريق البحر، وتسللت إلى القصر خفية، والتقت بقيصر لأول مرة، وأثارت عطفه عليها، وفتنته بجمالها ولباقتها. وفى تلك الأثناء كان شعور العداء يشتد ضد قيصر الذى كان الشعب الإسكندرى يرتاب فى نواياه منذ زمن طويل ويتوجس خيفة من تحيزه لكليوبطرة. وعندئذ اتصل كبير أوصياء الملك سراً بالجيش البطلمى ودعاه للزحف على الإسكندرية. وتحرج مركز قيصر لضآلة قواته فقرر أن يتخذ موقف الدفاع فى الحى المجاور للميناء الكبير (الشرقى) ريثما تصله الإمدادات. وأوفد رسولين إلى قائد الجيش البطلمى ا لمهاجم فقبض عليهما، وقتل أحدهما، وجرح الآخر. وكان ذلك إيذاناً ببداية الحرب المعروفة فى التاريخ «بحرب الإسكندرية»، والتى وصفها لنا قيصر أو أحد ضباطه وصفاً مسهباً. ولسنا بحاجة إلى سرد أحداث تلك الحرب المعقدة التى دارت رحاها فى شوارع المدينة وميناءيها وعلى مقربة منها، والتى أبلى فيها الإسكندريون بلاءً حسناً فى البر والبحر، وتعرضت فيها حياة قيصر للخطر. وحسبى هنا أن أنقل للقارىء بعض فقرات من كتاب «حرب الإسكندرية» يصور فيها الكاتب الموقف تصويراً صادقاً:

«وإذ كانت (الإسكندرية) مدينة غزيرة الإنتاج وافرة الثراء فقد أخذت تجهز معدات من جميع الأنواع. وكان سكانها أنفسهم على أكبر قدر من الذكاء وسعة الحيلة، وعندما رأوا ما

صنعناه من معدات صنعوا مثلها بمهارة فائقة حتى بدا كأن رجالنا اقتبسوها منهم. كما ابتكروا أنفسهم أشياء كثيرة، ولم يكفوا عن مهاجمة تحصيناتنا فى نفس الوقت الذى كانوا يدافعون فيه عن مراكزهم. وقد أخذ زعماؤهم يسوقون مثل هذه الحجج فى المجالس والاجتماعات الشعبية: أن الشعب الرومانى قد وطن نفسه تدريجيا على اغتصاب هذه المملكة، فقد حضر أولوس جابينيوس إلى مصر مع جيشه منذ سنوات قليلة مضت، كما التجأ بومبى إليها بعد فراره، وها هو ذا قيصر قد جاء مع قواته، ولم يحمله موت بومبى على العدول عن البقاء بينكم. فإذا لم تطردوه، فستصبح مصر ولاية بعد أن كانت مملكة (مستقلة)، ولابد أن يتم جلاؤه بسرعة، لأنه معزول بفضل العواصف فى مثل هذا الفصل من السنة، فلا يستطيع أن يتلقى إمدادات من وراء البحر».

وقد انتهت حرب الإسكندرية بهزيمة قوات بطلميوس الصغير وموته غرقاً وانتصار القائد الرومانى فى يناير عام ٤٧ . وحسم قيصر مشكلة الوراثة بأن أقام كليوبطرة ملكة بالاشتراك مع أصغر أخويها بطلميوس الرابع عشر. وأما أرسينوى، أختهما العنيدة فقد أرسلت إلى روما حيث زج بها فى السجن عقاباً لها على مقاومة الرومان. ولم يلبث قيصر أن غادر مصر فى يونيو من عام ٤٧ تاركاً بها بعض الفرق الرومانية لدعم سلطة كليوبطرة.

وفى أواخر عام ٤٦ لحقت كليوبطرة بقيصر حيث نزلت فى أحد قصوره على ضفاف التيبر. ولم تتخل هناك عن مظاهر الأبهة، بل أثارت بكبريائها امتعاض الرومان، الذين عرفوها باسم «الملكة» حتى أن شيشرون يقول صراحة فى إحدى رسائله إلى صديقه الحميم أتيكوس «إننى أكره الملكة»، وإن كان قد وعدت بأن تهديه بعض الكتب من مكتبة الإسكندرية. وكانت كليوبطرة قد أنجبت من قيصر ولداً باسم بطلميوس قيصر فأطلق عليه الإسكندريون اسم «قيصرون». ومع أن قيصر اعترف بهذا الابن إلا أن كليوبطرة لم تكن فى نظر الرومان سوى خليلته، لأن زوجته الشرعية كانت لا تزال على قيد الحياة.

ولما كان سلوك قيصر يوحى حينئذ بأنه يعمل على قلب نظام الحكم الجمهورى، فقد أخذت كليوبطرة تعقد على المستقبل أكبر الآمال، فتصورت نفسها ملكة تتربع إلى جانبه لا على عرش مصر وحدها بل على عرش العالم الرومانى كله. ولمس الرومان فيها هذا الطموح فعز عليهم أن يصبحوا رعايا «ملكة مصرية» كانوا ينظرون إليها شذراً. وأخيراً نجحت المؤامرة التى دبرها أنصار الحزب (الأرستقراطى) الجمهورى، واغتيل الدكتاتور فى ١٥ مارس عام ٤٤ . واستيقظت كليوبطرة من حلمها العذب عل الحقيقة المرة فوجدت نفسها بغير نصير، وتحرج

مركزها، فعادت أدراجها إلى الإسكندرية لتقنع بمملكتها الصغيرة على ضفاف النيل. وهناك تخلصت من أخيها الصغير وأشركت معها فى الحكم ابنها (قيصرون)، بطلميوس الخامس عشر[١].

٢ـ أكتيوم وكليوبطرة والشعراء اللاتين:

ومن مصر أخذت كليوبطرة ترقب الصراع الهائل الذى دارت رحاه فى أنحاء العالم الرومانى بين أنصار قيصر وخصومه أو بالأحرى بين أعضاء الحكومة الثلاثية (الثانية) التى تألفت فى نوفمبر عام ٤٣ من أكتافيانوس بن يوليوس قيصر المتبنى، وماركوس أنطونيوس، رئيس فرسانه، ولبيدوس من ناحية وبين بروتوس وكاسيوس وغيرهما من أقطاب الحزب الأرستقراطى من ناحية أخرى. وقد تمخض هذا الصراع عن انتصار حزب قيصر فى معركة فيليبى عام ٤٢ ولم تشرك كليوبطرة فية بل آثرت أن تقف موقف الحياد حتى تتيقن نتيجته. ولما آلت إلى أنطونيوس مهمة تنظيم شئون الولايات الشرقية، أرسل من مدينة طرسوس يستدعى كليوبطرة لكى يحاسبها على موقفها السلبى وعدم معاونتها لأنصار قيصر كما كان متوقعاً. ولبت دعوته ورحلت إلى طرسوس فى موكب بحرى فاخر خلال صيف عام ٤١. وهناك استطاعات أن تبرر مسلكها بلباقتها وتفتنه، مثلما فتنت قيصر، بجمالها، وتغريه على المجيء فى أعقابها إلى مصر حيث أمضى معها عام ٤١ ـ ٤٠.

وفيما عدا السنوات الأربع التى تلت هذا اللقاء لم يفترق أنطونيوس عن كليوبطرة إلا مضطراً ليقود حملة على بارثيا أو على أرمينيا. وليس ثمة شك فى أنه شغف بها حباً وأنها ألهته عن واجباته وأثارت حوله الشبهات فى الأوساط الرومانية. وكان طبيعياً أن يؤثر ذلك على علاقته بأكتافيانوس، شقيق أكتافيا التى تزوجها فى عام ٤٠، ولم تدخر كليوبطرة وسعاً لإقصائه عنها. وقد زاد هذه العلاقة توتراً أن أكتافيانوس لم يوف بالتزاماته نحوه ويمده بالفرق الأربع التى وعده بها طبقاً لاتفاقية تارنتوم فى عام ٣٧ لاستخدامها ضد البارثيين. فلما انتهت

---

(١) يتضح من إحدى برديات البهنسا (P.Oxy. 1629) أن شقيق كليوبطرة الصغير بطلميوس الرابع عشر كان لا يزال على قيد الحياة فى ٢٦ يوليو عام ٤٤. ولابد أن كليوبطرة تخلصت منه بعد ذلك التاريخ بوقت قصير لأن بورفيريوس يقول إنها قتلته فى السنة الرابعة من حكمه التى تقابل السنة الثامنة من حكمها أى فى عام ٤٤؛ راجع:

T.C. S.keat, The Reigns of Ptolemies. Münchener Beiträge zur Papyrusforchung und antiken Rechtsgeschichte. Hetl 39 (1954), p. 42.

حملة أنطونيوس على بارثيا بالفشل فى عام ٣٦، تزعزع مركزه الأدبى والمادى. هذا فى الوقت الذى أصبحى فيه أكتافيانوس، بعد انتصاره على بومبى الأصغر وإقصاء لبيدوس عن الحكومة الثلاثية، سيد الجانب الغربى من الإمبراطورية دون منازع. وكان ذلك كفيلا بإلهاب المنافسة وتعجيل الصدام بينهما. وعندئذ اغتنمت كليوبطرة الفرصة وعرضت على أنطونيوس مساعدتها ووضعت تحت تصرفه جميع موارد مملكتها، وزينت له أن يتحدى زميله وينازعه السلطة على أمل أن تحقق على يديه حلمها القديم الذى تبدد بمصرع يوليوس قيصر. ولا مراء فى أنها بدأت تحلم من جديد بالسيطرة على العالم الرومانى والتحكم فى روما نفسها التى استذلت أسرتها منذ عهد بعيد.

وكان الشرق الهلينستى قد بدأ يئن من وطأة الحكم الرومانى وفساده وأصبح يتمنى الخلاص من نيره. ولعله وجد فى كليوبطرة زعيمته المرتقبة فعقد عليها أمله فى الإطاحة به. وليس من المستبعد أن تكون كليوبطرة قد فطنت إلى حقيقة هذا الشعور فاستغلته لترفع من الروح المعنوية بين سكان الشرق باختلاق نبوءات تنذر بسقوط روما على يد ملكة يبدأ بحكمها عصر ذهبى جديد. ولما كان عزمها قد استقر على أن يكون أنطونيوس هو أداتها فى تحقيق هذه الغاية، فقد رأت أن تربط مصيره بمصيرها وتنصب حوله شباكا لا يستطيع منها فكاكا. ففى أواخر عام ٣٧ عندما التقت به فى أنطاكيه قبيل قيامه بالحملة البارثية، أقنعته بالزواج منها فى الوقت الذى كان لا يزال فيه متزوجاً من أكتافيا. ولما أهداها بهذه المناسبة منطقة خالكيس (فى شمال ولاية سوريا) فى عام ٣٧/ ٣٦[١] اتخذت من هذه السنة وهى السنة السادسة عشر من اعتلائها عرش مصر، بداية لتاريخ حكمها كملكة على تلك المنطقة[٢] . وعندما عاد من حملته على أرمينيا منتصراً فى عام ٣٤ شجعته على الإحتفال

---

(١) عن هذه الهبة وغيرها التى حصلت عليها كليوبطرة، انظر:

J. Dobias, "La Donation d'Antoine a Cléopâtre", Ann, de l'Inst. de Philol. et d'Hist., Orient. II (= Mélanges Bidez I), 1934, pp. 287 - 314:

ويتفق الأستا دوبياس مع غيره من الباحثين فى أن خالكيس أهديت إلى كليوبطرة فى عام ٣٧/ ٣٦ إلا أنه يرى أن جوف سوريا (Koilê Syria) ـ وهو فى الواقع جزء من فلسطين ـ أهدى إليها فى ربيع عام ٣٤؛ وأن فينيقيا وييريحو (أريحا) والأراضى النبطية أهديت إليها بعد ذلك بقليل فى نفس العام.

(٢) ابتداء من تلك السنة تحمل وثائق عهد كليوبطرة تاريخاً مزدوجاً، مثال ذلك، السنة السادسة عشر التى هى السنة الأولى وهكذا حتى السنة الأخيرة من حكمها وهى السنة الثانية والعشرين التى هى السنة السابعة. وهذا التاريخ المزدوج لايشير ـ كما يعتقد مثلا الأستاذ تارن (C.A.H.X, p. 81) ـ إلى حكم=

بانتصاره فى الإسكندرية خلافاً للعرف الرومانى الذى جرى على أن يقام موكب انتصار القواد فى روما ولو فى وقت متأخر. وكأنها أرادت بذلك أن توعز إليه باتخاذ الإسكندرية عاصمة بدلاً من رومابعد انفرادهما بالسلطة. ومن العسير التيقن من أن أنطونيوس فعل ذلك استجابة لرغبتها أو أنه تعمد ذلك ليكيد خصمه. وعلى أى حال فقد حملته على أن يهبها هى وابنها قيصرون وأبناءها منه بعض الولايات الرومانية والممالك المتاخمة. ومع أن بعض هذه الهبات ـ التى عرفت باسم الهبات السكندرية ـ لم يكن قد دخل بعد فى حوزة الرومان إلا أن الرأى العام الرومانى استنكر تفريطه فى حقوقه وارتاب فى نواياه. ولم تزل كليوبطرة به حتى دفعته إلى البحث عن سلاح يطعن به دعوى أكتافيانوس بأنه الوريث الوحيد لقيصر، فاعترف بشرعية ابنها قيصرون، على أمل إضعاف مركز أكتافيانوس الأدبى بين جنوده وصرفهم عن الولاء له. وقد اتسعت شقة الخلاف عندما أرسل أنطونيوس بعد انتهاء مدة تجديد الحكومة الثلاثية فى آخر عام ٣٣ رسالة إلى السناتو يطلب فيها إقرار جميع التدابير والتنظيمات التى قام بها فى الشرق، ويعرض أيضاً التنحى عن سلطته الاستثنائية كعضو فى تلك الحكومة، وارجاع الدستور القديم. وكان يرمى بالعرض الأخير إلى تدعيم مركزه المنهار واحراج خصمه حتى يحذو حذوه. غير أن أكتافيانوس رفض أن يتخلى عن سلطته العليا، وأحبط نقيب للعامة من أنصاره مشروعاً تقدم به أحد القنصلين لتحقيق ذلك، والتجأ هو نفسه إلى القوة لإرهاب أعضاء السناتو الموالين لخصمه. وقد رد أنطونيوس بإعلان طلاقه رسمياً من أكتافيا، مجاهراً أخاها بالعداوة.

وهكذا أصبح من اليسير على أكتافيانوس، بحكم وجوده بالعاصمة، أن يستغل الأخطاء التى ارتكبها أنطونيوس للدعاية ضده والتشهير به وتأليب الرأى العام عليه. وعندئذ نشر بعض أجزاء من وصية قيل إن أنطونيوس قد أودعها فى معبد الربة فستا، وهى أجزاء من شأنها إثارة الرأى العام عليه وعلى كليو بطرة[1] وعندما تأكد من أن شعور العداء نحو الملكة المصرية بلغ

=كليوبطرة وأنطونيوس المشترك منذ عام ٣٧، بل يشير إلى حكمها وحدها بوصفها ملكة على مصر (منذ عام ٥١) وملكة على خالكيس (منذ آخر عام ٣٧).

(١) عن هذه الوصية التى يعتقدالبعض أنها مزورة، راجع:

T.R. Holmes, The Architect of The Roman Empire I (1928). P. 246 f.: R. Syme. The Roman Revolution (1939), p. 282 f., and n.l.

وكانت هذه الأجزاء من الوصية التى يقول المؤرخ ديون كاسيوس (L, 3, 5) إن أكتافيانوس قرأها على=

ذروته، أوعز إلى أعضاء السناتو المتخلفين فى روما وسكان البلاد الإيطالية والولايات الغربية أن يقسموا له يمين الولاء (coniuratio). وكان هذا القسم بمثابة السند الرئيسى لسلطته فى السنوات التالية، لأن أكتافيانوس لم يعد يعتبر نفسه عضواً فى الحكومة الثلاثية التى فقدت مقومات وجودها. وعلى ذلك استصدر قراراً بإلغاء سلطة أنطونيوس العليا وإبطال انتخابه قنصلاً لعام ٣١. ولما كان يدرك أن لأنطونيوس أنصاراً بين الرومان، فإنه لم يعلن الحرب عليه بل أعلنها على كليوبطرة عدوة الشعب الرومانى. وقد أراد بذلك أن يكسبها صفة الحرب القومية ضد الملكة المغتصبة أو صفة الجهاد المقدس ضد الخطر الأجنبى الوافد من الشرق.

ولم تشأ كليوبطرة أن تدع أنطونيوس يخوض المعركة الأخيرة وحده، فرافقته إلى الميدان بوصفها شريكة فى المغامرة. وإذا كان هو الذى أخذ على عاتقه إدارة الحرب وقيادتها، فهى التى أمدته بالمال والمئونة اللازمين لها. وكانت نتيجة الحرب تعنيها بقدر ما كانت تعنيه. ولم يدر بخلدها أن مرافقتها له سوف تثير الشقاق فى معسكره.. فقد رأى فريق من ضباط أنطونيوس، ممن سبق لهم الخدمة تحت لواء قيصر، أن فى وجود الملكة بساحة القتال إضعافاً لمركزه فى نظر الشعب الرومانى، وإيحاء للجنود بأنهم يقاتلون من أجلها لا من أجل الزعيم

= مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية، تتضمن البنود التالية (أ) اعتراف أنطونيوس بأن قيصرون ابن منحدر من صلب يوليوس قيصر (ب) منحه هبات ضخمة لأبنائه من كليوبطرة، (جـ) مطالبته بأن يدفن جثمانه مع جثمان كليوبطرة فى الإسكندرية وأما المؤرخ سويتونيوس (Div. Aug. XVII, 1) فيقول:

et quo magis degenerasse eum a civili more approbaret, testamentum. quod is Romae etiam de Cleopatra liberis inter heredes nuncupatis reliquerat, aperiundum recitandumque pro contione curavit:

ولكى يزيد من اقتناع الناس بأنه (أى أنطونيوس) قد خرج على العرف الرومانى، فقد عمل على فتح الوصية التى كان قد تركها فى روما وعين فيها ابناءه أيضا من كليوبطرة بين الورثة، وعلى تلاوتها فى اجتماع شعبى.

وإذا صح أن أنطونيوس ترك وصية بهذا الشكل، فإنها لم تكن كلها قانونية، ولم يكن أكتافيانوس بحاجة إلى تزويرها. ولكن لعل الوصية لم تتضمن فى الأصل سوى أبناء أنطونيوس من زوجتيه الرومانيتين فولفيا وأكتافيا، وأن تزوير أكتافيانوس اقتصر على إقحام أسماء أبناء أنطونيوس (وابن يوليوس قيصر) من كليوبطرة الذين كانوا يعتبرون أبناء من زواج غير شرعى أو زواج غير كامل الأهلية (matrimonium iniustum)، وبالتالى كانوا يعتبرون أجانب (peregrini) ولا يجوز تعيينهم ورثة حيث أن أباهم رومانى. وعن هذه النقطة القانونية، انظر .

J. Crook. "A Legal Point about Mark Antony's Will", J.R.S. 47 (1957), pp. 36 - 38.

الروماني. ولذلك نصحوا بإعادتها إلى مصر. ولما سمعت الملكة بذلك استشاطت غضباً وأصرت على البقاء. وأثار عنادها بعض أنصار أنطونيوس البارزين فانفضوا من حوله ملتجئين إلى معسكر خصمه. وزاد مركز أنطونيوس وكليوبطرة ضعفاً سوء اختيار مكان المعركة. فقد ركزا قواتهما البحرية والبرية فى خليج شبه جزيرة أكتيوم عند المدخل الضيق لخليج أمبراكيا، ووزعا بقية القوات على خط قتال يمتد مسافة طويلة على الساحل الغربى من بلاد اليونان. ولم يكن هذا الخط من السهل اختراقه فحسب، بل كان مكشوفاً أيضاً من ناحية إيطاليا. ولعل كليوبطرة كان لها يد فى هذا الاختيار الذى أملته بعض عوامل كان فى مقدمتها سهولة الاتصال بمصر والاحتفاظ بخط الرجعة فى حالة الانكسار. ولقد قيل إن أنطونيوس كان يجب عليه أن يبادر بالنزول إلى إيطاليا ومهاجمة خصمه فى عقر داره. غير أن ذلك لم يكن من المستطاع لأن أكتافيانوس كان قد احتل تارنتوم وبرنديزى وأحكم خط الدفاع عنهما، وهما الميناءان الذان كان من المستطاع إنزال الجنود فيهما.

ولم يأت ربيع عام ٣١ حتى كان أكتافيانوس قد عبر البحر الأدرياتى مع جيش يعادل جيش أنطونيوس (حوالى ٨٥,٠٠٠ مقاتل) وأسطول قوامه ٤٠٠ سفينة، أى يقل بمائة سفينة عن أسطول غريمه. ورابط فى مواجهة خليج أكتيوم حيث اعتصمت قوات أنطونيوس. وفى العمليات العسكرية التى أعقبت ذلك تمكن أجريبا، أكفأ قودا أكتافيانوس، من تطويق أسطول أنطونيوس فى خليج أرتا وأخفقت جميع محاولات الأخير لإرغام العدو على منازلته براً فى معركة فاصلة أو إعاقة وصول الإمدادات إليه من البر. وباستيلاء أكتافيانوس على كورنثة وغيرها من المواقع الهامة، وبفضل تفوق فرسانه، قطع على قوات عدوه طريق الاتصال بداخل بلاد اليونان. وبدأ جنود أنطونيوس يعانون من قلة المئونة وتفشى الأمراض، واستفحلت حركة التمرد وازداد عدد المتخلين عنه حتى تحرج مركزه ولم يعد أمامه سوى أن يخاطر باقتحام معركة بحرية ضد خصمه. ولا تتضح لنا تماماً نواياه فى تلك اللحظة. لعله عقد عزمه على القتال حتى يحرز نصراً حاسماً. غير أن الأرجح أنه كان قد قرر أن يدع الجانب الأكبر من قواته يدافع عن نفسه فى المعاقل الحصينة على ساحل بلاد اليونان، بينما ينسحب هو وكليوبطرة وبقية القوات مع الأسطول المحمل بكنز الملكة محاولاً اختراق الحصار المضروب عليه. وقد عقد أمله على حشد جنود الحاميات التى تركها فى الشرق واستئناف النضال بعد أن يستجمع قواه. وطبقاً للخطة الموضوعة اخترقت كليوبطرة وسفنها خط الحصار عائدة إلى الإسكندرية. ولم يلبث أن لحق بها أنطونيوس بعد أن تحطمت معظم سفنه أو وقعت فى يد

العدو. وسرعان ما استسلمت للعدو قواته البرية التى تركها وراءه على ساحل بلاد اليونان. ولم يحطم هذا الانسحاب روح كليو بطرة المعنوية فدخلت ميناء الإسكندرية مرفوعة الرأس وقد زينت مقدمة سفينتها بشارات النصر حتى توهم الشعب أنها عادت منتصرة. وقد حاول أنطونيوس أن يستعين بالحامية الرومانية فى برقة غير أن قائدها، بيناريوس سكاربوس، تنكر له، فقفل راجعاً إلى الإسكندرية.

وتقدم أكتافيانوس نحو الشرق ونزل آسيا الصغرى. غير أنه لم يلبث أن اضطر إلى العودة إلى إيطاليا ليقمع بعض اضطرابات نشبت بسبب تمرد المحاربين القدماء. ولما فرغ من تهدئة الحال عاد إلى الشرق على وجه السرعة ماراً بجزيرة رودس.. وبعدئذ نزل بسوريا حيث شرع فى أوائل صيف عام ٣٠ يعد العدة للزحف على مصر. وفى تلك الأثناء حاولت كليوبطرة، وربما أنطونيوس أيضاً، التفاهم مع أكتافيانوس عن طريق السفراء . وقد عرضت عليه فيما يبدو التنازل عن عرشها لأبنائها، وعرض عليه أنطونيوس اعتزاله الحياة العامة وانزواءه كمواطن عادى. وبينما قبل أكتافيانوس هدايا الملكة ومناها ببعض الوعود، صم أذنيه عن رسائل أنطونيوس. ولا سبيل إلى التحقق من صحة المشروعات التى خطرت لكليوبطرة آنئذ، كالنزول فى أسبانيا الغنية بالفضة وإثارة الغرب على أكتافيانوس أو الانسحاب إلى النوبة فى جنوب الوادى أو الفرار إلى شواطىء المحيط الهندى، وهى مشروعات لم تخرج أبداً إلى حيز التنفيذ. وزاد الموقف سوءاً أن كورنيليوس جاللوس، أحد قوادا أكتافيانوس، استمال إلى جانبه فرق أنطونيوس المرابطة فى برقة واستولى على برايتونيوم (Paraetonium) (مرسى مطروح)، وأحبط محاولة قام بها الأخير لاسترداد المدينة.

واقتحم أكتافيانوس الحدود الشرقية واستولى على بيلوزيوم (الفرما) ثم تابع سيره إلى الإسكندرية. وخرج أنطونيوس لملاقاته وتمكن من إنزال الهزيمة بفرسانه. غير أن سفنه الراسية فى الميناء استسلمت لأسطول العدو. ولم تلبث فصائل فرسانه أن حذت حذو وحدات أسطوله، واندحرت كتائب مشاته عند ضاحية المدينة (الرمل) التى أطلق عليها اسم نيقوبوليس (Nicopolis) تخليداً لانتصاره. واستبد اليأس بأنطونيوس فانتحر (أول أغسطس عام ٣٠). وحاولت كليوبطرة أن تضمن العرش لأحد أبنائها ولكن أكتافيانوس الظافر صم أذنيه عن رجائها. ولم يشأ أن يتحمل وزر مقتلها فأوعز إليها بأنه قد يسوقها ـ مثلما ساق قيصر أختها أرسينوى ـ فى موكب نصره بعد عودته إلى روما. ولذا آثرت كليوبطرة أن تنتحر على أن

تدخل روما فى ثياب الذل وتعرض كالسبى على رجالها. واختارت أن تموت بلدغة الكوبرا، وهو اختيار له مغزاه، لأن الكوبرا كانت أفعى تاج مصر السفلى، وخادمة رع إله الشمس، التى لا تمنح لدغتها الخلود وحسب بل الألوهية أيضا.

هكذا لقيت كليوبطرة حتفها (١٠ أغسطس عام ٣٠؟)(١). ولم تكن فى حقيقة الأمر مصرية الدم، غير أنها كانت أكثر أفراد أسرتها تشبعاً بالروح المصرية. فكانت الوحيدة من بينهم التى تعلمت اللغة المصرية، وكان يروق لها أن تنسب نفسها إلى رع وتظهر فى زى إيزيس. ولعلها كانت أقرب البطالمة إلى قلوب رعاياها. ومن الإجحاف وصفها بأنها كانت مجرد غانية لعوب. لقد كانت كليوبطرة ملكة واسعة الثقافة، مليئة بالحيوية، ومنظّمة بارعة. وحبتها الطبيعة بالجاذبية والذكاء وعذوبة الصوت. وأوتيت من مضاء العزم والشجاعة والطموح قدراً كبيراً. ولا يستطيع مؤرخ منصف أن يأخذ عليها استغلال كل هذه المواهب فى تسخير قادة الرومان لتحقيق أطماعها وصيانة استقلال بلادها. وقد شاء حظها العاثر ـ وهونَ من هزيمتها فى الوقت نفسه ـ أنها اصطرعت مع رجل ليس كغيره من الرجال، لأن أكتافيانوس لم يكن مجرد وريث أو خليفة عاهل كبير، بل كان مؤسس امبراطورية عتيدة وخالق عهد جديد. لكن حسب الملكة «المصرية» خطراً أنها صارت رمزاً للكفاح المجيد ضد روما المغتصبة التى كان الشرق الهلينستى كله يتمنى الخلاص من نيرها، وأنها لم تثر الحقد فقط فى قلوب أعدائها بل أثارت الخوف أيضا. لقد كانت ثانى اثنين امتلأت روما منهما رعبا ولعل خير شاهد على ذلك قصائد فرجيل وهوراتيوس وبروبرتيوس واوفيد، أئمة شعراء العصر الأغسطى. وكان أولهم بمثابة شاعر البلاط، وشغل الثانى مكانه من بعده. وقد قاموا جميعاً بالدعاية للحكم الجديد، وأشادوا به وكالوا المديح لصاحبه. وكان من الطبيعى أن يهجوا خصمه أنطونيوس وزوجته كليوبطرة. ويهبط هذا الهجاء أحياناً إلى حد الإسفاف، لكنه يكشف عن مبلغ الخوف الكامن فى نفوسهم(*).

---

(١) فى رأى الأستاذ سكيت أن كليوبطرة انتحرت فى ١٧ مسرى الموافق ١٠ أغسطس من عام ٣٠ ق. م. أى فى اليوم العاشر بعد دخول أكتافيانوس الإسكندرية، راجع مقاله:

T.C. Skeat, "The Last Days, of Cleopatra: A Chronological Problem". J.R.S. 43 (1953). pp. 98 - 100.

(*) مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية.
تأليف: د. عبداللطيف أحمد على. دار النهضة العربية ١٩٦٥. القاهرة.

(٣) الموقف الدينى للإمبراطورية الرومانية فى مصر قبل اعتناقها المسيحية

احتلت بعض الآلهة الزعامة الرسمية فى البانثيون الرومانى، وظلت لفترة طويلة تعبد فى العصر الجمهورى، وخاصة Jupiter Capitolinus رب الأرباب ويقابل زيوس عند الإغريق وما يرتبط به مثل Minerva و Juno و Mars . غير أن الطبقة المثقفة ورجال السناتو، والنبلاء، والعائلات الثرية والعريقة من حكام المدن والذين يكونون الطبقة المثقفة ورجال السناتو والنبلاء، والعائلات الثرية والعريقة من حكام المدن والذين يكونون الطبقة الأرستقراطية فى الولايات، والتى أشربت منذ الصغر التراث الكلاسيكى اليونانى والرومانى، ربطت مجدها الدينى وتراثها فى الادب والفن وتاريخها بهذه الآله، وان لم يكن هذا فى الغالب أكثر من ارتباط عاطفى تاريخى.

كما وجدت هذه الطبقة إلى حد ما سلواها فى الرواقية[١] بما تنطوى عليه من أخلاق

---

(١) تقوم الرواقية على جعل المعانى الفلسفية فى متناول الخلق جميعا. وعلى فتح باب الفلسفة على مصراعيه، وهى تقدم للإنسان الحائر فى مجتمع شاعت فيه الفوضى ودب فيه الإنحلال، أساسا=

سامية وإيمان بكل الالهة. وإلى جوار هذه كانت توجد أيضًا الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية الجديدة وكانتا تقومان على نظام ثنوى فى الاعتقاد، وتعتبران المادة شرا، والجسد سجنا، والخلاص لا يتأتى إلا عن طريق إذلال الجسد والتأمل فى طهارة الروح الإلهية وممارسة التصوف والزهد.

ومن بين العبادات الشرقية العديدة كان هناك الآلهة المصرية ايزيس فإنها عبدت كأم عالمية تحب الخير للنوع الإنسانى، وقد عبد معها قرينها سيرابيس (اوزوريس)، ولقيا انتباها خاصا عند كل من التجار والملاحين الذين كانوا يبشرون بهذه العبادة فى كل ميناء من موانى البحر المتوسط يحطون فيه رحالهم وقد ساعد على انتشار عبادة ايزيس فى الإمبراطورية ما انطوت عليه قصة هذه الآلهة من الحنو والرأفة، وما اختصت به طقوسها من الرقة، وما كان يسود هياكلها من جو مرح، وما تشتمل عليه صلواتها المسائية من ألحان موسيقية مؤثرة، ولترحيبها الشامل بالناس جميعا على اختلاف أممهم وطبقاتهم كما أنها رحبت بالنساء.

وقد انتقلت هذه العبادة إلى روما فى غضون القرن الثانى قبل الميلاد إن لم يكن قبل ذلك. وتم هذا على يد الإغريق الذين كانوا يفدون على روما من مصر مباشرة أو من المناطق المجاورة لإيطاليا كبلاد اليونان وجزر البحر الإيجى وصقلية، وقد انتشرت عبادتها بين العبيد وفقراء الرومان وبعض سيدات الطبقة الارستقراطية مما دفع السناتو إلى تحديها، كما أصدر أحد قنصلى عام ١٦٨ ق. م أمر بهدم هياكل ايزيس وسيرابيس القائمة بالمدينة، غير أن الحكومة الرومانية تركت أتباع ايزيس يمارسون شعائرهم خارج أسوار روما. وفى عهد صلا Sulla اشتد ساعد هذه الديانة مرة أخرى لانتهاجه سياسة التسامح، ونتيجة لتأثير كليوباترة على يوليوس قيصر ازدهرت عبادة ايزيس خاصة وأنه كان زعيما للحزب الديمقراطى أو الشعبى الذى كان يضم بين صفوفه كثيرين من أفراد الطبقة الشعبية وهى أكثر الطبقات إقبالا على العبادات الأجنبية، وأحرزت ديانة ايزيس تقدما مطردا حتى أن الحكومة الثلاثية (الثانية) اعترفت بها رسميا فى عام ٤٣ ق. م. وقد تعثرت عبادة ايزيس بعد ذلك نتيجة للحرب الأهلية بين اكتافيانوس Octavianus وماركوس انطونيوس Marcus Antonius ثم صدر قرار بتحريم عبادتها داخل العاصمة الرومانية سنة ٣٨ ق. م. ثم طوردت فى كل أنحاء إيطاليا على

=أخلاقيا للسلوك، ومبدأ راسخا للحياة الفاضلة. ومن ثم فهى من هذا الناحية تعد عقيدة أخلاقية. كان من أشهر رجالاتها ابيكتيت Epictetus الذى استطاع أن يضم الإمبراطور تراجان (٩٨ ـ ١١٧) إلى حلقة سامعيه، وكان الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ ـ ١٨٠) من أعلام الرواقين.

عهد تيبيريوس Tiberius (١٤ ـ ٣٧)م إلا أن هذه العبادة حظيت بالاعتراف الرسمى من جانب كاليجولا Caligula (٣٧ ـ ٤١) واستمرت عبادتها فى الازدهار على عهد خلفائه حتى أن أتباعها كانوا يمارسون شعائرهم فوق الكابيتول باطمئنان أثناء الحرب الأهلية سنة ٦٩، وبارتقاء الأسرة الفلافية (٧٠ ـ ٩٦) العرش بدأ العصر الذهبى لعبادة ايزيس فى روما.

وعلى الرغم من أنها حوربت أكثر من مرة على يد الحكام الرومان فى العاصمة ذاتها، غير أنها كانت سرعان ما تعود إلى استعادة مركزها ثانية، ولكن بمجىء عصر أنطونينوس بيوس Antoninus Pius (١٣٨ـ ١٦١) بدأت تفقد مركزها متخلية عنه لعبادة الإله الفارسى مثرا Mithra الذى استقرت عبادته لفترة طويلة فى شرق آسيا الصغرى ثم بدأت تأخذ طريقها إلى الغرب فى فترة متأخرة فى القرن الأول الميلادى، وما أن وافت القرون الأولى من التاريخ الميلادى حتى انتشرت فى جميع انحناء الدولة الرومانية عباده مثرا، الإله الشاب ذى الوجه الوسيم الذى تعلوه هالة من نور ترمز إلى الوحدة القديمة بينه وبين الشمس بأعتباره إلهاً للذكورة والفحولة.

ولقد تركت المثرائية أثارها الواضحة فى روما والولايات الغربية وأخذت فى الانتشار السريع خاصة فى الأوساط العسكرية بعد أن أصبح مثرا إلهاً للمعارك الحربية، وحاميا للجنود الذين غدوا أداة تبشير حماسية له على معسكرات الحدود.

وكان قانون العقيدة المثرائية يقسم العالم قسمين، ويجعل الصراع قائما بينهما، بين قوة النور وقوة الظلمة، ومن ثم كان على المؤمنين بمثرا أن يحاربوا فى صفة حتى يستطيعوا الاتحاد به، كما كانت الطهارة والعفة الأخلاقية فى عبادة ايزيس مطلوبة من عبادها إذا كانوا يريدون الحصول على السماح والغفران عند القضاء بعد الموت، ونيل البركات والنعيم المقيم.

وكان يحمل هذا المبدأ الأخير ديانة شرقية جديدة تمثلت فى المسيحية، تبدت عقيدتها فى إله مخلص سار فى طريق الآلام والتعذيب ليكفر عن خطايا البشر. مات ثم قام ثانية من بين الأموات. وكان لهذه العقيدة المسيحية الجديدة أسرارها الخفية، وغموضها الذى كانت تشترك به مع العبادات الشرقية كلها آنذاك.

فاقت المسيحية سائر الديانات الشرقية القديمة لأن يسوع المسيح كانت له جاذبية أحدثت فى النفوس راحة، فهو قد نال الموت من أجل خلاص الناس أجمعين، وتفردت بتعاليم أخلاقية

قابلت الهوى. وعلى خلاف المثرائية التى قصرت عضويتها وإقامة شعائرها على الرجال دون النساء، وعبادتى الحنان الأنثوى كيبيلى وايزيس، ملكت المسيحية على الجموع الأفئدة.

فى ظل هذه الظروف ظهرت المسيحية فى مصر فى ظروف لا تزال معلوماتنا التاريخية عنها طفيفة، إلا أننا نظن أن الدين الجديدى لم يكن ليتأخر فى الوصول إلى أكبر ميناء فى شرقى البحر المتوسط، فى حالة قدومه من الخارج، وأنه لم يكن هناك محيص بعد ذلك عن انتشاره فى سائر أنحاء مصر. ومع هذا فلم يترك الدين الجديد أى أثر فى برديات القرن الأول التى عثرنا عليها حتى الآن، بل لا تمدنا حتى برديات القرن الثانى إلا بمعلومات ضئيلة جدا عن مدى تأثيره. على أننا نستخلص من أوراق البردى الأدبية أن المسيحية قد تغلغلت فى مصر الوسطى ومصر العليا، ولدينا الآن ما لا يقل عن سبع قصاصات من البرديات الإنجيلية، التى يمكن أن ننسبها باطمئنان إلى القرن الثانى، بل إن جميع الباحثين الثقات ينسبون إحدى هذه القاصات، التى تتضمن بعض فقرات من أنجيل القديس يوحنا (أهم الاناجيل التى وضعت بمصر)، إلى مستهل القرن الثانى. ولابد أنه كان يوجد فى مقابل كل بردية مسيحية حفظتها لنا محض الصدف، مئات من البرديات التى عفا عليها الزمن، وأن كل مسيحى كان لديه مثل هذه البردية يقابله عشرات لم يكن لديهم شىء.

ولدينا من منتصف القرن التالى طائفة من البرديات التى توضح بجلاء اضطهاد المسيحيين على أيام الإمبراطور ديكيوس (Decius) وهى عبارة عن شهادات بتقديم القرابين للآلهة (libelli)، كان الإمبراطور قد أصدرأمراً بأن يقدمها جميع رعايا الإمبراطورية للسلطات الرومانية. وكان الذين لا يقدمون هذه الشهادات يعتبرون مسيحيين. على أن بعض ضعاف النفوس من المسيحين سمحت لهم ضمائرهم أن يقدموا للسلطات شهادات مزورة.

وكانت المسيحية فى مصر تميل فيما يبدو إلى «الهرطقة»، أى الأخذ بالمعتقدات المخالفة لآراء الكنيسة، وخاصة بمذهب «الغنوسية» «gnôsis»[1]، ولعل ذلك يفسر سبب ذيوع إنجيل

---

(١) اللفظ اليونانى gnôsis معناه «معرفة أو أدرية» والغنوسية مذهب لشيعة دينية فلسفية، «ومبدؤها أن العرفان الحق ليس العلم بوساطة المعانى المجردة والاستدلال كالفلسفة، وانما هو العرفان الحدسى التجريبى الحاصل على اتحاد العارف بالمعروف. وأما غايتها فهى الوصول إلى عرفان الله على هذا النحو، بكل ما فى النفس من قوة حدس وعاطفة، وخيال. فالغنوسية صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة، وترجع بأصلها إلى وحى أنزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا، وتعد مريديها بكشف الأسرار الإلهية وتحقيق النجاة.=

يوحنا في مصر، ومذهبه عن «اللوجوس» أو الكلمة (Logos)، وإبهامه الصوفي. ويرى بعض العلماء أن هذا الإنجيل كتب في الإسكندرية، الأمر الذي يعيننا دون شك على تفسير عدم معرفة القديس بوليكارب (Polycarpus) بهذا الإنجيل. وبعد ما عانت الإسكندرية كثيراً من جراء الحروب الأهلية والاضطرابات العنيفة التي كدرت صفو الأمن في مصر خلال الحقبة الأخيرة من عصر البطالمة، وكانت هي نفسها مركزاً لهذه الاضطرابات أكثر من مرة، تمتعت بفترة من الرخاء المطرد تحت الحكم الروماني. كانت الإسكندرية ثاني مدن الإمبراطورية، وأعظم موانىء البحر المتوسط، ومركزاً للتجارة الرائجة مع الغرب والشمال حتى إيطاليا والولايات الغربية ومع بلاد الإغريق وآسيا الصغرى، ومع الشر ق حتى الهند. وبرغم أن المدينة لم تعد كما كانت في القرن الثالث قبل الميلاد موطنا لفحول الشعراء، فقد كانت لا تزال بها مدرسة للشعر والأدب التصويرى، وقد تألق صيتها بفضل العلماء من أمثال بطلميوس وهيرون، كما أنجبت الجالية اليهودية السكندرية بالمدينة كتابا نابهين مثل فيلون، واجتذبت جامعة الإسكندرية الطلاب لا من مصر وحدها بل من وراء البحار.

لكن هذا الرخاء لم يؤد إلى استمالة مواطني الإسكندرية إلى جانب الرومان. وكان هؤلاء المواطنون قد أثاروا في وجه الملوك المقدونيين متاعب جمة، غير أن ضياع المركز الذى تمتعت

=فكان العامة منهم يؤخذون بسحر طقوسها، وكان الخاصة يتعلقون بتعاليمها النظرية ... وكانت الغنوسية تعلو على الأديان والمذاهب بالتأويل والتحوير، مدعية تحويلها إلى معنى أعمق. (من كتاب الفلسفة اليونانية) ليوسف كرم ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٤٦، ص٢٤٤).

«وما كادت المسيحية تظهر حتى تناولتها الغنوسية، فتزيت بزيها ونافستها منافسة قوية... فكانت خطرا كبيرا عليها طوال القرون الأربعة الأولى... والغنوسيون المسيحيون بالإجمال يؤولون عقائد المسيحية تبعا لمذهبهم، ويصوغون أساطيرهم بألفاظها. فهم يقيمون الثنائية عل ما يزعمون من تعارض بين التوراة والإنجيل، إذ يقولون أن التوراة تصور إلها قاسيا جبارا: بينما الإنجيل يكشف لنا عن إله وديع حليم خير للغاية... وإله العهد الجديد هو الإله الأعلى،الإله الأب، خالق العالم المعقول، أبو المسيحية وإله المسيحيين، وإله العهد القديم صانع العالم المحسوس هو إله اليهود... فالغنوسيون ينبذون التوراة نبذا تاما، ويقبلون من بين الأناجيل ما يروقهم، ويحذفون الفصول والآيات المناقضة لآرائهم» يوسف كرم «نفس المرجع» ص٢٥٥ ـ ٢٥٨.

وعن الكتب أو الدفاتر البردية (codices) القبطية الخاصةبالغنوسية والتى حصل عليها المتحف القبطى فى عام ١٩٤٦ وعرف أنها من خينوبوسكيون (Chênoboskeion) وهى قرية الصياد «المتاخمة لدير الملاك» ودير «أنبا بلامون» قرب نجع حمادى انظر:

J.Doresse, The Secret Books of The Egyptian Gnostics. London, 1960.

The Nag Hammadi Library. San Francisco. Harper & Row. 1977.

به الإسكندرية كمقر للملك البطلمى، وعاصمة لدولة مستقلة، أوغر صدورهم فاستمروا طوال العصر الرومانى يناصبون الحكومة العداء الشديد. ولما كان أغسطس قد أقر لليهود جميع امتيازاتهم، فى حين أنه رفض مطلب مواطنى الإسكندرية بإنشاء مجلس للشورى، فقد اتخذ عداء المواطنين للرومان مظهر عداء لليهود إذ كان الهجوم عليهم أسلم عاقبة للإسكندريين من الهجوم على الرومان مباشرة. وكثيراً ما أدت المذابح الطائفية العديدة التى وقعت فى شوارع المدينة إلى تدخل الحامية الرومانية لقمع الاضطرابات، وإلى محاكمة بعض زعماء الإسكندرية أمام مجلس الإمبراطور. وقد نشأ عن ذلك نوع من الأدب الوطنى أحرز رواجاً واسعاً بين الجماهير ويسميه العلماء الآن، نظراً لما بينه وبين «أعمال الشهداء المسيحيين» من تشابه «بأعمال الشهداء السكندريين» (Acta Alexandrindrinorum)[١]، هذه الرسائل تبالغ فى وصف شجاعة زعماء الإسكندرية واعتدادهم بأنفسهم، وتصورهم وهم يخاطبون الإمبراطور بقحة متناهية، حتى أن أحد مديرى معاهد التربية بالمدينة يقول لكلوديوس «أنت الابن الذى تبرأت منه سالومى اليهودية» ويصف بازدراء هيروديس أجريبا (Herodês Agrippa)، صديق الإمبراطور، بأنه «يهودى لا يساوى شروى نقير». وقد أحضر الوفد السكندرى معه إلى روما ذات مرة تمثالا نصفياً لراعى المدينة الإله سرابيس، لم يلبث (فيما يروى) أن تصبب عرقا بمعجزة فامتلأت قلوب الرومان رعباً. وقد ظلت ذكرى هؤلاء الشهداء ماثلة فى قلوب أهل الإسكندرية مدة طويلة، مثلما كان المسيحيون يجلون ذكرى شهدائهم.

وكما شهدت الإسكندرية على عهد البطالمة ترجمة التوراة إلى اليونانية لتستخدمها الجالية اليهودية السكندرية، وكما وضع فيلون هناك فى القرن الأول الميلادى فلسفة يهودية باللغة اليونانية، ناهجاً فيها منهج التفكير الفلسفى السكندرى، كذلك غدت الإسكندرية فى القرنين التالى والثالث مركزا للتقريب بين اسمى الأفكار فى الديانات القديمة والأفكار الوليدة فى المسيحية. وإنها لحقيقة جديرة بالتنويه أن يختار أهالى الإسكندرية أحد مواطنيهم، وهو أناتوليوس (Anatolius) الذى رسم أسقفا للادقية (Laodicea) فى عام ٢٦٩م، أستاذاً للفلسفة الأرسطية فى تلك المدينة. وقد ازدهرت جنباً إلى جنب مع الأكاديمية، ودراستها الفلسفية، المدرسة «المسيحية الكبرى» و[وهى مدرسة كانت أصول الايمان تلقن فيها (شفويا) عن طريق السؤال والجواب (Katêchêsis) التى أسسها بنتاينوس (Pantaenus)]، وكان من ألمع نجومها كليمنس السكندرى (Clêmens) وأوريجينيس (Origenês). كان الأول [١٥٠

-----

(١) معنى كلمة Acta أما «رسائل» كرسائل القديس بوليكارب مثلا، أو «محاضر جلسات محاكمة الشهداء».

ـ ٢١٢م.] من اتباع سرابيس ثم اعتنق المسيحية، وكان رجلا واسع الاطلاع (ولعله كان شديد الولع بإظهار علمه)، وقد أسهم بنصيب كبير فى التوفيق بين الديانة المسيحية والثقافة السكندرية. ومع أنه كان شديد الإيمان بالمسيحية، متمسكا بعقائدها الأصلية القويمة، ونصيراً متزمتاً بل متطرفاً للأخلاق، إلا أنه كان خبيراً بالطبيعة البشرية، فهو يحلل شرب النبيذ بل ويبرره أيضا، ولا يحرم تحريماً باتاً الاستمتاع بما فى الحياة من جمال ومباهج. وقد ظل حريصا حتى بعد دخوله المسيحية على قراءة الأدب الإغريقى، وعلى إجلاله لأفلاطون، وأما أوريجينيس [١٨٥ ـ ٢٥٣م.] فكان أقل من كليمنس معرفة بالأدب الإغريقى، ولكنه كان أعمق منه تفكيراً وأرسخ فهما للمذاهب الفلسفية، وأدق إلماماً بمناهج البحث العلمى، وأقدر على الإبتكار.

الحق أنه يعتبر من أعظم رجالات الكنيسة المسيحية. وأخيراً، فكما تركت الإسكندرية أثراً باقياً فى نصوص كتاب العصر الكلاسيكى، فقد أسهمت مساهمة جليلة أثناء تلك الفترة فى تحقيق نص للإنجيل موثوق به، ولا تزال طبيعة هذه المساهمة ومداها مثاراً للجدل بين العلماء، وإن لم يشك أحد منهم فى قيمتها الكبيرة، وإذا كان أوريجينيس قد أتم مؤلفه العلمى الضخم، المعروف باسم Hexapla، فى قيسارية (Caesareal) لا فى الإسكندرية، فقد بدأه أصلا فى الإسكندرية، مسقط رأسه، حيث تزود بالمعرفة التى تؤهله للاضطلاع بتأليفه.


الإسكندر الأكبر   يوليوس قيصر

[تقديم ناسخ المخطوط]

بسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد

كتاب سير الابا البطاركه(*)

رزقنا الله بركة صلواتهم [آمين]

خلفا الاب البشير مارى مرقس الانجيلى المبشر بالانجيل المقدس وبشرى السيد المسيح بالمدينة العظمى اسكندريه واقليم مصر واقاليم الحبشة

(*) البطاركة: جمع مفرده بطرك. وهو فى النظام الرومانى من رجال السناتو أى مجلس الحكام فى الإدارة الرومانية. وكان عددهم أثناعشرة، منهم بطرك الاكليروس المختص بالشئون. الدينية. والكلمة فى اللغة اليونانية تعني رئيس الآباء، فالبطرك يتربع على قمة الهرم الكهنوتى الذى يبدأ بالشماس فالكاهن «القسيس» فالمطران فالاسقف.

وضع مصر الفريد فى الإمبراطورية الرومانية

سقطت الإسكندرية فى يد أكتاڤيانوس فى اليوم الثامن من شهر مسرى الموافق أول أغسطس عام ٣٠ ق.م.(١). ودخلت مصر فى نطاق الامبراطورية الرومانية. وأصدر السناتو (مجلس الشيوخ) قراراً باعتبار هذا اليوم عيداً وطنياً فى روما ونقطة بداية التقويم المحلى فى مصر. غير أن حكم أكتاڤيانوس لا يبدأ فى الواقع إلا مع رأس السنة المصرية القديمة، أى فى أول توت الموافق ٢٩ أغسطس عام ٣٠ ق.م(٢).

---

(١) لم يكن شهر أغسطس قد سمي بعد بهذا الاسم بل كان يعرف وقتئذ بالشهر السادس (mensis Sextilis) وفقاً للتقويم الرومانى القديم الذى كانت السنة تبدأ فيه بشهر مارس. وقد سمى بشهر أغسطس تخليداً لذكرى أكتاڤيانوس (الذى منح هذا اللقب، بمعنى الجليل، فى يوم ١٦ يناير عام ٢٧ ق.م) أكبر الظن فى العام نفسه وليس فى عام ٨ ق.م. كما يفهم من بعض الكتاب.

(٢) تاريخ هذه الوثيقة التى يوصف فيها قيصر (أكتاڤيانوس) بأنه إله ابن إله (راجع: Bell. Cults and Creeds. p. 65) ٢٩ أغسطس ٣٠ ق. م. وعلى ذلك فهى أقدم بردية وصلتنا من العصر الرومانى.

ولتفسير ذلك نقول إننا نجد طريقتين متبعتين فى تاريخ الوثائق البردية من عصر أغسطس إحداهما هى التقليدية أى التأريخ بسنوات الحكم، مثال ذلك السنة الرابعة من حكم قيصر، وقيصر إذا ذكرت مجردة فى الوثائق تعنى أكتاڤيانوس والأخرى ـ التى لفت العلامة فيلكن نظر الباحثين إليها ـ هى التأريخ بسيادة قيصر (Kratêsis Kaisaros) فى بعض وثائق غير رسمية، مثال ذلك السنة الرابعة من سيادة قيصر.=

(*) الخمس مدن: بتنابولس، انظر ص٧٩٣.

والنوبة والخمس مدن بالمغرب(*) وهى افريقيه ومامعها.

(*) الكرازه: الدعوة الرسولية وخدمة كنيسة الله.

كل هذه وقعت بالقرعة فى كرازته(*) بالهام روح القدس، وكانت شهادته بعد تمام كرازته وبشارته وكتابته الانجيل باليونانية وكمال سعيه فى مدينة قيسرون وهى اسكندرية، وتسمى باللغة العبرانية مدينة امون.

وقد منع أكتافيانوس جنوده من نهب المدينة أو تخريبها وألقى على مواطنيها خطاباً باليونانية أعلن فيه صفحة عنهم. وعندما أحضروا إليه تابوت الإسكندر الأكبر من قبره تمعن فى جثمانه ووفاه ما يستحقه من تبجيل بأن وضع عليه تاجاً من اذهب ونثر فوقه الزهور. وعندما سألوه ان كان يرغب فى مشاهدة ضريح البطالمة، أجاب أنه رغب فى أن يشاهد ملكا لا أن يشاهد أمواتا ولم يمتهن أكتافيانوس بهذه الملاحظة ذكرى البطالمة بقدر ما جرح كبرياء

= والأخيرة رومانية الأصل إذ يوصف فيها قيصر (أغسطس) عادة بأنه ابن المؤله (Divi filius) أى ابن يوليوس قيصر الذى تبناه ورفعه السناتو إلى مصاف الآلهة بعد موته. ولدينا الآن وثيقة مؤرخة بالصورتين (P. Ryl. 601) ولا يبدأ عصر سيادة قيصر بيوم سقوط الاسكندرية (أول أغسطس ٣٠ ق. م.) ولا بيوم موت كليوبطره (١٠ أغسطس ٣٠ ق.م، بل يبدأ، كصورة للتأريخ بسنوات الحكم، بأول توت أى بيوم ٢٩ أغسطس ٣٠ ق. م. ولعل ذلك يرجع إلى أن أكتافيانوس أراد أن يؤكد فكرة سيادته على مصر كلها لا سقوط الإسكندرية وحدها، فعدل قرار السناتو حتى لا يجعل لسنة الأولى من حكمه فى مصر بدايتين متقاربتين هذا التقارب (أول أغسطس، ٢٩ أغسطس عام ٣٠ ق. م.) «وأما عن المصريين والاسكندريين فقد عفا عنهم جميعا حتى انه لم يهلك منهم أحد، والحق أنه لم يشأ ان ينزل ضررا لا يمكن علاجه بشعب كثيف العدد قد ينفع الرومان نفعا عظيما من نواح كثيرة. ومع هذا فقد برر صفحه عنهم بالاله سرابيس، والاسكندر مؤسس مدينتهم، وبأريوس أحد مواطنيهم الذى انتفع هو بعلمه وصحبته. وقد ألقى الخطبة التى عفا فيها عنهم باليونانية لكى يفهموه، وبعد ذلك شاهد جثمان الاسكندر بل انه لمسه بيده حتى يروى أن جزءا من الانف تفتت، ولكنه لم يشاهد جثث البطالمة ـ مع أن الاسكندريين كانوا شديدى الرغبة فى عرضها عليه ـ قائلا انه رغب فى ان يشاهد ملكا لا امواتا.».

وسيرته تذكر ما جرى له وبشارته وما جرى عليه مشروحة فى اول السير الذى تضمنها هذا الكتاب.

وورثوا ابهاتنا الارتدكسين البطاركه من بعده تعاليمه المخلصه للنفوس من الجحيم، وتبتو على ما سلمه لهم من حفظ الامانة الارتدكسيه والتمسك بها والصبر على الشدايد بسببها فى كل زمان الى النفس الاخير، يعنى إلى الموت، وجلسو على



شاهد قبر من الحجر الجيرى عليه
شخص فى حالة تعبد
(من القرن الخامس)

الإسكندريين. ولعله أراد أن يفهمهم أن نفوذهم فى الدولة قد تلاشى، وأن الأسرة التى كانوا رعاياها بالأمس قد اندثرت إلى الأبد. ولما كان يعلم أن الإسكندريين شعب ميال إلى الشغب يثور لأوهى الأسباب، فقد وضع بالمعسكر الكبير الذى أقامه فى نيقوبوليس[1]، فرقة رومانية، وهى الفرقة الثانية والعشرين التى أضيف إلى رقمها فيما بعد اسم ديوّطاروس (legio XXII Deiotariana)، وعززها بثلاث كتائب مساعدة من المشاة (cohortes). وليس من المستبعد أن يكون مواطنو الإسكندرية ـ كما يفهم من بردية نشرت فى سنة ١٩٣٠ ـ قد تقدموا إليه ملتمسين إعادة مجلس الشورى (Boulê) ـ وهو مجلس كان فيما يرجح قائماً فى المدينة منذ تأسيسها ولكنه ألغى فى وقت غير معروف قبل مجىء الرومان. فإذا كان قيصر المذكور فى البردية هو أكتاڤيانوس، فإنه لم يستجب لهذا المطلب بينما أقر لليهود حقوقهم القديمة. ولعله كان يرمى بذلك إلى إيجاد نوع من التوازن بين الإغريق واليهود حتى لا يطغى فريق على فريق عملا بالمبدأ الرومانى المشهور «فرّق تسد».

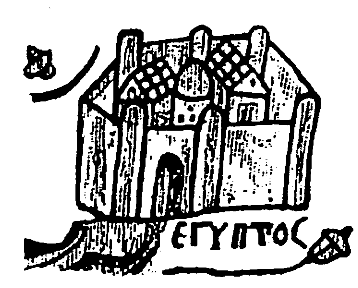
وليس من المؤكد إن كان أكتاڤيانوس قد اتجه بعد ذلك إلى ممفيس (ميت رهينة) ووضع عند بابليون (مصر القديمة) فرقة رومانية أخرى، رآها استرابون، ولكن اسمها لا يزال مجهولا

---

(١) كانت نيقوبوليس تبعد عن الاسكندرية نفسها بحوالى أربعة أميال وفقاً لرواية استرابون، ومكانها الآن ما بين مصطفى باشا (مصطفى كامل) وجليمونوبولو برمل اسكندرية.

كرسيه واحد بعد واحد خلفاً بعد سلف، فكلهم خلفاه ورعاة رعيته ومقتدون به وبايمانه فى المسيح.

هذه السير جمعها واهتم [بجمعها] من كل مكان الاب الجليل انبا سويرس بن المقفع اسقف مدينة الاشمونين، ذكر انه جمعها من دير القديس ابي مقار ودير نهيا وغيرهما من الديارات، وما وجده فى ايدى النصارى منها اجزاء متفرقه. فلما جمعها اخوكم المسكين فى هذا الكتاب الواحد بعد بحث واجتهاد وهب الرب له مدة طويلة من العمر حتى وصل يوم ان كتب هذه السيره واهتم



حصن بابليون
(فسيفساء بيزنطية)

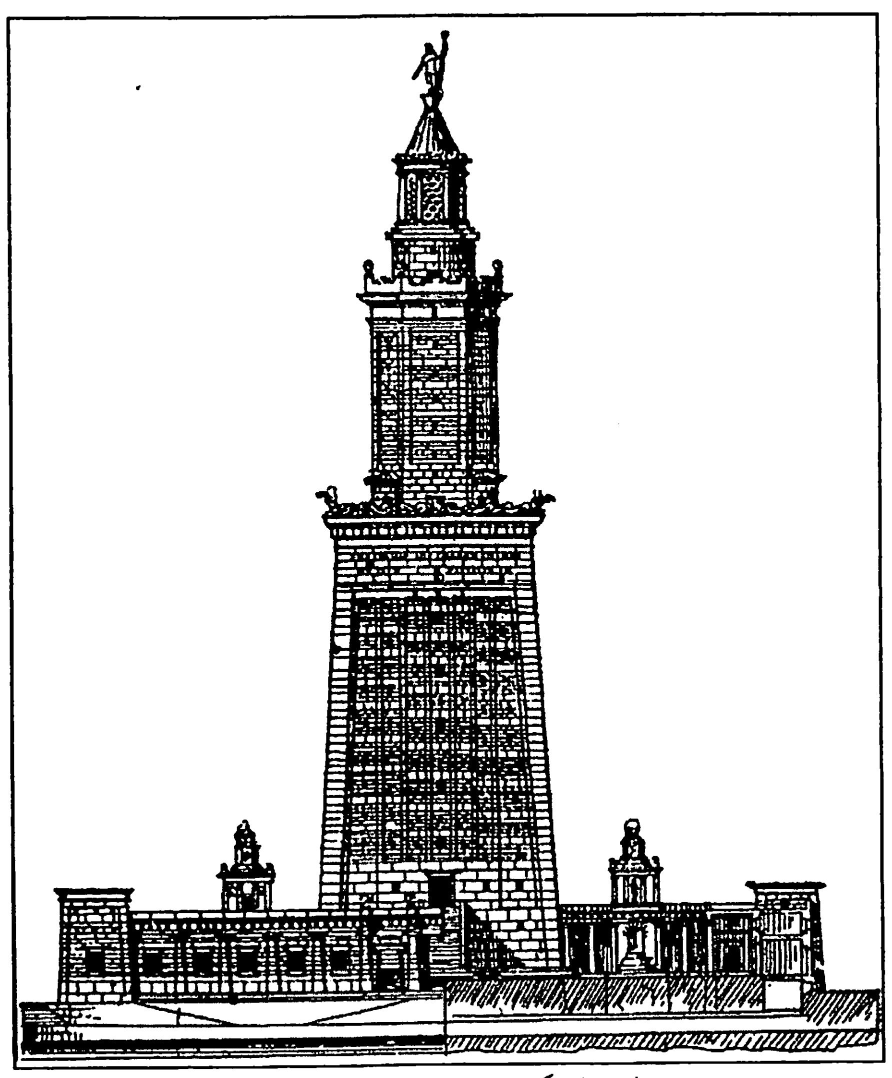
ولم ينس الفاتح الجديد أن جنوب الوادى، مركز عبادة آمون، كان معقلا للحركات القومية ضد البطالمة، فبعث إليه بفرقة رومانية ثالثة، يرجح أنها فرقة كورنيثة الثالثة (legio III Cyrenaica) التى تشير أقدم الوثائق إلى وجود جانب منها فى منطقة طيبة[١]، وعززها بثلاث كتائب مساعدة رابطت على الحدود الأثيوبية (النوبية) عند سوينى Syênê (أسوان). كما وزع أكتاڤيانوس ثلاث كتائب أخرى مساعدة فى بقية القطر. ومن العسير أن نتعرف على مراكزها على وجه التحديد؛ غير أنه من المرجح، استناداً إلى وثائق الفترة التالية، أنها رابطت عند مداخل إقليم هام كأرسينوى (الفيوم)، وهرموبوليس (الأشمونين)، التى كانت محطة جمركية للسلع الواردة من مصر العليا، وكبتوس (قفط)، وهى نقطة تجميع وتوزيع هامة للبضائع الآتية من موانى البحر الأحمر مثل ميوس هرموس Myos Hormos (أبو شعر القبلى؟) وبرنيقى Berenicê (الهرّاس) ولمنتجات المناجم والمحاجر العديدة بجبال الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر. وقد بلغ من اهتمام أكتاڤيانوس بالمنطقة الأخيرة أنه وضعها تحت إمرة ضابط يحمل لقب قائد برنيقى (praefectus Berenicês) أو قائد جبل برنيقى (praefectus

---

(١) انقسمت مصر إدارياً فى عصر الرومان إلى ثلاثة أقسام أو مناطق كبرى: الدلتا (تقابل مصر السفلى) والأقاليم السبعة، وإقليم أرسينوى (تقابل مصر الوسطى)، وطيبة (تقابل مصر العليا)، وكان على رأس كل منها قائد عام أو بالأحرى مدير عام (epistrategos). ولعل هذا التقسيم لم يستحدثه الرومان بل كان موجوداً منذ أيام البطالمة. =

بها ولم تكمل له إلى كمال تمنين سنة من عمره.

والى الله ارغب الاعانه على فهم ما نقراه منها والطاعه لهم والعمل باوامرهم واتباع اثارهم والتمسك بايمانهم انه سميع مجيب والشكر لله دايما سرمدا امين.



فنارة الإسكندرية إحدى عجايب الدنيا السبع

[تقديم ساويرس لكتابه]

بسم الآب والأبن والروح القدس الاله الواحد

الجد لله باعث العلوم ومبديها، وخالق الامور ومنشيها، وصانع الخلايق [عبيده] ومكونها ومهدى من يشا ويصطفيه، ورافع من يختاره من عبيده صفوته وخلقه الصالحين وينتخبه ويرتضيه، الذى يرفع من الارض مسكينا، ومن المزبلة فقيرا فيجعله ملكا على خلقه ومسلطا على تدبير عباده

---

montis Berenicidis)، الذى كان يتولى، إلى جانب إدارة المنطقة والإشراف على المناجم والمحاجر بمساعدة مشرف (procurator)، قيادة الحاميات التى وضعت لحراسة هذه المناجم وتأمين الطرق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر، وما فيها من آبار وصهاريج. ويضيف استرابون إلى هذه القوات ثلاث آلايات أو فصائل من الفرسان (alae) وزعت على المراكز الحيوية. ولا جدال فى أن نقطة دفاع رئيسية مثل بيلوزيوم قد عسكرت فيها إحدى هذه الفصائل أو غيرها من الوحدات التى نقلت من الفرق الأصلية أو الكتائب الإضافية لتقوم بحراسة نقط معينة على الطريق الساحلى الممتد بين بيلوزيوم عبر الصحراء إلى فلسطين أو من الإسكندرية حتى برايتونيوم (مرسى مطروح) أو على الطرق الممتدة على جانبى الدلتا بين هاتين المدينتين وممفيس عند رأس الدلتا[١].

وقام أكتافيانوس ببعض إصلاحات عاجلة لوقف التدهور الاقتصادى الذى انتاب مصر فى أواخر عصر البطالمة. ولا مراء فى أنه رسم الخطوط العريضة للنظام الإدارى ووضع الأسس التى

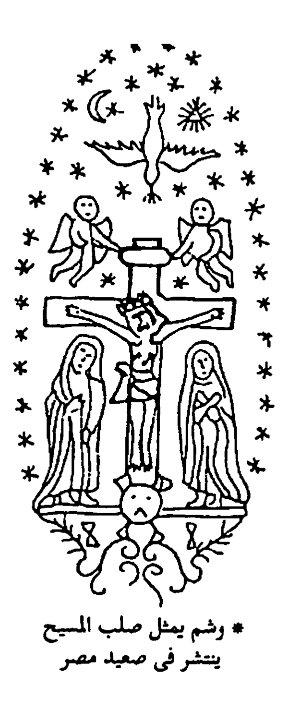
=وكانت هذه المناطق الكبرى بدورها منقسمة إلى أقليم (تقابل المحافظات الحالية) على رأس كل منها قائد أو بالأحرى محافظ (strategos).

(١) عن القوات الرومانية وتوزيعها فى مصر بعد الاحتلال، انظر:

Strabo XVII, 1.12 (Cf.also 30): 53): =

وبلاده، وكرسى العز يورثه ليحكم فى الارض بالعدل بين الناس بالحق، ليقمع القوى عن الضعيف وينقذ المظلوم من الظالم.

وذلك حكم الله وحكمته التى لا يفهمها احد من المخلوقين، المخفية سرايره عن الحكما وذوى الالباب، الذى يقيم فى كل زمان من يضاهى اهله، الر [ؤ] ف المتحنن السيد المسيح الذى ابذل نفسه بسر تجسده عن خلاص خلقه، وغلب الاقويا بالتواضع والسكون الناطق على افواه انبياه بروح



* وشم يمثل صلب المسيح ينتشر فى صعيد مصر

قام عليها الحكم الرومانى فترة طويلة من بعده. ولم يكن فى وسعه أن يبقى فى مصر مدة أطول فغادرها عائداً إلى روما ليواجه المشكلات الكثيرة التى نجمت عن الحروب الأهلية الطويلة. وهناك تبين له أن العلاج الوحيد هو تغيير نظام الحكم الجمهورى وإقامة حكم تواضع المؤرخون على تسميته بحكم المواطن الأول (Principatus)، وإن كان فى حقيقة الأمر حكما ملكياً تتركز فيه السلطة العسكرية ـ على الأقل ـ فى يد شخص واحد. غير أنه لم يشأ أن يظهر فى صورة الحاكم المفرد المطلق السلطة، فأبقى على بعض مظاهر الحكم الجمهورى القديم، وأشرك معه السناتو فى تصريف شئون الإمبراطورية. وبمقتضى التسوية التى تمت فى ١٣ يناير عام ٢٧ ق.م. ـ وهو تاريخ ميلاد الحكم الامبراطورى الجديد ـ قسمت أعباء إدارة الولايات بينه وبين السناتو الذى منحه فى العام نفسه لقب أغسطس.

لكن ينبغى قبل الكلام عن الدور الذى قامت به مصر فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية أن أحدد وضعها فى تلك الامبراطورية. هذا الوضع كان ولا يزال مثار جدل بين الباحثين. ففى

= ويوجد فى مصر ثلاث فرق عسكرية (tagmata = l. legiones) احداها فى المدينة (الإسكندرية) والاخريان فى القطر (chôra). وتوجد غير هذه تسع كتائب رومانية Speirai = L.cohortes ثلاث منها فى المدينة وثلاث على الحدود الاثيوبية (النوبية) فى سوينى (أسوان) وثلاث فى بقية القطر. وهناك أيضا ثلاث فصائل من الفرسان (hipparchiai= L. alae) موزعة بالمثل على المراكز الحيوية.

قدسه، فى الوقت الذى شا[ء] ان يظهر فيه على الارض وتجسد لخلاص عالمه الذى خلقهم كشبه صورة سلطانه، ظهر فيهم متجسدا من مريم العدرا افضل نسا[ء] العالمين التى اصطفها من درية ادم، الذى اخطا وخالف ربه واطاع عدوه وترك وصية خالقه فوجب ان يموت بالموت كما قال الله له، وحذره من معصيته فلم يقبل واراد ان يكون الها ويتشبه بخالقه فانوهق(*) فى فخ العثره، فتحنن الله الكلمه عليه ورحمه.

(*) انوهق سقط ووقع.

رأى فريق منهم أن مصر لم تكن ولاية (Provincia) بالمعنى المألوف للكلمة، بل كانت إحدى ممتلكات الإمبراطور الخاصة التى ترتبط بشخصه ارتباطاً وثيقاً وتخضع له خضوعاً مباشراً ويستندون فى ذلك إلى أن أغسطس لا يصفها فى الوثيقة المشهورة باسم «أثر أنقرة»[1] بأنها ولاية، على حين أنه يتحدث عن احتمال تحويل أرمينيا الكبرى إلى ولاية فى الفقرة الثالثة، وأن السجلات الرسمية المعاصرة لا تذكر اسم مصر مقروناً بكلمة ولاية، وأنه إذا كان المؤرخ ديون

---

(١) أثرأ نقـرة (Monumentum Ancyranum) نقش لا تينى مع الترجمة اليونانية عثر عليه أول مرة عام ١٥٥٥ فى أنقرة (أنجورا Angora قديما) بتركيا (مكان ولاية جلاتيا Galatia الرومانية). وقد نقل نقلا علمياً صحيحاً فى ١٨٦١، وبصورة أدق فى عام ١٨٨١، ونشره العلامة مومسن (Mommsen) فى طبعة ثانية فى موسوعة النقوش اللاتينية (.C.I.L) عام ١٨٨٣. وقد عثر على صورة أخرى يونانية (غير كاملة) من هذا النقش فى بلدة أبو للونيا بإقليم بيسيديا بآسيا الصغرى (Monumentum Apolloniense)، وعلى صورة ثالثة لاتينية (غير كاملة) فى بلدة أنطاكية بنفس الإقليم المذكور (Monumentum Antiochenum. وأما الأصل الذى أمر أغسطس بحفره على عمودين مكسوين بالبرونز واقامهما أمام ضريحه (Mausoleum) فى ساحة مارس (Campus Martius) خارج روما، فلم يعثر عليه. ويحتوى هذا النقش على موجز بأعمال أغسطس فى الناحيتين العسكرية والمالية وقد أشار إليه المؤرخان سويتونيوس (Div. Aug. CI, 6) وديون كاسيوس (LXI, 33) ويتبين من كل ذلك أن عنوان الوثيقة الصحيح هو Res Gestae Divi Augusti، أى «أعمال أغسطس المؤله». وقد بلغ من أهمية هذا النقش أن العلامة الألمانى مومسن أطلق عليه إسم «غرة النقوش اللاتينية titulus inter Latinos primarius».

وتجسد الغير مخلوق فى لاهوته المر[ء] بناسوته، البرى من كل خطيه، وحملته مريم العدرا الطاهره وولدته بالسـر الذى لا تدركـه عـقـول المخلوقين، مـفـضلهـا بذلك على جـمـيع العلمين السـمـاويين والارضـيين والملايكه والقـوات والارباب والكاروبيم والسـارافيم وكلمن خلق من السـماويين الارضـيين، وصـارت كـرسى الاولين والاخرين من غيـر افتـراق ولا تغيير لا يحويه مكان ولا يحصره زمان.

السيدة العذراء تحمل السيد المسيح

كاسيوس يذكرها بين الولايات التى أسندت إدارتها للامبراطور فى عام ٢٧ ق.م. فإنها لم تتأثر فى الواقع بالتسوية التى تمت فى ذلك العام، بل ظلت النظم التى وضعت لها عند الفتح على ما هى عليه، وهى نظم تختلف اختلافاً جوهرياً عن نظم سائر الولايات. ويستشهد فريق آخر بنفس عبارة أغسطس فى الوثيقة المذكورة «لقد ضممتُ مصر إلى سلطان الشعب الرومانى»، لأنها ـ فى رأيهم ـ من الوضوح بحيث لا تحتمل سوى تأويل واحد، وهو أن مصر كانت ولاية استغلت مواردها ـ كغيرها من الولايات ـ لمصلحة الشعب الرومانى. فقد وصفها أكثر من مـؤرخ قـديم بأنهـا ولاية (provincia) واحتلهـا جيش رومـانى، أمدت فـرقـه الأصليـة وقـواته الإضافية بكثير من الجنود، ولم يحكمها وكيل مالى (Procurator) من وكـلاء الإمبـراطورية الذين كان يعهد إليهم بإدارة بعض الولايات الصغيرة التى لا ترابط فيها سوى حاميات ضئيلة، بل حكمها وال تدرب فى سلك وظائف «الفرسان»، العسكرى والمدنى، وتدرج فيه حتى أن منصبـه كـان فى أول الأمـر أرقى مناصب ذلك السلك. وكـانـت إيراداتهـا تحـول إلى الخـزانة المركزية فى روما لكى تنفق مع الأموال الأخرى المحصلة من بقيـة الولايات فى إطعام الشعب الرومـانى وسد حـاجات الإمبراطورية. ويستبعد هذا الفريق أن عـاهلا كـأغـسطس ـ اتسـمت سياسته بالحذر والحرص على أن لا يزاول سلطات دون تفويض من السناتو والشعب ـ كان يستأثر بمصر وجميع مواردها. وثمة فريق ثالث يرى أن مصر، التى تقول النصوص والوثائق إن

ولما قضى تدبيره بحكمته الغير مدركه واتحاده المخفى سره عن كلمن فى السما والارض، اصطفى تلاميذه الحواريين واعطاهم السلطان العظيم وجعل لهم ان يربطو ويحلو، كذلك خلفاهم من بعدهم يرثوا هذه العطيه فى كل اقاليم الدنيا خلف بعد سلف، فانتقل ميراث هذا السلطان الذى دفعه المسيح، للاب البشير العظيم مرقس الحوارى الى خليفته الذى يجلس على كرسيه من البطاركه بالمدينه العظمى اسكندريه وما يليها من اقاليم كرازته، فهو اول بطرك رعى رعيه المسيح، ثم تبعوه

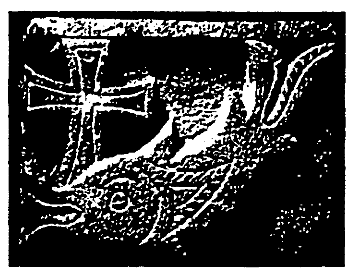


ايزيس وعلى رأسها كرسى العرش. (مقبرة سيتى الأول)

أغسطس أخضعها لسلطة الشعب الرومانى، كانت ولاية، غير أن الشعب فوض الإمبراطور فى إدارتها باسمه وفقاً لتقاليدها الخاصة ومقتضيات ظروفها السياسية. ومع هذا الاختلاف فى تحديد وضع مصر إزاء الحكومة المركزية، فإن الرأى الراجح الآن هو أنها كانت ولاية، ولكنها من طراز فريد، فى الإمبراطورية.

لقد أدرك أغسطس أهمية مصر كمستودع للقمح لاغناء عنه لإطعام الشعب الرومانى فقد كان محصول إيطاليا منه لا يكفى لسد رمقه، وأدرك أهميتها كمورد للمال لابد منه لتدعيم الخزانة التى نضبت من جراء الحروب الأهلية. لذلك وضع فى مصر من الفرق الرومانية (legiones) والقوات المساعدة (auxilia) أكثر مما تستلزمه حاجة الدفاع حتى يضمن تماماً عدم وقوعها فى يد عدو من أعداء روما، قد يمنع عنها المؤونة أو يقطع عليها طريق الاتصال بالشرق. كما أدرك ميزة موقعها الاستراتيجى، لأن مصر بلد من السهل الدفاع عنه، وفى وسع من يتحكم فى مدخليها أو مفتاحيها، بيلوزيوم فى الشرق، وفاروس فى الغرب، الذين يوصفان بأنهما النقطتان الرئيسيتان للدفاع عنها من البر والبحر، فى وسعه أن يصد بسهولة أى هجوم عليها ويستقل بها ويناوىء روما منها كما كانت مصر بلداً كثيف السكان، اشتهر أهلها، وبخاصة أهل الإسكندرية، بالميل إلى الفوضى والشغب. لذلك حرص أغسطس أشد الحرص

الاباء البطاركه المويدين جيلا بعد جيل. وهذا الكرسى خاصته دون غيره من الكراسى، لا يتقدم عليه بطرك، و[لا] ينال عند الله المنزلة الشريفه والدرجه العاليه والمنيفه الا من قد جربه وابتلاه ولقى من التعب والنصب ومقاومه الاعدا والجهاد من المخالفين ما ضاها به تلاميذه ورسله المويدين بروح قدسه، والاطهار المبشرين الذين اصابهم من الهوان والضرب بالسياط والرجم والصلب والتغريق فى لجج البحار وحريق النار والجراح، والرمى من الاماكن العاليه الى الارض، والقتل



من الفن القبطى. السمكة والصليب. كانت السمكة رمزاً للمسيح

على تأمينها من الوقوع فى يد المنافسين، فلم يقم عليها، كما هو الحال فى سائر الولايات، والياً من هيئة السناتو، وهى الهيئة الأرستقراطية ذات الميول الجمهورية التى لم يكن ليطمئن إليها كل الاطمئنان، بل أقام عليها والياً من هيئة الفرسان (ordo equester)، وهى فى الأصل هيئة رجال الأعمال الذين اكتسبوا من ممارسة التجارة والتزام جباية الضرائب خبرة بالشئون المالية. ولم يكن هذا الوالى مسئولا أمام أحد سواه. ولم يحمل لقب مندوب أغسطس (legatus Augusti)، كما هو الحال فى ولايات الإمبراطور، ولا لقب نائب قنصل (Pro consule) أو نائب بريتور (pro praetore)، كما هو الحال فى الولايات السناتورية، بل حمل لقباً من ألقاب سلك الفرسان بمعنى حاكم أو وال (Praefectus). وقد أسندت إلى هذا الوالى، الذى عرف رسمياً باسم «والى الإسكندرية ومصر (praefectus Alexandreae et Aegypti) ـ لأن مصر كانت شيئاً والإسكندرية شيئاً آخر ـ أسندت إليه قيادة جيش قوامه من الفرق الرومانية التى لم يكن يتولى قيادتها خارج مصر سوى رجال من طبقة السناتو. وزيادة فى الحيطة استن أغسطس قاعدة حرم بمقتضاها على أعضاء السناتو (بل والفرسان اللامعين من أعضاء السناتو) دخول مصر إلا بعد الحصول على إذن خاص من الإمبراطور. وسواء أكان هذا التحريم يشمل هيئة السناتو بمقتضى قانون خاص أم تحريماً يشمل أعضاءه وغيرهم بمقتضى السلطة الأعلى (imperium maius) التى فى يد الإمبراطور، فإن خلفاءه احتذوا هذه

بالسيف واصناف العذاب، مما لو شرحنا على نصه لطال شرحه وعظم وصفه واقشعرت من سماعه الابدان، ولم تسع الكتب ولا المصاحف بسيره، وكانو فى الصبر والاحتمال لذلك كله مقتدين بربهم ومعلمهم ومسيحهم ومرسلهم ليعمدو الامم والخلايق ويجذبوهم الى الايمان به، وعلموهم ما ينتفعون به على طول الدهور والاجيال والاحقاب الى اخر ايام الدنيا مما فيه خلاص نفوسهم في الاخره والدنيا. وورثو علومهم لخلفاهم الاباهات البطاركه بكل اقليم وصلت اليه



العذراء ترضع سمكة، رمز المسيح. (كنيسة نوتردام دى لوزان)

القاعدة التى غدت بمثابة سر من أسرار توطيد السيادة، ولم يخرجوا عنها إلا بعد أن تدهورت أحوال مصر الاقتصادية وفقدت مركزها الفريد فى الإمبراطورية.

٢. تأمين الحدود وطريق التجارة مع الشرق

وكانت مصر البطلمية قد قامت بدور هام فى سياسة العالم الهلينستى عندما كانت دولة مستقلة قوية فى القرن الثالث قبل الميلاد. وقد شهد ذلك العالم كثيراً من الحروب التى استعر أوارها بين الممالك الكبرى: مصر وسوريا ومقدونيا. ولم تستفد الإنسانية شيئاً من هذه الحروب التى استنفدت موارد تلك الممالك وأنهكت قواها وانتهت بسقوطها الواحدة تلو الأخرى فى يد الجمهورية الرومانية. ولم تلبث روما ـ بعد فترة أخرى من الحروب الأهلية ـ أن بسطت سيادتها على الأقطار المطلة على حوض البحر المتوسط، ولم يأت الامبراطور أغسطس حتى انتشرت فى ربوعها ألوية السلم، الذى يعرف أحياناً باسم «السلم الأغسطى» (Pax Augusta). وكان من الطبيعى أن يتضاءل دور مصر السياسى بعد أن أصبحت ولاية رومانية. غير أن هذا الدور لم يتضاءل إلى الحد الذى يذهب إليه العلامة شوبارت حين يقول إن زيارات الأباطرة لمصر صارت أهم أحداث ذلك القطر. لقد كانت مصر من أكثر الولايات كثافة فى السكان وأوفرها ثراء لذلك احتفظت بمركز هام بين هذه الولايات. ومع أن مصيرها ارتبط بمصير الإمبراطورية، إلا أنها لم تفقد شخصيتها، فأثرت فى مجرى تاريخ الإمبراطورية مثلما تأثرت به.



شرقية (Abside أو قبله) كنيسة من مدينة باويط، عليها رسوم بالفرسكو المتعددة الألوان. وتمثل هذه الرسوم السيد المسيح عليه السلام يجلس على عرش، ويحمل بيسراه السفر، ويومىء بإشارة البركة بيمناه، ومحيط بعرشه حيوانات ترمز إلى الرسل الأربعة؛ فالأسد يرمز إلى الرسول مرقس، ورأس العجل ترمز إلى الرسول لونا، ورأس النسر ترمز إلى القديس يوحنا، أما وجه الإنسان فيرمز للرسول متى. ويحيط بالعرش يمنة ويسرى رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل.

وقد احتوى تجويف الشرقية على رسوم أخرى تحت صورة السيد المسيح، تمثل السيدة العذراء وهى تحمل السيد المسيح، وحولها الإثنى عشر رسولا، وقد حمل كل منهم إنجيلا فى يده، وأسماؤهم مدونة فوق رؤوسهم باللغة القبطية.

والأسلوب التصويرى لهذه الشرقية يتبع إلى حد كبير الأسلوب القبطى الذى كان سائدا فى مصر فى العصر الرومانى، وخاصة فى رسوم الأجسام والملابس، ونلاحظ أن الرؤوس كلها حولها دوائر هى عبارة عن هالة التقديس، وعلى ذلك يمكننا القول بأن القبط استخدموا فى الرسوم الحائطية وكذا المخطوطات، أسلوباً فنيا متطوراً، أما فى المنسوجات وحاجياتهم الخاصة، فقد ظلوا يستعملون فناً خاصاً بهم، هو الأسلوب القبطى.

والشرقية بكاملها نقلت من واحة باويط إلى المتحف القبطى بالقاهرة.

ويمكن إرجاع هذه الرسوم إلى القرن (٥ ـ ٦ م).

كــرازتهم وبشــراهم ، لان البطاركــه خلفــاهم واتباعهم بذلو نفوسهم فى حفظ من ايتمنو عليه من بنى المعموديه المومنين الارتدكسيين، كما قال الرسول العظيم المعلم الفضل بولس المصطفى سراج بيعه(*) الله: بل قد نفتخر بما نقاسى من الضيق لانا نعلم ان الضيق يكمل الصبر فينا والصبر محنه وابتلا والشدايد داعيه الى الرجا والرجا لا يخيب لانه يفيض على قلوبنا محبه الله بروح القدس. كما قال ايضا: انكم ان اهملتم وتركتم بغير ادب ولم تلدعو بما لدع به الصفوه

(*) بيعه الله: هى الكنيسة المسيحية، وهى ترد بعدة اسماء فى المصادر التاريخية مثل: بيت الله، بيت الصلاة، بيت الشهداء، بيت الجماعة، البيعة، كنيسة الله، اورشليم السماوية، الحمامة الوحيدة، جسد المسيح، سفينة نوح.

ولما كانت حدود مصر الجنوبية هى أيضاً حدود الإمبراطورية الرومانية. فقد حرص أكتاڤيانوس، والأباطرة من بعده، على تأمين هذه الحدود ضد الغزو الأجنبى. ولم يمض عام على الفتح الرومانى، حتى هبّت منطقة طيبة ثائرة فى وجه الرومان إما لتعسف جباتهم أو محاولتهم فرض ضرائب جديدة أو لمجرد الثورة فى وجهى الحكام الجدد. وبلغ من خطورتها أن كورنيليوس جاللوس، وهو أول وال على مصر، اضطر إلى أن يقود القوات الرومانية بنفسه ويزحف جنوباً لقمعها. وقد أشار استرابون إشارة عابرة إلى هذه الثورة قائلا «وقمع (أى كورنيليوس جاللوس) فى زمن وجيز ثورة قامت فى طيبة بسبب الضرائب». ويشاء الحظ أن تصلنا عنها معلومات أوفى سجلها هذا الوالى على حجر من الجرانيت وجدناه فى جزيرة فيلاى Philae (أنس الوجود). وهذا الحجر مكتوب بلغات ثلاث: المصرية واللاتينية واليونانية. ويحمل النص الهيروغليفى تاريخ ٢٠ برمودة من السنة الأولى من حكم قيصر (أكتاڤيانوس) الموافق ١٥ أبريل من عام ٢٩ ق. م. يقول الوالى مفتخراً بانتصاراته:

جايوس كورنيليوس جاللوس بن جنايوس، الفارس الرومانى، أول وال على الإسكندرية ومصر بعد اندحار الملوك على يد قيصر بن المؤله، وقاهر ثورة طيبة فى ١٥ يوما، هزم خلالها العدو مرتين فى معركة عامة، واستولى عنوة على ٥ مدن: بوريسيس وكبتوس وكيراميكى وديوسبوليس مجالى وأوفيون، وأسر زعماء تلك الثورات، وقاد الجيش إلى ما وراء شلال النيل،

من قبلكم من اوليا الله فقد صرتم غربا من الله غير قريبين منه.

ومتل هذه الشهادات كتير فى كتب البيعه منه ومن غيره من الرسل المويدين والابا المعلمين بعد الانبيا المكرمين. ولم يزالوا دافعين لاقوال المخالفين مجتهدين فى الرد عليهم معاندين لهم داحضين مذاهبهم مظهرين للناس كفرهم وفساد اعتقادهم. ويضعون على كل كلمة ميمرا(*) الى ان ملو بيعه الله ميامر ومواعظ وعلوما روحانيه. ولم يهملو

(*) الميمر: الشروح والتفاسير.

وهو مكان لم تبلغه من قبل قوات الشعب الرومانى أو ملوك مصر، وأخضع طيبة، مصدر الذعر لجميع الملوك، واستمع إلى سفراء ملك الأثيوبيين عند فيلاى، وقبل ذلك الملك تحت الحماية، وعينه حاكما على ترياكنتا سخوينوس الأثيوبية. وقد قدم (هذا النصب) هدية للآلهة القومية وللنيل الذى أعانه.

وتحتاج هذه الوثيقة إلى بعض التفسير. فكاتبها هو كورنيليوس جاللوس الذى كان أحد قواد أكتاڤيانوس وقد أسدى هذا القائد خدمة جليلة له عندما استولى على برايتونيوم (مرسى مطروح) ورد الهجوم البرى والبحرى الذى قام به أنطونيوس على المدينة لاسترداد فرقه العسكرية التى تخلت عنه. ولا مراء فى أنه كان مقرباً من أكتاڤيانوس لأنه كان أحد رسله إلى كليو بطرة فى أيامها الأخيرة. وقد كوفىء بعد الفتح بتعيينه والياً على مصر (أغسطس ٣٠ ق.م ـ ٢٧ أو ٢٦، ق.م). ويصف جاللوس نفسه بأنه فارس رومانى أى أحد أعضاء هيئة الفرسان (ordo equester) التى كان الانتماء إليها يتطلب امتلاك نصاب لا يقل عن ٤٠٠,٠٠٠ سترتيوس أى حوالى ٤٠٠٠ جنيه. وتؤيد عبارته «أول وال على الإسكندرية ومصر» ما ذكرناه آنفاً، من أن الإسكندرية لم تكن تعتبر فى العصر الرومانى جزءاً من مصر على الأقل من الناحية الرسمية ويقصد هنا بالملوك، ملوك البطالمة، وإن كان قيصر لم يدحر فى الواقع سوى كليو بطرة. لكن لعل المقصود بالجمع هنا أن اندحارها كان خاتمة حكم

درس كتب الله وادابه ووصاياه غير مهملين، ولكل
اداب البيعه وغيرها من الالفاظ التى يحتاجون اليها
فى وضع ميامرهم طالبين، والى كل جواهر الكلام
الالهى والادب راغبين. حتى بلغو وادركو بغيتهم
وحضرو دعوه باريهم وداعيهم قايلين كلمتهم: هو
دا انا والبنون الذين اعطيتنى ولم يهلك منهم
احد . ففازو بالدرجات العاليه والمنازل التى
بالنعيم والنور متلاليه التى خيراتها دايمه غير
باليه.

البطالمة أو لعل المقصود به كليوبطرة وأبناءها. وأما قيصر فهو أكتافيوس الذى حمل اسم أبيه جايوس يوليوس قيصر الذى تبناه فسمى جايوس يوليوس قيصر أكتاڤيانوس أو بالإسم الأخير فقط، وإن عرف بين القدماء باسم «قيصر» واشتهر بلقب «أغسطس». ويستطرد جاللوس قائلا إنه أخمد ثورة طيبة، وهى أحد الأقسام الثلاثة الكبرى التى انقسمت إليها مصر إدارياً منذ الفتح الرومانى، إن لم يكن منذ عصر البطالمة، وتقابل مصر العليا. وليس بين المدن الخمس التى استولى عليها: بوريسيس (غير معروفة) وكبتوس (قفط)، وديوسبوليس مجالى (مجنا فى اللاتينية) أى مدينة زيوس الذى شبه بآمون، وهى طيبة (الأقصر الحالية)، وأوفيون (أو أوفيس) ـ وهى الكرنك الآن ـ وكيراميكى (ميدامود أو البلات)، ليس من بينها ما هى جديرة باسم مدينة سوى طيبة، بل إن المكانين الأخيرين لم يكونا فى حقيقة الأمر سوى قريتين أو حيين تابعين لها. ولعله أسر فعلا زعماء تلك الثورات. وقد يستدل من صيغة الجمع على قيام أكثر من ثورة فى بلاد مصر العليا ضد الرومان. وفى الحق إن الثورات لم تقتصر على مصر العليا وحدها، بل قامت أيضاً فى الطرف الشرقى من الدلتا إذا يحدثنا استرابون بأن كورنيليوس جاللوس «هاجم هيرونبوليس Heroônpolis (تل المسخوطة) التى كانت قد ثارت وأخذها بنفر قليل.

ولنتتبع الوالى الذى يقول إنه قاد جيشه إلى ما بعد شلال النيل، وهو الشلال الأول. وإذا

ولم يكونو فى حين رعايتهم يخافون من الملوك
الطاغيه ولا زالت قلوبهم ونياتهم فى حب الله
وتعليم الناس ما فيه خلاص نفوسهم سرا وعلانيه.
ولا كانو فى رعايتهم ساهين ولا لاهين ولا مقتنين
لشى من متاع الدنيا الفانيه. بل سامعين طايعين
لامر ربهم، وعلى تاديبهم وتعاليمهم منكفين،
وبقوانين الله واحكامه قايمين. وكانو فى عيون
رعاياهم عظما عالمين. واذا شاهدهم احد منهم، او
من المخالفين لهم ولمداهبهم، مجدو الله من اجل
اعمالهم لتمام الكلام الانجيلى الذى قال: انتم نور

صدق قوله فى أن هذه المنطقة لم تسبقه إليها قوات رومانية فهو مدع حين يزعم بأن قوات البطالمة لم تبلغها من قبل. وهو صادق فى وصفه طيبة بأنها مصدر ذعر لجميع الملوك (الملوك البطالمة) لأن طيبة بوصفها مركز عبادة آمون كانت معقلا للحركات القومية بزعامة الكهنة المصريين ضد الغزاة الأجانب وكثيراً ما هبت ثائرة فى وجه البطالمة حتى أنها كادت تستقل فى أواخر عهدهم، مما أوغر صدر بطليموس سوتير (الثانى) عليها فدمرها فى عام ٨٨ ق.م. فلا عجب أن سبقت غيرها من المدن إلى شق عصا الطاعة فى وجه الغزاة الجدد. ولعلها نكلت بالجباة الذين جاءوا لتحصيل الضرائب باسم الرومان. ويستطرد جاللوس قائلا إنه استقبل عند جزيرة فيله (قصر أنس الوجود) سفراء ملك الأثيوبيين (النوبيين). ولعل هذا الملك هو تيريتيكاس (Tireteqas)، زوج كنداكى (Kandakê) الملكة الشهيرة، التى حكمت النوبة من بعده. ويزعم جاللوس أن ملك النوبة قبل الحماية الرومانية وأنه عينه حاكما على تريا كنتاسخوينوس(١)، وهى منطقة نعلم أنها خضعت مرة للحكم البطلمى وربما كانت تمتد من الشلال الأول حتى الشلال الثانى عند وادى حلفا، أى بين حدود مصر وحدود النوبة الأصلية. ويختتم الوالى سجل انتصاراته بأنه أهدى هذا النصب التذكارى للآلهة الوطنية وللنيل بوصفه

---

(١) الكلمة يونانية ومعناها ثلاثون اسخوينوس، والأخير يساوى ستين استاديون، والاستاديون ١٨٥ متراً؛ أى مسافة طولها حوالى ٣٣٣ كيلو متراً.

العالم لاتستطيع مدينه تخفى وهى على جبل، ولا يوقد سراج فيوضع تحت مكيال بل على منارة ليضى لساير من فى البيت، هكذا يضى نوركم قدام الناس فيروا اعمالكم الحسنه فيمجدو اباكم الذى فى السموات.

كما قال بعض الحكما: من رقى درجات العلوم والهمم عظم فى عيون الامم. ومن كرم خلقه وجب حقه. ومن هان عليه المال توجهت اليه الامال. من عقل ذال ظلمه ومن عدل نفذ حكمه.

نهراً جباراً أثار دهشته أو إلهاً أظهر له بعض آياته، كفيضانه أو غيضانه فجأة أو هدوء مائه الذى يسر لمراكب الرومان الملاحة فيه، وأعان قائدهم أثناء حملته على قمع الثورة.

وهذا النقش على جانب كبير من الأهمية، لا لأنه من أقدم الوثائق التى وصلتنا من الفترة الرومانية فحسب، بل لأنه يبين لنا أيضاً مدى اهتمام الحكومة الرومانية بتأمين الحدود الجنوبية للامبراطورية، ويلقى ضوءاً على سياسة أكتاڤيانوس الخارجية فى عدم توسيع رقعتها والاكتفاء بخلق مناطق حرام، تعترف فقط بالسيادة الرومانية الإسمية متاخمة لحدود الإمبراطورية تجنباً للنزاع مع الدول القريبة منها. على أن النقش يتسم أيضاً بطابع المغالاة ويشبه البلاغات العسكرية التى تجنح عادة إلى التهويل. وليس أدل على ذلك من حملة جاللوس التى وإن كانت قد قمعت ثورة طيبة، فإنها لم تؤمن حدود مصر الجنوبية، على نحو ما سنرى بعد قليل. ولقد روى أن هذا الوالى أسكرته خمر الانتصارات السهلة فسجل أخبارها على الأهرام وتملكه الزهو فنصب تماثيله فى جهات كثيرة من الوادى وطفق يتفاخر بأعماله متفوهاً بكلام فيه مساس بالإمبراطور. واستنكر أكتاڤيانوس مسلكه وتوجس خيفة من أطماعه فعزله من منصبه وجرده من حقوق المواطن ونفاه. ويروى ديون كاسيوس ــ وروايته لا تخلو من الاضطراب ــ أن أصدقاء جاللوس أنفسهم كالوا له التهم أمام المحاكم وقرر السناتو بالإجماع إدانته ــ أكبر الظن بتهمة الخيانة العظمى (maiestas) ــ ونفيه ومصادرة ضيعته وضمها إلى أملاك أغسطس.

الريس من يذب بملكه عن دينه ولا يذب بدينه عن ملكه. واحسن ما قيل فى بعض جواهر الكلام: ان الراعى الصالح يصلح الرعيه وبالعدل يملك البريه. من عدل فى سلطانه استغنى عن اعوانه. من كان فضله على الناس بمرتبه الرياسه ومزيه السياسه فحقيق عليه ان يحفظ بحسن الرعايه مرتبته لتدوم له النعمة ويسعد فى الدين والدنيا، ومن مكنه الله من ارضه وبلاده وايتمنه على خلقه وعباده ورفع محله ومكانه فحقيق عليه ان يودى شكر الله بالامانه ويخلص الديانه ويجمل

واشتد الحزن بجاللوس فانتحر فى عام ٢٦ ق.م. ومن العسير التيقن من صحة الأسباب التى أغضبت أغسطس على صديقه المقرب، وأول وال على مصر، وصديق ڤرجيل، الذى رثاه كشاعر مثله. وعلى أى حال فإن حادثة عزله تنهض دليلا على مدى حذر الإمبراطور من والى مصر الذى قد تغريه انتصاراته على تجاوز الحد المرسوم له والتفكير فى التمرد عليه والاستقلال بالولاية الغنية.

وقد رأى أغسطس ـ كما رأى البطالمة من قبله ـ أن يحول طريق التجارة فى البحر الأحمر إلى الموانى المصرية الواقعة على هذا البحر مثل برنيقى وميوس هُرموس وكانت القبائل العربية التى تقطن ببلاد العرب السعيدة Arabia Eudaemon = Ar. Felix (اليمن) والقبائل التى تقطن تروجلوديتيس Troglodytis (الصومال) تحتكر التجارة فى سلع هامة كالعطور والتوابل والأخشاب والأحجار الكريمة الواردة من الشرق الأقصى والهند وأواسط أفريقيا ولذلك حاد أغسطس عن سياسة عدم التوسع لتحقيق هدف اقتصادى هام، فعهد إلى آيليوس جاللوس (Aelius Gallus)، ثانى ولاة مصر (٢٦ ـ ٢٤ ق.م.) بتجريد حملة على اليمن. وحشد هذا الوالى جيشاً كبيراً قوامه عشرة آلاف جندى وبعض وحدات مساعدة من الحامية المرابطة فى مصر، وألف رجل من الأنباط بعث بهم الملك عبادة (الثالث) مع وزيره سُلاَيوس ليكون دليلاً للحملة، وخمسمائة مقاتل يهودى أرسلهم هيرود. وأعد آيليوس جاللوس فى ميناء كليوباتريس

السيره ويحسن السريره ويجعل الخير دأبه المعهود والاجر غرضه المقصود. فالظلم يزل القدم ويجلب النقم ويزيل النعم ويهلك الامم، والعجول مخطى وان ملك، والمتأنى مصيب وان هلك. من استبد برأيه وقع فى شرك اعداه. من ركب العجل ادرك الزلل. من فعل ما شا [ء] لقى ما سا [ء]. زوال الدول من اصطناع السفل. من استعان بذوى العقول ادرك المأمول. من استشار ذوى الالباب سلك الصواب. حسن السياسه نور الرياسه. سو

(أرسينوى) ـ قرب السويس الحالية ـ أسطولاً من ثمانين سفينة ومائة وثلاثين حاملة للجنود. وأقلعت الحملة من هذا الميناء فى عام ٢٥ ق.م. واتجهت إلى ليوكى كومى Leukê Komê (الحوراء)، وهو ميناء نبطى على الساحل الشرقى للبحر الأحمر. وليس من المعروف لماذا نقل جاللوس قواته إلى مكان يبعد عن هدفه (أرض سبأ) بمسافة لا تقل عن ٩٠٠ ميل بدلاً من أن يحشدها فى ميناء جنوبى مثل برنيقى (مدينة الهرّاس) وينقلها بعدئذ عبر البحر إلى الساحل العربى تحت حراسة أسطول صغير بينما تحمى سفنه الحربية مواصلاته مع الساحل المصرى. وقد بلغت الحملة ليوكى كومى بعد خمسة عشر يوماً تكبدت أثناءها خسائر جسيمة فى الأرواح والسفن. فإلى جانب أن أسطوله الكبير كان عديم الجدوى ضد قوم لا يملكون أى سفن حربية، لم يقدر جاللوس خطر الشعاب المرجانية المنبثة قرب ساحل خليج السويس ولا الجزر الصخرية المتناثرة فى البحر الأحمر أو المياه الضحلة عند الشواطىء التى لا تصلح لرسو ناقلاته. ولم يكد يستقر فى ذلك الميناء حتى فتكت الأمراض الناجمة عن سوء التغذية وقلة المؤونة والقيظ والإعياء بعدد كبير من جنوده. واضطر إلى أن يقضى فيه بقية الصيف الحار والشتاء التالى كله ولم يتابع زحفه إلا فى ربيع عام ٢٤ ق.م. وبلغ نجران بعد حوالى خمسين يوماً عانى فيها مشاقاً جمة بسبب جهله بحرب الصحراء. ثم تقدم نحو ماريبا Mariba (مأرب؟)، وحاصرها ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها. وأخيراً نفد الماء فرفع عنها الحصار

التدبير سبب التدمير. اصطناع الجاهل اقبح رذيله واصطناع العاقل احسن فضيله، لان اصطناع العاقل يدل على استحكام العقل واصطناع الجاهل يدل على استحكام الجهل. وكل امر [ء] يميل الى مثله، وكل طير ياوى مع شكله. اعلم بأن سبب هلاك الملوك اطراح ذوى الفضايل واصطناع ذوى الرذايل والاستخفاف بنصح الناصح و الاغترار بتزكيه المادح.

والله الموفق للصواب بجوده وقدرته وعظمته انه على ما شا[ء] قدير له المجد دايما.

وانسحب نهائياً من تلك البلاد. وقد عاد فى هذه المرة عن طريق ميناء غار (ميناء المدينة) وركب البحر إلى ميوس هرموس (أبو شعر القبلى) واجتاز الصحراء الشرقية وبلغ قفط، ومنها سار إلى الدلتا والإسكندرية. ومع أن هذه الحملة أخفقت من الناحية العسكرية إلا أنها حققت جانباً من الهدف الاقتصادى المنشود منها. فقد بدأت هذه المنطقة تستشعر قوة الرومان وتحوّل جانب من تجارة الشرق من ميناء ليوكى كومى النبطى إلى ميناء ميوس هرموس المصرى، كما أتيحت للتجار الرومان فرصة استخدام موان جيدة وهم فى طريقهم من مصر إلى موانى الهند. ولم يتخل خلفاء أغسطس عن سياسة الاهتمام بطريق التجارة فى البحر الأحمر، وسرعان ما انتزعوا السيطرة من القبائل العربية. ويحدثنا مؤلف «دليل الملاحة فى البحر الأحمر» Periplus maris Erythraei ـ وهو كتاب من القرن الأول الميلادى يصف للملاحين والتجار الطرق الساحلية من مصر إلى الهند ـ بأن ملوك سبأ وحمير صاروا أصدقاء للأباطرة. ولم تلبث أدانا Adana (عدن) ـ وهى مركز هام للتجارة العابرة (الترانزيت) ـ أن وقعت تحت سيطرة الرومان، وإن كان تاريخ ذلك لا يزال موضع خلاف.

وقد انتهز الأثيوبيون (النوبيون) فرصة غياب جانب كبير من القوات الرومانية فى الحملة على بلاد العرب ونقضوا اتفاقهم مع كورنيليوس جاللوس وأغاروا تحت قيادة الملكة كنداكى (Kandakê) على المراكز العسكرية الرومانية فى جنوب الوادى وتغلبوا على الحامية

(مقدمة المؤلف)

[قال المصنف لهذه السيره ساويرس ابن المقفع الجامع]

لما علمت انا البايس الخاطى الغارق فى بحار اثامه النادم المفنى باخطايا ايامه المتأسف على تفريطه وتضييع شهور عمره واعوامه بالامل والتسويف المفسدين لدينه وقوامه.

وتحققت ما انعم به السيد المسيح المخلص، [لذكره السجود على جميع بنى المعموديه] الذى اشتراهم بدمه العظيم، ومعطى سلطانه وموهبة

المؤلفة من ثلاث كتائب ونهبوا جزيرتى فيله والفانتين وأسوان ثم حملوا معهم تماثيل أغسطس وأسروا بعض الأهالى. وقد أزعجت هذه الغارات السلطات الرومانية فى مصر فزحف جايوس بترونيوس (G. Petronius)، ثالث الولاة (٢٤ ـ ٢١ ق.م.)، صوب الجنوب على رأس قوة كبيرة قولها ١٠,٠٠٠ جندى من المشاة و ٨٠٠ فارس ليصد هجمات النوبيين ويكبح جماحهم. وقد ردهم على أعقابهم وتعقب فلولهم ودحرهم عند بسلكيس (الدكه)، وتابع زحفه واستولى على حصن بريميس Primis (قصر إبريم). وتوغل جنوباً حتى بلغ نباته Napata (جبل برقل)، العاصمة الشمالية للنوبيين على مقربة من الشلال الرابع فسقطت فى يده. وعندئذ أرسلت إليه كنداكى التى اعتصمت بمكان قريب تطلب المفاوضة. ورأى بترونيوس أن من الحكمة ألا يتوغل أبعد من ذلك فى منطقة وعرة مجهولة فاكتفى بأن استرد من النوبيين الأسرى الذين اختطفوهم من منطقة أسوان وكذلك تماثيل أغسطس. وعاد أدراجه شمالا إلى بريميس التى حصنها وترك بها حامية من أربعمائة جندى وزودها بمئونة عامين. ومن ضآلة الحامية يتبين أن بترونيوس لم يعتزم احتلال المنطقة إلا بصفة مؤقتة. وبعدئذ قفل راجعاً إلى الإسكندرية. ولم تمض سنتان حتى عاد النوبيون إلى مهاجمة الحامية الرومانية المرابطة وراء الحدود. واضطر بترونيوس إلى العودة على رأس قوات جديدة استطاع أن ينتزع بها قلعة بريميس من أيدى النوبيين ويعزز حصونها. وفى قصاصة بردية من مجموعة ميلان إشارة عابرة إلى هذه الحملة التى قام بها بترونيوس ضد الأثيوبيين. ولا تذكر البردية اسم الوالى بل تذكر

روح قدسه لتلاميذه واتباعه الاثنى عشر، والسبعين المنتخبين(*)، ومن يتبعهم متل بولس معلم البيعه الذى خصه الله بدعوته لعلمه بقوه ايمانه وغيرته، ومن اصطفاه لكرسى شهيده وتلميذه المبشر بانجيله ورسوله الى خلقه وشعوبه.

اول بطاركه اقليم مصر والخمس مدن وهى برقه وفزان والقيروان وطرابلس الغرب وافريقيه والحبشه والنوبه كل هذه وقعت فى كرازته بأمر روح القدس. وكانت شهادته بعد كرازته باسم

(*) الاتباع الاثنى عشر: هم الاثنى عشرة رسولاً: (١) بطرس. (٢) اندراوس، كان أخاً لبطرس. (٣) يعقوب، كان أخاً ليوحنا. (٤)يوحنا. (٥) فيلبس. (٦) برتولماوس، ناثان إيل. (٧) متى، لاوى بن حلفا. (٨) توما. (٩) يعقوب بنى حلفا، وهو ابن خالة المسيح وأخو يهوذا. (١٠) سمعان. (١١) يهوذا. (١٢) متياس، أحصى مع الرسل بدل يهوذا الذى شنق نفسه بعد خيانته للمسيح.

فقط اسم ضابطين من مساعديه، أحدهما روفوس قائد المشاة، والآخر تروجوس قائد الفرسان. وعندئذ كفت كنداكى عن القتال وجنحت للسلم وطلبت الصلح، فأحال بترونيوس الوفد النوبى على الإمبراطور الذى كان يقيم وقتئذ بجزيرة ساموس (شتاء عام ٢١ ـ ٢٠ ق.م.). وقد نص الصلح الذى عقد بين الطرفين على إعفاء النوبيين من دفع الجزية، واحتلال الرومان دوديكاسخوينوس (Dôdekaschoinos)، وهى المنطقة الممتدة بين سوينى (أسوان وهيراسيكامينوس Hierasykaminos (المحرّقة). وقد ألحقها الرومان بإقليم إلفانتين الذى يقع فى أقصى جنوب مصر، وأنشأوا فيها بضعة مراكز عسكرية لا تزال آثارها تشاهد حتى اليوم فى بسلكيس pselkis (الدكه) وتالميس Talmis (كلابشة) وترتزيس Tzitzis (كرتاسى) وبارمبولى Parembolê (دبود). وبفضل هذه الاستحكامات القوية، وولاء كهنة الربة إيزيس فى جزيرة فيله، التى اعتبرت المنطقة المفتوحة من أملاكها الخاصة، استقر السلام فترة طويلة فى الجزء الشمالى من النوبة. وفى نقش يونانى من الدكة يرجع إلى عام ١٣ ق.م، نجد بعض السفراء النوبيين ممن يحملون أسماء يونانية يؤدون ـ بعد عودتهم (من عند أغسطس؟) إلى الملكة كنداكى ـ فرائض العبادة لأحد الآلهة المحلية. وبغض النظر عن الحملة التى أزمع الإمبراطور نيرون القيام بها فى النوبة، فإننا لا نسمع أن هذه البلاد عادت إلى شهر السلاح فى وجه الرومان قبل منتصف القرن الثالث الميلادى.

السيد المسيح فى مدينة اسكندريه على ما شهدت به سيرته. وورثوا ابهاتنا البطاركه تعاليمه المخلصه للنفوس من الجحيم وجلسو على كرسيه واحد بعد واحد خلف بعد سلف [فكلهم خلفاه الناقلون عنه ورعاة رعيته ومقتدون بايمانه فى المسيح]، مارى مرقس الانجيلى الطاهر والناظر وجهه. ومن بعده من خلفاه البطاركه واردة معرفة سيرهم واسماهم وتقلبهم كل منهم فى عصره وزمانه وما لقيه من التعب والنصب والجهاد على

خريطة قديمة لمدينة الاسكندرية بأسوارها. تظهر بها أفرع القنوات التى كانت تربطها بالنيل. لاحظ أن الخريطة رسمت مقلوبة كما كانت عادة رسامى خرائط ذلك العصر بحيث صار الشمال لأسفل والجنوب لأعلى.

اسم سيده ومسيحه، وحفظ رعيته وقتا بعد وقت وزمانا بعد زمان.

وانا ممن لا يجب له ان يكتب بخط يده الباليه الفانيه شيا من اخبارهم فاستعنت بمن اعلم استحقاقهم من الاخوة المسيحين وسألتهم مساعدتى على نقل ما وجدناه منها بالقلم القبطى الى القلم العربى الذى هو اليوم معروف عند اهل هذا الزمان باقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى(*) من اكثرهم ليكتفى بذلك عند وقوفه عليه.

(*) المقصود بعدم اللسان القبطى هنا أختفاءه من الدواوين وليس بين الشعب المصرى.

وفيما عدا التعديلات التى أدخلها أغسطس على نظام الإدارة البطلمية، والإصلاحات العاجلة التى قام بها لتحسين الزراعة وتنمية التجارة كتطهير القنوات وشق الترع وبناء صهاريج المياه على الطرق الصحراوية بين قفط وميوس هرموس مما أدى إلى انتعاش الحالة الاقتصادية فى البلاد بوجه عام، لم تقع أى أحداث هامة تمس علاقة مصر بالإمبراطورية. وليس أدل على هدوء الأحوال واستتباب الأمن من أن تيبريوس (Tiberius) الذى خلف أغسطس على عرش الإمبراطورية (١٤م ـ ٣٧م) سحب من مصر إحدى الفرق العسكرية الثلاث حوالى عام ٢٣، هذا إذا لم تكن قد سحبت من قبل فى عام ٧م أثناء عصر أغسطس. وقد اشتهر هذا العاهل بحزمه مع مرءوسيه وحرصه على إنصاف رعاياه فلم يتوان عن حمايتهم من تعسف الولاة وابتزازهم حتى لا تنشب اضطرابات تعكر صفو السلم. وعندما أرسل إليه أحد ولاة مصر الجزية السنوية زائدة عن القيمة المقدرة، لفت نظره قائلاً إنه إنما أوفده إلى مصر ليجز وَبرها لا ليسلخ فراءها[١]. ولعل ذلك يفسر لماذا بدأ فى عهده يستبدل بنظام التزام الضرائب المباشرة نظام

(١) الترجمة الحرفية للفقرة اليونانية كما وردت عند المؤرخ ديون كاسيوس (LVII,10,5) هى: «أريد أن يُقص وبر أغنامى لا أن يجز كله جزا». غير أن الترجمة الواردة أعلاه أدل على المعنى المقصود ويعتمدها القاموس اليونانى ـ الانجليزى: والكلام موجه إلى آيميلوس ركتوس (Aemilius Rectus). الذى لم يكن والياً على مصر إلا فى عصير كلوديوس. ولعل المؤرخ يقصد بتيبريوس الإمبراطور «تيبريوس كلوديوس قيصر» غير أن الأستاذ شتاين لا يستبعد أن ايميليوس ركتوس كان والياً فى السنة الأولى من حكم=

وابتهلت الى واهب كل عتى المنطق، ومفوه كل بليد، وداعى المثقلين بالاوزار مثلى كالقول الانجيلى القايل من فمه المقدس: تعالو الى ايها المتعوبون الحاملو الاثقال لاريحكم وتعلمو منى فانى ساكن متواضع القلب لتجدو راحه لانفسكم، واحملو نيرى خفيف. ومحملى طيب ان يسامحنى بزللى واقدامى على ما يضاهى افعالى الدميمه واثامى وخطاياى العميمة. واستنسخت ما لم اعلمه من الاوايل حسبما تضمنته قوانين البيعه

جبايتها على يد محصلين من قبل السلطة العامة (Praktores) . غير أن عهده شهد أيضاً بداية نظام الخدمات الإلزامية (leitourgiai)، ذلك النظام الذى أرهق الأهالى إرهاقاً شديداً وعاد تطبيقه بأوخم العواقب على اقتصاديات البلاد.

٣. زيارة جرمانيكوس:

وينبغى أن نذكر هنا حادثة زيارة جرمانيكوس لمصر. كان جرمانيكوس ابناً لدروسوس، شقيق تيبريوس[(١)]. وبعد موت أبيه فى عام ٩ .قم. تبناه عمه فى سنة ٤م تلبية لرغبة أغسطس. فلما اعتلى تيبريوس العرش فى عام ١٤م أصبح جرمانيوس بمثابة ولى للعهد. وبينما كان الإمبراطور رجلا مسناً عبوساً مقتراً سيء الظن بالناس، كان جرمانيكوس شابا بشوشاً كريماً لطيف المعشر محبوباً من الجماهير. وكان قد قمع حركة تمرد بين صفوف الجيش الرومانى المرابط على الرين واسترد ولاءه ثم قاد هذا الجيش، دون استئذان الإمبراطور، عبر النهر حيث

= تيبريوس (١٤م)، وأن الوالى الذى حكم مصر فى عصر كلوديوس، ويرد اسمه فى وثائق كثيرة، هو ابن الأول.

(١) كان دروسوس وتيبريوس ابنى ليفيا زوجة أكتافيانوس (أغسطس) بعد طلاقها من تيبريوس كلوديوس نيرون. وقد خلع عليه السناتو بعد وفاته فى عام ٩ ق.م. وعلى ذريته لقب جرمانيكوس أى قاهر ألمانيا لانتصاراته فى أراضى الرين. وجرمانيكوس الذى نروى قصته أعلاه هو والد كاليجولا الذى اعتلى العرش بعد تيبريوس (٣٧ ـ ٤١م.) وشقيق كلوديوس الذى اعتلى العرش بعد كاليجولا (٤١ ـ ٥٤م.).

على مـا يأتى به الشـرح ومـا نادت بهـالاحـاديث والاخبار،واضفت الى ذلك ما عرفته من سير من شـاهدته من الابا [ء] البطاركـه. وسـألتـه،جلت قدرته، ان يغفر لى مـا جا[ء] فيه من زايد لفظ او تحسين كـلام، ومـا نسبتـه الى نفسى الخـاطيه من تسطير خبر من لا استحق ان اكون اقل تلاميذه، واشرحه من فضايل رهبان) قديسين مو(ء) يدين بنعمـة روح القدس بالمشاهده، ونقل الاخبـار. وانا اضع مطانوات (*) عده لمن قرا ما كتبته ان يستغفر

(*) مطـــاونات: دعـــوات واسترحامات.

أنزل بالجرمان ثلاث هزائم، ولكنه لم يستطع إخضاعهم إخضـاعاً هاماً، بل إن جيشـه منى بخسائر فادحة وكاد مرة أن يقع كله فى كمين نصبه الأعداء (١٤ ـ ١٧م). ورأى تيبريوس ألا يطيل أمد الحرب فاستدعى ابن أخيه إلى روما، إما لعدم ثقته فى كفايته أو قلقه من طموحه أو غيرته منه، ولعله تذرع بالحاجة إليه فى ميدان آخر. فقد حدث أن اضطربت أحوال بعض الولايات الشرقية بآسيا الصغرى وبخاصة فى أرمينيا. ولما كانت مهمة تنظيم شئون كل هذه الولايات مهمة غير عادية، فقد آثر تيبريوس أن يعهد بها إلى أمير من الأسرة المالكة. وحار الإمبراطور لأنه لم يكن فى وسعه أن يتجاهل جرمانيكوس الذى عاد من الرين على مضض منه. ولم يلبث السناتو أن منح الأمير سلطة بروقنصلية استثنائية (imperium Proconsulare maius) أكبر من سلطة حكام الولايات الشرقية المحتاجة إلى التنظيم. وصادق الإمبراطور على قرار السناتور وإن لم يكن فى قرارة نفسه واثقاً فى مقدرة جرمانيكوس أو مطمئناً إلى سلوكه.

ورحل جرمانيكوس إلى الشرق فى رفقة رهط من كبار العسكريين والأدباء، ومر فى طريقه ببلاد اليونان وآسيا الصغرى حيث زار أماكن تاريخية شهيرة. وكان يقابل أينما حل بحفاوة منقطعة النظير. فقد نظمت المدن مواكب فاخرة ترحيباً به، واعتبرت يوم ميلاده عيداً قومياً وخلعت عليه ألقاباً إلاهية وشبه إلاهية كالظاهر والمنقذ والخير، وشيدت له تماثيل تكاد لا يحصرها العد، وسكت نقوداً تحمل اسمه، وهو عمل فيه افتئات على حق الإمبراطور. وبعدئذ

لى فيما اقدم عليه ونسبت اليه، ويدعو لى بالعفو والمسامحه والغفران بشفاعة سيدة الاولين والاخرين المختاره كرسى رب العالمين [مريم العدرا]، والملايكه المقربين والطغمات الروحانيات، والانبيا الصديقين المويدين، والرسل الاطهار المنتخبين، والشهدا المجاهدين الابا القديسين، والابرار والشيوخ الصالحين وكلمن ارضاه بعمله من ذرية ادم امين.

اللهم انى اسيلك ان تفتح عينى قلبى وبصرى

شرع جرمانيكوس ينظم شئون بعض هذه الولايات الشرقية مستعيناً بمساعديه فى تنظيم بعضها الآخر. وأرهق نفسه بالعمل فشعر بالحاجة إلى الاستجمام. وخطر له أن يزور مصر فرحل إليها فى أول عام ١٩ لمشاهدة آثارها على نحو ما يفعل السواح فى وقتنا الحاضر. غير أن الحجة التى ساقها جرمانيكوس لتبرير زيارته هو اهتمامه الشديد بأمر الولاية أو رغبته فى تخليصها من أزمة اقتصادية ألمت بها بسبب القحط. لقد كانت خطوة جريئة تتفق وما نعرفه عن استهتار جرمانيكوس وتكشف عن استخفافه بالجالس على العرش. وفيما يلى ما ذكره المؤرخ تاكيتوس عن هذه الرحلة [١].

٥٩ـ « فى أثناء قنصلية ماركوس سيلانوس ولوكيوس نوربانوس ذهب جرمانيكوس إلى مصر للتعرف على تاريخها القديم، غير أنه تذرع بحجة الاهتمام بالولاية، وقد خفض الاسعار بأن فتح صوامع الغلال واصطنع أشياء كثيرة محببة إلى قلب الجمهور. فقد مشى دون حرس وانتعل صندلا وارتدى زيا كزى الاغريق مجاراة لبوبليوس سكيبيو الذى سمعنا أنه اعتاد أن يفعل عين الأشياء فى صقلية مع أن الحرب البونية كانت ما تزال مشتعلة» وقد انتقد تبيريوس (ارتداءه) الزى (الاغريقى) ومسلكه انتقادا هينا ولكنه وبخه توبيخا لاذعا لانه دخل الاسكندرية دون ارادة الامبراطور متخطيا قواعد أغسطس. ذلك أن أغسطس من بين الأسرار

(1) Tacitus, Ann II, 59 - 61 (O.C. T. by CD. Fisher).

لافهم كلامك وسمعى لا سمع واعمل ما ينبغى
وانعم على ان لا تواخذنى عليه وتسامحنى وتغفر
لى هفوة انبساطى اليه واحسن قايلا واثقا. بعفو
الله تعالى.

الأخرى الخاصة بتوطيد سيادته، قد عزل مصر مانعا أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان الرومان اللامعين من دخولها الا باذن مخافة أن يصيب ايطاليا بمجاعة أى شخص قد يحتل تلك الولاية ونقطتى الدفاع عنها من البر والبحر، ولو بحامية بسيطة ضد جيوش ضخمة.

٦٠ـ غير أن جرمانيكوس الذى لم يكن قد بلغه بعد أن رحلته تلك كانت موضع الهجوم، صعد فى النيل (الى مصر العليا) بادئا من كانوب[١]، وهى بلدة أسسها الاسبرطيون تخليداً لذكرى كانوبوس، ربان السفينة الذى دفن هناك عندما هبت عاصفة أثناء عودة مينيلاوس الى بلاد اليونان[٢]، فجعلته ينحرف الى عرض البحر ثم قذفت به على ساحل ليبيا (أفريقيا)، ومن هناك زار مصب النيل التالى، وهو موقوف على عبادة هرقل[٣].

... وبعدئذ زار الاثار العظيمة فى طيبة القديمة[٤]، وكانت لا تزال باقية على الصروح الضخمة كتابات مصرية[٥] تشرح قصة البذخ الغابر..

---

(١) كوم سمعدى جنوبى أبى قير.

(٢) أى عودته من الحملة على طروادة. ومينيلاوس هو أمير اسبرطه وشقيق أجاممنون وزوج هلينى التى أغواها باريس بن بريامـوس ملك طرواده وفرت معه فثارت من أجل ذلك الحرب الطروادية موضوع إلياذة هوميروس.

(٣) عن هرقل الذى يقارنه الأستاذ بروجش بخونسو ـ نفر حتب، إله القمر وأحياناً إله الشمس فى طيبة، أنظر: Herodotus II. 43 ff.

(٤) الأقصر والكرنك ومدينة حابو.

(٥) أى نقوش هيروغليفية.

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

عظيم هو الرب ومسبح جداً، وعظيمه اعماله لا تفحص اسراره ولا حكمته ولا يقدر بشرى على ادراك شى من اموره العاليه عن افهام الفهما والفقها، وبالمسأله ضارعين قايلين: اللهم الذى خلقتنا ورزقتنا وامرتنا ونهيتنا وخوفتنا بالعقاب على ما نهيتنا عنه، وارشدتنا الى نجاة انفسنا والطرق الصالحه، فهفونا بارائنا وتمردنا باختيارنا. فنضرع اليك يا ذا الطول والاحسان والقدره والامتنان

٦١ـ غير أن عجائب أخرى استرعت كذلك انتباه جرمانيكوس وعلى الأخص تمثال ممنون الحجرى الذى يرجع نغما موسيقيا عندما تمسه أشعة الشمس(١)، والاهرام التى شادها ملوك

(١) ممنون فى الأساطير اليونانية هو ابن ربة الفجر أيوس (Eos) من تيثونوس (Tithonos) الذى عاشرها متقمصاً شكل الفراشة. وقد وفد إلى طرواده من إثيوبيا، بلاد الشمس الشرقية، لمساعدة أسرة أبيه ولكنه هلك على يد أخيليوس (أخيل)، وهى حادثة مفجعة من أساطير البطولة أثارت لوعة ربة الفجر وأغرقها فى حزن عميق. وقد أطلق اليونان اسمه على تمثالى أمنحتب (أمينوفيس) الثالث وزوجته تى (حوالى ١٤٥٠ . ق.م.) فى مدينة حابو. وأول من وصف ظاهرة النغم الصادر من هذين التمثالين هو استرابون (XVII, 1, 46) الذى زار طيبة فى رفقة صديقه آيليوس جاللوس والى مصر فى عام ٢٥ ق. م. وسمع استرابون صفيراً خافتاً فى الساعة الواحدة (بعد شروق الشمس، أى الساعة ٨,١٥ إذا كان الوقت شتاء، ٥,٤٠ إذا كان الوقت صيفا)، ولكنه لم يستطع أن يجزم إن كان الصوت قد صدر من القاعدة أم من التمثال أم من أحد الواقفين قرب القاعدة. ويضيف أنه ربما صدر من الحجارة المصفوفة على هذا النحو. وعن تمثالى ممنون أنظر أيضاً جوڤينال (Sat.XV, 5-6). ومن بين الشخصيات الرومانية التى زارت هذا المكان فونيسولانا ڤيتولا زوجة الوالى تتيوس أفريكانوس فى يوم ١٢ فبراير عام ٨١ وسمعت الصوت (للمرة الثالثة!) فى الساعة الواحدة والنصف أى الساعة ٨,٤٥ صباحا = I.L.S. 8759 C) (Barrow, Selection of Latin Insctiptions, No. 152 كما زاره أيضاً الإمبراطور هدريان فى نوفمبر عام ١٣٠م. مع رجال حاشيته وسجلت بالبيلا، إحدى الوصفيات، بعض الأشعار (epigrammata) على أحد التمثالين: (C.I.G.III. 4725, 4727, 4729-4731). وعندما جاء الإمبراطور سبتميوس سڤيروس إلى مصر فى آخر عام ١٩٩م زار طيبة فى عام ٢٠٠ وأمر بترميم التمثال المتصدع فلم يصدر عنه صوت منذ ذلك الحين.

الغافر لكل من اقبل اليه بنية صادقه ان تنعم علينا
وان تكون لنا ابتدا [ء] وعونا و تماما فى الطريق
التى نسلك اليك فيها، وان تفتح عيون قلوبنا
المظلمه وافكارنا المدلهمه لنحفظ ونعمل بما نقراه
فى كتبك المقدسه، واخبار من احببته واصطفيته
من اوليا[ء]ك ومن انتخبته، المجاهدين القاهرين
شهواتهم الرافضين العالم لمحبتهم فيك وسماعهم
وصاياك واوامرك. وتنعم علينا بخاتمة خير ليكون
خروجنا من هذا العالم بخروج من اصطفيته،
مخلصين من الخطايا والذنوب التى لا يسلم منها

متنافسون بثرائهم فى ضخامة الجبال وسط رمال متناثرة من العسير اجتيازها، والبحيرة التى حفرت فى الارض لتخزن ماء فيضان النيل[1]، وفى مكان آخر خوانق ضيقة وأعماق شديدة لاتستطيع أن تسبر غورها مسابر المستكشفين. وبعدئذ وصل إلى الفانتين وأسوان، وهما حصنا الدفاع قديما عن حدود الامبراطورية، التى امتدت الآن الى البحر الأحمر[2].

يتضح من هذا النص الهام أن القواعد التى وضعها أغسطس محرماً بها على أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان اللامعين دخول مصر إلا بإذن صريح من الإمبراطور، كانت تنطبق أيضاً على أعضاء الأسرة المالكة. وفى الحق أن جرمانيكوس بوصفه پروقنصلاً (نائب قنصل) كان فى عداد هيئة السناتو إن لم يكن بحكم مركزه عضواً فى ذلك المجلس. وعلى أى حال فالنص دليل واضح على مدى حرص الأباطرة على تأمين مصر من أطماع الشخصيات الكبيرة حتى ولو كانت من أمراء أسرته. ولا ندرى كيف اجترأ جرمانيكوس على اتخاذ مثل هذه الخطوة. لعله اعتقد أن «سلطته البروقنصلية الكبرى» تخوله ـ مثلما خولت لجايوس قيصر من قبله[3] ـ حق دخول مصر دون استئذان الإمبراطور، أو لعله لم يفكر فى الأمر

(١) المقصود هنا بحيرة موريس، المعروفة الآن ببركة قارون بالفيوم.

(٢) المقصود بالبحر الأحمر، بحر العرب الذى امتدت حدود الامبراطورية إليه بعد فتوحات تراچان فى عام ١١٦/١١٥م.

(٣) جايوس قيصر (c.Caesar) أكبر أبناء چوليا، بنت أغسطس، من أجريبا، أخلص مساعديه. ولد فى=

بشر. ولكى نخلص من المقام المفزع المرهوب اذ
انعمت علينا وعتقتنا من سلطان ابليس ومن
عبودية الخطيه، وتنعم علينا بحكمه روحانيه ندوس
بها الشهوات العالميه [الدنيوية] مع العمل بحفظ
وصاياك والخروج من هذه الدنيا الزايله بزاد الحياه
المؤبده، وبجواب مقبول امام منبرك الهايل
المرهوب، واجعل سعينا فيما انعمت به علينا ايام
مقامنا فى هذا العالم فيما يرضيك وفى طاعتك
واتباع شريعتك المهديه المحيه، واهدنا الى سيرتك

إطلاقا. ومن العسير أن نعرف الباعث الحقيقى على تلك الزيارة التى أثارت قلق تيبريوس، وإن كنا نستبعد أنها كانت تخفى ورائها أى هدف سياسى.

وقد شاء القدر أن تصلنا بردية يونانية تحتوى على منشورين أصدرهما هذا الأمير أثناء إقامته فى مصر. ويثير ذلك السؤال التالى: هل كان من حق جرمانيكوس أن يصدر منشورات فى مصر مع وجود الوالى الشرعى، نائب الامبراطور؟ من الواضح من رواية تاكيتوس أنه لم يكن يجوز له أن يدخل مصر دون تصريح، ومن باب أولى أنه لم يكن يجوز له أن يصدر فيها أى منشورات أو أن يأمر بفتح صوامع الغلال، حتى ولو لم تكن هذه صوامع القمح المعد

= عام ٢٠ ق.م. وتبناه أغسطس فى عام ١٧ ق.م. وعين عضواً فى مجلس الشيوخ عام ٥ ق. م. وهو فى سن الخامسة عشرة ونادى به الفرسان زعيما للشباب (Princeps Iuventutis)، وكان أغسطس ينتوى أن يستخلفه. وعندما طرد سكان أرمينيا بتحريض البارثين الملك الموالى لروما قبيل عام ١ ق. م. أوفد أغسطس جايوس قيصر إلى أرمينيا لاسترجاع النفوذ الرومانى وزوده بسلطة بروقنصلية (imperium proconsulare) أعلى من سلطة حكام الولايات الشرقية. وفى طريقه إلى الشرق زار جايوس قيصر جزيرة سلموس ومنها عرج على مصر ربما ليقف بنفسه على أحوال تلك الولاية ذات الأهمية الاقتصادية الحيوية، وإن قيل إنه زارها ليبدأ الاستعدادات لحملة جديدة على اليمن عوضاً عن حملة جاللوس الفاشلة، أو ـ فى أغلب الظن ـ على بلاد العرب البتراء. ومن مصر أبحر إلى سوريا حيث بلغه نبأ اختياره قنصلا لعام ١ م. وقد مات متأثراً بجراح أصابته فى إحدى معارك تومينيا أثناء عودته إلى إيطاليا فى ٢١ فبراير من عام ٤ م. بإقليم ليكيا. وقد حزن أغسطس عليه أشد الحزن وبخاصة أن أخاه لوكيوس قيصر الذى كان يصغره بثلاث سنوات لقى حتفه هو الآخر قبل ذلك بعامين فى ٢ م.

المهديه لتساق عقولنا الى ملكوتك، وتكون اعمالنا محققه لتعاليم انجيلك المقدس.

انت قلت يا رب: سلو تعطو اطلبو تجدو اقرعو يفتح لكم، وانا اطلب اليك، ثقه بقولك من غير عمل عملته يرضيك و لا لى حسنات قدمتها اليك بل لاجل اسمك المسمى علينا كما قال داود المغبوط فى مزمور: ليس لنا يا رب ليس لنا لكن لا سمك اعط المجد على رحمتك وحقك لئلا تقول الامم اين الاههم، والاهنا فى السما والارض

للتصدير إلى روما. لقد افتأت جرمانيكوس على حق الوالى لأن سلطته البروقنصلية التى خولت له فى بعض الولايات لم تكن تسرى فى مصر. غير أن جرمانيكوس، وقد اعتقد أن مصر تدخل فى نطاق هذه الولايات، اعتقد بداهة أن سلطته ـ وهى سلطة أكبر (maius) من سلطة حكام الولايات ـ تجعله فى مركز أعلى من الوالى. ومن ثم لم يعترف بسلطة الوالى ولم يستعن به. ولو أنه فعل ذلك لكان فى هذا اعتراف رسمى منه بعدم دستورية وضعه فى مصر. وفى رأى أحد الباحثين أن جرمانيكوس لم يدخل مصر بمقتضى سلطته الاستثنائية، بل دخلها وتصرف فيها على هذا النحو بوصفه ولياً للعهد، أى بوصفه ابناً للامبراطور الذى كان بمثابة أحد الفراعنة. وأياً كان الأمر فإن لهجة المنشورين توحى بأن جرمانيكوس أضطر إلى إصدارهما، فقد أصدر الأول ليكبح جماح موظفى السلطة المحلية وأفراد حاشيته الذين استغلوا تعلق الناس به ففرضوا عليهم تقديم مختلف التبرعات والخدمات إرضاء للأمير وحرصاً على راحته، وأصدر الثانى ليناشد الأهالى عدم المغالاة فى الترحيب به والكف عن مناداته بالقاب لا تليق إلا بالجالس على العرش. يقول جرمانيكوس فى المنشور الأول: «جرمانيكوس قيصر بن أغسطس حفيد أغسطس المؤله[1] نائب القنصل، يعلن: (بلغنى انه بمناسبة زيارتى) قد أكره

---

(١) المقصود بابن أغسطس، بن تيبريوس (بالتبنى) الذى حمل كسائر الأباطرة من بعده لقب أغسطس. ومعنى حفيد أغسطس المؤله، أى حفيد أكتافيانوس (أغسطس) الذى كان أبا (بالتبنى) لتيبريوس نفسه، ابن زوجته.

كلما شا [ء] فعل. يا رب نجنا وخلصنا وكن لنا
في دنيانا هذه حافظا ومسلما في جميع امورنا
صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها، وترأف يا رحوم
وانعم يا ر[ء]وف بهدايتنا الى ما يرضيك وابعادنا
مما يسخطك. فانت قلت يارب: ارجعو الى فاغفر
لكم ولو كانت ذنوبكم عدد رمل البحر ونجوم
السما. فتمم وعدك لنا نحن الخطاه، ولا تلتمس
منا توبه ولا عملا بل برأفتك ورحمتك واحسانك
انعم بالمعونه على طلب عبدك الخاطى الغافل عن
وصاياك من كتب هذه السير الجليله مبتديا قايلا:

الناس على تقديم مراكب ودواب وان منازل للضيافة قد أخذت بالقوة للاقامة وأن وسائل الارهاب قد استعملت مع الافراد. لذلك رأيت من الضرورى أن أعلن أننى لا أريد أن يستولى أحد على مركب أو دابة الا بأمر بابيبوس صديقي وأميني: ولا ان تغتصب منازل للضيافة. فان تكن هناك حاجة، فان بابيبوس نفسه سيوزع منازل الضيافة بالعدل والقسطاس. وبالنسبة لما يلزمنا من المراكب أو الدواب فانى آمر بدفع الاجور وفقا للجدول الذى قدمته. وانى لارغب فى احضار المخالفين إلى أمينى الذى سيتولى هو نفسه منع الظلم عن الافراد أو يبلغنى الأمر. وامنع من يلتقون بالدواب أثناء مرورها بالمدينة من اغتصابها بالقوة، لان ذلك عمل من أعمال اللصوصية الفاضحة».

ومع هذا كله نجد السلطات فى طيبة التى يبدو أن هذا المنشور لم يبلغها إلا فى وقت متأخر، تلزم مزارعاً بتقديم مقدار من القمح بمناسبة زيارة جرمانيكوس. فلما عجز عن ذلك ألزمته فى ٢٥ يناير عام ١٩ بتقديم ما يعادل قيمته نقداً. وأما فى المنشور الثانى فيقول جرمانيكوس بعد الديباجة.

«اننى أرحب بالشعور الطيب الذى تبدونه دائما نحوى كلما رايتمونى. غير اننى أستنكر استنكارا تاما مناداتكم اياى بألقاب تثير على البغضاء لانها كالقاب الآلهة، ولا تليق الا بأبى المنقذ الحقيقي للجنس البشرى كافة ومسدى الخير له، وبأمه التى هى جدتى، فكل ما نملك لا

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

نبتدى بعون الله وحسن توفيقه بكتب سير البيعه المقدسه. قال المصنف فيما صنفته انا الخاطى جمعته من دير القديس ابى مقار وديارات الصعيد وتولى نقل بعضه الشماس الدين ميخايل ابن بدير من لغة القبطى الى العربى مما ياتى ذكره فى موضعه سوى ما كان فى المدينة العظمى [اسكندريه] وما وجد منها مختصرا من سير الاول منها، المسيح عونى ورجائى وناصرى وخلاصى.

يعدو أن يكون أثرا من آثار ألوهيتهما، وإذا لم تمتثلوا لامرى فسوف ترغموننى على ان لا أظهر بينكم كثيرا».

وينبغى أن نسأل أولا عن أسباب ذلك الحماس الشديد الذى استقبل به مواطنو الإسكندرية وسكان مصر جرمانيكوس وحفاوتهم البالغة به. لقد ذكر المؤرخ تاكيتوس فى النص الذى تقدمت ترجمته بعض هذه الأسباب: كسلوك الأمير مسلكا من شأنه تحبيب الجماهير إليه وتودده إليهم ببساطته واختلاطه بهم دون حرس، وانتعاله صندلاً يونانياً وارتدائه ـ مثلما فعل ماركوس أنطونيوس ـ قميصاً يونانياً، ومخاطبته إياهم ـ وهذا ما نعرفه من مصدر وثيق آخر ـ بلغتهم اليونانية التى كان يتقنها. كما أنه لم يترفع ـ على نقيض أغسطس ـ عن زيارة معبد أبيس. وأهم من ذلك أنه أمر بفتح صوامع الغلال فهبطت أسعارها فى السوق، وبتوزيع القمح على سكان المدينة دون اليهود. وكان هذا وحده كفيلا بإلهاب حماس الإسكندريين له ورضائهم عنه. وفى وسعنا أن نضيف سبباً آخر. لقد كان جرمانيكوس ـ بغض النظر عن جايوس قيصر، حفيد أغسطس، الذى قيل إنه زار مصر فى عام ١ م. ولكننا لا نعرف أى تفاصيل عن زيارته ـ أول أمير رومانى يزور الإسكندرية منذ دخلها أغسطس غازياً فى عام ٣٠ ق.م ويطوف بأنحاء مصر سائحاً لمشاهدة آثارها. وكان هذا أيضاً خليقاً بإثارة حماس الإسكندريين الذين عرفوا بميلهم إلى الصخب والمظاهرات ـ أكبر الظن تنفيساً عما فى

فاول ذلك ما نقل بدير السيده [العدرا] بنهيا
عن سبب كهنوت المسيح السيد جل اسمه
ودخوله الى الهيكل بسلام الله امين امين امين.

انه لما كان في زمان يوليانوس الملك الكافر،
كان رجل يهودى كاهن لليهود اسمه تاودوسيوس
شيخ مقدم، وكان انسان نصرانى صايغ يعرفه،
وبينه وبينه موده اكيده، واسم النصرانى فيلبس.
ولما كان في بعض الايام وصل فيليبس الى بعض
مدن الشام وارسى مركبه فى المينا ليبيع تجاره

صدورهم من كبت وضيق من استبداد المحتلين ـ واشتهروا بالمغالاة فى مدح المحسنين وذم المسيئين. ومع هذا فنحن لا نستبعد أن يكون سبب تهافت مواطنى الإسكندرية على جرمانيكوس شيئاً آخر. لقد كانوا ـ فيما يبدو ـ على علم بما بين تيبريوس وجرمانيكوس من جفوة ونفور، فبادروا إلى الترحيب بالأمير الشاب نكاية فى الإمبراطور، صاحب السلطة الشرعية فى روما. وسنرى فى الفصول التالية كيف كانت الإسكندرية تسارع دائماً إلى تأييد أدعياء العرش المتمردين على الأباطرة.

وقد بدأ جرمانيكوس يشعر بما قد تجره عليه هذه الزيارة من عواقب وخيمة وأن زمام الموقف قد يفلت من يديه. وزاد من قلقه أن أهالى مصر نادوه بألقاب أشبه ما تكون بألقاب الآلهة، بل هى ترفعه إلى مصاف الآلهة، ولا تليق إلا بالإمبراطور وزوجته. فما هى هذه الألقاب؟ إن سياق المنشور يوحى بأن هذه الألقاب لم تتعد المنقذ (sôtêr) والخيّر (euergetês). غير أن هذين اللقبين كثيراً ما خلعا على من هم دونه مقاما، فضلا عن أن مدن آسيا الصغرى ـ كما قدمنا ـ قد خلعت عليه عين الألقاب، بل إن بلدة بتارا (Patara) نادته هو وابن عمه دروسوس بالإلهين الظاهرين (theoi epiphaneis). ومع هذا فلم نسمع أن جرمانيكوس صد أهالى تلك المدن أو زجرهم. لابد إذن ـ كما يعتقد أحد الباحثين ـ من أن أهالى مصر نادوه أيضاً بلقب معين آخر لا يجوز خلعه إلا على الإمبراطور وحده. هذا اللقب ـ

كانت معه، فاجتمع فيلبس باليهودى الكاهن تاودوسيوس صديقه فوادده وحادثه وقال له: يا اخى احب ان تكون نصرانيا لتصح مودتنا وتربح الدنيا والاخره.

فاجابه تاودوسيوس وقال له بمحبه عظيمه: قد اهتممت بخلاصى وقد افتكرت فيما اردت اطلاعك عليه ولا ادعك خاليا من معرفة الله تعالى الشاهد علىّ فيما ذكرته لك، ولا تشك فى ذلك لاجل اظهارك لى محبتك، واوثر ان تحفظ ما اقوله

فيما يرجح ـ هو لقب أغسطس (Augustus = Sebastos) الذى يتضمن معنى ذى الجلال أو صاحب الجلالة. ولابد أيضاً أن جرمانيكوس كان قد بلغه عندئذ نبأ انزعاج تيبريوس واستيائه منه وتنديده بمسلكه فى مجلس الشيوخ، فبادر إلى نفى الشبهات عن نفسه. ونحن نعلم من مصادر أخرى أنه عاد إلى سوريا حيث تنازع مع واليها بيسو (Piso)، وأنه مات فجأة فى أنطاكية. واتهم بيسو بدس السم له وحكم عليه بالموت فآثر الانتحار. غير أن أم جرمانيكوس اعتقدت ـ والشائعات راجت ـ بأن الإمبراطور نفسه كان ضالعاً فى المؤامرة التى أودت بحياة الأمير المحبوب.

كاليجولا وكلوديوس ونيرون

١. بدء النزاع بين اليهود والاغريق وفتنة عام ٣٨:

لم يحدث فى مصر خلال السنوات الأخيرة من حكم تيبريوس ما يستحق الذكر سوى ذلك المنشور الذى أصدره الوالى أفيليوس فلاكوس فى عام ٣٥/٣٤، محرما فيه على الأهالى حمل الأسلحة أو إحرازها، وهدد فيه المخالفين بعقوبة الموت. هذا المنشور وصلنا فى شكل بردية أو بالأحرى قصاصة مهلهلة لا يتبين منها سبب ذلك الإجراء. وعلى أى حال فهو يشير إلى توقع حدوث اضطرابات فى ذلك الحين. ولا مراء فى أن لهذا المنشور صلة وثيقة بما ورد عند

لك فى قلبك ولا تقوله لاحد، وهو ان الذى بشر
به روح القدس والانبيا هو المسيح الذى انتم
تسجدون له و تعترفون انه بحق قد جا[ء]، وانا
أومن بقلب صادق نقى بغير شك بالجمله لانك اخ
وودود ولذلك اظهر لك هذا السر فاثبته لديك لما
قد ظهر لى من محبتك وارادتك لى الخير والجيد،
فصدقنى الان يا اخى فان افكارى الجسدانيه
منعتنى ان اتعمد لانى غير متواضع ولا اصلح لانى
عاجز، وانا كاهن لهذا الشعب ولى منهم مجد

فيلون، الكاتب اليهودى، الذى يذهب إلى أن فلاكوس كان متحاملا على اليهود فأمر فى عام ٣٧/ ٣٨؟ بتفتيش منازلهم ومصادرة الأسلحة المخفاة فيها، ولكنه لم يعثر فيها على شىء، بينما عثر ـ قبل ذلك بفترة غير طويلة ـ على أكداس منها مخبأة فى بيوت المصريين «الذين كثيراً ما ثاروا على السلطات التى ارتابت فى أنهم يدبرون ثورة جديدة». لعل المصريين بدأوا يضيقون ذرعا بتعسف السلطات المحلية ووطأة الاحتلال الرومانى. ومن المؤكد أن موجة التذمر بدأت تسرى فى الإسكندرية أيضاً، لأنه من العسير ألا يقرن المرء بين هذا المنشور ورواية فيلون وبين الاضطرابات التى نشبت عقب اعتلاء كاليجولا العرش.

ولعل القارىء يذكر أن أغسطس اتخذ من التدابير ما يكفل رد الإسكندريين إلى صوابهم إذا ما خطر لهم أن يثيروا الشغب أو يقوموا بالثورة فى وجه الرومان، وأنه وضع فرقة كاملة عند ضاحية نيقوبوليس تحذيراً لهم. غير أن هذه التدابير الصارمة لم تثن مواطنى المدينة عن مناصبة روما العداء، مع أن ضم مصر إلى الإمبراطورية أفاد الإسكندرية من الناحية الإقتصادية. فقد ظلت، كما كانت على أيام البطالمة، عاصمة للبلاد، ومقراً للوالى، تتركز فيها الدور الحكومية الرئيسية والمحاكم الهامة وتودع فيها السجلات الرسمية، ويتردد عليها المتقاضون والتجار وأصحاب الحاجات، وكذلك ضباط وجنود الجيش الرومانى المرابط بمعسكر

عظيم وكرامات وتقدمه وقد كسبت منهم ذخاير واموالا، وانا ان خرجت منهم اعدمت ذلك كله، وليس شعبى وحده يرفضنى بل والنصارى ايضا لما اشاهد من اليهود اذا تعمدوا وكيف يكونون، وسمعت ايضا انكم تقولون: اذا تعمد يهودى كمن عمد حمارا، فبأى وجه الان اتعمد. وايضا اننى ارى النصارى يخطون ويغضبون الله ويرفضون الناموس عوض ما يسلكون فى الادب المستقيم والحق الذى قد صار لهم، واشاهد قوما اذا رأوهم

نيقوپوليس الذين كانوا ينفقون فيها عن سعة. لقد كانت بمثابة السوق المزدحمة التى تنبض بالحركة والنشاط، وزاد من نشاطها الأساطيل الرومانية (كالأسطول الأغسطى السكندرى وأسطول ميسينوم) التى كانت تبحر منها بانتظام إلى إيطاليا محملة بالقمح غير متعرضة لخطر القراصنة الذين طهرت روما البحر منهم. جميع هذه العوامل روّجت الأعمال التجارية بأنواعها كافة وزادت من رخاء المدينة على الأقل فى صدر العصر الرومانى. غير أن هذا الربح المادى أو الكسب التجارى لم يله الإسكندرية عن خسارتها الأدبية الجسيمة وأفول نجمها السياسى. فقد ساءها أن تفقد مكانتها القديمة كعاصمة لمملكة مستقلة قوية، بل إمبراطورية واسعة، بينما يصعد نجم روما التى كانت الإسكندرية - على حداثة نشأتها - تنظر إليها شزراً بوصفها مدينة حديثة النعمة. وحز فى صدر الإسكندريين أن يصبحوا رعايا عاهل لا يقيم بينهم ويتحكم فى مصائرهم عن طريق نائب يتمتع بسلطة تكاد تكون مطلقة. وقد زاد من شعورهم بالمرارة أن أغسطس استحدث فى عواصم الأقاليم (metropoleis) نظاماً قريب الشبه من نظام المجالس البلدية، على غرار ما كان فى الإسكندرية، طامساً بذلك الفارق بين هذه العواصم الريفية وبين مدينتهم. وأدهى من ذلك وأمر أنه رفض مطلباً عزيزاً عليهم، وهو إنشاء مجلس للشورى (boulê) على غرار مجالس المدن اليونانية الحرة، وهو مجلس يرجح - كما أسلفنا - أنه كان قائماً بالمدينة منذ تأسيسها ثم ألغى فى فترة من فترات الإضطراب فى أواخر عصر البطالمة.

هكذا ضعفت قلوبهم وامانتهم وتأسوا بهم. ولما فتشنا عن الخلاص الذى كان لكم منا عرفنا المسيح بالحقيقه والرسل الذين صارو لكم معلمين فهم ايضا من جنسنا وانتم ترفضون ما بشروكم به وما علموكم اياه، ولا جل ان بقية الامم لم يتعمدو ولم يؤمنو الى الان، كذلك انا ايضا لم اتعمد لاجل مجد العالم والكرامات التى انالها من شعبى، ولاجل ما اشاهدكم تفرطون فيه من امر المسيح لكم ووصيته ووصية تلاميذه لكم به، فامتنعت ان يضيع على مجدى وكرامتى واصير

ولم يشأ أغسطس أن يستجيب لهم لأن مجلس الشورى كان يتعارض والسلطة التى خولها لنائبه فى مصر، فعل أغسطس ذلك بينما أقر لليهود امتيازاتهم القديمة، تاركاً لهم أمر تنظيم طائفتهم الدينية على شكل جالية مستقلة لها رئيس (ethnarchês, genarchês) ومجلس من المسنين أشبه ما يكون بمجلس الشيوخ (gerousia)، ودار للسجلات (archeion) وبيع (synagôgai) يمارسون فيها شعائر ديانتهم وقد زاد الطين بلة عدم قناعة اليهود بامتيازاتهم، فطمعوا فى الظفر بحقوق المواطنة بالمدينة. وأثار ذلك حفيظة الإسكندريين فصبوا عليهم جام غضبهم بوصفهم من أنصار الغزاة عند دخولهم البلاد، وتربصوا بهم الدوائر لأن مهاجمة اليهود كانت أسلم عاقبة من مهاجمة الرومان أنفسهم. وهكذا تحولت الكراهية العنصرية لليهود إلى كراهية سياسية أو أصبحت مزيجاً منهما.

وكان من الطبيعى أن يظهر فى الإسكندرية أثر ضعف الحكومة المركزية ففى ١٨ مارس عام ٣٧ ارتقى عرش الإمبراطورية جايوس قيصر المشهور باسم كاليجولا (Caligula)، وهو ابن جرمانيكوس، الأمير المحبوب الذى تقدم الكلام عن زيارته لمصر. واستبشر سكان إيطاليا والولايات بمقدم العاهل الجديد وتوقعوا على يديه الخير العميم. لكن سرعان ما انحرف عن الطريق السوى وخيب أملهم فيه. فقد تكالبت عليه عدة عوامل حولته إلى حاكم شبه مجنون، وكان من بينها مرض شديد أو لوثة لم يبرأ منها تماماً، ووفاة أخته، أحب الناس إليه،

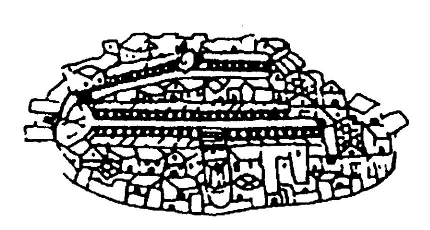
مفرطا مثلكم فيما قد اعطيتموه، وهذا الذى يمنعنى من المعموديه. واكثر جماعتنا اليهود تحققوا حقيقه امر المسيح وعجايبه اكثر منكم غير انهم بعيدين من الخلاص الذى صار لكم.

والان فانا اطيب قلبك بالاسرار الجليله عندنا من البدء و اظهر ذلك لك لانا عارفون محققون بعجايبه وافعاله اكتر منكم انتم النصارى، ونعلم حقا انه المسيح الذى اتى، فاسمع عنى هذا السر.

فضلا عن حداثة سنه، وتزلف رجال حاشيته، وهلعه الشديد من المؤامرات على حياته، ذلك الهلع الذى انقلب إلى قسوة متناهية. وقد زينت له أوهامه أنه فوق البشر فطالب رعاياه بتأليهه وإقامة تماثيله فى مختلف المعابد. ولعله قد تأثر فى حداثته بفكرة تأليه الملوك الأحياء، وهى فكرة كانت شائعة فى ممالك الشرق الهلينستى ولا سيما فى مصر، ولكنها كانت غريبة على الرومان فلم تلق بينهم رواجاً كبيراً.

واتفق أن وفد أجريبا (Agrippa)، حفيد هيرود الأكبر على الإسكندرية فى أوائل أغسطس من عام ٣٨. وكان هذا الأمير اليهودى قد قضى شطراً من صباه بالقصر الإمبراطورى فى روما مع أبناء الأسرة المالكة فتوثقت صلته بكاليجولا. وقد مر بالإسكندرية يرافقه حرس شخصى وهو فى طريقه إلى فلسطين ليرتقى عرش مملكة صغيرة على حدود بلاد يهودا (Judaea). وكان أجريبا قبل أن يبتسم له الحظ قد بدد ثروته بإسرافه وبذخه حتى أثقلت الديون كاهله ففر إلى الإسكندرية يلتمس المعونة من بنى جلدته، وبخاصة من الإسكندر ليسيماخوس، اليهودى الثرى ـ شقيق الفيلسوف فيلون ـ الذى كان يشغل منصب مدير الضرائب الجمركية (arabarchês) . ولما سددت ديونه وتحسنت أحواله عاد إلى روما حيث نال الحظوة لدى كاليجولا الذى منحه مملكة صغيرة فى فلسطين. ولذلك دهش إغريق الإسكندرية من أن يصبح هذا المفلس ملكاً بين يوم وليلة، وتذكروا مجيئه بالأمس خاوى الوفاض هارباً من دائنيه.

كـان فى الزمـان الاول والهـيكل مـبنى باروشليم وكان لليهود عاده يقيموا اثنين وعشرين كاهنا فى الهيكل امر لازما لهم، وكان فى الهيكل كتاب مكتوب بنسبه كلمن يصير كاهنا واسم ابوه وامه ليـعلم انه مـتبع لامـر الله تعـالى، وكـانوا اليـهـود مسـتمرين على هذه العاده، وكان يسوع المسيح فى ذلك الزمان فى اليهوديه، وكانت هذه الكتابه قـبل ظهـوره، فـمات كـاهن من الاتنين وعـشـرين كـاهنا فـاجتـمـعوا الكهنه وحـدهم يختـارون من



أروشليم، عن فسيفساء ميدبا (قرب جبل نبو، فى الاردن. من القرن السادس الميلادى.



جزء من قاع إناء من الخزف ذو البريق المعدنى، عليه صورة المسيح رافعاً يده بشارة التثليث. من القرن ١١ ـ ١٢. المتحف الاسلامى بالقاهرة

يقـدمـونه عـوضـا منه فلم يتـفق رأيهم على من يصلحونه، وكانوا يقاومون بعضهم بعضا وكلما ذكرو احد لم يرضو به، ثم انهم تقارعو على ان من وقعت قرعتهم عليه بعد تخيره يصلحوه اذا لم يكن فيه عيب ولا عله ولا فى جنسه عيب ولا سبب، فاذا وجدو من له نسب وليس هو عالم رفضوه ولا يقدمونه. وهذا كان تدبيرا من الله تعالى لاجل مقاومتهم كيلا يتقدم الاصاحب الكهنوت المستحق لذلك وهو يسوع المسيح، واذا واحد من

وساءهم أن يستقبله اليهود استقبالاً ملكياً فخما، بل ساورتهم الظنون أن لا يكون قدومه آنئذ بمحض المصادفة. ولهذا قرروا أن يعكروا عليه صفو الزيارة المرية وأن يتخذوا منها تُكأة لمهاجمة اليهود فى شخصه. فأحضروا معتوهاً يعرفه سكان المدينية باسم كراباس Karabas (أى الكرنب!). وأحاطوه بحرس هزلى واقتادوه إلى الجيمنازيوم (ناديهم الرياضى الثقافى) حيث عصبوا رأسه بإكليل من لحاء نبات البردى ودثروه بسجادة بالية كأنها العباءة، ووضعوا فى يده صولجاناً من ساق البردى، ثم ساروا به عبر شوارع المدينة هاتفين «مارَنْ، مارَنْ»، وهى كلمة سريانية معناها المولى أو الملك. وكان القصد بداهةً من هذا الموكب الهزلى هو السخرية من أجريبا والاستهزاء به.

ولكنهم سرعان ما ندموا على فعلتهم تلك عندما تذكروا ما نسوه فى غمرة حماسهم. لقد تذكروا أن أجريبا صديق حميم للامبراطور وأنه سوف يشكوهم إليه وأن كاليجولا لابد من أن يقتص منهم لإهانتهم صديقه. وتدبروا الأمر ملياً فتفتق ذهنهم عن حيلة تخلصهم من ورطتهم. لقد تراءى لهم أن يوقعوا بين كالجولا واليهود فراحوا يزعمون أنهم لم يدبروا المظاهرة العدائية إلا لأن اليهود رفضوا الامتثال لأمر الإمبراطور الخاص بإقامة تماثيله فى جميع المعابد. ولم يكن من المعقول أن يقبل اليهود تدنيس بيعهم بتماثيل البشر، مهما جل قدرهم، وهم يؤمنون باله واحد. لذلك اقتحم الإسكندريون معابدهم عنوة ونصبوا فيها تماثيل كاليجولا

الكهنه بعد ذلك قد تحرك فيه روح القدس فغار لله تعالى فوقف فى وسطهم و قال: لنا اليوم عشرة ايام مجتمعين ولم نستطع ان نقدم احدا، وانا اتحقق واعلم ان الخطاب وتطويله لاجل من يقدمه الله تعالى وهذا سبب الخلاف بيننا وفساد رأينا وسوف يظهر ذلك بارادة الله تعالى. فقالو له: ان كنت تعرف احدا فاذكره لنا علانيه ونعترف جميعنا لك بمنه عظيمه. فقال لهم: حتى تعاهدونى الا تردو ما اقوله وتقبلو منى وانا قول

- -

بالقوة. فلما قاومهم اليهود اتهموهم بعدم الولاء للامبراطور وأسقط فى يد الوالى فلا كوس ولم يدر ماذا يفعل. فقد أحرجه الإسكندريون عندما تذرعوا بحجة أنهم ينفذون أمر قيصر. وزاد موقفه حرجاً أن الإمبراطور انقلب على أوليائه فى روما فخشى أن يتخذ خطوة تضاعف سخطه عليه. وأخيراً لم يجد مناصاً من أن ينحاز إلى الإسكندريين على أمل أن يقربه ذلك من سيده. ولم يلبث أن أصدر منشوراً بأن اليهود أجانب دخلاء. وسحب منهم الامتيازات التى اكتسبوها عرفاً بطول إقامتهم فى المدينة تاركاً لهم فقط ما اكتسبوه منها بطريق القانون. ولم يتح لهم فرصة الدفاع عن أنفسهم وأدانهم دون محاكمة، وأقام من نفسه «مدعياً وخصماً وشاهداً وقاضياً وجلاداً». وعندما اطمأن الإسكندريون إلى وقوف الوالى فى صفهم انطلقوا إلى مساكن اليهود. وكان بالمدينة خمسة أحياء مرقومة بالحروف الأولى من الأبجدية اليونانية، وإن صدقت رواية فيلون فإن معظم اليهود كانوا محتشدين فى حين غير أنهم انتشروا بمضى الزمن فى أربعة من هذه الأحياء. انطلق الإسكندريون إليها وطردوا اليهود منها وساقوهم جميعاً إلى حى واحد، أكبر الظن هو حيهم الأصلى، المرقوم بحرف دلتا "Delta"، أى الحى الرابع، وحصروهم فى قطاع منه ونكلوا بهم تنكيلا. ومع أن الحوانيت كانت مغلقة بمناسبة الحداد على وفاة دروسيلا، أخت الإمبراطور، إلا أن الإسكندريين لم يتورعوا عن اقتحام هذه الحوانيت ونهب ما فيها من بضائع وسلع. وتحولوا إلى دورهم وخربوها وإلى معابدهم ودمروا بعضها



صفحة من مخطوط قبطى تمثل عماد المسيح بيد يوحنا من القرن ١٢. المكتبة الوطنية، باريس

وأضرموا النيران فى بعضها الآخر. وعندما عض الجوع بطون اليهود واضطروا إلى الخروج إلى سوق المدينة لشراء ما يقيم أودهم، انقض دهماء الإسكندريين عليهم وأوسعوهم ضرباً ورجموهم بالحجارة وانهالوا عليهم بالهراوات أو قتلوهم بالسيوف أو أحرقوهم أحياء. ولم يرحموا النساء والأطفال والشيوخ. لقد انقلبت المظاهرات الصاخبة إلى معارك حامية بل إلى مذابح رهيبة. وأفلت زمام الموقف من يد الوالى، الذى كان واجبه يقتضى منه أن يأمر الفرقة المرابطة عند ضاحية نيقوبوليس بالنزول إلى المدينة لإقرار النظام. ولكنه بدلا من ذلك ألقى القبض على ثمانية وثلاثين عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى (gerousia) البالغ عده واحد وسبعون عضواً، وهم قوم كانوا يتمتعون بمكانة كبيرة بين قومهم، واقتادهم عبر السوق مقيدين بالحبال أو بالأغلال من خلاف إلى المسرح، حيث جلدوا بالسياط مثلما يجلد المذنبون من «المصريين» وزاد من بشاعة هذه العقوبة أن اليهود كانوا معفيين منها عرفاً كالمواطنين، وأنها نفذت فى يوم ٣١ أغسطس، وهو عيد ميلاد الإمبراطور. ولم يقف مواطنو الإسكندرية عند هذا الحد بل ساقوا كثيرات من نساء اليهود عنوة إلى المسرح حيث أرغموهن على أكل لحم الخنزير [المحَرم دينياً] على مر أى من الجمهور المحتشد. وما إن هدأت العاصفة حتى كان اليهود فى حالة يرثى لها.

ومن محاسن الصدف أن وصلتنا برديتان إحداهما من البهنسا والأخرى من الفيوم يرجع

لكم من يصلح واعلم انكم لا تقدرون على رده. فلما سمعو جميع الكهنه ذلك حلفو له ايمان حق وصدق انهم اذا ظهر لهم من هو مستحق يقبلونه ويقدمونه. فلما توثق منهم قال لهم: يا اخوتى ان الله تعالى طرح فى فكرى من هو مستحق لهذا هو يسوع الذى يعرف بابن يوسف لانه رجل كامل فى جنسه و جماله وافعاله وله القدره على الكلام والفعال قدام الله تعالى والناس، واعلمو انكم لا تجدون مثله فى هذا الشعب الذى ليس فيه رياء ولا عله.

أن لهما صلة بهذه الأحداث. وما تبقى من البردية الأولى المشوهة يشير إلى مقابلة بين شيخ وديويسيوس وإسيدوروس وامرأة تدعى أفروديسيا وبين فلا كوس فى معبد سرابيس بالإسكندرية. وأما فلا كوس فهو والى مصر (٣٢ ـ ٣٨) الذى سلف الكلام عن موقفه من اليهود أثناء فتنة أغسطس عام ٣٨. وإسيدوروس وديونيسيوس قطبان إسكندريان يصفهما فيلون فى كتابه الذى هجا فيه فلا كوس بأنهما كانا من متزعمى الحركة ضد اليهود.. ولا نعرف ما هو دور أفروديسيا فى هذا الاجتماع وهل كان وجودها فيه من قبيل المصادفة أم حضرته بوصفها على صلة بإسيدوروس وإليك ما يحتويه الجزء السليم (وهو النهر الثانى) من البرديةى اليونانية.

«وعلى ذلك صعد فلاكوس إلى معبد سرابيس بعد أن أمر بتسوية الموضوع (أو اتمام الصفقة) سرا. وصعد إليه أيضا اسيدوروس مع افروديسيا وديونيسيوس. وبعد دخولهم حرم المعبد سجد اسيدوروس وديونيسيوس لتمثال الاله. وعندئذ ألقى الشيخ بنفسه (على الأرض)، وتعلق بديونيسيوس وهو جاث على ركبتيه، قائلا: انظر، يا سيدى ديونيسيوس، إلى، وأنا شيخ فى مواجهة سرابيس. لا تستعمل العنف مع فلاكوس، بل اجلس مع الشيوخ (وشاورهم الأمر؟). فإذا سافرت (؟)... فلتعدل، يا ولدى ديونيسيوس، عن رأيك. وأجابه (ديونيسيوس): اننى سأسوى الموضوع، ولكنك لا تريدنى ان أرفض فلاكوس (أو لا تريد أن يرفضنى

فلما سمعو الكهنه كلامه وعرفو منه هذا القول
بهتو وتحيرو لاجل الايمان فقالو له بمكر وظنو يردو
خطابه: نعم من ذكرت لانا نطلب الجيد لكن ليس
هو من قبيل الكهنه والشعب ايضا يقذفون ميلاده
لاجل الاطفال الذين قتلهم هيرودس بسببه
بالسيف. فاجاب وقال لهم بغير غضب: اثبتو على
الحق فانى اهديكم الى الصواب من اجله لئلا
تزوغو عن الله تعالى فنبعد من الحق ونصدق
الكذب لانى اعلم انه اذا فحصنا عن الحق اظهره

فلاكوس) ثانية؟ فان اقتضى الأمر ان التقى به مع القمر الجديد فسأذهب عن طيب خاطر. وأقبل فلاكوس وعندما رأى اسيدوروس قال: ان الموضوع قد سوى..».

وعلى الرغم مما يكتف النص من غموض شديد حار فيه الباحثون، إلا أنه يكشف على الأقل عن واقعة ثابتة وهى أن ديونيسيوس كان ينتوى القيام بعمل لا يقره عليه «الشيوخ»، وأن أحد هؤلاء «الشيوخ» كان يناشده أن لا يفعله. وإذ كان النص يشير أيضاً إلى رحلة، فقد يستخلص من ذلك أن ديونيسيوس كان ينتوى السفر إلى روما، وفى هذه الحالة كان لابد من الحصول على موافقة الوالى لمغادرة البلاد. وبعد هذا الحديث يدخل فلا كوس فجأة وكأنه كان مختبئاً فى مكان قريب. ويدور حوار بينه وبين إسيدوروس وديونيسيوس. ويقطع هذا الحوار موظف لا نعرف إن كان رئيس سدنة المعبد أو رئيس «مجلس الشيوخ». ويستحلف الوالى بالرب سرابيس ألا يلحق أى أذى بإسيدوروس أو بديونيسيوس. ويستجيب إليه فلا كوس. وبعد هذه النقطة يتعذر استجلاء أى معنى مسلسل لكثرة الفجوات. وأخيراً يأتى ذكر خمسة تالنتات كلها من الذهب، وأنها تحصى أو تدفع فى وسط المعبد، مع الإشارة إلى الفائدة. وقد أثار ذكر هذا المبلغ الضخم فى البردية نقاشاً طويلا بين الباحثين. ففريق يرى أنه رشوة يتقاضاها فلاكوس لكى يمنح ديونيسيوس إذناً بمغادرة الإسكندرية إلى روما ـ وهو أمر ضعيف

الله تعالى. فقالوا طيب قلوبنا كما تعلم لاجل ميلاده وقبيلته ونحن نساعد فيما تذكره. فقال لهم: فتشو لتعلمو ان فى زمان هرون الكاهن قد كان اختلاط من هرون ويهوذا وقد شهد داود النبى على ذلك، وقد فحصت انا كثير لاجل سر عظيم اخر، ومن اجل ذلك انا افرح ان تفتشو لتعرفو بالحقيقه صحة قولى وتعرفو انى عندكم صادق .فظنو انهم بهذا الفكر يبطلو امره وبدأو يفحصون عن الجنس فوجدو مريم توحد القبيلتين

الاحتمال؛ وفريق آخر يرى أن المبلغ المشفوع بالفائدة ينم عن أعمال ربوية يمارسها الوالى نفسه، بينما يرى فريق ثالث أن المبلغ رشوة يتناولها الوالى خفية إما لكى يعيد فتح جمعيات ونوادى الإسكندريين التى أغلقها فى بدء ولايته أو لكى يتغاضى عن اضطهاد الإسكندريين لليهود. وإن صح الرأى الأخير فإن البردية تشير إلى تقارب أو صلح مؤقت بين زعماء الإغريق وبين فلاكوس على حساب اليهود، أكبر الظن أثناء عام ٣٩/٣٨. ولعل هذا التقارب هو الذى دفع الوالى إلى أن يقف موقفاً عدائياً من اليهود، مما عجل بوقوع فتنة عام ٣٨. وفى الحق إن هذا الرأى يلقى تعزيزاً فيما ورد عند فيلون من أن تواطؤاً حدث بين فلاكوس وأقطاب الإسكندريين وأن الوالى ـ وإن بدأ حكمه بداية طيبة تدل على حزمه ونزاهته ـ قد انحرف فى أواخر عهده عن جادة الصواب وتدهورت أخلاقه وفسدت ذمته. وثمة حقيقة أخرى ربما تكشف عنها البردية وهى أنه كان هناك انقسام فى الرأى بين زعماء الإسكندريين. وسنرى بعد قليل كيف كان اليهود منقسمين إلى فريقين، فريق متزمت، وفريق متحلل بعض الشىء من قيود الشريعة الموسوية، ومتأثر بأساليب الحياة اليونانية. لعله كان هناك أيضاً حزبان بين الإسكندريين: حزب المتهورين أو المتطرفين وحزب المتزنين أو المعتدلين فى موقفهم من السلطات الرومانية. لكن ينبغى أن نلاحظ أن هذه البردية ـ وإن عُدّت من ضمن مجموعة «أعمال الإسكندريين» التى سيأتى الكلام عنها بعد قليل ـ تختلف عنها فى أنها ليست

فـمـا قـدرو ان يزوغـو عنه لاجل الايمان فـبـدو ان
يتـخاصـمـو عن القبيله و قـالو رأى آخر: نريد نعلم
كـيف كـان مـيـلاده لا يكون من زنا. لان امـه لما
سلمت ليوسف تكلمو عـليها. واتفقو جميعهم
على هذا الكلام، واحـضـرو مريم امه الى الهـيكل
وخـاطبـوها بلطف لتعلمـهم السبب فى حـبلهـا
بيسوع ومن اين هـو. وكـان الناموس فـى ايديهم
شاهد عـليهم مـعها لئلا يظنو بها سـو اذا قالت
الحـق وحـلفـو لهـا على ذلك. وقـالو لهـا: ايتـهـا

- -

محضر جلسة قضائية، وأنها تصطبغ بصبغة روائية واضحة. ولا مراء فى أن الكاتب الذى أعاد تدوينها فى القرن الثالث لم يشوه الحقائق ويظهر فلا كوس بمظهر المرتشى إلا بقصد الدعاية ضد الحكم الرومانى.

ولعل القارىء لم ينس الإشارة إلى الشيخ (geraios) الذى حاول أن يثنى ديونيسيوس عن عزمه فى معبد سرابيس. وقد ظل الاعتقاد سائداً فترة أن هذا الشيخ لابد أن يكون أحد أعضاء مجلس الشيوخ (gerousia)، الذى كان أحد امتيازات اليهود. وكان هذا الاعتقاد يزيد النص إبهاماً، ولم يفهم أحد دور اليهود فى هذا اللقاء بين فلاكوس وقادة الإسكندريين، بل ارتاب كثيرون فى أنه كان يجوز ليهودى أن يدخل معبد سرابيس. وأخيراً أمدتنا بردية من برديات مكتبة جامعة جيسن بقبس بدد بعض هذا الغموض. هذه البردية التى ترجع إلى أواخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث الميلادى مشوهة كغيرها من برديات «أعمال الإسكندريين»، بل هى أكثر منها تشويهاً إذ لا يكاد يوجد بها سطر واحد كامل. وقد بذل الأستاذ بريمرشتاين ـ الذى درسها ثم نشرها زميل له بعد وفاته ـ كل ما فى وسعه لملء ثغراتها العديدة وربط شذراتها المشوهة. غير أنه ـ على علمه الغزير ـ قد أطلق لخياله العنان فى ترميم النص حتى يستخرج منه معنى متصلا، فكانت النتيجة أن جاءت معظم تفسيراته خاطئة لقيامها على قراءات ليست تخمينية وحسب بل مجافية لقواعد اللغة اليونانية أيضاً. ومع هذا فإن جهده لم يضع كله سدى. فقد أثبت أن البردية تشير إشارة ـ لا يرتاب فيها أحد ـ إلى مجلس للشيوخ



البشارة (الكنيسة المعلقة)

الامرأة هوذا ترينا كلنا مجتمعين خير لا لشر بل لامر الله تعالى نقيمه و قد انقضينا على رأى واحد لاجل ولدك لانا نراه يرضى الله تعالى والناس وهو عجيب عندهم وجماعة يمجدون الله تعالى من اجله لانه فى هذا الزمان عندهم شبه سليمان بن داود الذى رزقه من امرأه اوريا الحتى، ولذلك اصطفيناه وتقارعنا عليه لنقيمه كاهنا لاجل صلاحه، ولاجل كلمه واحده، نحن شاكون الى الان ونريد ان نعرف منك من اين هو او ممن

(gerousia) يتألف من ١٧٣ عضواً من مواطنى الإسكندرية. وتلك حقيقة لم نكن نعرفها قبل نشر هذه الوثيقة، وهى ترّجح أن «الشيخ» الذى شهد اجتماع ديونيسيوس وإسيدوروس مع فلاكوس فى معبد سرابيس كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإسكندرى. إذن فقد كان لمواطنى الإسكندرية الإغريق ـ مثلما كان للجالية اليهودية ـ مجلس شيوخ. وليس من المعروف متى أنشىء هذا المجلس، وإنى كانت الأدلة الطفيفة التى لدينا تشير إلى أنه يرجع إلى أيام البطالمة وتتزايد الأدلة على قيامه فى الإسكندرية فى صدر عصر الأباطرة. ولا ينبغى أن يفهم من اسمه أنه كان مجلساً دستورياً يتمتع بسلطة تشريعية، بل كان ـ فى أكبر الظن ـ هيئة اجتماعية، وثيقة الصلة بمعهد التربية (gymnasium)، تتمتع عرفاً بنفوذ أدبى كبير فى الشئون البلدية. لقد كان بمثابة حلقة الاتصال أو أداة التفاهم بين روما وجالية المواطنين الإغريق (politeuma)، ولعله هو الذى كان يختار السفراء المبعوثين من قبل المدينة إلى الأباطرة لعرض شكاوى المواطنين أو الدفاع عن قضاياهم فى بعض الأحيان، ويصدر أيضاً القرارات (psêphismata) الخاصة بتكريم القياصرة. ويرد فى البردية ذكر الرقم ١٨٠,٠٠٠ مرتين، ولكننا لا نعرف إن كان يدل على مبلغ من النقود أو على عدد من الأشخاص. ويرى بريمرشتاين ـ ويتبعه فى ذلك قلة من الباحثين ـ أن هذا العدد يمثل مجموعة مواطنى الإسكندرية من الذكور البالغين الذين يتألف منهم ما يشبه الجمعية الشعبية. على أن هذا لا يعدو أن يكون مجرد افتراض، وما يزال يفتقر إلى قرائن أخرى لتأييده.


الملاك يبشر مريم بالمسيح

حبلت وولدتيه ليعلم الحق منك لئلا يقال عنك كلام ردى و لا عن الكهنوت، فلهذا احضرناك لنعلم الصحيح ولا نكون مشككين ثم تزيلين الخصومه فيما بيننا، وهو ذا الناموس قدامنا ونحن معترفون قدام الله تعالى الذى لا يرى انه لا ينالك منا شر ولا تبكيت بل نشكرك كثيرا لانك لم تخف عنا الحق.

وكانت تظن ان السر المخفى الذى لولادتها العجيبه اذا اظهرته لهم لا يومنون به لاجل عظم

وفيما عدا هذه الحقيقة الخاصة بمجلس الشيوخ يتعذر أن يستخلص المرء من البردية شيئاً آخر مؤكداً. ومع هذا فليس من المستبعد أن يكون لفحواها صلة ببردية البهنسا التى سبق الكلام عنها وبأحداث فتنة عام ٣٨. فهى تتحدث ـ مثلا ـ عن رحلة قام بها (سفراء الإسكندريين) إلى أوستيا، ميناء روما، حيث اضطروا للبقاء مدة لا تقل عن شهر. وأخيراً جاءهم حاجب تيبريوس وحياهم. فهل معنى هذا أن البردية تتكلم عن مقابلة بين الوفد الإسكندرى والإمبراطور تيبريوس؟ إن هذا أمر جائز، غير أن التفسير الراجح هو أن الحاجب جاء إلى أوستيا ليبلغ الوفد الإسكندرى خبر وفاة تيبريوس فى ١٦ مارس عام ٣٧. وقد يعزز ذلك أن البردية لا تلبث أن تشير إلى الإمبراطور جايوس (كاليجولا) الذى نودى به فى ١٨ مارس عام ٣٧، ولكنه لم يستطع مقابلة الوفد إلا بعد يوم ٣ أبريل عام ٣٧، أى بعد يوم الاحتفال الرسمى بجنازة تيبريوس. وتعقب هذه الإشارة سلسلة من التحيات، ثم إشارة إلى رجل يدعى يولايوس، ومدع (katêgoros)، وشخص ثالث يدعى أريوس، لعله من سلالة أرّيوس (ديديموس) الفيلسوف الرواقى، ومربى أكتاڤيانوس (أغسطس) الذى قيل إن الأخير عفا عن الإسكندريين من أجله. وثمة إشارة أخرى طريفة إلى عدد من السنين يبلغ ٦٣٠، يفسره الناشر تفسيراً مقنعاً بأنه يمثل عدد السنوات التى انقضت منذ نزول الإغريق، فى شكل حامية مرتزقة وضعها أبسمتيك الثانى، أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٥٩٥/٥٩٤ ـ

الامر عليهم، وانه لا تقبله عقولهم ان تلد امرأه من غير رجل او يكون ابن بلا اب.

فقالت لهم: اذا قلت لكم ما اعرفه [لا] تقبلونه منى، فاذا اظهرت لكم السر فى حملى وولادتى العجيبه ما تومنون بكلامى والجيد لى ان اسكت. اما هم فلاجل فكرهم الردى قالوا . لها: يا مريم بالحقيقة نريد ان نسمع منك ابن من هو فقد مات ابوه يوسف وقلبنا يشك فيه ان كان هو اباه، ولهذا طلبنا منك القول الصحيح وتكف كل خصومه

---

٥٨٩ ق.م.)، بالطرف الشمالى الغربى من الدلتا، أى عند قرية راكوتيس (راقوده) التى شيدت عليها مدينة الإسكندرية، لتقوم بحراسة الساحل من إغارة قراصنة البحر. ولعلها حجة يسوقها الوفد الإسكندرى على قدم استيطان اليونان الإسكندرية أو بقائهم على ولائهم للملوك والأباطرة منذ ذلك الحين.

ويلى ذلك خطبة يلقيها أريوس ويشيد فيها بكاليجولا واصفاً إياه بمنقذ الكون والخَير، وهما صفتان تجافيان ما نألفه من روح عدائية ضد الرومان فى مثل هذه البرديات. ويفهم من الوثيقة أيضاً أن محاكمة جرت وأن المدعى ثبت بطلان دعواه فأمر كاليجولا إما بكيه بالنار أو بحرقه حياً. وبعدئذ يقول النص إن كاليجولا كتب رسالة إلى مدينة الإسكندريين، ويرد فيها اسم إسيدوروس، الذى يقول إن ثمة أشخاصاً لا ينبغى أن يحصلوا على إكليل التفوق أو البسالة. وإذ كان الجزء التالى من البردية (النهر الرابع) يتحدث عن اضطرابات والقبض على أشخاص وإعدامهم، فمن المحتمل أن يكون للبردية صلة بالتهم التى كالها إسيدوروس لفلاكوس فى روما بعد عزل الأخير من منصبه نتيجة لسوء تصرفه فى فتنة عام ٣٨.

وكان من البديهى ألا يسكت اليهود على ما أصابهم من هوان تجاوز حد الاحتمال فى تلك الفتنة. ويروى فيلون أن بنى قومه كانوا قد سلموا للوالى قراراً بتهنئة الإمبراطور غداة ارتقائه العرش، ووعدهم برفعه إليه ولكنه احتجزه فى مكتبه. لذلك حرصوا فى هذه المرة على إبلاغ

لاجل ولادتك ونحن نسيلك ان تظهـرى لنا هذا السر بالحقيقه بغير شك ولا تحتشمى من احد لانا ما يخفى عنا الصواب ومتى كتمت الامر الناموس يحكم عليك باللعنه الى الابد. قـالوا لهـا هذا وشبهه فاضطربت مريم قايله: انى قلقت من كل وجه لاجل الذى ولدته الغير مدرك،وهوذا اليوم حتى اظهره وانا الان عارفه بالولاده التى تلزمونى باظهارها واذا سمعتموها ما تصدقونها ولا تقبلون ما اقول لكم، ويوسف الذى قلتم مات كان قد

شكواهم لكاليجولا على يد صديقه أجريبا. وكان طبيعياً أن تنصب هذه الشكوى على مسلك فلاكوس الذى وقف من النزاع فى أول الأمر مكتوف اليدين حتى سادت الفوضى وبعدئذ انحاز جهاراً إلى جانب الإسكندريين. وأحيط كاليجولا علماً بما حدث فأرسل إلى الإسكندرية قوة عسكرية تحت إمرة قائد سرية يدعى باسوس. وحرصت القوة على أن تنزل بالميناء ليلاً ثم تسللت إلى داخل المدينة واتجهت أولاً إلى بيت قائد الجيش الرومانى، وأبلغته أمر القبض على الوالى. وبعدئذ بحثت عن فلاكوس فعرفت أنه مدعو فى وليمة عند أحد أصدقائه فاقتحمت المكان وألقت القبض عليه ونقلته إلى روما فى أكتوبر من عام ٣٨. وهناك تعرض فلاكوس للهجوم، لا من جانب أنصار اليهود وحدهم بل من جانب زعماء الإسكندريين: (ديونيسيوس) ولامبون وإسيدوروس. ذلك أن فلاكوس كان قد أمر فى عام ٣٣، أى فى بداية حكمه، بحل النوادى والجمعيات اليونانية وحرّم إحراز الأسلحة مثيراً بذلك غضب مواطنى الإسكندرية. واحتدمت الخصومة بينه وبين إسيدوروس، أحد أقطاب المدينة، والسيطر على هذه الجمعيات والنوادى، الذى ساءه أن لا يعامله الوالى باحترام فشن عليه حملة شعواء. وقدمه فلاكوس للمحاكمة وأرغمه على الخروج من المدينة. ولا نستطيع أن نجزم، إزاء غموض فيلون فى هذه النقطة، بأن إسيدوروس قد عاد إلى الإسكندرية قبل اضطرابات عام ٣٨. غير أن بردية أكسيرنخوس (البهنسا) التى سبق شرحها ترجح ـ إن صح تأريخها ـ أنه عاد إلى المدينة حيث

شـــك فى حبلى به مثلكم سالنى قايلا (ما الذى حل بك) فحلفت له ان لم يمسنى رجل قط فلم يصدقنى حتى ظهر له ملاك الله وطيب قلبه، وليس هو حى فيشهد لى عندكم بصحة ما قلته، لان الناموس يقبل شهادة شاهدين اكثر من شهادة واحد، فانا اعترف قدام الله وهذا الناموس انى ولدت ابنى يسوع بلا رجل وانا اذكر لكم كيف كان حبلى به. فقالوا لها: ان الامر ظاهر ونحن نعترف قدام الله وناموسه المقدس انك بالحقيقه

تم بين الأقطاب الإسكندريين وبين فلاكوس تفاهم مؤقت أو صفقة مرية على حساب اليهود فى معبد سرابيس. ولم تلبث العلاقة أن ساءت من جديد بين الطرفين وبخاصة بعد غضب كاليجولا على الوالى. وعجل بعض زعماء الإغريق بالسفر إلى روما بعد انتهاء الفتنة للتشهير بفلاكوس وتوجيه تهمة الخيانة ضده. وانتهى الأمر بإدانته وقضى كاليجولا بمصادرة أملاكه ونفيه إلى جزيرة أندروس حيث أعدم فيما بعد. وهكذا انتقمت العدالة الإلهية ـ كما يقول فيلون ـ من الرجل الذى نكل باليهود، إذ قبض عليه فى يوم ميمون، هو يوم «عيد المظال» عند بنى إسرائيل.

وفى شتاء عام ٣٩/٣٨ أو ٤٠/٣٩ على الأرجح أوفد اليهود إلى روما سفارة من خمسة أعضاء على رأسهم فيلون. وأوفد الإسكندريون سفارة مثلها على رأسها أبيون، لكى يعرض كل من الفريقين قضيته على الإمبراطور. وقد وصف لنا فيلون نفسه فى كتاب «السفارة إلى جايوس» ما حدث وصفاً مسهباً شائقا. لقد عاد كاليجولا من حملته الفاشلة على الرين فى أول يونيو عام ٤٠ ، والتقى بالسفارتين فى ساحة مارس خارج أسوار روما وحياهما تحية رسمية عابرة ثم انصرف عنهما على عجل واعداً بتحديد موعد للمقابلة فيما بعد. ولم يلبث أن غادر العاصمة إلى مصيفه فى كمبانيا. وتبعته السفارتان إلى بلدة بوتيولى على أمل أن يدعوهما للمثول بين يديه فى أية لحظة. وإذا صدق أن اليهود حاولوا الاتصال بكاليجولا عن طريق

ولدت هذا المولود، وهذا شئ غير مخفى لان امرأه تقبل الحبل والاوجاع والم الولاده هى التى تفرح بولادتها دون غيرها، فقد اعترفت الان بالحق انك ولدتيه و نحن لنا زمان ما خطبنا احد والان فنحن جلوس تخاطب امرأه وقد قلنا لك انا ما نبكتك اذا قلت ما يجوز ان نسمعه منك و نقبله. وكانت مريم مفكره حايره خايفه مطرقه بوجهها على الارض باكيه فقالت: الان انا عالمه اننى ولدت يسوع كما تقولون وانا معترفه بذلك، فاما قولكم ان رجلا



ميلاد السيد المسيح من مريم

هليكون، أحد المقربين إليه، فإن الإسكندريين قد تمكنوا من شراء ذمة هذا الرجل حتى لا يسبقهم خصومهم إلى مقابلة الإمبراطور. وشاء حظ اليهود التعس أن يتلقى كاليجولا وقتئذ نبأ تدمير الجالية اليهودية لمعبدٍ أقامه له الإغريق فى بلدة يامنيا على ساحل فلسطين، فتثور ثائرته ويبعث إلى بترونيوس حاكم سوريا، يأمره بصنع تمثال له وتنصيبه فى معبد اليهود الكبير بأورشليم.

وفى آخر أغسطس من عام ٤٠ عاد الإمبراطور إلى روما. وعبثاً حاولت السفارتان أن تحظيا بمقابلته، إذ انشغل عنهما بأمور تافهة. وأخيراً مثلت السفارتان بين يديه بعد عناء ولأى فى أوائل أكتوبر من نفس العام. وقد تضمنت مطالب اليهود ـ فيما يبدو ـ حرية العبادة وفقاً للشريعة الموسوية وتحديد وضع جاليتهم فى المدينة أو بالأحرى اكتساب حقوق المواطنة السكندرية. لكنهم صدموا عندما ابتدرهم كاليجولا بأنهم قوم كفرة لا يؤمنون بألوهيته التى آمن بها غيرهم من الناس. وابتهج الإسكندريون عند سماع هذا التقريع واغتنموا الفرصة لإيغار صدره واستثارته عليهم. قال رئيسهم مخاطباً الإمبراطور: إن كرهك لليهود قد يزداد إذا علمت أن البشر جميعاً ما عداهم قدموا لك القرابين. فأجاب اليهود بأنهم نحروا الثيران من أجل الإمبراطور: مرة عند اعتلائه العرش. ومرة أخرى بعد شفائه من مرضه، ومرة ثالثة ابتهالاً بانتصاره فى حملته على الرين. وعندئذ قال كاليجولا: قد يكون صحيحاً أنكم قدمتم القرابين

سرقنى فان خاتم عذرتى يشهد لى بصحة قولى لكم. فلما سمعو هذا اضطربو وقالو: هذا ما لا نقبله لانه كلام عجيب وكيف نقدر ان نكتب اسم ابنك فى النسبه بغير اسم ابوه ومن اى سبط(*) هو كما جرت العاده. فلما سمعت مريم هذا من الكهنه قالت لهم: قد قلت لكم من الاول أنى ما اعرف شيا مما قلتم فافعلو ما اردتم لانى ما اقول لكم ما لم يجرى على.

فلما قالت هذا لم يراددها احد منهم بل تحركو

(*) السبط: هو القبيلة.

من أجلى. ولكنكم قدمتوها لإله آخر، فما فائدة ذلك؟ إنكم لم تقدموا القرابين لشخصى. ثم انصرف ليتفقد أحد المبانى الجديدة، وتبعه السفراء وهم يلهثون وراءه من طابق إلى طابق ومن حجرة إلى حجرة. وفجأة استدار موجهاً السؤال لليهود: لماذا لا تأكلون لحم الخنزير؟ وضج الحاضرون بالضحك وأرتبك اليهود ووجموا. وأخيراً قطع سفير يهودى حبل السكوت قائلاً: إن هذا مرجعه اختلاف العادات، فكثير من الناس لا يأكلون، مثلا، لحم الضأن. وعندئذ أجاب الإمبراطور ساخراً: لهم كل العذر فهو طعام غير شهى. ولم يفز اليهود منه بطائل، إذ صرفهم قائلاً: يبدو لى أن من تبلغ بهم الغباوة إلى الحد الذى لا يؤمنون معه بألوهيتى، هم أجدر بالرثاء منه بالعقاب. ولم ينقذ بنى إسرائيل من غضب كاليجولا المخبول سوى اغتياله فى ٢٤ يناير عام ٤١ .

٢. رسالة كلوديوس إلى مدينة الإسكندريين:

وخلفه على العرش الإمبراطور كلوديوس (٤١ ـ ٥٤) الذى انتهج سياسة أكثر تسامحاً إزاء اليهود. ويروى المؤرخ يوسف أنه أصدر منشورين أقر فى أحدهما ليهود الإسكندرية الحقوق التى كانوا يتمتعون بها قبل أيام كاليجولا، ومنح فى الآخر الحقوق نفسها لجالياتهم فى جميع أنحاء الإمبراطورية. وجاء أجريبا نفسه الذى نال الحظوة لدى الإمبراطور الجديد، إلى الإسكندرية وقرأ المنشور الأول على الناس فى اجتماع رسمى. وتراءى ليهود المدينة أن الفرصة قد حانت لتسوية

بأمر الله وانفذو واحضرو الثقات عندهم من النسا القوابل وسالوهم باجتهاد وحرص ان يكشفن امرها ان كانت عدرا كما قالت قدام الله والناموس، فكشفنها وقلن لهم: حقا قالت فهى عدرا كما قالت تامه لم تنفك عذريتها عند ولادتها يسوع كما تعرفون جميعكم انه ولد منها.

ثم انهم فتشو من جيرانها ومعارفها لعلهم يجدون احدا يقاوم الولاده فما وجدو، بل كل احد مصدق لولادتها وزمانها الذى ولدت فيه الولاد

حسابهم مع الإغريق. ولعلهم بادروا خلال فترة الهدوء التى أعقبت مذابح عام ٣٨ إلى جمع السلاح من كل مكان تأهباً للمعركة، وسرعان ما نشب تطاحن جديد روى لنا يوسف أخباره، ويؤيد روايته ما ورد فى رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين، التى سيأتى الكلام عنها بعد قليل. ويلوح أن اليهود كانوا البادئين بالعدوان فى هذه المرة، وقد شد من أزرهم بعض بنى جلدتهم الذين تسللوا إلى مصر من فلسطين. ولما احتدم النزاع واستفحل الخطر أمر كلوديوس نائبه فى مصر أن يقمع الفتنة بكل الوسائل.

ولم تكد الأحوال تهدأ حتى بادر كل من الفريقين بإرسال وفد إلى الإمبراطور لتهنئته بالجلوس على العرش، والاعتذار عن الاضطرابات الأخيرة، والتقدم ببعض المطالب. كما التمس منه الوفد الإسكندرى أن يقبل قراراً (psêphisma) أصدره مواطنو المدينة، ربما عن طريق مجلس شيوخهم (gerousia) لتكريمه وتأكيد الولاء له. على أن أهم مطلب تقدم به الإسكندريون كان إنشاء مجلس شورى بالمدينة. وأما اليهود فقد طالبوا بحقوق المواطنة الكاملة بها. وفى الحق أن الجنسية السكندرية كانت ميزة كبيرة تكسب حاملها مكانة اجتماعية مرموقة وتعفيه من ضريبة الرأس ومن الخدمات الإلزامية، وتمهد له طريق الحصول على الجنسية الرومانية. لهذا ألح اليهود فى المطالبة بها. غير أنهم تطلعوا إلى أزيد مما كان ينبغى لهم. ذلك أن المدينة اليونانية (polis) كانت مدينة وثنية تؤمن بأكثر من إله واحد، وكان الدين فيها

العـجـيب بالسـر الذى لا يدرك ولم يجـدو الكهنه شـيـا يحـتـجـون به عليـهـا او يكذبونهـا بل حـقـا ظاهــرا.

ثم بعـد ذلك قدمـوها اليـهم بخـوف وقالوا لهـا: قد فتشنا فلم نجد شيا يخالف قولك وما ذكرتيه، وليس هو صواب ان نكتب ما تقولينه ونحن الان نقـسم بالله الضـابط الكل ان تعـرفـينا من هو ابو يسـوع الذى ولدتيـه منه حـتى نكتب اسـمـه فى [المسـطـره](*) والنسبه. فـامتلأت مـريم من روح

(*) المسـطـرة: هـو الـكـتـــاب المسطور فيه انساب الكهنة اليهود.

مرتبطاً بالحياة الاجتماعية والسياسية ارتباطاً وثيقاً، فكان خليقاً باليهود إما أن ينأوا بأنفسهم عن هذه الحيـاة أو أن يتخلوا عن دعـواهم بأنهم عبـدة الإله الحق الأوحد. لقـد كان مطلب اليـهود يظهرهم بمظهر الطامع فى الظفر بنعيم الدنيوين وينطوى على الأثرة واشتهاء ما للغير والزج بأنفسهم فى حياة طالما تظاهروا باستهجان مقوماتها الروحية والمادية. وقد أقحم الشبان اليهود أنفسـهم دون وجه حق فى مباريات معاهد التربية وفى منظمات الشباب اليونانية التى كانت مقصـورة على المواطنين الإسكندريين أو من هم فى سبيلهم إلى أن يصبحوا مـواطنين. فعلوا ذلك على الرغم من تحذير شيـوخـهم المتزمتين من أن الاشـتـراك فى هذه المبـاريات ـ التى قد يتـجرد فيـها اللاعبون من ثيابهم ـ رجس ينبغى اجتنابه. ويرجح كثيـر من البـاحثين الآن أن اليهود كانوا منقسمين فلم يرسلوا إلى الإمبراطور بعثة واحدة كما فعل الإسكندريون بل أرسلوا بعثتين. إحداهما تمثل الطائفة المحافظة، والأخرى تمثل الطائفة المتـحررة التى تأثرت بالثـقافة وأساليب الحياة اليونانية.

وقد شاء القـدر أن يصلنا رد الإمبـراطور كلوديوس على مطالب الإسكندريين واليـهود فى بردية وجـدت عـام ١٩٢٠ أو ١٩٢١ فى قـرية فـيلادلفـيـا، وهى جـرزة الحـالـية بشـمـال شـرق الفـيـوم، وآلت إلى المتـحف البـريطانى، ثم نشـرها الأسـتـاذ آيدرس بل فى عـام ١٩٢٤. وقـد أحدثت هذه البـردية التى تعرف عادة باسم «رسـالة كلوديوس إلى الإسكندريين» دوياً كبيراً فى

القدس وقالت: ما اقول شيا بمكر ولا كذب والله الذى اقسمتم على باسمه شاهد. وبدت تقول لهم ان جبريل الملاك جا الى وبشرنى. وشرحت لهم قضية حالها فبهتو وتعجبو وطلبو الى الله ان يغفر لهم ما قد ظلموها به من القول. وقال بعضهم: حقا ان هذا هو المسيح الذى تنبت عنه الانبيا انه يأتى من بيت داود و من بيت لحم من سبط يهودا. فدعو يسوع واقسموه كاهنا وكتبوه فى النسبه اليوم والشهر والسنه وقالوا: يسوع ابن الله وابن



سجادة قبطية من القرن السادس عليها رسم للست مريم والسيد المسيح

الأوساط العلمية، وقلما ظفرت وثيقة أخرى بما ظفرت به هذه البردية من اهتمام بين الباحثين. ومن المرجح أن الرسالة حررت أولاً باللغة اللاتينية ثم تولى المترجمون فى الديوان الإمبراطورى نقلها إلى اليونانية. وأرسلت الصورة اليونانية إلى الإسكندرية حيث قرئت على الأهالى. ثم رأى الوالى أن ينشرها فى ١٤ من شهر هاتور (الموافق ١٠ من نوفمبر) عام ٤١ حتى يطلع عليها جميع السكان. ويستهل الإمبراطور رسالته بالتحية:

«تيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس الإمبراطور، الكاهن الأعظم، حامل السلطة التربيونية، المرشح قنصلا، إلى مدينة الاسكندريين سلاما».

ثم يقول إنه تلقى من السفراء قرار الإسكندريين بتكريمه ويعقب على ذلك قائلا:

«انهم أوضحوا لى ما تكنون من شعور طيب نحونا، وهو شعور ادخرته لكم فى نفسى ـ كما تعلمون جيدا ـ منذ زمن طويل، فانتم بطبيعتكم تجلون الأباطرة. كما أعلم من أدلة كثيرة، ولا سيما من اهتمامكم الشديد باسرتى، وهو اهتمام متبادل، لعل أعظم شاهد عليه ـ ولأذكر أقرب مثل ضاربا صفحا عن الامثلة الأخرى ـ هو أخى جرمانيكوس قيصر الذى خاطبكم بلغة واضحة صريحة.

وينقسم متن الرسالة إلى ثلاثة أقسام، يتناول الأول منها مقترحات الإسكندريين لتكريم

مريم العدرا الذى ولدته وهى عدرا انه كاهن وهو مستحق. وهذا الذى كان من التدبير كما قال لوقا الانجيلى المتطيب فى فصل من انجيله، ان يسوع لما رجع من الجليل بقوه الروح خرج خبره فى كل الكوره وكان يعلم فى مجامعهم ويمجده كل احد، وجا الى الناصره، حيث كن تربى، و دخل كعادته الى مجمعهم يوم سبت فدفع له الخادم السفر الذى فيه نبوءة اشعيا النبى المكتوب فيه:

(روح الرب عليّ ومن اجل هذا مسحنى

الإمبراطور. ويقبل كلوديوس بعضها ويرفض البعض الآخر. فهو يقبل، مثلا، أن يكون يوم ميلاده عيداً رسمياً، وأن تقام له ولأفراد أسرته تماثيل فى عدة أماكن. ومن بين تمثالين من الذهب يوافق على أن يقام أحدهما ـ وهو ما يرمز إلى فكرة السلام الذى وطد أغسطس وكلوديوس دعائمه ـ فى روما، وإن كان قد أراد أن يرفضه حتى لا يثير استهجان الناس لولا أن ألح عليه صديقه الأعز بالبيلوس، وأن يحمل الآخر فى مواكب أعياد البلاد والجلوس الإمبراطورية فى مدينة الإسكندرية. ويستجيب لرغبة المواطنين فى إنشاء جمعية تحمل اسمه، وغرس أيك صغيرة مقدسة وفقاً للعادة المتبعة فى مصر. ولا يعترض على أن تنصب له تماثيل يمتطى فيها صهوة جواده، وأخرى تمثله واقفاً فى عجلات حربية تجر كل منها أربعة جياد وتقوم عند مداخل القطر: أحدها عند تابوسيريس (أبو صير) فى الصحراء الليبية، والآخر عند فاروس (رأس التين) فى الإسكندرية، والثالث عند بيلوزيوم (الفرما) فى مصر. ولكن كلوديوس يستنكر تعيين كاهن أعلى وتشييد معابد له، لأنه لا يريد أن يسىء إلى شعور معاصريه «اذ أن المعابد وما شاكلها هى ـ فى رأيه ـ امتيازات خاصة تمنح للآلهة وحدهم فى كل زمان».

ويتناول القسم الثانى مطالب الإسكندريين التى يوافق كلوديوس عليها ما عدا المطلب الأخير. فهو يؤكد حق الجنسية السكندرية لجميع من استوفوا شروط الإندماج فى منظمات الشباب (ephêboi) حتى وقت اعتلائه العرش مع تمتعهم بكل الامتيازات والإعفاءات التى

وارسلنى لابشر المساكين وانذر المأسورين بالتخليه، والعميان بالنظر،وارسل المربوطين، وابشر بالسنه المقبوله للرب) ثم طوى الكتاب و دفعه للخادم وجلس، وكانت عيون الحاضرين شاخصه اليه، وبدا يقول لهم: اليوم كملت هذا النبوة فى مسامعكم . و كانوا جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمه الخارجه من فمه.

فلما سمع فيلبس النصرانى هذا من تاودوسيوس واليهودى فرح فرحا عظيما ثم قال

تتمتع بها المدينة ما عدا من اندسوا خلسة فى هذه المنظمات مع أنهم ينحدرون عن آباء أرقاء. ويرغب الإمبراطور فى أن يختار المشرفون (neokoroi) على معبد أغسطس المؤله بالإسكندرية عن طريق الاقتراع على نحو ما هو متبع فى حالة المشرفين على معبد أغسطس المؤله بكانوب. ويقر للاسكندريين بالمثل جميع الامتيازات التى منحها إياهم من سبقوه من الأباطرة والملوك والولاة وعلى نحو ما أقرها أغسطس المؤله نفسه. ويحبذ كل التحبيذ اقتراح الإسكندريين بأن تحدد مدة المناصب البلدية بثلاث سنوات «لأن حكامكم سوف يسلكون أثناء فترة توليهم مناصبهم مسلكا حذرا خشية أن يتعرضوا للحساب على اساءة استعمال السلطة».

وأما المطلب الأخير فيروغ منه كلوديوس ويرجىء البت فيه حتى يتحقق من فائدته:

«وأما عن مجلس الشورى، فليس فى وسعى أن أقول ما هى السنة التى درجتم عليها فى عهد الملوك القدماء. ولكنكم تعلمون جيدا أنه لم يكن لديكم مجلس فى عهد من سبقونى من الأباطرة. وحيث أن هذا مقترح جديد يثار الآن للمرة الأولى، ولا يتضح اذا ما كان سيعود بالفائدة على المدينة وحكومتى، فقد كتبت إلى أيميليوس ركتوس (الوالى) ليبحث الموضوع ويخبرنى عما اذا كان من الضرورى انشاؤه أصلا، وكيف ستكون طريقة انشائه اذا تبين أنه ضرورى».

له: انما عرفت هذا وتكلمت به لانى من معلمى الناموس وقاريه وهو الذى ثبت فى قلبى ان الذى ولدته مريم هو المسيح وتمت عليه نبوة يعقوب ليهودا ولده لا على غيره، وانه لا يأتى بعده مسيح اخر، وقد صح لنا انه الذى تنتظره الامم وهو الاتى الى العالم المنجى لمن امن به، ولا يكون بعده ريس ولا مقدم ولا كاهن فى اسرايل، كقول داود النبى عنه فى مزمور ١١٠ : (اقسم الرب ولم يندم انك الكاهن الى الابد كشبه طقس ملكيصداق فمن

والقسم الثالث والأخير من رسالة كلوديوس أكثر من سابقيه طرافة إن لم يكن أكثر أهمية لأنه يتناول النزاع بين اليهود ومواطنى الإسكندرية الإغريق وقد ثار حول تفسيره ـ مثلما ثار حول سابقه ـ جدل شديد وتشعبت فيه الآراء وبخاصة حول موضوع الجنسية السكندرية وهل كان اليهود يتمتعون بها كالإغريق من المواطنين. ولا يعنينا الآن أن نخوض فى وجهات النظر المتضاربة، تاركين للقارىء أن يستخلص لنفسه ما يشاء من رد الإمبراطور:

«وأما عن الفريق المسئول عن الشغب والنزاع ـ وان شئتم الصدق ـ عن الحرب مع اليهود، فعلى الرغم من أن سفراءكم، ولا سيما ديونيسيوس ابن ثيون. قد دافعوا (عن قضيتكم) دفاعا مجيدا عندما ووجهوا (بخصومكم). الا أننى لم أشأ أن أقوم بتحقيق دقيق، مختزنا فى صدرى سخطا دفينا على من يبداون (العدوان) من جديد. وانبئكم بصراحة أنه ان لم تكفوا عن تبادل العداوة المستحكمة القاتلة فسوف اضطر إلى أن أظهر لكم كيف يصير العاهل الشفوق عندما يتملكه غضب هو محق فيه. ولهذا فاننى، من ناحية، اناشد الاسكندريين مرة أخرى، أن يبدوا روح التسامح والود لليهود الذين يعيشون فى المدينة نفسها منذ زمن طويل، وألا ينتهكوا شعائر عبادتهم الدينية، بل أن يدعوهم يمارسون عاداتهم التى مارسوها أيام أغسطس المؤله، والتى أقررتها أنا كذلك بعد أن سمعت أقوال الطرفين. ومن

هو من درية ادم كـاهن يعـيش الى الابد). وداود ايضا يقـول فى مزمـور ٩٨ : من هو الانسـان الذى يعيش ولا يعاين الموت فهو المسيح الذى قـال عنه داود انه الكاهـن الحى الدايم. فـاجـاب فـيلبس و قـال له: يجب ان تعلم ان كـتـمـانك هذا الامـر يوجب عليك دينونه(*) فى اليوم العظيم انا اوثر ان اظهـر الذى سـمعـتـه منك للملك المحب لله وينفـذ ويحـضـر النسبـه المكتـوبــه فــى المسطـرة لكى يظـهـر تبكيت اليـهـودى وقلة ايمانهم. فـاجـاب اليـهـود وقـال للنصـرانى: انت تعلم انك تأتى على

(*) دينـونة: أى يوجب عليـه خطيـة عـدم الإفـصـاح عن هذه القـصـة والحساب عليها.

ناحية أخرى فـانى آمر ايهـود صراحة ألا يضيعوا جهدهم فى السعى وراء (حقوق) أكثر مما حصلوا عليه من قبل، وألا يرسلوا بعد اليوم سفارتين كأنهم يعيشون فى مدينتين، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل، وألا يقحموا أنفسهم فى مباريات معاهد التربية أو منظمات الشباب، بل أن ينتفعوا بما فى حوزتهم (من امتيازات)، ويتمتعوا فى مدينة ليست مدينتهم بوفرة من الخيرات الجمة، وعليهم ألا يستقدموا أو يستدعوا يهودا ممن يفدون (إلى المدينة) من سوريا أو من مصر عن طريق النهر، مثيرين فى نفسى مزيدا من الريبة. ولئن لم يمتثلوا لأنتقمن منهم بكل الوسائل بوصفهم قوما ينشرون الوباء الشامل فى انحاء المعمورة. فان كف كل منكما عن هذه الأعمال ورضى أن يعيش فى تسامح وود مع الآخر، فسوف أولى من جانبى اهتماما للمدينة التى تربطها بنا صداقة تقليدية قديمة».

هذه الرسـالة المتزنة التى تنم عن فطنة ولبـاقة دبلوماسـيـة، والتى أنصـفت كلوديوس من المؤرخين وغيرت رأيهم فيه، لم ترض اليهود لأنها قضت على أملهم فى الحصول على مزيد من الامتيازات؛ ولم ترض كذلك الإسكندريين لأنها أقرت لليهود حقوقهم وامتيازاتهم القديمة. وأدهى من ذلك أنها أرجأت البت فى طلب إنشاء مجلس الشورى، وهو إرجاء لم يقصد به سوى التخلص من الحرج والتهرب من مطلب لم يكن يتفق ومصلحة الإمبراطور. وقد ظلت

نفسك بدينونه العهد الذى بيننا والامر الذى تظن
انك تظفر به فلا تقدر عليه ولا تتمكن منه، لان
اليهود اذا علموا بهذا اثارو حربا كبيرا و تجرى امور
يموت فيها خلق كثير، واذا الزمو باظهار النسبه وما
فيها مكتوب رأو ان يحرقوها بالنار او يقتل جمعهم
بالسيف و لا يظهرونها، وتكون انت المخطى وتضيع
النسبه بعد ذلك، والنصارى ماهم محتاجين لها
لانها مسطرة كهنة اليهودوانتم قد امنتم به
وعرفتموه من اقوال الانبيا والرسل وتحققتم امر
دينكم، وهذا [المسطره] فهو يبكت اليهود الى

الإسكندرية بغير مجلس شورى حتى عام ٢٠٠ . وأيقنت الحكومة الرومانية بعد هذه الاضطرابات الدامية أن الإسكندرية هى منبع الخطر الحقيقى فى البلاد، فنقلت فى عصر كاليجولا أو فى أوائل عصر كلوديوس فرقة قورينة الثالثة (leg. III Cyr.) التى كانت ترابط ـ على ما يرجح ـ عند قفط أو طيبة، نقلتها إلى الإسكندرية حيث رابطت مع فرقة ديوطاروس الثانية والعشرين فى معسكر نيقوبوليس بضاحية المدينة.

٣. أعمال الإسكندريين وأدب الشهداء:

ولعل هذا الإجراء العسكرى، إلى جانب تحذير كلوديوس الشديد، قد ردع الفريقين وكبح جماحهما إلى حين. ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى تجددت الاضطرابات فى الإسكندرية. ولم تصلنا أخبار هذه الاضطرابات عن طريق المؤرخين، بل وصلتنا فى شكل برديات، هى فى الغالب قصاصات، تؤلف مجموعة طريفة يسميها العلماء الآن «أعمال الشهداء السكندريين» (Acta Alexanorinorum) نظراً لما بينها وبين «أعمال الشهداء المسيحيين» من تشابه. ولعل أوجه الشبه تنحصر فى كتابة كل منهما فى شكل محاضر الجلسات القضائية[1]، وتبادل

(١) ظهرت «أعمال الشهداء المسيحيين» فى صورتين أدبيتين إحداهما هى صورة الرسائل (كاستشهاد پوليكاربوس فى عام ١٥٦) والأخرى صورة محاضر الجلسات القضائية (كأعمال شهداء سكيللى الذين حوكموا أمام مجلس الپر وقنصل ساتورنينوس فى قرطاجه فى أعمال أغسطس عام ١٨٠) والثانية هى التى راجت فيما بعد.

الابد فى بقاه عندهم، فلماذا تريد ازالته من بينهم، فصدقنى يا صديقى ان كل كتاب قريته من الناموس ومن نبوات الانبيا من اجل المسيح كانت هذه، وهذه نسخه النسبه عندى اقوى بها على ايمانى بالمسيح الذى تعبدونه انتم، وقد ظهر هذا لجميع المعلمين وانا اعلم انك ان ذكرتها ضيعتها. فقبلت انا فيلبس منه مع سؤال كثير ان لا اظهر هذا الامر وخوفنى فامسكت لانه استحكم على الله. وقال: ان هذه الشهادات تقنع انه يسوع المسيح بتبكيت اليهود وتثبت لنا و لا مانتنا.

الألفاظ القارصة بين المتهمين والإمبراطور، والقاء الشهداء خطباً طويلة وتجسيم عيوب الحكم الرومانى. بيد أن هذا الشبه ظاهرى أكثر منه حقيقى وقد كتبت من وجهة نظر الإسكندريين وبالأخرى من وجهة نظر فريق معين أو طبقة اجتماعية بينهم. ومع أنها لا تعد من قبيل القصص التاريخية أو الروايات الخرافية، إلا إنها لا تخلو من الطابع الخيالى الروائى. وقد أحرزت رواجاً واسعاً بين الإغريق فى الإسكندرية وفى أنحاء مصر الأخرى لأنها كانت تنفس عما فى صدورهم من حقد على الرومان وبغض لصنائعهم من اليهود. ولما كان كثير من هذه الأعمال يدور حول النزاع الذى احتدم أواره لفترة طويلة بين الإسكندريين واليهود، فإنها توصف أحياناً «بالأدب المناهض لليهودية». غير أن «أعمال الإسكندريين» كانت دعاية موجهة ضد الرومان بالذات، ولم تكن مناهضة لليهود بقدر ما كانت مناهضة للرومان، ولم يستخدم اليهود فيها إلا كوسيلة أو تكأة لمهاجمة الحكم الرومانى. لقد كانت بمثابة الأدب القومى الذى يهدف إلى إذكاء الشعور الوطنى فى الإسكندرية وغيرها من مواطنى الإغريق فى مصر، وتمجيد بطولة زعماء المدينة، والهاب روح العداوة ضد الحكم الأجنبى.

لكن ينبغى قبل أن نعرض نماذج لهذا الأدب الشعبى أن نذكر شيئاً عن أصله وتاريخه والهدف منه، وهى مسائل قام حولها جدل بين الدارسين، وما يزال هذا الجدل قائماً حتى اليوم. فلنتناول أولا مسألة تأليف هذه النصوص الأدبية أو شبه الأدبية. ففريق من الباحثين يرى

انا فيلبس كتبت هذا واحضرته قدام جماعة البيعه واساقفه قديسين ورهبان مصطفين، فلما علموا تعجبوا من ذلك و تحققو صحة قول اليهودى وشهادة اليهود للسيد المسيح فى الكهنوت، كما قد كتب فى [المسطره].

ثم كتبو الاساقفه والرهبان كتبا بسبب الكهنوت فوجدو يوسابيوس بنفلوس يذكر هذا فى مواضع كثيره فى سير البيعه، لان يسيبوس [بسنتيوس = باسنت] اظهره فى كتب الهيكل.



تمثال نصفى لكاركالا
(٢١١ ـ ٢١٧)

أنها كتبت فى أوقات مختلفة بقلم مؤلفين مختلفين. وفريق آخر، يتزعمه الأستاذ بريمر شتاين، يرى أنها كلها تمثل كتاباً أدبياً واحداً وضعه مؤلف واحد فى مستهل القرن الثالث الميلادى، ربما فى عصر الإمبراطور كراكلا، عندما بلغ عداء الإسكندرية للرومان ذروته وينبغى أن أنبه مرة أخرى إلى أن كثيراً من هذه النصوص مكتوب فى شكل محاضر جلسات قضائية حتى أن العلامة ڤيلكن يعتقد أنها ربما نقلت ـ بطريقة أو بأخرى ـ عن مذكرات الإمبراطور (commenterii Principis) ثم ترجمت إلى اليونانية وأقحمت فيها عناصر خيالية لتخدم غرض الدعاية السياسية. ولا يقبل بريمر شتاين هذا التفسير ويرى أن هذه النصوص لا يمكن أن تكون صوراً محرفة من المحاضر الرسمية، ويذهب إلى أن كتابتها على هذا النحو لا تعدو أن تكون حيلة من الحيل الأدبية القصد منها إلباس هذه النصوص ثوب الحقيقة وإيهاء القارىء بأنها صحيحة غير زائفة. غير أن رأى ڤيلكن ـ كما سنرى بعد قليل ـ هو الأقرب إلى الصواب لأن من يقرأ هذه البرديات لا يستطيع أن ينكر صلتها بمضابط الجلسات القضائية ولن يساوره الشك فى أن هذه المضابط كانت أحد المصادر التى استقى منها كتاب هذه النصوص مادتهم. ويتضح من دراسة مجموعة «أعمال الإسكندريين» ومقارنة بعض نصوصها بالبعض الآخر أنها تختلف فيما بينها إختلافاً بيناً سواء من ناحية الأسلوب أو الإنشاء، ومن ثم لا يمكن أن تكون من تأليف كاتب واحد. فكل قطعة منها تتميز عن الأخرى بخواص لغوية معينة. ففى إحداها

وذكر هذا يسيبوس [الاب بسنتيوس اسقف قفط(*)] انه نظر يسوع مع الكهنه يدخل الهيكل فى وقت التطهير، ثم يذكر ايضا شهادة لوقا الانجيلى على ما قدمنا شرحه. ولاجل ان السيد المسيح ايضا صنع مخصره(*) من حبل واخرج [التجار] من الهيكل . صح هذا وجميع هذه الشهادات ان قول اليهودى صحيح وانه لاجل صدقته مع فيلبس اظهر له هذا الامر المخفى وشهد له به.

(*) هو الأب بسنتيوس مؤلف كتاب الهياكل.

(*) مخصرة من حبل: سوط من حبل.

تغلب الأسئلة البلاغية، وفى أخرى يغلب الأسلوب الروائى، وفى ثالثة يظهر واضحاً أثر اللغة اللاتينية، بينما تتكرر فى رابعة كلمة بعينها فى أول الجمل. وفى خامسة تلمس أسلوب المحاضر الرسمية، وفى سادسة يغلب استعمال أداة العطف المألوفة، وفى سابعة يغلب حذف أدوات الوصل. وأوجه الشبه طفيفة بين هذه القطع من ناحية الأسلوب اللهم إلا بصورة عامة كالتعقيد البلاغى فى بعضها أو المسحة الأدبية الواضحة فى بعضها الآخر. على أن القواعد النحوية فيها بسيطة وأسلوبها واضح لا التواء فيه وهو قريب الشبه من أسلوب المحاضر العادية فى الوثائق البردية.

ولعل ما أوحى إلى پريمرشتاين بنظرية المؤلف الواحد هو أن معظم برديات «أعمال الإسكندريين» ترجع إلى نهاية القرن الثانى أو بداية القرن الثالث على أنه يسوق تأييداً لنظريته حججاً أخرى متعلقة بالتفاصيل، كتكرار نفس الأفكار أو الموضوعات وتشابه طرائق التعبير وتصوير الأباطرة فى صورة تقليدية ثابتة، الأمر الذى يوحى بأن المؤلف يكتب فى زمن بعيد عن زمن الأحداث نفسها. لكن يرد عليه بأن معظم هذه البرديات، وإن كانت قد أُرِّخت بعام ٢٠٠ على وجه التقريب، إلا أن تأريخها استناداً إلى الخط وحده أمر يحتمل قدر من الخطأ، ولابد من الافتراض بأنها كتبت فيما بين عامى ١٨٠ ، ٢٢٠ أى خلال فترة لا يقل مداها عن أربعين عاماً. وقد سلم پريمرشتاين نفسه بأن إحدى هذه البرديات، وهى النسخة المطوّلة من

فلمـا تمم اليـهـودى تاودوسـيـوس هذا الكلام الصـحيح لصـديقـه فيلبس تعمـد وصار نصـرانيا وختم بخـاتم المعـموديه واخـذ السـراير المقـدسـه. وتعجب كل احد من حسن ايمانه بالسـيد المسيح جلت قدرته، وكانت مسره عظيمـه لى أنا فيلبس مع تاودسيوس المتعمد.

ولما رأى كثير من اليهـود ذلك مع معرفتهم به انه من معلمى الناموس عندهم وانه كان مقدما عليهم وينال منهم كرامات عظيمه فرفض جميع ذلك وصار نصرانيا امن منهم جماعه و تعمدو.

«أعمال پاولوس وأنطونينوس» قد كتبت فى النصف الأول من القرن الثانى، أى بعد مدة غير طويلة من وقوع الحادثة نفسـها. وفضـلا عن ذلك فإن اكتشاف بعض برديات من «أعمـال الإسكندريين» فى السنوات الأخيرة تنتمى إلى القرن الأول أو مستهل القرن الثانى كفيل وحده بتجريح نظرية پريمرشتاين القائلة بأن كل هذه البـرديات كتبت فى أوائل القـرن الثالث. وإذا كان نص معين للدعاية من عصـر هدريان قـد أعيد نشـره بعد تحويره فى نهاية القرن الثانى، فليس ثمة ما يمنع من أن تكون نصـوص أقدم منه على شاكلته قد عولجت بالطريقة عينها. وأما عن التشـابه بين هذه النصـوص فى الأسلوب أو طريقـة التـعبيـر أو الموضـوع، فإن ذلك لا يعدو أن يكون توافقاً طبيعياً بين نصوص من صنف أدبى واحد، نابعة كلها من مصدر واحد أو بالأخرى من طبقة اجتماعية معينة، وتستهدف غرضاً واحداً هو الدعاية.

وفى رأى الأستاذ «بل» أنه حتى إذا سلمنا جدلاً بأن معظم هذه البرديات يرجع إلى أوائل القرن الثالث، ففى وسعنا أن نسوق تفسيرين أقرب إلى الواقع من تفسير پريمرشتاين. ذلك أن اشتداد عـداوة الإسكندرية للحكم الرومـانى، وبخـاصـة للامبـراطور كـراكـلا فى أوائل القـرن الثالث قد زاد من رواج هذا النوع من منشورات الدعاية بين الجماهير. وليس من المستبعد أن بعض المنشـورات القـديمة ظلت مـتـداولة بين مـواطنى الإسكندرية. أليس من الطبـيـعى إذن أن يؤدى ازدياد الطلب عليـهـا إذ ذاك إلى بعثـهـا من جـديد؟ ومن الجـائز أيضـاً أن كـاتبـاً واحـداً

فمجدت الله تعالى انا فيلبس على ربحى نفس صديقى اليهودى كان، وهو الان نصرانى.

والمجد للسيد يسوع المسيح مع الاب والروح القدس الان و كل اوان والى دهر الداهرين امين امين امين.

[نبتدى بعون الله وارشاده بنسخ قليلا من كثير من سير الاباء القديسين، الفضلا المويدين بنعمة الروح القدس، البطاركه بكورة مصر و ما ينسب اليها خلفا الاب القديس مارى مرقس الانجيلى

خطرت له فكرة جمع ونشر ما أمكنه العثور عليه من الكتابات الخاصة بمحاكمة زعماء الإسكندرية أمام الأباطرة بعد إدخال بعض تعديلات عليها سواء بالإضافة أو الحذف حسبما تراءى له. لعل ذلك يفسر ما بين قطع «أعمال الإسكندريين» من تباين شديد فى الأسلوب والإنشاء تفسيراً أفضل من نظرية العالم الألمانى القائلة بأنها كلها من كتاب واحد بقلم كاتب واحد.

وأما عن نشأة وتطور هذا النوع من الأدب الذى يصور زعماء الإسكندرية فى صورة أبطال يتحدون القوة الغاشمة مضحين بأنفسهم فى سبيل رفعة مدينتهم، والذى يوصف أحياناً «بأدب الشهداء»، فحسبى أن أقول إن كلمة «شهيد» (martus = martyr) هى صفة أطلقت فيما قبل المسيحية بمصر على كل من كان يلقى حتفه أيام الاضطهادات فى سبيل عقيدته الدينية والأقدم من ذلك اوزيريس (الشهيد الحى) أول الشهداء المدافعين عن مصر ضد إله الشر «ست»، ومن بعده بشهداء الغرق فى النيل الذين تعمدوا بالماء المقدس لاوزيريس فنشأت حولهم قدسية خاصة فى المعتقدات المصرية القديمة. لكن بمضى الزمن اتسع مفهوم الكلمة فأصبحت تطلق أيضاً على كل من كان يضحى بنفسه دفاعاً عن فكرة أو مبدأ أو مثل أعلى. وفى وسعنا أن نرجع «بفكرة الموت» أو «الإصرار على الموت» فى الأدب اليونانى إلى إلياذة هوميروس، وموضوع غضب أخيليوس (أخيل). ونلمس نفس النزعة فى مأساة أنتيجونى لسوفوكليس. غير أن أفلاطون الذى عنى بمشكلة خلود الروح هو أول من نلقى عنده فكرة

كاروز الديار المصريه وهو اول بطاركتها، وما لقيوه وما صبروا عليه من الجهاد من قبل الامانه المقدسه من الملوك والولاه وغيرهم وذلك قليل من كثير منقول من سيرهم العجيبه لاجل الاقتصار وعدم ضجر القارى. بركاتهم وصلواتهم تكون حافظه لنا الى الابد امين.

اول ذلك الاب الطاهر البشير مارى مرقس الانجيلى الرسول و هو الاول من العدد].

الارتباط بين الفيلسوف والموت: «فالفلاسفة الحقيقيون هم من يروضون أنفسهم على الموت». ولعل أصدق مثل على ذلك قصة سقراط وإيثاره الموت على التخلى عن مبادئه. وقد كان لموت سقراط الذى أكسبه أفلاطون لمحة مثالية تأثير قوى على تطور فكرة الموت بوصفها مثلا أعلى للبطولة. ومنذ القرن الرابع ق.م. كانت هذه الفكرة المثالية موضوعاً للجدل بين فلاسفة أثينا. يقول أرسطو فى إحدى فقرات كتابه «الأخلاق عند نيقوماخوس» إن الرجل الفاضل هو من يجود بنفسه عند الضرورة من أجل أحبائه ومدينته. وتطورت الفكرة عند الرواقيين إلى عقيدة الاستهانة بالموت. كما سمع اليونان عن التضحية بالنفس عند المصريين الذين التقى بهم الإسكندر الأكبر. ولم يأت العصر الهلينستى حتى كانت قد جمعت فى الكتب كثير من القصص التى تروى مصارع الفلاسفة والأبطال (Teleutai). وكان من أبرزها قصة مصرع كاليستنيس على يد الإسكندر. ولما جاء العصر المسيحى أعاد آباء الكنيسة رواية هذه القصص. وقد راجت عند المصريين فى العصر الهلينستى قصص كثيرة عن الاستشهاد وإيثار الموت على أكل لحم الخنزير (الذى كان يحرمه المصريين بأعتباره ممثلاً للإله ست) وبخاصة فى زمن اضطهادات الملك السليوكى، أنطيوخوس الرابع، الملقب بالظاهر (١٧٦ ـ ١٦٣ ق. م.). فإذا عدنا إلى عالم الرومان وجدناه حافلاً بحكايات عديدة عن مقاومة الرواقيين لطغيان بعض الأباطرة. وتزخر رسائل پلينيوس الأصغر وإيبكتيتوس وفيلوستراتوس الأكبر بمثل هذه الحكايات. ولا ريب فى أن هذه الفكرة، فكرة الموت والترحيب به دفاعاً عن مبدأ أو عقيدة وما نسج

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

السيرة الأولى من سير البيعة المقدسة

سيرة مارى مرقس [يوحنا] الحوارى الانجيلى

ريس اساقفه(*) المدينه العظمى اسكندريه واولهم

لما كان فى زمان تدبير الرب المخلص الرحوم يسوع المسيح عند ما جعل له تلاميذ يتبعونه، كان اخوان ساكنين فى مدينه من اعمال الخمس مدن التى فى المغرب تدعى كيرنابولوس، اسم اكبرهم

(*) اساقفة: جمع اسقف، وهو الراعى لأمانته ورعيته من الناس. والقديس بطرس يطلق هذا اللقب على السيد المسيح فى العهد الجديد حيث يقول: «انكم كنتم كخراف ضالة، ولكنكم رجعتم الآن إلى راعى نفوسكم وأسقفها» [١ بط ٢ :٥].

حولها من قصص أو أساطير، كانت معروفة بين الأوساط المثقفة فى الإسكندرية. وليس من المستبعد أن تكون «أعمال الإسكندريين» أو «أعمال الشهداء» قد تأثرت بها. غير أن هذا الأثر كان بعيداً أو غير مباشر.

وقد حاول العلامة رستوفتزف أن يثبت تأثر «أعمال الإسكندريين» بتعاليم فلسفة الكلبيين التى شهدت الإسكندرية كثيراً من أتباعها وهم يهيمون فى شوارعها على وجوههم من أمثال بريجرينوس المشهور باسم بروتيوس، ممن كانوا يتسولون فى ثياب رثة وهيئة زرية ويأتون بأفعال منكرة، أو يحضون الناس، مثلما فعل ديوجينس، على انتهاج أسلوب معين فى الحياة، يتخلون فيه عن بذخ الدنيا، ويهبون أنفسهم للشظف والعناء، ويفترشون الأرض، ولا يشربون سوى الماء، ويعزفون عن الزواج ويزهدون فى الأبناء وينكرون الوطن. ويبشرون بين الناس قائلين لمن يلتقون به «ينبغى أن تكون جريئاً وقحاً، وأن تهين الناس جميعاً أمراء وسوقة؛ ولتكن فظاً غليظ القلب، ولا تدع التواضع أو الشفقة أو الاعتدال يتسرب إلى نفسك. ولا تتحرج عن أن تفعل فى العلانية ما قد يتحرج سواك عن فعله فى السر..». ونحن نعرف أن ديوجينس هذا كان ينادى بالابتعاد عن الحياة السياسية، وكان فى رأيه أن نبل الأصل وذيوع الصيت وما إلى ذلك إنما هى زخارف أو أقنعة زائفة تخفى تحتها روح الخسة واللؤم. وقد سئل مرة ما هو وطنه، فأجاب بأن العالم وطن له (kosmopolitês). وبغض النظر عن استهتاره الدينى وإباحيته الأخلاقية، فقد سعى جاهداً إلى تحرير الناس مما أسماه أوهام الدين وخزعبلاته، وقد ضرب

ارستوبولس واسم الاخر برنابس، وكانا فلاحين، وكانا يزرعان ويحصدان، وكان لهما اواسى كثيره، وكانا [يهوديين] عارفين بناموس موسى معرفه جيده وحفظا كتبا كتيره من العتيقه، ونالهما بلايا عظيمه من قبيلتى البربر والحبش [النوبه] ونهب جميع ما كان لهما في زمان اوغسطس قيصر ملك الروم. ولاجل ذهاب مالهما وما نزل عليهما من البلايا رحلا من تلك الكوره واهتما بخلاص انفسهما واتجها إلى بلاد اليهود، و كان لا

ويقابلهما فى اليونانية كلمة بمعنى المراقب فى ابراج الحصون. وهى تترجم فى الكتاب المقدس بكلمة «يتفقد» أو «يلاحظ»، ومن هنا كان المسيح رأس الطغمة (Togma تعنى رتبة). والمعنى الوظيفى لكلمة اسقف هو الخادم والوكيل والمؤتمن على تكميل اسقفية المسيح على كنيسته.

المثل بازدرائه للآلهة، ولم يسلم سرابيس من سليط لسانه. فكيف تتفق روح هذه الفلسفة و«أعمال الإسكندريين» التى تؤكد الاعتزاز بنبل الأصل، وحب الوطن، والتقوى للآلهة؟ إن نظرية روستوفتزف عن تأثر أدب الشهداء بالفلسفة الكلبية لا يمكن، على وجاهتها، أن تكون صحيحة. ولابد من أن نبحث عن مؤثرات أخرى تأثرت بها كتابة «أعمال الإسكندريين».

إن هذه المؤثرات المباشرة يمكن حصرها فى ثلاث: التمثيليات الهزلية المعاصرة، ومحاضر الجلسات القضائية، والقصة اليونانية الطويلة، وإن كانت «أعمال الشهداء السكندريين» تتميز عنها جميعاً بخصائص فريدة ترجع إلى الديانة الاوزيرية فى الاساس التى تؤمن ببعث الشهيد حياً فى جنة الخلود. وقد راجت التمثيليات الهزلية، (mimoi) فى العصر الهلينستى رواجاً كبيراً[١]. ونلحظ أثرها واضحاً فى تلك المسرحيات الفكاهية التى وضعت بتحريض زعيم مثل

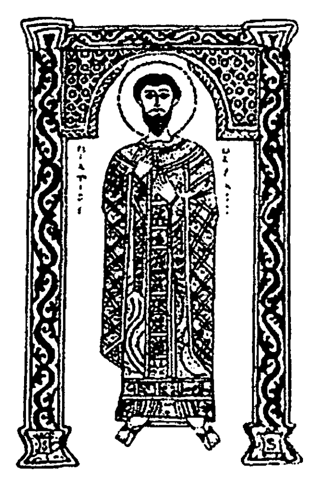
---

(١) وبخاصة الشاعر هيروندااس. وعن سبق الإسكندريين فى هذا النوع من التمثيل الهزلى (mimos)، أنظر:

Cicero, Pro Rab. Post. 35: Audiebamus Alexandriam: nunc cognos cimus: illinc omnes praestigiae, illinc, inquam, omnes fallaciae, omnia denique ab eis mimorum argumenta nata sunt: Nec mihi longius quicquam est, iudices, quam videre hominum voltus:

لقد كنا نسمع (من قبل) عن الاسكندرية، والأن نحن نعرفها. انها منبع كل البدع ـ أقول ـ انها مصدر كل الحيل، وأخيرا فان سكانها هم الذين ابتكروا كل موضوعات التمثيليات الهزلية. وليس هناك شيء اتوق إليه ـ حضرات المحلفين ـ أكثر من أن أرى وجوه قومها. =

رستوبولس ولد ذكر يسمى يوحنا، فلما سكنوا فى اعمال فلسطين بالقرب من مدينة اورشليم وكان يوحنا الطفل ينمو وينشأ فى قامته بنعمة روح القدس وكان لهذين الاخوين ابنة عم وهى زوجة سمعان بطرس الذى صار ريس تلاميذ السيد المسيح وكان يوحنا المذكور قد سموه مرقس، وكان ياوى عند بطرس ويتعلم منه من الكتب المقدسه التعاليم المسيحيه. ولما كان يوم من الايام اخذ ارستوبولس ولده مرقس الى الاردن، فبينما هما ما شيان لقيهما اسد ولبوه .



رسم للقديس مرقس (يوحنا) من مخطوط يعود للقرن ١٣

إسيدوروس للسخرية من الوالى فلاكوس عندما احتدمت بينهما الخصومة بسبب إغلاق نوادى المدينة وجمعياتها فى عام ٣٤/٣٣؛ وفى الموكب الملكى الهزلى الذى نظمه الإسكندريون للاستهزاء بأجريبا اليهودى فى عام ٣٨؛ والتمثيليات التى عرضت فى الإسكندرية للتفكه بمصائب اليهود إبان محنتهم؛ والأراجيز التى نظمت والمسرحية الهزلية التى مثلت فى الإسكندرية للتعريض بلوكواس ملك اليهود الذى تزعم ثورتهم الكبرى فى برقة ومصر وقبرص

= وعن شغف الإسكندريين بهذا النوع من التمثيل دون تقدير للعواقب التى قد تنجم عنه، راجع:
Dio Cnrysost. Or. XXXII, 86, 89, & Passim.

وعن طبيعته وانتشاره فى مصر وبعض نماذج منه، أنظر:

- T. Grassi, "Musica, Mimica e Danza secondo i documentl papira cel greco- egizi", Studi della Scuola papirologicc III. Mllan (1920). PP. 111 - 135.
- G. Manteuffel, De Opusculis Graecis Aegyptie Papytis, Ostracis Lapidibusque Collectis. Travaux de La Societe des Sciences et des Lettres de Varsovie, No. 12 (Warsaw. 1930), PP. 41 ff.: idem. "Zwei Bemerkungen zu den griechischen Mimen aus Aegypten". Hermes 65. (1930). PP. 123- 128.
- H. Box, philonis Alexandrini in Flaccum. Oxford (1939), P. 88 f. r. 34.
- D.L page, Greek Literary papyri. poetry, vol. I (Loed Classical Library) 1942, Nos. 73-79.
- A. Swiderek, "Le mime grec en Egypte", Eos 47 (1954), PP. 63-74.

فلما نظر ارستوبولوس اليهما مقبلين اليه ونظر شده غضبهما قال لولده مرقس: يا ولدى هوذا تنظر غضب هذا الاسد المقبل ليهلكنا فامض انت الان وانج بنفسك يا ولدى و دعهما ان ياكلانى. كما اراد الله ضابط الكل اجاب تلميذ المسيح مرقس القديس قايلا لا بيه: لا تخف يا أبت المسيح الذى اومن به ينجينا من كل شده.

فلما قرب منهم الاسدين صاح عليهما مرقس تلميذ السيد المسيح بصوت عظيم وقال: السيد

(١١٥ ـ ١١٧). وتوحى بعض فقرات فى «أعمال الشهداء السكندريين» بأنها قد تأثرت بفن التمثيل المسرحى، مثال ذلك: مخاطبة أبيانوس لجثة الميت فى روما، ومواساة هليودوروس له، وخطاب أبيانوس المؤثر بعد أن أتشح بأوسمة منصبه الرفيع كمدير لمعهد التربية، وخطبة الموت لپاولوس، والحوار العنيف بين الإمبراطور كلوديوس واسيدوروس، وبين تراچان وهرمايسكوس، وبين كومودوس وأبيانوس؛ وأخيراً تجسيم عيوب الأباطرة وتصويرهم فى صورة ساخرة كرجال خاضعين لزوجاتهم أو طغاة أجلاف لا يعرفون كيف يحكمون العالم الذى فتحوه، والتنديد بافتقارهم إلى الحزم، وتخوفهم من الشعب، واستعانتهم فى آخر الأمر بالجلاد للتخلص من خصومهم. وعلى نقيض ذلك فإن «أعمال الشهداء السكندريين» تنوه باستقامة خلق الإسكندريين وكريم أرومتهم وثقافتهم وشجاعتهم وتحديهم قوى الظلم واستهانتهم بالتعذيب. إن جميع هذه العناصر المسرحية أو شبه المسرحية قد تعزى أصلاً إلى جمهور القراء فى معاهد التربية أو النوادى أو الجمعيات السكندرية. غير أنه لا ينبغى أن نؤكد أثر التمثيليات الهزلية فى «أعمال الإسكندريين». فثمة فرق واضح بينهما وهو افتقار الثانية إلى عنصر الفكاهة والمزاح، واتسامها بروح الجد التى نألفها فى المآسى اليونانية.

والمصدر الآخر الذى اعتمدت عليه «أعمال الإسكندريين» وتأثرت به هو محاضر الجلسات القضائية. غير أن أثر محاضر الجلسات الرسمية لا يظهر فيها كلها أو يظهر فيها لكن بدرجات

يسوع المسيح ابن الله الحى يأمركما تنشقا وينقطع
جنسكما من هذا الجبل ولا يكون لكما فيه ولد
إلى الابد. فانشقا الاسد واللبوة للوقت و الساعه
من وسطهما وماتا لوقتهما من تلك الساعه،
وانقطع نسلهما. فلما نظر ارستوبولس ابوه هذه
الاعجوبه العظيمه التى ظهرت من مرقس ولده
بقوة الرب يسوع المسيح الذى لا يغلب قال لولده:
انا ابوك الذى ولدتك يا مرقس ابنى وانت اليوم ابى

متفاوتة. فبعضها مكتوب فعلاً فى شكل محضر قضائى مما يدل على أن مؤلفة اقتبس مادته من صورة وثيقة رسمية وصلت إليه بطريقة أو بأخرى. وبعضها الآخر يمثل محضراً رسمياً محرفاً أو ملفقاً قد أقحمت فيه عناصر روائية أو خيالية ليخدم غرض الدعاية. وبينما يصطبغ نص بصبغة بلاغية واضحة توحى بأنه مستمد من خطبة المحامى الذى تولى الدفاع فى الجلسة الحقيقية، يستقى نص آخر مادته جزئياً أو بصورة غير مباشرة من وثيقة مكتوبة، ويستند ثالث إلى رواية شفوية، ورابع أشبه ما يكوين بالقصة الخيالية البحتة[1].

والمصدر الثالث الذى يحتمل أن تكون «أعمال الإسكندريين» قد أخذت عنه بعض موضوعاتها الأدبية هو القصة الطويلة. وقد كان طبيعياً أن يتأثر كتّاب هذه «الأعمال» ومن أعادوا تدوينها بصنف من الأدب الترويحى كان رائجاً فى العصر اليونانى المتأخر والعصر الرومانى. غير أن هذا الأثر كان سطحياً غير عميق. ولا يتبين من المقارنة سوى تشابه طفيف بين أسلوب «أعمال الشهداء» وأسلوب بعض كتاب القصة من أمثال خاريتون وهليودوروس. ولعل ما بينهما من تشابه لا يظهر فى الأسلوب بقدر ما يظهر فى بعض ملامح عامة عاطفية كتقوى الآلهة وحب الوطن.

---

(١) تتضمن قصاصة بردية جديدة، تنتمى فيما يبدو إلى «أعمال الإسكندريين»، خليطاً من الأساليب المختلفة (أسلوب محاضر الجلسات القضائية، والأسلوب البلاغى، والأسلوب الروائى)، أنظر:
Musurillo, "A New Fragment of the Acta Alerandrinorum". J.R.S. 47 (1957), P. 185.

ومخلصي ومنجيني، والان يا ولدى الحبيب انا و اخي نسيلك [نسألك] ان تجعلنا عبيدا للرب يسوع المسيح الذى تبشر به. وحينذ تعلم ابو القديس مرقس وعمه تعاليم المسيح من ذلك اليوم. ومريم امه هى اخت برنابا تلميذ الرسل.

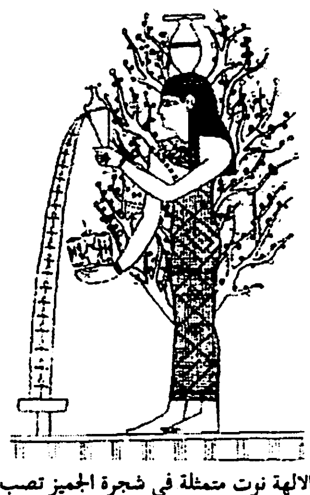
وبعد هذا كان فى تلك النواحى فى بلد يسمى ازدود(*) اصل. زيتون كبير جدا وكان الناس يتعجبون من عظمه وكان اهل تلك المدينه يسجدون للقمر ويصلون لشجرة الزيتون. فنظر

(*) ازدود = اسدود: هى احد موانى الساحل الفلسطينى القديمة.

وفى رأى القس موسير يللو الذى عكف على دراسة هذا الموضوع مدة طويلة أن من الجائز أن تكون «أعمال الإسكندريين» قد نبعت أيضاً من مصدر آخر. فقد استرعى انتباهه عند قراءة نصوصها تكرار أسماء ينتمى أصحابها إلى طبقة معينة، هى طبقة الجيمنازيوم أى معهد التربية الرياضى الثقافى، أسماء كإسيدوروس ولامپون وثيون وديونيسيوس وأپيانوس، الذين شغلوا كلهم فى الإسكندرية أرفع المناصب البلدية، وربما كانوا أعضاء فى مجلس شيوخها (gerousia)، وغالباً ما كانوا يمثلون المدينة كرؤساء أو أعضاء فى السفارات الموفدة منها إلى الأباطرة. وفى «أعمال أپيانوس»، التى وقعت حوادثها فى أواخر القرن الثانى إشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الشهداء الذين لقوا حتفهم قبل منتصف القرن الأول، وهى إشارة لها مغزاها كان القصد منها استشارة القراء الذين كانوا يعرفون هذه الأسماء عن ظهر قلب وربما كانوا من سلالتهم. لقد كانت «النوادى»، و«معهد التربية»، وربما أيضاً «مجلس الشيوخ» هى مركز الحياة الاجتماعية للطبقة الميسورة. وقد رأينا كيف كان رجل مثل إسيدوروس يسيطر على هذه النوادى فى أيامه وكيف كانت تأتمر بأمره. وقد استخدم نفوذه، على الرغم من منشور الوالى بإلغاء النوادى، لتسخير بعض الكتاب فى تأليف أراجيز ماجنة أو تمثيليات هزلية للسخرية من فلاكوس. ولن نجانب الصواب كثيراً إذا قلنا إن هذه النوادى والجمعيات كانت أشد الهيئات تنديداً بالحكم الرومانى لأنها كانت تمثل آخر مظهر للحياة الثقافية القديمة، تلك الحياة التى ازدهرت فى ظل الاسكندرية.

القديس مرقس صلاتهم وقال لهم: هذه الزيتونه التى تأكلون ثمرتها وتوقدون اغصانها للنار ثم تسجدون لها كالاله ماذا تصنع، هوذا بكلمه الله الذى اعبده امر هذه الشجره ان تسقط على الارض بلا حديد يدنو منها. فقالوا له: نحن نعلم انك تعمل سحر الجليلى صاحبك ومهما اردته فعلته ونحن فندعو الهنا القمر الذى اقام لنا هذه الشجره الزيتون نصلى لها .

اجاب القديس مرقس وقال لهم : انا أطرحها



الالهة نوت متمثلة فى شجرة الجميز تصب الحياة على هيئة علامات عنخ من الوعاء الذى يحمل ماء الحياة والخلود

من الأجدى إذن أن نبحث عن مصدر «أعمال الإسكندريين» بين أسر أقطاب من أمثال إسيدوروس ولامپون وثيون وديونيسيوس ومحيط أصدقائهم أو على الأقل بين أعضاء طبقتهم ونواديهم. وقد كان فى وسع هؤلاء الأقطاب، بفضل تربيتهم اليونانية المقترنة بالاعتزاز بالأصل اليونانى، وبفضل نفوذهم القوى، وربما أيضاً بفضل ثرائهم، أن يوجهوا النوادى، مثلما فعل إسيدوروس، وجهة معينة، ويستأجروا بعض الكتاب لتأليف هذه المقطوعات الأدبية بعد تزويدهم بتقارير السفارات أو صور محاضر الجلسات الرسمية. ولعل هذه المقطوعات لم توضع إلا للتداول الخاص والتوزيع فى دائرة محدودة أى لتلاوتها فى المنازل أو النوادى المحلية أو معاهد التربية. وفى هذه الحالة كانت نصوصها التى كتبت فى أوقات متباينة خلال القرنين الأول والثانى تتعرض للتحريف من وقت لآخر سواء بالحذف أو بالإضافة أو بالتغيير بأقلام عدة كتاب متفاوتين فى الكفاية الأدبية. ولا مراء فى أنه كانت توجد منها نسخ مختلفة خلال القرنين الأول والثانى وأنها كانت توزع بين الأصدقاء أو الأقارب المقيمين فى جهات مصر الأخرى. وأخيراً فإنه من الجائز أن بعض هذه المقطوعات قد نسخت من جديد بإيعاز أفراد من هذه الطبقة، طبقة الجيمنازيوم، فى مستهل القرن الثالث، أى فى عصر كراكلا، عندما اشتدت عداوة الإسكندريين للحكم الرومانى.

ويرجع العلماء نشأة وتطور «اعمال الشهداء» الى الفكرة المصرية الاصلية التى تؤمن



شجرة الحياة المسيحية في احد كنايس بتنابولس غرب اسكندرية. فسيفساء من القرن ٤. الطاووس فى اعلاها والعنقاء فى اسفلها رمز للقيامة وبينهما طير فى قفص رمزاً للروح السجينة فى الجسد

على الارض فان اقامها الهكم فانا اعبده معكم. فرضوا بهذا القول منه وابعدو جميع الناس عنها وقالو: انظرو لئلا يكون انسان مختفيا فيها. حينذ رفع القديس مرقس وجهه الى السما [وصلى] وحول وجهه الى ناحيه المشرق وفتح فاه ودعا و قال: يا سيدى يسوع المسيح ابن الله الحى اسمع عبدك وامر القمر الذى هو خادم تان لهذا العالم الذى يضى فى الليل بامرك وسلطانك ان يظهر صوته على هولا الذين ليس لهم اله، و يعرفهم من

بالبعث والخلود مماجعل المصرى منذ فجر تاريخه لا تلين له قناة فى مقاومة الغزاة فهو يعلم ان نهاية كفاحه إما العيش فى وطن كريم واما الخلود فى الجنة جزاء لا ستشهاده وهكذا لم يكن المصريون هم الذين ابدعوا فكرة الشهيد فقط بل وربطوها بالذود عن الوطن. فقدموا للعالم بذلك انجازا سمت به الحضارة المصرية على كل حضارات العالم.

وفى وسعنا أن نحصر الموضوعات الأدبية التى تميزت بها «أعمال السكندريين» تحت رؤوس ثلاث: الوطنية والاستشهاد والدعاية ضد الرومان. وتتلخص عناصر الموضوع الأول فى التنويه بنبل أصل زعماء الإسكندرية، وتقواهم للآلهة، وحبهم لمدينتهم، وجرأتهم فى الحق، واعتزازهم بمناصبهم البلدية، يتمثل العنصر الثانى فى الإشارة إلى الموت أو القبر أو جثث الموتى بطريقة مؤثرة محزنة والى تعذيب الإسكندريين وترحيبهم بالموت وتحديهم الأباطرة، وإن كان الزعماء يظهرون عادة الاحترام لهم إلى أن يستثيروهم فتنطلق ألسنتهم عندئذ بالهجاء؛ وأما عناصر الموضوع الثالث فأبرزها التنديد بظلم الرومان، وضعة أصل أباطرتهم وجشعهم، والطعن فى ذمة ولاتهم، وجبن شعبهم، وفساد حكومتهم، والتدليل على ذلك بتدخل امرأة كأفلوطينا، زوجة تراجان، للتأثير على سير العدالة، وبضعف الأباطرة وترددهم وتأجيلهم الأحكام أو تبديلها فجأة، ورضوخهم لعتقائهم وخضوعهم لزوجاتهم. ويقع تحت رأس هذا الموضوع، موضوع الدعاية ضد الرومان، تندد أعمال الشهداء بوقوع الأباطرة تحت تأثير اليهود، وامتلاء

خلقه جميع الخليقه، ومن هو الله حتى يعبدوه، وانا اعلم يا ربى والاهى ان ليس له صـــوت ولانطق ولاجرت عادته ان يكلم احدا لكى يسمع كلامه فى هذه الساعه بقوتك التى لا تقاوم ليعرف هولا الذين لهم الاه ان ليس هو الاها لكنه خادم تحت سلطانك، وانت الهه، وهذه الشجره التى يصلون لها تقع على الارض ليعرف الكل ربوبيتك ان ليس الاه الا انت، والاب الصالح والروح القدس المحى الى الابد امين. وفى تلك الساعه عند تمام صلاته



ألهة تطعم الموتى من شجرتها

مجلسهم القضائى بهم أو تحيزهم لهم، وبالتالى مهاجمة اليهود أنفسهم والتعريض بربهم يَهْوه أو الزراية بملكهم أجريبا، ونعتهم بأنهم كفرة، يسيئون معاملة الإسكندريين، ويندسون خلسة دون وجه حق فى منظمات الشباب الوطنية.

وفى الحق إن هذا الموضوع الأدبى الأخير، موضوع الدعاية ضد الرومان واليهود، هو الذى يميز «أعمال الإسكندريين» ويجعلها صنفاً من الأدب مستقلاً عن القصة الطويلة والتمثيلية الهزلية ومحاضر الجلسات القضائية. ومع أن عنصر الكراهية لليهود ليس أبرز العناصر ـ ولا أقول، كما يذهب البعض، عنصراً ثانوياً ـ إلا أن «أعمال السكندريين» تعكس حالة التوتر التى كانت قائمة بينهم وبين مواطنى المدينة واحتدمت احتداماً شديداً فى بعض الأحيان. غير أن شعور الكراهية نحو الرومان، الذى لا نظير له فى أى مؤلفات أدبية يونانية أخرى، هو ما حدا بالبحاثين إلى وصف هذه «الأعمال» بأنها أعنف دعاية قامت ضد الرومان. ففى هذا الموضوع بالذات نلمس بسهولة التحوير الذى أحدثه قلم الكاتب فى النص عند تدوينه من جديد، وإن كان من العسير التحقق من المرحلة التى ظهرت فيها عناصر هذا الموضوع لأول مرة. وبعض هذه العناصر حقيقية وإن كان كاتب الجلسة الرومانى قد أسقطها من المحضر الرسمى. وبعضها الآخر كان موجوداً على الأقل منذ أن دونت «أعمال السكندريين» المختلفة للمرة الأولى؛ ولعل جانباً منها يعزى إلى التعديل الذى طرأ عليها فيما بعد عند إعادة تدوينها.

حدثت ظلمه عظيمه نصف النهار وظهر لهم القمر مضيا فى السما وسمعو صوتا من القمر قايلا: ايها الناس القليلو الايمان لست أنا الله فتعبدونى بل انا عبدالله ومن بعض خلقه، انا خادم المسيح ربى الذى يبشر به هذا مرقس تلميذه فهو وحده الذى نعبده ونخدمه. عند ذلك سقطت شجرة الزيتون وصار خوف عظيم على كلمن شاهد هذه الاعجوبه. فاما القوم الذين كانو يخدمون الشجره ويسجدون لها فانهم غضبو وخرقو ثيابهم ومسكو



شجرة ماء الحياه

وبقى سؤال هام: ما هو الهدف الأقصى من «أعمال الإسكندريين»؟ إن هذه القصصات البردية ـ كما رأينا ـ لا تمثل كتاباً واحداً صنّفه أو ألتمه كاتب واحد. ويتميز كل نص فيها بطابع خاص نظراً لتأثره بمؤثرات مختلفة عن النصوص الأخرى. ومن ثم قد يبدو من المستحيل أن تكون كلها قد كتبت لتحقيق هدف معين واحد. ومن الواضح أن موضوع الدعاية ضد الرومان يحتل فى معظم هذه القصاصات ـ وإن لم يكن فيها جميعاً ـ مكاناً أبرز من أى موضوع آخر؛ غير أن البعض قد يجدون فى أن مختلف هذه الجذاذات الحافلة بالفضائح والإشاعات والطعون كانت كلها موجهة نحو غاية محددة.

إنه لأمر عسير فى أغلب الأحيان أن نحدد الغرض من العمل الأدبى: متى تكون الدعاية هى الغرض الأساسى من كتابته، ومتى يكون هذا الغرض هو الترويح، وان يكن مصطبغاً بصبغة سياسية واضحة. فهذه المشكلات لا توجد لحلها قواعد. ولا سبيل إلى الفصل فيها إلا بالاحتكام إلى الطابع العام الذى يتميز به العمل الأدبى، وتحديد البواعث السياسية أو الاجتماعية التى دفعت إلى كتابته. إن الحقائق المتصلة «بأعمال السكندريين» ليست موفورة فحسب بل هى معروفة للجميع. ومع هذا فقد توصل الباحثون فى هذه «الأعمال» إلى نتائج متضاربة على الرغم من استنادهم إلى معلومات ليس بينها أى تضارب! لعل ذلك يرجع ـ كما يعتقد موسير يللو ـ إلى أن بعضهم عالجوها معالجة غير موضوعية. ففى رأيه أن ما تجمع

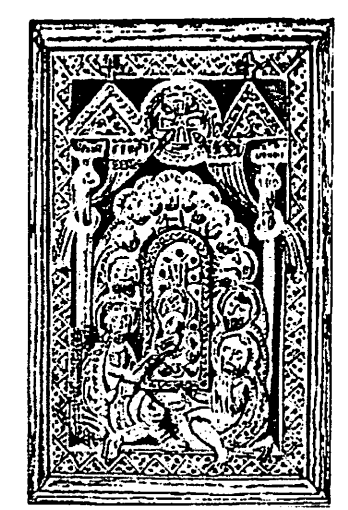
القديس مرقس وضربوه وسلموه لليهود المخالفين وطرحوه فى السجن.

وفى تلك الليله رأى القديس مرقس فى نومه السيد المسيح يقول لبطرس(*): أنا أخرج كلمن هو معتقل. فلما انتبه من نومه رأى ابواب السجن مفتوحه، فخرج هو وكلمن كان معه فى السجن وكانو حفظه السجن نياما كلاموات. فاما الجموع الذين شاهدو ما كان قالو: ما يتم لنا عمل مع

(*) بطرس: يعتقد أنه ولد فى الجليل. ومهنته كانت صيد السمك. هو أول من آمن بالسيد المسيح من الرسل لذلك سمى «رأس الرسل» صلب فى عهد الوالى الرومانى هيرودس. لامه المسيحيون الاول على تبشيره بين غير اليهود ذوى الغلفة، ولذلك سمى كذلك برسول الأمم.

لدينا من معلومات يحملنا على التسليم بأمرين: أحدهما هو أن معظم برديات «أعمال الاسكندريين» هى «محاضر محوَّرة» تستند أصلاً، استناداً مباشراً أو غير مباشر، إلى صور مضابط الجلسات القضائية أو صور «تقارير السفارات». ومن ثم نجانب الصواب إذا وصفنا «شكل المحضر» فيها بأنه مجرد حيلة أدبية؛ والآخر هو أن دراسة الموضوعات الأدبية التى ترد بكثرة فى هذه «الأعمال» تشير إلى أن المقصود منها كان تشجيع اتجاهات طبقة أو جماعة معينة، وهى اتجاهات مناهضة للرومان واليهود، وإذكاء روح الاعتزاز بأمجاد الماضى المنصرم بين أفرادها. ولا مراء فى أن أهل الإسكندرية وأنحاء مصر الأخرى قد تقمصوا شخصيات أبطالهم الذين مجدوهم كضحايا لقوا حتفهم أثناء محاولتهم الاحتفاظ بنقاء حضارتهم ووقايتها من عدوان حضارة (رومانية) متبربرة.

غير أن نظرة فاحصة إلى «أعمال السكندريين» قد تطلعنا على نتيجة أخرى بالغة الأهمية، وهى أن الجماعة أو الطبقة الاجتماعية التى روجت هذه «المنشورات» كانت نفسها منقسمة إلى فريقين أو حزبين، حزب متطرف فى عداوته للرومان يتزعمه رجال على شاكلة إسيدوروس وهرمايسكوس وأبيانوس، وحزب محافظ معتدل فى شعوره نحوهم، إن لم يكن يميل إليهم، ويتزعمه رجال ممن اكتسبوا الجنسية الرومانية مثل جايوس يوليوس ديونيسيوس وتيبربوس كلوديوس بالبيلوس. ومع أن هذين الحزبين، حزب اليسار وحزب اليمين ـ ان جاز هذا التعبير ـ



أيقونة من الخشب فى كنيسة ابو سرجه عليها حفر يمثل العشاد الاخير للسيد المسيح وحواريه. كنيسة ابو سرجه. مصر عتيقة من القرن ١١

هولا الجليليين لانهم يفعلون هذه الافعال بعلزبول ريس الشياطين.

وكان مرقس من السبعين تلميذا، وهو من جملة الخدام الذين استقو الما[ء] الذى صيره سيدنا خمر فى عرس قانا الجليل، و هو الذى حمل الجرة الما فى بيت سمعان القريانى فى وقت العشا السرى، وهو ايضا الذى كان ياوى التلاميذ فى منزله فى زمان الام السيد المسيح ومن بعد قيامته

قد جاهر أحدها الآخر بالعداوة فى بعض الأحيان، إلا أنهما كانا متفقين على شيء واحد، هو حب الاسكندرية. ويتضح تعاون الفريقين من ذلك النشاط المشترك فى إرسال مختلف السفارات الدبلوماسية إلى الأباطرة، وفى السياسة الموحدة إزاء يهود المدينة. وكان يعنى كلاً منهما أن يحتفظ بمحاضر جلسات المحاكمات أو تقارير السفارات وإعادة كتابتها بما يتفق وأغراضه. لكن مع هذا الفارق: وهو أن الحزب المتطرف فى عداوته للرومان هو الذى كان يروج القطع المقذعة الهجاء الزاخرة بالحقد والبغضاء، على حين أن الحزب المعتدل أو الموالى للرومان هو الذى كان يروج القطع الأقل عداوة والتى تتناول مسائل تهم السكندريين كافة.

لكن على الرغم من اختلاف هذين الحزبين فى موقفهما من روما، إلا أنهما لم يختلفا على الأقل فى مسألة هامة. فمن المعروف أنه لم تصلنا أى بردية من برديات «أعمال السكندريين» اليقينية تشير إلى وقائع حدثت بعد عصر الإمبراطور كومودوس (١٨٠ ـ ١٩٢). هذه الحقيقة تحملنا على الإعتقاد أن أحد الأسباب السياسية الرئيسية للسخط على الرومان، والتى ساعدت على ترويج هذه المنشورات يتمثل فى رفضهم المستمر قيام مجلس شورى بالاسكندرية. وبدهى أن الاسكندريين ممن لم يكتسبوا الجنسية الرومانية كانوا أشد من سواهم إحساساً بالمرارة، غير أن الحزبين، حزب اليسار وحزب اليمين، كانا يجدان هنا ـ فى المطالبة بمجلس الشورى ـ نقطة للالتقاء والتعاون. وبعد أن منح الإمبراطور سپتيميوس سڤيروس الاسكندرية (وجميع

من الامــوات، حــيث دخل عليــهم والابواب مغلقــه.

وبعد صعوده الى السما مضى مرقس مع بطرس الى يروشليم وبشــرا الجـمـوع بكلام الله. وظهـر الروح القـدس لبطرس و امره ان يمضى الى المدن والقرى التى هناك. فـمضى بطرس و معـه مرقس الى عمل بيت عنيا وبشرا بكلام الله. واقام بطرس هناك اياما فنظر فى المنام ملاك الله يقـول له: فى



تمثال نصفى لسبتيميوس سفيروس (١٩٣ ـ ٢١١ ب. م.)

عواصم المديريات) الحق فى إنشاء مجلس للشورى عام ٢٠٠، فترت حركة المقاومة ضد روما بالتدريج، وتضاءلت تبعاً لذلك قوة الحزب المناوىء للرومان. غير أن شغف الناس بقصة نضال الاسكندرية من أجل الاستقـلال السياسى ظل على شدته، ويؤيد ذلك أن فصولاً من هذه القصة كانت ما تزال تدون للاحتفاظ بها فى المكتبات الخاصة فى جهات مصر الأخرى حتى بعد أن انتفى الغرض الأصلى منها.

وأخيراً: «إن أعمال السكندريين» كما يقول الأستاذ بل «لا يمكن أن تعد من بين الدرر الأدبية. غير أنها ذات قيمة حقيقية. فهى، من ناحية، تمدنا بنماذج من صنف من الأدب ليس ممثلا سوى تمثيل هزيل بين مخلفات الأدب السكندرى. وهى ليست من تأليف كتاب متفقهين فى اللغة، أو أدباء نوابغ يكتبون للقلة المثقفة، ولا هى من إنشاء خطباء يخطبون فى الكثرة من الناس ولو أنهم يستخدمون للاقناع كل الحيل البلاغية. إنما هى مؤلفات تمثل الأدب الشعبى فى ذلك العصر، وضعت لتحقيق هدف عابر، ووجهت للقارىء العادى؛ وهى مكتوبة بأسلوب حى شائق، ولكنها لم تصقل سوى صقل أدبى طفيف. وفى الحق أنها ذات طابع صحفى. وهى من ناحية أخرى تطلعنا على وجهة نظر جديدة لم نألفها من قبل. فقد ألفنا أن ننظر إلى تاريخ الإمبراطورية الرومانية بأعين الرومان أنفسهم. لكن «أعمال الشهداء السكندريين» تتيح لنا أن ننظر إلى هذا التاريخ من زاوية مضادة: من جانب قوم كانوا يكنون العداوة والسخط

كورتين غلا عظيم. فقال بطرس للملاك: اى الكور تعنى قال له: مدينة اسكندريه وكورة مصر وكورة روميه، و ليس هو غلا من خبز وما [ء] بل هو غلا من قلة معرفة كلام الله الذى تبشر به. فلما استيقظ بطرس من نومه قال لمرقس ما شاهده فى منامه. ومن بعد ذلك مضى بطرس ومرقس الى اعمال روميه وبشرا هناك بكلام الله.

ولما كان فى السنه الخامسه عشر من بعد صعود المسيح انفذ القديس بطرس مارى مرقس الاب

الدفين على روما التى لم تكن فى نظرهم تلك الدولة العظيمة التى نشرت النظام والمدنية وحفظت. للأجيال التالية تراث الثقافة السكندرية والعلم السكندرى، بل كانت فاتحاً أجنبياً مستبداً. ومن ناحية ثالثة، أن «أعمال السكندريين» وإن كان غرضها الأساسى الدعاية ضد الرومان أكثر منه الدعاية ضد اليهود.

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق الأسباب المباشرة التى أدت إلى إثارة الفتنة من جديد بين اليهود والإسكندريين والتى دعت إلى محاكمة بعض زعماء الإغريق فى عامٍ ثار حول تحديده نقاش طويل، فمن قائل بأنه عام ٤١ ومن قائل بأنه عام ٥٣، وإن كنا أميل إلى الأخذ بالتاريخ الأخير. وعلى أى حال فلسنا بحاجة إلى البحث عن أسباب للفتنة لأن العداوة كانت قد تأصلت بين السكندريين واليهود الذين اتهموا بأنهم أداة طيعة فى يد السلطات الرومانية فى ذلك الوقت.

فسبسيان وتيتوس ودوميتيان

فسبسيان فى الاسكندرية:

يعرف العام التالى لمصرع نيرون ـ عام ٦٩ ـ فى التاريخ «بعام الأباطرة الأربعة». ولا يعنينا من الصراع الذى احتدم بين المتنافسين على عرش الإمبراطورية سوى ما حدث فى الشرق،

الانجيلى الى مدينة اسكندريه ليبشر فيها ويكرز بكلام الله وانجيل السيد يسوع المسيح الذى له ينبغى المجد والكرامه والسجود وللاب و الروح القدس الله الواحد الى الابد امين.

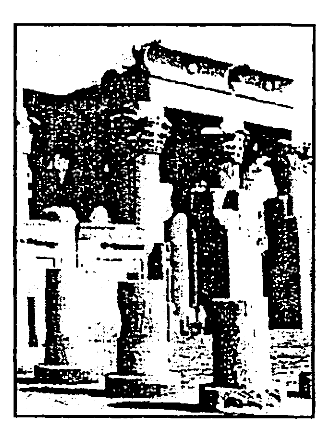
شهادة القديس
مارى مرقس وبشارته بمدينة اسكندريه
وهى التانيه من سير البيعه

لما كان فى زمان تدبير الرب المخلص يسوع المسيح من بعد صعوده الى السما قسم جميع



الطريقة الجديدة لاختيار الإمبراطور. ما أن يتوفى الإمبراطور القديم، حتى يتجمع أفراد معسكر أحد الفيالق على الحدود وينادون بقائدهم إمبراطور (ويبدو واقفا على المنصة)

الكور على الرسل بالهام الروح القدس ليكرزو فيها بكلام البشاره بالسيد يسوع المسيح. ومن بعد زمان وقع نصيب مرقس الانجيلي ان يمضي الى كورة مصر ومدينة اسكندريه العظمى بأمر الروح القدس لكي يسمعهم كلام انجيل السيد المسيح ويثبتهم عليه لاجل ضلالتهم وانغماسهم في عبادة الاوثان وعبادة المخلوق دون الخالق، وكان عندهم برابي(*) كثيرة لالهتهم المرذوله يخدمونها في كل مكان ويعبدونها بكل اثم وسحر ويذبحون لها بينهم



(*) برابي: هي المعابد الفرعونية.

وفي مصر بوجه خاص. ولم تكن مصر قد قامت باى دور سياسى هام فى تاريخ الإمبراطورية حتى ذلك الحين. لكن نجمها سطع فجأة عندما أسهمت فى رفع قائد من قواد الشرق إلى أريكة الحكم، كاشفة بذلك سر الإمبراطورية الذى أفضى فى النهاية إلى انهيارها، ألا وهو إمكان ترشيح الإمبراطور فى مكان آخر غير روما. فقد تعاقب على العرش أربعة قواد: جالبا (Galba) وأوتو (Otho) وڤيتلليوس (Vitellius) الذين حكم كل منهم فترة لا تزيد على شهور قليلة انتهت فى ديسمبر من عام ٦٩، وأخيراً فلاڤيوس ڤسپسيانوس (T. Flavius Vespasianus) أو ڤسپسيان الذى قدر له أن يتربع على عرش الإمبراطورية عشر سنوات (٦٩ ـ ٧٩) وأن يمتد حكم أسرته، أسرة فلاڤيوسى، حتى عام ٩٦. وكان ڤسپسيان هو القائد الذى ولاه نيرون على أرض يهودا (Iudaea) ثم عهد إليه بقمع ثورة اليهود فى عام ٦٧، فاجتاح فلسطين واستولى على مواقعها الحصينة، وتأهب لمحاصرة أورشليم حيث احتشد اليهود واستعدوا لمقاومة الرومان. ولما بلغه نبأ موت نيرون أرجأ الهجوم على المدينة ولم يستأنفه إلا بعد المناداة بڤيتلليوس إمبراطوراً فى أبريل من عام ٦٩.

وهنا يأتى دور مصر فى معركة التطاحن على عرش الإمبراطورية، فقد أثار هذا المدعى الأخير ڤيتلليوس بسوء خلقه تذمر جنود الفرق المرابطة فى ولايات الدانوب. ولما كان لا يوجد بين قواد هذه الفرق من هو جدير بترشيحه إمبراطوراً، فقد اتجهت الأنظار إلى والى أرض يهودا

قرابين، لانه اول من كرز فى كورة مصر وافريقيه
والخمس المدن وجميع اعمالها، فلما عاد القديس
مرقس من روميه قصد الى الخمس مدن اولا وبشر
فى جميع اعمالها بكلام الله، وأظهر عجايب
كتيره حتى انه ابرأ الاعلا وطهر البرص واخرج
الشياطين بنعمة الله الحالة فيه، وامن كثير بالسيد
المسيح من اجله وكسرو أوثانهم التى كانو
يعبدونها، و كل الشجر التى كانت الشياطين تأوى
اليها وتخاطب الناس منها، وعمدهم باسم الاب

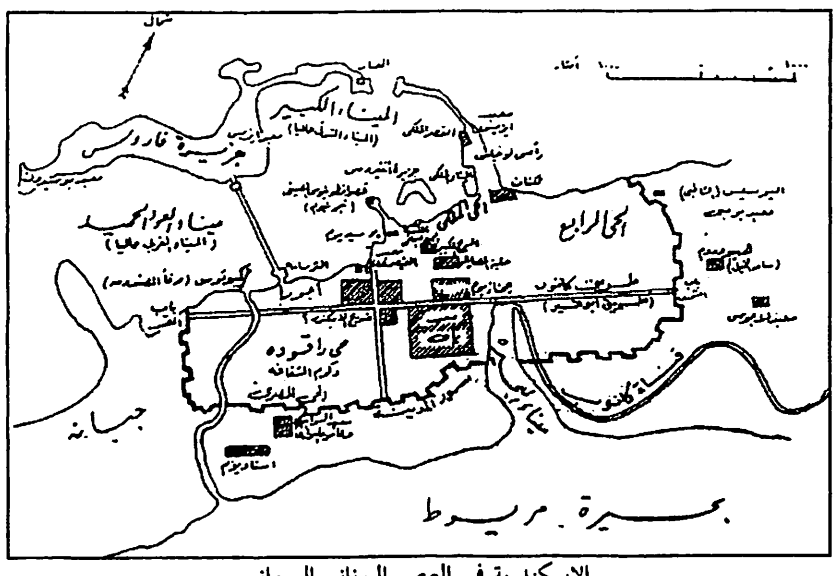
وقائد الحملة ضد اليهود. وعندئذ بادرت الفرقتان المرابطتان فى الإسكندرية بالمناداة بڤسپسيان إمبراطوراً فى أول يوليو عام ٦٩[١]. وكان ذلك بايعاز من تيبريوس يوليوس الإسكندر، والى مصر عندئذ. وكان الإسكندر هو الوحيد بين ولاة مصر الذى يمكن وصفه بأنه «مصرى» لأنه ولد بالإسكندرية، والوحيد الذى شغل فى مصر قبل ولايته عليها منصب مدير عام إحدى مناطقها الإدارية الثلاث (منطقة طيبة) فى عام ٤٢. وكان ـ كما أسلفنا ـ يهودياً من أسرة ثرية مرموقة المكانة، ثم ارتد إلى الوثنية واكتسب الجنسية الرومانية، وانتظم فى سلك الفرسان الرومان وتدرج فى مناصب هذا السلك العسكرية والإدارية المختلفة وأخيراً عينه نيرون والياً على مصر فى عام ٦٦. وقد استطاع بدهائه أن يحتفظ بمنصبه على الرغم من فوضى الحرب الأهلية وتعاقب الأباطرة فى عام ٦٩. ولم تلبث الفرق المرابطة فى فلسطين أن نادت هى الأخرى بڤسپسيان إمبراطوراً فى ٣ يوليو من العام نفسه. وحذا حذوها الجيش الرومانى فى سوريا بعد أسابيع قليلة. وزحف ڤسپسبيان إلى مصر بانيا خطته، فيما يبدو، على تأمين

(١) وقد اعتبر هذا اليوم فيما بعد بداية حكمه (Tacitus. Hist. II, 79)، وإن كان السناتو الرومانى لم يعلنه إمبراطوراً إلا فى يوم ٢٢ ديسمبر عام ٦٩ بعد مصرع ڤيتلليوس. ولم تمتد السنة الأولى من حكمه فى مصر إلا من أول يوليو ٦٩ حتى ٢٨ أغسطس ٦٩ وفقاً للتقويم المصرى، أى من ٧ أبيب إلى ٥ نسىء، آخر يوم فى السنة المصرية (غير الكبيسة) راجع:
Stein. Die Praefekten Von Aegypten in der romischen Kaiserzeit (1950), p. 39.

والابن والروح القدس الاله الواحد. ولذلك ظهر له الروح القــدس وقــال له: قم امض الى مــدينة اسكندريه لتزرع فيها الزرع الجيد الذى هو كلام الله. فـقـام تلمـيـذ المسيح ونهض وتقـوى بروح القدس كمثل مقاتل فى الحرب وسلم على الاخوه وودعهم وقال لهم: السيد يسوع المسيح يسهل طريقى لامضى الى اسكندريه وابشر فيها بانجيله المقدس. ثم دعا وقال : يا رب ثبت الاخوة الذين قد عرفوا اسمك المقدس واعود اليهم فرحا بهم.

مفتاحيها، ويلوزيوم وفاروس، وإرغام منافسه فى روما على الاستسلام بقطع إمدادات القمح عن العاصمة الرومانية.

وقد روى لنا المؤرخ الرومانى تاكيتوس أحداث «عام الأباطرة الأربعة» فى تواريخه (Historiae) وصفاً مسهباً مؤثراً، غير أنه لم يعلم أو لعله تعمد أن يغفل حقيقة أخرى كشفت عنها قصاصة بردية. هذه الحقيقة تتلخص فى أن الإسكندرية هبت كلها مرحبة بمغتصب العرش الذى تمرد على ڤيتلليوس، ممثل السلطة المركزية فى روما. وكانت الإسكندرية ـ ثانية مدن الإمبراطورية ـ تحمل ضغناً لروما منذ أيام أكتيوم. فلما سنحت لها الفرصة شفت غليلها وتزعمت حركة التمرد على غريمتها. وسنلمس تكرار هذه الظاهرة فيما يلى من أحداث. فكم تمنت أن تتحرر من ربقة الحكم الرومانى، غير أن قوات الاحتلال كانت أقوى من أن تغلب بالمظاهرات. ولم تجد المدينة بل مصر قاطبة سبيلا للتعبير عن عداوتها للرومان سوى ترويج المنشورات (أعمال السكندريين) وتأييد أدعياء العرش ممن كانوا يشقون عصا الطاعة على روما، عاصمة الإمبراطورية. ولم تكن الإسكندرية قد شهدت أى إمبراطور رومانى منذ سقوطها فى يد أغسطس عام ٣٠ ق.م. فما أن اقترب ڤسپسيان من مشارف المدينة الشرقية (أوائل عام ٧٠) حتى خفت الجماهير إلى استقباله فى ملعب سباق الخيل عند باب كانوب. وغمرها حماس



الاسكندرية فى العصر اليونانى الرومانى

شديد وتعالت هتفاتها له. ولعل الموقف أعاد إلى ذاكرة المواطنين مشاهد مماثلة من عصر البطالمة عندما كان لأسلافهم يد فى تنصيب الملوك وخلعهم. فإذا كانت هذه الأيام قد ولت إلى الأبد، فلا أقل من أن يوهموا أنفسهم بأنهم أصحاب الفضل الأول فى المناداة بڤسپسيان إمبراطوراً. وقد عومل ڤسپسيان كأنه إله، وظهرت له آيات، إذ هرع إليه ضرير فرد إليه بصره، وتوسل إليه عاجز اليد (أو الساق؟) فشفاه من عاهته. وقد زعم الرجلان أن سرابيس أوحى إليهما أن يلتمسا الشفاء لديه. وأثارت المعجزة فى قلب ڤسپسيان الرغبة فى زيارة معبد سرابيس (Serapeum) ليستنبىء الإله عن حكمه. وقد أمر بإخراج جميع من فى المعبد أولاً ثم دخله حيث غرق فى التهجد ومناجاة سرابيس، ورأى رؤيا تبشر بقرب اعتلائه العرش: إذ خيل إليه، وهو يتلفت، بعد أن قدم قرابين كثيرة لاسترضاء الإله، أن باسيليديس، أحد معتقيه، قد أهداه غصوناً وأكاليل وأرغفة (مقدسة)، وفقاً لما جرت به العادة هناك(١).

لكن سرعان ما تبين للاسكندريين أن الإله الجديد إنما هو إنسان كسائر البشر، ورجل مال

(١) فى رأى أحد الباحثين أن رواية سويتونيوس عن زيارة ڤسپسيان لمعبد سرابيس أصدق من غيرها. ويرجح أنها مستمدة من مصدر سكندرى. ويقارن هذه الزيارة بزيارة الملك بعنخى الإثيوبى لمعبد هليوبوليس، عندما جاء مصر غازيا، وبزيارة الإسكندر الأكبر لمعبد آمون فى سيوه. ويرى أن ما جرى بداخل المعبد وتقديم الغصون والأكاليل والخبز لڤسپسيان هى طقوس شبيهة بطقوس التتويج الفرعونية، ولكنه لا يرى أن ڤسپسيان توج فى الإسكندرية.

فشيعوه الاخوه و توجه الى مدينة اسكندريه، فلما دخل من بابها انقطع شسع(*) حذاه، فلما رأى ذلك قال: (الان قد علمت ان الرب سهل طريقي. ثم التفت فنظر الى اسكاف هناك فتقدم اليه ودفع له الحذا ليصلحه، فلما اخذه الاسكاف وتناول الشفا(*) ليعمله، ثقب الشفا كفه فقال [ايس او ثاوس] الذى تاويله الواحد الله، فلما سمعه القديس مرقس يذكر اسم الله فرح جدا وحول وجهه الى الشرق وقال: يا سيدى يسوع انت الذى

(*) شسع: سير فى النعل يدخل حول الاصبعين ويشد إلى زمامه.

(*) الشفاء: مخراز أو مثقاب يستخدمه الاسكافية لعمل حزوم فى الجلد ليشد من خلالها الخيط لربط الحذاء أو الصندل بقوة بدلاً

من رجال الأعمال، حريص على تحصيل الضرائب كاملة كغيرة من الأباطرة. فقد خيب ظنهم بفرض ضرائب جديدة وإحياء أخرى ملغاة. وعندئذ لجأ الإسكندريون، إلى سلاحهم التقليدى، سلاح التشهير، وسلطوا عليه ألسنتهم اللاذعة، فلقبوه «بتاجر الأسماك المملحة» (kubiosaktês) وغير ذلك من ألقاب السخرية، وهجوه بأغان مقذعة. واستشاط ڤسپسيان غضباً فأخضعهم لضريبة الرأس امتهاناً لهم، غير أن ابنه تيتوس توسط لهم عنده فصفح عنهم وأعفاهم منها. وبرغم هذه الوساطة فقد تعالت أصوات الجماهير الغاضبة قائلة «إننا نصفح عنه ـ أى عن فسپسيان ـ فهو لا يعرف كيف يتصرف تصرف القياصرة»[1]!

(1) Dio cassius, LXV, 8.C.

تحتوى بردية من البهنسا يكتنفها الغموض الشديد على خطبة موجهة ضد شخص أو أشخاص متهمين بترويج إشاعات كاذبة عن الأباطرة وانتقاد مسلكهم. ويبدو أن أحد المتهمين كان فى المنفى، والآخر قد نفذ فيه حكم الإعدام، بينما كان الثالث قد وجهت إليه التهمة نفسها قبل ذلك باثنتى عشرة سنة عندما هاجم نيرون وموقفه من الأثرياء والوجهاء. ولا نعرف من هو الإمبراطور الذى ألقيت الخطبة أمامه. لكن القرائن ترجح أنه ڤسبسيان. ولعل البردية لها صلة بحادثة طرده الفلاسفة الرواقين والكلبين من روما، والذين كان من بينهم بعض الإسكندريين. وليس من المستبعد أن تكون البردية، برغم خلوها من روح العداء للرومان، قطعة من «أعمال الإسكندريين»، تصور هذا الصدام الذى حدث بين ڤسپسيان والإسكندريين، وأن مصدرها هو الفريق أو الحزب الإسكندرى الذى لم يكن شديد العداوة للرومان، راجع:

Acta Diogenis = Musurillo. Acta Alerandrinorum, No. V A (Text, pp. 27-30: Comment, pp. 141-6).

من ماكينة خياطة الجلد الحديثة.

تسهل طريقى فى كل مكان. ثم تفل على الارض واخذ منه طينا ووضعه على موضع ثقب الشفا فى يد الاسكاف وقال: باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد الحى الابدى تعافى يد هذا الانسان فى هذه الساعه ليتمجد أسمك القدوس. فعوفيت يده فى تلك الساعه [ثم] قال له القديس مرقس: اذا كنت تعرف ان الله واحد فلماذا تعبد هذه الالهه الكثيره. قل له: نحن نذكر الله بافواهنا لا غير وما نعرف من هو. وبقى الاسكاف متعجبا

وكان فسبسيان قد عهد إلى تيتوس بقيادة الحملة ضد اليهود فخرج من الاسكندرية قاصداً فلسطين فى مستهل عام ٧٠. وقد خرج معه فى هذه الحملة ليترنيوس فرونتو، قائد معسكر نيقوبوليس، الذى تولى قيادة فصيلتين (vexillationes) قوامهما ٢٠٠٠ جندى، من فرقتى قورينة الثالث وديوطاروس الثانية والعشرين. كما خرج معه أيضاً والى مصر نفسه، تيبريوس يوليوس الإسكندر، الذى شغل أثناء حصار أورشليم منصب رئيس هيئة أركان الحرب ضد اليهود. وقد تبين من نقش قصير مدون على عنق مزهرية أن ليترنيوس فرونتو، قائد معسكر نيقوبوليس (praefectus castrorum)، قد ارتقى إلى منصب والى مصر فى عام ٧٨ ـ ٧٩، أى بعد حوالى تسع سنوات من تاريخ الحملة اليهودية. وأما عن تيبريوس يوليوس الإسكندر فلدينا الآن بردية جديدة تشير إلى أنه قد ارتقى إلى منصب قائد الحرس البريتورى (الإمبراطورى) فى روما (Praefectus praetorio) منذ ربيع أو صيف عام ٧١، وهو منصب أصبح أرفع من منصب والى مصر، بل من أكبر مناصب الإمبراطورية خطراً. وبعد سقوط أورشليم وتدمير الهيكل الكبير فى ٢ سبتمبر من عام ٧٠ عاد تيتوس إلى الإسكندرية حيث أظهر من الشعور الطيب نحو مواطنيها ما جعلهم يتعلقون به. ولم يتودد تيتوس إلى الإغريق وحدهم بل تودد أيضاً إلى المصريين حتى أنه حضر حفل اختيار عجل أبيس الجديد فى ممفيس

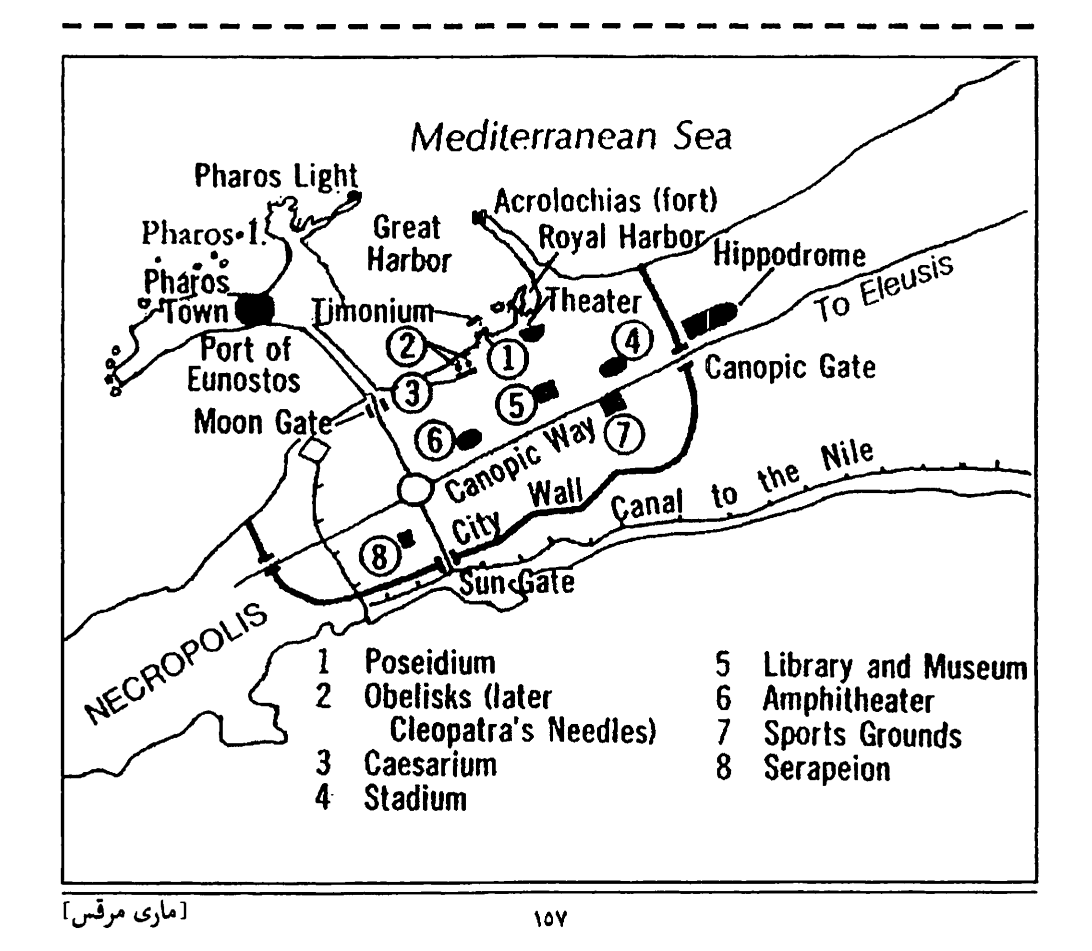
من قوة الله الحاله فى القديس مرقس ثم قال له :
انا اسلك يا رجل الله ان تصير الى منزل عبدك
تستريح و تأكل خبزا لاننى اراك اليوم قد رحمتنى.
ففرح القديس مرقس وقال له : يعطيك الرب
خبز الحياه فى السموات . ومضى معه الى بيته
فلما دخل منزله قال: بركة الله تكون فى هذا
البيت. وصلى فلما اكلو قال له الاسكاف : يا ابى
اريد ان تعرفنى من انت الذى عملت هذه
الاعجوبه العظيمه. فاجاب القديس وقال له : انا
أعبد يسوع المسيح ابن الله الحى الى الابد. قاله له

وحرص على أن يلبس التاج التقليدى فى مثل هذه المناسبة. ومع أن هذا المسلك كان من شأنه استمالة قلوب الأهلين إلا أن الحكومة المركزية ممثلة فى شخص أبيه لم تنظر إلى مسلكه بعين الارتياح بل ارتابت فى أنه يتطلع إلى العرش قبل الأوان.

وحدث بعد سقوط. أورشليم أن فر إلى الإسكندرية نفر من السفاحين اليهود (sicarii) الذين أفضى تعصبهم الأعمى إلى الكارثة التى نزلت بأمتهم، وحاولوا إثارة الشغب فى المدينة من جديد وتحريض بنى جلدتهم على ألا يعترفوا يحاكم عليهم سوى يهوه. ولكن شيوخ الجالية رفضوا الاستجابة إليهم وتبرأوا منهم وقبضوا على البعض وسلموهم للسلطات الرومانية، وأما البعض الآخر فقد لاذوا بالفرار إلى جنوب الوادى حيث طوردوا وأبيدوا بعد قليل. وعلى الرغم مما أظهره أقطاب اليهود من اتزان وحكمة، فقد قررت الحكومة الرومانية فى عام ٧٣ أن تغلق معبد أو نياس (Onias) فى ليونتوپوليس (Leontopolis)[١]، الذى ارتابت فى أنه كان مركزاً لنشاط الحركة اليهودية الأخيرة، وصادرت أملاكه، وهو معبد كان قد شيد حوالى عام ١٦٠ ق.م. لمنافسة معبد أورشليم. وبذلك حالت دون انتقال نفوذ المعبد الكبير فى فلسطين بعد زواله إلى نظيره فى مصر. وذهب الإمبراطور ڤسپسيان إلى أبعد من ذلك فأمر فى صيف عام ٧١ بأن يدفع اليهود جميعاً، ذكوراً وإناثاً، على اختلاف أعمارهم، ضريبة دينارين

(١) فى إقليم هليوبوليس، وهى تل اليهودية قرب شبين القناطر.

الاسكاف: اريد ابصره . قال له القديس مرقس: انا ادعك ان تنظره. ثم بدأ يقص له انجيل البشاره وقوله المجد والعز والسلطان الذى لله من البدايه، ووعظه بمواعظ وتعاليم كتيره يشهد بها سيرته. ثم انتهى معه الى ان قال له: ان السيد المسيح فى اخر الزمان تجسد من مريم العدرا وجا الى العالم وخلصنا من خطايانا. وبين له ما تنبت به الانبيا عليه شيا شيا. فقال له الاسكاف: هذه الكتب التى ذكرتها ما سمعت بها قط لكن كتب الفلاسفه



اليـونانين هى التى تعلمـهـا الناس لاولادهم هاهنا وكـذلك المصـريين. فـقـال له القـديس مـرقس: فـلاسـفـة هذا العـالم باطل عند حكمـة الله. فلمـا سـمـع الاسكاف الحكمــه وكــلام الكتب من القــديس مــرقس ومما نظره من العــجب العظيم الذى فـعله في يده مـال قلبــه اليـه وامن بالرب وتعـمـد هو وكل اهل بيته وكلمن يجاوره، وكـان اسمه انيانوس(*).

فلمـا كـتـرو المومنون بالمسيح وسـمـع اهل المدينه

(*) أنيـانوس: هو حنانيـا. خلف مارمرقس على رياسة الكنيسة المصرية من سـنـة ٦٢ إلـى ٨٥م. وهـو الـذى أقـام كنيــسـة باسم مـار مـرقس فى الموضع الذى اســتــشــهــد فــيــه بالاسـكندرية فى المكان المعــروف بوكلى (مرعى البقر).

سنوياً لمعبد الإله چوپيتر الكاپيتولينى فى روما، وهى ضريبة النصف شاقل التى كان الذكور البالغون منهم يدفعونها من قبل لمعبد أورشليم[١].

إيزيس فى روما:

وارتقى تيتوس العرش بعد أبيه ڤسپسيان ولكنه قضى نحبه بعد قليل (٧٩ ـ ٨١)[٢]. غير

(1) Cf. S.L. Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian. Princeton (1938), PP. 170-176.

إن هذه الضـريـبـة (Ioudaion telesma) قررها ڤسپسيان حوالى صيف عام ٧١ أى فى السنة الثالث من حكمه، على أن تفرض على اليهود ابتداء من عام ٧٠ (السنة الثانية من حكمه) الذى تحدى فيه يهود أورشليم الحصار الذى ضربه عليهم جيش تيتوس. غير أن إعداد كشوف هذه الضريبة وما إلى ذلك أخر جبايتها حتى عام ٧٢، وهى السنة الرابعة من حكم ڤسپسيان، والتى ظهرت فيها أول إيصالات عنها فى أپوللونوپوليس مجنا (إدفو) وأرسينوى (مدينة الفيوم). وفى هذا العام كان مواليد اليهود فى عام ٧٠ قد بلغوا سن الثالثة. ولهذا تقرر أن تجبى الضريبة من اليهود عند بلوغهم هذه السن حتى سن الستين أو الثانية والستين. ويعتقد الأستاذ ولاس (نفس المرجع، ص ١٧٤) أن يهود مصر كانوا يدفعون ضريبة النصف شـاقل (didrachmon) لا إلى معبد أورشليم بل إلى معبد أو نياس. ويبدو أن هدريان ألغى ضريبة الديناريـن لأننا لا نجد أى إيصالات عنها بعد عام ١١٦.

(٢) فى قصاصة بردية صغيرة تعتبر من أقدم مخطوطات «أعمال الشهداء» لأنها نسخت حوالى منتصف القرن الثانى إشارة إلى محاكمة رجل يدعى هرمياس (Hermias)، لعله زعيم سكندرى، أمام الإمبـراطور تيتوس الذى حُكم، كما رأينا، فترة قصيرة (١ يوليو ٧٩ ـ ١٣ سبتمبر ٨١). وفيها يطلب هرمياس =

ان رجلا يهوديا جليليا قد دخل اليها وهو يريد ان
يقلب عبادة الاوثان الهتهم، وقد منع جماعه من
عبادتها، طلبوه فى كل مكان ونصبو له قوما
يرصدونه. فلما علم القديس مرقس مؤامرتهم قسم
انيانوس اسقفا لاسكندريه وتلته قسوس وسبعه
شمامسه، هولا الاحد عشر جعلهم يخدمون
ويثبتون الاخوه المومنين. وخرج من عندهم ومضى
الى الخمس مدن واقام بها سنتين يبشر ويرسم
اساقفه وقسوسا وشمامسه فى كل اعمالها، و عاد

أن ما أظهره ذلك العاهل من احترام للديانة المصرية قد يشير إلى تحول فى موقف الحكومة الرومانية إزاء الآلهة المصرية الخالصة. ولكى نفهم ذلك ينبغى أن نعود بالقارىء إلى ما قبل أيام واقعة أكتيوم لقد انتقلت عبادة الآلهة المصرية ـ وبخاصة عبادة إيزيس إلى روما فى غضون القرن الثانى قبل الميلاد، إن لم يكن قبل ذلك التاريخ. وقد تم ذلك على يد الإغريق الذين كانوا يفدون على روما من مصر مباشرة أو من المناطق المجاورة لإيطاليا كبلاد اليونان وجزر البحر الإيجى وصقلية أو حتى من كمپانيا نفسها. على أن معظم أتباع الربة المصرية كانوا

=أن يسمح لشخص آخر، أكبر الظن أنه رومانى، بالدفاع عن نفسه، ولكن هذا الأخير يأبى ذلك. ومن العسير التحقق من الظروف التى جرت فيها هذه المحاكمة. فالمؤرخ سويتونيوس يكيل المديح لتيتوس ويصفه بأنه أكثر الناس طيبة (Titus, VIII, 1: natura autem benevolentissimus) وأنه حبيب الناس وقرة عينهم (Titus, I: amor ac deliciae generis humani). ويقول ديون كاسيوس إنه لم يقتل أحداً أثناء حكمه (LXVI,18,1) ولم يقر كأبيه تهمة الخيانة العظمى maiestas (LXVI, 19,1)، وإن كان ڤسپسيان قد عاقب الفيلسوفين الكلبيين هيراس وديوجنيس لانتقادهما الملك تيتوس وعلاقته الغرامية مع برنيقى (Berenicê) اليهودية. ولعل الإسكندريين، مع كل هذا، قد سخروا منه مثلما سخروا من أبيه بسبب هذه العلاقة. ويرجح موسيريللو أن محاكمة هرمياس كانت بسبب تنديده بمسلك موظف رومانى لم يراع تنفيذ الإعفاءات التى منحها الإمبراطور كلوديوس للاسكندريين وأيدها الوالى تيبريوس يوليوس الإسكندر فى منشوره الذى أصدره فى يوليو عام ٦٨. ويرد فى القصاصة البردية اسم ڤستينوس ولعله لوكيوس يوليوس ڤستينوس الذى كان والياً على مصر (٥٩ ـ ٦١)، واستدعاه تيتوس (إلى المجلس القضائى؟) للاستفادة من سابق خبرته بشئون مصر.

الى مدينة اسكندريه فوجد الاخوه قد تثبتو على الامانه وكترو بنعمة الله واهتمو ان يبنو بيعه فى موضع يعرف بمرعى البهايم قريبه من البحر عند صخره يقطع منها الحجاره. ففرح القديس مرقس بذلك فرحا عظيما وسجد على ركبتيه وبارك الله اذ اثبت خدام الامانه الذين رتبهم فى تعاليم السيد المسيح ونكثو عن عبادة الاوثان.

فلما علم اوليك الكفره ان القديس مرقس قد

عادة من الأجانب والعبيد والمعتقين وفقراء الرومان، وإن ظهر بين صفوفهم أحياناً بعض سيدات الطبقة الأرستقراطية القديمة والجديدة. فلما تكاثر عدد هؤلاء الأتباع على مر الأيام ارتابت الحكومة الرومانية فى نشاطهم مثلما ارتابت فى نشاط جمعيات الإله باخوس (Bacchus) (ديونيسوس) فى عام ١٨٦ ق.م. وعاد السناتو (مجلس الشيوخ الرمانى) إلى سياسة التزمت ومكافحة البدع الدينية، وبخاصة بعد زوال خطر الحرب البونية، إذ لم يعد بحاجة إلى عون البطالمة بعد أن انتاب الضعف دولتهم. لذلك نجد أحد قنصلى عام ١٦٨ ق. م. يأمر بهدم هياكل إيزيس وسرابيس القائمة بالمدينة؛ غير أن الحكومة الرومانية تركت أشياع إيزيس يمارسون شعائر عبادتهم خارج أسوار روما (extra pomerium). وفى أيام الدكتاتور سُلا اشتد ساعد أنصار إيزيس فنظموا جمعيات دينية فى ساحة مارس خارج المدينة. ويبدو أن سُلا انتهج سياسة التسامح إزاء العقائد الأجنبية. لكن لم تلبث ديانة إيزيس أن تعرضت لأكثر من اضطهاد خلال فترة الاضطرابات الأهلية التى أعقبت وفاته واستمرت حتى انفرد يوليوس قيصر بالسلطة فى عام ٤٧ ق.م. وازدهرت عبادة إيزيس نتيجة لتأثير كليو بطرة على الدكتاتور الرومانى. ولا ينبغى أن ننسى أن يوليوس قيصر كان زعيماً للحزب الديمقراطى أو الشعبى الذى كان يضم بين صفوفه كثير من أفراد الطبقة الدنيا، وهى أكثر الطبقات إقبالاً على العبادات الأجنبية. وأحرزت ديانة إيزيس تقدماً مطرداً حتى أن الحكومة الثلاثية (الثانية) اعترفت بها رسمياً فى عام ٤٣ ق.م.

عاد الى اسكندريه امتلو غضبا لاجل الاعمال التى يعملها المومنون بالمسيح من ابرا [ء] الامراض واخرج الشياطين واطلاق السنة الخرس واسماع الطرش وتطهير البرص، وبحثو عن القديس مرقس بغضب عظيم فلم يجدوه وصرو عليه باسنانهم فى برابيهم ومواضع اوثانهم بغضب. وقالو: ما تنظرون ظلم هذا الساحر. فلما كان فى احد السبوت يوم عيد فصح(*) السيد المسيح اتفق فى

(*) عيد الفصح: كانت اليهود

لكن سرعان ما تعثر هذا التقدم عندما نشب النزاع بين أكتاڤيانوس وماركوس أنطونيوس. وقد رأينا كيف أعلنت روما الحرب على كليوبطرة وكيف تعرضت ملكة مصر لهجاء الشعراء الرومان، وما صحب ذلك من تشهير بالآلهة المصرية، وبخاصة بإيزيس التى كثيراً ما ظهرت كليو بطرة فى صورتها ولقيت عبادتها رواجاً في روما أثناء إقامة الملكة فيها. واستتبع ذلك صدور قرار فى عام ٢٨ ق.م. يقضى بتحريم عبادة الآلهة المصرية داخل العاصمة الرومانية. وعندما ثارت بعض الاضطرابات فى روما سنة ٢١ ق. م. أثناء غياب أغسطس فى الشرق انتهز أنصار إيزيس الفرصة وتسللوا ثانية إلى داخل العاصمة، فصدر قرار بتحريم ممارسة طقوس عبادتها إلى مسافة ميل واحد من روما. ولم تنحسر موجة الإضطهاد فى أيام تيبريوس الذى اشتهر بتحفظه حتى أنه أخذ على عاتقه إصلاح ما اعوج من الأخلاق الرومانية، فأوعز إلى السناتوفى عام ١٩م بإصدار قرار بتحريم عبادة الآلهة المصرية واليهودية وطرد أشياعها من إيطاليا إذا لم يرتدوا عنها ويتبرأوا منها خلال أجل معين. وليس من المستبعد أن يكون الباعث المباشر على هذا الإجراء هو تخوفه من ابن أخيه جرمانيكوس، الأمير المحبوب، الذى زار مصر فى نفس العام دون استئذانه ولقى من سكان الإسكندرية ومصر حفاوة بالغة.

لكن نفوذ ديانة إيزيس عاد إلى سابق قوته عندما اعتلى العرش كاليجولا الذى أعاد بناء معبدها فى ساحة مارس أو أعاد فتحه. وقد ثبت أن المحراب الذى عثر عليه فى القصر

تلك السنه يوم تسعه وعشرين من برموده وكان فيه ايضا عيد الكفار الوثنين، طلبوه باجتهاد فوجدوه على الهيكل فهجمو [عليه] واخدوه وجعلو فى حلقه حبلا و جروه على الارض. وكانو يقولون: جرواالتنين فى دار البقر. وكان القديس اذا جروه يسبح الله ويقول: الشكر لك يارب اذ جعلتنى مستحقا ان اتالم على اسمك القدوس. وكان لحمه يتقطع ويلتصق بحجارة الشوارع ودمه

تسميه عيد الأغفال لأن يهوه ترك بيوت الاسرائيلين وقتل بكور العائلات المصرية فقط فى منتصف ليلة هروب بني اسرائيل بما نهبوه وسرقوه من المصريين: «وفى منتصف الليل بدأ يهوه هجومه على بيوت المصرين قتل البكور من الاولاد، وليس هذا وحسب بل أهلك أيضا كل بكر من بكور البهائم».

ولكن المسيحين احتفلوا به باعتباره اليوم الذى صلب فيه المسيح. أنظر حول الخلاف على تعييد عيد

الإمبراطورى كان معبداً أقامه ذلك الحاكم للربة المصرية. ولعل القارئ يذكر كيف استقبل كاليجولا السفارتين السكندرية واليهودية فى عام ٣٩ وأنه كان أكثر عطفاً على الأولى منه على الثانية. ويحدثنا فيلون بأنه قد تملكته رغبة جامحة فى مشاهدة الإسكندرية التى كان حريصاً على الذهاب إليها بأقصى سرعة حيث اعتزم الإقامة مدة طويلة لعل فكرة تأليهه، التى كانت تشغل باله، تنبثق فى يسر وتلقى رواجاً فى تلك المدينة قبل غيرها. ويضيف فيلون أنه لم يكن هناك بين الناس من هم أكثر من الإسكندريين طواعية لتأييد ألوهيته. وقد شغف كاليجولا بالعقائد الشرقية وطقوسها السرية، ولعله وجد فى الديانة المصرية سنداً ترتكز عليه فكرة عبادته. لذلك يرجح بعض الباحثين أن كاليجولا هو الذى أصدر قراراً بالاعتراف الرسمى بديانه إيزيس، مناقضاً بذلك سياسة أغسطس وتيبريوس. ولم تتعرض عبادة إيزيس للاضطهاد فى زمن خليفته كلوديوس الذى روى أنه طرد اليهود من روما بسبب ما أثاروه من شغب[١]

(١) طرد اليهود من روما لإثارتهم اضطرابات مستمرة بتحريض خريستوس (هل Chrestus هو Christus أى المسيح؟ إن تاكيتوس (Ann. XV. 44) يذكر الإسم صحيحاً ويقول إنه أعدم على يد بنطيوس پيلاطوس، حاكم أرض يهودا، فى عصر تيبريوس)؛ ويؤيد رواية سويتونيوس عن اليهود ما ورد فى أعمال الرسل (الإصحاح ١٨، ٢: لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضى جميع اليهود من رومية). غير أن ديون كاسيو يقول إن كلوديوس لم يطرد اليهود من روما بل حظر عليهم فقط عقد الاجتماعات. لعل الشغب المشار إليه نشأ عن دعاية المسيحيين وتبشيرهم بالدين الجديدة بين اليهود المقيمين فى روما.

يجرى على الارض.فلما انتصف الليل وابواب السجن مغلقه والحراس نيام على الابواب واذا زلزله عظيمه واضطراب شديد، وفنزل له ملاك الرب من السما ودخل الى القديس وقال له: يا مرقس عبدالله هوذا قد كتب اسمك فى سفر الحياه وعددت فى جماعة القديسين وروحك تسبح مع ملايكه فى السموات و جسدك لا يهلك ولا يزول من على الارض. فلما استيقظ من نومه رفع عينه

الفصح فى هامش الصفحات الاخيرة من سيرة القديس مكسيموس البطرك رقم ١٥ فى هذا الكتاب.

والى عصره ينسب أقدم نقش عن عودة ظهور إيزيس بعد طردها فى عصر تيبريوس. وإذا كان نيرون قد ازدرى العبادات الشرقية ما عدا عبادة الربة السورية (Dea Syria)، فإن بلاطه قد وقع تحت تأثيراً أشخاص ذوى ميول مصرية من أمثال خير يمون النقراطيس مربى القصر، وبالبيللوس العالم الفذ الذى برع فى التنجيم، وكان ـ فيما يحتمل ـ والياً على مصر من عام ٥٥ حتى عام ٥٩، ومن أمثال أو تو، صديقه المتفانى فى عبادة إيزيس، وأخيراً سابينا مطلقة أوتو، وزوجة نيرون التى تشبهت بإيزيس وأحاطت نفسها بنفر من المنجمين الشرقيين، وقد ينهض تحنيط جثتها بعد وفاتها دليلاعلى تأثرها بالعقائد المصرية.ولقد تأثر نيرون نفسه بذلك ولم يكن بأى حال يكره المصريين، فقد اعتزم ـ كما رأينا ـ زيارة الإسكندرية وتوسل،عندما تخلى عنه الجيش،أن ينصب والياً على مصر. لهذا كله يرجح بعض المؤرخين أن الاعتراف الرسمى بعبادة إيزيس قد تم فى عهد نيرون، هذا إذا لم يكن قد تم فى عهد كاليجولا. غير أن هذا لا يعدو أن يكون محض افتراض. وأما أوتو الذى نودى به إمبراطوراً بعد مصرع جالبا فى ١٥ يناير عام ٦٩ فكان من أنصار ديانة إيزيس المتحمسين حتى أنه كان يمارس شعائرها علناً ويرتدى الثوب الكتانى الذى تقتضيه عبادتها. وبلغ نفوذ إيزيس من القوة حينئذ ما جعل أتباعها يمارسون شعائر ديانتها فى اطمئنان فوق الكابتول نفسه على الرغم من احتدام الحرب الأهلية فى عام ٦٩. ولقد روى أن دوميتيان ابن الإمبراطور فسبسيان احتمى بالكابتول عندما

الى السما وقال: اشكرك يا ربى يسوع المسيح
واسيلك ان تقبلنى اليك لا تنعم بصلاحك. فلما
تم هذا القول نام ايضا فظهر له السيد المسيح فى
[صورة] الشخص الذى يعرفه التلاميذ [واعطاه
السلام وعزاه] وقال له: السلام لك يا مرقس
الانجيلى المصطفى فقال له القديس: اشكرك يا
مخلصى يسوع المسيح اذ جعلتنى مستحقا ان
اتألم على اسمك القدوس. ودفع له السيد المخلص
سلامه وغاب عنه، فلما انتبه واصبح الصبح

شق جنود فيتلليوس طريقهم إلى هذا الجبل وأضرموا النار فى معبده الكبير، وقضى الليلة مختبئاً فى بيت حارس المعبد، ولما طلع النهار تنكر فى زى أحد أشياع إيزيس ثم عبر التيبر مع خليط من كهنتها دون أن يكشف أحد أمره.

وبارتقاء أسرة فلافيوس عرش الإمبراطورية يبدأ العصر الذهبى لعبادة إيزيس فى روما. ومع أننا لا نعرف على وجه الدقة ما قام به فسبسيان من أجل الديانة المصرية، إلا أننا لا نرتاب فى أنه غمرها بأفضاله. لقد أنقذت إيزيس ابنه دوميتان من موت محقق، وقام سرابيس بالشئ الكثير لشد أزره. وفى الحق أن سرابيس ـ كما يروى سويتونيوس ـ قد منح هذا الرجل المغمور الأصل ما كان يعوزه من نفوذ وجلال. وكان بلاطه ـ فيما يبدو ـ غاصاً بأشياع إيزيس وسرابيس. ولدينا نقش من عصره كتبه أحد عبيد تيتوس تمجيداً لإيزيس التى لا تقهر (Isis Invicta). وفى عصره أيضاً أقيم تمثال ضخم للنيل مجسداً فى هيئة رجل يحيط به ستة عشر ولداً يرمزون إلى الستة عشر ذراعاً التى إن يبلغها ماء الفيضان، يبشر بالرخاء فى جميع أنحاء مصر ـ وهو تمثال شديد الشبه بالتمثال المحفوظ الآن فى متحف الفاتيكان. وتحمل نقود فسبسيان التى سكت فى روما وترا كووليون صورة إيزيس فى معبدها بساحة مارس.

وقد ضربت هذه النقود لتخليد ذكرى أسعد حادثة فى تاريخ إيزيس فى روما عندما أمضى فيبسيان وابنه تيتوس الليلة السابقة على يوم الانتصار الأخير على اليهود فى معبدها بساحة

اجتمع الجمع واخرجو القديس من الحبس وجعلو
فى حلقه ايضا حبلا وقالو: جرو التنين فى دار
البقر. وزحفو بالقديس على الارض وهو يشكر
السيد المسيح ويمجده ويقول: انا اسلم روحى فى
يديك يا الاهى. قال القديس هذا القول واسلم
الروح، فجمع خدام الاوثان الانجاس حطبا كتيرا
فى موضع يدعى الانجيليون ليحرقو جسد القديس
هناك، وكان بامر الله ضباب عظيم وريح شديده
حتى ارتعدت الارض وهطلت امطار كتيره ومات

مارس(Iseum Campense). وقد ذكرنا كيف زار تيتوس ممفيس واشترك فى حفل تنصيب أبيس الجديد ولبس التاج التقليدى جرياً على سنة الفراعنة فى مثل هذه المناسبة. وعندما تولى دوميتيان الحكم من بعده وجدت فيه إيزيس راعياً لديانتها إذ كان يشعر بأنه مدين لها بحياته، فضلاً عن أنه وجد فى الديانة المصرية ـ مثلما وجد كاليجولا من قبله ـ ما يبرر به مطالبة رعاياه بتأليهه. ومع أنه كان يبغض الديانات الأجنبية إلا أنه استثنى إيزيس من بغضه. فقد أعاد فى عام ٩٤ بناء معبدها فى ساحة مارس الذى كان الحريق قد دمره فى عام ٨٠. وتحمل المسلة التى أقامها أمام مدخل ذلك المعبد نقشاً هيروغليفياً يخلد عمله.

وفى عام ٨٩/٨٨ شيد لوكيليوس، وهو احد مواطنى بلدة بنيفنتوم بجنوب إيطاليا معبداً لإيزيس من أجل نجاة الإمبراطور وعودته، ونصب أمامه مسلتين تحملان نقوشاً هيروغليفية، توصف فيها إيزيس بأنها سيدة بنيفنتوم. فكان دوميتيان فى الواقع قد أسبغ على عبادة إيزيس صفة شبه رسمية. ولعل ذلك يفسر سبب انتهاج السلطات الرومانية فى مصر سياسة تنم عن التسامح إزاء الديانة المصرية. ويتضح من النقوش بناء معابد لأفروديتى وهى الربة اليونانية المقابلة لهاتور (حتحور) المصرية، ربة كوم أمبو، وكذلك لهيرا التى تمثل سثيت، (Satis) ربة الشلال الأول عند إلفانتين (جزيرة أسوان). ومن العملة يتضح أن صور الآلهة الإقليمية بدأت تحل محل صور الآلهة المصرية ـ السكندرية الشهيرة كإيزيس وسرابيس وأجاتوس دايمون.

قوم كثير من الخوف والرعب وكانوا يقولون ان زربس [سرابيس] الصنم افتقد الانسان الذى قتل فى هذا اليوم، فاجتمع الاخوه المومنون و اخذو جسد القديس مارى مرقس من الرماد ولم يتغير فيه شى ومضو به الى البيعه التى كانو يقدسون فيها وكفنوه وصلو عليه كما جرت العاده وحفرو له موضعا ودفنو جسده فيه ليتممو تذكاره فى كل وقت بفرح وابتهال وبركه لاجل النعمه التى دفعها لهم السيد المسيح على يديه فى مدينة اسكندريه،


زربس سرابيس فى هيئة زيوس سيرابيس
بقرنى كبش الاله آمون

ولدينا مجموعة من النقود البرنزية التى ضربت فى عام ٨٧/ ٨٨ تحمل صور آلهة محلية، ومع أنها تظهر فى أزياء يونانية إلا أنها توصف بألقابها المصرية. ومنذ هذا التاريخ تظهر أشكال الآلهة الوطنية بكثرة فى العملة السكندرية.

غير أن ما فعله دوميتيان من أجل إيزيس لبواعث شخصية لم يكن فى حقيقة الأمر يمثل شعور الرومان بوجه عام نحو الآلهة المصرية، وبخاصة آلهة الإقاليم المحلية. لقد كان الرومان، ولاسيما أفراد الطبقة الأرستقراطية المثقفة، ينظرون شذراً إلى هذه الآلهة ويستهجنون كثيراً من طقوسها الدينية.

تراجان وهدريان

١. فضيحة مكسيموس وسلطات الوالى:

استمرت الأحوال هادئة فى مصر على عهد نرفا (Nerva) (٩٦ ـ ٩٨) وأوائل عهد تراجان (Traianus) (٩٨ ـ ١١٧). غير أن وثيقة بردية تطلعنا على محاكمة قضائية جرت بين عامى ١٠٧، ١٠٩ على التقريب، إن لم يكن بعد هذا التاريخ بسنوات. وكان المتهم فيها موظفاً رومانياً كبيراً يدعى مكسيموس. وما تزال طبيعة هذه الوثيقة مثار جدل بين المتخصصين، فبينما يرى فريق أنها صورة محرفة من محضر رسمى لمحاكمة حقيقية جرت أمام

وجعلوه فى الشرق من البيعه، فى اليوم الذى تمت فيه شهادته، وهو اول من استشهد من الجليليين على اسم السيد يسوع المسيح باسكندريه فى اخر يوم من برموده للمصريين. وهو ثمانيه من قلنطر مايس[مارس] من شهور الروم و هو اربعه وعشرون يوما من نيسان من شهور العبرانين.

ونحن ايضا بنو الارتدكسين نصعد المجد والتقديس والترتيل لسيدنا مخلصنا يسوع المسيح

الإمبراطور، يرى فريق آخر أنها لا تعدو أن تكون منشوراً من منشورات الدعاية السياسية، وثيق الصلة بذلك الأدب الوطنى ذى الطابع الخيالى الذى روجه السكندريون للتشهير بالحكم الرومانى، أى أنها جزء من مجموعة «أعمال الشهداء السكندريين»، على الرغم من اختلافها عنها فى الأسلوب، وخلوها من الحوار، وافتقارها إلى بعض الخصائص الأخرى التى تتميز بها هذه المجموعة. وأيا كان الأمر، فمن المرجح الآن أن الموظف المتهم كان جايوس فيبيوس مكسيموس (C. Vibius Maximus)، والى مصر فى الفترة بين عامى ١٠٣، ١٠٧. ويتبين من عريضة الدعوى أنها تضمنت عدة اتهامات كالابتزاز والربا واستغلال السلطة فى تعين مديرى معهد التربية فى الإسكندرية، وإفساد شاب ثرى نعرف من جذاذة بردية أخرى، أنه يدعى ثيون، وهى اتهامات كانت عقوبتها إلحاق الوصمة ومصادرة الأموال المبتزة والنفى فى بعض الأحيان. ومع أن الدعوى الأساسية التى أقيمت على مكسيموس فى روما كانت دعوى ابتزاز (de repetundis)، إلا أن المتكلم بلسان السكندريين ركز اهتمامه فى تهمة إفساد الغلام:

«ولهذا سأضيف، يا موالاى، نقطة أخرى أعتقد أنها سوف تثير دهشتك فترتاب فى صحتها حتى تقرأ المستندات. فقد كان يحكم على بعض الناس بدفع فائدة عن مدة لم يتسلموا

الذى له ينبغى المجد والكرامه و السجود، وللاب والروح القدس ليمحى المساوى الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين.

السيره الثالثه من سير البيعه

انيانوس (*) البطرك وهو الثانى من العدد

٦٢ / ٨٥م

(*) تولى على كرسى الامبراطورية فى عهده سبعة قياصرة هم نيرون، جلبا، اوثون، فيتبليوس، وسياسيان، تيطس، دومتيان.

فلما توفى الانجيلى مرقس رسول السيد يسوع المسيح جلس بعده انيانوس بطركا وكثرت الاخوه

أثناءها الدين. فما رده على ذلك؟ لقد كنتم غائبين فلم تحاطوا علما بالرسائل التى كتبت لجلالتكم بشأن صرامة مكسيموس ونشاطه فى هذا الصدد....

وبينما نحن نقاسى الاهوال كلما يترك الولاية (؟)... وصدر الأمر بأن يتولى برينيكيانوس منصب رئيس معهد التربية حتى السنة التاسعة عشر من حكم الامبراطور، وأنيكيتوس حتى السنة التاسعة والعشرين. لماذا سكت على هذا؟ أستقول أنه ضلل بك أو تقبلت هدايا؟ أنه من الأنفع اذن ان تعترف بأهون الجريمتين. انما نحن نقول انك لم تأخذ هدايا بل انك اعطيتها.

والمستند الأخير يدمغه بتهمة الشغف بالغلام وهيامه به. ماذا أقول؟ لقد أعتاد شاب يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً أن يتناول معك العشاء فى كل يوم. وقلما كان كل فرد من هؤلاء الحاضرين يحظى بشرف المشاركة فى مأدبتك ـ فأنت لم تكن تغدق مثل هذا الشرف على أحد بسهولة بعد أن ارتقيت منصبا ملكيا ـ كل واحد منهم رأى الغلام فى حفل الشراب تارة برفقة والده وتارة وحده. ورأى كذلك النظرات الوقحة وما كان يتبادله هذان العاشقان الخشنان بصورة شائنة. وفضلا عن ذلك فقد كان (هذا الغلام) يقدم التحية (للوالى) يوميا. ويشهد هؤلاء الرجال ـ يا مولاى ـ بروحك الحارسة أنهم بينما كانوا يقفون عند باب (قصره)

المومنون بالمسيح ووسمهم كهنه وخداما واقام اتنين وعشرين سنه وتنيح فى العشرين من هتور السنه التانيه من ملك دوماتيوس[دومتيان](*) ملك روميه.

(*) يذكر ايسذورس فى كتابه «الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٩١ أنه تنيح سنة ٨٦.

مليانوس (*) البطرك
وهو التالت من العدد
٨٥ / ٩٦م

(*) مليانوس أو ميليوس.

فاجتمع الشعب الارتدكسى وتشاورو واخذو

- -

انتظاراً لتحيته تحية الصباح، قد رأوا الغلام خارجاً من غرفة نومه وقد ظهرت عليه علامات اتصاله بهذا الرجل. وما أن ألف الغلام الوسيم الثرى (هذا) السلوك المشين حتى ازداد رقاعة ووقاحة ، فكان يمزح مع يوتيخوس الحاجب ويتعلق بيديه أمام الجميع ويضحك ضحكا عاليا فى غير كلفة وسط جموع القادمين للتحية. لماذا اذن لم تحاول وقفه عند حده بما عهد فيك من نظرة صارمة وقسوة بالغة؟ لكن أن يتقدم اليك بالشكوى رجل معدم فى ثياب رثة، تأمر بمصادرة أملاكه وأملاك زوجته وأصدقائه. ولقد قضيت بالموت على الرجل الذى جلس فى المسرح دون أن يرتدى ملابس بيضاء. وأما هذا الغلام الوسيم الأمرد الوجه، فكنت تستبقيه كل يوم فى مقرك الرسمى ولم تكن ترسله الى المدارس أو (ممارسة) التدريبات اللائقة بالشباب. وكم كنت تحاسب والده ـ بحق ـ حسابا عسيرا لو أنه لم يعمل على ارساله للمدرسة؟ وها أنت تجوب جميع أنحاء مصر فى صحبة (هذا) الغلام، أو لم يتبعك الغلام ذو السبعة عشر ربيعا حتى الى المحكمة أثناء انعقاد مجلسك الرسمى؟ نعم! وقد كان برفقتك، يا مكسميوس، فى كل من ممفيس وبيلوزيون وحيثما كنت. وأما نحن الآخرين فكنا جميعا نعزف عن (أماكن) جولاتك (التفتيشية) وعن مجالسك القضائية».

هذه الوثيقة برغم جنوح كاتبها إلى المغالاة فى تصوير نقائص الوالى الرومانى وتجاوزه حدود الاحتشام فى وصف الجريمة الخلقية الموجهة إليه، تطوى بين ثناياها، كمعظم برديات

انسانا اسمه مليانوس وقسموه بطركا على كرسى مارى مرقس الانجيلى عوض انيانوس وكان هذا مليانوس ذا عفاف وثبت الشعب على معرفة المسيح وكثر شعب الارتدكسيين بمصر والخمس مدن وافريقيه واقام اثنتى عشره سنه على الكرسى، كانت البيعه فى ايامه تحت سلامه.

وتنيح فى اول يوم من توت فى خامس عشر سنه من ملك الملك المقدم ذكره [دوماتيوس] فسمع الكهنه والاساقفه الذين كانو من قبله على

«أعمال السكندريين»، لمسات واقعية لا يستطيع أن يغفلها المؤرخ المدقق. فلو أمعنا النظر لأمكننا أن نستخلص منها بعض معلومات طريفة وقيمة عن وضع الوالى بوصفه ممثلاً للامبراطور فى مصر: نعرف منها ـ مثلاً ـ صيغة القسم عند الشهادة وكيف كان الشهود يحلفون بالملاك الحارس أو القرين (Daimon). وقد حلت هذه الصيغة محل صيغة القسم بالإمبراطور نفسه منذ عصر دوميتيان. نعرف أيضاً كيف كان بعض ولاة مصر يستغلون سلطتهم فى ابتزاز الأموال أو فى إقراضها بالربا، مستعينين فى ذلك بخبرتهم السابقة بوصفهم رجالاً من طبقة الفرسان وهى ـ كما أسلفنا ـ طبقة رجال الأعمال الذين كانوا يمارسون منذ عصر الجمهورية التجارة والتزام جباية الضرائب والأعمال المصرفية. وتتردد النغمة نفسها فى بردية أخرى، لعلها من مجموعة «أعمال السكندريين» تتضمن ـ كما قدمنا ـ إشارة عابرة إلى ارتشاء الوالى أفيليوس فلاكوس أو ممارسته إقراض الأموال بالربا فى عصر كاليجولا. ومن الواضح أن منصب مدير معهد التربية بالإسكندرية (gymnasiarchos) كان منصباً رفيعاً، لعله كان أرفع المناصب البلدية فى المدينة، وإن كان ذا طابع اجتماعى لا سياسى، ولا مراء فى أن شاغله كان بمثابة زعيم جالية المواطنين الإغريق. وقد حدا ذلك بالوالى إلى استغلال سلطته فى فرض مرشحيه لملء هذا المنصب. ومن المؤسف أن الوثيقة لا

[٣: مليانوس ٨٥ / ٩٨م]

البـلاد بأن البطـرك قد تنيح فحزنـو و اجتمعـو
الى مـدينة اسكندريه وتشـاورو مع الشـعب
الارتدكسى الذين فيـهـا وطرحـو القـرعـه لكى
يعرفـو من يستحق يجلس على كرسى القـديس
مـرقس الانجيلى تلميـذ السيـد المسيح بعـد هـذا
الاب مليانوس، فاتفق رأيهم بتأييد السيد المسيح
ربنا على رجل مـخـتـار خـايف من الله اسـمـه
كردنوس.

يتضح منها إذا كان الوالى يبيعه لأصدقائه أو كان يرغم من لا يدفعون له رشوة على النهوض بأعبائه. ونحن نعرف من مصادر أخرى أنه لم يعد اختيارياً منذ وقت مبكر، بل أصبح بمرور الزمن عبئاً إلزامياً ثقيلاً على أصحابه. غير أن إشارة البردية إلى شغله لمدة عشر سنوات تتعارض وما فهمناه من رسالة كلوديوس بأن الإمبراطور وافق على مقترح الإسكندريين بتحديد مدته بثلاث سنوات فقط.

وتتضمن الدعوى أيضاً إشارة عابرة إلى أن الوالى قد شغل مركزاً ملكياً، وهى إشارة تؤيدها ثلاث روايات أخرى وردت إحداها عند استرابون (XVII, 1, 12) حيث يقول «ومصر الآن ولاية... يحكمها رجال راشدون هم الولاة الذين يبعثون إليها باستمرار، ومن يبعث إليها (من قبل الإمبراطور) يتمتع بمركز الملك»؛ ووردت الأخرى عند تاكيتوس (Hist. I, 11) الذى يقول «تولى مصر... فرسان رومان فى منزلة الملوك»؛ والثالثة عند أميانوس ماركيللينوس (xxii, 16, 6) الذى يقول «ومصر نفسها أصبحت تحكم... بواسطة ولاة لهم مقام الملوك». وإذا كان الولاة فى وضع نواب الأباطرة الذين حلو محل البطالمة والفراعنة من قبلهم فقد كان محرماً عليهم ـ كالملوك القدامى سواء بسواء ـ أن يركبوا النيل فى زمن الفيضان. ويتبين من «محاكمة مكسيموس» كيف كانت جموع الأتباع (clientes) تنتظر الوالى أمام باب قصره (praetorium) لتزجى إليه تحية الصباح (aspasmos). وكان له

٣: مليانوس ٨٥ / ٩٨م

كردنوس البطرك

وهو الرابع من العدد

٩٦/١٠٦م

فاخذوه واوسموه على كرسى اسكندريه وكان عفيفا متضعا معفيا فى ايامه كلها واقام احدى عشره سنه فى رياسته وتنيح فى الحادى والعشرين يوما من بوونه فى تسع سنين من ملك ادريانوس الملك(*).

(*) خلا الكرسى بعده ثلاث سنوات بسبب شدة الاضطهاد وعدم تمكن الشعب المسيحى من انتخاب خليفة له.

حاجب (koitônitês = cubicularius) عند غرفة نومه. وإليه كانت ترفع الشكاوى. وكان يتمتع بحق مصادرة الأملاك، وإصدار حكم الإعدام حتى فى حالة جريمة غير خطيرة كإغفال ارتداء الملابس البيضاء فى حفلة هامة، أكبر الظن أن الوالى أمر بإقامتها فى مسرح ديونيسوس ابتهاجاً بعيد ميلاد تراجان. ويعرّف الفقيه أولبيانوس هذا الحق فى كتاب الجامع (Digesta) بحق السيف (ius gladii)، ويشفعه بحق الحكم على المذنبين بالأشغال الشاقة فى المناجم والمحاجر (damnare in metalla). ويتبين أيضاً أن الوالى كان يقوم بجولات تفتيشية (epidêmiai) فى شتى أنحاء الوادى. ونحن نعرف من الوثائق الأخرى كيف كانت السلطات المحلية تحرص على الاستعداد لمثل هذه الزيارات فترهق الأهالى بالمطالب أثناءها. وما أعظم الحفاوة التى كان يستقبل بها الوالى، إذ كانت تنظم له المواكب وتلقى الخطب بين يديه وتزين تماثيل الآلهة فى المعابد بأكاليل الزهر احتفاءً بمقدمه، وتقام الحفلات تكريماً له، وتتعالى الأصوات هاتفة باسمه.

وتؤيد البردية ـ بردية محاكمة مكسيموس ـ ما توصل إليه العلامة فيلكن من أن الوالى، بوصفه المهيمن على شئون العدل، كان يعقد مجلسه القضائى (conventus) ثلاث مرات فى السنة: مرة فى بيلوزيون للنظر فى قضايا أقاليم شرق الدلتا (يناير)، ومرة فى ممفيس للنظر فى قضايا أقاليم مصر الوسطى والعليا (فبراير ـ مارس/ أبريل)، ومرة فى الاسكندرية للنظر فى قضايا أقاليم غرب الدلتا (يونيو ـ يوليو). على أنه لم يكن ثمة ما يمنع من إعلانه مقدماً

ابريموس البطرك
وهو الخامس من العدد
١٠٩/ ١٢٢م

وبعد هـذا كان فى شعب المسيح الارتدكسى انسان اسمه ابريموس وكان عفيفا كالملايكه ويفعل افعالا حسنه بنسك فتشاورو عليه واخذوه واوسموه على الكرسى الانجيلى بطركا فاقام اثنى عشر سنه وكانت السلامه فى البيعه فى ايامه وتنيح فى التالت من مسرى فى

عن عقد مجلسه القضائى فى أماكن أخرى من الدلتا مثل هرموبوليس برقا (دمنهور) أو نقراطيس (كوم جعيف). أو حتى فى بلدة صغيرة مثل كسويس (Xois) (سخا)، أو فى أماكن أخرى إلى الجنوب من ممفيس مثل أرسينوس (مدينة الفيوم) وأكسيرينخوس (البهنسا). وأنتينوبوليس (الشيخ عباده) وكبتوس (قفط) وما وراءها. وكان ذلك للتيسير على المتقاضين من سكان الصعيد وتجنيبهم مشاق السفر الطويل إلى الدلتا.

وينبغى التنبيه إلى أن مجلسه لم يقتصر على الفصل فى القضايا، بل كان ينظر أيضاً فى مسائل إدارية ومالية كمراجعة التقارير وفحص كشوف الضريبة المقدمة من موظفى الأقاليم. وفى الحق أن الكلمة اليونانية التى تدل على هذا المجلس تعنيى أصلاً مراجعة الحسابات أو موازنتها (dialogismos). ويحدثنا المؤرخ تاكيتوس «بأن أغسطس المؤله كان قد أمر بأن يكون للفرسان الذين يحكمون مصر سلطة الفصل فى القضايا وأن تعتبر أحكامهم كأنها قد صدرت عن الحكام الرومان» ، والمقصود هنا ليس فقط حكام روما القضائين (praetores) والقناصل (consules) بل كذلك نوابهم من حكام الولايات. ويقول الفقيه أولبيانوس أن والى مصر لم يكن له أن يتنحى عن ولايته وسلطته (imperium) قبل أن يدخل خلفه لا مصر فقط بل الإسكندرية نفسها، ويضيف هو أو شارحه «أن هذه السلطة التى منحت بمقتضى قانون فى زمن أغسطس كانت شبيهة بسلطة القنصل». ولا ينبغى أن ننسى أن منصب والى

خـــامس سنه من ملك ادريانوس الملك ودفن مع ابايه.

يستس البطرك
وهو السادس فى العدد
١٢٢ / ١٣٠م

وبعد هذا اجتمع الشعب ووقع اختيارهم على انسان فاضل حكيم منهم اسمه يستس فوسموه بطركا واقام احدى عشره سنه [فى هدو وسلامه لايمل من الوعظ والتعليم] وتنيح فى التانى عشر

بمصر (praefectus Aegypti) كان فى أول الأمر ـ على نحو ما ذكرناه ـ أعلى منصب فى سلك وظائف الفرسان، أى أعلى من منصب قومندان الشرطة (praefectus vigilum) ومدير التموين (praefectus annonae)، وقائد الحرس البريتورى (praefectus praetorio)، وبعدئذ أصبح، منذ عصر أسرة فلافيوس، يلى المنصب الأخير. الذى كان كثير من ولاة مصر يرقون إليه بعد أن أصبح من أخطر مناصب الإمبراطورية.

لكن على الرغم من أن السلطة العليا تركزت فى يد الوالى، العسكرية منها والإدارية والقضائية ـ بغض النظر عما كان فى يد بعض كبار الموظفين المركزيين من سلطات محدودة للفصل فى قضايا معينة ـ فإن هذه السلطة لم تكن مطلقة. وإذا كان حقاً أنه تمتع بسلطة (imperium) شبيهة بسلطة نائب القنصل (حاكم الولاية السناتورية) فإن سلطته هذه كانت خاضعة لسلطة أغسطس التى كانت أكبر (imperium maius) من سلطة حكام الولايات. وكان ذلك أظهر ما يكون فى مصر التى كان واليها لا يعين إلا بأمر الإمبراطور، وكان بمثابة نائبة فيها ويستمد سلطته منه ويعتبر مسؤلاً أمامه وحده. وقد اختار أكتافيانوس ولاة مصر لا من بين هيئة السناتو بل من بين هيئة الفرسان حتى يربطها بالبيت المالك ربطاً وثيقاً ويحكم سيطرته عليها «فمنذ أيام أغسطس المؤله تولى مصر والقوات اللازمة لاخضاعها، فرسان رومان فى منزلة الملوك. هكذا رأى من المصلحة أن يضع تحت سيطرته (المباشرة) ولاية عسيرة

٦: يستس ١٢٢/ ١٣٠م

من بوونه فى سادس عشر سنه من ملك ادريانوس ودفن مع ابايه.

اومانيوس البطرك
وهو السابع من عدد الابا
١٣٠/١٤٢م

وبعد ذلك وسمو اوما نيوس بطركا على كرسى اسكندريه فاقام تلات عشره سنه يرضى الله والشعب وتنيح فى العاشر من بابه فى السنه السادسه لانتونيس الملك.

المدخل، وفيرة الغلال، متنافرة الأهواء، سريعة الهياج لايمانها بالخرافات وميلها للفوضى، جاهلة بالقوانين، ولا دراية لها بالحكام».

لقد اختار الفرسان ـ كما قدمنا ـ لأن ثقته فيهم كانت أكبر من ثقته فى رجال السناتو الأرستقراطيين الذين قد يدفعهم الطموح إلى الإستقلال بمصر اعتماداً على مواردها الوفيرة وصعوبة غزوها. ومن ناحية أخرى فإن الفرسان كانوا، بحكم خبرتهم العملية فى الشئون المالية والتجارية، وممارستهم لمنصب مدير التموين قبل مجيئهم إلى مصر مباشرة، أقدر من رجال الطبقة الأخرى على إدراك الأهمية الاقتصادية وتفاصيل الإدارة فى بلد بيروقراطى مثل مصر لم يعرف القوانين بالمعنى الذى عرفه بها الرومان، إذ كان يحكم من قبل بالمراسيم الصادرة من التاج، ولم يألف الحكام المنتخبين على يد الشعب والمسئولين أمامه، بل كان يألف الموظفين الخاضعين للملك المؤله خضوعاً تاماً. وفى الحق أن الوالى لم يكن يزاول سلطته إلا وفقاً للقواعد العامة التى يستنها الإمبراطور. وكان احتفاظه بمنصبه مرهوناً بمشيئة سيده. وقد عزل أغسطس كورنيليوس جاللوس، أول والٍ على مصر، لأن هذا الرجل تملكه الزهو فتجاوز حدود منصبه. وبغض النظر عن النصب الذى أقامه جاللوس فى جزيرة فيلاى ـ أنس الوجود مفاخراً فيه بانتصاراته، فلم نعثر فى مصر على نصب أقيم لتكريم والٍ دون أن يكون اسمه مقروناً باسم الإمبراطور الذى أوفده. وعندما غضب كاليجولا على فلاكّوس سواء لسوء

٧: اومانيوس ١٣٠ /١٤٢م

مركيانوس البطرك
وهو التامن من عدد الابا
١٤٢ / ١٥١م

فلما مضى البطرك المذكور اجتمع الشعب واخذوا انسانا محب لله اسمه مركيانوس واوسموه بطركا واجلسوه على كرسى البشير مارى مرقس واقام تسع سنين وشهورا بسيرة عجيبه و تنيح فى اليوم السادس من طوبه فى السنه الخامسه عشره لانتونيس الملك.

تصرفه أثناء فتنة عام ٣٨ أم لغير ذلك من الأسباب، أرسل إلى مصر قوة نزلت بالإسكندرية ليلاً وألقت القبض على الوالى.

وقليل هم الولاة الذين بقوا فى منصبهم مدة طويلة. فقد تبين من دراسة الوثائق البردية أن متوسط طول فترات الولاية على مصر فى زمن الرومان لم يزد على ثلاث سنوات وبضعة أشهر، وهى مدة ـ وإن كانت أطول من مدة الولاية فى عصر الجمهورية ـ إلا أنها كانت قصيرة بالقياس إلى طول عهود الأباطرة. ولا ريب فى أن ذلك كان جزءاً من سياسة مرسومة القصد منها أن لا تمتد ولاية حاكم طموح امتداداً قد يغريه بتوطيد مركزه ومناوأة روما نفسها. وغالباً ما كان الوالى يتغير بتغير الإمبراطور، لأن العاهل الجديد كان يفضل أن يرشح للولاية صديقاً حميماً أو تابعاً شديد الولاء له.

ولقد ذكرت أن سلطة الوالى لم تكن مطلقة، إذ أن الرسائل (epistulae) والفتاوى (rescripta) والتعليمات (mandata) الصادرة من الإمبراطور كانت تنظم مهامه وتحددها من وقت لآخر. فالإمبراطور هو الذى كان يحدد قيمة الضرائب التى ينبغى جبايتها من مصر فى سنة معينة، ولم يكن للوالى أن يعفى أحداً من الخدمات الإلزامية (leitourgiai) إلا بمقتضى الشروط التى استقرت بتعاقب الأباطرة. ولعل القارىء يذكر كيف آخذ الإمبراطور تيبريوس الوالى الذى أرسل إلى روما مقداراً من الجزية أزيد مما قرره، مذكراً إياه بأنه أوفده إلى

كلاديانوس البطرك

وهو التاسع من عدد الابا

١٥١ / ١٦٧م

وكان فى تلك الايام فى الشعب انسان محب لله اسمه كلاديانوس فاجتمع الشعب والاساقفه الذين كانو فى اسكندريه فى تلك الايام واخذوه ووسموه بطركا على الكرسى الانجيلى. وكان محبوبا من جميع الشعب، واقام اربع عشره سنه

مصر ليجز صوفها لا ليسلخ جلدها. وقد كان هناك من المسائل ما ينبغى الرجوع فيها إالى الإمبراطور ليبت فيها بنفسه ويصدر قراراته النهائية. ويتضح ذلك من عبارة وردت فى المنشور الخطير الذى أصدره الوالى تيبريوس يوليوس الإسكندر فى ٦ يوليو عام ٦٨ مشيراً فيه إلى الإجراءات التى وعدت الحكومة باتخاذها للقضاء على ما تفشى فى البلاد من فساد وظلم. وفى الجزء الأخير من هذا المنشور يقول الوالى «وأما عن متأخر الضريبة القديم ـ إذ أن شكاواكم تنصب على ذلك الذى أراد البعض تحصيله كاملا بانتظام أو تحديده تحديدا نهائيا فلم ينجم عن عملهم شيء فى الغالب سوى اثراء الموظفين وخراب بيوت الناس ـ فسوف أكتب ـ ضمن أشياء أخرى ـ الى قيصر أغسطس الامبراطورا (جالبا)، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يستأصل مثل هذه المفاسد استئصالا تاما».

وقد سبق أن ذكرت ما يفهم منه أن الوالى كان يملك وحده حق عقد المجلس القضائى (conventus). لكن ينبغى أن أضيف أنه إذا زار الإمبراطور مصر انتقلت إليه سلطة الوالى القضائية. وكان مجلس الإمبراطور المؤلف من المستشارين المرافقين له هو الذى ينظر فى القضايا ويصدر الأحكام. كما كان الإمبراطور، لا الوالى ـ فيما يرجح ـ هو الذى يصدر الفتاوى (rescripta) سواء فى صورة توقيعات (subscriptiones) أو رسائل (epistulae) إلى الأفراد فيما يعرضونه عليه من قضايا كتلك القرارات أو الفتاوى (apokrimata) التى أصدرها الإمبراطور سبتميوس سفيروس وعلقت فى رواق معهد التربية بالإسكندرية عندما زار

من ملك اوراليــاس والارياس ولدى الملوك، وتنيح
فى التاسع من ابيب وكفن ودفن مع اباه البطاركه
المقدم ذكرهم.

اجريبنوس البطرك
وهو العاشر من العدد
١٦٧ / ١٨٠م

ثم ان الشعب اجتـمـعو ايضا باتفاق وجعلو
ايديهم على انسـان من الشـعب خـايف من الله

المدينة فى نوفمبر عام ١٩٩ (ـ ٢٠٠). وبالإجمال فإن الوالى لم يكن له أن يتخذ قراراً فى أى شأن من الشئون الإدارية لا يتفق وسياسة الإمبراطور. صحيح أن الأخير غالباً ما كان يمارس سلطته فى مصر عن طريق نائبه، غير أنه مارسها فى بعض الأحيان دون وساطته. وإذا كان الوالى فى نظر سكان مصر حاكماً مطلق السلطان، فإنه كان فى نظر الإمبراطور خادماً عليه تنفيذ أتفه رغبات سيده.

وثمة نقطة أخرى تزيدها «محاكمة مكسيموس» وضوحاً، وهى أن سكان مصر بوجه عام لم يكن فى وسعهم الاتصال بالإمبراطورو الرومانى إلا عن طريق الوالى. ونحن نعرف من بعض النصوص التاريخية والوثائق البردية أن الوالى هو الذى كان يملك وحده حق التصريح للأفراد بدخول البلاد ومغادرتها. وقد أحكمت رقابة مداخل مصر ومخارجها إحكاماً شديداً إلى درجة أنه كان يتعذر على أى شخص مبارحتها دون علم السلطات. ففى البردية المعروفة باسم بردية القواعد المالية (P.Gnomon) لمراقب الحسابات الخاصة (Idios Logos)، والتى تعد أهم وثيقة فى دراسة السياسة الاقتصادية والأوضاع القانونية فى مصر على أيام الرومان، نجد عدة مواد تنص إحداها صراحة على أن المسائل المتعلقة بمغادرة مصر عن طريق البحر بدون جواز بالسفر (apostolos) تقع تحت طائلة سلطة الوالى. وتنص مادة أخرى على أن الأشخاص الذين يجوز لهم مغادرة مصر بحراً، إذا غادروها دون الحصول على جواز بالسفر، تصادر كل أملاكهم؛ ومادة ثالثة تقول إن رومانياً غادر البلاد بحراً دون أن يحصل على أوراق

اسمه اجربينوس، ووسموه بطركا و اجلسوه على الكرسى الانجيلى واقام اثنتى عشره سنه وتنيح فى الخامس من امشير فى السنه التاسعه عشره من ملك الملوك المذكورين.

يوليانوس البطرك

وهو الحادى عشر من العدد

١٨٠ / ١٨٩م

كان انسان قس حكيم قد درس كتب الله اسمه

السفر مستوفاة، فغرم عدداً معيناً من التالنتات، وهى غرامة باهظة على أى حال. ولدينا طلب طريف تقدمت به سيدة تدعى أوريليا مايكيانا إلى والى مصر، فاليريوس فيرموس، فى عام ٢٤٦ ملتمسة منه أن يكتب إلى مدير ميناء فاروس (رأس التين) لكى يسمح لها بالخروج من البلاد وفقاً للعادة المتبعة. ولا ندرى أكانت أورليليا فى زيارة لبعض أقاربها فى مصر أم كانت مقيمة فيها وتطلب تصريحاً بالسفر لزيارة أهلها فى موطنها الأصلى ببلدة سيدى (Sidê) فى إقليم بامفيليا (بآسيا الصغرى). وعلى أى حال فإن الطلب يرد فى ذيله تأشيرة للوالى مكتوبة باللاتينية وتتضمن الإذن بالسفر أو ما يقابل جواز السفر. وإذ كان الوالى هو الذى يرفع الشكاوى إلى الإمبراطور فقد كان فى وسعه أن يعرقل وصولها إليه إذا شاء.

ففى بردية من «أعمال الشهداء السكندريين» ما يفيد بأن الوالى كان يحول دون إبلاغ الإمبراطور شكاوى مواطنى الاسكندرية. وقد ورد على لسان محامى الإتهام فى قضية مكسيموس أن الإمبراطور لم يحط علماً بالرسائل (أى الشكاوى) التى كتبها الإسكندريون إليه. ولم يكن مرد ذلك ـ كما يزعم الوالى ـ إلى أن تراجان كان متغيباً (فى حرب داكيا الثانية عام ١٠٥ ـ ١٠٦)، بل أكبر الظن لأن الوالى احتجزها فى مكتبه حتى لا تبلغ مسامع سيده(*).

(*) انظر: مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية. د. عبداللطيف أحمد على. دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٦٥.

يوليانوس سالكا فى طريق العفاف والتدين والهدو، فاجتمع جماعه اساقفه من السنودس والشعب الارتدكسى بمدينة اسكندريه وبحثوا عن جميع الشعب فلم يجدوا مثل هذا القس فجعلو ايديهم عليه و اوسموه بطركا، فوضع ميامر ومقالات للقديسين واقام عشر سنين. ومن بعد هذا البطرك لم يقم اسقف اسكندريه فيها بل صار يخرج سرا ويوسم كهنه فى كل مكان كمارى مرقس الانجيلى. وتنيح المذكور فى اليوم التامن من

الامبراطورية الرومانية حتى اعتزال دقلديانوس

فى ستينيات القرن الأول الميلادى ثار اليهود فى جودايا ثورة عارمة غير أن جيوش الامبراطورية بقيادة تيطس Titus استطاعت أن تقضى على هذا التمرد. وأن تدمر الهيكل وأن تذبح اعداد كبيرة منهم، وفرض الامبراطور فسباسيان Vespasanus (٦٩ ـ ٧٩) على كل يهودى أن يحول الضريبة التى كان يدفعها للهيكل فى أورشليم الى الهيكل الامبراطورى فى روما. غير أن اليهود ما لبثوا أن جددوا ثورتهم ضد روما مرة أخرى فى عامى ١١٥ ـ ١١٦، وشملت الثورة هذه المرة مناطق عدة من الامبراطورية خاصة فى برقة ومصر وقبرص وأرض الجزيرة ولكن الامبراطور هادريان Hadrianus أخمد بلا هوادة هذا التمرد الخطير، وأصدر فى سنة ١٣١ مرسوما يحرم الختان أو الاحتفال بأى عيد من أعياد اليهود أو إقامة أى طقس من الطقوس اليهودية علانية، وفرضت ضريبة شخصية جديدة وباهظة، وحرم عليهم دخول بيت المقدس الا فى يوم واحد فى العام ليسمح لهم فيه بالمجئ للبكاء أمام خرائب الهيكل.

وهكذا شتت اليهود فى كل ولايات الامبراطورية الرمانية، ونظر اليهود الى ماضيهم فألفوا أنفسهم وقد تعرضوا لتاريخ طويل من الاذلال والشتات، بدأ بالاشوريين فالبابليين فالفرس فالاغريق ثم فى النهاية الرومان، ومن ثم تولد لدى اليهود كبير أمل، وتوقع محدد صريح أن الههم لابد وأن يخلصهم يوما ما من هذه التبعية السياسية للسيد الأجنبى . وكان التفكير

---

١١ : يوليانوس ١٨٠/١٨٩م



برمهات وقيل فى تانى عشر بابه فى السنه الخامس من ملك سوريانوس الملك.

ديمتريوس [الاول] البطرك
وهو من العدد الثانى عشر
١٨٩ / ٢٣١م

وعند وفاة يوليانوس البطرك جا اليه ملاك الرب فى منامه ليلة وفاته وقال له: الذى يدخل لك فى غد بعنقود عنب هو البطرك بعدك، فلما اصبح جا اليه رجل فلاح متزوج لا يقرا ولا يكتب اسمه

السائد ـ حسبما جاء فى نبوءات أنبياء بنى اسرائيل[1] أن الوسيلة الوحيدة لذلك هو أن يرسل يهوه مسيحا خصيصا لهذا الغرض، يخرجهم من الظلمات الى النور ويعيد لهم على الأرض مملكة داود وسليمان، ويحقق لهم عهداً جديداً من السلام والرخاء، ومن القوة والعظمة، وينهى بقوته والى الأبد حالات الحزن والقنوط والتبعية والاذلال، وأن يهوه لابد وأن يعيد الى شعبه ميراثه الصحيح ووضعه المرموق.

غير أن اليهود أصيبوا بخيبة أمل بالغة عندما جاءهم المسيح يزين لهم ملكوت السماوات. ويعدهم وعدا حسنا فى الدار الآخرة، وأدرك رجال السطوة والنفوذ فيهم من الصدوقيين والفريسيين والكتبة ومختلف الطوائف الأخرى، وأعضاء مجلس السنهدرين اليهودى[2] أن

---

(١) جاء فى سفر أشعياء (٦/٩ ـ ٧) لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا، رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها وبعضدها بالحق وبالبر من الآن الى الأبد.
وجاء أيضا فى نفس السفر (١/١١ ـ ٢) «ويخرج قضيب من جذ ع يسى، يثبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب».

(٢) هو المجلس الأعظم المكون من كبراء اسرائيل ، ويظن أنه نشأ فى أثناء حكم السلوقيين (حوالى عام ٢٠٠ ق. م.). وكان الحاخام الأعظم هو الذى يختار فى بادئ الأمر أعضاء المجلس من بين طبقة الأشراف الكهنوت ، ويضم المجلس واحداً وسبعين عضوا يدعون لأنفسهم السلطة العليا على جميع اليهود أيا كان موطنهم، وكان اليهود المستمسكون بدينهم فى كل مكان يعترفون لهم بهذه السلطة.

ديمتريوس، وكان قد خرج يقلم كرمه فوجد فيه عنقود عنب في غير زمان العنب فجا به الى البطرك فقال يوليانوس البطرك للشعب الذين حاضرين عنده: هذا بطرككم كما قال لى ملاك الرب البارحه. فأخذوه قهرا وقيدوه بقيد حديد، وتنيح يوليانوس فى ذلك اليوم فكرزوا ديمتريوس بطركا وحلت عليه النعمه الالهيه.

وكان يشبه يوسف بن يعقوب لانه كان متزوجا، وكان افضل من يوسف لانه كان تزوج

مكانتهم الى نهاية، وأن نفوذهم لا محالة ضائع. ومن ثم كفروا بالمسيح وبما جاءهم به، ونالوا منه ومن دعوته وأتباعه ، وراحوا يؤلبون عليه وعليهم جميعا شعب الرومان والحكومة.وبذلك لقى المسيحيون من اليهود كبير عنت.

أما المجتمع الرومانى فكانت نظرته الى المسيحية تختلف باختلاف الطبقة التى ينتمى اليها هذا البعض أو ذاك، هذا بالأضافة الى موقف السلطات ذاتها، فالطبقة المترفة كانت تعتقد أن المسيحية تهدد كيانها بما تحمله من تعاليم تدعو الى المساواة والأخذ بيد الفقراء، والتصدق بالأموال وعدم اكتنازها، واحتقار الحياة الدنيا وملذاتها [١]، وهى مظاهر لم يألفها الرومان فى تلك الأعصر. ومن ثم أتهمت هذه الطبقة المسيحية بأنها تعمل على تبديد الثروات التى جمعوها بطرق مشروعة أو غيرها، وراحوا ينظرون اليها بعين الشك والارتياب.

ولم تكن الجموع الرومانية فى حاجة الى من يثير عاطفتها ضد هذه الدعوة الجديدة وأتباعها، وكان الذى أدى الى هذا الاتجاه هو ذلك الموقف الخاص النابع من المسيحية . ففى الوقت الذى لم يكن لدى روما فيه أى تعصب فى الوصول الى اتفاق معين يتوافق مع

(١) حفل العهد الجديد بالآيات العديدة الدالة على ذلك، «لاتكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون» (متى ١٥/٦)، «ا ن اردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء» (متى ١٩ /٢١، مرقس ٢١/١٠)، «مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله » (مرقس ٢٥/١٠).

ولم يعرف امرأته، واذا قال قايل: كيف يجوز ان يكون بطرك متزوجا. نقول لهم قد قال التلاميذ في قوانينهم ان الاسقف اذا كان متزوجا بامرأه واحده فلا يمنع من ذلك لان الزوجه المومنه طاهره وفراشها طاهر و لا ذنب عليه. والبطرك فهو اسقف مدينة اسكندريه وله الرياسه على ا ساقفة اعمالها لاجل انه خليفة مارى مرقس الرسول البشير فيها بشرى بالانجيل، ولهذا وجب ان يكون حكم اسقف اسكندريه على جميعها. وكان

العبادات الأجنبية الأخرى. وكان مذهب تعدد الآلة على استعداد لأن يقبل فى البانثيون الرومانى ألهة جددا، وتجلى ذلك فى أن آلهة الشرق كانت تقام لها الاحتفالات والأعياد كما لو كانت أى اله رومانى، وبينما كان البانثيون لا يرضى طواعية باله واحد، بدأت المسيحية ديانة توحيدية، وقد أظهر هذا الاله نفسه فى «العهد القديم» غير متسامح البتة مع الآلهة الأخرى. ولم تكن المسيحية التوحيدية ترضى بحل وسط يمكن استخدامه مع الديانات المتعددة الآلهة فى الامبراطورية الرومانية أو غيرها، بل يجب فى ـ نظرها ـ الا يكون هناك تسامح مطلقا لا معها ولا مع اتباعها.

وبناء على هذا المعتقد لدى المسيحيين، عزل هؤلاء أنفسهم عن المجتمع الرومانى وأنشطته المختلفة، فلا هم يشتركون فى حفلاته وندواته العامة، ولا هم يختلطون بالرومان ويندمجون فيهم، بل اغلقوا على أنفسهم باب العزلة فى ظل التعاليم التى اشاعها أباء المسيحية الأول من فساد الحياة الدنيا وغوايتها ووجوب الزهد، وأن من اتبع هواه وأطلق لنفسه وشهواته العنان فى هذه الدنيا فقد ضل وغوى، وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى وسار فى طريق المسيح وتحمل الآلام والتعذيب، واحتقر الحياة الدنيا. فسوف يلقى جزاء الحسنى بأن يكون رفيق المسيح فى السماوات العلا. ولقد كانت هذه المحاولة لاقامة مجتمع من الاخيار بين الأخوة، والدفاع العنيف عن حياة التبتل، تجرى فى تيار مخالف تماما لما كانت عليه الحال فى تلك الفترة.

الشعب يحب هذا البطرك ويقولون انه التانى عشر من مرقس البشير وكلهم غير متزوجين الا هذا، وكانوا يحسرون عليه.

وكان له موهبه من الله، وذلك انه كان اذا كمل القداس، ومن قبل ان يقرب احدا من الشعب، ينظر السيد المسيح يدفع القربان بيده فاذا تقدم انسان لا يستحق ان يتناول السراير(*) اظهر له السيد المسيح ذنبه ولا يقربه، فيعرفه سبب فعله ويغترف بخطيته ويونبه عليها ويقول له تنح عن

(*) السرائر المقدسة رتب الكنيسة القبطية سر الاعتراف منذ العصور الأولى. كما أنه مازال يعقد حتى اليوم انطلاقا من

ولما كان زعماء المسيحيين يحضونهم على أن يتجنبوا غير المسيحيين، وأن يبتعدوا عن الألعاب الهمجية التى يقيمونها فى أعيادهم والايغشوا دور تمثيلهم لأنها مباءة فجور، فقد بدا اعتزال المسيحى للشئون الدنيوية وكأنه هروب من الواجبات المدينة وضعف للروح القومى والارادة القومية. وقد جاء هذا الاعتزال أيضا نتيجة لما كان يعتنقه المسيحيون من أن الحياة الأرضية أضحت غير ذات بال، والمسيحيون فيها غرباء، فموطنهم الأصلى هو السماء، انهم مواطنون فى مملكة الله الآتية. وكانت الكنيسة الأولى تعتقد باخلاص فى قرب مجئ ملكوت السماوات، ومن ثم لم تقدم شيئا لهذا العالم الذى تعيش فيه، بل ركزت كل جهدها للاستعداد للحياة الآخرة.و لما كان قد حرم على المسيحى أن يتزوج بغير مسيحية، وعلى المسيحية الا تقترن بغير مسيحى، ا تهم المسيحيون بأنهم بذلك يبذرون الشقاق فى المجتمع، واتهم الدين المسحى بأنه يعمل على تشتيت الأسر وخراب البيوت، ومما أكد هذا الاتهام أيضا أن حماس المسيحيين فى تلك الآونة كان يدفع الواحد منهم، تبعا للتعاليم المسيحية الى أن يهجر عائلته وأرضه فى سبيل ايمانه، وأن يشترك فى وحدة مع جماعته المسيحية الجديدة. واتهم المسيحيون بالتعالى والتكبر على بقية أفراد المجتمع لأنهم كانوا يضعون الصعوبات فى وجه تناول الطعام خارج دورهم، حيث أن معظم اللحوم فى الحوانيت مضحى بها أصلا للآلة الأخرى . وكان اظهار الشماتة من جانب المسيحيين اذا ما حل بالامبراطورية مكروه، وما أذاعوه

خطيتك التى تفعلها وحينذ تاتى لتاخذ السراير المقدسه.

و اقام على هذا مده طويله حتى ان المومنين كانو باسكندريه لا يخطون خوفا من هذا البطرك لئلا يفضحهم، وكان كل واحد من المومنين يقول لصديقه او قريبه اياك ان تخطى لئلا يفضحك البطرك قدام الشعب.

وكان بعض الناس يقول: هذا رجل متزوج فكيف يوبخنا و قد وصم هذا الكرسى لانه ما كان

ثبات المبدأ ولسنا في حاجة للقول بأن المبدأ والممارسة قد اختلطا فى مسائل عديدة على مدى التاريخ القبطى. وقد قيل ان الأنبا يوحنا البطريرك الثانى والسبعون الذى عاش خلال القرن الثانى عشر قد ألغى هذا السر. وحوالى سنة ١١٧٤ قام مرقس ابن القنبرى بعمل جولة عظيمة فى ربوع مصر معلما بأنه لا غفران للخطايا بدون الاعتراف،. وقبل ذلك بحوالى قرنين تحدث الأنبا ساويرس البطريرك الخامس والخمسون فى هذه

من تنبؤات صريحة عن الكوارث والمحن التى تنتظر الامبراطورية، كل ذلك أوحى الى الرومان بانطباع معين عن خطر متوقع من وراء هذه الطائفة.

وبهذا السلوك أدرك جموع الرومان أنهم ازاء جماعة منعزلة تأبى الاشتراك فى الحياة العامة بل وتزدريها وترفض الانخراط فيها، ولا تؤدى أى خدمة للمجتمع الذى فيه تعيش، و من ثم كان سخط الرومان ومعارضتها للدين الجديد أشد من سخط الأباطرة أنفسهم فى بادئ الأمر.

ولم يكن ارتياب الأباطرة الرومان فى المسيحية بأقل منه عند هذه الفئة أو تلك، بل أخذ يزداد بمرور الزمن حدة وصرامة، كانت المشكلة الجوهرية التى أقلقت بال الأباطرة، وزادت من حدة النزاع بينهم وبين المسيحيين هى رفض مشاركة هؤلاء بقية الرومان عبادة الامبراطور وتأليهه ، وتقديم القرابين لتمثاله وحرق البخور أمامه فى المناسبات العامة، وكان احراق البخور أمام تمثال الامبراطور قد أصبح رمزا للولاء للامبراطورية وتوكيدا لهذا الولاء.

وقد آلم الأباطرة كثيرا أن يجدوا المسيحيين لا يشتركون فى تقديس ذواتهم ، وكانت المسألة بالنسبة للمسيحيين غاية فى الأهمية لانها تتصل بجوهر العقيدة المسيحية ذاتها، وكانوا يشعرون أنهم بعبادتهم آلهة الدولة، واعترافهم بالوهية الحاكم سوف يخرجون عن هذه العقيدة التوحيدية الى صفوف الوثنيين، وكانت الكنيسة ترى فى عبادة الامبراطور ضربا من الشرك

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

النقطة بوضوح لأنه كتب فى خطاب حل لشماس معين ـ ما يلى:

«حلت أربطة هذه الشـمـاس بكلمـتى، ولذلك لا يوجـد سـبب يستدعى أن يعوقه أحد من المؤمنين عن التقدم للتناول». وبعد ذلك أعلن رأيه بأن من يتـقـدم للتناول بدون اعتراف بخطيئته فانه يجعل خطيئته أعظم».

ويتم الاعتراف أمام الكاهن فقط وقـد تحـدد فى أيامنا هذه بأن يكون القـمص أو كـبيـر الكهنة هو الذى

يجلس عليـه الى اليـوم الا بتـول[أعـزب]. وبعض الناس كان يقول: ما هذا شى ينقصه لان التزويج طاهر نقى قدام الله. فاراد الله ان يظهر فضايله حتى يتمجد ولا يدع هذا السر العظيم مخفيا كما قال فى انجـيله المقـدس من فـيـه [فـمـه] الطاهر: لا تستطيع مدينه تخفى وهى على جبل. فاظهر لهذا البطرك فضايله ليزداد شعبه به صلاحا. وذلك انه اتاه فى بعض الليـالى مـلاك الرب وقـال له: يا ديمتريوس لا تطلب خلاصك وتدع قريبك واذكر

وعبادة الأصنام، وبذلك أمرت أتباعها أن يرفضوا هذه الشعائر مهما تعرضوا له من الاذى بسبب هذا الرفض. لقد كان ولاء المسيحيين لدينهم فوق ولائهم للدولة.

كان فى وسع المسيحيين أن يصلوا من أجل الامبراطور ولكن ليس للامبراطور، وأن يدعوا للامبراطورية وأن أبوا أن يحاربوا من أجلها. ذلك أن المسيحيين فى بادئ الأمر كانوا يرفضون الاشتراك فى الخدمة العسكرية للدفاع عن الامبراطورية، فهم بأدائهم العمل العسكرى ينخرطون فى العبادة الوثنية، وباعتبارهم جنود الرب فانهم لم يكونوا يستطيعون اعطاء ولائهم لقوة أخرى كانوا فى كثير من الأحيان يساوونها مع الشيطان، فالمسيحى كان يدين بالولاء للمسيح لا لقيصر، ويعظم أسقفه أكثر مما يعظم الحاكم الرومانى، ويعرض ما يقع بينه وبين زملائه المسيحيين من مشاكل قانونية على رؤساء الكنيسة لا على موظفى الدولة.

فاذا اضفنا الى احتقار المسيحيين لآلهة الدولة، ورفضهم عبادة الامبراطور، وامتناعهم عن الاشتراك فى الخدمة العسكرية، اذا اضفنا الى ذلك كله رفض أثريائهم قبول تولى المناصب العامة فى ا لدولة مما عد تهربا من تحمل مسئوليات المجتمع الذى يحتويهم، أدركنا الى أى حد كان الأباطرة ينظرون الى هذه الطائفة بعين ملؤها الشك والارتياب.

ونتيجة لهذه النظرة التى أحيط بها المسيحيون راحوا يلتقون خفية ويعقدون اجتماعاتهم فى سرية، مما زاد الطين بلة ، وأوقع بهم تحت دعوى الاتهام بأنهم جماعة سياسية خطيرة يخشى

ما قاله الانجيل: ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن خرفانه. فقال ديمتربوس للملاك: يا سيدى عرفنى ما تأمرنى به فان كنت تريد ترسلنى للشهاده فانا مستعد ان يسفك دمى على اسم المسيح. فقال له الملاك: اسمع منى يا ديمتريوس واعلم ان السيد المسيح انما تجسد ليخلص شعبه وما يجب لك الان ان تخلص نفسك فقط وتدع هذا الشعب يشك فيك. قال دمتريوس: وما خطيتى الى الشعب يا سيدى عرفنى لكى اتوب عنها. فقال له الملاك:

يمنح الحل. وبعد سماع الاعتراف يأمر بالتأديبات الكنسية التى يراها مناسبة، ويجب اتمام هذه التأديبات قبل منح الحل. ولا يعتبر الاقرار العام بالخطيئة كافياً، كما أن الكاهن لا يستطيع تحديد التأديب المناسب للخطيئة المختفية خلف التعبيرات العمومية وقيل أنه عندما الغى الأنبا يوحنا هذا الطقس اعتبر أن الاعتراف الصامت أثناء انطلاق سحب البخور بمثابة بديل للاعتراف الصريح بالذنب. وقد أنتشرت نفس هذه العادة

بأسها على سلامة الدولة، خاصة وان قيام هيئة دينية تجمعهم منفصلة عن الدولة كان يعد شيئا غريبا تماما عن الفكر الرومانى عندئذ، فتبعا للنظم التى كانت سائدة فى العصرين الجمهورى والامبراطورى، كانت مجموعة واحدة من الحكام أو الموظفين تختص بالشئون المدنية والعسكرية والدينية على السواء، وما دام المواطن الرومانى يخضع للعبادات الرسمية للدولة، فقد كان له مطلق الحرية بعد ذلك أن يعتنق ما يريد، ومن ثم لم يكن يسمح للمواطنين باتخاذ عقيدة تتصارع مع السلام الرومانى والنظام العام.

وكان من المستحيل أن تلتقى هذه الفكرة مع عقيدة الكنيسة التى كانت ترفض من ناحيتها الفكرة الرومانية القائلة بأن الدين خاضع للدولة. وكان من المستحيل بالتالى على الأباطرة أن يقبلوا بوجود دولة داخل الدولة.

ونتيجة لذلك غدا المسيحيون فى نظر الرومان ليسوا الا منشقين متآمرين مبتدعين لعبادة جديدة غير مرغوب فيها.وقد أدى ذلك بالمسيحيين الى أن يتعرضوا للاضطهاد لامن جانب الأباطرة الطغاة فحسب، بل من جانب أباطرة خيرين أمثال تراجان وهادريان وانطونينوس بيوس وماركوس أوريليوس.

ويتضح اتجاه الحكومة الرومانية ازاء المسيحيين فى مطلع القرن الثانى من تلك الرسائل التى تبودلت بين بلينى الأصغر Plinius حاكم بيثينا سنة ١١٢ والامبراطور تراجان (٩٧ ـ ١١٧)،

بين الاحباش. و لكن هذا الخروج على القانون الكنسى كان مؤقتا، رغم أن تجاهل الاعتراف الصحيح استمر فترة طويلة.

ويقف المعترف أمام الكاهن جاثيا على ركبتيه ومطاطئا رأسه الى الأرض. ويتلو الاثنان معا الصلاة الربانية وبعد تلاوة بعض الصلوات الأخرى يمنح الكاهن الحل للمعترف ويباركه. وأثناء الصلوات يؤدى المعترف ثلاث ميطانيات أمام المذبح وميطانية واحدة أمام أب الاعتراف

هذا السر الذى بينك وبين زوجتك وانك لم تقربها قط اظهره للشعب. قال دمتريوس للملاك: انا اطلب اليك ان اموت قدامك ولا تدع احدا من الناس يعرف هذا. قال له الملاك: يجب ان تعرف ان الكتاب يقول: من لا يطيع فهو هالك. فاذا اصبحت بالغداه بعد فراغ القداس اجمع الكهنه والشعب وعرفهم هذا السر الذى بينك وبين زوجتك. فلما سمع البطرك هذا تعجب وقال: مبارك الرب الذى لا يرفض المتوكلين عليه. ثم

وقد جاء فى رسالة بلينى «أن الطريقة التى اتبعتها مع من اتهموا أمامى بأنهم مسيحيون هى هذه: لقد سألتهم هل هم مسيحيون فاذا اعترفوا بأنهم كذلك أعدت السؤال عليهم مرة أخرى، وأنذرتهم فى الوقت نفسه بأنهم سيقتلون اذا أصروا على قولهم، فاذا أصروا عليها أمرت بقتلهم» وقد جاء فى رد تراجان على بلينى امتداح تصرفه بأنه غاية فى الحكمة، كما أمر الامبراطور بعدم الجد فى البحث عن المسيحيين وعدم السماح لاتهامات مجهولة، ولكن اذا وجد المسيحيون ورفضوا اظهار الولاء للآلهة الرومانية وقعوا بذلك تحت طائلة العقاب، أما هادريان (١١٧ ـ ١٣٨) فقد أرسل الى واليه فى أسيا مينوكيوس الفوندى Minucius Fundanus يأمره أن تعطى للمسيحيين فرصة عادلة للدفاع عن أنفسهم فى محاكمة عادلة، ويجب الا يتعرض أى مسيحى للعقوبة الا بعد التحقق من ذلك، وأرسل أنطونيوس بيوس (١٣٨ ـ ١٦١) الى الجمعية العامة فى افسوس رسالة بهذا المعنى أيضا، ولم يكن اضطهادات المسيحيين فى ليون على عهد ماركوس أوريليوس (١٦١ ـ ١٨٠) استثناء من السياسة العامة التى درج عليها أباطرة القرن الثانى، وكانت الاضطهادات التى وقعت على عهد هذا الامبراطور نتيجة لما حل بالبلاد من كوارث نجمت من الفيضانات والاوبئة والحروب، فساد الاعتقاد بأن سبب هذه النكبات راجع الى الانصراف عن آلهة الرمان وانكارها، وشارك أوريليوس الجماهير فى ذعرها، أو لعله خضع لها فأصدر فى عام ١٧٧ مرسوما يقضى بعقاب الشيع الدينية التى تنشر الاضطراب باستثارة أصحاب العقول غير المتزنة بتلقينها عقائد جديدة.

غــاب الملاك عنه فلمــا كــان بالغــداة يوم عــيــد العنصره قـدس البطرك وامـر ريس الشـمـامـسـه ان يعلم الكهنه والشعب ان لا يخرجو من البيعه بل يجـتـمـعـوا عند الكرسي. فـقـال الارشى دياقن للجـمـع: ان البطرك يقـول لجـمـيـعكم انى اريد مخاطبتكم فلا يخرج احد منكم حتى يسمع ما اقوله. فلما جلسو امر ان يجمع الاخوه حطبا كتيرا ففعلو ذلك وهم متعجـبـون قايلون: ماذا يصنع البطرك. فقال لهم: قومو نصلى . فـصلو وجلسو

الذى يقبل المعترف قدميه ملتمسا صلواته، ويلى ذلك فـرض التـأديب ولابد من تنفـيـذه بدقـة . ويحكى التائب كافة أفكاره وأفعاله للكاهن. وبعد أن ينفذ التائب كافة التزاماته، يصلى عليـه الكاهن صـلاة تحليل ثانيـة، وبعد ذلك يسمح له بالاشتراك فى التناول.

وقد خفت حدة الاضطهاد فى عهد كومودوس Commodus (١٨٠ ـ ١٩٢) وتحسنت أحوال المسيحيين وتمتعت الكنائس بالسلام ولكن سرعان ما عادت الى ما كانت عليه بتولى سبتميوس سفروس Septmuis Severus (١٩٣ ـ ٢١١) عرش الامبراطورية وربما كان ذلك راجعا الى ما تعرضت اليه الدولة من كوارث لحروبه مع البارثيين. وتابع من جديد ماكسيمين قيصر Maximinus ٢٣٥٠ ـ ٢٣٨) سياسة الاضطهاد، وأصدر أمرا بقتل أباء الكنائس باعتبارهم أصحاب المسئولية الأولى عن بث هذه التعاليم، وعلى ذلك كتب أوريجين Origenes اللاهوتى المسيحى الشهير فى القرن الثالث مؤلفه عن الاستشهاد.

هذا الموقف الذى اتخذته الامبراطورية الرومانية تجاه المسيحية حتى نهاية النصف الأول من القرن الثالث كان يتميز بالطابع المحلى. اذا لم يكن هناك قانون عام يسرى فى الامبراطورية بأسرها يحدد معاملة المسيحيين، ولكن ذلك ترك لحكام الولايات أنفسهم حسبما يقضى به الصالح العام للامبراطورية، ورغم هذه الاضطهادات واجراءات القمع التى اتخذت الا أنها كانت متقطعة ومتباعدة، ولم تتخذ الحكومة الامبراطورية اجراءات نشيطة وحاسمة وعامة ضد هذه العبادات المسيحية، وكان هؤلاء الأباطرة الذين أقدموا على الاضطهاد فى تلك الفترة ـ اذا ما قورنوا بأباطرة النصف الثانى من القرن الثالث – غير غنيفين فى اضطهاداتهم، كما أن الكنيسة نعمت فى عهد كثيرين من أباطرة هذه الفترة بعهود من السلام والهدوء. غير أن الحال بدأ فى التغيير التام مع بداية النصف الثانى من القرن الثالث، حيث تعد هذه الفترة

فقال لهم: انا اطلب من محبتكم ان تحضر عندكم زوجتى تاخد بركتكم. فعجبو وقالو فى قلوبهم : ايش هذا الفعل. ثم قالو له: كلما تأمرنا به يكون. فامر البطرك احد عبيده وقال له: ادع زوجتى عبدة القديسين لتأخد بركتهم. فجات الامرأه القديسه ووقفت فى وسط الاخوه، وقام زوجها البطرك بحيث يشاهدونه جميعهم ووقف على الجمر وهى تقد، وفرش بلاريته(*) واخذ بيده جمرا من النار، فشهق جميعهم من كترة الجمر التى فى البلاريه

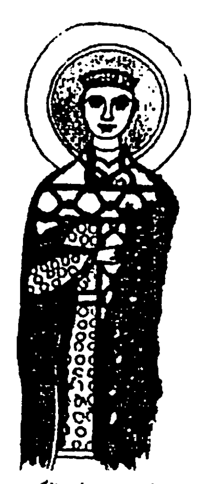
(*) بلارية: جبة كنسية.



تمثال نصفى لدقلديانوس
(٢٨٤ _ ٣٠٥م)

التى تمتد حتى سنة ٢٨٤ ، عندما اعتلى دقلديانوس العرش الامبراطورى من أحلك الفترات التى مرت بها الامبراطورية وأشدها خطورة، نتيجة للحروب الأهلية التى وقعت بين قواد الفرق الرومانية فى الولايات المختلفة، وغزوات الجرمان من الشمال والغرب، والفرس من الشرق، وازدياد متطلبات الامبراطورية واحتياجاتها لمواجهة تلك الاخطار، ونقص عدد السكان بسبب تفشى الامراض والاوبئة والطواعين، وانحطاط الزراعة وتدهور الصناعة وكساد التجارة وانخفاض قيمة العملة، تلك صورة عامة كانت تدعو للتشاؤم والقنوط.

لقد كان السبب الجذرى لهذه المتاعب التى سادت الامبراطورية على مدى جيلين يتركز فى عدم انتظام الجيش، وفى الطموح السياسى لقواده العسكريين، وكان الاباطرة ولا شك يتحملون جزءا من هذه الفوضى التى تردى فيها النظام العسكرى الرومانى، ذلك أن الأباطرة كانوا يحجمون عن أن يطعموا الجيش بالعناصر الأرستقراطية خشية استيلاء هؤلاء على السلطة الامبراطورية حيث أنه لم يكن هناك نظام ثابت فى وراثة العرش، هذا بالاضافة الى أن الطبقة المالية كانت غير راغبة فى هجر أعمالها للالتحاق بالخدمة العسكرية، ومن ثم لم يصبح أمام الأباطرة الاطريقين لا ثالث لهما لتكوين جيوشهم، اما من العبيد وطبقة العامة، واما من أعداء الدولة ذاتها الرابضين على حدودها والمتمثلين فى القبائل الجرمانية، وأدت الحرب الأهلية التى أعقبت مقتل كومودوس عام ١٩٢ الى نتائج هامة كان أبرزها اقتناع



رسم بالفريسك فى الكنيسة المعلقة لقديس يرتدى البلين

ولم تحترق، ثم قال لزوجته: افرشى بلينك الصوف الذى عليك.ففرشته و اقلب الاب البطرك تلك الجمر فيه وهى قايمه، ورفع فى النار بخورا وامرها ان تبخر جميعهم، ففعلت كذلك، هذا كله ولم يحترق البلين. فقال البطرك تانى دفعه: قومو نصلى وكانت الجمر تقد فى وسط بلين الامرأه ولم يحترق منه شى.

سمعتم الان يا احباى هذا العجب العظيم، اذا صير انسان نفسه خصيا باختياره فهو اجل من

سبتيميوس سفروس بأن القوة العسكرية هى كل شئ وقد تجلى ذلك فى رفعه مرتبات جنوده، ونصيحته الى ولده قائلا «أجزل العطاء للجند ولا تلق بالا للآخرين».

وليس أدل على هذه الفوضى العسكرية، وتدخل الجيش فى شئون الحكم، وما نجم عن ذلك من الحروب الأهلية من أنه فى فترة نصف القرن الواقعة بين عامى ٢٣٥ ـ ٢٨٥ تولى عرش الامبراطورية ستة وعشرون امبراطورا لم يمت منهم ميتة طبيعة الا امبراطور واحد. وفى غالة وحدها بين سنتى ٢٥٧ ـ ٢٧٣ كان هناك خمسة أباطرة. وساعدت الفوضى أيضا على أن يسيطر أذينه ومن بعده أرملته زنوبيا من تدمر على كل الأقاليم المتمدة من آسيا الصغرى الى مصر بصورة أضطر معها الامبراطور جاللينوس Gallienus (٢٦٠ ـ ٢٦٧) أن يمنح أذينة لقب قائد الشرق ويجعله رئيسا للفيالق الرومانية على الفرات ومصر.

وزاد الأمر سوءا ضغط الجرمان على الراين والدانوب، فعلى الراين الأدنى ظهرت عناصر الفرنجة، بينما هدد الالمان أعالى الراين والدانوب، واحتل القوط الدانوب الأدنى واكتسحت قبائلهم ـ على عهد الامبراطور دكيوس Decius (٢٤٩ ـ ٢٥١) شبه جزيرة البلقان وعادوا لمهاجمتها ثانية، وأخذوا بيزنطة Byzantiun بغتة، وعبروا البسفور الى آسيا الصغرى حيث وقعت معظم مدن بيثينيا فى أيديهم سنة ٢٦٧ ، ولم تنج الأمبراطورية من شرهم الا بعد أن أوقع بهم الامبراطور كلوديوس هزيمة ساحقة فى ٢٦٩ / ٢٧٠ .

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

الذى يولد خـصـيـا. ولاجل هذا لم يحـتـرق هذا القديس ولا شى من لباسه ولباس زوجته، لانه اطفا لهيب الشهوه.

والان فلنخـتـصـر الكلام فى هذا ونعـود الى السيره ونمجد الله الى الابد، فنقول ان الكهنه لما صلو قالو للبطرك نطلب من قدسك ان تعرفنا هذا السـر العـجـيب قـال لهم البطرك: ليـسـمع الان جميعكم ما ا قوله، اعلمو انى ما فعلت هذا اطلب مـجد الناس، انا عـمـرى اليـوم تلت وسـتون سنه

ولم تكن المسألة بقاصرة على الخطر الجرمانى فى الشمال والغرب فقط، بل تعرضت لما هو أسوأ من ذلك على الجبهة الشرقية عند الفرات، وتجسد هذه الخطر فى الامبراطورية الفارسية تحت حكم الأسرة الساسانية القوية، وكانت أوضح صورة لهذا الخطر الداهم تلك التى شهدتها الامبراطورية فى مطلع النصف الثانى من القرن الثالث عندما استطاعت قوات سابور الفارسى أن تستولى على الأقاليم الشرقيـة للامبـراطورية الرومـانيـة، وأن توقع بالامبـراطور فاليـريان Valerianus هزيمة قاسية وتأسره سنة ٢٦٠. فتعرضت هيبة الامبراطورية فى الشرق لهزة عنيفة .

فاذا مـا أضفنا الى هذه النواحى ما نجم عنها تبدت حالة الامبـراطورية غاية فى السوء، فدولاب العمل الاقتصادى كان لابد له أن يقفل أبوابه ويتوقف نتيجة لاقفار الأراضى الزراعية من منتجاتها وفلاحيها بسبب الغزوات الخارجية من جانب الجرمان والفرس الذين عاثوا فسادا فى أراضى الامبراطورية فى الشمال والغرب والشرق، ولم يكن خطر الحروب الأهلية أقل شأنا من الخطر الخار جى، وأثر خراب الأراضى الزراعيـة وضعف الانتاج على الناحيتين الصناعية والتجارية، وتوقفت الأخيرة أيضا نتيجة اضطراب الأمن وعدم صلاحية طرق المواصلات لسبب أو لأخر. ومع ازدياد عدد المتنافسين على عرش الامبراطورية الطامعين فيه، ازداد عدد الجيش بما حاوله كل منهم أن يجمعه من الجنود، وترتب على ذلك زيادة أعطياتهم، ولم يكن من سبيل

وزوجـتى الان التى هى قـدامكم هى ابنة عـمى
ومات ابوها وامها وتركوها طفله فدخل بها والدى
على ولم يكن له ولد غيـرى ولم يكن لعمى ولد
غيرها، فتربيت معها فى بيت ابى وكنا فى مكان
واحد، فلما صار لها خمس عشره سنه اراد ابى
وامى يزوجونى اياها وكان غرضهم فى ذلك ان لا
يضيع مالهم للغريب بل نرثه، فعملو العرس كما
تفعل الناس لاولادهم ودخلت عليها، فلما اخلونا
قالت لى: كيف دفعونى لك وانا اختك. فقلت

لزيادة الدخل لسد هذه النفقات الجديدة ألا عن طريق زيادة الضرائب التى أثقلت كواهل الأهلين، ومزقت الأوبئة شمل الصحة العامة فى الامبراطورية. فغرقت نتيجة هذه كله حتى آذانها فى حالة من الاعياء الشامل والشلل التام، ولم ينقذها من هذا الهول الا اعتلاء دقلديانوس عرشها سنة ٢٨٤.

فى وسط هذا الجو المتوتر المخيف اجتاحت الامبراطورية موجة من النشوة الدينية القوية، هرع على أثرها الرجال والنساء الى الهياكل يحيطون بالآلهة ويضرعون اليها بالصلوات والدعوات، فى الوقت الذى وقف فيه المسيحيون على البعد وقفة المتفرج الذى لا يعنيه الأمر، وظلوا كسابق عهدهم يستنكرون الخدمة العسكرية ويقاومونها ويسخرون من الآلهة، ويشجعهم على التمادى فى ذلك زعماؤهم، ويفسرون انهيار الامبراطورية بأنه هو البشرى التى وردت فى النبوءات عن تدمير «بابل» وعودة المسيح.

وقد رأى الامبراطور دكيوس فى حالة الشعب النفسية فرصة يستعين بها على تقوية روح الحماس الوطنى والوحدة القومية، فأصدر مرسوما يطلب فيه الى جميع سكان الامبراطورية أن يتقدموا الى آلهة روما بعمل يتقربون به اليها ويردون به غضبها، ويلوح أنه لم يطلب الى المسيحيين التنكر لدينهم، بل أمروا أن يشتركوا فى التوسل الى الآلهة التى طالما أنقذت روما من الخطر المحدق بها كما كان يعتقد العامة وكان النجاح الظاهرى لهذه الاجراءات واضحا جليا، فقد استسلم الاف من المسيحيين ـ خاصة الطبقات الأرستقراطية ـ لقرارات الامبراطور،

لها: اسمعى منى ما اقوله، يجب ان نكون فى هذا المكان ولا نفترق ابدا، ولا يكون بيننا شى حتى يفرق الموت بيننا، و اذا بقينا هاهنا بطهارة فنحن نجتمع في اورشليم السماويه و يشبع بعضنا مع بعض فى النعيم الدايم. فلما سمعت منى هذا قبلته وبقى جسدها طاهرا ولم يرجع ابواى يعلمان ما بيننا. وكانو المدعيون فى العرس طلبو ما جرت به العاده(*) من حال الزيجه، كما تعلمون من افعال الناس البطاله، فقالت لهم امى: هولا صبيان والايام

* هى عادة فض غشاء بكارة العروسه بيد العريس على مرأى ومساعدة أمه وحماته، حيث كان العريس يلطخ منديل بدماء فض البكارة لعرضه على المدعوين لإثبات عذريتها.

هذا فى الوقت الذى اختفى فيه كثيرون منهم، وتحدى بعضهم الثالث الحكومة فكان جزاؤه الاضطهاد والتعذيب والاعدام.

كان دكيوس أول الأباطرة الذين جعلوا الاضطهاد عاما فى الامبراطورية ، وكان فيما سبق يمتاز بالطابع المحلى، وقد قتل فى هذا الاضطهاد فابيانوس Fabianus أسقف روما ، وأسكندر Alexander أسقف أورشليم، وبابيلاس Babylas أسقف انطاكية، كما عذب أوريجين السكندرى، وديونيسيوس Dionysius أسقف الاسكندرية، هذا بالاضافة الى أعداد كثيرة احرقت أو القيت لتفترسها الحيوانات فى الاحتفالات والأعياد.

وقد انتهى اضطهاد دكيوس بموته سنة ٢٥١ ، غير أن سياسته سرعان ماعادت من جديد على عهد فاليريان سنة ٢٥٧ . فنتيجة لأزمة أخرى بثت الرعب فى نفوس الامبراطور والرومان، تمثلت فى الأخطار التى كانت تهدد الامبراطور من كل ناحية، فالفرنجة والألمان وقبائل جرمانية أخرى تهدد الراين، والقوط يهددون شواطئ البحر الأسو د وبحر ايجه، وثورات البربر فى شمال افريقيا لاتهدأ، والغزو الفارسى للولايات الشرقية سائر قدما، نتيجة لكل ذلك أمر الامبراطور أن يمتثل كل شخص للشعائر الرومانية، وأن يقوم الجميع بتقديم القرابين للآرباب، وحرم كل الاجتماعات المسيحية، ثم قام باضطهاد المخالفين واعدام عدد كبير من الأساقفة والقساوسة، وتعرض أسقفا الاسكندرية فى عهده ديونيسيوس وخلفه ما كسيموس

قدامهم طويله. وبقينا على ما نحن عليه. فلما ماتا ابواى وابوها بقينا جميعا ايتاما . ولى منذ تزوجتها تمان واربعون سنه ونحن نام على سرير واحد وفراش واحد وغطا واحد علينا جميعنا، والرب الذى يعلم ويدين الاحيا والاموات هو العارف بخفايا القلوب، وهو يعلم اننى ماعلمت قط انها امرأه ولا علمت هى ايضا انى رجل، بل بعضنا ينظر وجه بعض فقط، ومرقد واحد يجمعنا ومضجع هذا العالم ما عرفناه قط بالجمله، واذا

لاشد أنواع الاضطهاد ونفيا الى ليبيا. وأنهى الامبراطور فاليريان اضطهاده بوقوعه أسيرا فى يد الفرس سنة ٢٦٠.

وكان موت هؤلاء الأباطرة المضطهدين وغيرهم بالطريقة التى تم بها من الاغتيال والأسر و ما شاكله - فى نظر مؤرخى الكنيسة ـ انتقاما عادلا من الرب الذى كان لأعداء رعيته بالمرصاد، ومن ثم عد مقتل دكيوس وأسر فاليريان ضربا من ضروب الانتقام الالهى.

ولقد نعمت المسيحية بفترة من السلام والهدوء دامت أربعين عاماً، دخل الناس خلالها فيها أفواجا، بعد أن أخذوا يفرون من أربابهم الذين لم يجدوا لديهم المأوى، والذين لم يستطيعوا حماية الدولة من أعدائها، ووجدوا السلوى فى المسيحية أكثر مما وجدوها فى غيرها، ونتيجة لتحول عدد من الاغنياء الى المسيحية، شيدت الكنائس الفخمة فى كثير من المدن وترتب على ذلك أيضا أن أخذت الاعتراضات على تولى الوظائف العامة من جانب أثرياء المسيحيين تتوارى، بل وأصبح المسيحيون حكاما للولايات ووجد منهم أيضا من يحتل مناصب عليا فى البلاط الامبراطورى. وكانت هذه الفترة من السلام فرصة كبيرة للكنيسة كى تستكمل فيها بناءها وتنظيمها الداخلى وأصبح التقليد العملى أن يجتمع اساقفة كل أقليم أو ولاية فى عاصمتها بصورة منتظمة، كما كان لا سقف العاصمة أوالمطران سلطات معينة على المناطق التابعة لمطرانيته، وأخذ التنظيم الكنسى يميل الى تشكيل نفسه على أسس مدينة ،

نمنا جميعا ننظر شخصا كالنسر يأتى طايرا يحط
على مرقدنا فيما بينى وبينها فيجعل جناحه الايمن
على وجناحه الايسر عليها الى الصباح يروح
ونحن ننظره حتى يغيب. ولا تظنو ايها الاخوه
والشعب المحب لله اننى اظهرت لكم هذه الاسرار
طلبا لمجد هذا العالم الفانى ولا اعلمتكم به بارادتى
بل هو امر الرب امرنى به الذى يريد الخير لجميع
الناس وهو المسيح المخلص. فلما قال لهم هذا
القول سجدو كلهم على وجوههم على الارض

فأصبحت المدينة التى يقيم فيها نائب الحاكم المركز الطبيعى للاجتماعات الكبرى، وحصل أسقفها على سلطات واسعة فى دائرة اختصاصه، فقد اعترف بقرطاجنة كعاصمة دينية لافريقيا، وأنطاكية للشرق عدا مصر حيث تبوأت الاسكندرية مركزا مرموقا.

ولقد كان الامبراطور جاللينوس صاحب الفضل الأول فى بدء اقرار هذه الفترة من الهدوء بالنسبة للمسيحية، ، ذلك أنه صدر مرسوما سنة ٢٦١ يعد أول مرسوم يقضى بالتسامح الدينى، اعترف فيه بأن المسيحية مسموح بها، وأمر بأن يرد الى المسيحيين ما كان قد صودر من أملاكهم وقد حفظ لنا المؤرخ الكنسى يوساب صورة رسالة موجهة من الامبراطور الى أسقف الاسكندرية وأسقف أنطاكية جاء فيها «لقد أصدرت أمرى باغداق هباتى على كل العالم، وأن يبتعدوا (الوثنيين) عن أماكن العبادة ولهذا يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمرى كى لا يزعجكم أحد.

وهكذا أقدم الامبراطور جاللينوس على خطوة جريئة لم يسبقه اليها امبراطور، وسبق هو بها ما صدر من مراسيم بعد ذلك سنة ٣١١ على عهد جاليريوس وسنة ٣١٣ من جانب قسطنطين وليكينيوس، وحظيت المسيحية لأول مرة على صك حكومى يرفع عن كاهل أتباعها ويلات الاضطهاد ويسمح لهؤلاء بممارسة طقوسهم الدينية، ويحرم على الوثنيين التعرض لدور العبادة المسيحية.

وقالوا: حقا يا ابانا انك افضل من كتير من اهل الصلاح وقد رحمنا الرب لما جعلك ريسا علينا. وشكروه وسالوه ان يصفح عن ظنونهم فيه، فبارك عليهم ودعا لهم فانصرفو الى منازلهم يسبحون الله. وبعد هذا امر الامرأة ان تمضى الى بيتها.

فهل سمعتم أيها السامعون بمثل هذه العجايب. واقام هذا الاب الجليل القديس مع هذه الامرأه الجميله الحسنه طول هذه المده وصبر، فاين هم المتزوجون الان الذين يزنون ايضا ويقولون انا

على أن سمعة دقلديانوس قاست كثيرا من جراء اتهامه بالمسئولية الأولى فى الاقدام على البدء بالاضطهاد الأخير والاعظم للمسيحيين.

ولا يمكن القول مطلقا ان إقدام الامبراطور على الاضطهاد كان استجابة لثورة جماهيرية غاضبة، كما شهدناه يحدث مثلا على عهدى دكيوس وفاليريان. فالأمور فى الامبراطورية كانت مستقرة بوجه عام فى هذه الآونة سنة ٣٠٣، ولم تكن هناك أخطار خارجية تهددها، وكان دقلديانوس قد أعاد تنظيم الادارة الامبراطورية، والجيش الرومانى، والأحوال الاقتصادية وكافة شئون الدولة. وعلى ذلك فلم يكن هناك غضب جماهيرى يتأجج فى صدور الأهلين يطالب بالانتقام من المسيحيين لسبب أو لأخر.

لقد كان دقلديانوس خير أنموذج للحاكم الأوتوقراطى الذى أراد أن يجمع السلطة المركزية كلها فى يده، ويشرف بنفسه وجهازه البيروقراطى على كل صغيرة وكبيرة فى الدولة، وقد سعى جاهدا ليحقق ذلك ونجح فيه الى حد كبير ، ومن ثم لم يكن دقلديانوس يتصور مطلقا أن تخرج الكنيسة عن دائرة نفوذه، وأن تغدو بذلك دولة داخل الدولة، وكان يعتقد ـ والقلق يملأ عليه كل نفسه ـ أن النظام المسيحى على هذه الصورة سوف يودى بجهوده الضخمة التى بذلها طيلة هذه السنوات فى سبيل وحدة الامبراطورية وتقويتها. ولما كان قد قضى من سنوات حكمه فى نيقوميديا الشئ الكثير، وتشرب مبادئ الشرق الهلنستى

نصارى، يأتون الان ويسمعون الاب دمتريوس البطرك الذى يقول اننى لم اعرف الا وجه زوجتى فقط فيخزو ويفضحو، يا لهذا الاب المجاهد القديس المقاتل للافكار الجسدانيه. يا لهذا العجب كيف لم يضطرب قلبه وهو ينظر هذه الامرأه الحسنه الجميله، وكيف لم تحرك جسمه نعومة جسمها، ما اعجب كلامك ايها القديس فى الخلوه، ولم يرمك صاحب النشاب الذى يرمى جميع الناس، اعنى الشيطان، قال انا انسان ولى

والامبراطورية الفارسية عن عظمة الحاكم وتقديسه، فقد سعى الى تقليد تلك النظم وغدا الامبراطور وكل ما يخصه ذا قدسية وجلال. وأضحى السلطة المطلقة فى الامبراطورية كلها، وبذلك كان يرى أن المسيحية هى أخر العقبات القائمة فى سبيل هذه السلطة.

ولنضف الى هذا سببا على جانب كبير من الأهمية ، ذلك أن عددا ليس بالقليل من أفراد الجيش كان قد اعتنق المسيحية، فامتنعوا بذلك عن ممارسة الطقوس الوثنية الخاصة بتقريب الاضحيات واحراق البخور أمام تمثال الامبراطور رأس الدولة ـ كما قدمنا ـ وأدرك دقلديانوس بذلك أن هذه العقيدة سوف تعصف بولاء الجند لشخصه وهو أخشى ما كان يخشاه الامبراطور، فما «الحكومة الرباعية» التى انشأها لادارة شئون الامبراطورية الا نظام قصد به القضاء على تلاعب الجيش بالأباطرة فكيف يصبح الحال الآن والجند لا يكنون لقوادهم الوثنيين ولا لامبراطورهم الوثنى كذلك أى عاطفة من الولاء؟

ولعل مما يدعم هذا القول ما يذكره المؤرخ الكنسى يوساب من أن الآضطهاد بدأ «بالاخوة الذين فى الجيش».

على أيه حال تضمن اضطهاد دقلديانوس مراسيم أربعة صدرت ثلاثة منها عام ٣٠٣، ينص الأول على تدمير الكنائس المسيحية، واحراق الكتب المقدسة، ويقضى الثانى والثالث بالقبض على كافة رجال الاكليروس بمختلف طبقاتهم وعدم الافراج عنهم الا بعد أن يقدموا

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/ ٢٣١م

جسد مثل جميع الناس. ولكنى اعلمكم الجواب، كنت اذا اضطرب على قلبى بالفكر الردى ذكرت العهد الذى قررته مع المسيح وانى اذا فسخته خفت ان ينكرنى فى السموات قدام الاب وملايكته القديسين، وايضا اذا رأيت حسن جسمها ونعومته تذكرت الاجساد التى تصير فى القبور ونتن ريحتها الكريهه فامنع نفسى من كلام غريب خوفا من النار التى لا تطفأ والدود الذى لا ينام فى الاخره حيث لا يقدر يكون فيها من يفتح فاه.

القرابين لآلهة الدولة، أما المرسوم الرابع فقد صدر سنة ٣٠٤ ويلزم كل فرد فى الدولة أن يقرب للآلهة أضحياته.

على أية حال فان الاتجاه العدائى السافر من جانب الامبراطورية الرومانية تجاه الكنيسة المسيحية فى هذه الفترة بالذات جاء متأخرا جدا، فلقد كان من المستحيل فى هذه الآونة أن تجتث جذور نظام أصبح يدين له بالولاء قرابة خمس سكان العالم الرومانى.

الحروب الأهلية وسياسة المتصارعين ازاء المسيحية

بدا لفترة ما أن نظام «الحكومة الرباعية» الذى أقامه دقلديانوس قد أضحى وطيد الأركان. ولكن هذه النظام لم يكن راجعا فى ثباته الى طبيعته فى حد ذاته بقدر ما كان راجعا الى سطوة الامبراطور التى وضعت حدا لطموح شركائه، ولم يستطع ذهن دقلديانوس أن يتصور أنه إذا كان هؤلاء الشركاء قد ارتضوه امبراطورا لهم وسيدا، حيث كان ولى نعمتهم، فلقد كان من الصعب على أحدهم أن يعترف لزميله بهذه الأولوية بعد اعتزال دقلديانوس ـ طالما كانوا جميعا شركاء فى حكومة واحدة حتى ولو كان بعضهم يحمل لقب الأوغسطس والاخر لقب القيصر. فما أن القى هذا النظام فى ميدان التجربة بعد أن تخلى دقلديانوس وزميله ماكسيميان Maximianus عن السلطة سنة ٣٠٥ حتى عصف طموح أولئك الرفاق وصراعهم، بما قضى دقلديانوس يقيم منه القواعد سنين عددا.

يا احباى هذا الاب مصطفى من الله فى جهاده وشجاعته اشجع ممن يقتل السباع كما قال بعض المعلمين: ليس الشجيع من يقتل الاسد لكن الذى يموت وهو طاهر من مضاجعه الامرأه ومن مصايد النسا، فطوبى لهذا القديس لانه قد تعالت درجته مثل يوسف لما كان فى بيت المصريه، وكانت تخاطبه فى كل وقت تجد السبيل الى خطابه، وهذا كان يقاتل افكاره فى كل يوم وليله.

وهكذا تم جهاده وحفظ بتوليته وامانته المستقيمه واقام تلت واربعين سنه بطركا.



قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٢٧)

ما أن تخلى الرفيقان عن السلطة الامبراطورية فى مايو ٣٠٥ حتى ارتقى كل من جاليريوس Galerius وقسطنطيوس Constantius الى مرتبة الأوغسطس بدلا منهما، أولهما فى الشرق، وثانيهما فى الغرب.

ولفترة قصيرة جدا اتخذت «الحكومة الرباعية الثانية» شكلها فأخذ جاليريوس أو غسطس الشرق Pontica, Asiana, Thrae, Moesia بينما أضاف قسطنطيوس ـ أو غسطس الغرب ـ اسبانيا الى أقاليمه الأصلية فى غالة وبريطانيا، أما سفروس فقد خصصت له ايطاليا وأفريقيا وبانونيا Pannonia، على حين حكم ماكسيمين المناطق الشرقية (مصر وسوريا). وبذلك كان جاليريوس يسيطر بالفعل على ثلاثة أرباع الامبراطورية بسيادته على تابعيه سفروس وماكسيمين بالاضافة الى دائرة نفوذه. وكانت الأحلام تداعب خياله فى الانفراد بحكم الامبراطورية كلها بلا منازع. ومن ثم كان ينتظر بقلق بالغ موت قسطنطيوس، غير أن أحلام جاليريوس سرعان ما تحطمت على صخرة واقعتين هامتين عصفتا بطموحه فى توحيد الامبراطورية تحت سلطانه وحده، هما اختيار قسطنطين خلفا لأبيه فى الغرب، والمناداة بما كسنتيوس امبراطورا فى روما سنة ٣٠٦.

وعلى الرغم من أن جاليريوس كان يتميز غيظا لما اعتبره اغتصابا للسلطة من جانب قسطنطين، الا أنه أثر قبول سياسة الأمر الواقع. فاعترف بقسطنطين قيصرا وليس امبراطور،

وكان قد جرى هيج باسكندريه ونفاه الملك سوريانوس الى موضع يعرف بمدينة موسين وتنيح هناك فى اليوم التانى عشر من برمهات واظنه يوم ظهور بتوليته.

واستشهد فى ايام سوريانوس الملك شهدا كتيره بمحبه، منهم والد رجل يعرف ببرجانوس(*) [أورجانوس] قد تعلم العلوم البرانيه(*) ورفض كتب الله وبدأ يطعن عليها فلما علم به الاب دمتريوس ورأى الجمع قد ضل بعضهم الى كذبه ابعده عن البيعه.

(*) العلوم البرانية: هى العلوم الفلسفية وغيرها من العلوم الغير دينية.

(*) اورجانوس:
ولد هذا العلامة العظيم بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٥م من والدين مسيحين تقيين وكان أبوه يدعى ليونيدس وله سبعة أولاد أكبرهم

بينما انعم على سفروس بلقب الامبراطور، فهبط قسطنطين بذلك من المرتبة الثانية الى الرابعة وهكذا ـ ولزمن يسير ـ عادت الحكومة الرباعية من جديد، فحمل كل من جاليريوس وسفروس لقب أو غسطس، بينما استحوذ كل من ماكسيمين وقسطنطين على مرتبة القيصر. ولقد قبل قسطنطين هذا اللقب «المتواضع» انتظارا لما تأتى به الأيام.

غير أن ثورة شبت فى نفس العام فى روما، قام بها الحرس البريتورى، وقتل محافظ المدينة وأعلن ماكسنتيوس بن ماكسيميان امبراطور فى ٢٨ أكتوبر، وبدا أن ايطاليا كلها قد اضحت فى قبضة ذلك المغتصب، وقد سعى ما كسنتيوس لضمان اعتراف جاليريوس به، وسمى نفسه على عملته عندئذ «الأمير الذى لا يقهر». وقد اضطرب جاليريوس لدى سماعه بهذه الأنباء ولكنه لم يفزع، وملأ الكره قلبه نحو ما كسنتيوس، الذى كان زوجا لابنته، لما لم يكن هناك مكان لقيصرثالث، فقد رفض جاليريوس أن يمنحه هذا اللقب. وترجع هذه الثورة التى أتت بما كسنتيوس للعرش الى ما أقدم عليه سفروس من اجراء تعداد للسكان فى ايطاليا وروما مما سبب سخطا وتذمرا بين الأهلين الذين كانوا يعيشون لقرون خلت متحررين من عبء الضرائب. وان كان لاكتانتيوس يحمل مسئولية ما أقدم عليه سفروس، وازاء ذلك أرسل جاليريوس الى سفروس يستحثه على استعادة سلطته وأقاليمه الضائعة من قبضة ما كسنتيوس، ووضع تحت امرته ذلك الجيش الذى كان ماكسيميان يرأسه من قبل وكان على

اوريجانوس قيل ان ابا اوريجانوس كان من معلمى الفصاحة والمنطق فرباه باعظم اهتمام ولم يكتف بأن يروضه فى العلوم والقوى العقلية والرياضية بل فقهه أيضاً فى الكتب المقدسة وكان يختبر ذكاءه فيأمره بأن يحفظ كل يوم بعض آيات منها حتى حفظ أغلب نصوص الكتاب المقدس.

ولما استكمل قواه وضعه فى المدرسة اللاهوتية فتتلمذ للعلامة اكليمندس وقرأ عليه الكتاب المقدس وتوسع فى درس مؤلفات افلاطون والرواقين. وحالا تحقق حسن ظن أبيه

فأما الشهدا الذين هم فلوترخس وسرنس فاحرقوهم احيا، واما اركلادا وارون فاخذوا روسهما، وكذلك سيرنس وأرائى الامرأه و بسيليتس وابتومينا [بوتامينا] وامها مركلا فلحقهم تعب عظيم وجهاد شديد، وانتلاس هو اب الملوك و اوسابيوس ومقاريوس هو خال قلاديانوس، ويستس وتادرس المشرقى هولا الشهدا كلهم اقربا بعضهم لبعض، وايضا عدرا اخرى اسمها تكلا،

ما كسنتيوس أن يستعد لمواجهة هذا التحدى، فبعث الى أبيه ما كسيميان يطلب اليه العون، محييا اياه ثانية بلقب «الأوغسطس» واهتبل الأب، الذى كان قد تخلى كارها عن السلطة مع دقلديانوس، الفرصة وعاد من جديد الى ارتداء العباءة الامبراطورية. وهكذا اصبح فى الامبراطورية أباطرة أربعة هم جاليريوس وسفروس وماكسنتيوس وماكسيميان، وقيصران هما ما كسيمين وقسطنطين.

ولم يكد يمضى على هذه الأحداث عام حتى مات جاليريوس (مايو٣١١)بعد أن دهمه المرض فترة طويلة، فأعطى موته اشارة البدء فى ذلك الصراع المتوقع بين الأباطرة الأربعة، فقسطنطين كان يسود غالة وبريطانيا، بينما كان ماكسنتيوس يحكم ايطاليا واسبانيا وأفريقيا، أماليكين فخضعت له الليريا وبلاد الونان وتراقيا، على حين اختص ما كسيمين بكل ما يقع وراء البسفور من الأراضى الاسيوية ومصر وقبل أن نشهد هذه الصراع العنيف يجدر بنا أن نتوقف بعض الشئ لنتعرف على سياسة جاليريوس ازاء المسيحية.

كان جاليروس يكن للمسيحية والمسيحيين كبير عداء، ومنذ كان قيصرا على عهد الامبراطور دقلديانوس، فلما اعتلى عرش الامبراطورية تمادى فى عدائه هذا وصب عليهم جام غضبه فى الولايات الخاضعة لحكمه فى تراقيا وآسيا والمناطق الخاضعة لقيصره ما كسيمين فى سوريا وفلسطين ومصر، ففى سنة ٣٠٦ أعدت قوائم والزم الامبراطور الأفراد جميعا بتقديم

وكان بسليتس [باسيلوس] من الجند فتقدم باختياره ولما سألوه قال انا نصرانى لانى رأيت منذ ثلثة ايام فى منامى امرأه ظهرت لى وجعلت على رأسى اكليلا من عند يسوع المسيح، وكذلك نال اكليل الشهاده.

وهكذا جماعة كثيره استشهدو وكانت ابتومانيا [بوتامينا] الامرأه تظهر لهم فى المنام وتدعوهم الى الامانه بالسيد المسيح حتى نالو اكليل الشهاده.

به فبرز أوريجانوس على جميع أترابه ونشأ وقلبه مفعم بحب الدين والغيرة عليه وبه وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حتى أنه عرض نفسه مرات ليكون فى عداد الشهداء.

وفى سنة ٢٠٢م لما أثار ساويرس قيصر الاضطهاد قبض على ليونيدس واودع السجن. فأرسل لابيه خطاب تعزية يشجعه فيه على احتمال الخطوب ويطلب منه أن لا يشتغل بهم بقوله «حذار أن يغير العذاب رأيك فى دعوانا لا تهتم باولادك فان ←

القرابين، وفى سنة ٣٠٨ صدرت الأوامر لرؤساء المدن والموثقين الذين يحتفظون لديهم بسجلات التعداد بتنفيذ المرسوم السابق الذكر وامعانا فى تنفيذ هذا الأمر وضع الحراس على أبواب الحمامات العامة لقهر الداخلين على تقريب الأضحيات للامبراطور ولم يقتصر الأمر على هذه الاضطهادات بأنواعها المختلفة بل تعداه الى كل شئون الحياة، «فتوقفت دواليب العمل وأهملت سيادة القانون وذهبت أدراج الرياح صيحات الخطباء. وما زاد الطين بلة. تلك الضرائب الفادحة التى فرضت على كل ولاية ومدينة، وانتشر الصيارفة فى مختلف الأحياء يحصون كل شئ، الناس والشجر والدواب.

غير أن جاليريوس فجأ الجميع فى ٣٠ أبريل سنة ٣١١ بمرسوم أصدره جاء فيه:

«كان من بين الأمور التى رتبناها حفاظا على الصالح العام ما سبق أن أبدينا من الرغبة فى ر د الأوضاع الى الحالة اللائقة بالقوانين القديمة ونظام الرومان العام، وضمان عودة المسيحيين الذين هجروا ديانة أجدادهم الى حالة طيبة، لأنه تملكهم الكبر الى حد، وغلبت عليهم الغباوة حتى رفضوا اتباع الشرائع القديمة التى سبق أن أسسها أجدادهم، وأقاموا لهم قوانين حسبما تهوى أنفسهم، واجتمعوا جماعات متفرقة فى أماكن مختلفة. ولما اصدرنا أوامرنا بوجوب رجوعهم الى نظم الاقدمين خضع الكثيرون لأوامرنا. ولكن عددا ليس باليسير رفض الانصياع وتحمل صنوف الموت، ورغم أن كثيرين قد استمروا فى حماقتهم لا يقدمون لآلهة

الله سبحانه وتعالى يعتنى بنا» وقيل أن اوريجانوس كان معتادا أن يرسل أمثال هذه الخطابات لتشجيع المؤمنين الذين كانوا واقعين تحت طائلة عذاب الاضطهاد(قد جمع اوسابيوس المؤرخ مجموعة تحتوى على أكثر من مائة مكتوب رقمتها يد اوريجانوس فى مثل تلك الظروف الحرجه ولم يبق منها شئ الآن بل ذهبت طعاما للنار التى أحرقت المكتبة فى الاسكندرية واوسابيوس هو أول من اعتنى بكتابة تاريخ أوريجانوس آخذا بعضه عن رسائله وبعضه عن تلامذته الذين بقوا احياء الى أيام أوسابيوس فى القرن الثالث).

أما ليونيدس فقطعت رأسه ٢٠٣م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ ضمت أملاكه الى الحكومة فباتت أرملته وأولاده فى فقر مدقع وأصبح اوريجانوس مكلفا بالقيام باودهم وكان عمره وقتئذ سبع عشرة سنة. ولم يكد يشعر بضيق الحال حتى سخرت له العناية الالهية امرأة غنية فاضلة كانت ملجأ لكثيرين من المنكوبين فى ابان الاضطهاد فرقت لحال اوريجانوس وآوته فى بيتها ولبث عندها طول مدة الاضطهاد وهى تنفق على تعليمه فى مدرسة اكليمندس.

وخرج أوريجانوس من ذلك المأوى وأخذ يزاول مهنة التعليم ليقوم بنفقة نفسه وفى أثناء ذلك كان يذهب يفتقد من كان باقيا من المسيحيين فى السجون وطفق يعزيهم بكلمات روحية ويشجعهم على شرب كأس الموت بصبر. وكان يرافق الكثيرين منهم الى الحاكم وحتى الى منقع العذاب ويشدد عزائمهم على الثبات فى الايمان تارة بالاشارات وتارة بالخطب البليغة مراراً شتى عرض حياته للخطر وهو يباشر أفعال الغيرة هذه. فاشتهر بعمله هذا واستحق اعجاب الجميع لا سيما البابا ديمتريوس الذى قربه اليه وأظهر له سروره من سعيه المبارك وزاد ابتهاجه به عندما رآه فضلا عن تعبه فى تخفيف ويلات المتضايقين منكبا على الدرس ومواصلا المطالعة فشجعه على الاستمرار فى جهاده.

وكانت المدرسة اللاهوتية حينئذ مغلقه بسبب هروب أساتذتها من وجه الاضطهاد فجد البطريرك حتى جمع بعض الطلبة فى تلك الاوقات المخيفة وكلف اوريجانوس بتعليمهم فشرع يعلم مبادئ الآداب اليونانية ثم تعاطى تفسير الدين المسيحى للموعظين. وكانت للتلاميذ مرتبات من الاموال المخصصة للفقراء.

ولم يكد اوريجانوس ينجح فى عمله حتى قبض اكويلا والى مصر بأمر كاركلا قيصر على خمسة من تلاميذه وبعد أن عذبوا عذابا شديدا حكم عليهم بالموت المريع لانهم أبوا أن ينكروا ايمانهم. وكان بين الخمسة اثنان باسم ساويرس أحدهما حرق والاخر قطعت رأسه بعد أن عذب طويلا. وهيراكليدس وهرون قطعت رأساهما أيضا. أما الخامس وهو ياروكلا فكان صديقا حميما لا وريجانوس فلم يتركه عند القبض عليه بل رافقه الى موضع الاعدام. ولما شاهد الجنود يقتربون من ياروكلاس تقدم اليه بشجاعة وقبله قبلة الوداع على مشهد من الجميع فاغتاظ منه الرعاع وهموا برجمه ولكنه أسرع بالهروب ويظهر أن مطاردتهم له مكنت ياروكلا من الفرار بطريقة ما وعاش حتى صار رئيسا للمدرسة اللاهوتية فبطريركا للكرازة المرقسية (٢٣١/ ٢٤٧) انظر ص٢٣٥. الا أن التعليم فى تلك المدرسة أبطل من ذلك الحين وطرد أوريجانوس من المدينة.

وفى سنة ٢٠٢م عينه البابا ديمتريوس رئيسا للمدرسة اللاهوتية .

ويظهر أن انعكافه الزائد وسعيه المتواصل لنوال أسمى درجة فى العلم والفضيلة قد

جعله زاهدا فى الحياة لدرجة متناهية فرفض جميع ما كان يقدم له جزاء لا تعابه وتقسى على جسده فكان يقتات فقط بما يدرأ عنه الم الجوع ولا يشرب شيئا من المشروبات وكان ينام على الارض دون فراش ويلبس ثوبا واحداً ويمشى دون حذاء. يصرف كل النهار فى التعليم والاشغال المتعبة ويقضى أكثر الليل فى الدرس والمطالعة. وفى تلك المدة تخلى عن مكتبته التى جمعها من مؤلفات الفلاسفة والتى كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية لرجل وثنى مقابل راتب يومى قدره أربع بارات.

وكان اوريجانوس حريصا على عفته وطهارة ذيله ويخشى أن يرشقه حساده وخصماؤه بنبال اغتيابهم. وكان يشعر بأن مضطرا الى التردد على بيوت المؤمنين لتعليم العائلات أصول الدين ورأى كثيرات من التلميذات يتبعنه. وفيما كان سنة ١٠٦م يطالع فى الاصحاح التاسع عشر فى انجيل متى انتبه للآية الثانية عشر وأخذها على ظاهر معناها فخصى نفسه لكى يمنع عنه التجربة ولم يكاشف بأمره الا البابا ديمتريوس. قيل ان هذا ما كان يرومه اوريجانوس كى لا يكون أهلا لنوال درجة الكهنوت.

ولم يكتف أوريجانوس بما حصله من العلوم الكثيرة فى المدرسة اللاهوتية فعكف على درس العلوم الطبيعية والادبية فى المدرسة الفلسفية التى كان يديرها أمونيوس السقاص وما سطره الاقدمون من الاقوال المفيدة ولما عاب عليه البعض ذلك كتب يقول «لما كنت قد كرست نفسى لخدمة كلمة الخلاص وكان قد ذاع صيتى فى الآفاق نظرا لبراعتى واقتدارى وكثيراً ما كنت معضدا لهراطقة وأهل البدع الذين يجيئون لزيارتى والبحث معى وكنت مرمرقا بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية خصوصا المتعمقة فى الفلسفة - قصدت أن أفحص أفكار الهراطقة وأمتحن تآليف الفلاسفة الذين أحيانا ينطقون بحقائق مهمة وقد اتبعت فى هذا خطوات بنتينوس الذى أفاد الكثيرين قبل أن أوجد أنا ولم تكن معارفه قاصره على هذا الحد كما اننى قفوت آثار هاراكلامى الذى كان عضوا فى مجمع الاسكندرية وقد علمت انه واظب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل أن ابتدئ أنا فى استيعاب هذه العلوم».

فأنكب أوريجانوس على درس الفلسفة على مذهب فيثاغورس وأفلاطون ولهذا كان أيضا صديقا لامونيوس السقاص.

وفى سنة ٢١١م زار مدينة رومية فقوبل فيها بكل اجلال كما يليق بعالم فاضل مثله وتقابل بزفرينوس أسقف تلك المدينة بعد فكتور. فثبت هناك فى ما عزم عليه من عمل شئ يكون له نفع عظيم لعلماء التوراه واذ صرف فى الامر غايته لم يرَ بداً من أن يشرك معه فى تدبير المدرسة اللاهوتية يا روكلا أحد تلاميذه المتقدمين. ثم انصب على درس اللغة العبرانية فلم يلبث أن برع فيها وكان غرضه أن يستقصى معانى آيات الكتاب المقدس الحقيقة ليضع لها تفسيرا وافيا وليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من أعظم الاعمال التى قام بها اوريجانوس فى حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بسنين قليلة.

وكان صيته حينئذ قد قرع كل الاسماع ودوى فى جميع الاماكن فتوافد عليه الكثيرون طلبا للاستفادة من معلوماته. وكان من أجل خدماته قيامه بثلاث رحلات الى بلاد العرب أولها كان بين سنة ٢١٢ و٢١٣، وسبب ذهابه هو أن حاكم بلاد العرب أرسل بعد هدوء الاضطهاد

الى والى مصر وبطريرك الاسكندرية يطلب منهما ارسال الرجل المسيحى المسمى اوريجانوس بدون تأخير وذلك لكى يشرح له تعاليم الديانه المسيحية ويرشده الى طريق الخلاص فترك أوريجانوس فى مكانه ياروكلا وذهب لاتمام هذه المهمة ولم يستمر فيها طويلا لان البطريك عين شخصا اسمه بيرلوس أسقفا على البصرة لهداية بلاد العرب. والمرة الثانية كانت ليحضر مجمعا انعقد بسبب سقوط بيولوس أسقف بصرة المتقدم ذكره فى الهرطقة فتمكن اوريجانوس من ارجاعة الى حضن الكنيسة. والثالثة كانت لدحض بدعة انتشرت هناك ومؤداها ان اللاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية فى وقت واحد.

وفى سنة ٢١٢م تعرف أوريجانوس برجل من أرباب الثروة والنفوذ يدعى امبروسيوس وكان تابعا لضلالة فالنتينوس فهداه أوريجانوس الى الايمان وصار له صديقا حميما وتمكن بواسطته من توسيع دائرة تعليمه وجعل درس جميع الفلسفة المعروفة تمهيداً لدرس اللاهوت المسيحى. ولم يكتف امبروسيوس بمساعدته على التعليم بل حثه على وضع أكثر الكتب التى ألفها ونسخها على مصاريفه الخصوصية. فاشترى واستأجر سبعة نساخ وكان يملى عليهم أوريجانوس متعاقبين (لايلقنهم معا كما توهم البعض) فنشر فى الاسكندرية تفسيره لسفر التكوين والمزامير ومراثى ارميا والاقسام الخمسة الأولى من كتابه فى انجيل يوحنا ورسالة فى القيامة ورسالة عنوانها (ستروماتا أى مجموع فوائد) وتأليفه المعنون «بالمبادئ» وقد روى بعض الكتاب أنه كتب بعد ذلك الى فابيبانوس أسقف رومية أن امبروسيوس نشر المؤلف الاخير خلافا لارادته لان فى ذلك الكتاب المذكور خلط المبادئ المسيحية بالفسلفة الافلاطونية فجعل لمضاديه سبيلا الى رجمه بتهمات قوية. ولكن أفضل المحققين يصرحون بأن كتاب المبادئ كان خاليا من كل عيب بشهادة البابا اثناسيوس الرسولى الذى رفع شأن هذا الكتاب ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالاً ولقد أشار القديس اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرق بين آراء أوريجانوس وبين الآراء المناقضة التى أوردها ذلك العلامة للرد عليها (قرارات مجمع نيقية رقم ٢٧) وقال العلامة ديديموس الضرير «ان كتاب المبادئ هو ارثوذكسى المبنى والمعنى. أما الذين يرون فيه هرطقة فقاصرون عن ادراك مكنون اسراره» (سقراط ك ٣ف ٢٣).

وفى سنة ٢١٥م اشتد الاضطهاد فى الاسكندرية فى عهد كاركلا قيصر فهرب أوريجانوس الى قيصرية فى فلسطين حيث لقى كل اعتبار واكرام . ومع أن وظيفة الوعظ كانت حينئذ خاصة برجال الكهنوت ولم يكن اوريجانوس قد نال رتبة كهنوتية مع توافر علمه وتقواه بسبب زهده فى الرتب والوظائف الا أن اسكندر أسقف أورشليم رفيقه فى التلمذة وثيوسيتوس أسقف قيصرية طلبا منه أن يشرح الاسفار المقدسة جهاراً لفائدة الجمهور بحضورهما ولما سمعاه أطلقا عليه لقب «سيد مفسرى الكتاب المقدس» وكان ميليانوس أسقف قيصرية الكبادوك ينتظر حضور أوريجانوس بفروغ صبر ولما استبطأه أسرع الى فلسطين ليتلقى العلوم ممن كان يفتخر بأن يدعوه استاذه .

فلما وصلت أخبار أوريجانوس الى مسامع البابا ديمتريوس اعترض على أولئك الاساقفة لسماحهم لاوريجانوس بمزاولة مهنة خاصة بالكهنة فجاو به

الاساقفة بما يدل على احترامهم له ودافعا عن أنفسهما بأنهما سارا على منوال السالف الصالح الا أن البابا ديمتريوس لم يقتنع فأرسل رسائل لأوريجانوس مع بعض الشمامسة يأمره بعدم القيام بأية خدمة ويخبره بهدوء الاضطهاد ليحضر ويمارس أعماله فرجع أوريجانوس بسرعة الى الاسكندرية واستلم زمام أعماله.

ولم يمض الا القليل بعد ذلك حتى أتيح لا وريجانوس زيارة العربية حيث اجتمع بهيبوليتوس أحد فلاسفة المسيحية وقنند وقد وضع هذا كتاب عنوانه (Philosophumena) نسب الجزء الاول منه الى أوريجانوس. وسنة ٢١٩م استدعته ماميا أم الملك اسكندر محب المسيحيين الى انطاكية لتسمع وعظه واستمر مدة كان فيها موضوع الاجلال والاكرام. وكان لمعارفه وادابه تاثير عظيم وبسببه خف الاضطهاد الذى كان واقعا على المسحيين أو انئذ.

وفى سنة ٢٢٨م أرسله البابا ديمتريوس الى اخانيه ببلاد اليونان ليقاوم الهراطقة الذين أقلقوا راحة الكنيسة هناك فزار فى طريقه فلسطين وكان فى كل مدينة أو قرية نزلها يدعى الى الوعظ فى الكنائس ولما مر بفلسطين عند رجوعه خاطبه اسقفها ثوسيتوس بالاشتراك مع اسكندر أسقف أورشليم بأنه لا يجوز باستاذ الكهنة والاساقفة أو يكون مجردا من كل الكهنوت. ويظهر ان أوريجانوس كان بسيط القلب بكلامهما وارتضى أن يقبل منهما درجة القسوسية وهو فى السنة الثالثة والاربعين من العمر.

غير ان ديمتريوس البابا الاسكندرى اعتبر هذه السياسة تعديا على حقوقه. ومن ذلك الحين بدأ سوء التفاهم يجد مكانا بين أوريجانوس والبطريرك وا لحقيقة فى هذا الأمر كما يرويها المدققون ان البطريرك الاسكندرى امتنع عن ترقية أوريجانوس لدرجة كهنوتية لسببين أولهما لأنه خصى نفسه. ثانيهما نحول جسمه وضعفه. وفى سنة ٢٣١م عقد البطرك (يمتريوس مجمع حرم فيه أورجانوس ونفاه وعين مكانه ياروكلا اخر تلاميذ اورجانوس.

ولما رجع أوريجانوس الى الاسكندرية بعد رسامته رأى البطريرك ديمتريوس حاقدا عليه ووجد مركزه قد سقط فحصل بينه وبين البطريرك نزاع عقد بسببه هذا مجمعا بالاسكندرية سنة ٢٣١م حكم فيه بنفى أوريجانوس وبحرمه لانه رسم من أسقفين غير تابعين للكرازة المرقسية ولانه خصى نفسه الامر الذى بالغ أوريجانوس فى كتمانه وساعده البطريرك على ذلك ولكنه اضطر الى اشهاره رغما عنه ثم أرسل خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بحكمه على اوريجانوس.

أما أوريجانوس فمع كونه عرف ان هذا الحكم فى غاية القساوة الا انه تدارك الامر بحكمته ولم يشأ أن يمكث فى الاسكندرية ليوسع هذا الخلاف بل تركها تركا لارجوع بعده. وكان قد أكمل القسم الخامس من كتابه فى انجيل القديس يوحنا ففزع الى قيصرية. وفى تلك الاثناء عقد ديمتريوس البطرك مجمع آخر فى الاسكندرية طارد فيه اوريجانوس وفحص كتاب «المبادئ» وحكم بأنه هرطوقى وحرم مؤلفه.

ولما وصل أوريجانوس الى فلسطين استقبل فيها استقبال القائد المنتصر فاستاء البابا ديمتريوس من كثرة تعدى أساقفة تلك الجهة على حقوقه. ولحق باوريجانوس امبروسيوس وعائلته وتبعه كثيرون من طلاب العلم ولهذا عزم على فتح مدرسة فى قيصرية فلسطين يعلم فيها تفسير الكتاب المقدس وكمل فى تلك

المدينة المذكورة تفسيره لا نجيل يوحنا.

وقد كتب حينئذ عما كان يجول بصدره قائلا «وحدث بعد هذه الامور أن الله أخرجنى من أرض مصر بيت العبودية كما خلص شعبه منها قديما. ثم قام عدوى (يعنى البطريرك) وأقام فى وجهى حربا عوانا بواسطة مكاتيبه التافهة التى تغاير مبادئ الانجيل تماما وحرك ضدى ريحا صرصرا فرأيت من الصواب أن أقاوم جهد استطاعتى مدافعا عن المبدأ المهم الذى اختطيته لنفسى وسرت عليه وهو الافادة والاستفادة وكنت أخشى من أن هذه المماحكات العقيمة يستفحل شرها فتثير ثائرة النفس الأمارة فتضعف الذاكرة حينئذ وأعجز عن اتمام شرح الكتاب المقدس الذى بدأت به قبل أن ينطمس ذهنى خصوصا وأن ابتعادى عن النساخ الذين كانوا يكتبون الخط المختذل منعنى من تملية ما يخطر على بالى من الافكار. أما الآن وقد بعدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان تخيب تلك السهام النارية التى صوبت نحوى وتذهب فى الهواء الفت نفسى حينئذ وقوع الملمات التى كانت تصيبنى بسبب لتبشير بكلمة الانجيل واضطرت هذه النفس أن تتحمل بطيب خاطر جميع المصائب التى انتابتنى فهدأ روعى وسكن جاشى لجودة الهواء وحسن الطقس فعقدت النية على عدم تأجيل نسخ وتملية المؤلفات المطلوب منى اتمامها».

وفى ذلك الحين كان أساقفة الكنائس الشرقية يطعنون فى سيامة أوريجانوس ويظهرون هرطقته. أما اساقفة فلسطين وفينيقية فكانوا يعضدونه ويدفعون عنه الملامة. أما مدرسة قيصرية فاستمرت تزهو وتزهر ونبغ من تلاميذ أوريجانوس جماعة مشهورون فنشروا صيته وأذاعوا مبادئه فى التفسير وكان منهم كثيرون هداهم الى الايمان وصاروا فيما بعد قديسين منهم اغر يغوريوس ثافماثورغوس (صانع العجائب) الذى سقف فيما بعد على قيصرية الجديدة من أعمال تيطس وأخوه اثينودوروس الذى صار أسقفا أيضا على تلك البلاد. أما أوريجانوس فلم يعدل عن مشروعاته الادبية بل زاد همة ونشاطا وحمية والف رسالة فى فائدة الصلاة وأخرى فى تفسير الصلاة الربانية وكان يراسل كثيراً أشهر اساقفة آسيا ودعى الى كثير من المجامع الكنيسة.

ومع انه مدح كثيرا لتجلده الذى أظهره ازاء ما أصابه الا انه لم يسلم من الغلطات التى يرتكبها كثيرون ممن يكونون فى حال كحاله. فقيل انه وجه لخصمه البطريرك كثيرا من الانتقادات وتحرك أحيانا للانتقام منه لولا تبكيت ضميره وصفاته المسيحية. وحدث انه كان يعظ يوما بأورشليم على الآية القائلة «وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك» (مز ٥٠ : ١٦) ولم ينته من قراءة هذه الآية حتى وبخته حواسه وخشى أن يفهم السامعون انه يقصد توجيه الكلام لديمتريوس وانهالت الدموع على خديه بغزارة وارتفع صوته بالبكاء حتى لم يقو على التفوه بكلمة واحدة فشاركه السامعون فى التأثر والبكاء. وعقب ذلك تنيح البابا ديمتريوس وخلفه ياروكلا تلميذ أوريجانوس ويظهر انه كان موافقا لسلفه على اجراءاته ضد أوريجانوس فلم يفكر فى اثناء رئاسته أن يدعوه ليعود الى الاسكندرية (انظر دور اوريجانوس فى انقاذ ياروكلا من الموت ص٢٠٢).

وفى ابان الاضطهاد الذى قام به مكسيمينوس قيصر سنة ٢٣٦م سجن امبروسيوس صديق أوريجانوس وبروتكتيتوس احد

قسوس قيصرية وعوملا بمزيد القساوة فالف لتعزيتهما رسالة في الاستشهاد وقبض أيضا على كثيرين من اتباعه واكره هو نفسه على الفرار من قيصرية فالتجأ الى فرميتيانوس أسقف قيصرية في كبدوكية أحد أصدقائه المعجبين به كثيرا. ولما حدث الاضطهاد هناك أختبأ مدة سنتين في بيت يوليانه امرأة غنية فاضلة وأذنت له في استعمال مكتبة ابتاعتها من سيماخوس أحد علماء الابيونيين (كانوا يعتقدون بحفظ ناموس موسى وبأن المسيح خاص باليهود ورفضوا رسائل بولس لانها توجب الخلاص لسلام) الذى ترجم العهد القديم الى اليونانية فانكب اوريجانوس على مطالعة ما في هذه المكتبة من الصحف وكمل فيه مقابلة النسخة العبرانية والنسخة اليونانية من التوراة وتهيأ بذلك لعمله العظيم بوضع كتاب «المسدسات» اى وضع آيات الكتاب المقدس في ستة حقول ليظهر للعالم الكتاب المقدس منشورا في ست لغات كما سيأتي ذكره.

وفى السنة الستين من عمره أى في ٢٤٥م سمح للستينوغرافين (أى الذين يكتبون بخط مختصر) أن ينقلوا خطبه وكانت المجامع تستشيره في المسائل الصعبة وتنتهى اليه في عظيم المشاكل.

وفي الاضطهاد الذى قام به ديسيوس قيصر نظر الى أوريجانوس كأكبر مدافع عن حقائق الديانة المسيحية فقبض عليه وطرح في السجن وعذب عذابا شديدا وكتب في السجن رسالة تتضمن النصيحة والتشجيع لمشاركيه في العذاب الا أن صحته اعتلت لما حل به من الآلام وقد كتب يوسيبيوس عما عاناه أوريجانوس في سياق كلامه عن استشهاد القديسين اسكندر أسقف أورشليم وبيسليوس أسقف انطاكيه يقول «يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قاساه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والآلام القاسية أثناء هذا الاضطهاد اذ وضعوه في مقطرة من حديد وزجوهد في اعماق السجن حيث ظل بضعة ايام مطروحاً على خشبة وهو مشدود بأربعة وثاقات لا يستطيع معها الحراك وهم يشعلون النار من حوله تهديدا له وتخويفا وغير ذلك من مرانر شرحها يطول ووصفها يهول ذاقها هذا المسيحى من اعدائه العديدين ولكنه لم يبد ضجرا ولا أظهر مللا ولم يقل يا أزمة انفرجي. وعندما انتهى القوم من تجريع أوريجانوس كل أصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسعى القاضي الموكل بالحكم جهده في تأخير مدته ليس لينجى أوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة أيام حياته. فالذى تم لاوريجانوس من آلام وعذاب يجدر بأن يكون عبرة لم يعتبر وذكرى لمن يذكر وتعزية للذى وقع في مصاب أو أصابة شر و تجربة .

والمعلوم انه لم يفرج عن أوريجانوس الا بعد موت ديسيوس قيصر وأمسى بعد ما عاناه من التعذيب اكسح من قبل الجراح التى انزلتها القيود في رجله فلبث مدة بعد خروجه من السجن يتجرع الاما مبرحة ويتقلب على فراش الضنى والنحول وهو يقترب بسرعة الى حافة الموت. ولكن انتعش حينئذ عندما وصله كتاب من البابا ديونسيوس البطريرك الاسكندرى الذى خلف ياروكلا يشجعه فيه على احتمال المشقات ويظهر له حزنه العميق على حالته التعيسة. غير أن حياة اوريجانوس لم تطل بعد خروجه الا أربع سنوات على قول بعضهم كان فيها غير منكف عن جهده في التأليف والمكاتبات والخطب وعلى قول آخرين لم يعش سوى سنة واحدة وعلى كل حال فقد اثر عليه ما عوقب به

من الالام المبرحة التى انهكت جسمه وسحقته فمات سنة ٢٥٤م فى مدينة صور وله من العمر ٦٩ سنة ويحق لنا أن ندعوه شهيدا ودفن فى المكان الذى مات فيه بصور وظل قبره معروفا حتى شيدت فوقه كنيسة وذكر كثيرون من أصدقائه انه مات تحت العذاب سنة ٢٥٤م وحفظ ضريحه مد قرون عديدة بقرب المذبح فى كنيسة صور الاسقفية واستمر قبره مزار للكثيرين حتى القرن السادس. قال مؤرخ «واذا سألت أهل صور عن مكان قبره لاشاروا لك الى اطلال كنيسة قديمة بنيت عليها أكواخهم وقالوا لك هنا قبر (أورسنيوس) يريدون أوريجانوس مدفون فى قباب تلك الكنيسة وهو الآن تحت الارض».

فرجل مسيحى فاضل كهذا كيف يتهمونه بالهرطقة وقد كانت حياته كلها بريئة من كل ما يشين وأجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه حتى قال عنه يوسابوس «ان حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته» وقال موسهيم المؤرخ «ان بيانه الساحر وعلمه الكثير وطبعه المحبوب وصيته الحسن فى التقوى الحارة الخالصة أعطته سطوة عظيمة. ولا سيما بين العلماء وذوى المراتب الاولى فى الهيئة الاجتماعية. ولم يقم أحد منذ زمن الرسل أكثر منه مناضلة واجتهادا فى اذاعة المعرفة وتفقية المسيحين وتنويرهم وتوقيرهم فى عيون البشر»

ومن يطالع أقــوال آباء الكنيسة بشأن اوريجانوس لانعلم انما شجبت تلك الضلالات التى اذاعها الخصوم. وتاريخ الكنيسة مشحون بأخبار الانشقاقات التى قامت بين الاباء بسبب اوريجانوس فمنهم من كانوا يعتبرونه هرطوقيا ومنهم من كانوا يعتبرونه من معلمى البيعة الافاضل فمن خصومه

(١) البابا ديمتريوس كما ذكر.

(٢) متيوديوس أسقف اولمبيا. وضع ضده ثلاثة كتب غير انه فى اخر حياته ادرك خطأه وذكر اويجانوس بكل احتراء

(٣) ابيفانيوس أسقف قبرص. هو اول من اذاع البدع عن اوريجانوس وعنه أخذ الاخرون.

(٤) ثوفيلس بابا الاسكندرية.

(٥) ايرونيموس أحد علماء سوريا فى القرن الرابع كان فى مبدأ الامر من انصار أوريجانوس ولكنه بسبب منازعات مع روفينوس المذكور أنه نقل كتب اوريجانوس للاتينية صار من الد أخصامه الا انه كتب عنه قبل ان يكون خصمه قائلا «لم يكن اوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح اليه امراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف بل كان بلا جدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل ولا مشاحة فى أن اراءه تعبر عن الارثوذكسية التى لم يشبها ضلال اما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم الا كلاب كلبة». ولما اصبح يقاوم الاوريجانيين قال لهم «وافقونا على انا وريجانوس اتخدع فى بعض المسائل فلا يبقى لى ما أقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض اغلاط له فليعلموا ان الخطأ من شيم كبار الرجال فلا نتشبث بزلات من لا نستطيع مباراته فى فضائله».

ومن محبى اوريجانوس والمدافعين عنه:

(١) البابا ديونوسيوس الاسكندرى البطريرك الرابع عشر.

(٢) ثيوسيستوس أسقف فلسطين.

(٣) غر يغوريوس العجايبى.

(٤) اخوه ثينودوروس

(٥، ٦) غر يغوريوس النزينزى وباسيليوس الكبير. درسا العلم عن مؤلفات اوريجانوس وخصا منها رسائل عرفت باسم فيلوكالى

(محب الجمال) لتعليم الناشئة المسيحية واطلق عليها هذا الاسم لميل اوريجانوس الى كل مبدأ سام.

(٧) غريغوريوس أسقف نيصص بالكبادوك. كان كثير المطالعة لمؤلفات اوريجانوس حتى حفظ أغلبها وسار على منواله في ماكتبه من الكتب وكان يلقب اوريجانوس بزعيم فلاسفة المسيحين.

(٨) بمفيليوس البيروتي تلميذ بيروس مدير المدرسة اللاهوتية نسخ معظم مؤلفات اوريجانوس بيده وشغف بمطالعتها وكتب عنه وهو سجين يقول «أن خصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن ادراك سمو المعاني التي يرمي اليها من كان معلما للكنيسة بعد رسل الرب».

(٩) ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية مدح كتاب المبادئ.

(١٠) البابا اثناسيوس الرسولي البطريرك العشرون دافع عن كتاب المبادئ.

(١١) القديس يوحنا فم الذهب. مات منفيا في سبيل الدفاع عن مبادئ اوريجانوس التي كان كلفا بمطالعتها كما يتضح من تاريخ البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرون.

(١٢) توتيم أسقف سيتي. أعترض على ابيفانيوس عندما قاوم القديس يوحنا فم الذهب لغرامه بكتب اوريجانوس بقوله «اعلم يا ابيفانيوس انه لا يمكننا أن نسئ الى الذى مات نقيا وليس في استطاعتنا ان نحرم اسفارا اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلا عن أننا لم نجد فيها أثرا للهرطقه».

(١٣) ايسيذوروس مدير مدرسة الاسكندرية والاخوة الطوال القامة. دافعوا عن اوريجانوس دفاع الابطال وطردوا من الاسكندرية وصادفوا الاهوال في سبيل تمسكهم باحترامه وقد اقسم هو والاخوة المذكورون على أن اوريجانوس برئ من كل هرطقة.

(١٤) يوحنا ٢ أسقف اورشليم. هام بكتب اوريجانوس وحاول ابيفانيوس وايرنيموس ان يجعلاه بنكف عن مدح اوريجانوس برسالة بعث بها اليه الاول ولكنه لم يفعل بل كتب محاماة عن اوريجانوس رسالة أرسلها الى البابا ثوفيلس البطريرك الاسكندرى حينما كان يجل اوريجانوس فيظهر لنا أن اصدقاء اوريجانوس أكثر اعتبارا في نظر الكنيسة من خصومة فلو كان اوريجانوس هرطوقيا لما دافع عنه أولئك وبالتالي كانوا يعتبرون مثله محرومين لغرامهم بمطالعة كتبه واجلالهم لشخصه العظيم

أما أكثر مؤلفات اورجانوس فقد وصلت الينا في ترجمات غير صحيحة بقلم ايرونيموس وروفينوس وكثيرون من العلماء القدماء اقتبسوا منها. واشهر مصنفاته التي وصلت الينا في اللغة الاصلية هي:

(١) كتاب عنوانه «الرد على كسلوس» كتبه في ثمانية اجزاء.

(٢) مجموع مقالات في «الصلاة الربانية» وهو الكتاب الثاني الذى وصل الينا بتمامه في اللغة الاصلية.

(٣) كتابه في «الشهداء»

(٤) في «الرناسات» وهو كتاب بالغ الخصوم في انتقاده وأجزاؤه أربعة:

١ - يبحث عن الاقانيم في الثالوث الاقدس وعن السقوط وعن الطبيعة العاقلة وعن المخلوقات المادية والروحية وعن الملائكة.

٢ - يبحث عن العالم وما فيه ويثبت ان اله العهد القديم واله العهد الجديد واحد ويفصح عن التجسد والقيامة وعقاب الصالحين.

٣ - يبحث عن حرية الارادة وعن الشيطان وعن تجربة الانسان وعن أصل العالم ونهايته.

٤ - يبحث عن الاسفار المقدسة وأصلها الالهي وعن كيفية مطلعتها ودرسها. ويوجد

الآن من هذا الكتاب قطع كبيرة في اللغة الاصلية ولا سيما من الجزء الثالث والرابع.

(٥) شرح الكتاب المقدس في ثلاثة أجزاء:

١ - يتضمن تفسير بعض الاسفار المقدسة كسفر التكوين والخروج وحزقيال الخ وانجيل متى ويوحنا والرسالة الى أهل رومية الخ ولم يبق من هذا الجزء سوى أوراق قليلة.

٢ - يتضمن ملاحظاتت على آيات غامضة من الكتاب وهو لا يعرف الا من الماع المعلمين الاولين اليه واقتباسهم منه

٣ - يتضمن مواعظ ومقالات قدمها في قيصرية أو ارتجلها بعد ان اتى عليه من العمر ستون سنة بعضها موجود الان في اللغة الاصلية ولكن اكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية بقلم ايرونيموس وروفينوس.

(٦) كتاب موسوم «بالمتنوعات» في عشرة اجزاء الفه اقتداء باكليميندس استاذه غير ان هذا الكتاب فقد ولم تبق منه سوى فصول قليلة استشهد بها ايرونيموس في مصنفاته.

(٧) كتاب سماه «القيامة» لم يبق منه الا اجزاء قليلة.

(٨) كتاب عناه «بالمسدسات» وضع فيه آيات الكتاب المقدس في ستة حقول متوازية:

١ - يتضمن المتن في اللغة العبرانية. وبحروف عبرانية.

٢ - آيات الكتاب المقدس في اللغة العبرانية بأحرف يونانية.

٣ - الترجمة اليونانية التي وضعها اكويلا الدخيل اليهودى في أوائل القرن الثاني.

٤ - الترجمة اليونانية لسماخوس الابيونى السامرى الذى نبغ في القرن الثالث.

٥ - الترجمة السبعينية التي نشأت في الاسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح.

٦ - الترجمة اليونانية التي وضعها ثيودتيون الدخيل اليهودى بعد اكويلا بزمن قليل.

(٩) رسائل عديدة دوّن منها يوسيبيوس مائة رسالة غير أنها فقدت ما خلا القليل منها.

وقد وضع اوريجانوس في بعض كتبه ترجمة خامسة وسادسة وسابعة للكتاب المقدس وكان قصارى مرغوبة تنقيح الترجمة السبعينية بمعارضتها بسائر الترجمات فكان يدل على الآيات غير الواردة في الاصل العبراني بهذه العلامة × ويدخل الآيات المحذوفة في الترجمة السبعينية واضعا قبالتها هذه العلامة. وقد كانت نسخة هذا الكتاب الاصلية محفوظة في مكتبة قيصرية التى انشأها بامفيلوس الشهير المناضل عن اوريجانوس والارجح انها احرقت ولم تكن نسخة اخرى مثلها وقتئذ اذا كانت الترجمة السبعينية المنقحة متواترة وحدها. ولا يبعد أن اوريجانوس الف كتبا أخرى عديدة على الاسفار الالهية وكتب رسائل جمة ضد بعض البدع ولما كان جدول مؤلفاته الذى وضعه يوسيبيوس وايرونيموس مفقودا عز يت اليه رسائل لم يكن يعرفها مطلقا. كما انه اول من كتب كتبا لتعليم الديانة للمبتدئين ويعتبر كتاب «ستروماتا» وكتبه الاربعة المبادئ شرح اكثر تعليم المسيحية.

وقد جد العلماء في طبع مؤلفات اوريجانوس لا سيما ترجمات الكتاب المقدس وأهتموا باعادة ما فقد منها وجعلوها على نسق القطع الموجودة وطبع الجميع عدة طبعات اشهرها طبعة منتفوكون وهى في مجلدين طبعا في باريس سنة ١٧١٣م وطبع كتب المبادئ حسب ترجمة روفينوس اللاتيتية مع نقصه وتغييره وتحريفه طبعه ردينينغ في ليبسيك سنة ١٨٣٦م وطبعة ثنيتسر في شتوتجارت وطبع رسالة في الاستشهاد في بازل سنة ١٦٧٤ . وطبعت تآليفه كلها في باريس بين سنة ١٧٣٣ و١٧٥٩ فجاءت في اربعة مجلدات ضخمة.

وجا الى اسكندريه وال عوضا من بنطنوس اسمه اكليموس وكان واليا الى تلك الايام، وصنع اكيلمس كتبا من نفسه يبطل به التواريخ.

ثم ان انسانا يهوديا كاتبا كان اسمه يهودا كان يقرا فى كتاب رويا دانيال النبى فى عاشر سنه من ملك سويرس وكان يسوى السنين والتواريخ الى زمان الدجال باختياره ويقول قد قرب الوقت من اجل افعال سويرس(*) الملك العدو، فلما نظره

(*) سويرس الملك: تولى سنة ١٩٣م. و جاء فى زيارة إلى مصر توغل فيها حتى طيبة فى الجنوب. وقع فى عهده اضطهاد للمصريين على يد نائبه بها ليتوس.

السماء ما يليق بها من عبادة، فان محبتنا وما الفناه من الصفح عن الجميع قد دفعتنا الى أن يشمل عفونا هذه الأمور أيضا، حتى يعودوا الى مسيحيتهم ويعيدوا بناء تلك الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها، شريطة أن لا يقوموا بعمل ضد النظام العام. وفى رسالة أخرى سوف نبين للولاة ما يجب عليهم اتباعه. وبناء على ذلك يجب عليهم أن يضرعوا لالههم من أجل سلامتنا وسلامة الشعب، لكى يتم بذلك لهم وللشعب كافة الصالح العام، وحتى يحيوا فى ديارهم أمنين.

صدر هذا المرسوم فى ٣٠ أبريل ٣١١، ومات جاليريوس فى مايو بعد أن تمكن منه المرض.

وما أن تلقى ماكسيمين نبأ وفاة جاليريوس حتى هرع ليبسط سيطرته على أقاليمه فى الشرق، فلما دخل بيثينيا حاول اجتذاب الأهالى الى صفه فأمر بالغاء الضرائب التى كان الامبراطور الراحل قد فرضها. هذا بينما تباطأ ليكين فى أوروبا ليدعى لنفسه ملكية المناطق الممتدة حتى المضيق الخلقيدونى، وأنذرت الحوادث تلك بوقوع صدام سافر بين الامبراطورين الطامعين، وسرعان ما دب النزاع بينهما على اقتسام الغنيمة، ووقف كل منهما بجيوشه قبالة الآخر على شاطئ البسفور، ولكن الامبراطورين آثرا التمسك بأهداب سلام مؤقت، فتباعدت الحرب بينهما الى أجل أت لا ريب فيه، ولما اعتقد ما كسيمين أن كل شئ قد أنتهى عاد أدراجه الى نيقوميديا.

اروجـانوس، الذى قطعـه الاب ديمتـريوس بسـبب
فـعله مـا لا يجـوز من كـتب السـحر ورفـضـه كـتب
القـديسين، وانه وضـع كـتب كثيره عن نفسه فيـها
تجـديف كـثيـر، منه ان الاب خلق الابـن وان الابن
خلـق روح القـــــدس، ولـم يقـل ان الاب والابـن
والروح القـدس اله واحـد، وان الثـالوث لا يعـجـزه
شى بل قـوته واحـده وربوبيتـه واحـده. ولاجل سـو
اعتقاده رفضته البيعه اذا كـان غريبا منها وليس هو
من واولادها لفسـاد مـقـالتـه. فلمـا طرد منهـا وزال

أمـا فى الغـرب فكان الزمن يجـرى سـراعـا ليـعـجل صـراعـا مـحـتـومـا بين قـسطنطين وماكسنتيوس، فقد وجد هذا الابن العاق، الذى رفض مرارا أن يقبل والده شريكا له فى الحكم فى مقتل أبيه على يد قسطنطين نهزة لاشعال نيران الحرب ضده، ويسخر لاكتانتيوس من هذا التصرف من جانب ما كسنتيوس الذى غدا فجأة ابنا بارا بوالده.

وهكذا كـان طمـوح الأباطرة الأربعـة وأهـواؤهم سـبـبـا فى اذكـاء نيـران حـرب أهليـة فى الامبـراطورية استـمرت قـرابة ثلاث عشرة سنة. وفـرضت ظروف التنافس بين الجيران على كل منهم أن يبحث عن حليف ضد جاره. فامبراطورا الشرق ليكين وما كسيمين يتربص كل منهما بصـاحبـه الدوائر لينفـرد بحكم الجـزء الشـرقى، وهكذا كـان امـبـراطـورا الغـرب قـسـطـنطين ومـاكـسنتـيـوس. وأملت طبـيـعـة الصـراع على كل منهم أن يوطد صـداقـتـه مع الحليف الأبعد ضدجاره القريب فقفز قسطنطين عبر ايطاليا وما كسنتيوس ليتحالف مع ليكين، بينما خطا مـاكـسـيـمين خطوة واسـعـة فـوق الليـريا وتراقـيـا وليكين ليـصـل الى مـا كـسنتـيـوس، ذلك أن قسطنطين قد رحب بزواج أخته قسطنيـا من ليكين وكان هذا الزواج مدعاة لتوكيد الشكوك التى ساورت ما كسيمين عن نيات الامبراطورين فى التحالف ضده، خاصة بعد ما كان بينه وبين ليكين عقب وفاة جاليريوس، فـسأرع الى ارسال سفرائه الى روما تعرض التحالف على ماكسنتيوس فرحب هذا بهم وأكرم وفادتهم، واعتبر ذلك العرض عونا الهيا، حيث كان على

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩ / ٢٣١م

طقسه خرج من اسكندريه ومضى الى فلسطين وتحيل حتى نال درجة الكهنوت واقسم قسا من يد اسقف قيساريه فلسطين، ثم عاد الى اسكندريه واعتقد ان يتم له فيها كهنوت ويفعل ما اراده، فلم يقبله الاب القديس ديمتريوس وقال له: يوجب قانون الابا الرسل ان لا يفارق كاهن المذبح الذى قسم عليه فامض الى الموضع الذى قسمت فيه قسا فاخدم فيه هناك باتضاع كالقانون، وانا فما احل قانون البيعه لجل مجد الناس، فبقى مطرودا.

وشك الدخول فى حرب مع قسطنطين. وقد تأكد أمر هذا التحالف بعد أن عثر قسطنطين فى روما على بعض الرسائل التى كان ما كسيمين قد بعث بها الى حليفه.

يذكر المؤرخ لاكتانتيوس أن قسطنطين قد أقدم على طرح تماثيل ما كسيميان أرضا وازالة الصور التى كانت قد أقيمت له. فرد عليه ماكسنتيوس باجراء مشابه، فحطم تماثيله وصوره فى روما ومدن ايطاليا. وهكذا أعلنت الحرب رسميا بين الامبراطورين. وكان لدى ماكسنتيوس من المشاة مائة وسبعون ألفا، وثمانية عشر ألف فارس، فاذا أسقطنا من حسابنا تلك القوات الموجودة فى أفريقيا وسردينيا وكورسيكا وصقلية، فان ماكسنتيوس لم يتمكن الا من وضع نصف هذا العدد فقط على خط القتال، هذا على حين كانت قوات قسطنطين تسعين ألفا من المشاة وثمانية آلاف على الخيل، وان كان قد ترك جزءا من هذه القوات لتحمى جبهة الراين.

وكانت خطة ماكسنتيوس تقوم على أساس الحيلولة دون اتصال قوات قسطنطين وليكين اذا ما حاولت قوات الآخير أن تنضم الى صهره، فمركز عددا ضخما من قواته عند فيرونا Verona التى تعد مدخل ممر برنر Brener بجبال الألب فى شمال ايطاليا، غير أن قسطنطين عبر الألب عن طريق Mont Cenis وهبط الى Susa حيث كانت توجد بعض التحصينات الصغيرة، واستطاع رجاله الاستيلاء عليها بعد أن أشعلوا النيران فى أبوابها، وتسلقوا اسوارها، وان كان

وكان هذا من قبل ان يعرف الاب البطرك تجديفه وكفره وهذا صار شكا لجميع الناس لانه صير نفسه معلما وهو لا يستحق ان يكون تلميذا.

واما سويرس الملك فاقام ثمان عشره سنه ملكا ومات وملك بعده انطونينوس ابنه، وبعدذلك ظهر قوم اقويا بتأييد المسيح بتدبير الله اسم احدهم الاكسندروس وهو المعترف و صار اسقفا على اورشليم بعد نركسوس. وهذا الانسان نركسوس

قسطنطين قد أصدر أو أمره باخماد هذه النيران وكبح جماح جنوده عن نهب المدينة. وأمام تورينو Augusta Taurinourm قوبل قسطنطين بخيالة عدوه فاستطاع بمناوره عسكرية أن يوقع مذبحة مروعة بهؤلاء الفرسان، فتحت على أثرها تورينو أبوابها للظافر، ثم استسلمت على أثرها ميلانو، فمكث فيها قسطنطين قليلا ثم واصل سيره، فالتقى بجزء آخر من فرسان عدوه عند بريشا Brescia (Vrixia) فكانت الغلبة لجنوده.

وكانت القوة الرئيسية لما كسنتيوس عند فيرونا تحت قيادة روريكيوس البومبى Ruricius Pompeianus، وكان موقفه قويا الى حد كبير حيث كانت المدينة محصنة وقد فرض قسطنطين عليها الحصار. الا أن القائد استطاع الافلات خلسة ليعود من جديد وفى صحبته مدد آخر وبعد صراع عنيف قتل روريكيوس واستسلمت قلعة فيرونا ولم تلبث المدن الآخرى أن أسلمت للمنتصر قيادها، فأصبح الطريق مفتوحاً الى روما، فشق طريقه ليصبح أمام التيبر فى ٢٦ أكتوبر ٣١٢.

وأثناء هذه الرحلة الموفقة تراءى لقسطنطين فى السماء ـ ما أخبر به المؤرخ المسيحى يوساب وهى تلك الهالة المضيئة تحيط صليبا ارتسمت تحت عبارة «بهذا سنتنتصر Tou Tw vika ثم زاره السيد المسيح أثناء نومه مؤكدا له ما سبق أن تراءى له».

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

كان يصنع عجايب كتيره فى حياته حتى انه لما عجزت البيعه عن زيت [القناديل] امرهم ان يملاو القناديل ماء، وكانت جمعه البصخه، وصلى فصار الما [ء] زيتا ووقدت القناديل. فعل هذا دفوعا عدة لايمانه باتحاد السيد المسيح، و كل احد يشهد له بذلك، وعرفنا خبره من الثقات، فحسده قوم بشرهم وارادوا قتله وكذبوا عليه وحلفو انه يفعل الردى، فوقف احدهم يوقد نارا فاحرقته، واخر نزل

كان واضحا أن ماكسنتيوس بعد أن تلقى الأنباء المتتالية عن هزيمة جيوشه فى الشمال، قد قرر البقاء فى روما وتحصينها، وكانت أسوارها منيعة للغاية، كما أنه كانت لديه كميات وفيرة من قمح مصر و أفريقيا، وقوة من الجند لايستهان بها، وقوى من هذا الاقتراح عنده ما أنبأ به العرافون من أن خروجه سيسبب له كارثة فادحة. غير أن اضطرابا وقع فى المدينة بعد ما أشيع بين الناس القول بأن قسطنطين لا يقهر نتيجة لهذه الانتصارات المتتالية، فانزعج ماكسنتيوس وأمر حاملى الكتب السيبيللية باستطلاع الغيب، فأخبروه أن هناك نبوءة تقول أنه فى يوم ٢٨ أكتوبر سوف يهلك أعداء الرومان، ولما كان ما كسنتيوس يؤمن بالطيرة والعرافة كما يذكر مؤرخو الكنيسة، فقد تأثر بهذا التلميح الذى يعنى يوم اعتلائه العرش، ومن ثم فقد عزم على أن يقابل عدوه فى هذا اليوم، وبناء على هذا الوحى الغامض عبر ماكسنتيوس التيبر ليلتق بعدوه فى مكان سمى الصخور الحمراء Saxa Rubra قرب القنطرة الملفية Mulvius Pons وكانت هذه الخطة التى أقدم عليها ماكسنتيوس جهلا بفنون الحرب، اذا بدلا من أن يترك لخصمه مشقة عبور النهر فيسهل القضاء عليه، تطوع هو للقيام بهذه المغامرة، فكان عاقبة أمره خسرا، حيث تمكن قسطنطين من انزال الهزيمة بقواته واجبارها على التراجع نحو التيبر حيث غرق الكثيرون منهم، ولما حاولت بعض الجموع وعلى رأسها ما كسنتيوس الدفاع عن القنطرة خارت قواهم وغرق الامبراطور، وهكذا تحققت النبوءة الغامضة بهلاك أعداء الرومان

كلما فى جوفه ومات، واخر مرض وذاب جسمه، واخر عمى. فعلموا الناس كذبهم عليه لما ظهر من قدسه. وصير اسقفا ولم ينله شى من السو لانه كان متعبدا حكيما معترفا بالسيد المسيح.

وكان امره انه هرب من البيعه واوى البريه لان الشعب كان مشتتا وبعضهم قذفوه بالمحال. فلم تصبر العين التى تنظر كل شى وجازى المخالفين باعتقادهم الردى وايمانهم الكاذب عليه، فالاول

فى ٢٨ أكتوبر ٣١٢ ويشبه يوساب ما حدث هنا بما كان من أمر فرعون وموسى حيث غرق فرعون وجنوده فى اليم لأنهم ـ كما كسنتيوس من بعد ـ عصوا أمر الرب.

وفى اليوم التالى لهذه الأحداث دخل قسطنطين روما دخول الظافر حيث قوبل بترحاب كبير من السناتو والأهالى الذين عمد هو منذ البداية الى التودد اليهم، وفرض بعض العقوبات على أتباع ماكسنتيوس، وفرق الحرس البريتورى وكانت تلك خطة بارعة أقدم عليها قسطنطين ليجرد المدينة من قوتها، وخلع السناتو الرومانى على قسطنطين لقب Maximus، بينما استخرجت جثة ما كسنتيرس من التيبر حيث احتزت رأسه وطيف بها فى روما حتى يشهدها العامة، ثم أرسل بها الى أفريقيا لتقر بتغيير سيدها.

بهذا غدت روما وايطاليا وأفريقيا واسبانيا فى قبضة قسطنطين، بالاضافة الى غالة وبريطانيا، فأضحى بذلك سيد الغرب الفرد بلا منازع، ولكن طموح قسطنطين كان أكبر من أن يتسع له هذا الجزء، فقنع مؤقتا بما جادت به الأيام وانتظر ما تجئ به، ولم يكن فى انتظاره سلبيا يتوقع الحوادث، بل يحركها ويدير دفتها حتى صار للامبراطورية كلها سيدا.

لم يمكث قسطنطين فى روما طويلا، فبعد أن تأكد لديه أن الأمور قد استقرت غادرها الى ميلانو حيث وافاه هناك ليكين ليتسلم زوجته قسطنديا. وشهدت المدينة الى جوار الاحتفالات الضخمة التى أقيمت فى هذه المناسبة اجتماعات عقدها الجانبان لتوكيد عرى الصداقة

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

منهم مات هو وكل بيته بحريق نار نزل عليهم، والاخر لحقه وجع من راسه الى قدمه بحرقه عظيمه، وبدا الاخر يهرب لعلمه بما صنع وعاجله الله وعمى للوقت واعترف على نفسه عند كل احد بعقله السو الذى صنعه فى القديس الاسقف، واكله قلبه وندم وبكى لاجل انه عدم بصره.

فاما نركسوس الاسقف فانه اختفى فى البريه

والتحالف، وللاتفاق على رسم سياسة معينة واضحة تجاه هذا البعض (المسيحيين) من رعايا الامبراطورية الذين قضوا من عمرهم أعواما طوالا يقاسون ويلات التعذيب والاضطهاد، ووضع حد لهذه المشكلة الدامية التى أرهقت السياسة الداخلية للامبراطورية دون أن تفلح هذه فى ايجاد حل لها، فاتفق الطوفان على اطلاق حرية العقيدة لجميع الرعايا الخاضعين لسلطانهم شريطة ألا يتعارض ذلك مع الصالح العام للامبراطورية وهو الاتفاق الذى شاع عند المؤرخين باسم «مرسوم ميلانو» فى عام ٣١٣.

هذا على حين كان ماكسيمين فى الولايات الشرقية من الامبراطورية ينهج نهجا مخالفا، فقد كان من أكبر أنصار اضطهاد الرعايا المسيحيين طيلة عهد جاليريوس، بل انه اشتط فى هذه السياسة حتى فاق بها كثيرين ممن سبقوه. فلما أصدر جاليريوس مرسوم التسامح سنة ٣١١، لم يكن ماكسيمين راغبا فى اتباعه، ولذلك فانه بدلا من ارسال نص المرسوم الى ولاته أعطاهم أوامر شفهية لتخفيف حدة الاضطهاد عن المسيحيين، لأنه لم يكن بمقدوره أن يبدو فى صورة المعارض لأوامر سيده. غير أن سابينوس Sabinus محافظ البريتورى، وجه رسائل خاصة الى كل حكام الولايات التابعة لماكسيمين جاء فيها:

«سبق لأصحاب الجلالة الأباطرة أن وجهوا تفكير رعاياهم دوما للسلوك فى سبيل الحياة النقية السليمة، وحتى يقدم أولئك الذين يحيون بصورة لاتتفق مع الرومان والعبادة الواجبة

ولم يعرف موضعه الابعد زمان كتير فاوجب الحال لاجل خلو البيع التى كان اسقفا عليها ممن يدبر ها ان وسموا عوضه انسانا اسمه ديوس فلم يقيم الا مده يسيره وتنيح، واوسم اخر عوضه يسمى كومانيون. وبعد ذلك ظهر الاب الجليل نركسوس كمثل من قام من الاموات، وسألوه ان يعود الى كرسيه وفرح به الشعب فرحا عظيما وكان قد افرغ نفسه للحكمه والنعمه التى استحقها من الله فلم يعد الى الخدمه لكرسيه.

للارباب الخالدين، ولكن عناد البعض وعزمهم الذى لا يلين ذهب الى حد بعيد فلم يتزحزحوا قيد أنمله عن مقصدهم رغم ما أعطى اليهم من أوامر، ولا خارت نفوسهم رغم ما توعدهم من قصاص. ونظرا لان الكثيرين ـ بمثل هذا السلوك ـ قد وضعوا أنفسهم تحت طائلة العقاب فان أصحاب الجلاله الاباطرة بسبب ما جلبت عليه نفوسهم من نبالة وتقى، وجدوا أنه مما يتنافى مع مقصد جلالتهم أن يعرضوا - نتيجة لذلك ـ أناسا للخطر، فامروا خادمهم الأمين ـ أعنى شخصى لكى أكتب الى فطنتك بأنه لا يجب أزعاج أى مسيحى يمارس طقوس ديانته أو تعريضه للخطر، لذلك احرص على أن تكتب لأولى الأمر والقضاة ورؤساء المدن مخبرا اياهم بهذا الأمر».

وبناء على ذلك قام حكام الولايات بنقل هذه الأوامر الى من تعنيهم، وسعوا بأسرع ما يمكن لاتمام ما حسبوه رغبة الامبراطور الحقة، فأطلقوا سراح اولئك المسجونين، واعادوا من النفى من كانوا قد بعتوا بهم إلى المناجم لأنهم. على حد قول يوساب، ظنوا خطأ أن هذه هى رغبة الامبراطور.

على أن ماكسيمين لم يسمح بذلك أكثر من ستة أشهر ثم عاد من جديد يمارس سياسة اضطهاد ا لمسيحيين، وكان ثيوتيكنوس Theoticnus والى انطاكية يوافق الامبراطور ميوله فصب جام غضبه على ا لمسيحيين، وأقام تمثالا هناك لرب الأرباب جوبيتر، وأوعز الى

واما الاكسندرس المقدم ذكره فانه كان فى
كرسى اخر فرأى ملاك الله فى منامه يأمره
بمساعدة نركسوس هذا ويخدم الله، لانه كان قسم
اسقفا فى كبادوكيا اولا وجا الى يروشليم فى ذلك
الزمان ليصلى فنظر البيع المقدسه التى كان يشتهى
ان يراها وطاف حول المواضع المباركه كلها وعول
على الرجوع الى كبادوكيا بلده، فمنعوه الاخوه.
واعلم فى المنام وسمعو باجمعهم صوتا فى البيعه
يقول اخرجو الى الباب فاول رجل يدخل منه

الامبراطور أن الآلهة أمرت بطرد المسيحيين - كأعداء له ـ خارج حدود المدينة وما جاورها من أقاليم، وقد أدى نجاحه فى ذلك الى اغراء كل مواطنى المدن الواقعة فى نفس المنطقة على أن يحذو حذوه ما دام ذلك يرضى الامبراطور، ومن ثم أنهالت على ماكسيمين رسائل عديدة من مختلف المناطق تطلب اليه منع المسيحيين من البقاء أو الاقامة داخل أسوار هذه المدن. وقد عين ماكسيمين فى كل مدينة كاهنا أعلى كانت مهمته مراقبة تقديم الأضحيات للأرباب ومنع المسيحيين عن التضحية للالهة، فاذا ما رفضوا وجب عليهم المثول أمام الحاكم المدنى لينالوا جزاءهم. واذا أصروا ـ المسيحيون ـ على ضلالتهم اللعينة، فليطردوا من مدينتك ومقاطعتك كما أردت لكى تستطيع مدينتك ـ اذ تتحرر من كل دنس وكفر ـ ممارسة الشعائر المقدسة للالهة الخالدة.

غير أنه قبل نهاية عام ٣١٢ عاد ماكسيمين من جديد يؤثر سياسة التراجع عن التمادى فى الاضطهاد، فبعث برسالة الى سابينوس، حاول فيها أن يبرر سياسته السابقة فى أمر الاضطهاد وأن يخفف عن نفسه مسئولية عنف هذه الاجراءات وتطالعنا افتتاحية الرسالة برغبة دقلديانوس وماكسيميان فى اعادة أولئك الذين هجروا عبادة الالهة واعتنقوا المسيحية الى سابق عهدهم عن طريق التأديب العلنى والقصاص، ويذكر أنه سعى الى تخفيف حدة هذه الاجراءات بعد ما رأى من امكانية الاعتماد على كثيرين ممن يتعرضون للتعذيب فى تأديه

تلقونه اجعلوه اسقفا ففعلو ذلك وتلقو الاكسندرس
وتعلقو به فامتنع وقال: ما افعل. فاصلحوه قهرا
بحضور جماعه من الاساقفه ببلد اورشليم وبامرهم
وبرأى واحد واتفاق واحد.

وكتب الاكسندرس كتبه التى كان انفذها الى
انصنا وذكر فيها نركسوس وانه معه بامانه واحده
واتفاق واحد فى بيعه يروشليم.

وكان فى كل كتبه يقول: نركسوس يقرا

الخدمات العامة، فأمر القضاة ألا يشتطوا فى تنفيذ الأوامر السابقة، غير أنه عندما أتى الى نيقوميديا بعد وفاة جاليريوس، تقدم اليه بعض أهلها يلتمسون منه آن لا يسمح للمسيحيين بالاقامة بين ظهرانيهم، وتابعهم فى ذلك كثير من المدن الأخرى، فلم ير بدا من اجابتهم لما يريدون، ولكنه كان يرى، كما يذكر، أن الاقناع هو خير وسيلة لاعادة هذه القبيلة من الناس الى قدس الأرباب ثانية. ومن ثم فانه يجب أن لا يضار أحد بسبب عقيدته، بل تترك الحرية الدينية للجميع، وان كان من المفضل استمالة المواطنين بالنصح والترغيب، وليس بالعنف والترهيب، الى عبادة الالهة.

كانت الحرب بين ماكسيمين وخصمه أمرا لا مندوحة عنه خاصة وأن هذا الأخير لم يكن قد أشرك فى أى جزء من الأقاليم التى غنمها مؤخرا قسطنطين، بل تركه ليمد نفوذه هو الاخر على حساب جاره ماكسيمين ولم يكن هذا الأخير يقل طمعا عن صاحبيه، فقد كان لا يقنع بتلك المنطقة التى يسيطر عليها. وكادت الحرب أن تنشب بينه وبين ليكين عقب موت جاليريوس مباشرة سنة ٣١١ الى أن استبدلا بها معاهدة للسلام مؤقتة.

كانت خطة ماكسيمين تقوم على أساس أن حليفه ماكسنتيوس سوف يقاوم قسطنطين لفترة طويلة، مما يجعل ليكين يدفع بقواته لمناصره حليفه، وبهذا تسنح الفرصة لماكسيمين ليهاجم أقاليم جاره أثناء خلوها من القوات. ولكن الأمور سارت على عكس ما توقع وعلى

عليكم السلام الذى هو قبلى فى الاسقفيه فى هذا المكان وهو الان معى ويويدنى و يشدنى بصلواته لاقوى على هذه الخدمه. وقد اقام ما يه و ست عشره سنه على هذه الخدمه، وانا طلب اليكم ان تكونوا معى بقلب واحد.

ومنهم سرابيون الذى صار بطركا على انطاكيه وتنيح، ووسم اسكليباتوس المعترف ايضا وعلت درجته. وكان الاكسندروس قد كاتب اهل انطاكيه

غير ما كان يهوى فؤاده، ذلك أن حربا خاطفة طاحنة انقشعت عن ابتلا ع التيبر لما كسنتيوس وجنوده، وماهو ألا يوم أو بعض يوم حتى فتحت روما أبوابها لقسطنطين، فهلل أهلوها ورفعه السناتو مكانا عليا، ثم لم تكن الا أشهر قلائل حتى التقى الحليفان فى ميلانو يرسمان للمستقبل سياستهما، ويدشنان تألفهما بحفل زواج ليكين وقسطنديا، ودخل فى روع ماكسيمين أن فى خطتهما للمستقبل نهايته، وأن فى ا نشغالهما بهذا العرش فرصته. ومن ثم صمم على أن يهتبلها ليضرب ضربته قبل أن تضيع الى الأبد.

التقى الجيشان قرب هرقليا Herraclia وأصبحت المعركة وشيكة الوقوع، يقول لاكتانتيوس أن ماكسيمين قد نذر لان أظفره جوبتر بعدوه ليمحون من الوجود اسم المسيحين، ولكن هذا القول لا يتفق وما ذكرنا عن الخطة التى اتبعها ما كسيمين للتودد الى رعاياه المسيحيين بذلك المرسوم الذى أصدره فى شتاء ٣١٢ /٣١٣ يرفع عن كواهلهم نير الاضطهاد، ولم يكن ما كسيمين من البلاهة بحيث يظهر هذا التحدى السافر لشعور جزء كبير من رعيته وهوعلى أبواب معركة يحتاج فيها لأن يجمع الصفوف كلها حوله ومن خلفه. أضف الى ذلك أيضا أن ما أقدم عليه ما كسيمين بعد هزيمته أمام ليكين ازاء المسيحين من العفو عنهم يضع قول لاكتانتيوس فى محك الاختبار.

وان جعل لاكتانتيوس اعتماد ما كسيمين على جوبتر، فلابد أن يعتمد ليكين على قوة الهية

بسببه وقال هكذا الاكسندروس عبدالله المعترف
يسوع المسيح يكاتب البيعه المقدسه بانطاكيه
بالرب بفرح على يد القس العفيف اكليمنتس: يا
اخوتى احب ان تقدمو اسكليباتوس فهو مستحق
لهذه المترله فوسموه.

وكتب ايضا اليهم كتابا يقول فيه ان انسانا
يهوديا اسمه مركيانوس عمل كتاب نسبها الى
بطرس رأس التلاميذ وذكر فيها كلاما كذبا

- -

مضادة ولما كان قد اتفق وقسطنطين فى ميلانو على منح المسيحيين حرية العقيدة فقد اعتمد على المسيح.

وفى ٣٠ أبريل ٣١٣ التقى الجمعان، فتحقق لما كسيمين بذلك بعض ما كان يبغى، غير أن أمله فى النصر لم يأته أبدا، ففى معركة خاطفة هزم ماكسيمين هزيمة ساحقة وهرب إلى نيقوميديا.

حالما وصل ماكسيمين الى نيقوميديا أراد من جديد استرضاء رعاياه المسيحيين ليضمن وقوفهم الى جواره فى معركة فاصلة قادمة بينه وبين ليكين، فأصدر مرسوما فى صالحهم ذكر فيه حرصه الدائم على توفير أسباب الراحة والهدوء لمواطنيه، وأنه قد اتضح له أن كثيرين من المواظفين قد ارتكبواعديد من حوادث السلب والنهب تحت ستار تنفيذ الأوامر التى كان قد أصدرها دقلديانوس وما كسيميان لتحريم اجتماعات المسيحيين، ونلاحظ أنه يلقى بالتبعية كاملة هنا وفى رسالته السابقة الذكر الى سابينوس على هذين الامبراطورين، ويستطرد فى مرسومه موضحا أنه نتيجة ذلك عمل على تخليص هؤلاء المسيحيين من عسف أولئك الموظفين، ثم يذكر ما كان من أمر رسالته الى سابينوس وما جاء فيها من حرية العبادة للمسيحيين، ولكن قضاته وموظفيه - على حد قوله ـ حرفوا هذه الأوامر، لذلك رأى أن يذيع أمرا امبراطوريا بحرية العقيدة لجميع مواطنيه، ولممارسة الطقوس الدينية وبناء دور العبادة، كما

فاحرسو نفوسكم من هذه الكتب. ونحن نقبل
بطرس وباقى التلاميذ كقبولنا امر المسيح لانهم
شاهدوه وسمعو كلامه منه، واما هذه الكتب
الكاذبه فليس نقبلها بل نبعدها لان ليس فيها شى
من تعليم ابهاتنا. فلما وصل اليهم القس بالكتب
قال لهم: اثبتوا على الامانه الصحيحه ولا ترجعو
الى الكتاب الباطل الذى نسب الى بطرس
فهوكذب وضلال وفيه بداية الخلف، ولهذا جيت

أمر برد الكنائس المصادرة الى ملكيتها المسيحية. غير أن ذلك كله لم يجده نفعا، فقد ضاعت فرصة النصر من يديه بهزيمته فى هرقليا، وأضحت جهوده اليائسة للم شعث جنود جدد من آسيا وسوريا محاولات لاجدوى وراءها.

ومن نيقوميديا ارتحل ماكسيمين وبصحبته أهله، وفى معيته بلاطه ميمما شطر سوريا، ولكنه توقف فى كبادوكيا حيث ارتدى من جديد عباءته الامبراطورية وكان قد خلعها أثناء فراره. فكان ذلك ايذانا بعزمه على مواصلة الحرب ضد ليكين، وكان هذا قد وصل الى نيقوميديا، وبعث فى ١٣ يونية ٣١٣ رسالة الى حاكم بيثينيا، وهى الرسالة التى ذاعت فى التاريخ خطأ باسم مرسوم ميلانو.

تقهقر ما كسيمين حتى وصل الى طرسوس Tarsus وتحصن بها، ولكن عاجلته المنية فوضع موته المفاجئ فى هذه اللحظة ليكين سيدا على الولايات الشرقية. وهكذا أصبح فى الحكم امبراطوران، ليكين فى الشرق، وفى الغرب قسطنطين.وكانت صفحة من صفحات الحروب الأهلية داخل الامبراطورية قد بقيت لم تطو بعد لتسجل صراعا عنيفا بين حليفين لدودين.

لما كان ليكين يتوجس فى نفسه خيفة من قسطنطين، فقد كان يدرك تماماً مبلغ طموح هذا الرجل منذ عرفه قيصرا، فامبراطورا شريكا، فحليفا، وكان فى سياسة قسطنطين قبل

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

ليكم مسرعا. وقد علمنا بان هذا مرقيانوس
اليهودى قد اضل جماعه بكتبه و صارو مخالفين
لان هذا المخالف قد كتب كتبا كثيره وشرح بعضها
فى السيره، ولما فيها من التطويل استغنى عن
كتبها.

فاما ديمتريوس بطرك اسكندريه القديس فاظهر
العلوم و الحكمه بعد ان كان اميا لا يقرا ولا
يكتب، وكانو جميع اولاده موبخين منه. فلما رأى

ماكسيميان وولده دليل واضح على نياته، مما زاد الشكوك فى صدر ليكين، وذهبت به الظنون كل مذهب، وقويت لديه بما أتت به الأحداث، فأقدم على ا رتكاب عدة حماقات وجد فيها قسطنطين فرصة عمر لم يتوان لحظة عن اهتبالها، فأضحى على أثرها سيد الامبراطورية.

ولقد كان لدى قسطنطين ما يثير شجونه وأحقاده ويدفعه لتلمس المبررات الضرورية لقتال حليف الأمس، فقد كانت قوته ترتكز أساسا على جزء يعد أشد مناطق العالم الرومانى فقرا وأقلها سكانا فى الوقت الذى كان فيه ليكين يحور اقليم الليريا الذى طالما قدم للجيش الرومانى أقوى الرجال، ولم يكن قسطنطين بالذى يغفل عن هذه الناحية، فقد كان يدرك مدى ما لهذا الاقليم من أهمية بالنسبة لمشروعاته القادمة، ومن ثم عول على أن تكون وثبته التالية فوق هذا المعين البشرى الذى لا ينضب.

وقد أعطى ليكين بسياسته التى انتهجها الفرصة لمنافسه ليحقق منتهى آماله، ففى الوقت الذى سار فيه قسطنطين خطوات بعيدة المدى نحو تنفيذ السياسة الدينية التى اتفق عليها فى ميلانو، وحظى المسيحيون ورجال الاكليروس فى المناطق الخاضعة لسلطانه بامتيازات عديدة وحريات واسعة، لم يحاول ليكين أن يكون جادا فى تنفيذ هذه الاتفاقية. ومع أنه حتى عام ٣١٩ لم يكن قد أظهر عداوة ما نحو المسيحيين، الا أنه لم يتقدم بعد خطوة واحدة نحو كسب صداقتهم أو لضمان تأييدهم وحماسهم كما كان يفعل قسطنطين. ونتيجة هذا كان

انه قد شاخ وكبر فى الفحص على العلوم والكتب الالهيه [حتى انه كان يحمل الى البيعه فى محفه] وهو لا يفتر من التعليم من الغداة الى الليل، والاخوه ماضون وجايون اليه ليستفيدو من تعاليمه، واستخلف ياروكلا وكان رجلا مختارا عارفا بكتب الله معلما بتعاليم البيعه ومعرفة كلام الله ويحفظ قوانين البيعه.

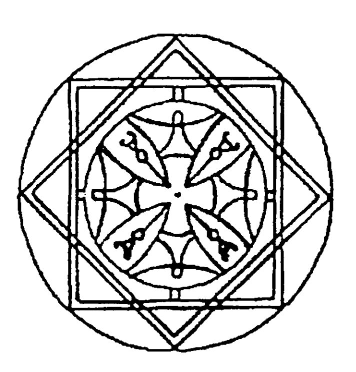
فلما رأى اورجانوس، الذى احرمه ديمتريوس،

مسيحو الشرق ينظرون بعين الحسد والغيرة الى زملائهم مسيحى الغرب لما يتقلبون فيه من نعم أغدقتها حكومة قسطنطين، وكانوا بالطبع فى نظرتهم هذه يعتبرون ليكين المسئول الأول عن عدم تمتعهم بنفس الامتيازات والمكاسب، فى نفس الوقت الذى رأوا فيه فى قسطنطين «محبوب الرب» فتعاطفت معه قلوبهم، فوجد انعدام الثقة بذلك باب نفذ منه بين ليكين وشعبه، فاعتبروه مضطهدا جديدا، وعدهم هو صنائع قسطنطين.

وخلال هذه الفترة راح قسطنطين يعد العدة لمعركة قادمة يضرب فيها ضربته الأخيرة ليحقق حلمه الكبير بالسيطرة على الامبراطورية منفردا، ولما أنس قسطنطين من نفسه قوة سنة ٣٢١، أقدم على أول عمل استفزازى ضد ليكن، فأعلن ولديه كريسبوس Crispus وقسطنطين قنصلين دون موافقة ليكين. وفى سنة ٣٢٢ عبر قسطنطين الدانوب وشن حملة ناجحة ضد السارماتيين Sarmatans، وقام بهجوم ضخم على القوط سنة ٣٢٣، واقتضاه تتبع القوط اجتياز اقليم تراقيا الخاضع لليكين، فلم يستطيع هذا أن يكظم غيظه أكثر من ذلك، فاحتج لدى قسطنطين على انتهاك حرمة أراضيه، ولكن هذا الأخير وجدها الفرصة التى كان يبحث عنها منذ أمد طويل، فرفض أن يقدم ترضية ما لزميله. فأعطى ذلك اشارة البدء لحرب أهلية أخيرة فى هذه الفترة.

كانت كل الظروف مهيأة لانتصار قسطنطين فى هذه الحرب، فهو قد أعد للأمر عدته منذ استولى على البلقان بعد حرب عام ٣١٤ وضمن تأييد المسيحيين الخاضعين لليكين، أو على

بان البيعه قد ابعدته مضى لليهود وفسر لهم كلاما من الكتب العبرانيه على غير جهتها واخفى ما فيها من نبوات الانبيا عن السيد المسيح، حتى انه لما جا الى ذكر الشجره التى كان فيها كبش ابراهم الخليل مربوطا بقرنيه وفسر الاباء انها مثال خشبه الصليب، اخفى ذكرها وازاله. وفسر كتبا كتيره كذبا ليست لها صحه. وصار معه مخالف اخر اسمه ساماخوس ظهر منه شقاق كثير قال



نقش لصليب مثمن على جدار صومعة ناسك بمدينة أسنا

الأقل تخليهم عن نصرته، وبالطبع كانت هذه فى حد ذاتها ـ أعنى رغبته فى نصرة المسيحيين وتحريرهم من رق العبودية تحت أضطهاد ليكين ـ هى الحجة التى تذرع بها ووجدها مبررا ليشن من ورائها هذه الحرب، وكانت تلك خطة بارعة ضمن بها ولاء المسيحيين فى الشرق وتعاطفهم معه، ومن هذا السياق يتضح أن قسطنطين كان هو البادئ بالعدوان فعلا فى هذه الحرب، وأغراضه من هذه الحرب بادية للعيان ، ومن ثم فما يقدمه يوساب فى هذا السياق من اعتبار قسطنطين يحارب دفاعا عن المسيحية يعد حجة واهية اذا قيست بالوقائع القوية التى حفزته لأن يستولى على الجزء الباقى والهام من الامبراطورية.

وعند أدريانوبل (حاليا ادرونه Edrene) فى الثالث من يوليو ٣٢٣ لقى ليكين أول هزيمة فى هذا الصراع، وما لبث كريسبوس أن فرض الحصار على بيزنطة وتمكن من أن يحقق نصرا بحريا كبيرا على أسطول خصمه، وفى ١٨ سبتمبر حدثت الموقعة الفاصلة فى خريسوبوليس Chrysopolis حين فقد ليكين كل شئ، أسلم نفسه لقسطنطين فأمر بنفيه الى تسالونيكا، ولكنه سرعان ما أعدم فى العام التالى.

وهكذا قدر لحرب أهلية طويلة أن يخمد أوارها، وأن تشهد الامبراطورية من جديد عصر وحدة يتربع على عرشها فيه امبراطور فرد. وجنى قسطنطين بذلك النصر الباهر فى الشرق الآسيوى ثمار بذور غرستها يداه فى الغرب الأوروبى..

ان المسيح مولود من مريم ويوسف، وانكر قوه
الولاده العجيبه، وان السيد المسيح المولود (هكذا)
ولد من العدرا بلا تعب هو الاله، وهو الانسان
بالحقيقه، وهو واحد من اتنين. وخالف الانجيل
الصادق كما شهد متى وما قال فى الولاده، ولا
تقدر ابواب الجحيم ان تقاومها. وكان هذا المخالف
يظهر انه نصرانى ودفعه يقول انه حكيم وقد قرا
كتب الصابئه والمعتزله ثم صادق ارجانوس واضل
جماعه من السواذج. وكان فى ذلك الزمان

قسطنطين والمسيحية

لم يختلف الدارسون فى شيء اختلافهم حول مسيحية قسطنطين، ولقد صاغت المشكلة ذاتها فى سؤال ذى شقين، هل كان رفع قسطنطين عن المسيحيين اصرهم والاغلال التى كانت عليهم نابعا عن معتقد يقينى بربهم، أم كان للدوافع السياسية كبير شأن فى اتخاذه جانبهم؟ وانجذابا إلى هذا الشق أو ذاك جاء من الدارسين قبيل هنا وراح غيره هناك، واعتلى كل منصة حججه يدفع بأسانيد جمعها عن صدق رأيه، ويدحض بها قول معترضه. على أن الآراء على اختلافها وتعددها لا تخرج عن شقى سؤال سبق توا ذكره، يدعم أولهما مؤرخو الكنيسة مضيفين إلى حواريى المسيح الاثنى عشر رسولا جديدا، ويؤكد ثانيهما جل الدارسين المحدثين جاعلين من قسطنطين سياسيا حاذقا.

كان يوساب القيسارى أول من زاد قائمة الحواريين واحدا. ونسج بقلمه خيوط ضوء قدسى مهيب يزين فى جلال جبين قسطنطين، سداه احتواء كل فضيلة، ولحمته ترفع عن أية رذيلة، فحفظ للبشر على مر الأعصر، «حياة قسطنطين Vita Constantini».

ولم يكن قسطنطين فى رأى يوساب ومؤرخى الكنيسة ليهتدى إلى المسيحية على لسان بشر، اذن لغدا أحدهم، ولكنهم جعلوا السماء داعيه فى يقظته، ويسوع المسيح مبشره فى نومه، والصليب شارته، وخدام الرب مشاعل جنده، والرب يبارك منه الخطى!! كان ذلك فى

انسان فاضل قديس له حكمه الاهيه اسمه امونيوس فرد عليهما واظهر كذبهما وما فسراه من الكتب بضد الواجب وكذبهما. ثم مضى ارجانوس الى قيساريه فلسطين التى كان صير فيها قسيسا وجا الى اسكندريه بكتب عنايه [توصية] فلم يقبله الاب ديمتريوس و انفاه لمعرفته بفعله، فمضى الى موضع يعرف بتمى من كوستانكيه وموه على اسقفها، وكان اسمه امونه، فجعله فى احدى البيع فلما انتهى خبره الى ديمتريوس القديس سار بنفسه

خريف عام ٣١٢ وقسطنطين يزحف بقواته إلى روما «ليخرج من الظلمات الى النور، أناسا طال عليهم الأمد، وليقضى على «طاغية» بها تجبر، عندما مالت شمس الظهيرة الى الغرب قليلا مؤذنة بنهار بدأ يمسى، واذا بهالة تضىء كبد السماء تعانق صليبا خط تحته بأحرف من نور «بهذا ستنتصر» Toutw vika فعقدت لسانه وجيشه الدهشة، وساورت الشكوك قسطنطين لهذا الذى يرى، وذهبت به الظنون كل مذهب، وتأخذه سنة من النوم فيتبدى له مسيح الرب والعلامة التى رأها بيمناه. يأمره أن يتخذ اياها له شعارا، وأن يجعل منها حارسا أمينا فى كل معاركه الآتية. وأسرع قسطنطين فى اليوم التالى فاستدعى الصناع وأمرهم أن يصنعوها تباعا بعد أن راح يصفها لهم بدقة، وأوصاهم أن تكون من الذهب والحجارة الكريمة لتوضع على رأس كل جندى من جيشه. وما لبث قسطنطين أن دعا اليه حاملى أسرار الديانة المقدسة ليخبروه عن هذا الذى فى نومه قد رأى، فأعطوه صفته وأنه الرب، الابن الوحيد المولود من الآب الواحد، وأن ما رآه هو علامة الخلود، فوطن قسطنطين نفسه منذ ذلك على قراءة الكتاب المقدس، واتخذ له من قساوسة الرب مستشارين، ومنى بعراض الآمال نفسه، ثم جهزها لملاقاة عدوه ماكسنتيوس.

بهذه الصورة يسوق يوساب قصة اهتداء قسطنطين إلى المسيحية، وعلى منواله ينهج مؤرخو الكنيسة التالون وعلى رأسهم سقراط وسوزومين.

الى تمى قاصدا نفى اورجانوس، وقطع الاسقف امونه الذى قبله وشق عليه واقام عوضه اسقفا غيره. ولما علم وتحقق انه قبل هذا الخالف وعرف حاله وكذبه اقسم عوضه اسقفا اسمه فلاوس وكان رجلا خايفا من الله مومنا، فقال ما اجلس على الكرسى وامونه بالحياه فلما مات امونه جلس الاسقف فلاوس المذكور واستشهد بعد ذلك بزمان ومضى الى الرب بسلام.

ومضى اورجانوس الممنوع الى مدينة قيساريه

دخل قسطنطين دخول الظافر روما، فرفعه الشعب والسناتو الى عليين، فأمر فى الحال أن يوضع فى يد تمثاله صليبا لالآم المخلص تذكارا، ونقش على قاعدته «بهذه العقيدة المقتدرة، رمز الشجاعة الخالصة، أنقذت مدينتكم، ومن نير الطاغية فككت عقلها، وحررت السناتو وشعب روما وأعدتهم الى قديم مجدهم وشرفهم».

بهذا السلوك أظهر قسطنطين تسامحه مع المسيحين، ولكنه لم يقف عند حد المسامحة بل ذهب ـ بعد دخوله روما مباشرة ـ الى ما هو أبعد من ذلك، فأظل الكنيسة بوارف رحمته، وشملها بعطفه ورعايته، وهذا واضح من رسالة بعث بها فى شتاء عام ٣١٣/٣١٢ الى أنوللينوس Anullinus بروقنصل أفريقيا، يقول:

«أنوللينوس.. عزيزى. تحياتى. نظرا لما كشفت عنه ظروف كثيرة من أنه عندما تزدرى ديانة فيها يكمن أعظم التقدير للقوة السماوية المقدسة. يتعرض الصالح العام لأفدح الأخطار، على حين ينعم بالخير والرخاء الاسم الرومانى وكل مصالح بنى البشر، تهديهما رحمة الرب اذا ما حظيت بالاحياء والحماية ذات العبادة، فقد تقرر يا عزيزى أن ينال أولئك الذين يقدمون خدماتهم بالقداسة الواجبة وبمراعاة هذا القانون، متبعين هذه الديانة الالهية، تعويضا عن هذه الخدمات، ويسرنى أن يعفى تماما من أداء الواجبات العامة، أعضاء الكنيسة الجامعة التى يرأسها كايكليانوس Caecilianus والمدعوون رجال الدين، القائمون بخدمة هذه الديانة

فلسطين وصار يقدس هناك اسقفا، فكتب الاب ديمتريوس الى الاكسندرس اسقف يروشليم يقول له: ما سمعنا سابقا مارقا يعلم في موضع فيه اساقفه قيام . ويعتب على اسقف قيساريه المسمى باودكتس ويلومه عنده ويصعب عليه الامر، ويقول: ما ظننت ان هذا يكون فى قيساريه على هذا الاسقف، وقد وجدنا فى كتب هذا اورجانوس يقول ان الابن مخلوق والروح القدس. فقرا اسقف قيساريه كتاب الاب ديمتريوس فى البيعه

المقدسة، المقيمون فى دائرة ولايتك، حتى لا تلهيهم عن خدمة الرب خطية، أو يصرفهم دنس، ولشرائعهم بلا أى عائق يجب أن يكرسوا أنفسهم. فكم مس خير تفيده الدولة حالما للاله قدم هؤلاء خالص العبادة. صحبتك السلامة عزيزى المحبوب أنوللينوس».

بهذا القول أعتق قسطنطين رجال الاكليروس من ربقة الواجبات العامة التى كانت تمثل عبنا ثقيلا ناءت به كواهل سراة القوم فى الامبراطورية، وكانت تلك من جانب قسطنطين خطوة موفقة بارعة سبح له وبحمده نتيجة لها رجال الكنيسة، وصرفهم بها عن المشاركة فى شئون الدولة، وكف أيديهم بصورة لبقة عن التدخل فى أمور ولاية تعد آنئذ من أهم الولايات بالنسبة له من الناحية الاقتصادية، وحثهم على نحو لا يدع مجالا للشك أن ينصرفوا الى ممارسة شعائرهم وطقوسهم، ولا يعوقهم عن توقير ربهم عائق

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فاذا كان قسطنطين قد حرر رجال الاكليروس من عبء صدورهم به ضاقت، وهيأ لهم الفرصة الاجبارية لممارسة طقوسهم والشعائر، الا أن هؤلاء كانوا يتطلعون فى حسرة إلى دور عبادتهم وملحقاتها التى نقلتها عاصفة الاضطهاد الى أيدى أفراد أخر. ولم يغب عن فطنة قسطنطين حيرة تلك العيون وتطلعاتها، فكانت أوامره لنائبه بأن يرد على الكنيسة ما كان قبل الزوبعة لها حقا. قال:

«سلاما عزيزى أنوللينوس.. ان طبيعتنا التى جبلت على حب الخير أيها العزيز تأبى الا أن

لان اسقف يروشليم انفذه اليه فقطع اورجانوس واخرجه من كرسى قيساريه، فعاد بقله حيا الى اسكندريه.

ولما تغيرت ملوك روميه [روما] وانطاكيه وبطاركتها، وصار على انطاكيه بطرك اسمه فيلبس، وظهر فى ايامه رجل مخالف كتب كتبا برانيه. ومات فيلبس فسار عوضه على انطاكيه بطرك اسمه زاينوس فامر ان لا تقرا كتب هذا المخالف ولا كتب اورجانوس الذى نفى من

ترد على الآخرين حقوقهم، لذا فمقصدنا حالما تصلك هذه الرسالة أن تقوم على التو تعيد الى الكنيسة المسيحية الجامعة كل ما كان ملكا لها وهو الآن فى حوزة المواطنين أو غيرهم، حيث قررنا أن تعود تلك الأشياء الى أصحابها. ولما كانت فطنتك تدرك مدى وضوح سياق أمرنا فأعد الى الكنائس كل ما كان فى السابق لها ملكا، حدائق ودورا وأملاكا، حتى نعلم انك قد وضعت أمرى هذا موضع الطاعة والتنفيذ بكل حرص. ولتنعم بالسلامة أيها العزيز المحبوب أنوللينوس.

وهكذا ثنى قسطنطين خطوته الأولى، ولكن بقى شىء كان على الامبراطور حتما أن يفعله ليأسر بجميل فضله الكنيسة ورجالاتها ورعاياها، ذلك أن يهب الكنيسة ما حرمت منه سنين عددا، وهو عطف الدولة عيها عطفا واقعيا لا يقتصر على الناحية المعنوية بمنع الاضطهاد، بل يمتد للناحية المادية بالمساهمة فى رفع القواعد من بيوت العبادة لهؤلاء المسيحيين، وكان ذلك فى حد ذاته شينا يبهر أعين جماعة لم تحظ من الدولة قبلا الا بأوامر تهدم كنائسها، وتصادر أملاكها وتضطهد أفرادها، فاذا بقسطنطين يحرر الأنفس، ويعيد الأملاك، ثم ينعم بالاموال، فكيف للكنيسة بعد أن ترفع للدولة رأسها متمردة ثائرة؟! وكيف لا تسبح بحمد مبعوث العناية الالهية على الأرض وفى هذا المجال تلقى أسقف قرطاجة Carthage رسالة من الامبراطور جاء فيها:

اسكندريه، لان كتبه اشتهرت. وقال من يحب ان
يقرا الكتب فليقرا الكتب التى هذه اسماها:
الكتب العتيقه خمسة اسفار التوراه، كتاب يوشع
بن نون، سفر القضاه كتاب روث المواببيه، اسفار
الملوك البرالوبومانون، كتاب عزرا، مزامير داود
النبى، كتاب حكمه سليمان، كتاب اشعيا، كتاب
ارميا، كتاب حزقيال، كتاب دانيال، كتاب ايوب،
كتاب استر، كتاب صمويل، كتاب شربيت، كتاب
الاثنى عشر انبيا الصغار، انجيل متى كتبه بالعبرانى

«قسطنطين أوغسطس الى كايكيليانوس أسقف قرطاجة.. لما كنا قد قررنا أن نخصص فى كل ولايات أفريقيا ونوميديا وموريتانيا منحا يستعين بها على سد نفقات خدام الكنيسة الكاثوليكية، لذا سطرت الى أورسوس Ursus مأمور الحسابات فى أفريقيا أمره أن يدفع الى فطنتكم ثلاثة آلاف فلس... وإذا تبين لك أن عجزا هناك يحول ورغبتنا فى هذا الخصوص تجاه الجميع، فاطلب وبلا تردد من هراكليدس وكيل أملاكنا، ما أنت اليه فى حاجة، فقد أمرت شخصه أن يقدم دون تأخير أى مبلغ يطلبه جنابكم».

سلوك هذه مرآته حقيق أن يضع فى قبضة قسطنطين ولاء طائفة من الناس ذات نفوذ على جموع رعايا المسيحيين، وكان سيد الغرب فى تلك الآونة أشد ما يكون حاجة لمثل هذا الولاء، والى أن يأتلف قلوب الأهلين فى تلك المنطقة التى كانت قبلا تحت سيادة ماكسنتيوس واقعا، ومن أملاك ليكين قانونا. أما وقد نال الأول هزيمة فلابد أن تقع هذه الأقاليم وغيرها تحت سطوة المنتصر وتدخل ضمن دائرة نفوذه بمنطق القوة والغصب. أما ليكين صاحب الحق الشرعى فما عليه أمام هذا المنطق الا أن يوجه نشاطه نحو ناحية ثانية فى الشرق يطبق عليها الشريعة ذاتها. ومن ثم كان على السيد الجديد قسطنطين أن يقدم على مذبح الولاء قربانا. ولنا أن نتصور ما شاء لنا التصور ذلك الأثر النفسى الذى يحدثه انتشال جماعة، قاست صنوف العذاب ألوانا طيلة قرون ثلاثة، من غيابة الاضطهاد، ثم رد اليها ما كان لها، والاغداق عليها

في ورق طومار وهو في قيساريه عند انسان و ذريته
يحفظونه جيلا بعد جيل وفسر بالرومي[اللاتينية]،
ونقل الى كل اللغات بتقوة السيد المسيح، انجيل
مرقس كتبه بالرومي. وكان بطرس ريس الرسل
هناك، وقرى في مجمع الملوك ايضا، انجيل لوقا
تلميذ بولس كتبه باليوناني في انطاكيه. انجيل
يوحنا بن زبدى، سالوه التلاميذ بعد كبره سوالا
كتيرا الى ان كتبه باليوناني في افسس. كتاب
اخبار الرسل والتلاميذ وهو كتاب الابركس. كتاب

من جانب امبراطور كان أسلافه الذين قذفوا بها فيها. وكان قسطنطين بارع الدعائية، فقد احتزت رأس ماكسنتيوس وطيف بها ولاية أفريقيا تعلن جهارا نهاية عصر «الطاغية» في روما، وتومىء ضمنا أن ذلك جزاء من يقاوم السيد الجديد، وفي الناحية الأخرى اعفاءات تمنح وهبات تغدق.

ويلفت النظر في رسائل قسطنطين إلى أنوللينوس وكايكيليانوس قوله «الكنيسة الجامعة»، تلك العبارة التي ترددت دوما في تلك الرسائل، ثم يزيد الأمر وضوحا عندما يحدد ما يعنيه بهذه الكنيسة من أنها تلك «التي يرأسها كايكيليانوس، وقد دفع قسطنطين إلى هذا التحديد ما يذكره هو نفسه في رسالته الى أسقف قرطاجة كايكليانوس يقول: «لما كانت مسامعي قد صكتها أنباء تردد أن بعض ذوى العقول السقيمة يتحايلون لصرف الجموع عن الكنيسة المقدسة الجامعة بخزى المزاعم ودنسها» ـ وهو يشير ها هنا الى الدوناتيين ولنا بالطبع أن نتساءل عن المصدر الذى وجه قسطنطين الى تخصيص رعايا «الكنيسة المقدسة الجامعة» بالذات دون أتباع دوناتوس؟

جاء في رسالة الامبراطور السالفة الى أسقف قرطاجة: «متى تسلمت المبلغ المشار اليه، فاني أرى أن يوزع على جميع المذكورين أعلاه وفقا للقائمة التي بعث اليك بها هو سيوس Hosius. ونعلم من سقراط أن هوسيوس هذا كان أسقفا لقرطبة، وأنه كان عندئذ مستشار

رسايل بولس المنتخب وهواربع عشر رساله. كتاب القتاليقون. كتاب جليان يوحنا الانجيلى وهو الابوغالمسيس. كتاب الدسقليه وهو تعليم الرسل وقوانين البيعه التى كتبوها قبل افتراقهم للبشاره. هذه الكتب التى سلمت للبيعه الجامعه الرسوليه. وبعده كتب الاباء المعلمين التى وضعوها بتلقين روح القدس وهى الميامر وغيرها لم يزيدو عليها ولم ينقصو منها. فاما ما كتبه اورجانوس المخالف فهو مرذول من الله وليس فى كتبه شى مكتوب بالروح القدس، كما قال بولس الرسول: انا لم

قسطنطين للشئون الدينية، ومجيء أسمه هنا دليل على أنه كان فى معية قسطنطين على أقل تقدير قبل معركة القنطرة الملفية. ويذكر بوركهارت أن هوسيوس كان ذا دور كبير فى استمالة الامبراطور الى جانب المسيحيين بداءة. ومهما يكن من أمر فسنجد هوسيوس ناصحا لقسطنطين، متحركا نشطا فى الاحداث التى وقعت بعد ذلك خاصة فى مسألة الصراع الآريوسى، وسيظل كذلك الى أن يفقد مكانته عندما يهوى الآريوسيين فؤاد الامبراطور قسطنطيوس من بعد.

وربما كان اختيار قسطنطين لهوسيوس بالذات مستشارا دينيا راجعا الى أن كنيسة قرطبة لم تكن على درجة من الشهرة فى الأوساط المسيحية الغربية كبيرة، ولما كان قسطنطين يكره أن يكون لأحد ما أى سيطرة عليه فى توجيه دفة مختلف شئونه، ويخشى اذا استعان بأسقف كنيسة ذات مكانة مرموقة أن يستغل هذه الفرصة للتدخل فى سياسات قسطنطين، كان «هوسيوس» المغمور هو خير من يحقق لقسطنطين حب الانفراد بالسلطان وبلا منازع، ودليلنا على ذلك أنه كانت فى الغرب أسقفيات ذات شهرة ومركز ممتاز، لكنه أغفل أساقفتها، بل تغاضى عن أن يجعل أسقف روما هاديه حتى بعد دخوله روما، وظل مبقيا على هوسييوس يستشيره الرأى فى المسائل الكنسية والدينية التى عرضت له الفترة طويلة من عهده، وكان

---

١٢ : ديمتريوس ١٨٩/٢٣١م

ناخذ روحا من هذا العالم بل الروح الذى اعطيناه من الله.

واما الاب الجليل ديمتريوس فاقام تلت واربعين سنه وتنيح كما ذكرنا.

السيره الخامسه من سير البيعه المقدسه

ياروكلا البطرك(*)

وهو من العدد التالت عشر

٢٣١ / ٢٤٧م

كـان هذا الاب فى زمـان ديمتـريوس البطرك

(*) ياروكـلا: وهو أول من أطلق عليه لقب بابا، فيذكر القمص حنا سلامه فى كتاابه «اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة» هامش ص ٣٤١ مايلى: «قال سعيد بن بطريق وهو أوتيخا البطرك ٦٨

أولها كما رأينا ما يختص بقصر هبات الامبراطور على الكنيسة الكاثوليكية فقط دون أتباع دوناتوس.

بهذا الاعتراف الحكومى غدت المسيحية والديانات الأخرى داخل الامبراطورية على قدم المساواة، إن لم تفضل عليها، وأضحت دينا شرعيا وآن لها بعد ثلاثة قرون أن تتنسم عبير الحرية، وساد الكنيسة سلام طالما اليه تاقت، وقد هللت الكنيسة لهذه الفترة الجديدة التى توشك شمسها أن تبزغ، ولا أدل على ذلك مما عبر به يوساب عن هذه الفرحة التى تملكت نفوس المسيحيين آنئذ بقوله:

«أخيرا.. أشرق نهار صحو جميل لا يعكر صفوه غمام، وبأشعة نور سماوى أضاء فى العالم كنائس المسيح، وحتى أولئك الذين ليسوا من جماعتنا لم يحرموا من نعمة البركات، أو على الأقل من الانتفاع بمزاياها والتمتع بجزء من النعم التى أغدقها الرب علينا».

ويضيف يوساب ان الامبراطور خط بيمينه رسالة الى سكان الامبراطورية جمعاء يدين فيها الديانات السابقة ويمجد المسيحية، أورد فيها تقريرا عن الأخطاء الناجمة عن القول بتعدد الآلهة أو الشرك بالله، وبدأها بمقدمة عن الفضيلة والرذيلة.

وتنتاب قسطنطين من الحماس فورة فيكتب الى ملك فارس رسالة يردد فى صدرها من

معلما فى البيعه يتمجد بعلوم الله، وكان برمليانوس اسقف قيساريه كبادوكيه قد وجد اورجانوس قد اختلط هناك باليهود واقام معهم زمانا، وكان الاكسندرس قد ملك روميه تلت عشره سنه ملك بعده مكسيموس قيصر، فاقام على مقدمى البيعه خاصه اضطهادا كتيرا لانهم المعلمون لبنى المعموديه. واستشهد فى ايامه كتير [منهم]. ومات مكسيموس وملك كرديانوس بروميه، وكان بطركها بنطيوس اقام ست سنين ومات، وصار بعده

للملكانيين بالاسكندرية [٩٣٣ - ٩٤٠م] فى تاريخ المطبوع سنة ١٦٦١م: ان «لفظ بابا مركب من «أب أباء»، ثم تطورت إلى أبابا» وخففت بلفظ «بابا» ... وكان القبط هم الذين بدأوا بتلقيب بطاركتهم بالبابوات حيث أطلقوا لفظ بابا على الانبا يا روكلا».

ويذهب رأى آخر إلى أن كلمة «بابا» مأخوذة من ا لكلمة اليونانية «باباس» ومعناها الأب.

- -

جديد أنغام فضله على المسيحيين وما نالهم تحت حكمه من جم الفوائد وأعظمها، فيفتتحها قائلا:

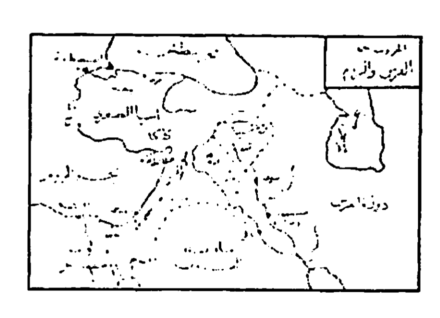
«انى كما تبرهن أعمالى أعترف بأقدس عقيدة، فهذه العبادة ذاتها تقودنى الى معرفة الرب القدوس، الذى بعونه وقوته أنهضت من الرقاد من أقاصى المحيط، كل أمة فى هذا العالم لتلمح الأمل فى الأمان، وعليه فان كل أولئك الذين يئنون تحت وطأة العبودية ويقاسون أعظم الويلات لأشد الطغاة قسوة، قد بعثوا من جديد بفضل حكمى وارسائى قواعد أسعد دولة».

ولكن الرسالة تضمر غير هذا المعنى معانى أخرى:

«هذا الرب.. وأنا على ركبتى جاث، اياه استعيذ من هول دماء تلك الأضحيات، واليه أبتهل أن يبدد رائحتها الكريهة المقيتة، ويطهر من الأراضى كل نار شيطانية، وما ذلك الا لأن هذه الشعوذات الدنسة الرجسة بشعائرها المستهجنة، قد أوردت جل لا بل كل أمم العالم الوثنى ورد الهلاك. فرب الكل السيد، وهبها البركات، ومن ثم لا يرضى جلاله ولا يسمح لقلة تعبث بها وتنحرف ارضاء لخاص الشهوات. وليس للرب على الانسان الا نقاوة عقل، واستقامة روح، وهو بهذا المعيار يزن صالح الأعمال وفاضلها، فمسرة الله لكياسة من البشر واعتدال. يحب الحليم ويبغض اللئيم.. يبتهج للايمان ومن الكفر يقتص. يهوى بجبروته كل عات، ومن

١٣ : ياروكلا ٢٣١/٢٤٧م م

انتـارس بطركـا اقـام شـهـرا واحـدا وطلبـوا منه من يوسمـونه عـوضا منه، فـوجدو انسانا فى الغيط قد عمل اعجوبه ظهرت له وحلت عليه روح القدس كالحمامه فاخذوه و جعلوه بطركا لروميه.



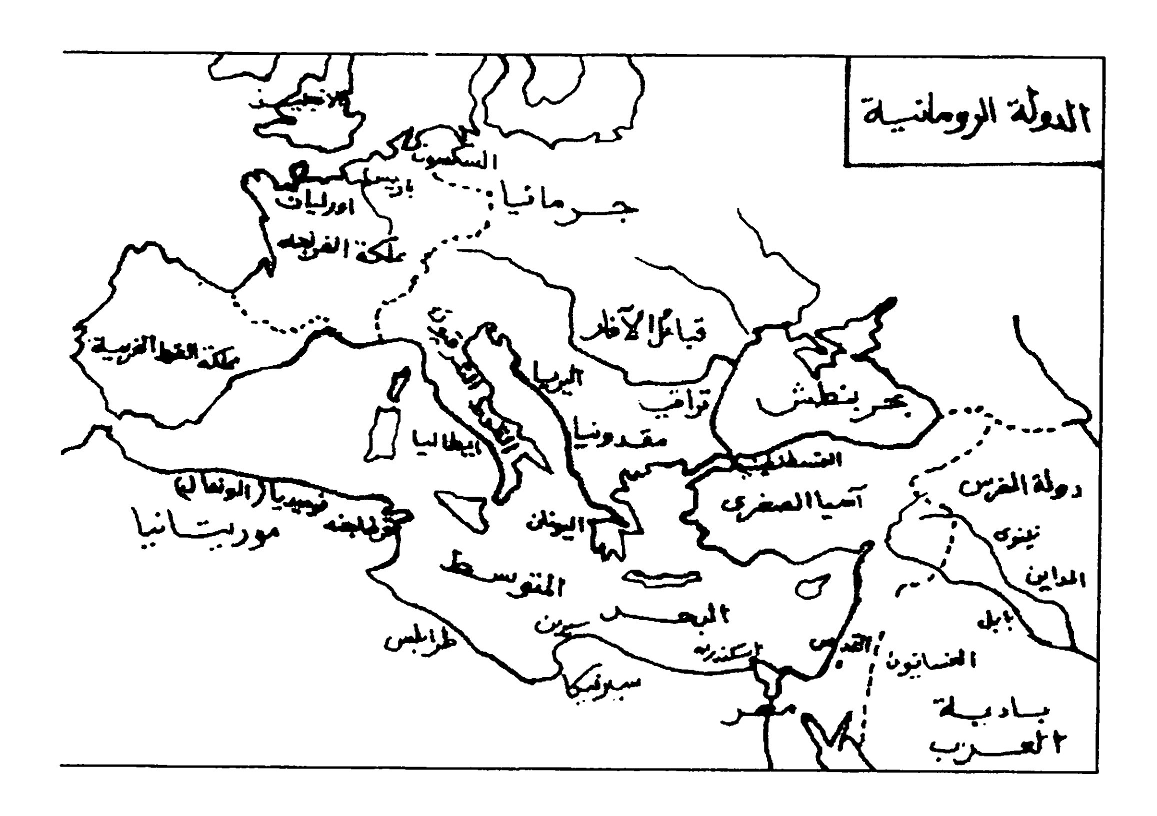
وتنيح زاوينوس بانطاكـيـه وجـعل فـيـهـا بعـده واويلاس وجـعل ياروكـلا بطركـا لاسكندريه بعـد ديمتريوس، وكـان مسـتحقا لخدمة الهيكل، وجعل النظر فى الاحكام باسكندريه الى ديونوسـيـوس وفوض اليه جميع امور بطركيته، وكـان هذا من

صلف كل متكبر ينتقم. وفي الدرك الأسـفل يطيح بكل متعجرف غطريس، ولكنه يجزى المتضع، وبما استحق من جزاء يثيب، وبمثل هذا يمد الرب عـونه لمملكة بالعدل قـائمـة، ويدعـمـهـا ومليكها بسكينة السـلام... وبعد يا أخي.. فـانا على يقين بأنى غيـر مـخطىء في اعترافى بهذا الاله الواحد. المبد ع، الآب لكل الاشياء، الذى جافاه كثير من أسلافى، مقودين بجنون الخطيئة، مما جر عليهم رادع العقاب حتى راح ما تلاهم من آجيال يتندر بما حل بهم تحذيرا لمن تداعبه الرغبة فى سلوك الدرب، ومن عداد هؤلاء واحد حدت به صاعقة العذاب فراح من هنا طريدا، وكانت أراضيكم له المنفى والمصير. وكان العار الذى لحق بسمعته مدعاة لذيوع صيت انتصاركم[1] وانها لمن اليقين مناسبة طيبة حيث أضحى الانتقام الذى حل بكل أولئك ـ على النحو الذى أوضحت ـ بينا للجميع فى عصرنا، ذلك أنى قد عاينت نهاية أولئك الذين، بكافر مراسيمهم، ناكدوا عباد الرب. وبهذه النهاية وجب تقديم الشكران لله. فبعونه الفياض سعد بشر يرعون ناموسه المقدس بعد أن عاد من جديد هناء السلام. وعليه فـانى لموقن بأن الأمـور كـافـة قـد اتخـذت الوضع الأفـضـل الآمن. فـاذا مـا اتقى الناس وآمنوا وتمسكوا بناموس الرب ولم يتفرقوا، يقدسون ذاته، تعطف الرب فآواهم الى رحابه».

---

(١) يشير قسطنطين هنا الى ما كان من أمر هزيمة الامبراطور الرومانى فاليريان (٢٥٧ ـ ٢٦٠) على يد الفرس وأسره.

جنس جليل ومعلما مقدما وربى باسكندريه، وكان السبب في دعوته ودخوله في الامانه الارتدكسيه ما يأتي شرحه: كان هذا ديونوسيوس رجلا يعبد الاوثان على رأى الصابئه مقدما فيها وكان حكيما، فبينما هو جالس في بعض الايام اذا عبرت به عجوز ارمله ومعها كراسه مكتوبه من رسايل بولس الرسول، فقالت له: تشترى منى هذه. فاخذها وتأملها فاعجبته ووقعت منه موقعا عظيما وحلت من قبله محلا جليلا، ولما فهمها اعجب بها جدا



١٣: ياروكلا ٢٣١/٢٤٧م م

وفـرح بهـا فـرحـا شـديدا. ثم قـال للعـجـوز: كم تطلبين فيهـا. فقالت له: قيـراط ذهب. فـدفع لهـا تلت قراريط وقال لها: امضي وفتشي الموضع الذى وجدت هذه الكراسه فيه فمهما وجدتيه ايتيني به وانا ادفع لك اوفي من تمنه. فـمـضت العـجـوز وعادت اليه بتلت كراريس فاخذها منها ودفع لها تسعه قراريط وقراها فعلم ان قد بقى من الكتاب شي اخر فقال لها : ان وجدت بقيه هذا الكتاب دفعت لك ستة الدنانير. فقالت له العجوز لما رأت

بهـذا الترديد فى رسـالته يقدم قـسطنطين لشيء واحـد يريد قـوله منذ البـدء، ذلك هو حث سـابور الثـانى Sapor II على أن يرفع عن كواهل المسيحيين فى مملكته نير الاضطهاد، ولم يكن قسطنطين ليذكر ذلك جملة فى رسالة مقتضبة تحمل معنى عرف الساسة، ولكنه بعث بهذه الرسالة المسهبة منصبا من نفسه داعية ايمان يعظ أمام المذبح جموعا!!.

لقد كان فى مقدور الامبراطور الرومانى أن يهيب بالملك الفارسى انصاف عباد الاله الواحد بداءة وينتهى. ولكنه آثر أن يأتى بما يبتغى فى ختام رسـالته، واذا جاز لنا أن نسـبر غور نفس الامبراطور لرأيناه عمد الى ذلك قصدا مقصودا. فهو يعلم يقينا أن سابور لا يدين بذلك الاله الواحد الذى ملأ قسطنطين الدنيا ضجيجا من أنه بعبادته قائم، ولا يرتاب فى أن ما امتلأ به رسالته من ابتهالات لهذا الرب وضراعة لا تعنى البتة شيئا لدى هذا الملك التنوى، وأن صراخ قسطنطين حول صحة اعترافه بمبدع كل الأشياء لا تهم سيد فارس من قريب أو بعيد. رغم علمـه بكل ذلك، الا أنه ذكـره مقـرنا اياه بصـور أخـرى مـضـادة عن أولئك الأسـلاف الذين ناهضـوا هذه العبـادة وآذوا ناسـهـا، ولا تكاد فقرة من الرسـالة تخلو من تصوير غضب سيد الجميع. وكم من أمة وثنية عصفت بها يد القادر، وكم من متجبر طاغية أطاحت به قوة العلى. وكأن قسطنطين أراد بذلك أن يضع أمام أعين الملك الفارسى صورة لما يمكن أن تصبح عليه مملكته وعليه هو يمسى، طالما أنه لا يؤمن بالواحد، وطالما كان يضطهد عباده. أما قسطنطين فالرب على الدوام آخذ بيده، ويبارك خطاه، وينصره على أعدائه أعداء الرب، لأنه

امانته واجتهاده وعلمت انه قد قبل نعمة الروح القدس عند قراته الكراريس: لا تتعب نفسك امض الى البيعه واطلب الكتاب مكملا من الكهنه فهم يدفعونه لك تقراه، وانما انا وجدت هذه الكراريس فى كتب ابائى وكانوا قراء ومزمرين. فقال لها: واهل البيعه يؤمنونى على هذا الكتاب. قالت له: نعم ما يمنعون احدا من علم اذا طلبه بل يدفعون لكل من طلبه مجانا. فمضى الى اوغسطس احد خدام البيعه فدفع له رسايل بولس كامله فقراها

يسلك سبل دينه، ويهتدى بنور شرعه. والا فبماذا نعلل كل هذا السياق اذا لم يكن قسطنطين قد قصد الى ذلك فعلا؟.

ومهما يكن من أمر فقد أحدثت الرسالة رد فعل عنيفا فى الأوساط الفارسية، وساورت الشكوك الملك الفارسى فى نيات امبراطور الرومان وولاء هذه الطائفة من رعاياه معتبرا اياهم صنائع عدوه وربما يعود ذلك لما نمى الى علم الامبراطور من خاصته بأن كل المسيحيين فى مملكته يمثلون حزبا مؤيدا للامبراطورية الرومانية، وأن أسقف سلوقية Seleucia يرسل الى القسطنطينية أخبارا عن كل ما يحدث فى فارس ولعله مما يرجح هذا القول ما جاء فى رسالة قسطنطين سالفة الذكر الى سابور حيث يقول: «انه لفى روعى والسرور يملأنى، بعد أن اتتنى أنباء سارة تتناغم ورغبتنا، أن أكثر بقاع فارس تزخر بأولئك الرجال الذين من أجلهم أتحدث اليكم الآن.. أعنى المسيحيين». وهكذا اذكت رسائل قسطنطين الريبة والشك فى نفس الملك الفارسى الذى هاله انتشار المسيحية بين رعاياه وخاصة فى بابل وسلوقية وجندنسابور وآشور وغيرها فأنزل بهم اضطهادات واسعة النطاق ثلاث مرات فى سنوات ٣١٧، ٣٢٩، ٢٣٠، واستمر الاضطهاد الأخير أربعين عاما . وعقد فى سنة ٣٢٥ مجمعا زرادشتيا يضم كهنة الدين الفارسى أقر فيه نصا رسميا نهائيا لكتاب الأفستا.

وزاد فى خوف الملك الفارسى أن تيريداتس الثالث Tiridates III (٢٦١ ـ ٢١٧) ملك أرمينيا، الذى أعاده دقلديانوس الى عرشه، قد تحول فى مطلع القرن الرابع الى المسيحية،

وحفظها من قوة ذكاه، ومضى الى ديمتريوس المتنيح وطلب منه الميلاد التانى(*)، فقبله وعمده واعطاه النعمه وصار ملازما له مقيما فى البيعه. وبعد ان كان معلما للصابئه الوثنيين صار معلما فى البيعه، وصار له تلاميذ كتير. وعوض تعليمه الاول واخذه الاجره الفانيه. نقله الرب الى الكرسى العظيم بعد ذلك عوضا من تعبه وجعل بيته بيعه الى الان مسماه باسمه، وكان اسما تلاميذه تاودورس واغريغوريوس واثنادورس هولا كان

(*) الميلاد الثانى: أى تعميده وقبوله فى الديانة المسيحية.

وفرض بحماس جارف عقيدته الجديدة على رعيته. مما أدى بالتالى الى حدوث التباعد والنفور بينه وبين مملكة الساسانيين، ومن ثم لم يدخر قسطنطين وسعا فى تعضيد هذا الشريك المسيحى واحياء التحالف القديم ثانية. ولا شك أن ذلك كان يشكل خطورة ليست بالقليلة على الملك الفارسى ودولته. وهكذا تطورت الخصومة بين سابور الثانى وزميله الرومانى مما دفع الملك الفارسى الى القبض على تيجرانس Tigranes ملك أرمينيا المسيحى واحتلال بلاده، فاستنجد الحزب الموالى للرومان والمسيحية بقسطنطين وعرض عليه المملكة، فقبل على الفور وتوج عليها هانيباليان Hannibalianus ملكا، وكان هذا بالطبع يعنى الحرب مع فارس، ولم يؤخر انفجارها الا موت قسطنطين.

لم يقف عون قسطنطين للمسيحية عند حد الدعم المادى بصورة المختلفة، والتأييد المعنوى البادى فى رسائله العديدة، بل تخطاه الى حيز الواقع العملى، أعنى اقامة دور العبادة، فينبئنا يوساب أن الامبراطور بعد ارفضاض مجمع نيقية سنة ٣٢٥ نذر نفسه لعمل جديد فى خدمة المسيحية فى منطقة فلسطين بالذات، وكان هذا العمل هو انشاء كنيسة فى الموضع الذى «قام فيه المسيح ثانية من بين الأموات». بصورة تليق بالمخلص، واقامتها بصورة تبز بها سائر كنائس العالم المسيحى المعروف آنذاك فى جمال عمارتها. ويضيف يوساب أن الامبراطور زين هذه الكنيسة بما لا يمكن وصفه من الذهب والفضة والأحجار الكريمة. وقام الامبراطور أيضا بانشاء كنيستين آخريتين فى بيت لحم وفوق جبل الزيتون وزارت هيلينا Helena أم الامبراطور،

علمهم الحكمه البرانيه اولا ثم عند تعميده وتقدمه نقلهم الى الحكمه البيعيه حتى انهم امتلوا من نعمة روح القدس، واقامو معه خمس سنين بعد تقدمته، ثم نالو رتبه الكهنوت. وكان له تلميذ اخر اسمه افريكنوس كتب خمسه كتب [من كتب الصابئة] وتعب فيها، فلما سمع بحكمه ياروكلا البطرك مضى الى اسكندريه ليتعلم منه، وكان ديونوسيوس يقول له اعلم ان كل دابه تاكل البرونيا(*) لا تنفع بها ولا تنجح، وكل انسان لا

(*) البرونيا: الطعام الجسدى وليس الروحى.

الشرق لتسير فى نفس الطريق التى سار فيها المسيح يحتمل الصعاب والآلام، ولتشرف بنفسها على تشييد وتزيين هاتين الكنيستين. وحظيت مناطق أخرى عديدة بما نالته فلسطين، وخاصة نيقوميديا وأنطاكية. ويذكر يوساب أيضا أن الامبراطور قام فى سنى حكمه الأخيرة بانشاء كنيسة الرسل فى القسطنطينية، ويعطينا وصفا دقيقا لفخامة هذه الكنيسة وعظمتها.

وفى الناحية الأخرى أقدم قسطنطين على هدم عدد من معابد الديانات المخالفة مثل معبد أسكليبيوس Asclepius فى ايجى بكيليكيا Aegae (cilicia) ومعبدى Apheca و Hiliopolis فى فينيقيا Uhoenicia وأقتلع أبوابها وأسقط أسقفها وامتدت يداه فيما وراء ذلك لتنزع عنها ما زانها قبلا من نفائس وآيات فنية رائعة. ويعلق جونز على ذلك بقوله ان قسطنطين استغل ما انتزعه من الذهب والفضة من تلك المعابد فى اصلاحه النقدى. كما صادر ضياع هذه المعابد.

وفى نفس الوقت من باب توكيد سلطاته الدينية أصدر قسطنطين مرسومين ضد بعض الفرق المسيحية، التى تنعتها الكنيسة بالهرطقة، مخافة الانقسام فى الدولة. وقد جاء فى المرسوم الأول:

«على رنين هذا انتبهوا الآن معاشر النوفاتيين Novatians والفالنتينيين Valentinians والماركيونيين Marcionites والبيالصة Paulians انتم أيها البلهاء Cataphrygians وجميعكم يا من تعضدون الهراطقة ولهم تخططون فى اجتماعاتكم السرية. انتبهوا الى أنكم

ياكل الطعام الروحانى فهو هالك. وقد كنت انا مشغولا بالطعام الفانى وغافلا عن خبز الحياه الباقى حتى هدانى الرب واستجذب التلميذ بهذا الكلام الى التعليم السماوى، حتى ان من فضله عرف صحة النسبتين فى انجيل متى ولوقا، ولم يجد فيها خلفا بالجملة. واقام يارو كلا(*) تلت عشرة سنه وتنيح فى اليوم التامن من كيهك ولحق باباه.

(*) انظر قصة انقاذ اورجانوس له من الاعدام ص٢٠٢ فى الجزء السفلى منها.

- -

بنسيج زيف وغرور، وسام الضلالة ومهلكها، تحيكون عقيدتكم. من أجل ذلك، وبكم تصاب بالداء كل روح طيب، ويمسى الحى فريسة هلاك مقيم، يا كارهى الحق. يا أعداء الحياة. يا أحلاف الخراب. ان آراءكم كلها للحقيقة ضد، تنضح بالخسة، تغص بالسخافات والأوهام. بها تصوغون النفاق، وتجيرون على البرىء وتحجبون الضياء عن ذوى الايمان. بآثامكم دوما تحت قناع التقوى. تملأون بالدنس كل شيء، وتنفذون بعميق الجراح فى تقى الضمائر، وتسلبون من أعين البشر ضياء النهار. ولكن مالى أطيل؟ ان الحديث عن جرمكم يتطلب من الوقت والفراغ مزيدا عما أعطيه. فكم هى مفعمة قائمة خطاياكم وكم هى شنيعة مقيتة.. يقصر عن سردها يوم، وكم يحسن بالمرء أن يصم الآذان عنها ويغمض العيون لئلا تضار بالخوض فى هذه الآثام نضارة مؤمن حسن الطوية. انى لأسائل نفسى.. علام الصبر اذن على شر مستطير، خاصة ان هذا الحلم تسبب فى أن يتسخ بعض الأصحاء بهذا الداء الوبيل. لم اذن لا يجتث من الجذور هذا الخبث؟ وما ذلك الا بأن نعلن على الملأ الاستياء».

ثم أردف مرسومه هذا بآخر يقرر فيه ما سبق أن حذر به فى السابق يقول:

«أما وقد ضاق الصدر عن تحمل ويل ضلالكم، فانا بهذا المرسوم نحرم عليكم الآن وبعد الآن عقد أى اجتماع. وبهذا أصدرنا أوامرنا.. نخرجكم من ديار جمعتكم، وامتدت ارادتنا لتبسط الحرمان أيضا على مقابلات لكم فى السر والعلن بالخزعبلات طفحت والخرافة. فلتدعوا أذن ذلك النفر منكم، الراغبين فى اعتناق دين الحق، ليسلكوا سبيل الصواب

السيره السادسه من سير البيعه
ديونوسيوس(*) البطرك الحكيم
وهو الرابع عشر من العدد
٢٤٧ / ٢٦٤م

(*) كان من الصابئة ثم آمن بالمسيحية.

اوسم بطركا من بعد ياروكلا وهو الذى تقدم ذكره، وكثرت البيع والمومنون فى ايامه وكانت ممتليه من تعاليم الله علانيه. وفى ذلك الزمان وضعوا قوم مقاله فى اعمال ارابيا بأن النفس

بالانضواء فى الكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معا فى زمالة مقدسة حيث يستاهلون الوصول الى الحقيقة. ومهما يكن من أمر فان هوس فهمكم الأضل لابد وأن يحجم عن أن يشوب أو يعطب غبطة زماننا، نعنى ميلا مزدوجا لدى الهرطقة والمنشقين تعسا ملحدا. فانه من واجب الوفاء بالنعمة، التى بفضل الرب منحنا، أن ندأب لنخرج أولئك الذين عاشوا فى الماضى يحلمون بنعمة المستقبل، من الشذوذ والآثام الى الصراط المستقيم، من الظلمات الى النور، من الضلال الى الحق، من الهلاك الى النجاة، وحتى يصبح هذا الحل ذا شأن أصدرنا أوامرنا ـ كما قيل من قبل ـ بانتزاع بيوتات لقاءاتكم المشعوذة، أقصد دور الصلاة، ان جاز استخدام هذا اللفظ، التى يملكها الهراطقة وبرصدها على الفور للكنيسة الجامعة، ومصادرة أى مواضع لصالح الدولة، ولن يشهد المستقبل لكم أية تسهيلات للقاء. فمن اليوم وبعده لن يسمح لاجتماعاتكم غير الشرعية ان تعقد فى السر أو العلن وليكن ذلك للجميع معلوما.

وأول ما نسجله على هذين المرسومين، والثانى منهما بخاصة أنهما يعتبران خروجا على السياسة التى جرى فى ميلانو رسمها سنة ٣١٣، فقد منحت رسالة نيقوميديا المتحدثة باسم سياسة ميلانو «سائر الناس الحرية فى اتباع ما ترضاه من الديانة نفوسهم، وأن لا يحرم أى انسان من حرية الاختيار فى اتباع عقيدة المسيحيين، أو فى اعتناق الديانة التى يراها متناغمة وهواه». ومن ثم فقد تخلى قسطنطين بقراراته هذه عما وعد بانتهاجه ازاء سائر العقائد. بل

تموت مع الجسد وتقوم معه في يوم القيامه، فابعدت البيعه المقدسه هذه المقاله بعد اجتماع مجمع للنظر فيها وظهرت مقاله اخرى مفسوده ثم اضمحلت وبطلت، بمعونه الله تعالى فى مملكة فيلبس الملك الذى اقام سبع سنين وملك بعده داكيوس، وكان بينه وبين فيلبس الملك عداوة عظيمه، فاقام على البيعه بلايا كثيره. واستشهد فاويانوس البطرك وصار كرنيليوس بطركا عوضه، وكذلك الاكسندروس بطرك اورشليم اعترف

لقد ذهب الى حد اضطهاد أتباع فرق المسيحيين هذه أو تلك، ومصادرة دور عباداتهم، وهى اجراءات طالما قاسى منها المسيحيون جميعهم قبل ذلك. ولا شك أننا نلحظ هنا تغييرا فى سياسة الدولة تجاه المسيحية بصفة خاصة. فقد ذكرنا أن الامبراطورية كانت تنظر الى المسيحية بجميع فرقها المختلفة نظرة واحدة كلية، ولم يكن يعنيها أن تنقسم الكنيسة اى عدد من الفرق قليل أو كثير ـ أما الآن وقد أصبحت المسيحية ديانة شرعية فى الدولة، فان أى انقسام فى الرأى بين أولئك الاتباع لابد وأن يضر بالسلطة المركزية للامبراطورية. ومن ثم عول قسطنطين على القضاء على أى مظهر من هذا النوع. وتلك كانت سياسته دوما مع المسيحية(*).

هراطقة وأرثوذكس

تمسك آباء الكنسية الأولون بالسيرة التى تواترت عن تلاميذ المسيح وبإيمانهم الذى كان من إلهام الروح القدس. والرسل هم أول من عقدوا مجمعاً مسكونيّا، أى عالميّا، بمعناه الصحيح، ونجد أخباره فى سفر أعمال الرسل:

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون

(*) انظر: الدولة والكنيسة. د. رأفت عبد الحميد جـ٢.

دفعتين واظهر الامانه قدام المخالفين والقى فى السجن وتنيح فيه بعد ان لقى امور صعبه، وكان فيه من القدس والصبر والجهاد موهبه عظيمه جدا، وسمعوه فى الحبس يعترف ويمجد الى أن تنيح.

وجلس بعده بطرك يسمى ماساوانوس. وبطرك انطاكيه واويلاس اعترف ايضا وحبس وتنيح فى السجن. وجلس بعده فاوياس.

واما ديونوسيوس البطرك فقال: اذكر ما لقيته واشهد الله على. ثم قال: ان داكيوس ملك روميه

بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا... فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية التى نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب».

وللرسل قانون للإيمان ورد فى رسالة تعرف باسم «رسالة الرسل» Epistola Apostolorum، وهى قد كتبت أصلا باللغة اليونانية، وليس لدينا الآن سوى صيغتها الأثيوبية، كما حفظ جزء منها باللغة القبطية وجزء صغير آخر حفظ باللغة اللاتينية. ويكاد معظم الدارسين يجمعون على أن تاريخها يسبق عام ١٥٠م، ورسالة الرسل على هذا هى أقدم نص تاريخى يحدد قوامه الإيمان وأركانه ومن ثم يوضح المفهوم الأول للأرثوذكسية السليمة. ولأهمية هذه النقطة رأينا أن نورد مضمون كل من رسالة الرسل، وقانون الإيمان فى الكنيسة القبطية، وقانون ارينايوس، ثم قانون الإيمان الإفريقى على الترتيب[١].

رسالة الرسل: «أؤمن بإله الأب، وبيسوع المسيح مخلصنا، وبالروح القدوس الباراقليط، وبالكنيسة المقدسة، وبغفران الخطايا».

قانون الإيمان القبطى: «أؤمن بإله واحد الله الأب، وبابنه الوحيد مخلصنا يسوع المسيح، وبالروح القدس معطى الحياة، وبالكنيسة الأرثوذكسية المقدسة، وبالحياة الأبدية».

....

(1) See Badcock, F.J., The History of the Creeds, pt. II.

طلبنى طلبا شديدا وسترنى الله عنه ولم يعرف مكانى، ومن بعد اربعه ايام امرنى الله بالنقله فهربت وتلاميذى وجماعه من الاخوه ومشينا مشيا كثيرا، ولما مضى النهار وقد قربنا من أبو صير اخدونا الجند بعد اربعة ايام فتخلص منهم تيماتوس احد تلاميذى، وعاد الى البيت بعد أن التقى بزارع قال له: ما خبرك فعرفه خبر البطرك وانه أخذ من كان صحبته. ولما أخذوا الجند ديوناسيوس البطرك

قانون ارينايوس: «أؤمن بالله الأب، وبيسوع المسيح ابنه الذى تجسد، ومات، وقام من الأموات، وبالروح القدس، وبغفران الخطايا، وبالحياة الأبدية».

ولا يختلف قانون الإيمان الإفريقى كثيراً عن قانون ارينايوس[1].

والمشاكل العويصة فى اللاهوت المسيحى تدور حول الثالوث (الأب، الابن، الروح القدس) فى القضايا الآتية: هل الابن مساو للأب فى الجوهر؟

هل للابن طبيعة واحدة أم طبيعتان؟

هل الروح القدس إله كامل؟

هل العذراء مريم أم للمسيح فى طبيعته البشرية أم فى طبيعته الإلهية؟

(1) "Credo in Deum Patrem omnipotentem universorum Creatorem,
Credo in Jesum Christum, Filium Eius unicum, Dominum nostrum, qui natum est,
Crucifixus, resurrexit;
Credo in Spiritum Sanctum;
Remissionem peccatorum;
Carnis resurrectionem
Et vitam aeternam per sanctam Ecclesiam".
(Enchiridion Symbolorum Definitionum et Declarationum, Auctore Henrico Denzinger).
See Bibliography.

ركبوه حمارا عاريا، كما حكا عن نفسه، ومشوا تلاميذه.

وكان قد انفذ الى فاويانوس بطرك انطاكيه واعلمه بحال الشهدا الذين استشهدهم دكيوس باسكندريه [وما قاسوا من أنواع العذاب وجميع البلايا الذى صبرو عليها. وفى آخر كتابه قال له أن فى أوان الشدة أنكرو جماعة وعادو إلينا]، وكتب له قصصهم ، حتى أن إنسانا شيخا اسمه مطر

هذه القضايا التى اختلف حولها الأولون وتنازعوا هى التى من أجلها عقدت المجامع المسكونية لمدارستها ولاتخاذ قرارات صار الالتزام بها هو الشرط الأساسى لتحديد الأرثوذكسية. ومن خرج على ما اتفق عليه الآباء فى هذه المجامع دمغ بالهرطقة.

انعقد المجمع المسكونى الأول فى مدينة نيقيا سنة ٣٢٥ برياسة الإمبراطور قسطنطين العظيم لمناقشة تعاليم آريوس القس السكندرى، الذى نادى بأن الابن (المسيح) أقل من الآب فى الجوهر، بل ووضع المسيح بين سائر المخلوقات. حقيقة أنه قال بسمو هذا المخلوق، ولكنه وضعه بين سائر البشر. وبعد نقاش طويل تجلت خلاله مواهب اثنا سيوس السكندرى وقوة حجته رفض المجلس آراء أريوس وأدانها بالهرطقة لأن «ألوهية المسيح هى الأمل الوحيد الذى يربطنا بالله الآب؛ لأنه لا أحد سوى الله وحده بقادر على احتواء المخلوق وضمه فى الخالق. والمسيح على هذا من نفس جوهر الآب، وهو ليس بشبه إله أو مخلوق مميز بل إله حق من إله حق، نور من نور، مولود غير مخلوق قبل كل الدهور، مساو للآب فى الجوهر»[١].

(1) "Credo in unum Dominum. Jesum Christum.
Filium Dei. natum de Deo. Deum de Deo,
Lumen de lumine.
Deum verum de Deo vero.
Natum ante omnia saecula. non factum.."

اخذوه وقالو له تسجد للاصنام فلم يفعل ذلك فضربوه ضربا موجعا وجرحو وجهه ثم اخرجوه خارج المدينه ورجموه حتى تنيح.

وكذلك امرأه مومنه قدموها لتسجد للاصنام فامتنعت فضربوها وعروها وربطو رجليها وجروها على الحجاره حتى تقطع لحمها وجرى دمها على الأرض فى الشوارع وهى تجلد الى أن اخرجوها من المدينه وقتلوها ورموها هناك، وعادو الى بيوت

والى جانب هذه المشكلة اللاهوتية عالج المجمع وسائل تنظيم الكنيسة فرتب القانون السادس الكنائس الرسولية على الوجه الآتى: روما، الإسكندرية، أنطاكية. أما أسقفية أورشليم، التى كانت واقعة تحت إشراف أبروشية قيسارية، فيأتى ترتيبها بعد هذه الكنائس الثلاث سالفة الذكر[1]. وبالطبع لم يرد ذكر بيزنطة فى هذا التنظيم الكنسى لأن مدنية القسطنطنية لم تفتتح إلا بعد مجمع نيقيا بخمسة أعوام لتكون عاصمة للإمبراطورية. ولقد ظلت كنيسة بيزنطة خاضعة ـ كما كانت الحال من قبل ـ لأبروشية هيراقليا.

أما المجمع المسكونى الثانى فقد انعقد فى القسطنطنية فى سنة ٣٨١ على عهد الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم، لمناقشة آراء ماسيدونيوس الذى علم بأن الروح القدس أقل من الآب والابن فى الجوهر. ولذا عرف ماسيدونيوس وأتباعه باسم «أعداء الروح القدس» Pneumatomachoi. وكانت هذه النظرية تهدد أقنوما من الأقاليم الثلاثة ـ هو الروح القدس ـ بنفس القدر الذى هددت به الأريوسية نظرية التثليث. ولذلك جدد الآباء المؤتمرون فى مجمع القسطنطنية قانون الإيمان النيقى، وأكدوا ألوهية الروح القدس «الرب المحى المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الذى نطق به الرسل الأطهار»[2].

(١) راجع المخطوطة الخاصة بقوانين مجمع نيقيا ص ٢٨٠ .

(2)"... et in Spiritum Sanctum, Dominum et vivificantem, ex Patre procedentem, cum Patre et Filio adorandum et conglorificandum, qui locutus est per sanctos prophetas. Et unam Sanctam catholicam et apostolicam Ecclesiam.

المومنين فنهبوها واخربوها وأخذو ما فيها من ذهب وفضه وأثاث.

وفى هذا الزمان استشهد بولس السكندرى واخذ اكليله بفرح ولم يكن احد يقدر يتظاهر بمعرفة الله.

وفى تلك الأيام ايضا اخذت عدرا مومنه اسمها بلونيه كسرت اعضاها كلها واحرقت بالنار وهى بالحياه خارج المدينه لأنها لم تطعهم فى الكفر ولم تجحد السيد المسيح. وكانت تنظر لهيب النار وهم

أيقونه للشهيده أوفيميه وأولادها الخمسة
(الكنيسة المعلقة. مصر عتيقه)

استقرت مسألة الثالوث بعد مجمع القسطنطينية هذا. على أنه يجب أن نذكر أن الكنيسة اللاتينية قد أضافت إلى قانون الإيمان النيقو قسطنطينى عبارة تقول بانبثاق الروح القدس «من الابن أيضاً» Filioque. وهذه الإضافة الدخيلة على قانون الإيمان ظهرت أول ما ظهرت فى إسبانيا فى مؤتمر طليطلة (٥٨٩م)، ثم تبنتها الكنيسة الفرنجية. وقد كان لهذا آثار بالغة الخطورة فى تعميق الخلاف بين الكنيسة الشرقية وكنيسة روما مما أدى إلى الشقاق بين الجانبين.

ولقد قرر الآباء المجتمعون فى هذا المجمع المسكونى الثانى رفع كنيسة بيزنطة إلى الرتبة الثانية بعد كنيسة روما؛ لأنه لم يكن من اللائق تجاهل عاصمة الإمبراطورية المسيحية. وعلى هذا فإن القانون الثالث لهذا المجمع وضع كنيسة القسطنطينية قبل كنيسة الإسكندرية ذاتها، وصار أسقف بيزنطة «يتمتع بالشرف الذى يتلو الشرف الذى يتمتع به أسقف روما لأن القسطنطينية هى روما الجديدة».

كان قانون الإيمان الذى اتفق عليه فى مجمعى نيقيا والقسطنطينية والمعروف باسم Symbolum Nicaeeno Constantinopolitanum نتيجة لجهود القديس آثاناسيوس السكندرى بطل الأرثوذكسية الذى اهتدى إلى كلمة Homoousios «مساو للآب فى الجوهر» والتى سهلت على الآباء مشكلة صياغة قانون الإيمان هذا[1]. ولقد حمل رسالة الأرثوذكسية

(1)"Credimus i unum Deum Patrem omnipotentem... Et in unum Ddominum Iesum =

يحـرقـونهـا فلم يهـولهـا بل صـبـرت على ذلك
واسلمت روحـهـا. واخـذ رجل اخر اسـمـه سرابيـون
وعــذب عــذابا شــديدا ورمى من تالت طبــقـــه
فتكسرت عظامه واستشهد.

ولم يكن للمومنين ملجا ولا مسكن لا نهارا ولا
ليلا فمكثو هكذا زمانا كتيرا. وكان هذا من فعل
داكيـوس الملك، واستـشـهـد شـهـدا كـتير لا تحصى
اسماهم، واخذ أيضا المغبوط يوليـانوس وكان رجلا
جسـميـا كبير البطن لا يقدر يمشى ومعه رجلان

من بعـد القـديس آثاناسيـوس ثلاثة من آباء كـبـادوكـيـا هم القـديس جـريجـورى من نازيانزوس الشـهـيـر بجريجـورى اللاهوتى (٣٢٩ ـ ٣٩٠)، وبازيل الأعظم (٣٣٠ ـ ٣٧٩)، ثم شـقيـقه الأصغر جريجورى من نيسا (توفى سنة ٣٩٤).

ولقـد ظهـرت صـيغـة لاتينيـة لقانون الإيمان فى غـرب أوربا نسـبت إلى القـديس أثاناسـيوس ذاته، وهى الصـيغـة المعروفـة باسـم «إلى من يريد الخلاص». Quicunque vult salvus esse ولقـد دس الغـرب اللاتينى على هذا النص قـول القـديس أثاناسـيوس بانبثـاق الروح القـدس من الابن مثلما هو منبثق من الآب[١]. وهذا تزييف مؤكد.

يمكننا أن نلمس من قـصـة المجامع إلى جانب الجـدل اللاهوتى العـميق تطلعات إلى الزعـامة الكنسـيـة بين الآباء الأسـاقـفـة، ذلك أن كل كـرسى من كـراسى الأسـقـفـيـات الرسـوليـة أراد أن

....

=Christum.. Et in Spiritum Sanctum. Dominum et vivificantem, ex Patre procedentem.. Et unam Sanctam Catholicam et apostolicam Ecclesiam. confitemur unum baptisma in remis- sionem peccatorum. Exspectamus resurrectionem mortuorum, et vitam futuri saculi. Amen".

(1)"Fides autem Catholica haec est. ut unum Deum in Trinitate. et Trinitatem in unitate veneremur.. et tamen non tres domini. sed unus est Dominus..
Spiritus Sanctus a patre et Filio non factus nec creatus. nec genitus' sed ptocedens.?

وجـازوا بهـم الى الايوان، فـانكر أحـد الرجلين واعترف الأخر مع الشيخ يوليانوس فجروهما فى المدينه واحرقوهما بالنار. وكانوا شرطا شرطة كثير منتبهين لعذاب الناس.

وأخذو احدا فصرخ وقال: يارب تقبلنى إليك سريعا. فقطعت راسه واحرق بالنار. واثنان اخران أيضا استشهدا معه. وأخر يسمى الاكسندروس ومعه جماعه ساقوهم الى الحبس ثم اخرجوهم منه وقتلوا. وامرأه تركت اولادها وقتلوها. وامرأه مومنه

يجعل من مدرسته الحكم الأوحد للأرثوذكسية، مما أدى إلى بروز النعرات المصرية والأنطاكية والطموح البيزنطى والمطامع الرومانية.

والواقع أن كلا من الإسكندرية وروما قد غضبتا من القانون الثالث لمجمع القسطنطينية الذى رفع كنيسة بيزنطة من العدم إلى المرتبة الثانية على حساب الإسكندرية، وتحرشاً بنفوذ روما. والإسكندرية حتى ذلك الوقت كانت صاحبة القول الفصل فى المسائل اللاهوتية، فهى كرسى القديس مرقص، ويكفيها اثناسيوس على مدى التاريخ لتطالب بصلاحياتها الأرثوذكسية وبتفوقها فى تفهم المشكلات اللاهوتية المستعصية. أما روما فقد رأت فى تحركات أسقفية بيزنطة ما يدعو إلى الريبة:

فالقسطنطينية وهى العاصمة الجديدة للإمبراطورية ومقر الإمبراطور المسيحى قد لا تكتفى بالرتبة الثانية بين الكنائس وانما قد يأتى اليوم الذى تتطلع فيه إلى المكان الأول مما يضيع على أسقفية روما ما تستند إليه من مقومات رسولية وادعاءات فى الإمارة على الكنيسة العالمية. ولذا فقد رفضت روما الموافقة على هذا القانون الثالث إلى أن انعقد مجلس اللاتيران فى عام ١٢١٥، أى أن روما لم توافق على هذا القانون إلا بعد مرور ٨٣٤ عاماً من إصداره، وذلك حينما كانت الإمبراطورية البيزنطية قد سقطت بالفعل فى أيدى جنود الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٤) التى كان قد بشر بها البابا أنوسنت الثالث. ومعنى هذا أن البابوية لم تعترف لكنيسة

---

١٤١ : ديونوسيوس ٢٤٧/ ٢٦٤م

أيضـا من شـده غيـرتهـا لدينهـا دعت على الوالى فقتلها. وجماعه كتيره لا تحصى كانو يتقدمون للاستشهاد على اسم السيد المسيح بفرح عظيم كمثل من يسعى الى العرس. وكذلك جماعة من أهل المدن والقرى استشـهدو. وساح فى الجبال جماعة كتيره لا تحصى هربو من الكفار ومات منهم كتير بالجوع والعطش والحر. وشيخ اسقف من مدينة تسمى مليج. من كورة مصر هرب ومعه امراه تبعته فلم يقدرو عليهما ولا عرف لهما خبر.

بيزنطة بالمرتبة الثانية بين الكنائس الرسولية الخمس إلا بعد أن أصبحت بيزنطة خاضعة بالفعل للسلطان البابوى. هذا عن موقف روما.

أما عن الإسكندرية فقد دخلت بعد صدور هذا القانون الثالث فى صراع عنيف مع بيزنطة دام سبعين عاماً، وكان النصر خلال هذه الفترة فى جانب مدرسة الإسكندرية التى نجحت بالفعل فى إذلال أساقفة بيزنطة فى أكثر من موقف. والانتصار الأول الذى أحرزه السكندريون على بيزنطة كان فى عام ٤٠٣ عندما نجح ثاوفيلوس أسقف الإسكندرية فى خلع ونفى يوحنا ذهبى الفم من منصب الأسقفية لبيزنطة[1]. أما الانتصار الثانى للإسكندرية فكان فى المجمع

(١) يوحنا ذهبى الفم: ولد فى أنطاكية فى عام ٣٤٧ وتوفى فى كومانة بنطس فى ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧. وكان يوحنا الابن الوحيد لأحد القواد فى الجيش الإمبراطورى، ولقد ربته والدته على تعاليم المسيحية، ولكنه لم يعمد إلا فى سن الرجولة. ولقد درس يوحنا القانون وتتلمذ على يد الفيلسوف العظيم ليبانيوس. على أنه غير رأيه فجأة وتوحد فى الجبال، وفى عام ٣٨١ سيم قسا فى أنطاكية. ولقد ذاعت شهرة يوحنا كواعظ ينطق بدرر الكلام وبالحكمة فسمى بذهبى الفم. وفى عام ٣٩٨ اختير اسقفا لكرسى بيزنطة. ولقد اصطدم يوحنا بالإمبراطورة يدوكسيا زوج اركاديوس لأنه كان يوبخها علانية بسبب إسرافها ومجونها. وفى عام ٤٠٣ نجحت المؤامرة التى دبرتها يدوكسيا ضد الأسقف واجتمع مجلس خارج القسطنطينية برياسة ثاوفيلوس أسقف الإسكندرية، ولفق المجلس بعض الاتهامات ضد ذهبى الفم وقرروا عزله. ولقد نفاه الإمبراطور ولكنه سرعان ما استدعاه من المنفى. ولكن مؤامرات الأعداء كانت لا تكف فنفاه الإمبراطور مرة أخرى إلى أرمينيا، وفى عام ٤٠٧ أمر بترحيله إلى بتيس فى إيبيريا، ولكن القديس توفى أثناء هذه الرحلة المضنية.

وجماعة كانوا الشرطيون يلقونهم فيأخذو منهم البرطيل * ويطلقونهم. وقوم هامو على وجوههم ولم يعودو. هذا كله لم اقله أنا ديونوسيوس البطرك هثا* ولا باطلا، لكنى اعلمت ابوتك يا اخى فاويانوس جميع البلايا التى أحاطت بنا وما صبرنا عليه ولقيناه، وقد استحق الملكوت كلمن ذكرته لك يا أخى بتعبهم وجهادهم على اسم السيد المسيح.

(*) البرطيل: الرشوة.

(*) هثا: زوراً.

وممن كان انكر الشدة جماعة عادوا إلينا

المسكونى الثالث الذى انعقد فى أفيسوس سنة ٤٣١ على عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى. وفى هذا المجمع نوقشت آراء نسطور Nestorius أسقف القسطنطينية الذى تبنى آراء المدرسة الأنطاكية التى كانت تنادى بضرورة التمييز بين طبيعتى المسيح البشرية والإلهية. وراح نسطور يفصل فى أمر الطبيعة الناسوتية للمسيح إلى حد بدا معه أن هنالك ازدواجاً فى شخصية المسيح: من ذلك قول نسطور أن مريم العذراء لم تكن أمّاً للمسيح فى طبيعته الإلهية وانما هى أم للمسيح فى طبيعته البشرية فقط (والدة المسيح وليست والدة الإله). ووجد كيرلس أسقف الإسكندرية ـ وهو ابن أخ وخليفة ثاوفيلوس سابق الذكر ـ فرصته لإذلال أسقف بيزنطة مرة أخرى، فأخرج للآباء المجتمعين فى أفيسوس الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا وقرأ عليهم «لقد صارت الكلمة جسداً». وأدين نسطور والنساطرة بالهرطقة، وقرر مجمع أفيسوس أن العذراء مريم هى والدة الإله»[1] Theotokos وكسبت الإسكندرية الجولة الثانية وصار شعارها «الجوهر الواحد ووالدة الإله» ـ للتدليل على انتصارها على كل من الأريوسية والنسطورية ـ ولتتخذ منهما مبرراً لزعامتها فى الأرثوذكسية.

= ويعتبر ذهبى الفم واحداً من الأربعة المعلمين للكنيسة البيزنطية. وأهم مؤلفاته تعليقاته على رسائل القديس بولس، ومواعظه العديدة، ومدائحه لسيرة الشهداء، وشروحه لطقوس المعمودية.

(1) Anathematismi Cyrilli Contra Nestorium:
"Si quis non confitetur. Deumesse veraciter Emmanuel, et propterea Dei genitricem sanctam virginem: peperit enim secundum carnem factum. Dei verbum, anathema sit".

فقبلناهم بفرح لمعرفتنا بفرح من يريد توبه الخاطى ولايريد موته حتى يرجع فيحيا. وبحكم ما احققته من مشاركتك لى ايها الأخ الحبيب شرحت لك ما نالنا لأجل أنا[وأنت] روح واحده وأمانه واحده، وكذلك أنتم أيضا الأخوه والاولاد اردت اذكر هذا لكم بسبب الاولاد المباركين وصبرهم لتعلمو ما نال اخوتكم المومنين من الجهاد على الأمانه الارتدكسيه، وما صارو إليه من النعيم بصبرهم لأجل من صبر على الالام عنا وعنهم، واشترى

- -

على أن النصر على ما يبدو كان قد أسكر السكندريين فتجاوزوا الحدود: ذلك أنهم عقدوا مجمعاً آخر فى أفيسوس سنة ٤٤٩ لتأكيد ألوهية المسيح. ولقد أدى حرص أتباع كيرلس على تأكيد هذا المعنى إلى أن جاءت براهينهم لتهدد ناسوت المسيح، فبدا وكأن لاهوته قد استوعب ناسوته. ومن وجهة نظر هذا الفريق لم تعد للمسيح طبيعتان يل طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، ومن ثم عرف السكندريون وعلى رأسهم أسقفهم ديوسقورس بأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة: المنافزة أو المونوفيزيتيين Monophysites (مونو = واحد، فيوزيس = طبيعة).

وكان لديوسقورس السكندرى مؤيد مونوفيزى كبير هو أوطاخيا Eutyches الذى كان وكيلاً لأحد الأديرة فى القسطنطينية. ولقد لقيت تعاليم ديوسقورس وأوتيخا قبولا وتأييداً من جانب الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ـ ٤٥٠). ولكن أسقف القسطنطينية والبابا ليو الأول العظيم وقفا بشدة يعارضان فكرة الطبيعة الواحدة. وبرغم هذا نجح ديوسقورس فى إقناع الإمبراطور بعقد مجمع فى أفيسوس سنة ٤٤٩ . وقد ترأس ديوسقورس هذا المجمع وأجبر أعضاءه ـ برغم أنفهم ـ على الاعتراف بتعاليم أوتيخا المونوفيزيه.

ولقد صدق الإمبراطور على قرارات المجلس. ولكن البابا ليو لم يهدأ وشن حرباً ضد هذا المجمع حتى أسقطه من عداد المجامع المسكونية وعرف باسم «مجمع اللصوص» Latrocinium.

وفى سنة ٤٥١ انعقد المجمع المسكونى الرابع فى خلقيدونية على عهد إمبراطور مارقيان

جمعنا بدمه فتصبرو من اجله، ولم يجحدوه في مجلس الكفار ولم يهولهم في محبته حد السيف ولا نهب الأموال ولا حريق النار، فأظهر الله فضايلهم في الدنيا ولهم في الأخره جزيل الثواب وحسن الماب.

وكان قس من أهل روميه قد. افتخر وقال ليس يجوز أن نقبل احدا ممن انكر المسيح في زمان الشده والاضطهاد ورجع الى الرب لاجل انه قد سقط ولم يصبر، بل يجعل من جملة المخالفين

(٤٥٠ - ٤٥٧) وبدعوة من البابا ليو الأول العظيم، وذلك لمحاكمة تعاليم الإسكندرية المونوفيزية. وأكد الآباء المجتمعون في خلقيدونية أن للمسيح طبيعتين: بشرية والهية. والحق أن الفضل في حسم هذا النزاع يرجع إلى البابا ليو الذى قدم مقولته الشهيرة باسم Tomus وفند فيها آراء أوتيخا وديوسقورس، وأكد أن ناسوت المسيح كامل كما أن لاهوته كامل أيضاً في غير لبس ولا امتزاج، فهو إنسان كامل واله كامل[١]. وبهذا أدينت تعاليم المنافزة على أنها غير أرثوذكسية. وإلى جانب ذلك أكد مجمع خلقيدونية من جديد القانون الثالث لمجمع القسطنطينية الخاص برفع مركز أسقفية بيزنطة إلى الرتبة الثانية بعد أسقفية روما. وكان هذا إذلالا آخر للسكندريين الذين فقدت كنيستهم المركز الثاني. كذلك منح آباء خلقيدونية أساقفة الكنائس الخمس لقب بطريرك، وهي بالترتيب الخلقيدوني: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية، وأورشليم.

---

(1)"Unum eundemque Christum Filium Dominum unigenitum, in duabus naturis inconfuse... unum eundemque confiteri Filium et dominum nostrum Iesum Christum consonan- ter omnes docemus, eundemque perfectum in deitate, et eundem perfectum in humanitate.."

"Qui enim verus est Deus, idem verus est homo, et nullum est in hac unitate mendacium, dum invicem sunt et humilitas hominis et altitudo Deitatis".

وكان يسمى الذين تتبتو الانقيا. وكان هذا القس ريسا على جماعته، فاجتمع بروميه مجمع فيه ستون اسقفا واقسا وشماسه بسبب هذا القس وغيره وكتبو الى كل موضع بما جرى.

وكان إنسان يسمى نواتوس مساعدا لهذا القس مبغضا للتايبين، وكان يساعده على إخراج كلمن يريد الرجوع الى البيعه منها، فاقبل يمنعهم أن يدفعوا للناس الدوا، وهو التوبه والندامه والصوم والسهر والبكا والتضرع الى الله فى المغفره، فكتبو

غير أن البابا ليو قد عارض القانون الثامن والعشرين لخلقيدونية الذى أعطى لكنيسة بيزنطة المركز الثانى بعد روما، فكتب إلي الإمبراطور مارقيان يستنكر هذا القرار ويلقى تبعة هذا التطرف فى أطماع كنيسة بيزنطة على أناتوليوس أسقف القسطنطينية متهماً إياه بالطمع الزائد والتطاول على حقوق روما، مذكراً الإمبراطور والبطريرك بأن القسطنطينية أصلا لم تكن لتستحق حتى مجرد لفظة «أسقفية» لأن ليس لها أصل رسولى[1].

ولعله من الضرورى هنا أن نوضح أن مبدأ الطبيعتين للمسيح، هذا المبدأ الذى أكده مجمع خلقيدونية هو من قول كل من ثيودور من مصيصه (موبوستيا) ونسطور ذاته. ولكن الغريب أن مجمع خلقيدونية وقد أمر بإعادة الأساقفة من أتباع مدرسة نسطور وثيودور إلى أبروشياتهم، إلا أنه أصر على إدانة نسطور بالاسم وذلك بسبب تجديفه السابق على العذراء مريم. والحق أن هنالك تناقضاً مريباً بين قرارات المجمع المسكونى الثالث فى أفيسوس وبين قرارات المجمع المسكونى الرابع فى خلقيدونية: فالأول يمثل انتصار آراء مدرسة كيرلس السكندرية القائلة «بتجسد الكلمة» في طبيعة واحدة، بينما يمثل الثانى انتصار مدرسة البابا ليو

---

(1)"Satis sit praedicto Anatolio quod vestrae pietatis auxilio, et mei favoris assensu, Episcopatum tantae urbis obtinuit. Non dedignetur Regiam civitatem, quam apostolicam non potest facere sedem' nec ullo sperst modo, quod per aliorum possit offensiones augeri".

كهنه روميه الى كهنه انطاكيه بما جرى فجاوبوهم
واتفقو جميعا أن يقبلو العايدين الى البيعه ويغفرو
لهم ويعـاونوهم على التـوبه، لأن الله هو الذى
يقبلهم. ثم اخرجو القس المفتخر المتعاظم على
هولا العايدين واحضرو كتب نواتوس بمساعدتهم
وعرفو ما كتبه لأجلهم. ثم أن نواتوس غصب
اسقفيه بغير استحقاق، وأقام تلت سنين و أوسم
كهنه قوما جهالا لا يعرفون شيا، ثم وهمهم انه
ريس اسقافه فكانو يكرمونه لأجل ذلك حتى

والمدرسة الأنطاكية أو النسطورية القائلة بالطبيعتين الكاملتين للمسيح. ويتضح هذا جليًا إذا علمنا أن أتباع ديوسقورس السكندرى كانوا قد أصدروا قراراً بالحرمان ضد النساطرة وأيضاً ضد البابا ليو ذاته بسبب مسألة الطبيعتين.

لم يشارك الآباء المصريون فى أعمال مجمع خلقيدونية أو بالأحرى لم يسمح لهم بذلك، وقد أدانهم المجمع بالهرطقة فنعتوا تارة باسم المنافزة وأخرى باسم اليوطاخية. ولعل النقطة التى يمكن أن تميز بين المنافزة وبين آراء أوطاخيا هى أنه فى حين علم المنافزة بالطبيعة الإلهية الواحدة للمسيح قال أوطاخيا بوجود طبيعتين فى المسيح قبل أن تتحدا، وطبيعة واحدة بعد الاتحاد، ولعله يقصد بذلك بعد قيامة المسيح من الأموات بعد الصلب.

ولقد ظهر فريق من غلاة المنافزة فى مصر وسوريا الذين نادوا بأن جسد المسيح لا يمكن أن يكون فاسداً؛ ولهذا فإنه لم يتألم وقت الصلب إلا ظاهرياً. وقد عرف هؤلاء باسم اليوليانيين أى أتباع يوليانوس من هاليكارناسوس الذين أطلقوا على أنفسهم لقب افثارتودوكيتاى Aphthartodocetae أو فانتازياستيس Fantasiastes أى الذين يؤمنون بنقاوة جسد المسيح، ومن ثم فإن هذا الجسد لم يكن أكثر من طيف عارض للمسيح الله.

على أن منافزة مصر تنكروا لتطرفات اليوليانيين وراحوا يتكلمون عن «خاصتين» للمسيح بدلا من «طبيعتين»، الأمر الذى قربهم بهذا من آراء خلقيدونية. على أن النقطة الكبرى

[١٤ : ديونوسيوس ٢٤٧/ ٢٦٤م]

انتهت أخباره الى روميه فصار بينهم سجس
وافتراق عظيم. ثم اجتمع بعد ذلك جماعه من
الأساقفه وابطلو جميع ما كان نواتوس عمله
بكذبه، فاعلمو الذين قبلوه بانهم قوم سادجون لا
معرفة لهم، وإن كل ما اوسمه وعمله لا صحه له.
فتقدم حينذ واحد ممن كان نواتوس اوسمه واعترف
بخطيته وبكى فقبلوه وسامحوه. وكاتبوا عنه
الكراسى وحذروهم من قبول نواتوس ولا شى من
تعليمه. وكان عدة من اشتهر امره ومن اوسمه

للخلاف بين الفريقين هى عدم اعتراف المنافزة بوجود طبيعة بشرية دائمة للمسيح، خاصة بعد القيامة.

والواقع أنه لو شارك آباء الإسكندرية مع الفريق الأخير المعتدل ربما كان سيقدر لهم أن يشرحوا وجهة نظرهم هذه. ولكن بطريركيتي بيزنطة وروما قد تعمدتا إذلال المدرسة السكندرية وانتزاع الزعامة منها. ويحدد عام ٤٥١ انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الأرثوذكسية، فبعدها نبذ المصريون كل ما هو يونانى ولا تينى وانطوت الكنيسة المصرية على نفسها واستخدمت اللغة الوطنية وهى اللغة القبطية فى قداساتها علامة على سخطها. وتسمت الكنيسة القبطية بالكنيسة الأرثوذكسية، ولكن أتباع خلقيدونية من لاتين ويونان لا يعترفون لها بهذا الاسم وانما ما زالوا يدمغونها بوصمة المونوفيزية. أما فريق الكتاب الذين يقللون من قيمة الخلافات اللاهوتية بين المنافزة والخليقيدونية فهم يعالجون تاريخ الفترة بروح «أقيومينيقية» أى مسكونية تهدف إلى تبسيط الخلاف بين الطرفين سعياً وراء الفكرة الهادفة إلى وحدة الكنائس العالمية، فيما يعرف بالحركة المسكونية Ecumenical Movement.

أما المجمع المسكونى الخامس فقد انعقد سنة ٥٥٣ فى القسطنطينية بأمر من الإمبراطور جستينيان العظيم (٥٢٧ ـ ٥٦٥) وذلك للبحث عن حل وسط يرضى المنافزة فى سوريا وفلسطين ومصر. والمعروف أن الإمبراطورة ثيودورة زوج جستينيان كانت متعاطفة مع المنافزة

سبعة وأربعون قسا وسبعة أبودياقنين وسبعة أغنسطسين وبوابين. وكان عمل اشيا كتيره غير صحيحة لا حاجة الى ذكرها.

ثم كتب ديونوسيوس البطرك الى جميع المواضع كتبا يأمر بقبول من يرجع عن انكاره وجعل هذا قانونا باقيا لكلمن يعود من غلطة [ويأمر جميع الأساقفة الذى بكرسية بذلك. ثم أن داكيوس الملك الكافر مات]. وكتب أيضا الى قونون اسقف الأشمونين كتابا مفردا بمثل ذلك

هى وأنثيموس بطريرك القسطنطينية. ولكن البابا أغابيتوس وحزب الأرثوذكس المتطرفين من جماعة أكويميتوى Akoimetoi، أى السهارين الذين يواصلون الليل بالنهار فى الصلاة والطلبات من أجل نصرة قرارات خلقيدونية الأرثوذكسية، هاجموا سياسة البطريرك أنثيموس والإمبراطور جستنيان اللينة تجاه المنافزة. وأمام هذا اضطر جستينيان إلى التراجع فى موقفه فأقال أنثيموس وأحل محله ميناس وهو من غلاة أتباع خلقيدونية. ولكن جستينيان ظل يسعى - برغم هذا - لمصالحة المنافزة ومال نحو تأييدهم فى ضرورة إدانة الآراء النسطورية فى كتابات كل من ثيودور من مصيصه وثيودوريت من قورس وعباس الرهاوى والمعروفة باسم «الفصول الثلاثة» Tria Capitula بل ذهب إلى حد أنه عاب على مجمع خلقيدونية تواطؤه فى هذا الشأن. وعليه فقد استدعى البابا ڤيجيليوس إلى القسطنطينية، ثم وجه الدعوة إلى ساويرس بطريرك أنطاكية المونوفيزى الثائر لمدارسة الأمر. ولما وصل ساويرس إلى القسطنطينية أعلن أنه لن يتنازل عن مطالبه في ضرورة إنزال اللعنة بمقولة البابا ليو وبإدانة مجلس خلقيدونية «الحقير المدنس». وقد كانت هذه الآراء العلنية المتهورة سبباً فى إثارة الرأى العام فى القسطنطينية ضد جستينيان، فاضطر إلى إيداع ساويرس السجن لمدة عامين، ولكن ثيودورة أطلقت سراحه وهرب بعدها إلى مصر. ولقد نجح الإمبراطور جستينيان فى إقناع البابا فيجيليوس بضرورة إدانة آراء أصحاب «الفصول الثلاثة» سابقى الذكر، ووافق البابا على ذلك وأصدر إدانته ضدهم

سوى باقى الأساقفة. وكان ينبه الشعب المقيم معه باسكندرية ويعرفهم جميع ما عمله اورجانوس فى جميع البيع ويحذرهم منه. ثم كتب قوانين وخلدها فى البيعه فيها تعاليم وأداب شرعيه. ثم أن ديونوسيوس البطرك العظيم على مدينة اسكندرية العظمى كتب بما جرى عليه وما حل به فى مدة رياسته، وقد عرفنا ذلك من رسايله وتعاليمة التى رأيناها فى جميع البيع فى كل موضع.

وبجميع ما أقام داكيوس الملك سنتين ولأجل

بالفعل فيما عرف باسم Judicatum. ولكن موقف البابا قوبل باحتجاج شديد خاصة من جانب أساقفة أفريقيا الذين استنكروا إدانة الموتى فى قبورهم، واضطر البابا إلى سحب قراره هذا.

والواقع أن البابا ڤيجيليوس قد تهرب من حضور جلسات المجمع المسكونى الخامس متعللا بأسباب واهية. ولقد قرر المجمع إدانة الآراء النسطورية فى «الفصول الثلاثة» وانزال اللعنة على أصحابها. ولما لم يوافق البابا فيجيليوس على هذه القرارات نفى إلى إحدى جزر بحر مرمرة، ولم يسمح له بمغادرة منفاه إلى روما إلا بعد أن وقع على قرارات المجمع الخامس[1]. على أن البابا قد مات أثناء رحلة العودة. ولم يعترف غرب أوربا بالمجمع المسكونى الخامس هذا إلا على عهد البابا جريجورى الأول العظيم وذلك فى أواخر القرن السادس (٥٩٠ ـ ٦٠٤).

(1)"Si quis defendit impium Theodorum Mopsuestenum, qui dixit alium ese Deum Verbum, et alium Christum a passionibus animae et desideriis carnis molestias patientem, talis A.S..

Si quis defendit impia Theodoriti conscripta, quae contra rectam fidem et contra primam EPHESINAM sanctam Synodum, et Sanctum. Cyrillum et duodecim eius Capitula exposuit, talis A.S.

Si quis defendit epistolam, quam dicitur Ibas ad Marin Persam haereticum scripsisse, *quae abnegat* quidem Deum Verbum de sancta Dei genitrice semper virgine Maria incarnatum... talis A.S.".


تمثال لرأس الامبراطور كونستانس الثانى (٦٤١ ـ ٦٦٨م)

اضطهاده لأولاد البيعه وقتله إياهم قتل هو وأولاده وأخذ ملكه وجلس بعده كلس ملكا، فكتب إليه ديونوسيوس كتبا، وكان كلس الملك قد عرف جميع ما عمله داكيوس، لأنه كان قد خلف صنم حجر كان يعبده ويقول إنه الذى دفع له الملك، وقتل الكهنة الذين كانوا يطلبون الى الله فى خلاصة وثبات ملكه. ثم كتب أيضا الى بطرك روميه كتبا قصدا منه فى إتصال المكاتبه بينهم وقبول من يعود إليه ممن انكر فى وقت الإضطهاد

[١٤ : ديونوسيوس ٢٤٧/ ٢٦٤م]

كان المنافزة يشكلون شوكة فى جنب الإمبراطورية، وظهرت المشكلة بشكل حاد بعد أن استردت الإمبراطورية البيزنطية أقاليم سوريا وفلسطين ومصر من يد الفرس. ولهذا فقد اقترح الإمبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤) مشروعاً لإعادة الوئام بين كل من النساطرة والمنافزة من جانب وبين أتباع مجمع خلقيدونية من جانب آخر. ويقضى اقتراح هرقل بأن يعترف الخلقيدونيون بوجود طبيعتين للمسيح وارادة واحدة (Thelema)، ومن هنا جاءت كلمة «مونوثيليتية» Monotheletism أى مذهب الإرادة الواحدة. ولقد وافق على هذا الحل الوسط كل من بطارقة أنطاكية والإسكندرية والقسطنطينية كما أيده البابا هونوريوس (٦٢٥ ـ ٦٣٨). غير أن الراهب سوفرونيوس، الذى كان يعيش فى الإسكندرية ثم اختير بطريركا لأورشليم فيما بعد، عارض هذا الحل معارضة كاملة. ولما اشتد الجدل أصدر هرقل مرسوماً يعرف باسم Ecthesis أى «تفسير الإيمان» على أساس الاعتراف بطبيعتين للمسيح وارادة واحدة له. ولكن البابا سيفيرينوس (٦٤٠) استنكر موقف سلفه هونوريوس ورفض المشروع الهرقلى «المونوثيليتى» ودمغه بالهرطقة.

ولما توفى هرقل خلفه على الحكم ابنه كونستانس الثانى (٦٤١ ـ ٦٦٨) الذى كان أيضا متحمساً للمذهب المونوثيليتى فأصدر مرسوماً جديداً عرف باسم Typus أى «أنمـوذج

فى أيام داكيوس، وذكر له فيه زوال كل اضطهاد كان فى كرسيه بأسكندرية، وإن السلامة قد صارت فى البيعه، وارداع نواتوس الضال عن فعله حتى لا يبقى للبيعه ضد، لأنه اغتصب الكهنوت لنفسه فقط ولم يكفر، ويحثهم على إتفاق الكلمة.

وكان يومئذ دمتريانوس بمدينة انطاكية وتاوكتستس بقيساريه وماسابانوس باورشليم، وهى إيليا، ومرينوس بصور وتنيح الأكسندروس بلادقية،

الإيمان» يقضى بالاعتراف بطبيعتين للمسيح وبإرادة واحد فى أسلوب غامض. ولكن «أنموذج» كونستانس هذا جاء ليزيد من بلبلة الأفكار وتعقيد الأمور. وعليه نقد عقد البابا مارتن الأول (٦٤٩ ـ ٦٥٥) مجلساً لاتيرانيّا فى روما عام ٦٤٩، حضره ممثلون من رجال الكنيسة البيزنطية، وفيه اتخذ قرار اللعنة ضد مشروعى هرقل وكونستانس[1].

ولقد عاقب الإمبراطور كونستانس هذا البابا على موقفه، فأرسل إليه حاكم راڤنا البيزنطى الذى قبض عليه وأرسله إلى القسطنطينية حيث حوكم واتهم بالخيانة ثم نفى إلى جزيرة القرم حيث خضع لصنوف من التعذيب والتجويع حتى مات بائساً فى منفاه. ولقد اضطر خلفه البابا ڤيتاليان (٦٥٧ ـ ٦٧٢) إلى عقد صلح مع الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع (٦٦٨ ـ ٦٨٥) خوفاً من أن يحل به نفس المصير الذى كان كونستانس قد أوقعه بمارتن.

وفى عام ٦٨٠ ـ ٦٨١ دعا الإمبراطور قسطنطين الرابع إلى عقد المجمع المسكونى السادس فى القسطنطينية، حيث تقرر إدانة المذهب المونوثيليتى، واعترف الآباء المجتمعون بطبيعتين

---

(1) "..et super haec impiissimam Ecthesim, quae persuasione eiusdem Sergii facta est ab Heraclio quondam imperatoreadversus orthodoxam fidem, unam Christi Dei voluntatem.. et cum illis denuo scelerosum Typum, qui ex suasione praedicti pauli nuper factus est a serenissimo principe Constantino imperatore contra catholicam Ecclesiam.."

وكانت جميع البيع متفقه على الأمانة الارتدكسيه ووحدانية المسيح فى كل موضع وصقع، ببهجه وتعظيم وإتفاق قول الحق بمجد الله الاه السما وسيدنا يسوع المسيح الكلمه وروح القدس الاله الواحد بكل موضع يكون فيه إجتماع، بقول واحد ومحبة للأخوة. هذا قول ديوناسيوس.

ثم كتب أيضا الى استفانوس سبب تعميد الذين رجعو من انكارهم المسيح فى الإضطهاد وأن يميزو هذا الأمر فإنه عظيم جداً. وإن جماعة



ايقونه قبطية فريدة مرسومة على الخشب للسيد المسيح واضعا يده على كتف الانبا مينا من كنيسة باويط من القرن السابع الميلادى. موجودة حاليا بمتحف اللوفر فى باريس

وأرادتين للمسيح(١). وكان هذا كافياً لإرضاء مشاعر روما، على حساب مشاعر المنافزة بطبيعة الحال.

أما المجمع المسكونى السابع والأخير فقد انعقد فى نيقيا سنة ٧٨٧ لفض النزاع الطويل الذى دار حول الأيقونات. والأيقونات هى صور المسيح والعذراء والقديسين، وتشمل أيضا الصلبان والتماثيل والمخلفات المقدسة، التى كانت بيوت العبادة فى الإمبراطورية البيزنطية وبخاصة البيوتات الديرانية تزخر بها. ولقد تورط المجتمع المسيحى فى العصور الوسطى فى تبجيل هذه الأيقونات إلى حد وصل إلى مصاف العبادة، مما يعيد للأذهان تجدد العادات المخالفة القديمة. ومنذ وقت مبكر حذّر الآباء الرعية من هذه الشعوذة: فذكر المؤرخ الكنسى يوسبيوس أنها عادة وثنية، كما وأن المجلس الذى عقد فى الفيرا Elvira بإسبانيا فى بداية القرن الرابع أدان عبادة الأيقونات أيضاً. كذلك عبر البابا جريجورى العظيم (٥٩٠ ـ ٦٠٤) عن معارضته لعبادة الأيقونات ورأى فى هذه الصور «مجرد أدوات للتعليم الدينى للعامة الذين «لا يجيدون القراءة».

---

(1) "et duas naturales voluntates in eo, et duas naturales operationes indivise, inconvertibiliter, inseparabiliter, inconfuse secundum sanctorum patrum doctrinam adaeque praedicamus.."

الأساقفة المجتمعين قد ذكرو هذا كما سمعنا. وإن الذين يدخلون التعليم ويتركون الشقاق والخلاف يجب أن يحمو حتى يصيرو جدد بصبغة ليتخلصو من اختلاطهم بالإنجاس. ويكلم أيضا ديونوسيوس فى كتابه بسبب خلف وشقاق سابليوس(*) لإنه سبب العله التى كانت طريقا الى التجديف على الله ضابط الكل. وقال ديونوسيوس فى كتابه: فقد انفذ الى بسبب الذين يحبون أن يعمدو الكل من المريدين وهم او ليانوس وديكسانوس وجماعة معهم.

(*) سابليوس: هوصاحب عقيدة «مؤلمى الأب» التى تعتقدان الله نفسه لا أحد اقاينمه هو الذى كفر عن خطايا البشر. وقد حرمه البطرك ديونوسيوس فى مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١م

وكان أول من اعتنق بدعة نونيتوس وسابليوس زفيرينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته وساعدا المبتدعين على نشر بدعتهما حتى انتشرت وعمت أنحاء الغرب. ومما زاد الطين بلة أن كاليسطوس سام أساقفة

والأباطرة الذين شنوا حرباً على عبادة الأيقونات هم أفراد الأسرة الأيسورية أو السورية التى أسسها ليو الثالث (٧١٧ ـ ٧٤١) وانتهت بانتهاء حكم ثيودورة (٨٢٩ ـ ٨٤٢). ويعرف الأباطرة الذين حاربوا الأيقونات «بمحطمى الأيقونات» Iconoclasts، فى حين أن عبادها يعرفون باسم Iconodules. وقد كانت حرب الأيسوريين ضد الأيقونات على فترتين: الأولى من عام ٧٢٦ إلى ٧٨٠، والثانية من ٨١٣ إلى ٨٤٣[1]. ولقد اتسمت هذه الحركة بالشدة والقسوة، وكان جل الضحايا من الرهبان الذين عارضوا هذه السياسة اللاأيقونية فى عناد شديد. ويرى المؤرخون فى هذه السياسة اللا أيقونية إصلاحاً اجتماعياً واقتصادياً ودينياً فى حين واحد: فهى محاولة من جانب الأباطرة لتطهير الكنيسة من العادات الوثنية، كما وأنها كانت فرصتهم أو حجتهم لتجريد البيوت الديرانية من أموالها الطائلة التى تكدست فيها من النذور والهدايا الوفيرة، وهى فى نفس الوقت تأكيد من جانب الجالس على عرش قسطنطين بأنه صاحب صلاحيات الرأس الأعلى للكنيسة إلى جانب مهامه كقيصر: فالإمبراطور ليو الثالث (٧١٧ ـ ٧٤١) عندما كتب إلى البابا جريجورى الثانى أكد له أنه ذاتيًا لا غبار على أرثوذكسيته، وانما هو ثائر على العادات الوثنية الرذيلة المتفشية فى كنائس الإمبراطورية، ثم أصر على حقه فى أنه «رجل دين وقيصر» فى آن واحد، وهذا هو حقه التقليدى المعروف

(1) See Vasiliev, op. cit., "The Isaurian Dynasty".

وقسوسا وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة ثم أباح العماد لمغفرة الخطايا وادعى بأن الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الاثام. ولما لم يوافقه سابليوس على ذلك حرمه فجاء الى مصر سنة ٢٥٧م وأخذ ينشر فيها بدعة «مؤلمى الآب» فجذب اليه كثيرين ولما اتصل أمره بالبابا ديونيسيوس قاومه بشدة كما مر بنا في تاريخ حياة هذا القديس وانتهى الامر أخيرا بحرم سابيلوس فى مجمع عقد سنة ٢٦١م.

وأقامت البيعه هادية مدة يسيره حتى توفى الملك وملك بعده ملك كافر اسمه ولاريانوس فأخذوا نوابه ديونوسيوس واعتقلوه بامره، وقتلو جماعة شهدا لا يحصون، حتى إنهم كانو يشقون بطون الأطفال ويأخذون مصارينهم ويصلحونها لفايفا على أنابيب القصب ويرمون بها للشياطين.

ثم إنهم عاقبو ديونوسيوس البطرك وطالبوه أن يسجد لأوثانهم، فقال لهم: نحن نسجد لله تعالى وأنتم تسجدون لما تحبون وسجودنا للسيد المسيح

بالقيصر ـ بابوية Caesaropapism الذى كان العامل الأكبر فى الصراع على مدار العصور الوسطى بين البابا وبين الإمبراطور.

والملاحظ أن جميع الأباطرة الذين أقدموا على تحطيم الأيقونات كانوا من أصل شرقى، ولعل هذا يعكس أثر الديانتين اليهودية والإسلامية على طريقة تفكير هؤلاء الأباطرة، ولقد عبر عن هذا المعنى المؤرخ المعاصر ثيوفانيس فى قوله بأن ليو الثالث كان صاحب «عقلية متأثرة بالتعاليم الإسلامية». ومما يلفت النظر أيضاً أن إرجاع عبادة الأيقونات قد تم على يد سيدتين من أصل إغريقى وهما: الإمبراطورتين إيرينى (٧٩٧ ـ ٨٠٢) وتيودورة (٨٢٩ ـ ٨٤٢).

هذا وفى سنة ٧٥٤ عقد الإمبراطور قسطنطين الخامس كوبرونيموس (٧٤١ ـ ٧٧٥) مجلساً فى القسطنطينية حضره ثلثمائة من رجال الدين، ولكن لم يشارك فى هذا المجلس أحد من كراسى روما وأنطاكية وأورشليم والإسكندرية. وقرر المجلس اعتبار من يعبد الأيقونات عدواً للأرثوذكسية وللدولة وحقت لذلك محاكمته. واستمرت موجات العنف بين أنصار الأيقونية ودعاة اللا أيقونية إلى أن تولت الحكم الإمبراطورة إيرينى فدعت بمعونة البطريرك تارازيوس إلى عقد المجمع المسكونى السابع فى القسطنطينية فى عام ٧٨٦. وقد حضر إلى هذا المجمع



خالق السما والأرض الذى نحبه. فقال له الوالى: انت ما عرفت صبر الملوك عليك فإن سجدت لألهتهم أكرمناك وقدمناك وإن لم تفعل وخالفت الأمر ولم تسجد للآلهة فسترى مما يجرى عليك. وأخذ جماعة كانو معه فقتلهم بعد أن خاطبه خطابا كتيرا، ثم اخرجه ونفاه الى موضع يقال له قولوثى، وتفسيره حاجب، فعمل أهل ذلك الموضع معه الجميل ومع كلمن كان معه ممن لم يسجد للأصنام. وبعد ذلك اعادوه ليحكمو عليه بالموت

مندوبون من قبل البابا هادريان الأول. وبدأت الاجتماعات فى كنيسة الرسل بالقسطنطينية، غير أن كتائب الجند التى كانت ما زالت تؤيد الأباطرة الراحلين فى سياستهم اللا أيقونية هجموا على أعضاء المجمع شاهرين سيوفهم فى وجه البطريرك وأعضاء مؤتمره. واضطر المؤتمرون إلى الهروب والتفرق. ولكن الإمبراطورة إيرينى سرعان ما نجحت فى طرد العناصر المعارضة لسياستها من صفوف الجيش. ثم تابع المؤتمر جلساته فى سنة ٧٨٧ فى نيقيا هذه المرة. وقد عقدت الجلسة الختامية للمجمع المسكونى السابع فى القصر الإمبراطورى فى مدينة القسطنطينية، وفيها تقرر إعادة تبجيل الأيقونات كما كانت الحال من قديم، كما قدم المؤتمرون الشكر للإمبراطورة الأم إيرينى ولابنها القاصر قسطنطين السادس وخلع عليهما لقب «قسطنطين الجديد وهيلانه الجديدة»[١].

* * *

(1) ".. Regiae quasi continuati semitae, sequentesque divinitus inspiratum sanctorum patrum nostrorum magisterium, et catholicae traditionem Ecclesiae, definimus in omni certitudine ac diligentia, sicut figuram pretiosae ac vivificae crucis..: tam videlicet imaginem Domini Dei et Salvatoris nostri Iesu Christi, quam intemeratae dominae nostrae sanctae Dei genitricis, honorabiliumque anglorum, et omnium sanctorum simul et almorum virorum.."

فاحضروه الى الوالى فقال له: بلغنا إنك تنفرد فى الموضع وتقدس انت وأصحابك. فقال له: نحن ما ندع صلاتنا ليلا ونهار. وخاطبه خطابا كتيرا، ثم تركه والتفت اليطرك الى الذين كانو معه وقال لهم: أمضو الى كل موضع وصلو وقدسو فإن غبت عنكم بالجسد فأنا معكم بالروح. ثم أن البطرك اعيد الى الموضع الذى كان فيه منفيا فحزن الذين كانو معه لأنه افترق منهم، لكنهم قالو: نحن نعلم أن السيد المسيح معه فى كل طرقه.

هذا عن الهرطقة وتاريخها فى النصف الشرقى من الإمبراطورية الرومانية. أما عن الهرطقة فى الغرب فإنا نكتفى هنا بالحديث عن طائفتين فقط هما الدوناتية والبيلاجية[1].

وترجع جذور الدوناتية إلى عهد دقلديانوس وشركاءه فى الحكم على زمن الاضطهاد. وقد ظهرت هذه الفرقة فى شمال أفريقيا، الذى كان واقعاً تحت نفوذ الإمبراطور ماكسيميان الذى ابتلى المسيحيين الأفريقيين بنار الاضطهاد ما بين عامى ٣٠٣ ـ ٣٠٥. فلقد أمر ماكسيميان محاكم التفتيش بإرهاب الكنائس الإفريقية، وكانت هذه القسوة سبباً فى أن البعض من رجال الإكليروس فى الشمال الإفريقى قد ضعفوا واضطروا إلى تسليم الكتب المقدسة والأوانى الخاصة بخدمة الأسرار الكنسية إلى السلطات التى تناولت هذه المقدسات بالتدنيس أو التدمير. ولقد ندم نفر كبير من هؤلاء الذين ضعف إيمانهم وقت الشدة ورغبوا فى التوبة والعودة إلى حظيرة الأرثوذكسية، ولكن فريقاً مغالياً رفض السماح لهم بالعودة ووصمهم بلقب الخونة Traditores أو المرتدين. ولعل فى قصة منصور (منسوريوس) أسقف قرطاجة ما يكشف عن أبعاد الموقف: فهو لم يقاوم السلطات عندما أقدمت على إزالة الكتب المقدسة من كنائس أبروشيته، ولم يتحرك وهو يرى المراسيم الوثنية تقام فى بعض الكنائس. ولهذا اتهمه فريق

(1) See Fliche et Martin, Histoire do l'Eglise' Hughes, P., A History of the Church' Hefele et Leclercq, Histoire des Conciles.

ثم استشهد فى تلك الأيام جماعة من الأخوه لا يحصى عددهم على اسم السيد يسوع المسيح لامتناعهم من السجود للأصنام، واستشهد ولاريانوس الملك قوما كثيرا فى كل صقع وكل موضع، ثم إنه ثار عليه جماعة من البربر واتعبوه تعبا عظيما، وكان له ولد حكيم جدا قام فى الملك وكان قد ربى فى أيام الإضطهاد، فدفع هذا لديونوسيوس واصحابه كتاب اطلاق [افراج] وأمر ان يكتب فيه: يوليوس قيصر ضابط الملك المحب

«المعترفين» أو «المتطهرين»، وهم ذلك النفر الذين لاقوا صنوف التعذيب والآلام فى صبر وجلد، بالخيانة والردة. ولم يكتف هؤلاء الغلاة بهذا الموقف وإنما نصبوا من أنفسهم حكاماً للكنيسة وراحوا يتحرشون بالحقوق الشرعية للأساقفة ومن بينهم منصور أسقف قرطاجة. ولكن منصور أعلن أن هنالك فرقاً شاسعاً بين الضحايا الحقيقيين للاضطهاد وبين بعض الناس الذين يتخذون من الاضطهاد ذريعة كاذبة لتحقيق مكاسب ذاتية مادية على حساب النظام الكنسى وشرعية الأساقفة. ورداً على هذا قامت جماعة «المعترفين» بقطع منصور من شركة التناول فى الكنيسة. ولما توفى منصور فى عام ٣١١ انتخبت الكنيسة القرطاجية خلفاً له الشماس سيسيليان الذى قرر السير على سياسة سيده الراحل تجاه جماعة «المعترفين» الغلاة. ودبت الفرقة والحزازات الشخصية بين الجماعتين:

فريق سيسيليان وجماعة المعترفين التى برز من بين أنصارها الخطرين امرأة مرموقة هى لوسيلا، وعدد من أساقفة نوميديا ثم دوناتوس Donatus أسقف مدينة Casac Nigrac فى نوميديا والذى كان يعيش وقتها فى قرطاجة. وإلى دوناتاس هذا تنسب الطائفة الدوناتية.

ولما احتدم الخلاف اضطر رئيس أساقفة نوميديا إلى الحضور إلى قرطاجة وفى معيته سبعون من الأساقفة للفصل فى هذا الموقف المتأزم. غير أن سيسيليان تجاهل هذا المجمع تماماً، فأعلن المؤتمرون أن سيسيليان غاصب لعرش الأسقفية وعينوا بدلا منه واحداً من حاشية السيدة

لله يكتب لديونوسيوس البطرك وديمتريوس ولباقى الأساقفه ويأمر بمراعاتهم، ومن كان يبغضهم فليبعد عنهم. وتفتح لهم بيعهم فيتقوو بكتابنا ولا ينالهم بعد اليوم عذاب ولاخزى ولاغم بعد هذا الزمان، لكى يكملو خدمتهم لله وصلواتهم، وقد أطلقناهم، وقد وليت أريليوس كيريلنوس وامرته أن يحفظهم ويراعيهم، ويصلون صلواتهم ويقدسو قداساتهم. وكان هذا الكتاب مكتوبا باليونانية. وكتب كتابا أخر للأساقفة بأن يأخذو دياراتهم

لوسيلا واسمه مايورينوس. كذلك قرر المؤتمر أن فيلكس أسقف أبتونجا، الذى كان قد رسم سيسيليان للأسقفية، هو أيضاً من «المرتدين» الخونة، ومن ثم فإن نعمة الاكليروس يجب أن تسقط عنه لأنه لا يصح لمرتد أن يمارس أسرار الكنيسة من عماد وميرون وتناول وزيجة إلخ. وهذه الآراء ليست بالشيء الجديد على كنيسة شمال إفريقيا فهى ترديد لنظرية القديس كبريان.

ولقد تفاقم الموقف فى شمال إفريقيا فى عام ٣١٢، وهو نفس العام الذى شهد انتصار قنسطنطين العظيم على أعدائه فى واقعة قنطرة ملفى، وهو أيضاً نقطة التحول فى موقف قنسطنطين إلى جانب الديانة المسيحية بوجه عام. ولما وصلت تفاصيل النزاع إلى مسامع الإمبراطور جاء حكمه فى جانب الأسقف سيسيليان، كما أمر بخلع الأساقفة الدوناتيين عن كراسيهم. ولكن الدوناتيين احتجوا على هذا القرار وطعنوا فى شرعية حكم سيسيليان، طالبين تحكيم أساقفة غالة.

وافق قنسطنطين على مطارحة المسألة من جديد، وشكل محكمة فى روما من عدد من أساقفة غالة وإيطاليا وعلى رأسهم البابا ذاته للفصل فى النزاع الدوناتى، وكان ذلك فى أكتوبر ٣١٣. وانعقدت المحكمة فى قصر اللاتيران Lateran، واستمع القضاة إلى رأى كل من الفريقين، وانتهوا إلى قرار بأن دوناتوس ليس على صواب فى موقفه، وبأن سيسيليان هو

ومواضعهم كلها. وكان في ذلك الزمان كستس اسقف رومية وديمتريانوس اسقف انطاكية وبرميليانوس اسقف قيسارية كبادوكية واغريغوريوس اسقف بنتس واخوه اتاندرس أسقف قيسارية فلسطين واوماناوس أسقف يروشليم، وهو الذى أخذو رأسه لاعترافة بالمسيح. فلما طعن ديونوسيوس في أيام ضعف جسده من كثرة ما لحقه من الإضطهاد ولم يفتر مع هذا ليلة واحدة من قراة الكتب المقدسه، فلما علم الله تعالى

الأسقف الشرعى لقرطاجة. ولكن هذا القرار لم ينه الصراع وانما زاد النار ضرما؛ إذ تحفز لكل أسقف كاثوليكى خصم دوناتي ينغص عليه حياته وعلى أبروشيته. وأمام هذا أمر الإمبراطور قسطنطين موظفيه المدنيين بفحص الأمر عن كثب. وتركزت القضية الآن حول شخصية فيلكس الذى اتهمه الدوناتيون بالخيانة والردة أيامي الاضطهاد. ونبش موظفو الإمبراطور في ملفات محاكم التفتيش كما عثروا على القاضى الذى قيل إنه كان قد أصدر قراراً بالقبض على فيلكس. وأدلى القاضى بشهادته ونفى جميع الشبهات عن فيلكس، فهو لم يقبض عليه ألبتة. وكشفت التحقيقات أيضاً عن أن الدوناتيين قد زيفوا بعض الوثائق لتجريم فيلكس البرىء. وقد أرسل الإمبراطور بهذه الوثائق الخطيرة إلى المجمع المنعقد في مدينة أرلس Arles بغالة (أغسطس ٣١٤). وقرر المجلس أن طائفة الدوناتية «متهوسة تعصباً»، وأنها خطر يهدد المسيحية ذاتها. وانتصر المجلس لسيسيليان على خصومه.

لم يكف الدوناتيون عن شغبهم واحتجوا مرة ثالثة إلى قسطنطين. واضطر الإمبراطور إلى أن يستدعى كلا من دوناتوس وسيسيليان للاجتماع به في مدينة بريشيا، وبعد مدارسة الأمر مع مستشاريه قرر في صالح سيسيليان، وأمر بأن تنزع الكنائس التى فى يد الدوناتيين وتسلم للكاثوليك، كما حرم على الدوناتيين عقد أية اجتماعات فيما بينهم. وقد تبع هذا قيام عدة ثورات خاصة في نوميديا حيث كان الدوناتيون يسيطرون على الموقف، فأرهبوا الكاثوليك وقتلوا منهم أعداداً وفيرة.

محبته للكتب أنعم عليه بقوة بصره حتى إنه صار يبصر كما كان فى أيام شبابه. ولما لم يقدر يمضى الى المجمع الذى اجتمع على بوله السميساطى(*) أرسل رسلة برسالة مملوه حكمه وتعاليم الى الاساقفه المجتمعين بسببه، لأن بوله كان كالديب الذى يهر على الخراف، فمضى اساقفة المجمع مسرعين الى انطاكية بمجد السيد المسيح. ومن جملة من حضر المجمع برمليانوس أسقف قيساريه كبادوكية وغريغوريوس المقدم ذكره واخوه

(*) بولس السميساطى: ولد فى سميساط قرية فيما بين النهرين، وكانت له حظوة عند الملكة زنوبيا ملكة تدمر حتى أنها وكلت له جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسناريوس (أى والى من الدرجة الاولى). زعم أن ابن الله لم يكن من الازل بل ولد انسانا حل فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء وأن هذه الحكمة التى مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب فارقته حين قدم

والدوناتية، هذا التعبير عن الخلاف المذهبى فى ظاهرها، إنما كانت ثورة اجتماعية عارمة فى حقيقة أمرها، فهى الفرصة التى أتاحت الانفلات للعواطف المكبوتة والكراهيات القديمة والأحقاد الدفينة ضد السادة الرومان والنبالة الرومانية الفاحشة الثراء. وليس أدل على صدق ذلك من حقيقة أنه حيثما انتصرت الدوناتية انقضت عصابات من المفلسين والمعدمين، وهم يرفعون لواء الأسقف الدوناتى تميمة تحميهم، ترتكب جرائم السلب والقتل. وهكذا هلك كثير من كاثوليك شمالى إفريقيا وبخاصة من الأثرياء، فالدوناتيون كانوا يبغون من النبلاء والأساقفة الأعداء رؤوسهم ورؤوس أموالهم على حد سواء. أما هذا النفر من الكاثوليك الذين رفعوا راية الاستسلام للدوناتية فقد أجبروا على قبول المعمودية من جديد وفق المراسيم الدوناتية، وإن كانوا من الإكليروس أعيدت مراسيم سيامتهم مرة أخرى. وأما الكنائس الكاثوليكية التى سقطت فى أيديهم فقد غسلت ثم أعيد غسلها لتتطهر من طقوس الردة، فى حين أن ما تبقى فيها من قربان التناول قد ألقى به على قارعة الطريق وجبة ممقوتة للكلاب الضالة.

ولم تهدأ الأمور إلا فى عام ٣٢١ عندما أصدر الإمبراطور قسطنطين قرارا بالتسامح للدوناتية، وأمنهم على عقيدتهم وحقوقهم فى المناطق التى كانوا قد سيطروا عليها. واستغل الدوناتيون هذا القرار وراحوا يثبتون مراكزهم ويدعمون حركتهم لمدة خمسة وعشرين عاماً.

[١٤ : ديونوسيوس ٢٤٧/٢٦٤م]

اتاندروس والنوس أسقف طرسوس ونيكوموس اسقف ايكونيا واوماناوس اسقف اورشليم ومكسيموس اسقف وسترا وجماعة معهم اساقفة واقسة وشمامسه فاحضرو بولها السميساطي ا وسألوه عما قاله ووبخوه على تجديفه على السيد المسيح، فلما لم يرتد قطعوه ونفوه.

وفى هذا الزمان تنيح ديونوسيوس بطرك اسكندرية وكان مدة مقامه على الكرسى سبع عشره سنه، وتنيح فى تلته عشر يوما من برمهات، وفى نسخة بدير ابى مقار أن مقامه على الكرسى

على الالام. وبسبب اتحاد الكلمة الألهية هذا بالانسان يسوغ القول ان المسيح هو الله وليس بمعناها الحقيقي. ونشأ عن ذلك ضلاله أخرى وهى انه كان فى المسيح اقنوماك وابنان لله أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبنى. وبذلك شايع سابليوس فى انكار الثالوث الاقدس بقوله يوجد اله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته وكلمته ليست اقنوما بل انها فى العقل الالهى بمقام الفهم فى العقل الانسانى.

وفى عام ٣٤٧ رأى الإمبراطور كونستانس (قنسطانز) ضرورة تحرير كاثوليك شمالى إفريقيا من إرهاب الدوناتيين، فقبض على جميع الأساقفة الدوناتيين فى نوميديا ونفاهم، ثم سلم كنائسهم إلى الكاثوليك. وساد السلام حتى ارتقاء جوليان المرتد العرش: فلقد رأى المرتد أن أكبر ضربة يمكنه أن يسددها للمسيحية هى أن يعيد الأساقفة الدوناتيين من المنفى، وذلك ليثير الفتنة من جديد بينهم وبين الكاثوليك فتضعف بذلك شوكة المسيحية. ولكن جوليان توفى بعد عام من إصدار هذا القرار.

ظلت الاضطرابات تعكر صفو الكنيسة فى شمال إفريقيا على عهود الأباطرة ڤالنتينيان الأول وجرانيان وڤالنتينيان الثانى. ولكن باعتلاء ثيودوسيوس العظيم العرش انكسرت شوكة الدوناتية؛ ذلك أن هذا الأمير الإسبانى الكاثوليكى العنيد لم يكن ليعرف أنصاف الحلول. ولعل العامل الآخر الذى ساهم فى كسر جناح الدوناتية هو ارتقاء القديس أغسطينوس عرش الأسقفية فى مدينة هيبو فى عام ٣٩٦. ولقد جادل أغسطينوس بحسن منطقه الأساقفة الدوناتيين وحاول إقناعهم بشتى الطرق، ولكنه تعفف عن سبل العنف والاضطهاد برغم أنه قد تعرض للهلاك ذات مرة على أيديهم. ولم يتوان أغسطينوس فى إصدار سيل من الرسائل والمواعظ والمقولات والأناشيد الكنسية لتفنيد النظريات الدوناتية، وكانت هذه تعلق على أبواب الكنائس والمساكن العامة لسد الطريق أمام الدوناتية. وقد وقف الأساقفة الكاثوليك صفا

ولما بلغت القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندرى أخبار بولس أرسل اليه رسائل عديدة وبين له فيها مخالفة غواياته لنصوص الكتاب وشهادة الآباء. وقد جاوب بولس على بعض هذه الرسائل ولأجله عقد مجمع فى انطاكية تكرر انعقاد مرارا. وكان المتقدمون فيه فرميليانوس أسقف قيصرية واغريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة وأخاه ايثنوذورس وايلينوس أسقف طرسوس وايماناوس أسقف أورشليم وغيرهم كثيرون. أما سبع سنين. وقد شهد سعيد ابن بطريق فى كتاب التأريخ إنها سبع عشرة سنة وهو موافق للسيرة التى نقلت منها هذه النسخة. ولربنا المجد دايما سرمدا.

مكسيموس البطرك

وهو من العدد الخامس عشر

٢٦٤ / ٢٨٢م

وجعل بعد ديونوسيوس مكسيموس على كرسى القديس مرقس بمدينة اسكندرية العظمى فى سبع

واحداً وراء أغسطينوس فى جهاده هذا ضد الوناتية ما بين عامى ٤٠١ ـ ٤٠٣. وفى عام ٤٠٥ أصدر الإمبراطور هونوريوس مرسوماً باعتبار الدوناتيين هراطقة يجب استئصال شأفتهم. وفى عام ٤١١ قرر مجمع قرطاجة إدانة الدوناتية واستمطرها اللعنات. وفى عام ٤١٢ أصدر هونوريوس أوامره بتنفيذ قرارات مجمع قرطاجة هذا، وبالفعل تم القضاء على فرقة الدوناتية أو هرطقتها ـ إن شئت.

أما عن البيلاجية فهى تنسب إلى بيلاجيوس الراهب الإنجليزى الأصل الذى عاش فى روما فى أواخر القرن الرابع، واشتهر بالزهد والتقشف. ويرتبط بالبيلاجية اسمان آخران هما سلستيوس البريطانى، وجوليان من اكلانوم الذى كان أرسطاطيلى النزعة. والنظرية البيلاجية تؤمن بحرية الإرادة عند الإنسان فى قضايا الخير والشر، وبأن ليست هنالك ثمة عوائق تتدخل فى حرية الاختيار للبشر، وعلى هذا فإنه فى مقدور الإنسان القوى الإرادة أن يعيش حياة تصل إلى مرتبة الكمال.

وفلسفة بيلاجيوس هذه تهدم الرأى الكاثوليكى التقليدى الذى يقول بأن الخطيئة الكبرى للإنسان الأول ـ آدم ـ قد أسقطت عن بنى البشر الامتيازات الفضال التى كان الله قد أودعها فى آدم وقت الخلق. كما ترفض البيلاجية من هذا المنطلق فكرة أن السقوط الأول فى جنة

عشرة سنه من ملك جليانوس ووالاريانوس. واعان الأخوه فى أمور البيعة بكل موضع، وأخرج بوله السميساطى من البيعه لما عرف بأنه مخالف، لأن كل ما جرى فى المجمع بإنطاكية على بوله كتبوا به الى ديونوسيوس بطرك رومية والى مكسيموس بطرك اسكندرية لما جلس بعد ديونوسيوس، وكتب جميع المجمع بإتفاق روحانى قطع بوله وقالوا إنه لا يجب أن يسمى باسم بولس الرسول.

وكتبوا الى ديونوسيوس بطرك رومية

القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من أجابة دعوة المجمع لداعى شيخوخته واكتفى بما أرسل من الرسائل للمجمع.

وفى النهاية عزلة القيصر الرومانى أورليان عن الكرسى الانطاكى.

عدن قد أورث بنى آدم جميعاً نزوعاً نحو الإثم. وإنما بشر بيلاجيوس بأن الطبيعة البشرية لكل مخلوق فرد تشبه طبيعة آدم البكر النقية وقت الخلق؛ أى قبل السقوط، وهذا يعنى أنها لم ترث أوزار الإثم الأول. ومن هنا فالإنسان حر تماماً، بل وليس فى حاجة إلى أى عون خارجى لكى يسلك الصواب. وإذا كانت البشرية قد ضلت فإنها ضلت بمحض اختيارها وبحرية إرادتها: «لقد اختطت لنفسها الاختيار الخطأ». وفى وسع البشر أن يمارسوا بما زودهم الله به من ملكات تبيح لهم حق الاختيار للصواب، ولا يستلزم هذا إعادة لخلق الآدمية من جديد، ومن ثم فليس هنالك مبرر لمعمودية جديدة ولا لنظرية الفداء. وطقوس العماد ـ عند البيلاجيين ـ مراسيم ظاهرية لا تمس روح الإنسان فى شيء، فما هى إلا طقس خلقى يقصد به الموعظة، ويمكن الاستغناء عنه تماماً.

والصلاح إنما يكمن فى أعماق النفس البشرية التى هى من صنع الله، الخير الأعلى. وهكذا أفرغ بيلاجيوس سر «الفداء» المسيحى من مغزاه، بل إن تجسد «الكلمة» ذاتها لم يعد أكثر من معجزة كبقية المعجزات الأخرى كإحياء الموتى مثلا. وأخيراً يخلص بيلاجيوس إلى رأى جرىء: لئن نجح الإنسان فى الحصول على الخلاص تلقائيًا، أى دون عون خارجى، فإن هذا يعنى أنه غنى بذاته عن وسطاء السماء (الإكليروس والكنيسة) بل عن السماء ذاتها.

ومكسيموس بطرك اسكندرية والى جميع اساقفة
المسكونه والقسوس والشمامسة وجميع بنى
المعمودية والبيعه السماويه المتفقه ويسمونهم
ويقولون فى كتابهم: الينس وهمناوس وتاوفيلس
وتاوتكنص ومكسيموس وبركلس ونيكوموس
وايليانوس وبولس وبروتجونوس وولانوس وهيركس
واوتاخيوس وتادروس وملخيون ولوكيوس وبقيتهم
الذين فى المدن والقرى القريبة منا[والبعيدة عنا]
قد كتبنا إليكم ياأخوتنا الاساقفة القديسين

ويتساءل الفيلسوف الإنجليزى: هل هنالك إذن حاجة إلى الدين؟. والصلاة بشكلها المعروف تصبح عند بيلاجيوس مجرد هراء وعبث؛ لأن الله لا يهتم إلا بالقلوب وبالأفعال.

وصل بيلاجيوس ورفيقه سيلستيوس إلى شمالى إفريقيا فى عام ٤١٠ فراراً من جحافل آلاريك المحاصرة لروميا. وتقدم سيلستيوس إلى أسقف قرطاجة ليرسمه قسّاً، ولكن الأسقف رفض طلبه واتهمه بالهرطقة ثم أصدر ضده قراراً بالحرمان. ولهذا ترك سيلستيوس شمالى إفريقيا مخلفاً وراء نفراً من الأتباع. ولما وصل إلى أفيسوس نجح فى الحصول على منصب كنسى دون عناء. أما بيلاجيوس فقد سافر إلى أورشليم وقوبل هناك بالترحيب الزائد، وافتتن الكثيرون بعظمة لسانه وحياته الزاهدة. ولكن القديس جيروم، الذى كان مقيماً آنذاك فى أورشليم، لم يلبث أن هاجم آراء بيلاجيوس برغم الحماية التى كان أسقف أورشليم قد بسطها على بيلاجيوس. ولما اشتد الجدل حول البيلاجية عقد مجلس فى أورشليم، ولكن المجلس لم يصل إلى نتيجة حاسمة فأحال الأمر إلى روما فى عام ٤١٥ . كذلك التأم مجلس آخر فى مدينة ديوسبولس Diospolis فى عام ٤١٥ ، حضره أوروزيوس الإسبانى نيابة عن القديس أغسطينوس، وأسقفان من غالة، وتدارس المؤتمرون النظرية البيلاجية ولكنهم لم ينتهوا فيها إلى شيء. وفى عام ٤١٦ تلقى البابا أنوسنت الأول رسالة من القديس أغسطينوس ضمنها شرحاً وافياً لطبيعة الجدل حول البيلاجية، وبناء على هذا قرر البابا التصديق على قرارات

[١٥ : مكسيموس ٢٦٤/ ٢٨٢م]

والشعوب المحبين للسيد المسيح ابن الله، ندعوكم
الى الصلاة للرب أن يزيل عنكم مؤامرة بوله
السميساطى فالذى معه يولد له الموت أكثر من
كل أحد، لكى تكونو معنا بقلب واحد مثل
ديونوسيوس بطرك اسكندرية وبرمليانوس أسقف
[قيسارية] كبادوكية الذين كتبو إلينا الى انطاكية
حتى هدمنا ريس الضلاله الذى لم يعلمو شيا من
اقاويله الرديه، لأنا نحن الذين قرانا كتبه فى المجمع
بالأمانه الفاسدة وشهدنا بهذا ومن معنا. ومن بعد

الحرمان ضد بيلاجيوس وسيلستيوس. وفى عام ٤١٨ أرسل البابا زوزيموس قراره المعروف باسم «تراكتوريا» Tractoria إلى شمالى إفريقيا يدين فيه البيلاجية صراحة بالهرطقة. وقد أصدر مجمع قرطاجة السادس عشر (سنة ٤١٨) قراراته بالآناثيما ضد أتباع البيلاجية[1]. أما جوليان من أكلانوم فكان واحداً من أساقفة جنوب إيطاليا المناصرين للبيلاجية، وقد هرب إلى الشرق عندما أصدر البابا زوزيموس ضده قراراً بالحرمان. وقد وصل جوليان إلى مصيصه حيث تعرف على اللاهوتى الشهير ثيودور أسقف المدينة، وقد تأثر ثيودور بالبيلاجية إلى حد كبير.

ولقد أفاض القديس أغسطينوس فى الرد على البيلاجية، وجاء رده متوافقاً، بطبيعة الحال، مع آراء الكنيسة الكاثوليكية. يقول القديس: إن الله خلق آدم ولم يكن محتاجاً إلى عبوديته بل إن البشر هو المحتاج إلى الربوبية. وزود الرب أبانا الأول بهبة الخلود وبإرادة خيرة تماماً، كما

---

(1) Carthaginense Conc., Can. 2.: "Item placuit, ut quicunque parvulos recentes ab uteris matrum baptizandos negat, aut dicit in remissionem quidem peccatorum eos baptizari, sed nihil ex Adam trahere originalis peccati, quod lavacro regenerationis expietur, unde sit conse - sed nihil ex Adam trahere originalis peccati, quod lavacro regenerationis expietur, unde sit conse- quens, ut in eis forma baptismatis "in remissionem peccatorum" non vera, sed falsa intelligatur- A.S."

ذلك عـاهدنا إنه يتـوب وكـان ذلك منه هزوا[ء]ا
وغـدرا وقسـا قلبـه ولم يتب ويبـقى على ضـلاله
مفتـريا على الله بكلامه، فـأنكر جـحـد الرب فى
أمانته.

وصفة حـال هذا بوله إنه انتقل من أمـانتـه الى
الكفر والضلالة والهلاك، وكـان فقيرا فى جنسه
فقرا ظاهرا لأنه لم يرث شيـا عن سلفه ولم يرزق
شيـا من صنعتـه بيده، واستغنى من مـال البيعه.
وكان ينهب الهياكل بالناموس، ويقطع مصانعات

صاغ فيه العقل والحواس وتوج آدميته بالمعرفة. ولكن آدم «اشتهى» ثمرة الشجرة المحرمة، ثم أكل منها بغواية الحية وحواء وبهذا يكون آدم قد «هجر الله»[1]. وتعرى آدم وعرف حواء وولدت بالإثم، وتوارث بنو آدم هذا الإثم[2]. وتشهد سجلات التاريخ بتعاسة البشرية منذ هذا السقوط الأول. ولن يفلت من البشر واحد بسبب الخطيئة الكبرى وهى الجنس، فابن آدم يجرى وراء الشهوة فيطأ بقدميه القوانين والضوابط.

وهذه النوازع الآدمية الآثمة الموروثة قد وأدت فى ذرية آدم عنصر الخلود وحرية الإرادة التى كان الله قد أودعها أصلا فى «الوعاء النقى»، فى آدم الطيب قبل السقوط الأكبر. ولولا «الرعاية» الربانية والعطف السماوى لظلت البشرية متردية فى هلاك الهاوية إلى الأبدية،

---

(1) De Civitate Dei, Liber Decimus Tertius, Cap. XV, Col. 387: "Nam in eo quod inobediens motus in carne animae inobedientis exortus est, propter quem pudenda texerunt, sensa est mors una in qua deseruit animam Deus. Ea significata est verbis ejus, quando timore dementi sese abscondenti homini dixit, Adam, ubi es? non utique ignorando quaerens, sed increpando admonens, ut attenderet ubi esset in quo non esset Deus. Cum vero corpus anima ipsa deseruit aetate corruptum et senectute confectum, venit in experimentum mors altera, de qua Deus peccatum adhuc puniens homini dixerat, Terra es, et in terra ibis.."

(2) "Hoc est malum peccati in quo nascitur omnis homo."

الأخوه في الحكم، وإذا زادوه خصومهم برطيلا عاد معهم عليهم فاكتسب له غنى باطلا من كل وجوه الظلم. وكان مع هذا يظهر إنه [يحب] لله وكان يمشي مع الأعوان ويتسلط على[الصغار] ويدور في الشوارع ويحب أن يسمى باسم الأسقفية ويقلق الناس بكثرة من يصحبه من الجمع. وكان معه كتب يقراها كأنه يطلب الخراج ويوجب الناس إنه مقدم، ويصحبه قوم متسلحين قدامه وخلفه، وكان يبغض التعليم الروحاني ويحب

ولكن الله أرسل «الكلمة» فصارت في بطن العذراء جسداً، وولد المسيح ليفدى البشرية ويغسل آثامها. أما وقد صعد المسيح إلى السموات، فقد ترك لنا على الأرض كنيسته بأسرارها المقدسة مجسماً للفداء والخلاص، وما شركة التناول إلا تكرار للفداء وغفران دائم للذنوب والخطايا. والمسيحية على هذا رسالة كنسية تقوم على الفداء وتحيا «بالنعمة» الإلهية التي لا خلاص للبشرية من إثم هذا العالم بدونها.

وبهذه النظرية يكون أغسطينوس قد محا حرية الإرادة وحكم على الجنس البشرى بشيء أشبه بالإعدام، لأنه لا خلاص إلا من فوق! أليست هذه ردة إلى القدرية واليأس؟!

[١٥]: مكسيموس ٢٦٤/ ٢٨٢م]

التعاليم البرانية. ويرفض الغريب إذا دخل فى البيعه، ويطلب المجد من المقدمين، ويحتال على المجد الفارغ بكل نوع، حتى إنه وضع له كرسيا له منبر عال كأنه تلميذ المسيح وهو غريب من البيعة، وكان قد جعل النسا يقرأن فى ليالى الأعياد وفى جمعة الفصح عوض المزامير والتسابيح، وكان الأخوة المومنون يسدون اذانهم إذا سمعوهن يقرأن. وكان لا يقبل شيا من الكتب، ولا يقول أن المسيح ابن الله ولا إنه نزل من السما وتجسد من مريم

- -

قوانين المجمع المسكونى الأول
نيقيا سنة ٣٢٥م

هذه المخطوطة جزء من كتاب «خطى» لكاتب مجهول الاسم. على أننا نستدل من فصله بعنوان «القول الفاتح» أنه من إكليروس أنطاكية الأرثوذكسيين وذلك من قوله «أما بعد فيقول الأب الجليل الأقدس والراعى النبيل الأنفس كير سيلبسترُوس البطريرك الأنطاكى الكلى الغبطة، أدام الله تعالى رياسته، وأعاد علينا آثار بركاته من طيب أنفاس قداسته آمين». وكير (أو مار ويقابلها فى اللاتينية لقب دومينوس) سيلبستروس هذا جلس على كرسى أنطاكية سنة ١٧٢٤ وتوفى فى مارس ١٧٦٦. وفى عهده تمت ترجمة لهرطقات اللاتين. وعلى هذا فإن كاتبنا معاصر لهذه الفترة، وأغلب الظن أنه كتب كتابه هذا أثناء تولى هذا البطريرك للكرازة الأنطاكية. والكاتب على درجة رفيعة من العلم، وربما أنه كان يشغل منصب الأسقفية، ونستدل على ذلك من قوله: «إن كان حفظ الناموس من أهم الأمور وأعمها فى سياسة المؤمنين ونظام أحوال المسيحيين فيما يخص الرؤساء ويعم المرءوسين، لأجل ذلك قد ينبهنا الرسول الإلهى قائلا: احترسوا إلى أنفسكم وإلى جماعة الرعية التى أقامكم روح القدس عليها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه».

ويحدثنا الكاتب عن الدافع الذى حثه على كتابة هذا المصنف القيم فيقول: ولما كان نظام الأصول جارياً على هذا المنوال، حذراً من التشويش والاختلال فى أمر الأحكام الشرعية

العدرا، بل كان يجدف تجديفا كثيرا، ويظهر إنه من جملتنا. فوجب أن اجتمعنا فى مجمع وقطعناه، واقمنا عوضه إنسانا خايف من الله اسمه دمنوس ولد الطوبانى ديمتريانوس، وهو الأن فى البيعه مستحق لمجدها. وقد كاتبناكم بهذا لتكاتبو هذا الجديد وتقبلو كتبه بالسلامه كترتيب البيعه. فاما بوله السميساطى فقد مرق من الأمانة وأخذ دمنوس اسقفيته ونحن بانطاكية.

وبدأ الملك وريليانوس [اورليان] يقيم الإضطهاد

والحدود الواجبة المرعية البيعية، لزم أننى راجعت النظر والاطلاع على القوانين المقدسة والحدود المدونة فى كتاب الناموس الموجود فى اللغة العربية، وقابلته على موضوع أصله فى اللغة اليونانية فرأيت أكثر القوانين التى فيه مشوشة المعانى مختلفة العبارات والمبانى. محرفة عن صحة أصلها اليونانى مع ما تداخلها من الزيادة الباطلة وما نقص منها من القوانين والحدود الكاملة. فقمت حينئذ على ساق الجد والإقدام وشمرت عن ساعد الجهد والاهتمام فى رد ما خل عن أصلها وتصحيح ما زل عن موضوع ذويها وأهلها، أعنى بها قوانين الرسل القديسين والآباء الإلهيين وحدود المجامع المقدسة المسكونية والمكانية المدونة فى داستير البيعة المقدسة الرسولية الجامعة الكلية بإلهام الروح القدس الواهب للأنام مراسيم العدل والحرية».

وقد اعتمد الكاتب فى مصادره عن هذه القوانين على «كتب مجموعات عمدتى الآباء الأفاضل وقدوتى العلماء الأماثل: يوحنا زوفراس (القرن ١٢) الشهير فضله، والأب الأكرم كير تاودروس بلصامون البطريرك الأنطاكى الجزيل قدسه، وغيرهما من العلماء الفاضلين الذين جمعوا القوانين المقدسة على أكمل صحة وسداد وأصدق نقل ما لا طعن عليه ولا انتقاد».

المخطوطة

قوانين المجمع المسكونى الأول الملتئم فى نيقية

القانون الأول: أى من خصى من الأطباء فى مرض، أو قطع من البربر فليقم فى الكليرس.

على البيعه ولم تكن معونة الرب معه فيما هم أن يفعله.

وبعد ست سنين مات وصار بعده فروبوس الملك.

وفى زمان هذا الملك ظهر إنسان ردى يسمى مانى(*) واظهر افعالا رديه وجدف على الرب ضابط الكل وعلى الابن الوحيد وعلى الروح القدس المنبثق من الأب، وجسر ان قال ان جميعه بارقليط. وكان هذا [مانى] عبدا لامرأه ارمله كان

(*) مانى: ولد حوالى سنة ٢٣٩م، وكان قد اسره الفرس فتعلم فى بلادهم علوم الديانات الفارسية والفنون والفلك والطب والفلسفة. وبعد أن اعتنق المسيحية خرج بمذهب خاص طفق ينشره منذ عام ٢٦٨م ويدعى فيه أنه. البارقليط: الذى بشر به عيسى ليكمل رسالته. فى هذه الفترة من حياته حاربه ملك الفرس وحكم باعدامه، ولكنه هرب منه لفترة حتى قضى عليه وسلخ

وأما من أخصى ذاته فى حال الصحة، هذا وإن كان معدوداً فى زمرة الكليرس، يجب أن يعزل عن خدمته. ومنذ الآن فصاعداً لا ينبغى أن ينتدب أحد مثل هذا، وهو لأمر واضح بأنه كما قيل فى الذين يفعلون مثل هذا الأمر ويجسرون بأن يخصون ذواتهم هكذا. فإن كان قوم قد أخصوا من البربر أو من مواليهم كانوا على جهة أخرى مستحقين. فالذين مثل هؤلاء قد يقبلهم القانون فى الكليرس.

القانون الثانى: من حيث إنه قد حدث من إلزام الناس أو من ضرورة لازمة، أو من وجه آخر صارت أمور كثيرة واقعة بخلاف القانون الكنسى، حتى إنهم يقدمون إلى الحميم الروحانى بسرعة قوماً قادمين إلى الأمانة حديثاً فى عيشة أممية، وموعوظين فى زمن يسير، ومع معموديتهم قد ينتدبون إلى الأسقفية أو إلى القسوسية فلاح لنا أنه لجيد بأنه منذ الآن فصاعدا لا يصير أمر مثل هذا ألبتة، لأن الموعوظ قد يحتاج إلى زمان ومهل، وبعد المعمودية إلى اختبار أكثر، كالقول الذى كتبه الرسول القائل: لا يكون غرسة جديدة لئلا يتصلف فيسقط فى دينونة وفى فخ المحال. وأما إذا كان مع تمادى الزمان وجد فى ذلك الشخص خطية ما نفسية واشتهر بها من شاهدين أو ثلاثة، فمن كان مثل هذا فليبطل من الكليرس. وأما من فعل بخلافه بما أنه متقحم ضد المجمع العظيم، فإنه قد سقط فى مخاطرة أن يعدم ذاته من الكليرس.

القانون الثالث: إن المجمع العظيم منع من السكنى مع امرأة، على أنه لا يجوز للأسقف ولا

لها مال كتير، وكان قد اوى اليها ساحر عظيم من اهل فلسطين وقع من فـوق السطح فـمـات، فاشترت الامرأه ذلك العبد السو وعلمته فى الكتب[المدرسة] ، فلما كبر دفعت له كتب ذلك الساحر فلما قراها وعرف منها السحر مضى الى الفرس وحضر الى الموضع الذى فيه السحره والعرافون والمنجمون، فلما قوى فى علم الخطيه ظهر له الشيطان وقواه وحبب له بغض البيعه، فأضل قوما كثيرا بسحره وصارت الاموال تحمل اليه وصار له صبيان وصبايا يخدمون شهواته

جلده وسلمه للوحوش لتأكله ثم حشى جلده تبنا وعلقه على باب المدينة. وبعد موته (نشط تابعوه فطاف أقدرهم وأفصحهم فى سوريا وفارس ومصر وأفريقيا وأكثر أماكن العالم وبصرامة آدابهم وبساطة ديانتهم تلمذوا فى كل مكان تلاميذ ومع كل الاضطهاد الذى ألمّ بهم فإن نسلهم باق للآن فى الجبال بين فارس والهند.

أما افكار مانى فيوضحها أحسن ايضاح موسهيم المؤرخ فروى انها كانت مؤلفة من تعاليم المسيحية

للقس ولا للشماس ولا بالجملة لكل من كان من آل الكليرس عموماً بأن يساكن امرأة دخيلة، أى أجنبية، ما خلا إذا كانت أمه أو أخته أو عمته أو خالته وتلك الأشخاص السالمة من كل ظن وحدها فقط[١].

القانون الرابع: إنه ينبغى أن يقام الأسقف خاصة من كافة أساقفة الأبروشية، فإذا كان ذلك عسراً لضرورة لازمة، أو لأجل طول مسافة الطريق، فلابد من اجتماع ثلاثة معاً بعد شركة الغائبين فى الانتخاب ومطابقتهم لهم بواسطة كتبهم. حينئذ تصير الشرطونية[٢]. وأما إثبات الأمور الصايرة فى كل أبروشية ينتهى إلى المطروبوليت[٣]. ويتفوض إليه.

القانون الخامس: فى الذين قد امتنعوا من الشركة من أساقفة كل أبروشية، إن كانوا من طغمة الكليروسية أو من العوام، حسب القانون الذى يأمر بأن المرذولين من آخرين لا يقبلون من غيرهم. إلا أنه يجب أن ينفحص فى أمرهم لئلا يكونوا قد أخرجوا من الجماعة من تلقاء صغر نفس أو مما حكة وحب الغلبة أو من تكره الأسقف لذلك الشخص. فلكيما يحصل التفحص الواجب فى هذا الأمر قد استبان صواباً بأن تصير المجامع فى كل أبروشية مرتين فى

(١) زواج رجال الدين فى الكاثوليكية ممنوع تماماً، وعند الأرثوذكسيين يتحتم على الرهبان والأساقفة والمطارنة التبتل ولكن القسيسين والقمامصة يجب عليهم أن يتزوجوا قبل سيامتهم. ويرى الكاثوليك فى زواج رجل الدين إثماً ويعرفونه بالنيقولاوية Nicolaism.

(٢) أى قانونية وشرعية سيامة الأسقف.

(٣) رئيس الأساقفة أو المطران أو Metropolitan.

النجسة، وكان يستعبدهم بسحره ويضل جماعه من الناس ويقول لهم إنه البارقليط الذى وعد السيد المسيح فى انجيل يوحنا بارساله.

وكان انسان نصرانى غنى اسمه مرقلس ريس مدينه من اعمال الشام، وكان لها اسقف اسمه ارشلاوس، وكان ذلك الريس معه روح وبركه ابراهيم واسحق ويعقوب، وهو تلميذ البيعه وهو ملازم لها بكرة وعشيه مثل الفقير الذى ليس له شى، وكان يسمع مواعظ الاسقف كما يجب، ويفعل الخير من ماله مع اهل مدينته وكان بابه

وفلسفة الفرس القديمة التى تلقنها فى مدارسهم وهو صغير. وما تكلم به الفرس عن ملكهم ميثراس تكلم به مانى عن المسيح فعلم بأنه يوجد لكل شئ مسادتان الواحدة نور والاخرى ظلمة وللاثنتين ربان رب النور سمى الله ورب الظلمة سمى الشيطان وكلاهما متضادان فى الطبيعة والاميال ولان اله النور سعيد فهو رحوم محسن ولان اله الظلمة شقى يسعى ليجعل الغير أشقياء وكل واحد منهما أوجد طائفة كبيرة من

السنة، لكيما باجتماع كافة أساقفة الأبروشية عموماً معاً يصير التفحص عن مثل هذه المسائل، وعلى هذه الحالة يستبان أولئك الذين أغاظوا الأسقف عند الكل بإثبات أكيد، بأنهم قد امتنعوا من الشركة بالصواب، إلى حين ما يان لجماعة الأساقفة العامة بأن يبرزوا فيهم الأمر الصادر بالرفق والإشفاق. وأما هذه المجامع فليصر الواحد منها قبل صيام الأربعين، لكى بعد دحض كل صغر نفس تصير تقدمة القربان لله، أى الصوم. وأما الثانى فليكن نحواً من فصل الخريف.

القانون السادس: فلتحفظ السنن القديمة التى فى مصر وليبيا وبنطابوليس، فى أن أسقف الإسكندرية يكون له السلطان على هذه كلها، من حيث إن أسقف رومية له هذه العادة أيضاً. ومثل ذلك فلتحفظ الكرامة سالمة أيضاً فى الكنائس التى فى أنطاكية وفى الأبروشيات الأخرى. وذلك واضح عياناً مطلقاً بأن أيما أسقف سيم من غير رأى المطر وبوليت قدام المجمع العظيم، بأن مثل هذا لا ينبغى أن يكون أسقفاً. وأما إذا كان اثنان أو ثلاثة من تلقاء مما حكة تخصهم قاوموا انتخاب الكل العام الصاير بمقتضى الصواب وبموجب قانون كنسى، حينئذ فليثبت انتخاب الأكثر(١).

(١) كان هذا القانون السادس سبباً فى الصدام بين كنيستى روما وبيزنطة، لأنه على ثقل هذا القانون راحت كنيسة روما تطلب بالإمارة على الكنيسة العالمية.

مفتوح لكلمن يأتيه من المساكين والمظلومين باخراج وغيرهم، متل ايوب القديس.

ولما كان فى ذلك الزمان سبى الفرس اهل ضيعه قريبه منه واخربو البلد وقتلو اناسا كتيرا، فانفذ اليه المسببون وسالوه ان يفعل معهم رحمه، فاجاب سوالهم بمحبه واستدعى مقدم الفرس واخذ منه عدة المسببين. فلما رأو فعله الحسن امتنعو من ذلك وقالو له ما نفعل هذا لكن ادفع لنا ما شيت عن الرجال الذين معنا فاستقر الحال بينهم على تلت دنانير عن كل نسمه، فخلص

نسلة على شكله ووزعها فى مملكته.

واستمر اله الظلمة مدة طويلة لا يعلم بوجود نور أو اله له ولكنه شعر بذلك من حرب حدثت فى مملكته فحاول أن يستولى على اله النور فعارضه هذا بجنودة غير أن قائدهم المدعو الانسان الاول لم ينجح وتمكن جنود الظلمة من أخذ جانب عظيم من العناصر السماوية ومن النور ذاته الذى هو مادة حيوية فمزجوها بالمادة الفاسدة فقام من جنود النور قائد آخر يسمى بالروح الحى ومع انه

القانون السابع: من حيث إنه قد جرت السنة القديمة والتقليد القديم فى أن أسقف إليا[١]. يكرم فلتستمر له الكرامة أيضاً مع إبقاء المقام الذى لمطر وبوليته[٢]. سالماً لها.

القانون الثامن: فى الذين كانوا وقتاً ما يسمون أنفسهم أنقياء[٣]، ثم يقبلون إلى الكنيسة الجامعة الرسولية: لقد لاح للمجمع المقدس العظيم بأنهم يقيمون فى الكليروس على هذه الحالة التى فيها مشرطنين. إلا أنه قبل كل شىء ينبغى لهم أن يعترفوا مقرين بكتابة منهم؛ وهو أنهم ينضمون ويتبعون معتقدات البيعة الجامعة الرسولية، أعنى بهم أنهم يشاركون ذوى الزيجة الثانية والذين سقطوا فى الاضطهاد. وقد فرض عليهم زماناً وتحدد لهم أواناً؛ حتى إنهم يكونون فى كل الأمور تابعين معتقدات الكنيسة الجامعة. فحيث ما وجد جميعهم سواء كان

(١) أورشليم. الاسم مشتق من الإمبراطور الرومانى آليوس أدريانوس الذى أعاد بناء المدينة بعد الخراب الذى حل بها وقت الأسر البابلى.

(٢) يقصد القانون مطروبولية قيسارية فلسطين لأن أورشليم كانت فى وقت ما أسقفية تابعة لقيسارية.

(٣) تفسير هذا أن جماعة الأنقياء، «هم أتباع نواتس (Novatianus) أحد القسيسين فى روما الذى دعا إلى عدم قبول من ارتد عن المسيحية وقت الاضطهاد إلى شركة المؤمنين مرة أخرى. كما وأنه أصر على بتولية سائر رجال الإكليروس تعففا منه وصحبه الذين عرفوا بالنواتية أو «الأنقياء» (Catheros). وقد عقد البابا كورنيليوس مجمعاً فى روما على عهد الإمبراطور داكيوس لعن فيه نواتس وهرطقته هذه. ونواتس هذا. أو نوفاتيانوس فريجى شرقى كما ذكر فيلوستورجيوس فى تاريخه الكنسى (٨: ١٥). وقد أذاع خصمه كورنيليوس أسقف روما خاصة فى رسالته إلى فاڤيوس أسقف أنطاكية أن نوڤاتيانوس تعمد مريضا ولم يثبت (يوسيبيوس ٦: ٤٣) وبالتالى فلم يكن لائقاً للكهنوت.

نجح كثيرا الا انه لم يتمكن من تحرير مـادة النور التى مـزجت بالعناصـر الرديئة.

وبعد ذلك أوجد اله الظلمة آدم وحواء فكل مولود من هذا المزيج قائم بجسـد من المادة الفاسـدة وبنفسين احداهما شهوانية من اله الظلمة والاخرى عقلية خالدة لانها من النور الالهى ولما صنع رئيس الظلمة الناس من عقول غطاها بالاجساد خلق اله النور بواسطة الروح الحى أرضنا هذه من المادة الرديئة وجعلها مسكنا

جميع من كان معهم وقام لهم بالمال، واكرمهم بشى اخر خارجا عن الثمن، وتسلم السبى منهم وقام بهم سبعة ايام. وكان يعامل المرضى منهم متل اولاده، وانفـذهم الى بلادهم، ودفن من قـتله الفرس منهم ثم بنى للاحيا الذين افتكهم [فكَّ اسرهم] مواضعهم وطمن قلوب من بقى فى البلد، وبنى لهم جميع البيع واسكنهم فى بلدهم. فلما مضو الفرس من عنده الى بلدهم تحدتو بجميع ما فعله وكترة ماله ومحبة اهل بلده له.

فلما سمع ما نخاوس[مانى] الفاجر. ما فعله

فى قرى أو فى مدن، إن كان هم يوحدهم فقط قد يوجدون مشرطنين. فالموجودون فى الكليروس يكونون فى ذلك الزى نفسه. وأما إذا قبل قوم بوجود أسقف الكنيسة الجامعة أو القس، فمن البين الواضح هو أن أسقف الكنيسة يمتلك رتبة الأسقف. وأما المسمى أسقفاً عند الذين يقال لهم أنقياء فيمتلك كرامة القس، ما خلا إذا استبان للأسقف بأن يشاركه بكرامة الاسم. وأما إذا ما رضى بذلك فيجد له مقام خوريبيسكوبوس أو قس، لكيما بالجملة يبان أنه فى الكليروس حتى لا يكون أسقفان فى مدينة واحدة.

القانون التاسع: إن كان قوم سيموا قسوساً من غير تفحص عنهم، أو عند التفحص قد اعترفوا بخطاياهم، وبعد إقرارهم بها قد تحرك قوم فوضعوا اليد عليهم وشرطنوهم بخلاف القانون فمثل هؤلاء لا يقبلهم القانون ألبتة؛ لأن الكنيسة الجامعة قد تنتصر لكل شىء عديم العيب والذلل.

القانون العاشر: أيما رجل من الذين سقطوا قد سيم كليروسياً، سواء كان من تلقاء الجهل به أو بمعرفة منه قد سامه، فلذلك الأمر لا يتقدم حكمه على القانون الكنسى؛ لأن من اشتهر بذلك قد يقطع.

القانون الحادى عشر: أما الذين خالفوا[1] من غير ضيق اضطرهم لذلك، أو من غير نهب أموالهم ولا استلاب أملاكهم أو فى غير خطر دهمهم ولا حيف طرأ عليهم وما يشبه ذلك من

(١) أى الذين جحدوا الله جل شأنه.

هذا الرجل ففكر وقال: ان انا ملكت وقبلت هذا الرجل فجميع الشام يكون تحت امرى. فكتب اليه كتابا يقول فيه: البارقليط مانى يكاتب مرقلس، انى سمعت جودة افعالك فعلمت انك تكون لى تلميذا مصطفى لاعرفك الطريق المستقيم الذى انفذنى المسيح لاعلم الناس بها، والان فقد اضلكم معلموكم اذ يقولون ان الله جل ذكره حل فى بطن امرأه، وقد قالو الانبيا قولا غير الحق عن المسيح، لان إله العتيقه شرير لا يريد أن يوخذ منه شى، فاما

تخليص النفوس تدريخيا من أجسادها وافراز الجيد من الردى.

ثم أخرج الله بعد ذلك من نفسه كائنين عظيمين وهما المسيح والروح القدس لأعالة النفوس المغشاة بالاجساد فالمسيح هو الشخص الذى يدعوه الفرس ميثراس وهو مادة سامية جدا من أنقى نور الله واجبة الوجود حيوية فائقة الحكمة مسكنها الشمس. وكذلك الروح القدس مادة حيوية براقة منتشرة فى كل الجلد المحيط بأرضنا يدفئ نفوس البشر ويبهجها

النوائب الطارئة مما جرى فى عهد ليكينيوس الملك[١]، قد لاح للمجمع بأنهم وإن كانوا غير مستحقين للشفقة والمحبة البشرية، إلا أن الأولى بهم أن يعاملوا بلطف المعاملة والرفق؛ على أن كلا منهم قد تاب وندم حق الندامة الصادقة. فليقف المؤمن منهم مقيما مع السامعين[١]. ثلاث سنين، وسبع سنوات يقيم متخضعا مع الجاثين[٢]، وليشارك الشعب فى الصلوات سنتين، ما خلا شركة القربان[٣].

القانون الثانى عشر: أما الذين قد دعيوا من النعمة وأظهروا النهضة الأولى وطرحوا عنهم النطاق، ثم رجعوا مثل الكلاب إلى قيئهم حتى إن بعضهم أعطوا أموالا وجعلوا رجعتهم إلى الجندية بهدايا، هؤلاء فليخضعوا جاثين عشر سنين، بعد مدة استماعهم ثلاث سنوات. وبعد هذا كله ينبغى أن يتفحص عن عزمهم وعن كيفية توبتهم ونشاطهم؛ لأن أولئك الذين يظهرون الرجوع بالفعل لا بالشكل، بل وبخوف ودموع وصبر وفعل الخير. هؤلاء بعد أن يتموا زمان الاستماع المحدود، فمن الواجب أنهم يشتركون فى الصلوات، مع تفويض أمرهم إلى الأسقف أيضاً، على أنه يتصور أمرهم بوجه أرفق وأشفق. وأما أولئك الذين استساروا بعدم

(١) ليكنيوس الإمبراطور (٣١١ ـ ٣٢٤) شريكا لقسطنطين فى الحكم.
(١) أى يسمح لهم فقط بالوقوف بخارج الكنيسة ويسمعون الصلوات.
(٢) أى داخل الكنيسة.
(٣) أى بعد انقضاء مدة السبع سنين يشاركون المؤمنين فى الصلاة ولكن لا يحق لهم شركة التناول إلا بعد مرور عامين من شركة الصلاة.

ويجعل الارض مثمرة ويخرج منها تدريجا نطفات النار الالهية المنتشرة وينهضها حتى ترجع الى عالمها التي أتت منه.

وبعد أن أنذر الله طويلا النفوس المحبوسة في الاجساد بواسطة ملائكة وأناس علمهم مشيئته أرسل أخيرا المسيح ابنه وأنزله من الشمس الى عالمنا هذا لكي يسرع برجوع الناس الى وطنهم السموى. فظهر المسيح بين اليهود لا بسا صورة وظل جسد انسانى لا جسدا حقيقيا وأعلن لهم أنه الواسطة الوحيدة لخلاص النفوس

إلاه الحديثه فهو صالح إذا أخذوا منه لا يتكلم. وقال فيه كلاما كتيرا تجديفا لا يجوز ذكره، ولا قال الشيطان قط متله. وسلم الكتاب الى واحد متله وانفذه الى مرقلس. فلما سار الرسول الى الشام لم يقبله احد من الناس فى طريقه ليأويه عنده، وناله صعوبة عظيمه من الجوع، وكان يغتذى بالحشيش الى ان وصل الى مرقلس. فلما اخذ مرقلس الكتاب وقراه انفذه الى الاسقف ارشلاوس وجعل الرسول فى مكان وقام بحاله،

تمييز وظنوا بأن شكل دخولهم إلى الكنيسة قد يكفيهم للرجوع، فهؤلاء على كل حال سبيلهم أن يتموا مدة الزمان المحدود.

القانون الثالث عشر: إن الذين يتوفون فليحفظ فيهم الناموس القانونى القديم، والآن أيضاً: وهو أنه إذا توفى أحد لا يعدم الزواد الأخير الضرورى جدّاً بالكلية. وأما إذا هو يئس[1] من الحياة وحظى بالشركة أيضاً ثم وجد فيما بين الأحياء فليكن مع المشاركين للمؤمنين في الصلاة وحدها فقط. وعلى الإطلاق أى من كان من المدنفين إذا طلب أن يتناول قربان الشكر فليناوله الأسقف القربان بتفحص واختبار.

القانون الرابع عشر: لقد لاح للمجمع المقدس العظيم بأن الذين سقطوا من الموعوظين يكونون مع السامعين ثلاث سنين، وبعد ذلك يصلون مع الموعوظين.

القانون الخامس عشر: إنه من تلقاء كثرة السجس والتشويش والمشاجرات الحادثة، لقد استبان لنا بأن ترفع بالكلية تلك العادة الواقعة بخلاف القانون فى بعض النواحي: وهو أنه لا ينتقل من مدينة إلى أخرى؛ أسقفاً كان أو قسّاً أو شماساً. فأى من باشر أمراً مثل هذا بعد حدوث حد المجمع المقدس العظيم، أو أسلم ذاته وتورط متوهراً فى أمر مثل هذا، فليكن فعله

(١) فى الأصل أيس.

فلما قرا الاسقف الكتاب نتف شعر لحيته وراسه وقـال: ليت انى مت ولم اقـرا هذا الكتـاب التجديف. وانفذ الى مرقلس فأتاه بالرسول، فسأله عن سيرة هذا مانى وكيف حاله، فاعلمه ذلك. ورغب الرسول ان يقيم عندهما لما سمع كلامهما ورأى خيرهما وجودتهما، فعرض مرقلس عليه الرجوع بجواب الكتاب ودفع له تلت دنانير، فقال: اغفر لى ياسيدى اننى لا اعود اليه. ففرحو بخلاص نفسه من شباك الموت. وكتب مرقلس

من أجسادها وبرهن على لاهوته بعجائبه. ولكن اله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه. ولما لم يكن له جسد لم تؤثر عليه الآلام ولكن اليهود حسبوه صلب فرجع المسيح الى الشمس مسكنه الاول بعد أن ترك تلاميذه لتعليم الناس ديانته ووعدهم بارسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط الذى كان يدعى مانى بانه هو

والذين يؤمنون بألوهية المسيح ينبغى أن لا يعبدوا اله اليهود وهو إله الظلمة وأن يطيعوا شرائع المسيح التى

هذا غير ثابت على كل حال، وليرجع مقيما فى تلك الكنيسة التى فيها قد سيم ذلك الأسقف أو القس.

القانونى السادس عشر: إن كافة القسوس والشمامسة وبالجملة كل من كان تحت تفحص القانون؛ الذين من تلقاء تورطهم فى المخاطرة وعدم امتلاكهم مخافة الله تجاه أعينهم ولجهلهم فى القانون الكنسى قد ينصرفون من كنيسة ما، فهؤلاء لا ينبغى أن يكونوا مقبولين فى كنيسة أخرى ألبتة، بل ينبغى أن يجتلب عليهم كل إلزام حتى يرجعوا إلى سكناهم، أو إذا بقوا مقرين على ما هم عليه من العناد، يجب أن يكونوا عادمى الشركة. وأما إذا تجاسر أحد بأن يختطف من كان يخص آخر غيره ويسميه فى كنيسته من غير أن يوافق لذلك رضى أسقفه الذى نزح عنه، ممن كان تحت تفحص القانون، فلتكن تلك الشرطونية غير ثابتة.

القانون السابع عشر: من حيث إن الكثيرين من الذين هم تحت تفحص القانون قد يسعون وراء الطمع والاستكثار والأرباح القبيحة، وقد تناسوا ما كتب فى النص الإلهى القائل: وفضة لم يعطها بالربا[1]، فيدينون مالا طالبين أرباح تعشير المئات بالربا، قد حكم المجمع المقدس العظيم بأن بعد صدور هذا الحد أى من وجد من الكليروسية آخذاً أرباحاً بالربا من معاملة يمارسها للمعيشة، أو أنه استعمل ذلك على وجه آخر طالباً نصف جملة المرابحة، أو أنه

(١) مزمور ١٤ : ٥٠.

الى مانى جواب كتابه وبعته اليه مع احد عبيده. وقال الاب ارشلاوس لذلك العبد: لا تاخذ منه شيا ولا تأكل ولا تشرب عنده. ثم سيره، وبعد سبعة أيام وصل مانى الى مرقلس وهو لابس اسكيم دقيق لطيف لنطن واستخاره دقيقه من تحته، واشتمل برداء نازل على رجليه مزين بصور من قدامه ومن خلفه، ومعه اتنين وتلاتين صبيا وصبية يمشون خلفه. فلما دخل منزل مرقلس عمد الى كرسي فجلس عليه في وسط المنزل. وكان يظن

أوضحها مانى ويقاومون بثبات شهوات النفس الشريرة وهكذا يتخلصون شيئا فشيأ من مادة رئيس الظلمة الفاسدة. غير أن كمال التطهير لا يفوز به الانسان فى هذه الحياة ولكن بعد الموت يحصل للنفس تطهيران الاول بالماء المقدس الموجود فى القمر ويلبثون فيه خمسة عشر يوما والثانى بالنار المقدسة الموجودة بالشمس وهذه تطهرهم تماما أما الاجساد فتنحل الى عنصرها الاصلى.

يحدث شيئاً آخر بالجملة لأجل اغتنام مرابحة قبيحة فليخلع من الكليروس، ويكون غريباً من القانون.

القانون الثامن عشر: لقد بلغ المجمع المقدس العظيم بأنه فى بعض المدن والأماكن الشمامسة قد يناولون القربان للقسوس، وذلك ما لم يسلمه قانون ولا عادة أصلا، وهو أن الذين لم يمتلكوا سلطاناً على التقدمة بأنهم يناولون جسد المسيح للذين يقدمونه. وقد عرف هذا أيضاً: وهو أن بعض الشمامسة قد يتناولون القربان قبل الأساقفة. فليبطل هذا كله، ولتقف الشمامسة عند حدودها، عارفين ذواتهم أنهم خدام الأسقف، وأنهم أدنى مرتبة من القسوس، وليتناولوا القربان بحسب رتبتهم بعد القسوس، على أن الأسقف يناولهم أو القس. بل ولا يجوز للشمامسة أيضاً بأن يجلسوا فيما بين القسوس؛ لأن حدوث هذا الأمر هو واقع بخلاف القانون والترتيب. فكل من لا يريد الخضوع أيضاً والرضوخ بعد صدور هذا الحد أيضاً فليعزل عن خدمة الشموسية.

القانون التاسع عشر: لقد وضح الحد على أولئك الذين تبعوا رأى بولس السميساتى ثم التجئوا إلى الكنيسة الجامعة راجعين: فى أن تعاد معموديتهم على كل حال لا محالة. فإن كان قوم فى الزمن الماضى قد حسبوا فى الكليروس فإن هم قد استبانوا عدموا العيب والملامة فليساموا من أسقف الكنيسة الجامعة بعد إعادة معموديتهم. وأما إذا كان بعد التفحص عنهم

انهم استدعوه ليتعلمو منه. فانفذ مرقلس الى الاسقف ارشلاوس. فلما راه جالسا على الكرسى تعجب من قلة حياه. فسأله الاسقف وقال له: ما اسمك. قال: اسمى البارقليط. قال له ارشلاوس: انت البارقليط الذى قال السيد المسيح انه يرسله الينا. قال: نعم انا هو. قال له الاسقف: كم عمرك. قال: خمس وتلتين سنه. قال له ارشلاوس الاسقف: المخلص المسيح قد قال لتلاميذه اقيمو فى اورشليم ولا تمضو ولا تبشرو حتى تتدرعو بالقوه

أما النفوس التى لم تهتم بالتطهير فتسكن بعد الموت أجساد البهائم والبشر حتى تطهر. والاكثر انحطاطا يسلمون للارواح الشريرة المقيمة فى جلدنا ليعذبوا زمانا ما. وحين تتحرر أكثر النفوس وترجع الى عالم النور فحينئذ يأمر الله فتخرج نار جهنم من مقرها وتحرق وتلاشى هذا العالم. وبعد ذلك يرغم رئيس الظلمة وجنوده على الرجوع الى مقرهم الاصلى ويدومون فيه فى حال الشقاوة ويحاطون بحرس قوى من النفوس التى يئست من خلاصها حتى لا يقووا على محاربة اله النور ثانية.

قد يجدهم غير مناسبين، فينبغى أن يقطعوا. ومثل هذا الرسم نفسه فليحفظ فى أمر الشماسات المحسوبات فى الزى أيضاً، من حيث لم تكن عليهم شرطونية، إنما فليحصوا مع العوام على كل حال لا محالة.

القانون العشرون: من حيث إن قوماً قد يحنون الركب فى أيام الآحاد وفى الأيام الخمسينية، فلاح للمجمع المقدس بأننا نقدم الصلوات لله ونحن منتصبون وقوفاً، لكى تكون كافة الأمور محفوظة فى كل أبروشية.

حاشية

«اعلم أن هذا المجمع الأول المقدس لم تثبت له قوانين قط غير هذه القوانين العشرين، وهى الموجودة باللغة اليونانية واللاتينية فقط. وجميع العلماء الذين جمعوا قوانين المجامع المسكونية والمكانية ما نقلوا غير هذه العشرين قانوناً لهذا المجمع الأول المقدس فقط. وأما الأربعة والثمانون قانوناً الموجودة فى اللغة العربية التالية لهذه القوانين فى كتاب الناموس العربى لا صحة لها أصلا. واللاتينيون أيضاً قد نقلوها عن العربى، مترجمينها لاتينيًا أيضاً، كما هو مضمون عنوانها عندهم، وذلك رغبة منهم لأجل القانون الرابع والأربعين الداخل فيها الذى يستندون عليه نوعاً ما فى امتداد سلطان البابا مطلقاً على زعمهم. وقد قال بعضهم إنها قديماً

ولكي يجعل مانى سبيلا لقبول مبادنه رفض أكثر العهد الجديد معتقد بأنه حرف عن اصله ولا سميا العهد القديم الذى كان يعتبره من انشاء اله الظلمة الذى يعبده اليهود ووضع انجيلا دعاه (ارتن) مجاهرا بأنه موحى به اليه من الله. ثم وضع لتابعيه عيشة صارمة فأمرهم بممارسة كل ما يضعف الجسد الذى هو عمل رئيس الظلمة. وقسم تابعيه الى قسمين المختارين الذين ينبغى أن يتمتعوا من اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر وكل انواع المسكرات والزواج

من العلا وهو البارقليط روح القدس، ومن بعد عشرة ايام من صعوده الى السما كما قال، حل البارقليط على الرسل فى يوم العنصره وهو تمام خمسين يوما بعد الفصح، والتلاميذ الى الان كما تذكر انت ينتظرونك باورشليم لهذا الامر نحو تلتمايه سنه منذ بشرو وخرجت اصواتهم فى جميع الارض وانتهى كلامهم الى اقطار المسكونه، ولو كان الأمر كما قلت ما كانو بشرو وما كانو باقين احيا فى اورشليم الى الان، ومن اين رأيت

قد كانت اغتالت من الأريوسية، وفيما بعد انوجدت محررة عربية. وذلك هذا كله لغو لا حقيقة له أصلا. والدليل على ذلك:

أولا: إن الآباء الثلثمائة والثمانية عشر الملتئمين فى هذا المجمع ما كتبوا قوانينهم باللغة العربية، بل باليونانية.

ثانيا: إن مضمون ذلك القانون الرابع والأربعين هو خلاف مضمون القانون السادس الذى هو فى جملة العشرين قانونا الصحيحة ويناقضه؛ لأن هذا القانون السادس يأمر كلا من البطاركة أن يكون مسلطا على أبروشياته التى وليها والمختصة به، وهم الرومانى والإسكندرى والأنطاكى والأورشليمى. وأما مضمون ذلك القانون الرابع والأربعين الزور يريد أنه كما أن للبطريرك[١] .سلطانا على من هو دونه، كذلك لبابا رومية سلطان على البطاركة، وما يتلوه من نصه.

ثالثا: إن المجمع الثانى المسكونى المقدس[٢] الذى اعتقبه فإنه فى قانونه الثانى يأمر بأن كلا من الأساقفة أى البطاركة يدبر أبرشياته وألا يتعدى أحدهم على حدود أبرشيات آخر غيره. وفى قانونه الثالث رتب أن تكون تقدمات الكرامة لأسقف القسطنطينية بعد أسقف رومية؛ لأن

(١) فى الأصل يريد أن كالبطريرك.
(٢) مجمع القسطنطينية المنعقد عام ٣٨١.

انت السيد المسيح وعمرك خمس وتلتين سنه، وهو قد امر ان لا نجلس فى صدور المجالس وها انت قد جلست فى اعلى موضع فى البيت. فقال له مانى: اليس الانجيل يقول انى انفذ اليكم البارقليط. قال له ارشلاوس: ان كنت تومن بالانجيل فهو يقول للسيده مرتمريم العذرا: روح القدس تحل عليك وقوة العلى تظللك والذى تلدينه قدوس وابن الله يدعى. ثم اخرج له كتابه الذى انفذه الى مرقلس وهو يجحد فيه ميلاد المسيح من امرأه وينكر موته

وكل تمتع ناتج من مخالطة الذكور الاناث . وقد صرح لهم بامتلاك البيوت وبأكل قليل من اللحم والتزوج بنساء . ويغلب أن المختارين هم الاساقفة والقسوس و الشمامسة والعلمانيين هم السامعون.

القسطنطينية هى رومية الجديدة. وقد اقتدى به أيضاً المجمع الرابع[1] فى قانونه الثامن والعشرين، والمجمع السادس فى قانونه السادس والثلاثين؛ الذين حدوا بأن أسقف القسطنطينية يكون له التقدم بسوية أسقف رومية القديمة، وأنه يعظم فى الأمور الكنسية مثل ذاك أيضاً، وأنه يكون ثانى رتبة. فلو كان لذلك القانون الرابع والأربعين المذكور صحة، كيف كانت لعمرى الآباء القديسين فى المجامع المسكونية تجترىء على ذلك التقدم؟

رابعاً: إن زوسيموس البابا، كان قد ادعى بأن المجمع الأول بنيقية حدد بقانونه لأسقف رومية بأن دعاوى الأساقفة ترفع لديه، ويرجع استئنافها إليه، وهو يحكم بها، وطلب إجراء ذلك من المجمع المنعقد وقتئذ فى قرطاجنة من أعمال إفريقية. وأما الآباء هناك فما سلموا له بذلك، إذ لم يوجد مثل هذا القانون مقيداً عندهم، وراجعوا التفحص عنه فى سجلات قوانين المجامع المودع قيدها يونانياً منذ القديم فى كنيسة القسطنطينية وكنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية، وعند ذلك أتاهم الجواب من القديس كيرلس بطريرك الإسكندرية ومن أتيكوس بطريرك القسطنطينية مع نسخات قوانين مجمع نيقية الأصيلة وحدوده. وإذ لم يوجد فيها أمر هكذا كما ادعى به البابا المذكور ألبته، فحينئذ المجمع رد الجواب إليه يتضمن نقض ما ادعى به من مطلوبه وباطل إسناده. فلو كان لهذا القانون صحة لكان ظهر فى ذلك الحين من السجلات

(١) مجمع خلقدونية (٤٥١م).

وقيامته من بين الاموات. فبدا مانى يتكلم بقوله الباطل: انه ألاهان احدهما النور والاخر الظلمه. وما يشبه هذا من الكفر. فقال له الاسقف ارشلاوس: اذا انا ارذلتك بقدر كذبك فانت تثبت لى على مقالتك لكن هو ذا انفذ احضر لك امة لا يعرفون الله الاه السما ليرذلوك من كلامك. وانفذ أحضر له رجلين احدهما حكيم طبيب والاخر كاتب وقال لهم: اسمعو ما يقوله هذا الرجل، هل فى كتبكم كلام تقبلونه وكلام ترفضونه قالو بل

المرقومة القديمة؛ مع أن ادعاء البابا فى ذلك الوقت كان يصدد آخر خلاف نص هذا القانون الزور المذكور.

خامساً: إن المجمع الرابع الخلكيدونى لما أصدر القانون الثامن والعشرين فى باب تقدم أسقف القسطنطينية، رومية الجديدة، ومساواته أسقف رومية القديمة بالكرامة. وأما نواب لاون البابا فى ذلك الحين قاوموا ذلك القانون، وادعوا بالنيابة عن البابا المذكور بأن المجمع النيقاوى هذا قد حدد فى صدر قانونه السادس من العشرين قانوناً هكذا: إن الكنيسة الرومانية لها التقدم دائماً[1]. فعند ذلك لما راجعوا نص القوانين المذكورة، وتلى هذا القانون فى المجمع عياناً، لم يوجد فيه ذلك النص المزيد فى صدره أصلا. وعند ذلك خجل النواب وخابوا تجاه المجمع العظيم والقضاة ذوى النباهة المعينين من قبل الملك مركيانوس[2] الحسن العبادة والجزيل الورع. فلو كان هذا القانون معلوماً حقاً لكان النواب إذ ذاك قد أوردوه فى المجمع[3].

سادساً: إن اللاتينيين فى مجمعهم الفاورنتينى قط ما أوردوا هذا القانون عند ادعائهم فيما كانوا وقتئذ يحاولون على قيام تلك الرياسة المطلقة التى يرومونها.

---

(1) Romana Ecclesia semper habuit primatum.

(٢) الإمبراطور مرقيان (٤٥٠ ـ ٤٥٧).
(٣) فى الأصل: لكانت... أوردته.

كلما فى كتبنا نقبله ولا نرفض منه شيا ومتى ميزنا بعضها من بعض لم تستقيم لنا قراته ولا قبوله.

فاجاب الاسقف وقال لهما: هذا الرجل يبشر ويقول انه تلميذ المسيح وهو يرفض اوامر المسيح. فقالا له: ما نقبله ولا نقرب شيا من اموره. فلما تكلم وسمع الجميع كلامه المملو تجديفا وثبو عليه ليقتلوه فمنعهم الاسقف عنه وقال لهم: يقتل بيد غيرنا. ثم نفاه من المدينه، وقال له: احذر ان توجد فى اعمالنا لئلا تموت. فلما خرج مضى الى ضيعه

سابعاً: إن يوسف المصرى الذى كان من أبناء العرب فى عصر تاريخ الستة آلاف والتسعمائة لكون العالم يعيش بمصر[1]، وهو ترجم قوانين الأربعة مجامع المسكونية الكبار من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، فإنه أورد ذكر العشرين قانوناً التى لمجمع نيقية الأول مترجماً عربيّاً. وما أورد غيره لذلك المجمع قطعاً. وفى كتب قوانين المجامع عند ملة السريان وغيرهم من ملل النصارى المشارقة أيضاً لم يوجد أكثر من العشرين قانوناً لهذا المجمع أصلاً. فالملحوظ إذاً أن اللاتينيين لما تملكوا فى هذه البلاد العربية دسوا هذه القوانين فى ذلك الكتاب ونسبوها للمجمع الأول المسكونى المقدس. وعنها قد أخذت نسخات عديدة، الموجودة الآن فى هذه البلاد العربية»[2].

---

(١) فى رأى العلامة جراف (المرجع السابق ذكره) أن يوسف المصرى هذا ما هو إلا قارىء مخطوطة أو مالك لمخطوطة مجهولة المؤلف. وأغلب الظن أن يوسف كان من رجال الإكليروس المصريين على المذهب الملكانى. سنة ٦٨٩٩ للعالم توافق ١٧ توت سنة ١١٠٧ للشهداء = ٣ شوال سنة ٧٩٢ للهجرة = سنة ١٣٩٠م.

هنالك ثلاثة تقاويم لكون العالم على النحو الآتى:ـ

فى التقويم السكندرى يبدأ الكون ٤٥٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح فى التقويم الأنطاكى يبدأ الكون ٥٤٩٠ سنة قبل ميلاد المسيح فى التقويم البيزنطى يبدأ الكون ٥٥٠٨ سنة قبل ميلاد المسيح (يلاحظ أن الكاتب اتبع التقويم البيزنطى لكون العالم).

(٢) فى الأصل: اتاخدت.

(*) انظر: د. اسحق عبيد: الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية: دار المعارف القاهرة ١٩٧٢. ط١.

فيها قس يحب الغربا فاوى اليه وقام عنده شهرا وهو لم يعرفه، فكلم القس باقاويله الرديه فقال له القس ما سمعت انا بهذا الكلام قط لكننى انفذ الى ارشلاوس ياتى ويسمع منك ما تقوله فان كان جيدا فقبلناه. فلما سمع مانى اسم ارشلاوس قلق لذلك لمعرفته بشجاعته وحكمة الله فيه وعاد من وقته الى بلاد الفرس، وجرى على عادته فى التجديف فحكم عليه البارقليط الحقيقى بحكمته وسلط عليه ملك الفرس فسلخ جلده ورماه

ما ترتب على مجمع خلقدونية

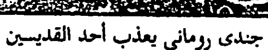
ما ترتب على مجمع خلقدونية سنة ٤٥١، من سخط وكراهية فى مصر والشرق، ظل زمناً طويلا يهدد الإمبراطورية، وأدى إلى ما قام به زينون من محاولة لإعادة الوحدة الدينية بما اتخذه من صيغة التوفيق Henotikon، وما قام به جستنيان من محاولة لتهدئة ثائره المونوفيزتيين بما لجأ إليه من إنكار الفصول الثلاثة Three chapters. غير أن هاتين المحاولتين لم تحرزا نجاحاً ملحوظاً. وما أحرزه الفرس من الانتصارات عاجلة، جذب انتباه هرقل إلى هذه الأمور، وجعله يحاول تحقيق ما اقترحه سرجيوس، وهو سورى الأصل، الذى رأى أن المونوفيزتيين قد يقبلون صيغة «الطبيعتين» إذا اقتنعوا أنها لا تدل على «قوتين أو عملين». ولذا كتب سرجيوس حوالى سنة ٦١٨ إلى جورج ارساس المصرى، وهو ينتمى إلى الفئة البوليصية Paulianist، من المونوفيزتيين ومن اتباع بولص أسقف أنطاكية، المعزول سنة ٥٧٨، يسأله الأسانيد التى تؤيد مذهب الفعل الواحد، ويعرض الاتحاد على هذا الأساس. وما تلى ذلك من خطوات أوقفها احتلال الفرس لمصر. وفى سنة ٦٢٢ تحدث هرقل أثناء حملته فى أرمينيا، مع قائد مونوفيزتى اسميه بولص، ودعاه إلى مذهب الإرادة الواحدة، غير أنه لم يصب نجاحاً. ثم أصدر قراراً ضد بولص، أرسله إلى أركاديوس أسقف قبرص، أبطل فيه عقيدة الفعلين أو الإرادتين. وبينما كان هرقل فى لازيقا، سنة ٦٢٦، تحدث فى هذه المسألة مع كيرس أسقف

للوحوش فاكلوه. وأقام هذا الأب مكسيموس على كرسى اسكندرية بطركا ثمانية عشر سنه، وتنيح فى رابع عشر برموده. صلاته وبركاته تكون معنا إلى الابد، آمين. وفى تلك الايام توفى فليكس بطرك روميه وجلس بعده او طيخيانوس، وكان مقام فيلكس فى البطركيه خمس سنين، واقام او طيخيانوس عشره شهور وتنيح وجلس بعده مرقلينوس. فى ذلك الزمان اخذ بطركية انطاكيه من بعد دمنوس تيماوس، ومات اورليانوس الملك

فاسيس Phasis، الذى كان فيما يبدو عالماً بالموضوع، فكتب إلى سرجيوس يطلب منه مزيداً من التفاصيل. فرد سرجيوس على اعتراضاته، وبعث إليه بصورة خطاب من مينا أسقف القسطنطينية إلى البابا فيجيليوس، الذى تضمن الإشارة إلى الإرادة الواحدة، وعندئذ أظهر كيرس أنه مقتنع. ولما عاد الاتصال بالشرق فى سنة ٦٢٨، أرسل سرجيوس كتاب ميناس إلى تيودور، أسقف فاران بالقرب من سيناء، الذى قرر قبوله، وهذه الرسالة، وكتاب مينا جرى توجيههما إلى بولص المونوفيزتى أسقف أرزروم (أرض الروم) Theodosiopolis.

ولما تم استرداد الشرق، نشطت فكرة التوفيق بين المذهب الخلقدونى والمونوفيزتى. ففى سنة ٦٣٠ أو ٦٣١، اجتمع الأمبراطور هرقل فى هيرابوليس فى الشام بالبطريرك أثناسيوس، ووعده بأن يكون بطريركا على أنطاكية (بعد أن ظل كرسيها شاغراً منذ سنة ٦١٠)، إذا قبل مشاركة الخلقدونيين فى عقيدتهم على أساس الفعل الواحد، فأبدى استعداده لقول ذلك. غير أنه لما مات البطريرك سنة ٦٣١ تحطم المشروع، على الرغم من أن بعض الأديره، لا سيما دير ماروت فى لبنان، قبلت الاتحاد. وفى سنة ٦٣١ قدم إلى سوريا، بناء على دعوة هرقل، جاثيليق الأرمن، عزرا، وجرى حثه على قبول مشاركة الخلقدونيين، فلما عاد أقر الاتحاد فى مجمع انعقد فى أرزروم Theodosiopolis، غير أنه لم يعترف رسمياً بمجمع خلقدونية. وفى سنة ٦٣٢، عند وفاة البطريرك جورج، تقرر تعيين كيرس بطريركا فى الإسكندرية، فبادر إلى




جندى رومانى يعذب أحد القديسين

واخـذ المملكه بعـده ابروبوس واقـام ست سنين ومات ثم ملك بعده كاروس وكرنوس ونوماريانوس اقــامــوا ثلث سنين ومــاتوا، وملك بعــدهم ديقـلاديانوس الذى حل-منه على البيـعـه جـهـاد عظيم اكثر ممن تقدم، وهدم البيع واحرق الكتب وقتل الاساقفه والكهنه وخلقا كثيرا من المومنين. واما سقراطيس فانه توفى فى لادقية وصار عوضه اوساويوس، هذا جا من اسكندريه من اجل المجمع الذى اجتـمـع بانطاكيـه على بوله السـمـيسـاطى.

المفاوضة مع الحزب المونوفيزتى الأساسى بالمدينة، وهو حزب التيودوسيين. وتم الاتفاق مع هذه الفئة من المونوفيزتيين (٣ يونيه ٦٣٣). وتضمن الاتفاق تسع نقط، بمقتضاه جرى الاعتراف بنظرية الطبيعتين وصفتهما، واقرار الفعل الواحد، ولم يجر الاعتراف بمجمع خلقدونية، أو إقرار لفئة القادة المونوفيرتيين.

وعندئذ ظهـرت المعارضـة، إذ توسل إلى كيـرس، صفـر ونيـوس أحد الرهبان الذى كـان وقتذاك بالإسكندرية، بألا يذيع هذه المواد، فأحاله كيـرس إلى سرجيـوس. ولما لم يستطع سرجيوس أن يقنع صفر ونيوس، كادت محاولة التوحيد (الاتحاد) تسبب انشقاقاً، وعندئذ وافق على إجـراء اتفـاق ينبغى أن يستبعد فيـه الإشارة إلى «الفعل الواحد» أو «الفعلين». وعـاد صفـر ونيوس برسالة فى هذا المعنى، إلى بيت المقدس، حيث جرى انتخابه بطريركا لها فى أوائل سنة ٦٣٤. وفى تلك الأثناء كتب سرجيـوس إلى كيـرس بشـأن التوفيق، ولما لم يرض كيـرلس (بطرك اسكندرية) بنقض مـا قام به من عـمل، لم يقبل رأى سـرجيـوس. وأرسل سرجيوس إلى هرقل برسالة مينا التى تحتوى على ما يؤيد نظرية «الفعل الواحد» و «والإرادة الواحدة»، غير أنه اقترح أنه لابد من أن تتوقف المناقشة فى هذا الموضوع. وكتب سرجيوس إلى البـابا هو نوريوس يقتـرح ابطال الصـيغتين «الفعل الواحد» و«الفعلين». ووافق البـابا على

وصار بعده اناتوليوس وكان قد وصل الى الشام
من اسكندرية وجعل سبب دخوله اليها ومقامه بها
ان يعلم اولادهم. وتمهر فى العلم حتى بلغ خبره
الى روميه.

وزحف عسكر من روميه الى مدينة اسكندريه
وحصرها ولم يزل اناتوليوس المعلم يسفر بينهم
بالسداد حتى اصلح الحال وثبت السلامه وزال
الحرب. وكانوا كبرا المدينه قد وجدوا عليه لانه
الزمهم بما لا يريدون، فقال لهم: دعوا الشيوخ

ابطال الصيغتين، غير أنه أقر نظرية «الإرادة الواحدة» التى يسمى أنصارها بالمونوثلستيين Monothelctes. وكتب بذلك إلى صفرونيوس، الذى أراد أن يجتذب البابا إلى جانبه، فأعلن موافقته على كتاب البابا متى ووافق كيرلس بطريرك الإسكندرية على ذلك. على أن ما حدث من سقوط بيت المقدس فى يد المسلمين سنة ٦٣٧، وما تلى ذلك من وفاة صفرونيوس، أوقف كل ما يتعلق بذلك. وما حدث فى مصر من التخلى عن العقيدة التى قام عليها الاتحاد، حطمت الاتحاد نفسه، وما اتخذه كيرس من اجراءات عنيفة لتنفيذ غرضه؛ جعل الأمور تزداد سوءاً.

والخطوة التالية التى اتخذها سرجيوس، تتمثل فى وضع الصيغة المعروفة باسم Ecthesls، تضمنت المبادىء الواردة فى الرسالة الموجهة إلى هونوريوس، والتى اتخذت صورة اعتراف قانونى بالعقيدة. وأقر هرقل هذه الوثيقة، وجرى إعلانها على أسوار كنيسة القديسة صوفيا (خريف سنة ٦٣٨). وأرسلت منها صورة إلى كيرلس والى سفيرنيوس Severenus الذى صار بابا بعد هونوريوس (أكتوبر سنة ٦٣٨)، وقرر مجمع القسطنطينية انزال العقاب بكل من يقول بالفعل الواحد أو الفعلين. وكان ذلك آخر عمل قام به سرجيوس الذى مات سنة ٦٣٨.

والعجايز والاطفال يخرجون من المدينه لانهم غير مطلوبين وافعلو انتم ما تختارون ببلدكم وتبقون بما في ايديكم من الغلات المخزونه عندكم. فطابت قلوبهم بذلك واجتمع بالغداة جند المدينه وريساها وتشاورو في ذلك فرأوه صوابا فاخرجو الشيوخ والعجايز والاطفال وقوم كتير غيرهم خرجو من الابواب في الليل، فأمر الملك [ديقلاديانوس] بعد هذا بقتل جند المدينه لانهم ساعدو اهلها على الخروج منها واخربوها. وكان

«الشرق بعد مجمع خلقدونية وحتى الغزو العربي»

كانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، هي الانقسام الأول لكنيسة المسيح. فقد وصمت الكنائس الغربية، الكنائس الشرقية على أنها مونوفيزية Monophysite (أى تؤمن بطبيعة واحدة فى المسيح)، بينما وصفت الكنائس الشرقية الكنائس الغربية بأنها Diophysite (أى تؤمن بطبيعتين فى المسيح). وقد قاد أقباط مصر حركة المونوفيزية (الأرثوذكسية) فى كل الشرق... على أنه يجب أن ننظر إلى هذا الأمر ـ بالاضافة إلى كونه موضوعاً إيمانيا ـ على أنه تعبير خارجى لنمو الاتجاهات القومية فى مصر ضد الاحتلال البيزنطى المتزايد، الذى بلغ أقصى مدى فى حكم جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥).

وقد بلغ الجدل اللاهوتى بين الأرثوذكسيين (المونوفيزيين) فى كنيسة الاسكندرية وبين أصحاب مذاهب الطبيعتين فى روما والقسطنطينية مبلغا تجاوز حد اللياقة. وكان هو أساس الصدع الذى حدث بين الكنائس الشرقية والغربية... ولكننا لا نبحث هذا الأمر بالتفصيل على المستوى اللاهوتى، فان هذا لا يدخل فى دراستنا فى مادة التاريخ الكنسى..

لقد تأثرت العوامل التاريخية الخاصة بهذا الصراع من جراء كثرة التعقيد والتشابك، ولذا تعتبر دراسة تلك الفترة من أكثر المواضيع تعقيداً وصعوبة... لقد اتهم الغربيون كنيسة

اوسابيوس ايضا فيما بينهم مثل الطبيب او الاب يداوى الجهتين جميعا. وكان هذا الرجل اسقف اللادقيه وجا الى كرسيه مع الاسقف الاخر من اسكندريه باتفاق جيد.

ومن بعد القتال الذى كان باسكندريه كتب اناتوليوس تعاليم كتيره ونفع به اهل المدينه وكتب لهم حساب الفصح(*) ايضا.

وفى اول يوم من الشهر بعد المجمع الذى كان بانطاكيه على بولا السيميساطى اقيم تاوتكنس

(*) عيد الفصح: كان يسمى يوم تذكار موت المسيح وتكفير الشعب «الفصح» وسمى كذلك لأن المسيح صلب يوم حفظ اليهود فصحهم. ولم

الاسكندرية بالأوطاخية، كنتيجة للتآمر الذى حدث فى خلقيدونية ضدها. فى الوقت الذى اعتبرت كنيسة الاسكندرية الأوطاخية بدعة حرمتها مراراً وتكراراً، لأنها علمت بأن طبيعة المسيح الناسوتية تلاشت فى طبيعته الالهية. هذا بينما يؤمن الأقباط (كنيسة الاسكندرية) بأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين أو أن طبيعتى المسيح اللاهوتية والناسوتية صارا طبيعة واحدة ـ باتحادهما الفائق السرى ـ بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير... وقد أثبت آباء كنيسة الاسكندرية ومعلموها هذا المعتقد، مستندين إلى نصوص الكتاب المقدس، وما قرره مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥، وتعاليم القديس كيرلس الكبير فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١.

والدوافع التى دفعت كنيسة روما والقسطنطينية على وجه الخصوص، إلى اتخاذ هذا الموقف المشين من كنيسة الاسكندرية والكنائس الشرقية، أمر لا يحتاج إلى كثير عناء لاظهاره.. فقد كان لآباء كنيسة الاسكندرية والكنائس الشرقية، وبالأخص آباء كنيسة الاسكندرية الدور القيادى فى المجامع المسكونية الثلاثة الأولى.. يكفى أن نقرأ للمؤرخ ستانلى فى كتابه «محاضرات عن الكنائس الشرقية» المطبوع فى اكسفورد سنة ١٨٦٤ قوله «وأصبح بطريرك الاسكندرية بعد مجمع نيقية قاضى المسيحية فى المسكونة كلها»! ويكفى أن نقرأ فى تاريخ المجمع المسكونى الأول بنيقية عن الملك قسطنطين الكبير أنه وقف وسط المجمع الكبير الذى

اسقفا على كرسى قيساريه فلسطين واوسابيوس المقدم ذكره على اللادقيه، وكان رجلا عظيما عند الرب وكذلك اناتوليوس، فكانا كلاهما مويدين بروح القدس والتعاليم الروحانيه. ثم تنيحا احدهما بعد الاخر وصار استفانوس اسقفا على اللادقيه وكان رجلا ممتليا حكمة ويتعجب منه كل احد، وليس حكمه الكلام فقط بل والامانه المستقيمه. وبنى البيع التى كانت هدمت فى مدينته وجددها بمعونة الله له.

يكن يعيد سنويا فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل أحد. فكان يوم الاحد يعتبر أيضا من جميع المسيحيين يوم فرح وبهجة فيقضونه بالصلاة وقوفا وبلا صوم. غير ان الفصح السنوى كانت له شعائر خصوصية وكان يحتفل فيه بتذكار الآلام والقيامة معا.

غير أن فى ذلك الحين قام خلاف شديد بشأنه بين مسيحى آسيا الصغرى وكيليكيا وسوريا وبين النهرين وبين غيرهم من المسيحيين. فكلاهما صام الاسبوع المسمى الآلام

ضم ٣١٨ أسقفا من أنحاء العالم المسيحى، ليصافح الشماس اثنا سيوس (البابا اثناسيوس فيما بعد)، ويقول له «أنت بطل كنيسة الله»... ثم يأتى المجمع الرابع الذى انعقد فى أفسس سنة ٤٤٩م برئاسة البابا ديسقورس وتسيطر عليه كنيسة الاسكندرية... كل هذا، كان له أثر عميق فى المدينتين الامبراطوريتين روما والقسطنطينية... إذ وصف الغرب مجمع أفسس الثانى بأنه «مجمع اللصوص» ليظهر مدى الغيظ الذى أعمل فى نفوس هؤلاء الغربيين ضد كنيسة الاسكندرية وآبائها. وكدليل على مدى هذا الغيظ، فقد وحد مركيان وكنائس الغرب جهودهم فى حشد أكبر عدد من الأساقفة الغربيين فى مجمع خلقيدونية بلغوا نحو ستمائة أسقف، اجتمعوا لينقضوا قرارات مجمع أفسس الثانى، وليؤكدوا بصورة علنية تقدم كرسى الامبراطورية فى روما على سائر كراسى العالم المسيحى.

لقد حاولت السلطة الحاكمة فى القسطنطينية فرض تعليم مجمع خلقيدونية بالقوة على الكنائس الشرقية. ولكن هذه الكنائس ـ وفى مقدمتها وعلى رأسها كنيسة الاسكندرية ـ لم تلن لها قناة، وتصدت لهؤلاء الهراطقة مهما بلغت مناصبهم، وفضلت أن يتجدد عصر الاستشهاد على أن يفرطوا فى الأمانة أو يعوجوها.. وهكذا قامت الفتن، واختل الأمن فى بلاد كثيرة، لاسيما فى مصر وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين (العراق الحالية)، وأرمينيا وفارس (ايران الحالية).

وكـان تاودوتوس الاسـقف فى زمـان الاضطهـاد وكان مستحقا الاسمين المسمى بهما لان اسمه تفسيره عطيه الله واسم الاسقفيه، وكـان محـبا للشعب وراعيا وطبيبا ماهرا لصلاح نفوسهم حتى قيل انه لم يكن له شبه فى محبته. وكان اجاييوس اسقف قيساريه فلسطين مثله ايضا، وكان قد تعب مع شعبه بمحبه عظيمه وكان محبا للفقرا وممسكا شعبه مثل عبد امين لله، واستحق بعد ذلك اكليل الشـهـاده مع كـثـيـر من قـسـوس اسكندريه.

الذى مات فيه المسيح وفيه حفظوا عيدا مقدسا أو أكلوا خروفا كما كانت تفعل اليهود تذكارا لعشاء مخلصنا الأخير. غير أن مسيحى آسيا وما يجاورها كانوا يحفظون الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى فى الوقت الذى اكل اليهود فصحهم فيه. وفى اليوم السادس عشر حفظوا تذكار قيامة المسيح فى اى يوم من الاسـبـوع اتفـقـا اعنى من دون مراعاة يومى الاحد والجمعة. فكانت تعتبر أهمية اليومين فى عددهما الشـهـرى ١٤ و ١٦ نيـسـان اللذين

وفى ٧ فبراير سنة ٤٥٢ أصدر مركيان مرسوماً يقضى بعزل الاكليروس وأصحاب المناصب فى الدولة إن هم ناقشوا موضوع الايمان بصورة عامة وعلنية. أما بالنسبة لغير الموظفين فى الدولة ممن يقيمون فى القسطنطينية فكان جزاؤهم النفى خارجها وتقديمهم للمحاكمة... وأثار مركيان اضطهادا عنيفاً ضد الأرثوذكسيين. واستشهد فى هذا الاضطهاد عديد من الأساقفة والكهنة والرهبان والمؤمنين فى الشرق، ممن رفضوا الخضوع لقرارات وتعليم خلقيدونية.. أما الأساقفة الذين زاغوا عن الحق إرضاء للملك وطمعاً فى مآرب خاصة، فقد كانوا سبباً فى إهدار دماء زكية لاسيما فى فلسطين ومصر.

إن ما حدث فى مجمع خلقيدونية من هزيمة لكنيسة الاسكندرية على المستوى المسكونى، ومحاولة إذلالها بحرم ونفى بطريركها البابا ديسقورس، لم يكن هو خاتمة المطاف فى ذلك الصراع، بل كان هو البداية.. وصل رسول امبراطورى إلى الاسكندرية يحمل قراراً بعزل البابا ديسقورس وتعيين القس الاسكندرى بروتيريوس Proterius (٤٥٢ ـ ٤٥٧). وقـد تم ذلك بالقوة المسلحة. وإلى جانب هذا القرار كان رسول الملك مركيان يحمل معه رسالة امبراطورية بمعاقبة كل من يجرؤ على العصيان. على أن الأقباط لم يقبلوا هذا الوضع وأضرموا نار ثورة فى الاسكندرية وتجدد عصر الاستشهاد ثانية. ولكن على يد مسيحيين.. قيل أن عدد من سقطوا قتلى فى هذا الاستشهاد يعدون بالآلاف (ذكر البعض أن عددهم بلغ أربعة وعشرين

فيهما بالتمام تألم وقام لا في غيرهما. وقالوا انهم أخذوا هذه القاعدة من الرسولين يوحنا وفيلبس وعضدوها أيضا بمثال المسيح ذاته الذى عمل فصحه مع اليهود. وكانوا يعتبرون يوم الآلام من وجه عقائدى يوم تحرير من العبودية وخلاص فكان يعد عندهم يوم فرح ويمنعون بعد انقضائه الحزن والصوم معا.

ولكن الكنيسة المصرية لم تعتبر الاهمية فى عدم اليوم من الشهر بل فى اسمه الاسبوعى أعنى الجمعة والاحد. فكانت ترى من الضرورى ان

واستشهدوا ايضا الذين معهم بيريوس ومليتيوس الذى صار اسقف بنتس وهو المعروف بالعسل الشهد لاجل حلاوة لسانه المملوه من تعليم الله وحكمته. وكان محبا للصدقه على المساكين ولا يدخر شيا بالجمله، وكان جميع تعليمه من الانجيل، وكان فى زمان تشتيت الناس واضطهادهم، وكان ثابت التعليم.

ولما تنيح همنايوس اسقف اورشليم جعل عوضه زبداس، ولما تنيح صار بعده ارمون، وكان هذا متعبا

ألفا) معظمهم من الأساقفة والكهنة والرهبان.. ومن بين من استشهدوا القديس مقاريوس اتكو Tkoy بالصعيد. كان بالاسكندرية وحاول والى الاسكندرية أن يرغمه على أن يوقع قرارات مجمع خلقيدونية، لكنه رفض. فما كان من أحد الجنود إلا أن ركله فسقط على الأرض ميتاً نظراً لشيخوخته.. أما بقية الأساقفة الذين رفضوا التوقيع فقد نالهم النفى والتشريد.

توفى مركيان فى فبراير سنة ٤٥٧، وخلفه لاون الأول (٤٥٧ ـ ٤٧٤)، فاتخذها الكسندريون فرصة لرسامة بطريركا خلفاً للبابا ديسقورس المعترف الذى تنيح فى منفاه فى ٤ سبتمبر سنة ٤٥٤. وهكذا رسم البابا تيموثاوس الثانى البطريرك ٢٦ فى ١٦ مارس سنة ٤٥٧، ويعرف فى المراجع باسم تيموثاوس ايلوروس Aelurus. وتبع ذلك أن انشقت اسقفية الاسكندرية بين سلسلتين من البطاركة: الملكانيين Melkites وكانوا من الروم (الاغريق)، وتتم رساماتهم فى القسطنطينية غالباً، ويخضعون لمجمع خلقيدونية. والسلسلة الأخرى الأرثوذكسيين (مونوفيزيين) وكانوا أقباطا وطنيين تمسكوا بقوميتهم ورفضوا زعامة وسيطرة الروم والخلقيدونيين.. لكن رسامة البابا تيموثاوس الثانى، وما تبعها من عقده مجمعاً بالاسكندرية حرم مجمع خلقيدونية وبروتيريوس الدخيل، جعلت والى الاسكندرية يلقى القبض على البطريرك تيموثاوس ويبعده إلى أبو صير Taposiris أما النتيجة فكانت مزيد من القتلى.

فى بداية الأمر لم تنظر السلطة المدنية بعين الاكتراث إلى هذا الصدع الجديد الذى حدث

١٥: مكسيموس ٢٨٢/٢٦٤م

يكون تذكار الآلام يوم الجمعة وتذكار القيامة يوم الاحد. ولهذا السبب كانت فى السنين التى لا يتفق ان يكون اليوم الرابع عشر من نيسان يوم جمعة تعيد الآلام أول يوم جمعة بعده ثم القيامة يوم الاحد واسندوا هذه القاعدة الى بطرس وبولس الرسولين قائلين انهما أصلها. وكانوا يعتبرون اليوم على وجه تاريخى يوم حزن ولم يسمح عندهم بحل الصوم قبل تذكار القيامة وقد وافق اساقفة رومية وانطاكية واورشليم اذ ذاك على أن يتبعوا ما اتبعه مسيحيو الاسكندرية بناء على ما كتبه اليهم البابا ديمتريوس فى ذلك.

فكانت الكنائس متفقة على ضرورة تعييد الفصح ولكنها اختلفت فى تعيين اليوم الذى يعيد فيه حتى كان بعضها يعيد بعد الآخر باسبوع أحيانا. وبين سنة ١٦٠ و ١٦٣م سافر القديس بوليكربوس أسقف ازمير الى رومية لينهى بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح آملا باقناع أسقف رومية نيشيوس العاشر فى اساقفتها فى ان تعيد كنيسته الفصح مثل كنائس آسيا. وبعد جدال طويل لم يتمكن أحدهما من اقناع الآخر. وهكذا استمر كل من الفئتين على عادته المختصة به الى ان ابطل مسيحى آسيا المجمع النيقاوى فى القرن الرابع واناط بالاساقفة الاسكندريين تحديد يوم عيد الفصح فظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قرونا طويلة وترتب من ذلك الحين ان يصدر بابوات الاسكندرية رسالة فى كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية عموما والمصرية خصوصا فى اليوم الذى يقع فيه عيد القيامة من كل سنة. وكانت لهذه الرسائل أهمية عظمى حتى عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكى الدقيق الذى جرى عليه المصريون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريرك الكنيسة القبطية المصرية وحده لعلمه بهذا الحساب التاريخى علما تاما.

وقيل ان الذى وضع ذلك الحساب المشهور بالابقطى (الابقطى هو عمر القمر فى أول توت من كل سنة هو بطليموس الفلكى الفرماوى صاحب كتاب المجسطى فى عهد البابا ديمتريوس فنسب اليه ودعى بحساب الكرمة.

ولبثت الكنائس سائرة على هذا الترتيب حتى سنة ١٥٨٢م حين وضع اغر يغوريوس الـ١٣ أسقف رومية تقويمه الغور يغورى الذى ادخل به اصلاحا على التقويم اليوليانى ولذلك صارت الطوائف الغربية التى سارت على التقويم الغريغورى تعيد الفصح بعد اكتمال البدر الذى يلى الاعتدال الربيعى مباشرة بدون نظر الى تاريخ ذبح الخروف اما الطوائف الشرقية فظلت باقية على العادة الاولى الى اليوم.

ففى بعض السنين يتفق ان يكتمل اول بدر عيد الاعتدال الربيعى فى الوقت الذى يأتى فيه ذبح الخروف فتعيد جميع الطوائف المسيحية فى يوم واحد ولكن فى سنين اخرى يكون اكتمال البدر قبل ذبح الخروف فيأتى عيد الفصح عند الغربين متقدما على الشرقين ومدة هذا التقدم تتراوح بين أسبوع على الاقل وخمسة أسابيع على الاكثر ولا يأتى عيد الشرقيين قبل عيد الغربيين مطلقا.

فالغرض من حساب الابقطى. انما هو تعيين يوم ذبح الخروف عند اليهود. ومنه يمكن تعين عيد الفصح والاعياد المرتبطة به كعيد الصعود وعيد العنصرة وذلك لانه بين السنة التوتية القبطية والسنة اليهودية فرقا نشأ من أن السنة الاولى شمسية والسنة الثانية ذات اشهر قمرية ولكى يقع الفصح اليهودى دائما بعد الاعتدال الربيعى يضيف اليهود شهرا على سنتهم كل سنتين أى انها فى السنتين الاولين ١٢ شهراً وفى الثالثة ١٣ شهراً وبذلك جعلوها سنة شمسية ولو أن شهورها قمرية.

فى زمان الاضطهاد وتنيح مكسيموس بطريرك اسكندريه فى اربع عشر برموده بعد ان اقام تمانى عشره سنه.

(*) ساونا البطرك

وهو من العدد السادس عشر

٢٨٢ / ٣٠٠م

ولما تنيح مكسيموس جلس بعده ساونا على الكرسى باسكندريه بعد اجتماع الشعب واتفاق

(*) روى الانبا يؤنس مطران دمياط فى مجموعته لتاريخ البطاركه أن الآباء البطاركة نصبوا بطركا قبل ساونا هذا اسمه ببنوده جلس على الكرسى المرقسى ستة شهور فى نهايتها اجتمع الاساقفه ضده وقرروا تجريده من رتبته لأنه قد خصى نفسه وأقاموا بدله البابا ساونا فى شهر

فى كنيسة الاسكندرية نتيجة إقامة بطريرك يفرض عليهم من الخلقيدونيين. ولكن خطورة الموقف بدت واضحة حينما استغل شعب الاسكندرية فرصة انشغال حاكمها بمحاربة الوندال بشمالى افريقيا وقبائل البلميس Blemyes فى صعيد مصر، فانقضوا على بروتيريوس الأمر الذى انتهى إلى قتله وسحله فى شوارع الاسكندرية، وأحرقوا جثته وذروا رمادها فى الهواء إمعانا فى التشفى والانتقام. وكان ذلك فى ٢٨ مارس سنة ٤٥٧.. وانتهى الأمر بصدور قرار الملك لاون بنفى البابا تيموثاوس الثانى إلى جزيرة جنجره Gangrain فى بفلاجونيا Paphlagonia حيث نفى البابا ديسقوروس. وإن كانوا قد نقلوه إلى منفى أخر... أما البابا تيموثاوس الثانى فقد كرس جهوده فى المنفى لكتابة ضد النساطرة والخلقيدونيين والأوطاخيين.

بعد نفى البابا تيموثاوس أقام الخلقيدونيين بالاسكندرية بطريركا خلفاً لبروتيريوس دعوه تيموثاوس أيضاً وهو المعروف باسم تيموثاوس سالوفاكيولس Salophaciolus وكان تعيينه بقرار من الامبراطور زينون Zeno. لكن الشعب قاطعه، وكانوا يقصدون الأديرة للصلاة. لكنهم كانوا لا يفتأون عن رفع الاحتجاجات إلى الامبراطور طالبين إعادة البابا تيموثاوس ثانية مين المنفى.. وما أن تولى زينون حتى لجأ إليه أقباط الاسكندرية الأرثوذكسيين يلتمسون عودة بطريركهم تيموثاوس الثانى من المنفى. لكن القائد باسيليسكوس Basiliscus تمكن من عزل زينون وملأ مكانه. ويبدو أن باسيليسكوس أراد أن يستعين بقوة الارثوذكسيين فأصدر أمره سنة

رأيهم على صلاحه فقدموه فى اول سنه من ملك نومريانوس وكاروس وكلوينوس الملوك وبنى بيعه حسنه على اسم السيده مرتمريم[العدرا] وسميت تاوماتار. والى هذا الوقت كانت الشعوب يقدسون فى المغاير والكهوف والمواضع المخفيه. فمن مارى مرقس الانجيلى الى السنه التالته من بطريركية ساونا مايتان وتسع عشره سنه. وتنيح فى التانى من طوبه بعد ان اقام تسع عشره سنه.

وكان فى ايام هذا الاب البطرك ساونا كاهن

كيهك سنة ٢٨٢م فى عهد الامبراطور بروفس.

ولما تولى القيصر ديوكلتيانوس عرش رومية أدخل فى معيتة عددا كثيرا من الاقباط المسيحيين فأرسل اليهم هذا البطريرك رسائل يأمرهم فيها أن يقوموا بواجبهم وأن يميزوا أنفسهم كمسيحيين عن الموظفين الوثنيين بأعمالهم الصالحة وسيرتهم الطيبة فمن ذلك رسالة الى لوسيان ناظر بيت الملك وهو موظف مسيحى ارتقى الى رتبته بعد تملك

---

٤٧٦ باعادة البابا تيموثاوس من المنفى. وفعلا ترك منفاه ووصل إلى القسطنطينية حيث استقبل استقبالا حاراً بواسطة المؤمنين وحل ضيفاً على البلاط الملكى. وهناك زاره كثيرون للاستشفاء والتبرك.. ترك القسطنطينية إلى الاسكندرية وعرج على أفسس. وفى الاسكندرية استقبل استقبالا حافلا من كل الشعب والاكليروس والرهبان والراهبات، وهم يهتفون «مبارك الآتى باسم الرب».. ودخل الكنيسة الكبرى بعد أن غادرها البطريرك الدخيل.. ومما هو جدير بالذكر أن البابا تيموثاوس ـ بموافقة الامبراطور ـ نقل جسد البابا ديسقوروس فى صندوق فضى إلى الاسكندرية حيث جنز فى احتفال مهيب كمعترف، ووضع جسده فى مدفن الآباء البطاركة.

ومما يذكر أنه فى سنة ٤٧٦ حين تقابل البابا تيموثاوس الثانى مع الملك باسيليسكوس، طلب إلى الملك أن يصدر مرسوماً بحرم طومس لاون والزيادة التى أضافها مجمع خلقيدونية على الإيمان النيقاوى.. استجاب باسيليسكوس لهذا المطلب وعقد مجمعاً فى القسطنطينية حضره خمسمائة أسقف يتقدمهم البابا الاسكندرى تيموثاوس، ومار بطرس الثانى الانطاكى فحرموا المجمع الخلقيدونى ولاون الرومانى وطومسه ووضع صيغة قرار المجمع الراهب بولس أحد الرهبان الوافدين من الاسكندرية وأصدر به منشوراً عاماً وفيه أعلن وجوب التمسك بالايمان النيقاوى الذى ثبتته ثلاثة مجامع مسكونية فى القسطنطينية سنة ٣٨١، وأفسس

قديس وكان له زوجه طاهره وكانو جميعا سالكين في طريق الرب حافظين وصاياه عاملين باوامره متمسكين بقوانين الديانه ثابتين على الامانه، ولم يكن لهما ولد وكانو حزيني القلب، لاجل ذلك كانا يكثران الصوم والصلاه والصدقه لينعم الرب عليهما ويرزقهما ولدا تقر عيونهما به، فلما حضر عيد التلميذين الجليلين بطرس وبولس في اليوم الخامس من ابيب وحضرو جميع المومنين للبيعه ليعيدو لهما، وحضرت زوجة هذا الكاهن الى

ديوكلتيانوس بقليل يقول له «ان الراحة التى تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى الى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحين الحسن وأعمالهم الممدوحة التى تضىء كالشمس فى رابعة النهار ينعكس ضوؤها أمام أعين الكفرة والملحدين فتبهر أبصارهم وبذلك يتمجد أبونا الذى فى السموات. أما غرضنا الذى نرمى اليه والغاية القصوى التى نسعى خلفها هى أن نكون مسيحين فعلا لا بالاسم فقط وأن نعمل أعمال المسيحين الحقيقين

الأول سنة ٤٣١، وافسس الثانى سنة ٤٤٩، كما أمر باحراق طومس لاون وتعليم مجمع خلقيدونية حيثما وجد.. وقد وقع هذا القرار تيموثاوس الاسكندرى وبطرس الانطاكى وبولس الافسسى ومعه أساقفة آسيا الصغرى والشرق، وانستاسيوس الأورشليمى وأساقفة ولايته وغيرهم نحو سبعمائة أسقف. أما أكاكيوس Acacius بطريرك القسطنطينية فقد تردد فى التوقيع.

الملك زينون والأرثوذكسيين:

لم يسترح أكاكيوس بطريرك القسطنطينية للنصر الذى أحرزه الأرثوذكسيين بقيادة البابا تيموثاوس. حرض الاكليروس والرهبان فى القسطنطينية، وأغلق الكنائس، ونظم مظاهرة صاخبة ضد باسيليسكوس مدعياً أنه هرطوقى. فاضطر باسيليسكوس إلى إلغاء مرسومه السابق لاسيما وأن الظروف. السياسية كانت فى غير صالحه، إذ أن زينون كان قد أعد جيشاً كبيراً لمقاتلته واسترداد عرشه.. وفعلا انتهى الأمر بعودة زينون وطرد باسيليسكوس فى سبتمبر سنة ٤٧٦ . وبعودته أصدر مرسوماً بالغاء منشور باسيليسكوس الدينى ونفى بولس الافسسى وبطرس الانطاكى، وأرسل يتهدد البابا تيموثاوس الاسكندرى، لكن هذا الأخير تنيح سنة ٤٧٧ .. وأقام الأرثوذكسيين بطريركاً خلفاً لتيموثاوس هو بطرس الثالث المعروف باسم بطرس منجوس Mongus (٤٧٧ ـ ٤٩٠) البطريرك ٢٧، وكان هو أحد تلاميذ البابا ديسقورس ورئيس

---

١٦ : ساونا البطرك ٢٨٢ / ٣٠٠م

حيث صورتهما فابصرت المومنين يقدمون اولادهم ويدهنون بزيت القنديل الموقود قدام الصورتين، فتنهدت بقلب قريح واستشفعت بهما الى الرب وتناوات من السراير المقدسه واخذت السلام الالهى وانصرفت الى منزلها شاكره للرب سبحانه. فرأت فى تلك الليله فى منامها شخصين بلباس البطاركه يقولان لها: لا تحزنى فان الرب قد سمع

لانه اذا كنا نطلب مجد أنفسنا الذاتى فنكون كمن يطلب شيئا تافها لا فائدة منه. فاذا يجب على كل مسيحى أن يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذى سمر لاجلنا على خشبة الصليب وفدانا بدمه فداء أبديا لا يقوم بذهب أو بفضة. فلذلك أيها العزيز لوسيان أريد أن يعرف عنك التباهي والفخر لانك أهديت كثيرين من خدمة البلاد الملوكى الى معرفة الحق وأدخلتهم فى حظيرة المسيح بل الاحرى بك أن تشكر الله الذى

شمامسة كنيسة الاسكندرية.. عقد مجمعاً فور تنصيبه وقرر حرم مجمع خلقيدونية ولاون وطومسه.. فأرسل إليه الملك زينون يتوعده، فأخذ يتخفى فى بيوت المؤمنين بالاسكندرية. وفى نفس الوقت أعاد الملك البطريرك الخلقيدونى تيموثاوس سالوفاكيولوس Salophaciolus لكنه توفى سنة ٤٨٢.. توسل الأقباط لدى الامبراطور زينون أن يجعل بطريركهم بطرس منجوس هو البطريرك الوحيد، لكن الامبراطور رفض طلبهم، وأقيم بطريركا خلقيدونيا هو يوحنا طلايا Talaia كان يحوز على مساندة روما، لكنه لم يكن على علاقة ود مع دوائر القصر والكنيسة بالقسطنطينية. وانتهى أمر هذا الدخيل بالهرب إلى روما.. وفى هذا الوقت بدأ التقارب بين أكاكيوس بطريرك القسطنطينية (٤٧١ ـ ٤٨٩) وبطرس الثالث (منجوس) البطريرك السكندرى، فى الوقت الذى أخذ زينون يفقد الأمل فى كسب الأرثوذكسيين (المونوفيزيين) فى الاسكندرية عن طرق العنف وبات واضحاً أنه لابد من التفكير فى إيجاد حل لاعادة السلام للكنيسة الذى يؤثر بدوره على سلام الامبراطورية ووحدتها.

الهنوتيكون Henoticon:

كانت الفكرة الجديدة لحل المشكلة الدينية هو ما عرف باسم الهنوتيكون أى وسيلة الاتحاد أو عمل الاتحاد أو كتاب الاتحاد أو مرسوم الاتحاد. كانت الميول الأولى لكل من الامبراطور زينون والبطريرك القسطنطينى أكاكيوس خلقيدونية. لكن ثورة باسيليسكوس ـ وإن كانت

اختارك آله نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين وأعطاك نعمة فى عينى مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص واذاعة معرفة فادى المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين».

وأوصى كافة أمناء بيت الملك المسيحيين فقال «ان الله ينهاكم عن أن تبيعوا الآخرين شيئا من متعلقات القصر خلسة أو تأخذوا رشوة ولا تقولوا للامبراطور كلاما ضد الحق

دعاك ووهب لك ولدا يقر عينك به ويكون ابا لشعوب كثيره ويظهر اسمه وقدسه مثل صمويل النبى لانه ابن موعد فاذا اصبحت امضى باكرا الى الاب ساونا البطرك واعلميه بهذا ليبارك عليك فان الله برحمته يهب لك ولدا مباركا، فلما أصبحت أعلمت زوجها الكاهن بذلك فقال لها امضى واعلمى ساونا البطرك كما قيل. فمضت اليه واعلمته بذلك فبارك عليها وقال لها يتم الله

وقتية ـ لكنها أثبتت لكليهما بدون شك مدى قوة الأرثوذكسيين (أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) وأهمية مسالمتهم. لذا كان من الضرورى أن توضع صيغة إيمان يقبلونها بدلا من صيغة الايمان الخلقيدونى ـ والحقيقة أن واضع الهنوتيكون كان هو أكاكيوس ـ كانا يهدفان إلى العودة بالكنيسة إلى المفهوم اللاهوتى السابق لخلقيدونية أى قبل الانقسام.. وفى سنة ٤٨٢ تمكن من إقناع الامبراطور زينون ـ دون كبير عناء ـ بالموافقة على المحاولة الجديدة. لقد اعترف الهنوتيكون بقرارات المجامع المسكونية الثلاثة الأولى، حرم كل من نسطور وأوطاخى واتباعهما. ولم يتعرض للنقطة الحساسة وسبب الانقسام وهى الخاصة بطبيعة المسيح. وحرم كل من يؤمن بايمان آخر.

كان المرسوم صورة رسالة موجهة من الامبراطور زينون إلى «الأساقفة والاكليروس والرهبان والمؤمنين فى الاسكندرية ومصر وليبيا والخمس مدن الغربية».

أما خلاصة الهنوتيكون فكانت كالآتى:

«بما أن الإيمان الذى لا عيب فيه وحده ينجينا وأمور الجيش، لذلك قدم إلينا محبو الله رؤساء الأديرة والرهبان عرائض ملتمسين فيها بدموع أن يتم اتحاد الكنائس المقدسة فتضم إلى بعضها البعض. تلك الأعضاء التى فرقها عدو الخير منذ زمن، حتى مات بعض المؤمنين بدون

طلبتك ويجيب مسئلتك فالرب صادق واعماله عجيبه في قديسيه. وانصرفت الى منزلها فحملت بعد ذلك بمده يسيره، وكانت تحرس نفسها بكل الطهاره ومداومة الصوم والصلاه ليلا ونهارا الى يوم عيد القديسين بطرس وبولس فى الخامس من ابيب، فولدت ابنا فمضى المبشر الى انبا ساونا البطرك واعمله بانها قد ولدت ابنا ففرح بذلك جدا وفرح زوجها

ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسك بهما الوثنيون لا المسيحيون واعلموا أن الربح القبيح والغش هما صفتان لا تلائمان من قبل المسيح. فعولوا على الاقتداء به ذاك الذى كان فقيرا ومعدما. لا تتكلموا بشر فيما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف والتأدب مع العدل والحق بذلك يتمجد اسم ربنا والهنا يسوع المسيح فيكم وفى أعمالكم. تمموا واجباتكم التى اسندت اليكم

اقتبال سر العماد، وآخرون بدون تناول القربان المقدس. فضلا عن سقوط ربوات من القتلى، الذين بدمائهم الغزيرة تخضبت الأرض والهواء. ولذلك فقد قررنا نحن والكنائس الأرثوذكسية فى كل مكان، ورؤساء الكهنة الذين يدبرونها، ألا نعرف إيمانا آخر سوى الذى وضعه الآباء القديسون الذى اجتمعوا فى افسس وحرموا نسطور ومن نسجوا على منواله. فنحرم نحن أيضاً نسطور وأوطاخى اللذين علما خلافا للإيمان المذكور. ونقبل الفصول الاثنى عشر التى كتبها الطيب الذكر ومحب الله كيرلس الذى كان رئيس أساقفة كنيسة الاسكندرية الجامعة. ونعتقد بأن الوحيد ابن الله والاله يسوع المسيح، الذى نزل وتجسد حقا من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الاله، والذى هو من طبع الآب باللاهوت ومن طبعنا بالناسوت(١)، وهو واحد لا إثنان(٢)، وأن العجائب والآلام التى احتملها بالجسد هى لهذا الوحيد ابن الله الواحد(٣). أما الذين يميزون(٤)، أو يبلبلون أو يقولون بالخيال(١)، فلا نقبلهم البتة. ذلك أن التجسد الحقيقى المنزه عن الخطيئة الذى من والدة الاله لم يزد على الابن شيئاً. فقد ظل الثالوث ثالوثا، وما بعد تجسد الاله الكلمة الواحد من الثالوث أيضاً. إننا نكتب بهذا إليكم لا لنعلن إيماناً

(١) ملاحظة: نلاحظ أن العبارة الموضوع فوقها (١) هى ضد أوطاخى، والموضوع فوقها.
(٢) هى ضد نسطور، والموضوع فوقها.
(٣) هى ضد طومس لاون، والموضوع فوقها.
(٤) تعنى النساطرة والخلقيدونيين..

بخوف من الله وبمحبة للامبراطور وبغاية الدقة والاجتهاد واعتبروا أن الاوامر التى تصدر لكم من مولاكم الذى لم يسىء الى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لانه مقام منه ولم يتقلد السيف باطلا. وأخيرا يا أبنائى الاعزاء البسوا الصبر كرداء وتمطقوا بالفضيلة وامتلئوا بالرجاء والايمان والمحبة».

ثم أرسل لأمين الخزانة الخاصة يأمره بأن يتحلى بالامانة ويصرف بدقة حساب وكتب لأمين الملابس

الكاهن الابروتس، وقال لهما انبا ساونا البطرك:

اسمواه بطرس. ففعلا ذلك، وكان الصبى يشب وينشو وينمو مثل يوحنا المعمدانى حتى بلغ تلت سنين فحمله ابواه الى البطرك وقالا له: هذا ابن صلواتك. فبارك عليهما وعليه وعمده. ولما صار فى خمس سنين دفعه ابواه للتعليم فتعلم الحكمه فى اسرع وقت وصار احفظ ممن فى البيعه من ابناء جنسه. وفى سابع سنه جعله اغسطس وامتلا من

جديداً، لكن لنبين أننا نحرم كل من ارتأى أو يرتأى شيئاً أخر سواء أكان ذلك فى مجمع خلقيدونية أم فى أى مجمع آخر، ولا سيما نسطور وأوطاخى، والذين ينسجون على منوالهما».

واضح مما تقدم أن الهنوتيكون كان خطوة كبيرة نحو تفكير الأرثوذكسيين القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح... فكانت النتيجة المباشرة هو التقارب بين كنيستى الاسكندرية والقسطنطينية، على الرغم من أن كنيسة روما لم ترحب بالأمر برمته، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من هذا فى الاتجاه المضاد.

فى ذلك الوقت سنة ٤٨٢ توجه بعض علماء الاسكندرية ليشفعوا لدى زينون فى بطريركهم البابا بطرس الثالث (منجوس). وحالما التقوا بالملك بسطوا أمامه ما حل بالمؤمنين والكنائس من شدائد من جراء مجمع خلقيدونية. اقتنع الملك بعودة البطريرك بطرس إلى كرسيه بشرط أن يقبل الهنوتيكون ويوقع عليه، ويدخل فى شركة مع الأساقفة الآخرين الذين يقبلونه.

رد الفعل فى الاسكندرية:

بدراسة الهنوتيكون وجد البابا بطرس أنه لا يضاد الايمان الأرثوذكسى. فهو يقبل إيمان وقرارات المجامع الثلاثة الأولى المسكونية نيقية والقسطنطينية وافسس، وحرومات كيرلس الكبير

النعمه الروحانيه. فلما صار فى اثنتى عشره سنه كمله شماسا. وكان يصول على الشمامسه بالمعرفه والنسك وما وهبه الله له من النعمه الروحانيه السماويه. فلما كمل له ست عشره سنه قدموه قسيسا لما راه البطرك من عفافه وصيانته وعلمه ونسكه وصحة امانته وجودة معرفته وطهارته وملازمته خدمة البيع ليلا ونهارا. وكان قد ظهر فى تلك الايام رجل مجدف يقال له

خريطة تبين المدن التى عقدت بها المجامع المسكونيه

يوصيه بملاحظة الترتيب والنظام وختم كلامه بقوله «وعلى الامين أن يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكى يتمجد اسم المسيح حتى فى مثل هذه الاعمال القليله الأهمية» أ.هـ.

وأوصى أمين المكتبة بأن يحسن تنظيمها ويجد فى نسخ ما بها من الكتب الهامة وأن لا يفتأ يذكر أمام القيصر عظيم قدر الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وأن يمزج كلامه مع القيصر بشواهد من سيرة المسيح.

وكان فى عهد هذا البطريرك كاهن قديس لم يرزق بنسل يدعى ثيودوسيوس وحدث أن امرأته صوفية شاهدت بالكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس أولاد المسيحيين يقدمون الى المعمودية فانكسر قلبها ورجعت الى البيت حزينة النفس وطلبت من الله بلجاجة أن يمن عليها بنسل. وفى ليلة ذلك اليوم شاهدت رؤيا فى نومها واذا بشخصين وقفا بها وأخبراها أن طلبتها أجيبت وسترزق ولدا وأمراها أن تذهب باكرا الى البطريرك وتخبره بذلك. فلما أصبح الصباح أخبرت زوجها بالأمر وانطلقت الى البابا ثاونا وأعلمته بما جرى فباركها وصرفها بسلام. وما أتت السنة حتى رزقت ولدا أتت به الى البطريرك ليعمده فدعاه بطرس

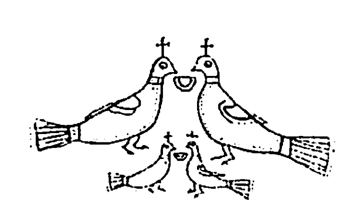
ولما كبر تتلمذ له وأدخله المدرسة اللاهوتية فبرع براعة غريبة جذبت اليه أنظار جميع الشعب.

ولما حضرت البطريرك الوفاة جاء اليه جميع الكهنة والشعب باكين قائلين «أتتركنا يا أبانا مثل الايتام» فقال لهم «لستم أيتاما بل هذا بطرس أبوكم وهو البطريرك بعدى» وقدمه البطريرك قبل أن يتنيح ثم رقد فى الرب فى ٢ طوبه سنة ١٧ للشهداء و ٣٠٠م.

وفى أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد ديوكلتيانوس قيصر فجعلت الكنيسة القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ الشهداء.

(*) سابليوس: انظر هامش ص٢٦٥.

سابليوس(*) فقال مقاله خارجه عن الامانه. وذلك انه اعتقد اقنوما واحدا للاب والابن والروح القدس الثالوث المقدس وليس هو تلت اقانيم بل تلت اسماء. وهو كفر بالانجيل، ولم يسمع الى المكتوب فيه، ان سيدنا يسوع المسيح عندما اعتمد من يوحنا ابصر روح القدس قد حل عليه شبه حمامه، وسمع صوت الاب من السما يقول هذا ابنى الحبيب الذى به سررت. فلما سمعه جماعه



حمامات ذات صلبان. نقش فى صومعة ناسك بمدينة اسنا

الاثنى عشر، ويشجب نسطور وأوطاخى.. ومن ثم فقد قبله ووقع عليه، ووعد بأن يقبل فى شركته الذين يرجعون تائبين ومعترفين بما فى الهنوتيكون.. وفى الكنيسة الكبرى بالاسكندرية أخذ يفسر للاكليروس والرهبان والمؤمنين مضمون الهنوتيكون، موضحاً أنه يتضمن الايمان الصحيح، شارحاً لهم لماذا قبله.

لكن بعض الاكليروس المغالين تحفظوا ضد الهنوتيكون، محتجين بخلوه من حرم صريح للزيادة التى أدخلها المجمع الخلقيدونى على الايمان. وأخذوا يناهضون البطريرك بطرس لقبوله، وعلى وجه الخصوص كيف يصبح فى شركة مع الخلقيدونيين. وكادت تحدث فتنة كبيرة لوّلا أنه حرم علناً طومس لاون ومجمع خلقيدونية. وشرح لهم لماذا قبل فى شركته من قبلوا الهنوتيكون الذى نقض ما أضيف إلى المجامع الثلاثة الأولى، حتى لو كانوا قبلا خلقيدونيين.

رد الفعل فى روما:

عقد فيلكس أسقف روما مجمعاً سنة ٤٨٤ خرم فيه أكاكيوس، على الرغم من القبض على مندوبيه وحبسهم فى القسطنطينية بأمر زينون.. أما رد الفعل فى القسطنطينية فكان حذف اسم أسقف روما من القداسات. لقد حدثت ثغرة بين القسطنطينية وروما عرفت فى الكنيسة الكاثوليكية باسم انقسام أكاكيوس. وقد دامت هذه الفرقة نحو ٣٥ عاماً.

تبعوه واضلهم بطغيانه، ثم انه جمع شعبه واتى الى البيعه عند حضور الاب البطرك انبا ساونا فى يوم عيد كبير، فوقف على الباب وانفذ اليه رسولا قال له: اخرج ناظرنى فى هذا اليوم فان كنت على صواب تبعتك والا اعلم الشعب انك على الغلط. فقال الاب البطرك لبطرس القس: اخرج الى هذا الكافر اسكته عنا. فلما خرج ونظره سابليوس قال: انظرو الى صلف ساونا وبذخه لم يرسل الى

خلفاء زينون:

على الرغم من وفاة أكاكيوس سنة ٤٨٩ وبطرس منجوس سنة ٤٩٠ والملك زينون سنة ٤٩١، فقد ظل الهنوتيكون مرعياً من الامبراطور الجديد انستاسيوس الأول (٤٩١ ـ ٥١٨). وكان على أساقفة القسطنطينية أن يوقعوا على الهنوتيكون عند تنصيبهم.. وظل الأمر على هذا النحو حتى توفى انستاسيوس.. وكانت تلك الفترة هى التى برز فيها القديس ساويرس الأنطاكى (٥١٢ ـ ٥١٨) المحامى الكبير عن عقيدة الطبيعة الواحدة فى عظاته اللاهوتية الشهيرة.

حدث رد الفعل عندما تبوأ الامبراطور جوستن الأول (٥١٨ ـ ٥٢٧) للعرش الامبراطورى يساعده ابن عمه جستنيان وكانا خلقيدونيين.. عزل ساويرس الأنطاكى، وأنقذ حياته بالهرب إلى مصر. أعيدت الوحدة بين كنيستى القسطنطينيه وروما بواسطة هورميسداس Hormisdas أسقف روما، الذى أرسل مندوبين إلى القصر الامبراطورى فى القسطنطينية بصيغة أخرى للايمان، فيها يلعن ويحرم أوطاخى ونسطور وديسقوروس وأكاكيوس، وكل أصحاب عقيدة الطبيعة الواحدة.

تبوأ جستنيان العرش (٥٢٧ ـ ٥٦٥)، وأحس كخليفة للقياصرة الرومان، أن عليه واجباً، هو أن يعيد الامبراطورية الرومانية. وفى نفس الوقت أراد أن يكون لها إيمان واحد وقانون واحد

الا اقل من عنده من الصبيان الصغار. فقال له
بطرس: ان كنت انا عندك صغيرا فانا عند ابى
ساونا كبير، والرب يظهر كفرك اليوم بان ينصرنى
عليك كما نصر داود النبى على جالوت الجبار
ويظهر الرب لعنته فيك وينتقم منك ويهلكك مع
اصحابك ويطل قولك ويفسد رأيك حتى لا يبقى
لك ذكر ولا مقال. فما استتم قوله حتى تعوج
وجه سابليوس وصار خلف قفاه وسقط على
الارض ميتا وتهاربوا اصحابه وكلمن كان معه،

وكنيسة واحدة.. هذه باختصار كانت سياسة جستنيان.. وهكذا بدأ جستنيان العمل فى القضية الايمانية اللاهوتية صمم على تحقيق الوحدة فى الكنيسة كخطوة أساسية لتحقيق طموحه فى السيطرة على الكنيسة.. كان خلقيدونيا وبدأ يظهر ميولا نحو الخلقيدونيين لكنه تراجع عن الدخول فى نزاع مع الأرثوذكسيين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة.. كانت زوجته الامبراطورة ثيودورا Theodora أرثوذكسية فى الخفاء، ودافعت عن الأرثوذكسيين ومقتنعيها بكل ما أوتيت من قوة، وما استطاعت إلى ذلك سبيلا، لكن بحكمة حتى لا تثير ثائرة الامبراطور. كانت ثيودورا امرأة متدينة، ذات شخصية قوية، ظهر نفوذها فى تشكيل سياسة الدولة الدينية. وبفضل جهودها سمح جستنيان للأساقفة الأرثوذكسين المنفيين بالعودة إلى ديارهم وكراسيهم. كما دعا كثيرين من الأرثوذكسيين إلى القسطنطينية إلى مؤتمر دينى للتصالح، وطلب إليهم أن يناقشوا كل الأسئلة التى يكتنفها الشك مع خصومهم.. وهكذا تمكن ساويرس الأنطاكى أن يأتى فى أمان إلى القسطنطينية سنة ٥٣٢ على رأس مجموعة قوية من مصر لهذا الغرض، ومكث هناك سنة كاملة. لكن إجراء أو قراراً حاسماً لم يتخذ، فقد كانت المشكلة بما يكتنفها من تيارات خفية وأهواء شخصية أعقد من أن تحل.

وكخطوة نحو الأرثوذكسين أصدر جستنيان فى سنة ٥٤٤ مرسوماً أدان فيه ثلاثة من عمد النسطورية عرفوا باسم الثلاثة فصول Tria Kephaiaia وهم تيودور من مبسيستيا Theodore

وهلك وباد ذكره وانقطعت مقالته ولم يبق له
ذكر. هذا منتهى ما كان من امر سابليوس. واظهر
الرب ايه اخرى على يدى بطرس القديس، وذلك
انه كان عيد الكهنه والشعب يمجدون الله
ويعيدون فوقف انسان منهم به شيطان مارد على
الباب، فجعل يرجم المومنين بالحجاره ويزبد ويزئر
مثل الجمل فيهرب الشعب منه الى داخل البيعه.
واعلمو البطرك بحال المجنون فقال للقديس

---

of Mopsuestia وثيودوريت من سيروس Thedoret of Cyrus واياس من اديسا Ibas of Edessa وقد رحبت كنائس الشرق بادانتهم، بينما تذبذبت كنائس الغربيين قبول هذا المرسوم أو رفضه.. ولم تهدأ المسألة التى أثارها مرسوم جستنيان المعروف باسم الثلاثة فصول إلا بموت جستنيان، وارتقاء الامبراطور جوستن الثانى (٥٦٥ ـ ٥٧٨)، الذى أصدر هنوتيكون آخر سنة ٥٧١.

أحوال مصر:

تميزت أحوال مصر السياسية خلال تلك الفترة بسوء التنظيم الادارى. ولعل الخلافات الدينية كانت سبباً جوهرياً ساعد على ذلك.. كان فى مصر الملكانيون تسندهم قوات الدولة. بينما الأرثوذكسيين كان عليهم أن يعتمدوا على قدراتهم فى كل المجالات.. كما تميزت تلك الفترة بنمو الاحساس بالقومية المصرية، الأمر الذى كان يقوده ويغذيه الأرثوذكسيين.. كانت هذه هى حالة البلاد بينما كان البرابرة من البدو وغيرهم يحومون كالجوارح على حدود مصر.. وازاء هذه الحالة قسم جستنيان مصر إلى قسمين إداريين: الاسكندرية والوجه البحرى وجعل له حاكما، وصعيد مصر وجعل له حاكما آخر، كانت خطة جستنيان التخفيف عن كاهل الحاكم الواحد لكل البلاد، لكن عملية التقسيم بذرت بذور التنافس وسوء التنظيم بين الحاكمين لاقليم واحد.

بطرس: اخرج له فاطرد عنه هذا الشيطان. فاخذ صحنا وجعل فيه ما [ء] وقدمه الى الاب البطرك وسأل ان يصلب عليه ففعل ذلك، وخرج بطرس ومعه وعاء الما الى حيث الرجل المجنون وقال: باسم سيدى يسوع المسيح الذى اخرج لا جاون(*) وابرا من ساير الامراض والاسقام اخرج منه ايها الشيطان بصلوات ابى ساونا البطرك ولا تعد اليه. فللوقت خرج منه الشيطان وبر [ء] الرجل وصار سالما عاقلا وديعا.

(*) لاجون: الشيطان.

كما استحدث جستنيان أمراً خطيراً كان له أسوأ الأثر على نفسية الأقباط ومستقبل مصر السياسى. فحينما نصب أبو ليناريس Appollinaria لكرسى الاسكندرية سنة ٥٤١م قلده بالاضافة إلى وظيفته الدينية سلطات عسكرية لتنفيذ سياسته الدينية. وما لبث أن أعطى هذا البطريرك الملكانى حق جمع ضرائب مباشرة لصيانة الكنائس وللرعاية. كانت هذه سابقة خطيرة لمن أتى بعده من الأباطرة.. لقد أعطوا لأنصارهم الوسائل التى يمكنهم بها أن ينكلوا بخصومهم الدينيين ويجددوا الاضطهاد الدينى مرة أخرى وفى صورة أخرى بين المسيحيين والمسيحيين... كانت بداية المأساة على يد الأسقف الدخيل ابوليناريس الذى حاول كبح جماح العناصر الأرثوذكسية الهائجة. فكانت النتيجة مذبحة مروعة.

ومما يذكر لجستنيان اهتمامه بالقضاء على الديانات المصرية التى كانت ما تزال حية فى أطراف الامبراطورية. فشجع الارساليات إلى بلاد النوبة. لكن زوجته ثيودورة سارعت وأحبطت خططه بارسال بعثات أرثوذكسية إلى تلك البلاد مقابل الارساليات الملكانية.. كما أغلق جستنيان معابد ايزيس فى جزيرة فيلة ومعابد آمون فى واحة سيوة، وحل محلها كنائس مسيحية. كما بنى الدير الذى يحمل الآن اسم سانت كاترين فى جبل سيناء، وكان يعرف سابقاً باسم دير الاستحالة (استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه).

ولو وصـفنا العـجـايب التى ظهـرت من هذا القـديس بطرس لطال شـرحـهـا وضـاقت الكتب عنها.

فلما حضـر ساونا الوفاه لينتقل الى ابايه حضر جميع الكهنه والشعب باكين قايلين: يا ابانا تخلينا مـثل اليـتامى. فقـال لهم: ليس انتم ايتام بل هذا بطرس ابوكم وهو البطرك بعدى. وقدمه انبا ساونا قبل يتنيح لذلك.

المونوثيليتية Monotheletism
(القول بمشيئة واحدة فى المسيح):

السنوات المتبقية للحكم البيزنطى فى مصر تؤلف واحدة من أكثر فترات التاريخ المصرى امتلاء بالأسى.. فمن مشاكل اغتصاب السلطة الامبراطورية فى القسطنطينية، وما ترتب على ذلك من مطامع فى إدارة إقليم مصر، إلى ما أحدثته المنافسة بين حاكمى شطرى مصر من اضطراب وتشويش فى شؤون الحكومة.. وهكذا تعرضت مصر إلى عناصر الشر من الداخل، وأطماع الغزاة من الخارج.. وهكذا ظهرت عصابات منظمة لنهب بعض المدن كما حدث فى بوصير وكانت على مقربة من مركز السلطة فى الاسكندرية، بينما كان أحد الحكام منشغلا بانزال أخر والاستيلاء على السلطة فى المدينة العظمى! كان عرش الامبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢ ـ ٦١٠) يترنح فى ذلك الوقت، ووقع فى قبضة مغتصب آخر للعرش الامبراطورى هو هرقل، وكان قائداً بيزنطياً لجيوش الدول فى أفريقيا. عبر البحر المتوسط وتمكن من إسقاط خصمه، واستولى على العرش ٦١٠م.

وبينما كان ذلك يحدث، إذا بالجيش الفارسى بقيادة Chasroes parirz يجتاح أقاليم الدولة الآسيوية فى سوريا وفلسطين. وفى لحظة تبوأ هرقل للعرش (٦١٠ ـ ٦٤١)، كان

بطرس البطرك الشهيد

[٣٠٠ / ٣١١م]

وهو السابع عشر من العدد

ولما تنيح أنبا ثاونا البطرك اجتمعو كهنة اسكندريه والشعب ووضعو ايديهم على بطرس القس ولده وتلميذه فاجلسوه على كرسى اسكندريه كما امرهم ثاونا الاب القديس وذلك فى السنه السادسه عشره لديقلاديانوس الملك.

الجيش الفارسى على مقربة من مدينة أنطاكية. فى سنة ٦١٣ دخل دمشق، وفى سنة ٦١٤ سقطت أورشليم فى يده، وحمل الصليب المقدس وآلات تعذيب المسيح. وفى سنة ٦١٩ بينما كانت إحدى فرق الجيش تتجه إلى البسفور كانت فرقة أخرى تغزو مصر التى ظلت فى قبضة الفرس قرابة عشر سنوات.

كانت حالة الامبراطورية الرومانية تدعو للرثاء، وبدا كل شىء وكأنه قد ضاع. وبينما كان هرقل يفكر فى الهرب إلى قرطاجنة بشمالى أفريقيا، وضع البطريرك البيزنطى سرجيوس أموال الكنيسة وكنوزها تحت تصرف الامبراطور للقيام بأول حملة لاسترجاع الصليب المقدس. كانت الخطة التى وضعها هرقل أن يضغط على الفرس فى أماكن قريبة نسبياً من القسطنطينية حتى يضطرهم للانسحاب من مصر. وبالفعل تم ذلك سنة ٦٢٧، وتمكن هرقل من استعادة الصليب المقدس ووضع فى القبر المقدس بأورشليم.

عادت مصر ثانية إلى الحكم البيزنطى، لكن هرقل لم يستفد شيئاً من الدرس القاسى ولم يكتف بأنه أحيا سياسة جستنيان فى مصر، بل بالغ فيها بزيادة. فقد عين بطريركاً ملكانياً، صار هو حاكم مصر كلها فى نفس الوقت، مع منحه سلطات دينية وحربية ومالية وتنظيمية وقضائية واسعة.. وفى محاولة جديدة لكسب فريق الأرثوذكسيين من أصحاب مذاهب الطبيعة

فلمـــا راى [رأى ا ان اريوس الردى قـــد بلبل كل الاماكن بكفره قطعه ونفاه من البيعه.

ولما كـان فى السنه التـاسعـه عـشـره من ملك ديقلاديانوس وصلت كتبه الى اسكندريه ومصر ا بعبـادة الاصنام] وانزل البـلايا على النصـارى واخـرب كنايس الله وقـتل خلقـا كـثيـرا بالسـيف وهرب المومنون بالمسيح للبرارى والكهوف والمغاير، فحينذ اقام ديقلاديانوس حراسا وحفظه فى كل

الواحـدة، دون أن يخسـر الخلقيـدونيين الغـربيين، لجأ إلى صياغـة إيمانيـة جديدة تحل مـحل الهنوتيكون الذى لم يحقق النجاح الكامل.. اتحد هرقل مع سرجيوس بطريرك القسطنينية (٦١٠ ـ ٦٣٨)، وأعلن فى سنة ٦٢٢ العـقيـدة الجـديدة التى عـرفت باسم «المونوثيليتيـة» Monotheletism وهى القول بمشيئة واحدة فى المسيح، على أمل أن تحل محل الاعتقاد بطبيعة واحدة فى المسيح فى الأقاليم الهائجة فى سوريا ومصر.

ودون التعرض للموضوع الحساس الملتهـب بطبيعـة المسيـح، وهـل هـو طبيعـة واحـدة أم طبيعتين، ركزت المونوثيليتية على وحدة مشيئتى المسيح الناسوتيـة واللاهوتيـة وأنهـما كـانتـا متطابقتين، متوافقتين، غير متغيرتين.. كـان هرقل يأمل أن يقبـل الأرثوذكسيين الصيغـة الجديدة، وهى فى نفس الوقت لا تتعارض مع أنصار خلقيـدونية الغربيين، وقولهم بالطبيعتين.

فى البدء بدت هذه الفكرة وكـأنها مقبولة لدى بعض رؤساء الكنائس من الجانبين.. وممن قبلوها أثناسيوس بطريرك أنطاكية (٦٢١ ـ ٦٢٩)، وهو نوريوس الأول أسقف روما (٦٢٥ ـ ٦٣٨).. على أن قبول هذه الصيغة لم يدم إلا بين موارنة لبنان بينما قوبل هونوريوس بمقاومة عنيفة من أساقفة الغرب.

مكان من كورة مصر والصعيد الاعلى الى بلنطن [بلطين بلطم] وامرهم بقتل كلمن يجدون من النصارى، ثم ان اوليك الحراس اخدو المغبوط بطرس بطرك اسكندريه ورموه فى السجن، واعلمو الملك بانهم قد قبضوه وقيدوه، فامر الملك الكافر بان ياخدو رأسه، فلما اتاهم الكتاب بذلك اسرعو ليتمو امر الملك، وفيما هم يريدون اخرجه من الاعتقال ليأخذوه ويقتلوه اجتمع الشعب الى باب

فى سنة ٦٣٨ طبع هرقل مرسومه الذى عرف باسم «اكتيسيس» Ecthesis وعزم على إرغام الجميع على قبول المونوثيليتية... لكن المقاومة الكبرى لتلك العقيدة الجديدة كانت فى الاسكندرية، حيث رفض الأقباط أى حل بيزنطى ابتداء من خلقيدونية إلى الهنوتيكون والمونوثيليتية.. كان الخوف من الابتعاد عن عقيدة اثنا سيوس وكيرلس عمود الدين، فضلا عن شعور الأقباط بقوميتهم، جعلهم أكثر الرافضين للحيدة عن التقاليد القديمة، ليقابلوا السلطة الامبراطورية فى منتصف الطريق فى المسائل الخاصة بالايمان.

لكن مصر كانت ذات أهمية خاصة للامبراطورية، إذ كانت تعتبر مخزن غلالها. لذا فقد رفض هرقل الاستسلام للنزعة الانفعالية الدينية والمدنية. كان مصمما على فرض معتقدة بأى وسيلة. كانت الخطوة الأولى فى تنفيذ هذا المخطط، هى تعيين سيروس Cyrus أسقف فاسيس Phasis فى القوقاز قرب البحر الأسود - والذى كان ذا ميول نسطورية ويتمتع بذكاء وولاء ريائى للامبراطور - تعيينه بطريركا ملكانيا على الاسكندرية والحاكم الامبراطورى لاقليم مصر، تحت شريطة أن يقهر الأقباط لكى يقبلوا الايمان الخلقيدونى والمونوثيليتية بأى وسيلة.. وسيروس هذا هو المعروف فى المراجع العربية باسم المقوقس وكان وصوله إلى الاسكندرية فى سنة ٦٣١ . وبدأ فى تنفيذ خططه بلا أدنى شفقة. وفى خلال عشر سنوات غدا من أكثر

السجن وجلسو عليه يحرسون راعيهم وقالو: اذا قتلنا كلنا حينذ توخد رأسه. وكانو اوليك الجند مفكرين كيف يخرجونه حتى لا يموت خلق كثير بسببه. لاجتماع كل الشعوب بسببه الشيوخ والشباب والرهبان والنسا والعدارى وهم باكون بدموع عزيزه وتشاورو الجند فى ان يدخلو ويخرجوه ومن قاومهم من الشعب يقتلوه كما ورد به كتاب الملك.

الطغاة المكروهين فى تاريخ مصر... لقد استخدم الصليب وصوجان أحكم لسحق المقاومة الوطنية.

كان ذلك سبباً فى انخفاض شعبية هرقل إلى الحضيض، بعد شهرته التى نالها نتيجة استرداد الصليب المقدس من الفرس... لقد أزال سيروس بتصرفاته كل ولاء للقسطنطينية فقد أخذ يتعقب ويطارد أساقفة الأقباط والقوميين من الأقباط. كان عليهم إما أن يقبلوا معتقده أو يفقدوا حياتهم. ويذكر كتابنا تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس «ولعظم البلاء والضيق والعذاب الذى أنزله (المقوقس) بالأرثوذكسيين لكى يدخلوا فى الامانة الخلقيدونية، ضل جماعة منهم لا يحصى عددها. قوم منهم بالعذاب، وقوم بالهدايا والتشريف، وقوم بالسؤال والخداع. حتى أن كيروس أسقف نيقيوس وبقطر أسقف الفيوم، وكثيرين منهم خالفوا الامانة الأرثوذكسية، لأنهم لم يسمعوا وصية الأب المغبوط بنيامين، ولم يختفوا كغيرهم، فصادهم بصنارة ضلالته فضلوا بالمجمع الخلقيدونى الطمث»(*).

ومن فرط الضيق هرب البطريرك القبطى الأرثوذكسى البابا بنيامين الأول ٣٨ (٦٣٣ ـ ٦٦٢) إلى دير صغير بالصعيد، واختفى خلال السنوات الأخيرة للحكم البيزنطى فى مصر

(*) أنظر: ساويرس ص ٥٧٢.

وكان السبب فيما امر به الملك من طلب هذا الاب البطريرك وقتله انه كان بانطاكيه انسان اسمه سقراطيس وكان من جملة امرا الجند المستخدمين في القصر [الملكى]، وهو رفيق لبدير[ابادير] الذى استشهد واخته ايرانى، وكان هذا سقرطيس اوله نصرانيا متعمدا فجحد دينه وصار مبغضا للنصارى، وكان له امراه [امرأة] صالحه خيره نصرانيه فرزق منها ولدين فلما كبرا وصلحا ان يعمدا قالت الامراة لزوجها: انا اسيلك يا اخى ان

وحتى الغزو العربى... ومن الذين نالهم الشدائد واستشهدوا فى تلك الفترة مينا شقيق البابا بنيامين. يقول تاريخ البطاركة «قبض على الطوباوى مينيا شقيق الأب بنيامين البطريرك، وعذبه عذابا شديدا، وأمر بوضع مشاعل تحت جنبيه حتى خرج شحم كليته من جنبه وسال على الأرض. وقلع أضراسه وأسنانه باللكم لاعترافه بالامانة. وأمر أن يملأ جوالق رملا ويجعل القديس مينا فيه ويغرق فى البحر».

وقد خلفت زيارات المقوقس لمدن وقرى الدلتا والصعيد فزعاً عظيماً.. فالضرب بالسياط والسجن والقتل كانت مقرونة بمصادرة الممتلكات وأوانى الكنائس. وحتى الأديرة لم تنج منه قصدها ليصطاد مخالفيه فى الرأى والمعتقد. ورهبان الأديرة إما أنهم قاوموه مقاومة خاسرة، وإما أنهم هربوا من أمامه. حتى المتوحدون والنساك قبض عليهم وعذبوا حتى الموت. ولدينا قصة الأنبا صموئيل المعترف فى دير القلمون بصحراء الفيوم كمثال لمقاومة الأقباط البطولية أمام إرهاب البيزنطيين.. لقد جروا الأنبا صموئيل من منسكه بالسلاسل، وحول عنقه طوق من حديد كأشر المجرمين. أقتيد إلى مدينة الفيوم حيث أهين وجلد وضرب على أسنانه، وأخضع لكل أنواع العذابات الشيطانية وأمر الجنود بقتله. ولم ينقذه من أيديهم سوى سدول الليل، الأمر الذى مكن تلاميذه من سرقته وهو بين الحياة والموت..

---

١٧ : بطرس ٣٠٠/٣١١م.

تسير معى لاسكندريه نعمد ولدينا ليلا [لئلا] يموتا
بلا تعميد فيغضب علينا السيد المسيح لغفلتنا عن
ولدينا. فقال لها الكافر: اسكتى فانك لا تعرفين
الصعوبه التى علينا اليوم ليلا يسمع الملك
فيغضب علينا جدا. وكان غرضه تخويفها بهذا
حتى تدع ولديها بلا معموديه، فلما علمت انه لا
يطيعها ولا يسير معها اخدت ولديها وغلامين
مامونين كانا لها وخرجت الى البحر وصلت قالت:
ياربى يا ضابط الكل ابا سيدنا ومخلصنا يسوع

فى تلك الفترة حل بالاقباط من الاذلال ما لا عهد لهم به من قبل فى كل العصور. وتحملت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عذابات المجدفين على يد المستعمر الملكانى... والعجيب أنها استطاعت تحمل كل هذه الضيقات دون أن تلين لها قناة، واستمرت حية شاهدة للايمان الحق والشجاعة البطولية. حقيقة أن بعض أبنائها ضعفوا واستسلموا للمستعمر لسبب أو لآخر، لكن تلك كانت حالات فردية وليست جماعية. أما نتيجة كل ذلك فهى أن الأقباط يحملوا لمضطهديهم من البيزنطيين، ولكل ما هو بيزنطى كراهية عميقة. وقد عبر الأقباط عن كل ذلك، ليس فقط فى العقيدة الأرثوذكسية، بل فى اللغة القبطية والأدب القبطى أيضاً، وفوق كل ذلك فى الفن القبطى... لقد اتسعت الهوة بين الكنيستين القبطية والبيزنطية، ولم يعد ممكناً تخطيها. لقد ذهبت الخلافات إلى ما وراء حدود المعقول. وكأن الموقف كان يعد لتمييز كبير.

مهما يكن هذا التغيير لقد وقع الغزو العربى لمصر... وكان ذلك إيذانا ببدء صفحة جديدة من تاريخ كنيسة الاسكندرية العريقة، ذلك السجل الحافل بالام الأقباط وثباتهم وبطولتهم وشجاعتهم وحبهم لالههم.

المسيح ان كنت تسهل طريقى فوفق لى مركبا
اسير فيه. فبينما هى تصلى ابصرت مركبا يريد
يقلع فنادت بواحد من البحاره وقالت له: الى اين
تسيرون. قال لها: الى اسكندريه. قالت له:
احملونى معكم وانا ادفع لكم اوفى اجره. فاجابها
الى ذلك وطلعت ومعها ولداها وغلاماها. فمن
بعد يومين هاجت عليهم ريح عظيمه حتى قلق
كلمن فى المركب فقالت تلك الامراه [المرأة]
المومنه: ان الله لا يسمع لمثلى من الخطاه لكن الذى

المسألة الدوناتية

لم يكن قسطنطين يدرى حالة سمح لنفسه أن يرى فى الأفق ضياء وصليبا، أن وراء الأفق هذا يكمن الخطر، وما دار بخلده لحظة اتفق مع حليفه ليكين فى ميلانو، أن يضعا عن المسيحية اصرها والأغلال التى كانت عليها، أن رجالات كنيستها سيحملون الى جفنيه الأرق ويسلبون عينه الكرى، ولا أمل حين فك عقال عبادها أن أولئك الأشياع ستعصف بوحدتهم حرية الفكر والجدال، وذلك شيء يخفق له قلب الامبراطور رعبا وهلعا، فوحدة الرعية أساس وحدة الدولة.

كانت دنيا الامبراطور التى يحياها آنئذ غرب الامبراطورية، والامبراطورية كلها عالمه الذى يأمل. أما وهو الآن سيد الغرب فحسب بعد أن دحر منافسه ماكسنتيوس، فلا أقل من أن تكون الوحدة شاملة هذا الغرب.

فى سبيل ذلك حرر المسيحيين، فضمن أن يقف إلى جواره فى مشروعات له آتية لاريب فيها، قاطنى جزء الامبراطورية الغربى، أنه يتطلع إلى الشرق، وفؤاده يهفو اليه، ولابد أن يتراص الغرب كله وراءه يدفعه ويسانده، لا محل لخلاف أو نزاع، ولا مجال لفرقة أو انقسام.

١٧: بطرس ٣٠٠/٣١١م

خطر بقلبى انا افعله. ثم قامت فبسطت يديها
وحولت وجهها الى الشرق وصلت قايله: يا الله
الذى يعلم كل شى قبل ان يكون ، انت تعلم ما
فى قلبى وأننى لا احب روحا ولا مالا مثلك حتى
اولادى ولا نفسى ايضا، وهو ذا نموت فى اللجج
من اجل اسمك المقدس يا مخلص يارب يا الاهى
ومخلص نفسى وجسدى انظر لولدى اللذين صارا
يتيمين من اجل اسمك المقدس ولا تدعهما يموتان
بغيررشم المعموديه. ولما تمت هذا القول اخذت

ولكن قسطنطين انتقل الى الشرق وترك وراءه غربا قد كلم، يئن لجراح انقسام ألت به، ولم يستطع الامبراطور ازاءها أن يفعل شيئا. حقيقة حاول الكثير، ولكن جهوده لم يقدر لها نجاح، ولم يكتب لها فى عهده اخفاق، بل كانت أشبه شيء بسياسة تهدئة. وصلت فى نهاية أمرها الى حد العنف ثم هوت الى لا شيء!

كان ذلك نتيجة طبيعية للسياسة الجديدة التى اتبعتها الدولة فى مسألة العقيدة، فلم يكن الأباطرة قبلا يهتمون بما يجرى بين جماعة المسيحيين وأنفسهم، بل كانت نظرتهم لهم كلية، تختلف من امبراطور لآخر عداوة أو مسامحة، أما نزاعات المسيحيين العقائدية ومحاوراتهم الجدلية فلم يكن لها عند الدولة قليل اهتمام، أما وقد اعترفت الدولة بحق المسيحيين فى حياة عقائدية حرة، فانه أصبح لزاما عليها أن تنظر بعين الاعتبار الى كل ما يجرى بين هذه الجماعة من جدل أو تخاصم قد يضر بالدولة مباشرة أو مواربة.

علمنا أن قسطنطين بعد ظفره عند القنطرة الملفية قد ضم اليه أقاليم خصمه ماكسنتيوس وبها ولاية أفريقيا، ثم شخص الى ميلانو ليزف الى ليكين أخته، وليحالفه الى حين، وعلمنا أيضا ما انتهى اليه تحالفهما من اطلاق حرية العقيدة لرعايا العاهلين الكبيرين، وبدا لقسطنطين أنه قد وضع فى جيبه ورقة ربح جديدة، ولكن سرعان ما جاءته الأنباء فى بادىء الأمر تمشى على استحياء تقول ان فى كنيسة أفريقيا انقساما، وتدعوه الى تدارك الخطر، وما تلك الا

سكينا وقالت يار ب يا ضابط الكل انت تعرف قلبى. وشرطت بالسكين ثديها اليمين فاخدت منه ثلث نقط دم فصلبت به على جبين ولديها الاثنين وفوادهما [فؤادهما] باسم الاب والابن والروح القدس وغطستهما فى البحر وقالت: قد عمدتكما ياولدى باسم الاب والابن والروح القدس. ثم جعلتهما فى حضنها وقالت: ان كان لنا موت فاموت الآن انا وولداى. فلما نظر الرب أمانتها الثابته هكذا هدا ذلك الريح الشديد وصار

رسالة[1] بعث بها أنوللينوس حاكم الشمال الأفريقى متضمنة شكايات فريق الدوناتين الذى كان على خلاف مع الكنيسة الكاثوليكية فى قرطاجة والتى يرأسها كايكيليانوس أنئذ.

وربما كان قسطنطين على علم يسير مسبق بحدوث هذا الانقسام، كما يتضح من رسائله الى نائبه فى أفريقا والى أسقف قرطاجة، ولكنه لم يكن يتصورها بهذه الخطورة التى ستعلن بها بعد ذلك بقليل عن نفسها.

وتعود بنا الأحداث الى ذلك الوقت الذى اشتدت فيه وطأة الاضطهاد الدقلديانى عندما صدرت الأوامر الامبراطورية باحراق الكتب المقدسة، فاختلف موقف رجال الكنيسة من هذه التعليمات وتباين سلوكهم بين ستر وعلن، وهوادة وعنف. فبعضهم أثر حياة الحرمان والضياع فأسرى بما تحت يديه من أسرار الديانة المسيحية، وأخر استمع فى دهاء للنغمة الامبراطورية فألقى فى النار كتبا أخرى تنعتها الكنيسة بالهرطقة، وثالث راقه آثر الحفاظ على العز والجاه فأسلم ما لديه للحريق من كتب مقدسة، وأودع ما تبقى فى قلبه من ايمان معها قسرا أو طواعية، عندما سعى الى الأوثان يضحى على مذبحها، وآخير رفض الاذعان وناوأ جبروت السلطان فلقى الشهادة، وامتدت بالانقاذ للقلة منهم يد السماء!

(1) Jones, Constantine, pp. 103-104.

هدوكـشيـر. ووصلو بعـد ثلثـة ايام إلى مـدينة اسكندريه. فلمـا دخلو الى المدينه بمعـونة الله الرحـوم، وكـان ذلك اليـوم يوم من جـمـعـة المعـمودية، وهى سـادس جـمـعه من الصـوم الذى تعمد فيها الاطفال، فتقدمت تلك الامراه إلى احد الشمامسه وقالت له: يا ابى اريد اجتمع بالبطرك. فقال لها وما حاجتك الى البطرك؟. فقالت له: يا أبى انا غـريبه واريد اعـمد ولدى هاذين. فقال لها الشماس مالك حاجه غير هذا؟ قالت لا. قال لها:

وكـان منسـوريوس Mensurius أسقف قرطاجة معتدلا، فلقد فضل أن يتوارى ومعه الكتب المقدسة، تاركا فى كنيسته بعض كتب تخالفها الكنيسة الرأى لتستولى عليها السلطات الحاكمة ارضاء لرغبات الامبراطور، وعلى ناحية يقف سكوندوس Secundus أسـقف تيـجيسيس Tigisis مطرانية نوميديا، يعارضه الرأى ويستهجن هذا السلوك، وبينما لام الأول من دفعوا أنفسهم الى ساحة الشهادة باعلانهم أن فى حوزتهم كتبا مقدسة رافضين تسليمها، مدح سكوندوس هذه الفئة ممجدا استشهادها(١). وكان موقفه حازما تجاه موظفى البلاط الذين أتوه يطلبون اليه تسليم ما لديه مما يبتغون، فصاح فيهم بأنه مسيحى وليس مارقا على الدين(٢).

وانقضت سنو الاضطهاد بقسوتها وعنفوانها، وساد الكنيسة سلام، ولكن خلافات العقيدة والكنيسة أبت الا أن تعكر صفو هذا الهدوء الذى تمنته الكنيسة طيلة قرون ثلاثة، فازدادت حدة الخلاف بين حزبى منسوريوس وسكوندوس، وأخذ كل منهما يحدد موقفه ازاء من زلت فى الخطيئة أقدامهم ابان فترة الاضطهاد، فقربوا للاوثان، أو دفعوا بالكتب المقدسة حتى يدرءوا

....

(1) S.M. Jackson. The new Schaff-Herzog encyclopedia of religious knowledge. III' F. Jackson, op. cit. pp. 290-201; Lietzmann' from Constantine to Julian. p. 84.

(2) Jones. Censtanine. p. 105.

اجلسى فى البيعه هو ذا البطرك يحضر ويعمد
الاطفال ويعمد اولادك معهم. ففعلت فلما جا
الوقت وكمل الاب البطرك القداس قدموا له
الاطفال المعدين للمعمودية فعمدهم، ثم قدموا له
الولدين الذين للامراه الانطاكيه، فلما اخذ
البطرك الطلفلين ليعمدهما جمد الما [ء] وصار
كالحجر، فلما راى بطرس البطرك القديس هذا
تعجب وامر بأفرادهما. ولم يعلم احدا بجمود الما
ثم امر ان يقدم له غيرهما، فلما قدم له غيرهما

عن أنفسهم الموت أو العذاب. وقد احتدم الخلاف حول جواز تعميد الخطاة وقبولهم فى رعية الكنيسة.

ويقر القديس أو غسطين مع ذلك الدوناتيين على ضرورة العماد لديهم كما هو حادث فى الكنيسة الكاثوليكية، ولكن ينكر عليهم مراسيمه. وأن طالب المعمودية عليه أن يعى حقيقة الخلاف بين وجهتى النظر حتى يتم تعميده على نحو سليم يتوافق وطقوس الكنيسة الجامعة ويستقيم جوازه[1]. ونرى أوغسطين يستطرد مؤكدا «.. فالعماد قائم فى الكنيسة الكاثوليكية.. هذا ما نجهر به وهم له منكرون، وطقوس العماد فى الكنيسة الكاثوليكية على نهج قويم.. ذلك شىء آمنا به وهم به كافرون، أما عندهم فلا تحظى مراسيمه بالصواب فى شىء، تلك حقيقة نعيها وهم عنها معرضون»[2].

واذا ما أخفق انسان فى التوفيق بين أصرارنا على أن العماد لا يتم على حق اليقين عند جماعة دوناتوس، وبين اعترفنا بأنه قائم بينهم فعلية أن ينتبه الى أننا ننكر تماما وجوده بينهم على نهج قويم، وذلك فى مقابل عدم اعترافهم بكيانه بين الذين لا يشتركون فيه وأياهم»[3].

(1) AVG. bapt. I. 4.

(2) Ibid. 1,3,4.

(3) Tbid. 4.

من بعض الاطفال انحل الماء وصار كما كان اولا، وعمد الذين قدموا له ثم امر ان يقدم ولدا الامراه تانى دفعه، فلما قدموا له جمد الما ايضا وصار كالحجر فابعدهما، وقدموا اليه من اطفال المدينه ايضا فانحل الما وعمدهم، ثم استدعى ولدى الامراه تالت دفعه فجمد الما ايضا وصار مثل الحجر، فامرالبطرك ارشى دياقن البيعه ان يحضر امهما فاحضرها بين يديه فقال لها: عرفينى ايتها الامراة حالك وما دينك؟ فقالت له: انا من انطاكيه

وكانت المسألة في جوهرها تمس شخص من يقوم بالشعيرة، وتصل الى أغوار خلقه، وتوغل فى صلاحه. ونادى الدوناتيون بأن من يفتقد الطهارة والقداسة لا يمنحها، ونظروا الى الاضطهاد كما لو كان قد طبعهم بميسم الكنيسة الحقة الواحدة، يقفون والضد من الكنيسة الكاثوليكية، أما هذه فتفرق بين فريقين من الخارجين عليها، الهراطقة، والمنشقين، وتعتبر الدوناتين فصلا فى الأخيرين، وان كانت تنعى عليهم تعليمهم لبعض التعاليم الهرطقية(١). واحتج الدوناتيون على وضعهم فى عداد الهراطقة، ذلك أنه يمكن القول ان كل الهراطقة منشقون على الكنيسة. فى الوقت الذى لا يجوز فيه اعتبار كل الانشقاقات الكنسية هرطقة(٢). اذ أن الانشقاق يقع لخلاف فى النظام الكنسى أو التعاليم.. على عكس الهرطقة التى تمس جوهر العقيدة.

ومما هو جدير بالذكر، انه بينما غرق الشرق الرومانى فى لجة عميقة من الصراع الدينى حول طبيعة المسيح، واكتسى بحلة الجدال قرونا طويلة، أفلت الغرب من دائرة هذا النزاع الفكرى العميق العقيم، وحصر نفسه وخلافاته فى دائرة البحث عن وضع أسس التنظيمات الكنسية. ولا شك أن هذا يعود فى الدرجة الأولى الى التكوين الحضارى والفكرى لكل من

(1) S.M. Jackson, op. cit. Art. Donatism.

(2) A dictionary of Christian biography, art. Donatism.

اباى [آبائى] نصارى. قال لها البطرك: فما الذى صنعتيه لأن هو ذا الرب لم يقبل اولادك للعموديه. قالت له: اسمعنى يا سيدى الاب وطول روحك على فان ابوتك تعرف العذاب الذى هو على نصارى المسكونه فى هذه الايام واكثره بانطاكيه، ولما كبرا ولداى هدان ولم اجد سبيلا لتعميدهما هناك قلت لابيهما ان يسير معى الى هاهنا ليعمدهما فلم يفعل، فاخدت ولدى هادين وخرجت بهما الى البحر وركبنا فى مركب، فلما

المنطقتين، فقد ازدهرت مدن الشرق وخاصة الاسكندرية وأنطاكية وبرجامه الى جانب أثينا، بالمدارس الفلسفية العديدة، والثقافات الاغريقية. بالاضافة الى الأصول الحضارية القديمة للشرق.

على هذه النظرة كانت المشكلة بين الدوناتيين وخصومهم تنحصر فى صلاحية أو شرعية الأعمال الكهنوتية التى يقوم بها غير المقدسين أو الثقاة من رجال الاكليروس ذاتهم، وبينما أصر الدوناتيون على أن صلاحية الطقوس الكنسية تعتمد على أخلاق وشخصية رجل الاكليروس القائم[١]، لم تطلب الكنيسة الكاثوليكية القداسة فيمن يباشرون المعمودية، فكل رجل دين سواء[٢].

ويوقفنا المؤرخ نورمان كانتور على أسباب هذا النزاع ويعلق عليه فيقول انه لما كان زمن الاضطهاد الدقلديانى سلك حاكم ولاية أفريقيا جادة اللين، فطلب اليهم أن يقدموا، رمزا لنكران العقيدة، الكتب المقدسة، فارتضى ذوو اليسار المسيحيون هذا الرأى، فلما انقشعت غمة هذا الاضطهاد، الفى ذلك الفريق نفسه وقد وصم بالعار مارقا على الدين من جانب زمرة من المتحمسين غالبهم يندرج فى عداد الطبقات المعدمة، راحت تحاج بأنهم القديسين الأطهار،

(1) Latourette, expansion of Christianity. I.p. 348.

(2) McGiffert, op. cit. p. 380 n. 16.

توسطنا اللجج قام علينا نو حتى كاد المركب ان
يغرق، فاخدت سكينا وجرحت ثديي اليمين
واخدت منه ثلث نقط دم وصلبت على وجههما
وفوادهما [فؤادهما] وغطستهما في البحر باسم
الاب والابن والروح القدس تلت دفعات، هدا
هوالسبب في منع الرب لهما من المعموديه، فهدا
وحق ابوتك المقدسه الذى فعلته. فقال لها البطرك:
يشتدقلبك يا ابنتى، لا تخافى فان الرب معك،
وفى الوقت الذى جرحت فيه ثديك واخرجت

ولم يصب ايمانهم دنس، هم وحدهم عمد الكنيسة، وأشاع الدوناتيون المطهرون أن المارقين قد فقدوا أهايتهم ومسيحيتهم لذلك، وراحوا ينادون بحتمية اقامة المعمودية على يد قسيسين شفافى النفوس، هذا وأكدت الكنيسة الكاثوليكية حجية التبعية الاكليركية سندا لحسن المعمودية، لا السجايا والخلال. ذلك الخلاف. كنيسة للطهار، والكنيسة الجامعة[١].

وهكذا فالدوناتية فكرة تجادل تقليد الكنيسة الكاثوليكية هذا، وكانت مدعاة للشقاق داخل الكنيسة هذه، وهى تمثل تحديا لاتجاه بدأت المعمودية بمقتضاه تنتقل على مر الوقت الى محفل من البشر ينتظم مختلفا أخلاقيا، مقدمة للخلاص الحق وسيطا هو الفضيلة، غير أن هذه الفكر الدوناتية ووجهت بمدافعة كاثوليكية تصر على طقس العماد فى حد ذاته بعيدا عن ممارسيه. وتفصل فصلا تاما بين طهارة الكنيسة وقداسة رجالها.

على هذا النحو راحت هوة الخلاف تتسع بين الكنيسة الكاثوليكية والخارجين عليها، الا أن ذلك كله لم يعد خلافا فى الرأى، وكان لابد من حادثة بعينها تفجر الصراع وتنقله الى حيز الواقع العملى، وما لبثت الأحداث أن قذفت بشراكها عندما التقط الموت منسوريوس أسقف قرطاجة عام ٣١١ وثار الخلاف من بعده عمن يلى منصبه الشاغر[٢].

---

(1) Cantor. op. cit. p. 49.

(2) Palanque-Bardy-Labriolle. Histoire de l'église depuis les origines jusque á nos jours III. p. 42' F. Jackson' op. cit. p. 291, McGiffert, op. cit. p. 391 n. 20.

منه الدم وصلبت على وجــه ولديك بامــانه الله الكلمـة المتجسد الذى طعن جنبه على الصليب بالحربه وخرج منه الما [ء] والدم هدا الذى صلب على ولديك بيده الالهيه [هو ذا عماد ولديك صار برشم يد الله الالهيه]. ثم ان البطرك صلى عليهما فقط مع المعمدين ولم يقدر يعمدهما دفعه تانيه لأن الرب قبلهما فى البحر. وقال البطرك: لا يقدر احد ان يعمد دفعتين لانها معموديه واحده، وهدان قد تعمدا دفعة واحدة بنية امهما وامانتها وما

اتجهت أنظار الكنيسة الكاثوليكية الى رئيس شمامسته كايكيليانوس Caecilianus وكان ساعد منسوريوس الأيمن وعضده فى معارضته لمسلك أشياع كنيسة القديسين، كما كان شديد التحمس لمبادىء الاعتدال فى النظام الكنسى[1]. وكانت العادة قد جرت على أن يحضر مندوبون عن كنائس نوميديا للمشاركة فى اختيار أسقف قرطاجة[2]، ولكن أساقفة الفريق الكاثوليكى تغاضوا عن هذا العرف، وأقدموا فى شيء من العجلة على اختيار كايكيليانوس للأسقفية[3]، ويمكننا أن نعلل سلوكهم هذا بعلمهم أن أسقف تيجيسيس لن يوافق على مثل هذا الاختيار، فقد كان سكوندوس ومنسوريوس على طرفى نقيض، ولما كان كايكيليانوس تلميذا لمنسوريوس فقد كان من البدهى أن يكون سكوندوس ورجال كنيسته أول المعترضين على اختياره لهذا المنصب. ومن ثم أرادت كنيسة قرطاجة أن تضع خصومها أمام الأمر الواقع.

من هنا عمد رجال الاكليروس فى قرطاجة الى سرعة اتمام اجراءات اختيار كايكيليانوس، وقد قام بهذا العمل ثلاثة من أساقفة المدن المجاورة هم فيلكس Felix أسقف أبتونجا APtunga ونوفللوس Novellus أسقف تيزيك Tyxicum وفاوستينوس Faustinus أسقف

(1) McGiffert, op. cit. p. 391 n. 20.

(2) S.M. Jackson (op. cit. III. art. Donatism; Hefele, op. cit. I, 1, p. 266.

(3) Jones, Constantine, p. 106; Duchesne; Histoire ancienne de l'église, II, p. 106, 107.

فعلته. ثم انه وضع في ذلك ميمرا يقول فيه: رحمة الله التى تتنزل على الناس . وناول الطفلين من السراير المقدسه ومسكهما وامهما عنده حتى عيدوا عيد الفصح المقدس ثم ساروا الى مدينتهم بسلام.

فلما علم زوجها ما فعلته مضى الى ديقلاديانوس الملك الكافر وقال له: اعلم يا سيدى الملك ان زوجتى قد زنت فى هذه المدينه ولما منعتها مضت الى الاسكندريه وزنت مع النصارى

توبوربو Tuburbo. وتولى سيامته فيلكس Felix الأبترنجى[١]. وكانت كنيسة نوميديا قد أرسلت من لدنها مندوبين لحضور مراسم الاختيار، وكان بين هؤلاء الرسل دوناتوس Donatus أسقف مدينة Casae Nigrae[٢]. وهو غير دوناتوس الكبير الذى تولى الأسقفية بعد ماجورينوس أول أساقفة هذه الطائفة، والذى يرجح أن تكون الطائفة قد اشتقت منه اسمها[٣]، وان كان من العسير حقيقة أن نجزم لأى من الرجلين تنسب[٤].

ألفى أساقفة نوميديا أنفسهم وقد خرج الأمر من أيديهم، فتملكهم الغضب وراحوا يبحثون عن سبيل ينفذون منه لتحقيق أغراضهم، ولما لم يجدوا فى شخص كايكيليانوس ثلمة تمكنهم من مهاجمته وتجريحه، أشاعوا أن الطريقة التى تم بها اختياره جرت على نهج سقيم، فقلة من الأساقفة فقط هم الذين اختاروه لهذا المنصب، ولكن هذا لم يكن شيئا الى جوار الاعتراض الاخر القائل بأن فيلكس مارق، لما أتاه ابان فترة الاضطهاد[٥]. وعليه يغدو رسم كايكيليانوس غير ذى صلاحية. وقد حاول أسقف قرطاجة الجديد تهدئة خواطر الفريق المضاد،

(1) Palanque-Bardy-Labriolle, op. cit. III. p. 42; Lietzmann, op. cit. p. 84.

(2) S.M. Jackson, op. cit. III, art. Donatism.

(3) Palanque, Bardy, Labriolle, op. cit. III 43; Hefele, op. cit. I. 1. p. 270.

(4) A dictionary of Christian biography, art. Donatism.

(5) Ibid. MsGiffert, op. cit. p. 280 n. 16.

من ايام كثيره، واخدت ولدى وعملت عليهم شيا
يقال له المعموديه وهو ذا هى قد عادت الى هاهنا،
ما ترى ان اصنع بها. فتقدم ديقلاديانوس الى
سقراطيس زوجها باحضارها وولديها ففعل ذلك،
فلما وقفت بين يديه قال لها: ايتها الامراه
المستحقه الموت لماذا تركت زوجك ومضيت الى
الاسكندريه زنيت مع النصارى. فقالت له تلك
القديسه: النصارى لا يزنون ولا يعبدون اوثانا
فمهما اردته افعله فانك لا تسمع منى كلمه

فعرض عليهم أن يمر من جديد بعملية رسم ثانية. ولكن أساقفه نوميديا رفضوا بالطبع هذا الملتمس وذهبوا فى عنادهم[1]. والتأموا فى مجمع عقدوه فى قرطاجة ضم سبعين أسقفا، قرروا فيه عدم الاعتراف بشرعية اختيار كايكيليانوس أسقفا وعزله، وقاموا برسم أسقف جديد يدعى ماجورينوس[2]، ثم قام المجمع بارسال رسالة الى جميع أساقفة أفريقيا يطلعهم فيها على ما تم أجراؤه[3]، وهكذا انقسمت كنيسة قرطاجة الى حزبين متضادين، أحدهما معتدل يمثل الكنيسة الكاثوليكية ويتزعمه كايكليانوس والاخر يمثل كنيسة القديسين ويرأسه ماجورينيوس Magorinus.

وعلى مدى عامين من وقوع هذه الأحداث استفحلت شقة النزاع بين الجانبين، وراح كل فريق يجذب الى صفه الأنصار، وينادى بأنه على الحق المبين، وتلك كانت الصورة التى أضحى عليها الشمال الافريقى غداة انتصار قسطنطين على «طاغية روما» سنة ٣١٢. وانه لجدير بالملاحظة أن سيد الغرب كان على علم بهذا الانقسام الذى أمست فيه الكنيسة الأفريقية، ويتضح ذلك من أنه قصر أعطياته ومنحه على الجانب الذى أخبر أنه على الحق، وهو الكنيسة

(1) Lietzmann. op. cit. p. 84.
(2) Id.
(3) Palanque. Bardy. Labriolle. op. cit. III. p. 42.

اخـرى. قـال لهـا الملك: عـرفـينى مـا كـان منك
بالاسكندريه. فلم تجاوبه فـامر الملك ان تشد يديها
الى خلفـها وان يجعل ولداها على بطنها ويحـرقو
التالته بالنار، فحولت القديسه وجهها الى الشرق
وولداها مـعـهـا، وهكذا اسلـمـو نفـوسـهـم واخـدو
اكليل الشهاده. ثم قال الملك لزوجها سقراطيس:
من يفعل هذا باسكندريه؟ قال له: بطرس البطرك
الذى للنصـارى. فلمـا سـمـع هذا امـتـلا غـضـبـا
وغـيظا لانه كـان مملوا حنقـا على القـديس بطرس

الكاثوليكيـة[١]. وكان المصدر الذى استقى منه الامبراطور هذه الايضاحات هوسيوس أسقف قرطبـة[٢]. ولكن قسطنطين لم يكن يدرى حقيقة النزاع فى الشمال الأفريقى، فلا هو أحيط علمـا بفحوى الجدل، ولا كـان على بينة من طبيعـة الخلاف، وظل الامبـراطور هكذا الى أن جاءته المكاتيب من الفريق الدوناتى تخبره حقيقة الأمر[٣]، وفى الحقيقة يبدو أن الدوناتيين كانوا يحتجون على القرار الذى اتخذه قسطنطين بلفظهم خارج دائرة الهبات الامبـراطورية التى أنعم بها قسطنطين على الكنيسة[٤].

غير أن شيئا آخر لابد وأن يكون دافع الدوناتيين فى احتجاجهم لدى قسطنطين، ولنبحث عن هذا الشيء عند الامبراطور ذاته. ففى رسالته الى كايكيليانوس، والتى يحدد فيها مبلغا من المال للكنائس، اختتم قسطنطين هذه بقوله:

لما كانت مسامعى قد صكتها أنباء تردد أن بعض ذوى العقول السقيمة يتحايلون لصرف الجموع عن الكنيسـة المقدسة الجامعه، بخزى المزاعم ودنسهـا، حق أن تعلم أنى قد زودت

(1) EVSEB. hist. eccl. X. 6-7.

(2) Jones. Constantine. p. 81.

(3) Palanque. Bardy. Labriolle. op. cit. III. p. 42.

(4) C.A.H. XII. p. 692.

البطرك لاجل ما وضعه من الكتب ردا على عبادة الاوثان، فكتب الى النواب عنه باسكندريه بان ياخدو راسه. وفيما الجند مزمعون على ما امر به الملك وبطرس فى السجن كما قلنا، علم اريوس الكافر انهم يريدون قتله فخاف ان يتنيح البطرك فيبقى هو مربوطا(*)، فمضى الى قساوسه وشمامسه وجماعه من الشعب وسالهم الدخول الى السجن وان يترامو على رجلى البطرك ويسالوه ان يحله من رباطه. وظنو انه فعل ذلك

(*) مربوطا: أى محروما من الكنيسة.

أنوللينوس البروقنصل، وباتريكيوس Patricius نائبه، عندما كانا فى حضرتنا، بأوامر فحواها أنه الى جانب كل مسئولياتهم الأخرى، عليهم أن يبذلوا لهذا الأمر فائق عنايتهم، وأن لا تغفل لحظة أعينهما عن تدارك أى حدث، وعليه. فأن عاينت أناساً ماضون فى عدتهم، فاشخص على التوالى موظفينا هذين، وأجل لهما القضية، فيسلكان معهم حسب رأيى، وليحفظك لاهوت الرب العظيم سنين عددا(١).

واضح من مقتطف رسالة قسطنطين انحيازه الى جانب واحد دون أن يتحقق فحوى القضية، وهو فى اتخاذه جانب الكنيسة الكاثوليكية يفصح عن مدى وحى ذلك الأسقف الأسبانى اليه. وسلوكه سبيل العنف ازاء فريق لم يسمع بعد شكايته، تعطينا معنى واحدا لسياسته، ذلك أنه لم يكن يسمح بحدوث أى صدع فى رعية تملك زمام أمرها البارحة. وهذا هو ما يجعلنا نميل الى القول انه بالاضافة الى حرمان الفريق الدوناتى من الهبة الامبراطورية، فان احساس هذا الفريق بميل دفة الدولة الى خصومهم دون تقص للحقيقة أو تمحيص، جعله يبعث الى الامبراطور ملتمسا.

كان رجاء الدوناتيين الى الامبراطور يتضمن الطلب بتعيين أسقف من غالة لنظر القضية، فالد وناتيون لم يلجأوا للبابا مباشرة لعلمهم أنه رأس الكنيسة الكاثوليكية، وان لم تكن البابوية

----

(1) EVSEB, hist. eccl. X, 6.

ديانة فاجابو سواله ودخلو الى السجن وسجدو بين يديه وصلو ثم وضعو له مطانوات(*) وسالوه ان يحل اريوس من رباطه، فصرخ البطرك بصوت عظيم [وزاده حروم] وقال: تسالونى فى اريوس. ثم رفع يديه وقال: يكون اريوس فى هذا الزمان وفى الاتى ممنوعا من مجد ابن الله سيدنا يسوع المسيح. فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم يجسر احد يرجع بكلمه، فلما راهم قد خافو منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم واخذ معه

(*) مطاونات: التماسات ودعاوى.

بعد قد حققت سموا فى المرتبة، وعلى ذلك فهو يخالفهم الرأى[1]، ولكنهم لجأوا الى الامبراطور رأس الدولة، ولكن لا ليفصل هو بنفسه بينهم، بل ليكل القضية برمتها الى أحد الأساقفة الغاليين ضمانا للحيدة. ذلك أن غالة لم تكن قد قاست كغيرها من ولايات الامبراطورية أثناء الاضطهاد[2]. ويعلق المؤرخ جونز على ذلك بقوله: «انه لما يجدر ذكره أن الأساقفة المنشقين لم يلجأوا الى قسطنطين بكونه هو نفسه مسيحيا. فربما لم تكن هذه الحقيقة المفزعة قد حازت بعد الثقة فى أفريقيا[3].

على أن ما يعنينا من هذه الحقيقة أن تلك كانت المحك الأول فى علاقة الدولة بالكنيسة بعد التسامح، وكانت سابقة خطيرة فى تاريخ الكنيسة اذ عدت دعوة صريحة للتدخل فى شئونها الداخلية[4]، لقد كانت الكنيسة طوال القرون الثلاثة الماضية قد أغلقت على نفسها باب خلافاتها الداخلية، وعقدت المجامع المكانية العديدة لمعالجة الانشقاقات أو لعن الهرطقات. ولم تكن الدولة تدرى من أمر ذلك الاصطراع الداخلى بين المسيحيين وأنفسهم شيئا، بل لم

(1) Davis, op. cit. p. 16; Duchesne, op. cit. II, p. 109.

(2) Lietzmann, op. cit. p. 85.

(3) Jones, Constantine, p. 104.

(4) Backhouse, Early Church history to the death of Constantine, p. 372.

الشيخين ارشلا واكسندروس تلميذيه وانفرد بهما وقال لهما: الاه السموات يعينني على كمال شهادتى، وانت يا ارشلا القس تكون تجلس على هذا الكرسى بعدى واخوك الاكسندرس بعدك ولا تقول ان ليس فى رحمه فانا رجل خاط، لكن فى اريوس مكرا [كفرا] مخفيا، وليس ا نا احرمته بل المسيح احرمه. انا اعلمكم انى فى هذه الليله لما اكملت صلاتى ونمت رايت شابا قد دخل على ووجهه يضى كضو الشمس عليه ثوب متشح به

يكن يعنيها فى شىء البتة. أما الان، وقد أصبح على رأس الامبراطورية حاكم يظهر ميله تجاه المسيحية، فلا عجب اذا رأينا الكنيسة تسعى اليه، تعرض عليه خلافاتها، وتضع أمامه ما يعتمل فى داخلها، وتطلب اليه الرأى. وكان قسطنطين ذكيا غاية الذكاء، أراد أن يرسى من البداية ثابت القواعد فى هذه العلاقة حتى يستطيع أن يسير أمور دولته، بما فيها الكنيسة، حسب ارادته ووفق صالحه. وكانت تلك فرصة جاءته على غير توقع، فاستغلها بغير انتظار. ومنذ هذه اللحظة وحتى منتصف القرن الخامس عشر، عندما دالت الدولة البيزنطية، لم يتخلف امبراطور واحد من السير فى الطريق الذى حدد معالمه منذ البدء قسطنطين، وارتبطت أمور الدولة بشئون الكنيسة، وهذه بتلك، حتى أصبح من الصعب أن نفصل بينهما، وقد لمس هذه الحقيقة حتى فى فترة مبكرة، سقراط مؤرخ الكنيسة فى القرن الخامس الميلادى، حيث يقول: «اذا ما ساد الاضطراب أمور الدولة، عمت الفوضى شئون الكنيسة، وكأن انجذابا روحيا يربط بينهما».

الدوناتيون اذن يرغبون فى الاحتكام الى أسقف غالى، وقسطنطين يبتغى اثبات ذاته فى القضية وسطوته للوهلة الأولى، فعهد بفض النزاع الى البابا فى روما واشترك معه ثلاثة من أسساقفة غاليا. وبعث برسالة الى أسقف روما ضمنها عدة معان:

١٧: بطرس ٣٠٠ - ٣١١/٣٠٠م

الى رجليه وهو مشقوق وهو يمسك موضع الخرق بيديه ويغطي به صدره وعريه، فلما رايته نهضت مسرعا وصرخت بصوت عال وقلت: يا سيدى من الذى شق لباسك. فقال لى: اريوس خرقه فلا تقبله ولا تكن له معك شركه، واليوم ياتيك قوم يسالونك فيه فلا يرض قلبك عليه وقد نهيتك عن ذلك، وكذلك تلميذيك ارشلا والاكسندرس اللذين يجلسان بعدك على الكرسى اوصهما ان لا يقبلاه. وهاهنا انقطع الكلام معه، وانا الان اكمل

«قسطنطين أوغسطس الى ملتيادس Miltiades أسقف روما، والى مرقس[١] Marcus.

حيث أن رسائل عدة قد اتتنى من أنوللينوس العظيم، بروقنصل أفريقيا، يتبدى فيها أن كايكيليانوس أسقف قرطاجة قد وجه اليه من الاتهامات الكثير من جانب زملائه فى أفريقيا، ولما كان الأمر يبدو لى جد خطير، حيث أنه فى هذه الأقاليم التى وضعت العناية الالهية ثقتها فى اخلاصى لادارتها، وحيث أنها منطقة بالأهلين أهلة. سوف يجد الناس أنفسهم فى حالة من الشقاق، وفى حال من الكآبة دائم، والأساقفة فيما بينهم منقسمون، ولذا قررت أن يبحر على الفور الى روما كايكيليانوس وبصحبته من الأساقفة عشرة يرى من المناسب تواجدهم لقضيته، وعشرة آخرون ممن يبدون له الاتهام، فهناك يمكن سماع أقواله بما تجده يتناغم وجلال القانون المهيب. وذلك فى حضرتكم وزملائكم رتيكيوس Reticius[٢] وماترنوس[٣] Materius ومارينوس[٤]، Marinus الذين أمرتهم بالاسراع الى روما لذات الغرض. وحتى تكون على علم تام بهذه الأمور فقد ضمنت رسالتى نسخا من الوثائق التى بعث بها الى

(١) شخصية غير معروفة وربما كان مساعدا لملتيادس المسن.
راجـــع: Jones. Constantine. p. 107
(٢) أسقف Auton فى غالة. ويخبرنا جيروم أنه كتب تعليقا على نشيد الانشاد وأخرج عملا ضد النوفاتيين.
(٣) أسقف كولون.
(٤) أسقف أرل. راجع McGriffert. op. cit. n. 23, 24 p. 381.

شهادتي وقد اوصيتكما ما امرت به، وانتما يا اخوان تعلمان كيف كنت معكما زماني كله وما لقيته من التجارب ومؤامرة الكفره عباد الاوثان، وكيف كنت هاربا من مكان الى مكان من سادميا إلى الشام إلى فلسطين والرمله وللجزاير، ولم افتر من مكاتبتكما سرا وجهرا وتقوية الشعب بقوة السيد المسيح نهارا وليلا، ولم اغفل عن القطيع الذى اوتمنت عليه، وكان قلبى متالما جدا، ومع هذا كله لم ادع الاهتمام بفيلا وسيخوس وبخوم

أنوللينوس، وأرسلت منها صورا كذلك الى زملائك المشار اليهم، وحالة تسلمك اياها يمكنكم نظر هذه القضية بعناية والفصل فيها بالعدل، حيث لا يخفى على فطنتك أنى أكن كل اجلال للكنيسة الكاثوليكية الشرعية، ولى كبير الأمل أن لا تخلفوا وراءكم أى صدع أو انقسام، ولتحفظك ياسيدى العزيز عناية الاله العظيم أعواما طوالا»[1].

من هذه الرسالة يتضح لنا مدى الدور الذى لعبه قسطنطين فى أول اتصال مباشر بين الكنيسة والدولة، فهو الذى اختار القضاة، وعين مكان التقاضى وزمانه، وحدد عدد المتقاضين من كلا الحزبين، ورسم الخطوط العامة لسير القضية، وأوحى الى القضاة بمنطوق حكمهم عندما أعلن فى رسائله اليهم أن قلبه يحمل كل الاحترام «للكنيسة الكاثوليكية الشرعية». حقيقة لقد كان قسطنطين يتفق أساسا والرأى القائل به هوسيوس عن الحالة فى أفريقيا من اعتبار خصوم كايكيليانوس مردة منشقين، وكان شديد الاقتناع بما ينطوى عليه الانشقاق من أخطار وبلاء، وظل هذا الاقتناع قرين فكره حتى يوم رحيله الى عالم الموتى. ولكنه من ناحية أخرى أقدم الان على خطوة مستقلة، واتجاه قضائى فى مسألة الفريق الذى أحدث الشقاق، وقرر من عندياته وجوب فحص القضية. فاختار القضاة، ودعا الفريقين، وكانت رسالته الى ملتيادس تحمل فى طياتها نغمة تفيض «مكتبية»، لقد كانت حسب تعبير جونز أشبه شيء

---

(1) EVSEB. hist. eccl. X, 5.

وتاودوروس الذين سـجنو لجل [لأجل] الامـانة بالسيد يسوع المسيح واستحقوا النعمة من الله، وكنت اكاتبهم واذكرهم في رسايلى من سادميا، وكان على تعب عظيم ومجاهده لأجلهم ليلا [لئلا] يجرى عليهم شي مع الكهنه الذين في السجن، واكثر من ستمايه وستين نفسا صارو شهدا، وانا الان كما تعلمان انتما مهتم بجميعكم، فلما سمعت انهم استشهدو سجدت وشكرت الذى قواهم يسوع المسيح واعدهم مع شهداه،

بمذكرة بعثت الى موظف مدني»[1]!! وليس أدل على صحة هذا القول من أن قسطنطين قد وجه رسالته الى ملتيادس وآخر يدعى مرقس على قدم سواء، ولا ندرى من هو مرقس هذا، وربما كان أحد مساعدى البابا، ولكن ذكره مع البابا قرينا يدل على مدى النظرة التى ينظر بها الامبراطور الى رأس الكنيسة الكاثوليكية الشرعية «التى يكن لها كل اجلال»!!

شيء آخر يجذب الاهتمام، ذلك أن قسطنطين يبنى انزعاجه لهذه الأحداث على شيئين جاءت بهما رسالته، فتلك مناطق عهدت اليه بحكمها عناية الرب القدير، وهذه نغمة ألفناها من قبل، وهي أيضا أقاليم قد غصت بالسكان، واختلاف أساقفتها فيما بينهم سيجر بالتالى الى تحزب الأهالى الى أى الفريقين. وتلك نقطة على جانب كبير من الأهمية. فقسطنطين كان قد فرغ لتوه من حملته على الراين لتأديب قبائل الفرنجة هناك، وأصبح السلام فى غالة مستقرا بعد ذلك لفترة طويلة[2]. والامبراطور يعد لجولة جديدة فى الشرق. فلا أقل أذن من أن يضمن هدوء هذه المنطقة التى خضعت له حديثا حتى ينصرف لانجاز المرحلة التالية من مشروعه الكبير، خاصة وأن هذا الاقليم «الآهل بالسكان»، على حد قوله، يمكن الاعتماد على رجاله الاشداء فى قابل الايام. فاذا ما أدخلنا فى اعتبارنا أن قمح روما كان يأتيها من

(1) Jones, Con stantine, p. 108.

(2) C.A.H XII, p. 69.

كـذلك اسيله [أسئلة] ان يعـدنى مـعـهم. وقـد علمـتـمـا الشـرور التى لحـقـتنى من مليـتـيـوس الاسـيـوطى(*) الذى قسم بيعـة الله التى اشـتراها السـيـد المسيح كلمـة الله بدمـه المقـدس، ووضع نفسه عنها.

وجـعل الاب البطرك انبـا بطرس يعلمـهـمـا و يوصيـهـمـا بالتـحفظ من مكر مليتيـوس [اريوس] المذكور [و] ان لا يختلطا معه، وقال لهما: هو دا

(*) مليـتـيـوس الاسـيـوطى: هو أسـقف مـدينة ليكوبوليس (أسـيـوط) وقـد روى عنه البـابا أثناسـيـوس انه فى أثناء اضطهاد ديوكلتيانوس نجى نفسـه بأن ذبح للاوثان رغما عن النصـيحة التى أرسلهـا اليـه أربعـة من الاسـاقـفـة كـانوا فى السـجن ثم ذاقـوا كـأس الحـمـام. ولم يكتف بذلك بل انتـهـز فـرصـة غـيـاب البطريرك وجلس على

- -

شمال أفريقيا[١]، وأن حدوث أى اضطراب فيها يمكنه أن يحرم روما أقواتها، أدركنا لماذا كان قسطنطين حريصا أشد الحرص على استتباب الأمن والنظام، وفوق هذا وذاك وحدة الدولة.

اجتمع الأساقفة فى روما فى ٢ أكتوبر ٣١٣[٢]، لا بالطريقة التى أرادها قسطنطين، ولكن بالصورة التى ارتآها البابا ملتيادس، والتى جرت عليها الكنيسة قبلا فى بحث مثل هذه المسائل التى تهم الكنيسة عقيدة أو تنظيما. ولم يشأ قسطنطين أن يعترض على اجراء البابا لعلمه التام أن ذلك لن يغير من الأمر شيئا، وانما هو اجراء شكلى ارتضته الكنيسة، فلا ضير من اتباعه. فقـد قام ملتيـادس بتـحـويل ذلك المجلس الامبـراطورى الى «مـجـمـع كنسى» بعـد أن ضم الى أعضائه خمسة عشر أسقفا من كنائس ايطاليا المختلفة[٣] فى ريمنى وفلورنسـة وبيـزا وكـابوا وبنفنتـو وتراكـينا[٤]. وبحث المجمع القـضـيـة المطروحة أمـامه، وفـى النهـاية تمخضت مناقشاتهم عن تبرئة ساحة كايكيليانوس من التهم التى وجهت اليه ورفض دعوى الفريق الدوناتى[٥].

....

(1) Jones, Later Roman Empire II, p. 823.

(2) Backhouse, op. cit. p. 373.

(3) Palanque, Bardy, Labriolle, op.cit. p. 45.

(4) Lietzmann, op. cit. p. 86.

(5) Hefele, op. cit. I. 1, p. 273; Duchesne, op. cit. II, p. 12.

تشاهدانى مرتبطا بمحبه الله، وانا منتظر ارادته لان اعوان ديقلاديانوس توامروا كل يوم بالقتل كما تعلمان وهم مزمعون على ما امروا به فانا غيرخايف على نفسى بل مشته ان اكمل سعيى الذى قدمنى الله له وخدمتى التى قبلتها من الرب يسوع المسيح الاهى، وهو يعيننى على كمالها، ومن الان ما تريان وجهى فى الجسد بعد هذا اليوم، وانا اشهد لكما انى قد اظهرت لكما لكل شى وخلصت وبريت من الآثم، فاحفظا القطيع

كرسى البطريركية وأخذ يتداخل فى شؤونها وصار يرسم قسوسا بل سلم أساقفة لابروشيات أخرى غير ابروشيته حتى بلغ عددهم ثلاثين أسقفا جاهروا فيما بعد بخروجهم على الكرسى الاسكندرى واستقلالهم عنه وادخلوا أنظمة مخالفة فى عبادتهم.

فعقد البابا بطرس آخر الشهداء مجمعا حكم فيه بحط ميليتس من درجته وأبلغه الحكم فلم يذعن بل صرح بانشقاقه وظاهره اريوس الهرطوقى. وبعد هذا كله اعتزل ميليتس فى بلدته عن كل عمل وفيما بعد نظر مجمع نيقية فى أمر

ومن رسالة قسطنطين الى أسقف سيراكوز نتبين أن الدوناتيين لم يقبلوا قرار مجمع روما محتجين بأن أعضاءه لم يفحصوا القضية على الوجه الصحيح، وأنهم تعجلوا فى اصدار حكمهم، فى هذه الرسالة شرح الامبراطور للأسقف الأمور من بدايتها وأطلعة على سير الأحداث منذ اللحظة التى وصلته أنباء هذا النزاع، قال:

«لما كان البعض فى خبث وزيغ قد فسح للشقاق بينهم مكانا، فيما يتعلق والعبادة الطاهرة، وقوة السماء، والعقيدة الجامعة، حدثنى الرغبة فى أن أحسم هذا الجدل، فأصدرت أمرى بأن يجىء من غالة بعض أساقفة، وأن يستدعى من أفريقيا الحزبان المتنازعان دوما وعنادا. ففى مثولهم وحضرة أسقف روما يمكن فحص داعية ذلك الاضطراب بعناية فائقة. ولكن الذى حدث أن بعضا قد تناسى خلاصه، والتوقير الخليق بالعقيدة المقدسه، فلم يضع للعداوة حدا، ولم يمتثل لحكم سبق صدوره، وزعم أن أول الذين أدلوا بفكرهم وقرارتهم كانوا قلة، أو أنهم كانوا على عجلة من أمرهم فأصدروا حكمهم قبل أن تفحص بدقة أمور غاية فى الأهمية، من أجل هذا فان هؤلاء الذين كان من الحتم تشبثهم بالأخوة والوئام، أمسوا، ويا للعار والشناعة، على أنفسهم منقسمين، وغدوا أضحوكة رجال أرواحهم عن العقيدة المقدسة بعيدة. لذلك يبدو لى ضروريا أن هذا الانقسام، الذى كان من الواجب توقفه

انشقاق ميليتس فقرر بشأنه ما ذكر بالرسالة التى أرسلها للكنيسة المصرية وذكرت فى الكلام على أعمال مجمع نيقية.

وقد رضخ ميليتس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الاسكندروس خليفة البابا بطرس الى أن مات سنة ٣٣٠م بعد أن انضم للاريوسيين فى حبرية البابا اثناسيوس الرسولى. وقد خلفه فى رئاسة حزبه يوحنا أركاف الذى اشتهر بعدائه للبابا أثناسيوس. أما حزب ميليتس فقد بقى بعد موت اركاف قائما فى مصر حتى القرن

الذى ايتمنكما عليه روح القدس واحرسا بيعة الله التى اشتراها بدمه، وانا اعلم بعد مفارقتكم يقوم قوم من الشعب ويتكلمون بكلام تجديف غرضا فى ان يقسمو البيعه كما فعل مليتيوس ا اريوس ا الذى تبعه جمع من الشعب،وانا اطلب اليكما ان تتيقظا لانكما تلقيان قلقا، وقد علمتما ما لحق الاب ثاونا الذى ربانى وجلست بعده على كرسيه وما لقيه من الشرور من عباد الاوثان، وارجو ان يصير لى متل نعمته ونعمة الاب ديونوسيوس الذى

نتيجة القرار الذى سبق لجماعة اتخاذه بمحض اختيارهم، يتعين على الفور، اذا كان ذلك ممكنا، شجبه بحضور الكثيرين»[١].

وأول شيء نلمسه فى نبرات قسطنطين رنة الأسى والحزن تتملكه وتسيطر عليه فى كثير من فقراتها، وما ذلك الا لخشيته من انقسام قد يودى بجهوده ويحطم أماله. وعبارة قسطنطين الأخيرة دالة على ذلك، فرغبته الجامحة فى وضع حد لهذا النزاع «على الفور» تفصح عن مدى قلقة وهلعه. فنحن الان فى عام ٣١٤، واذا علمنا أن الامبراطور قد وجه الدعوة الى أساقفة الغرب لعقد اجتماع جديد فى مدينية أرل Arles قبل نهاية أغسطس، وأن الحرب الأولى بينه وبين حليفه ليكين قد نشبت فى أكتوبر[٢]، وأنه كان يعلق على هذه الحرب أهمية بالغة لما يتغيه من ضم أقاليم جديدة غنية باقتصادها والرجال، أدركنا لماذا كان قسطنطين يذوب رعبا لأنباء هذا الانقسام الأفريقى، ويتحرك شوقا لرأب ذلك الصدع فى صفوفه الخلفية. فما كان له أن يواجه عدوه، وظهره بسهام الفرقة تطعن!

لهذا كتب الامبراطور فى رسالته السالفة يقول:

(1) EVSEB. hist. eccl. X,5.

(2) Gibbon. op. cit. I, p. 464.

كـان مـخـتـفـيـا من مكان الى مكان من اجل سابليوس المخالف. وماذا اقول من اجل يار وكلا ودمتريوس الاتنين المبغوطين وما لقيا من الشغب والمشاحنة من ارجانين [ارجانوس] المعتوة وجميع ما كان منه وابابنا الذين كانوا قبلنا، وما احتملوه عن بيعه الله. لكن نعمة الله التى كانت معهم هى التى كانت تظللهم وتحفظهم وقد سلمتكما الان الى الله بكلمة النعمه التى لها القدره ان تحفظكما وتحفظ قطيعه. ولما قال هذا جثا على ركبتيه وصلى

الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين أدخلوا على مبادئه شيئا منا القوانين المخالفة. أنظر هامش ص٣٥٧ السفلى.

«لما كنا قد أمرنا بأن يجتمع فى مدينة أرل الأساقفة من مختلف المناطق، وذلك قبل نهاية أغسطس، فقد رأيناه مناسبا أن نكتب اليك أيضا لكى تحصل من العظيم لاتورنيان Latornianus والى صقلية على عربة عامة مصطحبا معك اثنين من ذوى الرتبة الكهنوتية الثانية. يقع عليهما اختيارك. مضيفا اليهم ثلاثة من الخدم ليقوموا على راحتك طوال رحلتك، وأسع جاهدا لتكون فى المكان المحدد قبل الميعاد المضروب، ونحن على يقين انه بحزمك وحكمة الباقين وائتلافهم سوف يحسم هذا الشقاق، ذلك الذى لا زال بشكل معيب قائما، وما جلبه الا جدل مخجل. فليصغ كل لما يدلى به الحزبان المتنازعان، وليع ذلك أيضا من أمرناهم بالحضور، ولينته الأمر وفق الايمان الأمثل، وليعد من جديد أخوى الوئام. متعك بالصحة سنين عددا اله مقتدر»[١].

والى آرل، ومن كل بقعة يمتد اليها فى الغرب سلطان قسطنطين، توافد الأساقفة[٢]. لحسم هذا الجدل، واعادة النظر فيما سبق أن قرر مجمع روما، ويعلق نورمان بينز Norman H. Baynes على ذلك بقوله «لم ترفع الكنيسة صوتها معترضة على مراجعة القرار الرومانى والذى صادقوا عليه بكامل حريتهم»[٣].

(1) EVSEB. HIST. ECCL. X.5.

(2) C.A.H. XII, 693.

(3) C.A.H. XII, 693.

وسجد معهما وشكر وضمهما اليه معتنقا لهما وقبلهما وكانا يقبلان يديه ويودعانه بالبكا (اعنى ارشلا والاكسندرس) لجل [لأجل] قوله لهما انكما لا تريانى بعد هذا اليوم فى الجسد. ثم عاد إلى الجمع الذى كان قايما فيه فوقف معهم وخاطبهم وقواهم وصلى عليهم وباركهم وعزاهم واصرفهم بسلام.

فلما مضو عنه حدثو الشعب بما قال وبما جرى منه فى السجن بسبب اريوس. فلما سمع

كان مجمع آرل الخطوة الثانية التى أقدم عليها الامبراطور للخلاص من هذه المشكلة بعد أن أخفقت خطوته الأولى فى ذلك. واذا كان قسطنطين قد فوض المسألة فى أول الأمر الى ثلاثة من أساقفة غاليا، يترأسهم أسقف روما الذى أضاف الى المؤتمرين خمسة عشر أسقفا ايطاليا، فانه فى هذه المرة قد وسع دائرة قضائه حتى يكون الحكم الذى يصدر عنهم عاما وشاملا ونهائيا. فمجمع آرل اذن يمثل من هذه الزاوية «العالمية». ولكن فى النطاق الذى يسيطر عليه قسطنطين وهو نصف الامبراطورية الغربى[١]. وقد حرص الامبراطور على ابراز هذه الناحية فى رسالته مرتين فى قوله «يتعين على الفور اذا كان ذلك ممكنا، شجبه (الانقسام) بحضور الكثيرين» والأخرى عندما ذكر أنه أمر «أن يجتمع فى مدينة آرل الأساقفة من مختلف المناطق».

وفى أول أغسطس ٣١٤ اجتمع فى آرل ثلاثة وثلاثون أسقفا[٢]. ومع أن الحاضرين لم يقصروا نشاطهم على المسألة الدوناتية فحسب[٣]، الا أن هذه هى التى تعنينا هنا، وقد قرر المجمع تبرئة ساحة فيلكس وكايكيليانوس من التهم التى وجهها الدوناتيون[٤]، وأيد الحكم

(1) Hefele, op. cit. I. I.p. 277.

(2) McGiffert, op. cit. p. 382 n. 32; Palanque-Bardy- Labriolle, op. cit. II. pp. 46-47.

(3) Lietzmann, op. cit. p. 88; Hefele, op. cit. I, I, pp. 280-295.

(4) S.M. Jackson, op. cit. III. art. Donatism.

الشعب ذلك تعجبو وعلمو ان الله معه. وقد افرق اريوس منهم. وعلم اريوس بهذا الامر فسكت واخفى روحه وامره ومكره لانقطاع رجاه من بطرس البطرك.

فلما علم الاب بطرس ما صار بين الجند وبين اهل المدينه بسببه ومنعهم الجند ان يدنو من الحبس الذى هو فيه خاف ان يقتلو احدا بسببه واراد حفظ شعبه المومنين [و] ان يفديهم بنفسه،

الذى أصدره قبلا مجمع روما. وكان ذلك بالطبع يعنى ادانة الدوناتيين ثانية[١]. وأرسل المجمع تقريرا عما دار فى جلساته وصورة من قراراته الى البابا سلفستر حتى يمكن نشرها فى مختلف الكنائس[٢].

قرت عين قسطنطين بما قر عليه رأى المجمع، وهيء له أن حكما اشترك فيه أساقفة الغرب اللاتينى على هذه الصورة من الاجماع لقمين بأن يردع الدوناتيين ويعيد الوحدة والسكينة الى هذه المنطقة، وما لبث قسطنطين أن هاجم أراضى حليفه ليكين سنة ٣١٤ ولم ينته العام حتى كان قد حقق انتصارات رائعة ضم بها كل ما فى حوزة ليكين فى أوروبا عدا تراقيا. فحقق بذلك بعض حلمه، وراح يستعد لجولة جديدة وأخيرة يقفز بها عبر البسفور الى جناح الامبراطورية الشرقى، ولم يكن قسطنطين يتصور أن مسيحيى أفريقيا سيقتحمون عليه هدوءه ثانية بعد مجمع آرل. غير أن الأحداث سرعان ما خيبت فأله وجاءته بما لم يكن يتوقع أو يهوى، ذلك أن الدوناتيين رفضوا الانصياع لقرارات المجمع الأخير، وسلكوا هذه المرة مسلكا مخالفا، اذ لجأوا الى الامبراطور ذاته يطلبون قراره الشخصى فى هذا النزاع[٣].

(1) Jones. Constantine. p. 112.

(2) Lietzmann. op. cit. p. 89.

(3) C.A.H. XEI, p. 693. Hefele. op. cit. I. I. p. 296.

فانفد الى الجند سرا وقال لهم: تعالو الليله الى حايط السجن الذى ادقه لكم من الداخل فانقبوه وافعلو ما امركم به الملك. فلما سمعو ذلك قبلو قوله ومضو فى تلك الليله سرا الى الموضع الذى قال لهم وهو مكان كان فيه مفردا عن المعتقلين لا يعرفه احد منهم، فدق الحايط من داخل فلما سمعوه نقبو موضع الدق وفتحوه فصلب على وجهه واخرج راسه لهم من الطاقه التى فتحوها وقال: الاصلح ان اسلم روحى ولا يهلك من اجلى

وجد قسطنطين نفسه ازاء موقف جديد تماما. فالدوناتيون قد رفضوا لمرتين على التوالى حكم رجالات الكنيسة، وها هم الان يحتكمون الى الامبراطور طالبين اليه نظر قضيتهم بنفسه، ولم يقبل قسطنطين ذلك بداءة، ولم يرفضه فى الوقت نفسه جملة، بل ظل مترددا لفترة طويلة بين الاقدام والاحجام[١]، غير أنه فى نهاية الأمر قرر اجابة ملتمسهم ونظر قضيتهم. فدعا الحزبين للمثول بين يديه فى روما سنة ٣١٥ حيث كان الامبراطور يحتفل بمرور عشر سنوات على حكمه[٢]، فلبى الدوناتيون الدعوة ولكن كايكيليانوس لم يظهر[٣]. فوجدها الدوناتيون فرصة سانحة لاصدار حكم غيابى ضد أسقف قرطاجة، واستعدوا لمغادرة المدينة، ولكن قسطنطين اعتقلهم[٤]، وفى نوفمبر ٣١٦ انتقل الامبراطور الى ميلانو[٥]، واليها أحضر الأساقفة الدوناتيين، واستدعى اليه كايكيليانوس الذى سارع بالذهاب الى حضرة الامبراطور[٦] وفصل قسطنطين بين المتنازعين، وما كان ليخريج فى قراره عما أقره قبلا مجمعا

(1) Id.

(2) Lietzmann, op. cit. p. 90; Hefele, op. cit. I, 1, p. 297.

(3) S.M. Jackson, op. cit. III, art. Donatism.

(4) Jones, Constantine, p. 118; Hefele, op. cit. I. 1.p.297.

(5) C.A.H. XII, p. 693.

(6) S.M. Jackson,op. cit. III, art. Donatism.

الشعب. فقطعو الجند راسه ومضو، فيا لهذا الفعل العجيب جدا.

فحدث فى تلك الساعة ريح شديدحتى لم يسمع احد من الشعب الذين كانو يحرسون باب السجن حس النقابين، ولا سمع احد من المعتقلين فيه. وكمل هذا الاب المغبوط قول الانجيل المقدس وما حكاه من قول اليهود يوم الصلبوت: ان الاصلح ان يموت واحد عن الشعب ولا يهلك

روما وآرل. ويتساءل البعض فى عجب بعد أن يوضحوا موقف قسطنطين تجاه الحزبين المتصارعين واهماله اياهما، والتلاعب بهما من روما الى بريشا الى ميلانو، هل كانت المسألة تستحق هذه السنوات الثلاث. وأن تطرح للبحث من جديد الأحكام الكنسية التى صدرت فى روما وآرل للوصول الى هذه النتيجة التى انتهى اليها الامبراطور[١]!

على هذه الشاكلة تسنم قسطنطين مرتبة مرموقة بعد أن احتل مركز الفيصل فى شئون الكنيسة. ومنذ اللحظة هذه وقسطنطين لم يتراجع عن غنمه هذا قيد أنملة، فقد غدا مهيمنا على أمر دين هذا الفريق الجديد من رعاياه، ولم تحتج الكنيسة على ذلك ولم تطلب اليه أن يعيدها حقا سلبه اياها. فقد أعطاها الكثير. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى ما هو أخطر من ذلك، الا وهو تعيين الأساقفة!.

ذلك أن قسطنطين بعد أن أعطى تأييده لكايكليانوس، وأنكر على الدوناتيين حججهم، رأى أن يخلص هذا الاقليم من أسباب هذا النزاع، فأبقى لديه زعيمى الفريقين كايكليانوس ودوناتوس الكبير خليفة ماجورينوس، وأرسل من لدنه أسقفين هما يونوميوس Eunomius وأوليمبيوس Olympius الى قرطاجة ليقوما برسم أسقف جديد يرتضيه طرفا النزاع لحسم هذا

(1) Palanque, Bardy, Labriolle, op. cit. III, pp. 48-50.

الشعب كله. تشبه بسيده الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه.

وكان الشعب جلوسا عند باب السجن ولم يعلموا بما كان من امره. وقيل فى نسخه اخرى انه خرج من النقب واخذوه الجند ومضو به إلى مكان يعرف ببكوليا وتفسيره «دار البقر»(*) وهو الموضع الذى تمت فيه شهادة الاب الجليل مارى مرقس البشير، وان الجند لما راو القديس بطرس انه

(*) دار البقر: حيث كانت حظائر للثيران التى كانت تقدم لسيرابيس. وهنا أقيمت أول كنيسة بالاسكندرية حوالى عام ٦٥م.

الخلاف[١]، غير أن سياسة الحل الوسط هذه لم تؤت شيئا مما علقه قسطنطين عليها، اذ سرعان ما فر دوناتوس عائدا الى أفريقيا حيث تبعه كايكيليانوس[٢]، وعند ذلك فقد قسطنطين صوابه وخاصة بعد أن جاءته الأنباء من نائبه فى أفريقيا توضح له سوء الأحوال واضطراب الأمور هناك بين أتباع الفريقين[٣]، وبدأ الرجل الذى أقر فى ميلانو سياسة المسامحة مع مختلف العقائد، أول اضطهاد فى المسيحية، فقد أمر قسطنطين بمصادرة كنائس الدوناتيين وبيعهم[٤]، وجرت كثير من الاضطهادات والمذابح بين أفراد هذا الفريق[٥]، مما جعل الدوناتيين يعتبرون ضحاياهم الذين قتلوا نتيجة هذا القمع العسكرى فى عداد الشهداء[٦]. ويبدو أن الفوضى فى الولاية الأفريقية قد بلغت حدا عجزت معه السلطات المحلية عن قمعها مما اضطر الامبراطور الى ارسال قوة عسكرية بقيادة أورساكيوس ursacius[٧]، لم يتوان دوناتوس الكبير عن مقاومتها والتصدى لها.

(1) Ibid. 48.

(2) Jones. Constantine. p. 119.

(3) Palanque. Bardy. Labhiolle. op. cit. III. p. 49.

(4) C.A.H XII. 693; Hughes. A history of the Church. p. 5.

(5) S.M. Jackson. op. cit. III. art. Donatism.

(6) C.A.H. XII. p. 693.

(7) Lietzmann. op. cit. p. 91; Backhouse. op. cit. p. 375.

اسلم نفسه للموت خافو ولحقهم الفزع فسألهم وقال لهم: احب منكم ان امضى اتبارك من جسد الاب مارى مرقس الانجيلى فاجابوه وهو محتشمون منه مطرقون الى الارض وقالو: مهما اردت ايها الاب افعله بسرعة. فمضى إلى حيث جسد الاب مارى مرقس الانجيلى البشير وصلى وتبارك منه وجلس عنده كانه [كانّه] يخاطبه قايلا: يا أبى الانجيلى البشير بالسيد المسيح الابن الوحيد الشاهد باوجاعه، انت اول شهيد واول بطرك كان فى هذا

بعد قسطنطين باجراءاته هذه عن الصواب، وجر على نفسه واقليمه هذا كثيرا من الويلات، فقد راح الدوناتيون يسلكون هم الاخرون مسلكا يتسم بالعنف دفاعا عن مبادئهم وكيانهم، وأخذت مبادىء الدوناتيين تلقى رواجا كبيرا بين الجموع الفقيرة المعدمة التى آلمها ما أضحت عليه الكنيسة الكاثوليكية من ثروة ورخاء نتيجة العطايا التى حصلت عليها من الامبراطور، والتى لم تتذوق منها هذه الطبقات شيئا. فتألفت جماعات من الفلاحين وعامة الناس، وتحزبوا للدوناتيين ودافعوا عنهم بقوة السلاح، وأشاعوا القتل والفوضى فى ولاية أفريقيا[1] يعلق أحد المؤرخين على ذلك بقوله «لابد لنا أن نعترف أن كل هذه الأحداث كانت أولى ثمار التحالف بين الكنيسة والدولة»[2]، وبلغت ذروة التحدى من جانب الدوناتيين للامبراطور ذاته عندما أرسل اليه أساقفتهم يقولون أنهم لن يتعاملوا قط مع أسقفه الوغد، وأنهم على استعداد لتحمل أى عذاب يفرضه عليهم[3].

عندما أدرك قسطنطين أن عليه أن يختط لنفسه سياسة جديدة، بعد أن ضاعت جهود عنفه هباء، فأرسل فى عام ٣١٧ الى نائبه فى أفريقيا والى كايكيليانوس والأساقفة باتباع سياسة

(1) F. Jackson, op. cit. p. 294.

(2) Backhouse, op. cit. p. 376.

(3) Jones, Constantine, p. 123.

الكرسي وانت [الذى اصطفيت ابهاتى واحدا بعد
واحد انظر الى حقارتى لانى] يا طاهر يا قديس
الذى اصطفاك المسيح القدوس الحقيقى، و انت
كرزت باسمه فى كورة مصر وبهذه المدينه
والاعمال المحيطه بها ونظرت فى الخدمه التى
فعلتها واخذت اكليل الشهاده، ومن اجل ذلك
ايها الاب الانجيلى البطرك التلميذ الشهيد
استحقيت ان تظهر الايمان بالله الكلمه المخلص
السيد يسوع المسيح. وانت اصطفيت انيانوس (*)

(*) ثانى البطاركة انظر

جديدة تقوم على الاعتدال والتسامح[1]، وأرسل هو بدوره أوامر بالسماح للأساقفة الدوناتيين المنفيين بالعودة الى ديارهم[2].

وفى ٥ مايو ٣٢١ أرسل الامبراطور مرسوما الى نائبه فى أفريقيا بالعفو عن الدوناتيين وأن ترد اليهم كنائسهم المصادرة[3]، ثم دعا الفريقين الى حل مشاكلهما عن طريق السلام، وليس أدل على ذلك مما أقدم عليه الامبراطور ذاته، فقد بنى كنيسة للكاثوليك فى Cirta، فقام الدوناتيون بالاستيلاء عليها، فلما احتج الكاثوليك على ذلك لدى الامبراطور طالبين منه المساعدة، جاءتهم هذه على نحو لم يكونوا يتوقعونه، فقد أمر الامبراطور بارساء قاعدة كنيسة جديدة لهم ممتدحا مسلكهم حيث لم يقابلوا العنف بمثله تاركين الانتقام لعدل الرب[4]. ولعل قسطنطين قد أقدم على هذه السياسية لأنه كان على وشك الدخول فى صراع مع ليكين ومن ثم لم يكن يرغب فى أن يترك وراءه الغرب يئن تحت هذه المتاعب التى تشيع الانقسام، كما أنه لم يكن راغبا أيضا فى أن يتحدث عنه الشرق المسيحى ـ الذى كان الامبراطور يتطلع اليه فى لهفة ـ على أنه امبراطور مضطهد، فراح يعظ الأساقفة الكاثوليك

(1) F. Jackson. op. cit. p. 295; A dictionary of Christian biography. art. Donatism.

(2) S.M. Jackson. op. cit. III. art. Donatism.

(3) Palanques. Bardy. Labriolle. op. cit. III. p. 51.

(4) Lietzmann. op. cit. p. 92.

الطوبانى لنه [لأنه] كان مستحقا وبعده ملیانوس(*) ومن كان بعدهما، ثم ديمتريوس وياوركلا وديونوسيوس ومكسيموس والمغبوط ثاونا ابى الذى ربانى حتى وصلت إلى خدمة هذا الكرسى بعده، وانا خاطى لا استحق هذه الكرامة، لكنى بكثر رافته [رأفته] نلت ذلك فاشفع فى [فيّ] ان اكون شهيداً بالحقيقه ان كنت مستحقا تمام صليبه وقيامته، ويجعل فى [فيّ] روايح االامانه المحييه لكى اكون له بخورا طيبا

ص١٦٦.

(*) البطرك الثالث. انظر ص١٦٧.

- -

ويطلب منهم الاعتدال تجاه عنف الخصوم[١] ولم تحاول الحكومة التدخل فى هذه المشكلة حتى نهاية عهد قسطنطين[٢].

كانت المسألة الدوناتية تجربة جديدة فى العلاقة بين الدولة والكنيسة، خاضها قسطنطين. وتأرجحت سياسته فيها بين اللين والعنف واللامبالاة! ولئن كانت جهوده قد أتت اليه بغير ما اشتهى، الا أنه كسب خلالها مكانة جعلته فيصلا أعلى فى شئون الكنيسة. ذلك غنم لم يتنازل عنه قسطنطين طيلة محياه، ولم يتخل عنه خلفاؤه ما بقى للامبراطورية حياة.

ورغم أن الدوناتية ظهرت على مسرح الأحداث فى الغرب الامبراطورى نتيجة خلاف فى النظم الكنسية مع الكنيسة الكاثوليكية، الا أنه لا يمكننا أن نغفل أثر العامل الاقتصادى فى اتخاذها سبيل العنف من بعد. فأثرياء المسيحية هم الذين اذعنوا للاوامر الامبراطورية زمن الاضطهاد الدقليانى الجاليرى وقربوا للأرباب، فى الوقت الذى لقى فيه العنت نفر كبير من ذوى المسغبة، فلما انقشعت غمة الاضطهاد وأصبح قسطنطين سيد الغرب الفرد، وراح يغدق أنعمه على الكنيسة الكاثوليكية ورعاياها دون غيرهم، وأعيدت للكنيسة والاثرياء أملاكهم، تملك الحقد أفئدة هذه الطبقة المعدمة، فأعلنتها ثورة عنيفة على هؤلاء الاثرياء، والكنيسة

(1) palanque, Bardy, Labriolle, op cit. III, 52; Duchense, op. cit. II, p. 124.

(2) F. Jackson, op. cit. p. 295.

بسفك دمى على اسمه القدوس، وقد حضر وقت
زوالى، فـصل [فـصلّ] يا ابى على [علىّ] ان لا
اكون بقلبين ونيتين ويقوينى الرب حتى افارق هذا
العالم. وهو دا اترك لك الرعية التى ايتمتنى عليها
وسلمتها لى ولمن كان قبلى ايضا، فأنت معلمنا يا
سيدنا فكن معنا ومع اولادك كما اعطاك السيد
المسيح. ثم قام من عند القبر ورفع يديه الى السما
وقال : يا ابن الله يا يسوع المسيح كلمةالاب
ادعوك واسيلك ان تزيل عنا هذا الاضطهاد الذى

الكاثوليكية، متخذة من المبادىء الدوناتية عن التطهر والشهادة وسيلة لها. ويتضح هذا بصورة جلية فى الهجمات التى شنها فقراء الدوناتيين على حقول وقصور سراة المسيحية فى ولايتى أفريقيا ونوميديا.

ولا يبعد أن تكون الدوناتية وسيلة وجد فيها أهالى هذه المنطقة، الفرصة التى يبحثون عنها من زمن بعيد، ليخلعوا عن أنفسهم تلك القشرة الرقيقة التى يتحلون بها من الحضارة الرومانية، نتيجة لهذا الكره الدفين الذى جاء نتيجة لعملية الاستنزاف الاقتصادى المستمر من جانب روما لموارد هذه المنطقة، اذ كانت أفريقيا تمثل الى جوار مصر قبو الحنطة للامبراطورية. وقد يكون ذلك هو الذى دفع مؤرخا مثل Hughes الى أن يطلق على أعمال العنف التى قام بها فقراء الدوناتية «حرب الفلاحين»(1).

(1) Hughes, A history of the church, p. 6.

على شعبك ويكون سفك دمى انا عبدك ازالة لهذا الاضطهاد عن رعيتك الناطقه.

وكان بالقرب من القبر مسكن فيه صبيه عذرا وأبوها رجل شيخ، وكانت قايمه تصلى ولما تمت صلاتها سمعت صوتا من السما يقول: بطرس راس الحواريين بطرس هذا تمام الشهدا.

فما اكمل الاب القديس دعاه قبل القبر وقبور الاب التى هناك ثم صعد الى الجند فنظروا وجهه

الآريوسية والمليتية

توارت بالحجب أنجم ليكين، وهتكت ستر المشرق شمس قسطنطين، وتطلعت الدنيا تتسمع أجراس نصر فى خريستوبوليس تعلن فى الملأ أن هذا قد أصبح للامبراطورية العاهل الأوحد، واذا بقسطنطين يخر ساجدا يسبح بحمد قدر قد واتاه من حيث لا يحتسب، وأغدق عليه نعمة ظاهرة لا باطنة، فاذا الامبراطورية كلها طوع أمره، واذا هو لبشرها سيد!!

نفض قسطنطين عن نفسه غبار معركة فرغ منها لتوه، وراح يعود الى ذلك الوراء البعيد وهو بعد على الناحية الأخرى لبحر الشمال يخترق بصره اليباب والوديان، وتجاه تلك البقعة القصية التى يهواها فؤاده، الشرق، ومرت بمخيلته تلك الأحداث المتلاحقة منذ نادى به جند أبيه ورفعوه مكانا عليا، وكيف حالفه ذلك الطاعن ماكسيميان، ثم كيف تألب عليه، وما كان من أمر ما كسنتيوس واندحاره عند القنطرة الملفية ثم دخوله مدينة الظافرين وعهده مع ليكين وحربه ضده. وأفاق من نشوة النصر قسطنطين على رنين تلك الأجراس ليرى نفسه وقد غدا سيد الامبراطورية الواحدة الأوحد.

ولم يغب عن بال الامبراطور طيلة هذه الرحلة الشاقة انه قد أنقذ من الضياع المسيحيين، وشد من أزرهم، وأنعم بالكثير عليهم، وكم ألمه أن يرى وحدتهم فى الشمال الأفريقى تنفصم،

كوجه ملاك الله فخافو منه ولم يخاطبوه لن [لأن]
الله لا يتخلى عمن يتوكل عليه، ثم رفع يديه الى
السما وشكر الرب وصلب على وجهه وقال أمين
وقلع بلينه وكشف رقبته الطاهره للرب وقال لهم:
افعلو ما امرتم به. فخافو من ان تلحقهم عقوبه
بسببه فنظر بعضهم إلى بعض ولم يجسر احد
منهم يقطع راسه لما وقع عليهم من الخوف، ثم
تشاورو وقالو: من قطع راسه يدفع له كل واحد منا
خمسة دنانير. وكانو ستة وكان مع احدهم دنانير

وأن يرى جهوده فى لم شعث هذه الجموع تذهب أدراج العناد، وكم أمل أن يجد فى الشرق تلك الوحدة الدينية التى افتقدها فى الغرب[1].وهئ «محبوب الرب» أن وجوده فى هذه الأقاليم الجديدة التى تزخر بأشياع المسيحية والتى فيها نبتت هذه، سيهئ له ضمينا قويا يمده العون، ويكفل له النجاح، ويرتل له على أنغام الوحدة أنشودة السلام[2].

ولكن قسطنطين لم يكن مع المسيحيين فى الشرق بأسعد حظا منه فى الغرب، فاذا كان دوناتيو الغرب أفسدوا عليه بهجة نصره على «طاغية روما» فان أريوسيى المشرق والمليتيين قد عكروا عليه صفو انتصاره على حليف الامس ليكين، ولم يكن قسطنطين ليسمح لجمهور النظارة فى هذه البقعة أن يشهد مسرحية «الانشقاق» التى كانت فصولها لا تزال تمثل على مسرح كنيسة أفريقيا. ولم يكتمل بعد مشهدها. فقد كان قسطنطين يعى تماما أن أى حادث كذلك الذى جرى فى ولاية أفريقيا يتعرض له الشرق لابد وأن يعصف بجهوده وآماله تماما. فجمهور الشرق كثير وأبطال مسرحية من هذا القبيل هنا يحظون بالطبع بشهرة فائقة وعظيم الصيت، ولابد أن يهلل المشاهدون لهذا أو ذاك ممن يجذبون روعهم ويلقون الرضى !!

(1) C. A. H. XII, p. 697.
(2) EVSEB. Vita Const . II, 67.

فاخرج منها خمسه وعشرين دينارا وقال: الذى يتقدم اليه ويقطع راسه ياخد هذه الدنانير عنى وعن الاربعه الباقين. فتقدم احدهم واستجرا وقطع راس الشهيد القديس بطرس البطرك فى التاسع والعشرين من هتور [فى السنة التاسعة عشر من حكم دقلاديانوس].

كان مدة مقامة على الكرسى الانجيلى احدى عشره سنه. فاما ذلك الجندى الذى جعل نصيبه

لم يكد قسطنطين يغدو سيد الامبراطورية الفرد حتى حملت اليه رياح الشرق أنباء حدوث انشقاق فى كنيسة الاسكندرية، وأن هذا قد تخطئ هذه ليشمل كنائس سوريا وآسيا الصغرى، لم يكن قد ذهب من مخيلة الامبراطور بعد صورة تلك الفوضى الحادثة فى الولاية الافريقية نتيجة انشقاق كنسى أيضا، ومن ثم صمم على أن يحسم الأمر بنفسه هذه المرة وبلا توان.

وقد كان طبيعيا أن تنشأ الاتجاهات العقيدية الجديدة في الاسكندرية فقد كانت لقرون خلت مركز الثقافة فى الشرق حيث تدفق النشاط الفكرى فى تيار جار[1]، فلما جاءتها المسيحية، لم يكن لها أن تتخلى فى ظل هذه العقيدة الجديدة عن مركزها المرموق، ولما كانت واسطة العقد بين الشرق والغرب، فقد أضحت تمثل بؤرة الثقافات المختلفة والعديدة، وقدر لها بذلك أن تؤدى دورا بارزا فى المسيحية انتشارا وفكرا، إلى الحد الذى دفع واحدا من المؤرخين[2] الى القول بأنه ليس هناك بلد من البلاد، أثر فى تطور العقيدة المسيحية مثلما فعلت مصر بل ليس ثمة مدينة تركت بصماتها على المعتقد المسيحى بصورة أشد عمقا من الاسكندرية.

....

(1) F. Jaclson, op. Cit. PP. 269 - 270.

(2) Creed, Egypt and the Christian Church, P. 300.

مع يودس الاسخريوطى فانه [فإنه]اخذ الدنانير وهرب هو واصحابه خوفا من الشعب. وبقى جسد القديس ملقى الى وقت كثير من النهار حتى عرف الشعب الجلوس عند الحبس الخبر ونظرو النقب فى الحايط فمضو اليه مسرعين ووجدو جسده وثوبه عليه، والشيخ والصبيه العدرا جالسين يحفظانه [يحنطانه] فالصقو الراس بالجسد ونثرو عليه سبيبه(*) وجمعو دمه ووقفو باكين، وتبلبلت المدينه واضطربت عند مشاهدتهم الشهيد الذى

(*) سبيبه: قماش رقيق من الكتان.

وقد قدمت الاسكندرية للعالم المسيحى أشهر أبانه فى الفكر اللاهوتى فى القرون الثلاثة الأولى للميلاد، كان أبرزهم على الاطلاق كليمنت Clemens (حوالى ١٥٠ ـ ٢١٥)، وأوريجن Origenes (١٨٥ ـ ٢٥٤) وديونيسيوس Dionysius (٢٤٦ ـ ٢٦٥)، وأضحى الثغر المصرى مركز نمو الفكر اللاهوتى فى الشرق، وأحرزت كنيسته شهرتها فى العالم المسيحى بوصفها كنيسة فكرية لم يعيها البحث فى أدق المشاكل فى الدين والعلم(١).

وكان الخلاف فى الرأى بين أريوسArius رجل الكنيسة السكندرية، واسكندر Alexander أسقفها، حول مسألة شغلت أذهان رجال الفكر واللاهوت وآباء الكنيسة فترة من الزمن غير يسيرة وهى العلاقة بين الآب والابن، الكلمة المتجسدة (٢)، داعية هذا الجدال الذى اشتد أواره بين كنائس الامبراطورية على حد قول الامبراطور نفسه فى رسالته اليهما(٣).

أما معلوماتنا عن أريوس فنستقيها من مخاصميه. وان لم ينكر عليه هؤلاء واسع علمه واطلاعه واضطلاعه من المنطق حتى أنه كما قيل لم يغادر من المعرفة صغيرة ولا كبيرة الا

(1)Vasiliev, op. Cit. I. P. 54.

(2) Thompson, op cit. P. 39; Latourette, expansion of Christianity. I. P. 348; Painter. op. cit. p. 15.

(3)EVSEB. vita Const. II. 69.

للسيد والمسيح، ثم حضر مقدمو المدينه ولفو جسده في النطع(*) الذى كان ينام عليه ومضو به الى البيعه وجعلوه على الترنس(*) [السترنس] الى ان قدسو واتمو القداس ودفنوه مع الابا. صلواته تكن معناومع جميع بنى المعموديه امين.

(*) النطع: في اللغة قطعة كبيرة من الجلد توضع اسفل رقبة المحكوم عليه عند قطعها حتى لا يتناثر دمه على الأرض.

(*) الترنس: كرسى البطرك أو الاسقف، موضعه شرق الهيكل.

أحصاها [١]، الا أنهم عارضوه الرأى حول المسألة الكريستولوجية ورموه بالهرطقة، وذلك شأن مؤرخى الكنيسة جميعاً. ويخبرنا سوزومين [٢] ـ دون غيره ـ أن أريوس كان أول من وافق مليتيوس Melitus أسقف أسيوط الذى انشق على كنيسة الاسكندرية فى اسقفية بطرس وشايع رأيه. ولكنه تاب وأناب ورسم سنة ٣١٠ شماسا على يد بطرس أسقف الاسكندرية، وفى عام ٣١١ حرمه بطرس نتيجة اعتراضه على سياسة الكنيسة ازاء الأساقفة [٣]. ولما مات بطرس خلفه أشيلاس Achillas على الأسقفية [٤]، وتمكن أريوس من الحصول على الغفران وأعيد فى عام ٣١٣ الى وظيفته الكنسية التى كان عليها قبلا، ثم رقى الى مرتبة القسيسين لما لمسه فيه الأسقف السكندرى من فطنة ومقدرة [٥].

أما تعاليم أريوس فنقف عليها من رسالة لاسكندر أسقف الاسكندرية الى سمية اسقف بيزنطة، وأخرى بعث بها الى عموم الأساقفة ينبئهم فيها بفحوى النزاع بينه وبين أريوس والدوافع التى حفزته الى حرمه من الكنيسة، ومن مقالات أثناسيوسAthanasius خليفته

(1) SOZOM. hist. eccl. I, 15.

(2) Id.

(3) Id.

(4) SOCRAT. hist. eccl. I, 5.

(5)SOZOM. hist eccl. I, 15.

ارشلا البطرك

[٣١١/٣١٢م]

وهو من العدد التامن عشر

فلما تنيح الاب بطرس وعدموه اهل الاسكندريه انفدو وجمعو الاساقفه وصيرو ارشلا القس بطركا عوضه كما كان اوصى قبل وفاته، فلما جلس ارشلا على الكرسى الرسولى الانجيلى تقدم اليه جماعه من الشعب وسألوه فى قبول اريوس فقبل سوالهم وجعله شماسا، ولما قبله وخالف وصية ابيه

ورسائله ضد الآريوسيين وعرضه لتاريخ الآريوسية وردودة على ما أثاره الفريق الآريوسى حول ما دار فى مجمع نيقية. ثم من رسالة آريوس الى زميله أسقف صور ووثيقة ايمان آريموس الى زميله أسقف نيقوميديا يوساب، ورسالة هذا الى بارلينوس Paulinus أسقف صور ووثيقة ايمان اريوس التى قدمها الى قسطنطين بعد عودته من المنفى.

تضمنت رسالة الأسقف السكندرى الى صديقه الأسقف البيزنطى فى بدايتها أسفا بالغا لروح الشر التى نفثت سمومها فى نفوس أناس ضعيفى الايمان، دفعتهم جسارة وقحة الى التهجم على الايمان القويم، وتحذيرا مخافة أن يستطيع هذا البعض الدخول فى الكنيسة بزيف القول وغروره، ثم يفصح بعد ذلك عن زعيمى هذه الحركة وهما اريوس وأشيلاس الكاهن Achillas ويروح بعد ذلك فى اطناب بالغ يشرح لزميله مبادئ اريوس ويورد الادلة التى اعتمد عليها هذا الأخير من الكتاب المقدس، ويتولى الرد على هذه الفكر الآريوسية محاولا دحضها، ولا تختلف أقواله بطبيعة الحال هناعنها فى رسالته الى عموم الأساقفة فى مختلف الكنائس[١]، ومن الرسالتين معا يمكننا أن نقف على آراء اريوس كما يراها اسكندر.

فالله عند آريوس لم يكن دوما آبا. فهناك فترة من الزمن لم يكن فيها الله آبا. وكلمة الله لم

---

(1)THEOD. hist. eccl. I, 3.

بطرس لم يقم على الكرسى سوى ستة شهور وتنيح فى تاسع عشر بوونه سنة.

السيرد السابعه من سير البيعه
الاكسندرس[اسكندر]البطرك
[٣١٢ / ٣٢٦م]
وهو التاسع عشر من العدد

فلما تنيح ارشلا البطرك اجتمع الشعب ووضعوا ايديهم على الاب الاكسندرس [اسكندر] القس

تكن دواما، ولكنها من العدم نشأت، فالله قد جعل هذا الذى لم يكن من ذلك الذى لا وجود له. وعليه فقد كان هناك زمان لم يكن هذا. ذلك أن الابن مخلوق. ولا يساوى الآب فى الجوهر، ليس الكلمة الحق الطبيعية للأب. ليس حكمته الحقة. انما هو أحد الخلائق. دعى الكلمة خطأ والحكمة، فهو قد نشأ بذات كلمة الله. وبالحكمة الكامنة فيه ـ التى بها سواه الله وسواه. ومن ثم فهو بطبيعته عرضة للتغيير والتغاير شأن كل الخلائق. والكلمة غريبة عن جوهر الآب ـ بعيدة عنه ومنفصلة. والآب.. كيف يصفه الابن ؟! ان الكلمة لا تعرف الآب كنهه. والابن لا يعاين الآب يقينا. والابن لا يعرف ذات الجوهر. هو من أجلنا جبل. يخلقنا الله به. به اذن يؤدى. لم يكن يوجد لولا أن شاء الله خلقنا. واذا ما سألهم سائل عن تحول كلمة الله كما هو حادث فى الشيطان ماخجلوا عن الايجاب، حاجين أنه جبل وخلق. فطبيعته للتحول قابلة[١].

أما أثنا سيوس ففى رسائله ضد الاريوسيين، وردوده عليهم حول ما دار فى مجمع نيقية، يفسر عقيدتهم بما لا يخرج على الاطلاق عن شروح أسقفه اسكندر. ويضيف صراحة أن الفريق الآريوسى ينكر لاهوت المسيح، فالابن عندهم ليس الها حقا[٢].

---

(1)THEOD. hist. eccl I, 3; ATHANAS. depos. Ar.

(2)ATHANAS. de decr. III, 6; Epist. C. Arian.

وصار بطركا كما اوصى الاب بطرس أخر الشهدا وجلس على الكرسى فتقدم اليه بعض الشعب وسالوه ان يقبل(*) أريوس، فلما راه الاكسندرس الفاضل رفضه ولم يقبله. وقال لمن ساله فيه: قال لى الاب بطرس وهو فى الحبس ولا خى ارشلا ان السيد المسيح احرم اريوس فلا تقبلاه ولما خالفه ارشلا اخى لم يقم على الكرسى غير ستة اشهر، وانا فما اقبله بالجمله وهو مفروز. فمكث اريوس منفيا تحت الحروم فمضى بعد ذلك الى

(*) قام البطرك الاكسندرس بحط آريوس من درجة الكهنوت سنة ٣٢١م ولكن اثنان من الاساقفة و١١ شماساً رفضوا ذلك فقطعهم البطرك، وهكذا أستمر آريوس فى دعوته واستمر البطرك فى محاربته ثم قطعه نهائياً عن العمل بالكنيسة.

وتتلخص تعاليم الآريوسية فى أن الاب هو الاله الحق فى مقابل الابن الذى ليس الها حقا. فهما متعارضان بالضرورة على أساس التعارض بين غير المخلوق والمخلوق. ومن ثم فليس هناك اثنان غير مخلوقين، الهان لامتناهيان (١) والابن ليس غير مولود وليس جزءا من غير المولود، ولا يستمد كيانه من مادة، وانما بالارادة والقصد وجد قبل كل العالمين. وانه قبل أن ولد أو خلق أو قصد. لم يكن. لأنه كان غير مولود (٢). وعلى ذلك فالله لم يكن دائما أبا. لأنه كان وحيدا، ولم يكن اللوجوس والحكمة قد وجدت بعد، ثم اراد الله أن يخلق موجودا معينا أسماه اللوجوس، الحكمة. الابن، حتى يمكن أن يخلقنا بواسطته. ولهذا توجد حكمتان: حكمة خاصة بالله وأخرى يشارك فيها الابن . كما أن فى الله لوجوس آخر غير الابن وقد سمى الابن تكريما له باللوجوس (٣) ولله قوة طبيعية ليس كمثلها شئ سرمدية. أما المسيح فهو ليس ا لقوة الحقيقة لله، وانما هو احدى هذه القوى، وفى علاقته بالمخلوقات يعتبر الخالق، أما علاقته بالأب فهو مخلوق، وألة للخلق وآداة (٤). والآريوسيون فى ذلك يتصورون مسافة

(1) Dict. theol. Cath. 1..2. Col. 1784.

(2) THEOD. hist. eccl . 1, 4.

(3) Dict. theol. Cath. 1.2, Col. 1786.

(4) Id.

القسطنطينيه وشكا حاله لقسطنطينوس ابن الملك قسطنطين المغبوط وانه قد تاب ورجع عن مقالته وحلف على ذلك وهو يخفى المكر [الكفر] فى قلبه إلى أن اظهرالله له قدرته فيه ونزلت امعاه [امعاءه] من دبره فهلك كما سيذكر ذلك فيما بعد. وبسببه كان المجمع المقدس بنقيه [بنيقيه] واحرم فيه واستقرت الامانه المستقيمه، وايام الصوم، ويوم عيد الفصح، وكان ابونا الاكسندروس البطرك مقدم المجمع وبعد ذلك تنيح

شاسعة بين الله والمخلوقات، الأمر الذى يلزم منه أن الخلق المباشر محال. الابن فى رأى آريوس قمة الخلائق، غير متغير وثابت ، وليس كباقى المخلوقات، ولكن الثبات وعدم التغير هنا لا يعنى ثباتا فى ماهية الابن ذاتها، ولكنه ثبات بحكم الواقع حسب ارادة الله [١]. ومعرفة الابن بالله معرفة غير كاملة، وذلك لأن الاب غير منظور للابن، فالابن لا يتأمل ولا يعرف تماما الآب. وما يراه الابن وما يعرفه فانما يعرفه بالنسبة لقواه،ان الابن لا يعرف حتى طبيعته هو [٢].

خلاصة القول عند الاريوسين ان المسيح لم يعد الها حقا، لأن اللوجوس المتجسد ليس هو الاله الحق. وبالتالى فهم يرتبون على ذلك أن الخلاص يتم على المستوى الأخلاقى أو بالحرى المستوى الانسانى[٣].

ويشبه اسكندر أسقف الاسكندرية فى رسالته الى عموم الأساقفة آراء أريوس ورفاقه بأخرين سبقوهم قبل ذلك وادانتهم الكنيسة [٤] ويقول: «ان هؤلاء الأفراد فى سعيهم الدائب بكل

(1) Id.

(2) Id.

(3) Dict. theol. Cath. I,2, Col. 1786; F. Jaclson, op. cit. P. 109; Davis, PP. cit P. 17; Ault, op. cit. p. 51; Painter, op cit P.d16; Adictionary of Christian biography. art. Arianism.

(٤) كان من نتيجة خروج المسيحية عن نطاق التبشير بين اليهود، ومضيها الى طريق أمم، أن تخلت عن=

وهو متمسك بالامانه الارتدكسيه. وكانت نياحته في التاني والعشرين من برموده وكانت مدة مقامه على الكرسى ست عشره سنه.



اثناسيوس الرسولى
من المدافعين عن أورجانوس

السيرة التامنه من سير البيعه

اتناسيوس الرسولى البطرك

[٣٢٦ / ٣٧٣م]

وهو من عدد الابا العشرون

فلما تنيح الاب المغبوط الاكسندروس [اسكندر]

مغالطاتهم لانكار الوهية الكلمة قد زكوا موقف من سبقوهم» (١) ومن رسالته الى اسكندر البيزنطى يشير الى هؤلاء الأفراد وهم «ابيون Epionوأتمارس Artemas وبولس Paul السميساطى أسقف أنطاكية الذى نادى بأن المسيح مجرد أنسان وصل الى درجة الألوهية بكماله الخلقى. وأنكر بولس أقنومى الابن والروح القدس، معتبرا اياها مجرد قوتين فى الله كقوتى العقل والتفكير فى الإنسان وقد حرم على يد مجمع عقد فى سنة ٢٦٢. ويذكر يوساب أن كلا من ابيون وبولس ينكران لاهوت المسيح، كما أن أرتماس نادى بنفس العقيدة، وحرم على يد أسقف روما زفيرينوسZephyrnus (٢٠٢ ـ ٢٢١)(٢).

= أسلوبها التبشيرى البسيط بمعجزات المسيح، واختلطت بأفكار هؤلاء الأممين وفلسفاتهم، واخذت عنهم وأعطتهم، ومن ثم كان على المسيحية أن تتفلسف حتى تستطيع أن تواجه تحديات المفكرين والفلاسفة، ونتيجة لذلك ظهرت فى المسيحية منذ نهاية القرن الأول للميلاد فرق عديدة تجادل من حول المسيح، فى محاولة لارساء العقيدة المسيحية على أسس عقلانية. وكان من بينها المرقيونية Marcionism نسبة الى مرقيون الذى فرق بين الله المسيح والاله يهوه ـ وأصدر عهدا جديدا غير العهد الجديد المعروف يضم أنجيل لوقا ورسائل بولس فقط. والمونتانية Montanisn التى ندت بتعلق المسيحيين بهذا العالم وازدياد سلطان الأساقفة. وأتباع كيرنتوس Cryinthusالقائلين بان الله لم يكن هو الخالق للعالم بل قوة متميزة عنه. وفى القرن الثالث ظهرت دعوة بولس السميساطى. وفى القرن الرابع كانت دعوة أريوس.

(1) THEOD hist. eccl. I, 3.

(2) ECSEB. hist. eccl. III, 27; V, 28.

ترملت البيعه اياما يسيره واجتمع الشعب وتشاورو وقدمو الاب اتناسيوس واجلسوه على الكرسى الانجيلى وكتب مقالات حسنه وميامر كثيره، وسمى فى بطركيته «الرسولى» لشرف افعاله المتشبهه بالرسل.

وفى ايامه كان المجمع فى جلاتيه [غلاتيا] وكان فيه باسيليوس الكبير صاحب القداس، وقطعو الاريانوس [اريوس] فى ايام يوليانوس الملك الكافر، وكان يوبيانوس البطريق على هذا المجمع.

وهذه الآراء احتوتها وثيقة هامة وهى رسالة بعث بها يوساب النيقوميدى الى باولينوس أسقف صور جاء فيها:

«البتة لم نسمع بكائنين ليسا بمولودين، وما علمنا بانقسام الواحد الى اثنين، ولم نع على الاطلاق ولم نعتقد أن الواحد فى صورة بشرية قد تجسد. ولكنا نؤكد أن الغير مولود واحد. وواحد كذلك الذى يحيا فيه بالحق. ولكنه من جوهره لم يجبل، ولم يشترك أبدا والغير مولود طبيعية أو جوهرا. متميز تماما فى الطبيعة والاقتدار. جبل على شبه بالخالق سجية ومقدرة. انا تؤمن بأن كيف بدايته لا يمكن التعبير عنه بالقول ولاحتى بالفكر، كما أنها على البشر خافية. ومن من الكائنات منهم أعلى. تلك آراء ندعو بها لا لأنها من نسيج خيالنا استقينا بل من الكتاب المقدس من حيث نعلم أن الابن خلق. ثبت... وقد قال السيد «الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم، منذ الازل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض. اذ لم يكن غمر ابدئت اذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه، من قبل أن تقررت الجبال، قبل التلال ابدئت» ٠ أمثال ٢٢/٨ ـ ٢٦).

ذلك أنه لو كان من خلاله أو منه. جزء منه أو منبثق من جوهره. لاستحال القول بخلقه. لأن ماهو من الغير مولود لا يمكن القول بخلقه، سواء به أو سواه. لأنه غير مولود منذ البدء ولكن اذا كانت حقيقة تسمية الابن المولود، تدعو البعض الى الجهر بأنه قد أتى من نفس

وقـتل يوليـانوس الملك بيـد الشـهـيـد الجليل مـرقوريوس، وجلس يوبيانوس البطريق ملكا فاراح [فأراح] البيعه فى ايامه.

وصبـر اتناسيـوس البطرك على بلايا كثيره بعد وفاة يوبيـانوس وتولى ولا ندبانوس ونفى ونصب له فخاخ السو حتى ابعد عن كرسيه لكثرة ما ناله، ومضى الى صعيد مصر وأقام هناك [فى ايام الملوك الكفرة] سنين كثيره، واظهر انه عامل بنا وصير

جوهر الآب، ويحمل من الآب فى الطبيعة شبها، لأجبناهم أنه ليس وحده الذى تحدث عنه الكتاب المقدس بأنه المولود، بل عن آخرين مخالفين له فى الطبيعه، فقد ورد على لسان بشر «ربيت بنين ونشاتهم. أما هم فعصوا على» (أشعياء ٢/١) وأيضا «من ولد ما جل الطل» (أيوب ٢٨/٣٨). والتعبير هنا لا يعنى أن قطرات الندى شريكه لله فى طبيعته ولكن المعنى بالحرى أن كافة الأشياء قد تمت وفق ارادته. ليس هناك والحق أقول شئ من جوهره، وانما كل ما فى الوجود من صنع ارادته. هو الله، كل شئ قد جبل مثيله وعلى وفق كلمته، خلقت بمحض ارادته هو. كل شئ من الله(١).

ويصف آريوس آراء خصومه فى هذا الجدال بقوله «انهم يقولون بأن الله على الدوم كان. وكذا الابن كان. مثلما يكون الاب.. الابن يكون أزلى. الاب لا يستبق الابن فى الفكر أو لبرهة. أزلى الاله. أزلى الابن. الذى من الغير مولود مولود. الابن من الله»(٢).

ويعطينا أسقف الاسكندرية عقيدته ومؤيديه بقوله:

«نؤمن كما تكرز الكنيسة الرسولية، بالآب الوحيد الغير مولود، الواجب الوجود، لا يتغير

(1) THEOD. hist. eccl. I, 5.
(2) Ibid. 4.

نفسه اجيرا ولم يظهر انه بطرك. واقام الملوك الكفره، اعنى ولاس ولا نديانوس احدى عشره سنه.

فلما اراد الرب اعادته الى كرسيه دفعه اخرى بصلواته المقدسات المقبولات اهلك هولا [هؤلاء] الملوك بموت سو لجل [لأجل] ما فعلوه بالارتدكسيه، واقام الرب ملكا مومنا اسمه تاودوسيوس، فابتهجت البيعه فى ايامه وكان هدو

ولا يزول، هو هو غاية الكمال. لا يتكثر عليه نقصان أو زيادة. معطى الشريعة والأنبياء والأناجيل. رب الأنبياء والرسل وكل القديسين، وبرب واحد يسوع المسيح ابن امه الوحيد المولود. ليس مولودا من العدم بل من الآب. على نحو لا يدركه العقل، فوق التعبير. ووجوده غير مدرك عند الكائنات المائتة. والأب غير مدرك لأن طبيعة الخلائق العاقلة لا تقوى على فهم هذه الولادة الالهية من الاب. ولاتزال فى آذاننا تتردد اصداء قول المخلص «ليس احد يعرف الابن الا الآب. ولا أحد يعرف الآب الا ابن» (متى ١١/٢٧).الابن يتغير، والاب. الابن لا ينقص عن الآب شيئا سوى أنه ليس غير مولود وهو الابن الكامل وصورة الآب التامة[١].

هذان خصمان اختصموا فى دينهم، راح كل يبشر بدعواه فى دوائر الكنيسة، ويخبرنا سوزومين أن أسقف الاسكندرية لم يرد فى أول الأمر أن يشجب هذا الجدل دفعة واحدة، ولكنه فضل السماح للفريق المضاد أن يعرض وجهة نظره فى حرية تامة حتى يستطيع الجمع المفاضلة على أساس قويم[٢]. وسواء صح هذا القول أم أظلته سحابة من الشك، فالذى يعنينا أن عديدا من المجامع قد عقدت هنا وهناك أثيرت فيها تلك النقاط موضوع الخلاف، ولكن

(1) THEOD. hist. eccl. I, 3.

(2) SIZOM. hist. eccl. I, 15.

وامن وسلامه. وعاد اتناسيوس الى كرسيه. وكان
فى ظهوره فرح ومسره فى بلاد مصر اذ جعلهم
الرب مستحقين لرجوع راعيهم اليهم. واقام هذا
الراعى الصالح الروحانى على كرسى مارى مرقس
الانجيلى سبع واربعين سنه وتنيح فى السابع من
بشنس وهو ضابط البيعه وغالب المعاندين للحق
المناصبين للدين الارتدكس و لابس كرامة السيد
المسيح، فحزن الشعب لجل [لأجل] هذا الراعى
الرسولى الذى عدموه.

اتفاقا فى الرأى لم يصل اليه الحزبان. وتخلى اسكندر فى النهاية عن اعتداله وأمر أريوس بقبول القول باتحاد الابن مع الاب فى الجوهر ومساواته فى الأزلية. ولكن أريوس لم يذعن لهذا الأمر، فعقد اسكندر مجمعا فى الاسكندرية سنة ٣١٩ قضى بأدانه تعاليم آريوس[١].

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذى اتخذه اسكندر الآن تجاه آريوس، الا أنه يبدو أن أفكار الأخير وقد لاقت رواجا بين عدد ليس باليسير من رجال الدين فى كنيسة الاسكندرية. ونقف على ذلك من رسالة اسكندر إلى الأساقفة حيث يذكر أن من ارتدوا عن الدين القويم من القساوسة وتابعوا آريوس هم .. أشيلاس Achillas الكاهن، ايثالس. Aeithales كاربونس Carpones، وأخر يدعى آريوس Arius وسارماتس Sarmates ومن الشمامسة يوزيوس Euzoius، ولوقا Lucius يوليوس Julius ميناس Menas، هيلاديوس Helladius جايوس Gaius[٢]. هذا بالاضافة الى أن كثيرا من المتقفين قد اتخذ جانب آريوس ورفاقه ايمانا منهم أن عقيدتهم هى الحق، بينما تعاطف معهم بعض آخر مدخلين فى اعتبارهم أن الآريوسين قد اسيئت معاملهم وان حرمانهم ليس من العدالة فى شئ[٣].

---

(1) Id.

(2) ATHANAS. depos. Ar. THEOD. hist. eccl. I, 3.

(3) SOZOM. hist. eccl. I15.

فاما سيرته فانه كان قد غاب عن كرسيه تلت دفعات للشدايد التى نالته وتغلب المخالفين على كرسيه، وكانت غيبته فى الدفعة الأخيره احدى عشره سنه. وكان كتب من النفى الى عذراى بمدينة الاسكندريه يقول لهن: ان عروسكن هو المسيح الذى لا يرى ولا يموت فما دمتم تحت محبته [ثابتين فى محبته] فماتكن ارامل، واعلمن اننى كنت اعمل كاتبا لابى الاكسندروس [اسكندر]، وكان ما يقرا قط الانجيل فى قلايته ولا

كان ذلك هو الوضع فى الاسكندرية فى مطلع عشرينات القرن الرابع، غير أن الفريق الآريوسى رأى من الحكمة والحصافة، على حد تعبير سوزومين[١]، أن يبحث عن نصير خارج المدينة، فارسلوا من لدنهم مندوبين الى بقية المدن الآخرى فى الامبراطورية وزودوهم بمكاتيب فحواها عقيدتهم سائلين اياهم . اذا ما ارتأوا أنهم على الحق، أن يرسلوا الى اسكندر يرجونه أن يحسن معاملتهم، واذا ما استهجنوا تلك العقيدة فعليهم أن يبعثوا اليهم يعلمونهم الايمان القويم[٢]. ويعلق سوزمين على هذا السلوك من جانب الآريوسيين بقوله: لم يكن الاجراء الذى لجأ اليه فريق الآريوسيين عديم الاهمية، فقد نقل المشكلة من النطاق المحلى الى الدائرة العامة وأضحى حديث كل الأساقفة، وكتب بعضهم الى اسكندر يتوسل اليه الا يقبل أشياع آريوس فى شركة الكنيسة مالم يطلقوا آراءهم بلا رجعة، بينما أرسل آخرون يستحثونه أن يكون بهم رحيما[٣].

ومن رسالة آريوس الى صديقه الأسقف النيقوميدى نعلم مدى انتشار الآراء الآريوسية فى الولايات الشرقية للامبراطورية، فقد جاء فيها ذكر الأساقفة الذين شايعوا الآريوسية وهم

(1) Id.

(2) Id.

(3) Id.

فى غيرها جالسا بل قايما والضو قدامه، وكان الله تعالى قد حبب له قراة الكتب، فبينما هو ليله قايم يصلى ويقرا فى الانجيل اذ اتين رهبانات واستاذن عليه ثم طلع اليه فسجدن بين يديه وقلن له: عندنا عذارى يصمن ستة ايام ولا يعملن شيا بايديهن ليفضل منهم ما يطعمنه للمستورين، ونريد منك يا ابانا ان تتقدم لهن ان يعملن ويكون صومهم بقدر. فقال لهن: صدقنى يا اخواتى ما صمت قط يومين ولا افطرت قط بالنهار ولا اكلت الا بقدر، ولا

يوساب أسقف قيساوية، ثيودوتوس Theodotus أسقف اللاذقية Laodicea وبارلينوس أسقف صور، وأثناسيوس Athanasius أسقف بيروت Berytus وآيتيوس Aetius أسقف اللد Diosopolis. ثم يضيف آريوس قائلا: وكل أساقفة الشرق عدا ثلاثة هم فيلوجون Philogonius أسقف أنطاكية . هيللانكرسHellanicus أسقف طرابلس، ومكاريوس Macarius أسقف أورشليم[1].

حتى ذلك الحين، ورغم هذا الانتشار السريع للعقيدة الأريوسية فى الولايات الشرقية للامبراطور، الا أن الدولة لم تتخذ ازاءها أى مسلك، ذلك أن هذا الصراع الدائر فى الكنيسة بين رجالاتها لم يكن ليعنى الدولة عندئذ فى شئ. فقد كان ليكين لا يزال سيد الشرق، وكان قد بدأ فى سنة ٣١٩ ـ كما قدمنا ـ يمارس من جديد سياسة العداء نحو المسيحية وأهلها، ومن ثم لم تختلف نظرته لاشياع هذا الفريق عن نظرة من سبقه من الأباطرة وهى النظرة الكلية. ولم يكن امبراطور الشرق يخشى من هذا الذى يدور فى الكنيسة رحاه، فانقسام الرأى فى الكنيسة المسيحية لا يضيره فى شئ ما دام لايفرق بين مسيحى وآخر وحيث أن حكومته تقف من المسيحية جملة موقفا عدائيا.

---

(1) THEOD. hist. eccl. I, 4.

اتعبت نفسي ولا ادبت جسمي، لانه جيد ان يكون الصوم بقدر والشراب بقدر والنوم بقدر، فاذا اكل الانسان كما يجب قوى على الصلاه، وكذلك اذا نام بقدر، وللطعام حد وللشراب حد وللنوم حد، فقلن لهن يفطرن بقدر، ويعملن كل شي جيد بقدر ليلا [لئلا] يكثر الكلام فينسي اوله. هذا ما كتب به اتناسيوس الرسولي وحكى به عن ابيه القديس الاكسندروس [اسكندر] وانه كان كلامه كالعسل لمن يسمعه، وكان يكثر النعمة [الشكر] للسيد المسيح.

أما الكنيسة ذاتها فقد كان يهمها ما يعتمل في داخلها من صراعات عنيفة، كان أسقف الاسكندرية على رأس المتحمسين بطبيعة الحال لرأب هذا الصدع الذى أخذ يستفحل ويشتد خطره ويهدد بانقسام خطير، وحتى يتجنب اسكندر وقوع مثل هذا الحدث، دعا الى عقد مجمع في الاسكندرية عام ٣٢١ ضم أساقفة مصر وليبيا، وبلغ عدد من حضره أكثر من مائة أسقف قرر لعن آريوس وأتباعه الذين سبق لنا ذكرهم بالاضافة الى سكوندوس Secundus أسقف بطوليمايا Ptolemais احدى المدن الخمس الغربية وثيوناس Theonas أسقف مارماريكا Marmarica[1].

وكان على آريوس أن يتصرف بسرعة حتى يدعم مركزه وآراءه، ومن ثم رحل عن الاسكندرية شاخصا الى فلسطين ومنها الى نيقوميديا حيث صديقه يوساب الذى كان يحتل مكانة مرموقة في القصر الامبراطورى [2] وراح يشكو إليه حزنه وما أنزل به ورفاقه اسكندر من اضطهاد. وكانت رسالته السابقة اليه قد أفصحت عن ذلك. حيث يقول آريوس: «لقد أمسينا نعاني تلف الحياة لاضطهاد أنزله الأسقف بساحتنا، وما من حجر الا وقذفت به وجوهنا، لفظونا ملاحدة خارج المدينة»[3].

(1) ATHANAS. depos. Ar.; THEOD. hist. eccl. I, 3.

(2) SOZOM. hist. eccl. I, 15.

(3) THEOD. hist. ecll. I, 4.

وقـد قـيل ان اريوس كـان اتى الى هذا الاب الاكسندورس [اسكندر] وسال ان يدخل اليه فقال الاكسندروس: قـولو له اوصـانى ابى ان لا اقـبلك ولا تدخل الى ولا اجـتـمع بك لان ابى شـهـد ان السيـد المسيح اراه فى منامـه ثوبه مـشـقـوقا منك وامره ان لا يقبلك، او ما تعلم ان لسانك هو الذى ابعـدك منه بما قلتـه فـاطلب من السـيـد المسيح المخلص واعترف له بخطيتك فاذا قبلك فهو يامرنى بقبـولك كـما امر بطرس ابى ان لا يقبلك. قد امر

دعا يوساب الى عقد مجمع سنة ٣٢٢ ضم أساقفة بيثينيا، قرر اتخاذ جانب آريوس وكتب الى جمهور الاساقفة يدعوهم الى نصرة الآريوسيين وقبولهم فى الشركة، وطلب الى الأساقفة أن يسعوا جاهدين لدى اسكندر لاعادة آريوس ثانية الى الكنيسة [١]. غير أن اسكندر وقف من هذا الرجاء موقف المعارضة، وكتب بدوره الى أولئك الاساقفة يشرح لهم نواحى الخطيئة فى عقيدة آريوس وعمد الاستقامة فى ايمانه «فانا وقد عاينا دنسهم صببنا عليهم اللعنة وأعلنا كفرانهم بايمان الكنيسة القويم، وقد أحببنا أن نحيطكم أحبابى علما. فاذا ما تجاسر بعض بالقدوم عليكم، فلا تقبلوهم، ولا تنصاعوا لرغائب يوساب ومشايعيه. وانه لخليق بنا نحن المسيحيين أن نولى دبرنا كل من يضاد المسيح بالقول وفكرا. ا نهم أعداء الرب للأرواح مفسدون[٢].

هكذا تحزب الفريقان، ازدادت فى واقع الأمر هوة الخلاف ، وعد الفريق الآريوسى رفض اسكندر قبول زعيمه فى الكنيسة ثانية اهانة بالغة فساده شعور بالسخط والاستياء واشتد عزم مريديه وحماسهم لتأييد العقيدة الآريوسية [٣]. وأرسل آريوس بدوره رسـائل الى كل من

(1) SOZOM. hist. eccl. I, 15.

(2) ATHANAS. depos. Ar: ; THEOD. hist. eccl. I. 3.

(3) SOZOM. hist eccl. I, 15.

عشرة سنه من ملك جليانوس ووالاريانوس. واعان الأخوه فى أمور البيعة بكل موضع، وأخرج بوله السميساطى من البيعه لما عرف بأنه مخالف، لأن كل ما جرى فى المجمع بإنطاكية على بوله كتبوا به الى ديونوسيوس بطرك رومية والى مكسيموس بطرك اسكندرية لما جلس بعد ديونوسيوس، وكتب جميع المجمع بإتفاق روحانى قطع بوله وقالوا إنه لا يجب أن يسمى باسم بولس الرسول.

وكتبوا الى ديونوسيوس بطرك رومية

القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من أجابة دعوة المجمع لداعى شيخوخته واكتفى بما أرسل من الرسائل للمجمع.

وفى النهاية عزلة القيصر الرومانى أورليان عن الكرسى الانطاكى.

عدن قد أورث بنى آدم جميعا نزوعاً نحو الإثم. وإنما بشر بيلاجيوس بأن الطبيعة البشرية لكل مخلوق فرد تشبه طبيعة آدم البكر النقية وقت الخلق؛ أى قبل السقوط، وهذا يعنى أنها لم ترث أوزار الإثم الأول. ومن هنا فالإنسان حر تماماً، بل وليس فى حاجة إلى أى عون خارجى لكى يسلك الصواب. وإذا كانت البشرية قد ضلت فإنها ضلت بمحض اختيارها وبحرية إرادتها: «لقد اختطت لنفسها الاختيار الخطأ». وفى وسع البشر أن يمارسوا بما زودهم الله به من ملكات تبيح لهم حق الاختيار للصواب، ولا يستلزم هذا إعادة لخلق الآدمية من جديد، ومن ثم فليس هنالك مبرر لمعمودية جديدة ولا لنظرية الفداء. وطقوس العماد ـ عند البيلاجيين ـ مراسيم ظاهرية لا تمس روح الإنسان فى شيء، فما هى إلا طقس خلقى يقصد به الموعظة، ويمكن الاستغناء عنه تماماً.

والصلاح إنما يكمن فى أعماق النفس البشرية التى هى من صنع الله، الخير الأعلى. وهكذا أفرغ بيلاجيوس سر «الفداء» المسيحى من مغزاه، بل إن تجسد «الكلمة» ذاتها لم يعد أكثر من معجزة كبقية المعجزات الأخرى كإحياء الموتى مثلا. وأخيراً يخلص بيلاجيوس إلى رأى جرىء: لئن نجح الإنسان فى الحصول على الخلاص تلقائيًا، أى دون عون خارجى، فإن هذا يعنى أنه غنى بذاته عن وسطاء السماء (الإكليروس والكنيسة) بل عن السماء ذاتها.

ومكسيموس بطرك اسكندرية والى جميع اساقفة المسكونه والقسوس والشمامسة وجميع بنى المعمودية والبيعه السماويه المتفقه ويسمونهم ويقولون فى كتابهم: الينس وهمناوس وتاوفيلس وتاوتكنص ومكسيموس وبركلس ونيكوموس وايليانوس وبولس وبروتجونوس وولانوس وهيركس واوتاخيوس وتادروس وملخيون ولوكيوس وبقيتهم الذين فى المدن والقرى القريبة منا[والبعيدة عنا] قد كتبنا إليكم ياخوتنا الاساقفة القديسين

ويتساءل الفيلسوف الإنجليزى: هل هنالك إذن حاجة إلى الدين؟. والصلاة بشكلها المعروف تصبح عند بيلاجيوس مجرد هراء وعبث؛ لأن الله لا يهتم إلا بالقلوب وبالأفعال.

وصل بيلاجيوس ورفيقه سيلستيوس إلى شمالى إفريقيا فى عام ٤١٠ فراراً من جحافل آلاريك المحاصرة لروميا. وتقدم سيلستيوس إلى أسقف قرطاجة ليرسمه قسّا، ولكن الأسقف رفض طلبه واتهمه بالهرطقة ثم أصدر ضده قراراً بالحرمان. ولهذا ترك سيلستيوس شمالى إفريقيا مخلفاً وراء نفراً من الأتباع. ولما وصل إلى أفيسوس نجح فى الحصول على منصب كنسى دون عناء. أما بيلاجيوس فقد سافر إلى أورشليم وقوبل هناك بالترحيب الزائد، وافتتن الكثيرون بعظمة لسانه وحياته الزاهدة. ولكن القديس جيروم، الذى كان مقيماً آنذاك فى أورشليم، لم يلبث أن هاجم آراء بيلاجيوس برغم الحماية التى كان أسقف أورشليم قد بسطها على بيلاجيوس. ولما اشتد الجدل حول البيلاجية عقد مجلس فى أورشليم، ولكن المجلس لم يصل إلى نتيجة حاسمة فأحال الأمر إلى روما فى عام ٤١٥ . كذلك التأم مجلس آخر فى مدينة ديوسبولس Diospolis فى عام ٤١٥، حضره أوروزيوس الإسبانى نيابة عن القديس أغسطينوس، وأسقفان من غالة، وتدارس المؤتمرون النظرية البيلاجية ولكنهم لم ينتهوا فيها إلى شيء. وفى عام ٤١٦ تلقى البابا أنوسنت الأول رسالة من القديس أغسطينوس ضمنها شرحاً وافياً لطبيعة الجدل حول البيلاجية، وبناء على هذا قرر البابا التصديق على قرارات

[١٥ : مكسيموس ٢٦٤/ ٢٨٢م]

والشعوب المحبين للسيد المسيح ابن الله، ندعوكم
الى الصلاة للرب أن يزيل عنكم موامرة بوله
السميساطى فالذى معه يولد له الموت أكثر من
كل أحد، لكى تكونو معنا بقلب واحد مثل
ديونوسيوس بطرك اسكندرية وبرمليانوس أسقف
[قيسارية] كبادوكية الذين كتبو إلينا الى انطاكية
حتى هدمنا ريس الضلاله الذى لم يعلمو شيا من
اقاويله الرديه، لأنا نحن الذين قرانا كتبه فى المجمع
بالأمانه الفاسدة وشهدنا بهذا ومن معنا. ومن بعد

الحرمان ضد بيلاجيوس وسيلستيوس. وفى عام ٤١٨ أرسل البابا زوزيموس قراره المعروف باسم «تراكتوريا» Tractoria إلى شمالى إفريقيا يدين فيه البيلاجية صراحة بالهرطقة. وقد أصدر مجمع قرطاجة السادس عشر (سنة ٤١٨) قراراته بالآناثيما ضد أتباع البيلاجية[١]. أما جوليان من أكلانوم فكان واحداً من أساقفة جنوب إيطاليا المناصرين للبيلاجية، وقد هرب إلى الشرق عندما أصدر البابا زوزيموس ضده قراراً بالحرمان. وقد وصل جوليان إلى مصيصه حيث تعرف على اللاهوتى الشهير ثيودور أسقف المدينة، وقد تأثر ثيودور بالبيلاجية إلى حد كبير.

ولقد أفاض القديس أغسطينوس فى الرد على البيلاجية، وجاء رده متوافقاً، بطبيعة الحال، مع آراء الكنيسة الكاثوليكية. يقول القديس: إن الله خلق آدم ولم يكن محتاجاً إلى عبوديته بل إن البشر هو المحتاج إلى الربوبية. وزود الرب أبانا الأول بهبة الخلود وبإرادة خيرة تماماً، كما

(1) Carthaginense Conc.. Can. 2.: "Item placuit, ut quicunque parvulos recentes ab uteris matrum baptizandos negat. aut dicit in remissionem quidem peccatorum eos baptizari. sed nihil ex Adam trahere originalis peccati. quod lavacro regenerationis expietur. unde sit conse - sed nihil ex Adam trahere originalis peccati. quod lavacro regenerationis expietur. unde sit conse- quens. ut in eis forma baptismatis "in remissionem peccatorum" non vera, sed falsa intelligatur- A.S."

ذلك عـاهدنا إنه يتـوب وكـان ذلك منه هزوا[ء]ا
وغـدرا وقـسـا قلبـه ولم يتب ويـبقى على ضـلاله
مـفتـريا على الله بكلامه، فـأنكر جـحـد الرب فى
أمانته.

وصـفـة حـال هذا بوله إنه انتـقل من أمـانتـه الى
الكفـر والضـلالة والهلاك، وكـان فقـيرا فى جنسـه
فـقـرا ظاهرا لأنه لم يرث شيـا عن سلفه ولم يرزق
شيـا من صنعتـه بيده، واسـتغنى من مـال البيـعه.
وكـان ينهب الهيـاكل بالناموس، ويقطع مصـانعات

صاغ فيه العقل والحواس وتوج آدميته بالمعرفة. ولكن آدم «اشتهى» ثمرة الشجرة المحرمة، ثم أكل منها بغواية الحية وحواء وبهذا يكون آدم قد «هجر الله»(١). وتعرى آدم وعرف حواء وولدت بالإثم، وتوارث بنو آدم هذا الإثم(٢). وتشهد سجلات التاريخ بتعاسة البشرية منذ هذا السقوط الأول. ولن يفلت من البشر واحد بسبب الخطيئة الكبرى وهى الجنس، فابن آدم يجرى وراء الشهوة فيطأ بقدميه القوانين والضوابط.

وهذه النوازع الآدمية الآثمة الموروثة قد وأدت فى ذرية آدم عنصر الخلود وحرية الإرادة التى كان الله قد أودعها أصلا فى «الوعاء النقى»، فى آدم الطيب قبل السقوط الأكبر. ولولا «الرعاية» الربانية والعطف السماوى لظلت البشرية متردية فى هلاك الهاوية إلى الأبدية،

(1) De Civitate Dei, Liber Decimus Tertius, Cap. XV, Col. 387: "Nam in eo quod inobediens motus in carne animae inobedientis exortus est, propter quem pudenda texerunt, sensa est mors una in qua deseruit animam Deus. Ea significata est verbis ejus, quando timore dementi sese abscondenti homini dixit, Adam, ubi es? non utique ignorando quaerens, sed increpando admonens, ut attenderet ubi esset in quo non esset Deus. Cum vero corpus anima ipsa deseruit aetate corruptum et senectute confectum, venit in experimentum mors altera, de qua Deus peccatum adhuc puniens homini dixerat, Terra es, et in terra ibis.."

(2) "Hoc est malum peccati in quo nascitur omnis homo."

فى نفسها ان توانيت عنه مضى عنى وبقيت
وحيده. فحينذ[حينئذ] نهضت واخدته معها
ومضت به الى الاكسندروس [اسكندر] وقالت له
قضية حال اتناسيوس ابنها وجميع سيرته، ثم
تعمدت هى وولدها. وبعد زمان توفيت وبقى هو
عند الاب الاكسندروس مثل الولد، ورباه بدعه
بكل فن وحفظ الاناجيل وقرا كتب الله، فلما كبر
اوسمه شماسا وجعله كاتبه وصار كانه ترجمان
الاب المذكور وخادما للكلام الذى يريد يقوله.

نشب، بعد أن أغفلتما حق الأخوة، ووقعت الرعية المقدسة فى تمزق حزبى. ولم يعد للجسد الواحد وجود!

والآن .. أكلاكما على أستعداد لتبديا من الرفق والتحمل قدرا واحدا فتقبلان نصح رفيق لكما يقدمه بارا قويما ؟!(1).

هكذا القى قسطنطين على اسكندر وآريوس تبعة الاحداث وحمل اياهما دوافع صراع كان من الممكن تجنبه لو أن آريوس أغلق على الرأى الحر فكره. ويتساءل الامبراطور.

«كيف ياترى يكون نصحى؟!

خطأ فى البدء أن تطرح القضايا على هذا النهج، والخطأ بعد فى نقاشها، فمسائل الجدال هذه وليس لها من الشرعية نصيب، وتمليها روح صراع وليدة فراغ أسئ شغله ، حتى ولو قصد بها رياضة الذهن، ينبغى أن تظل حبيسة فكرنا، بعيدة عن آذان الجموع. اليست قلة تلك التى تعى مثلها؟ فهى أمور علوية ذات طبييعة خفية، ولنقل أن واحدا قادر على ادراكها، فكم يا ترى من الجمع يلم بها؟ وحتى هذا الذى يعيها تراه لا يحيد عن سوى الصراط. يتحتم علينا من ثم أن نقصد فى القول لاننا لا نقوى وطبيعة الحال على أن نفسر تلك المسائل، ولئن

(1) EVSEB. vita Const. II, 69.

فلما تنيح قسطنطين الملك المومن بشيخوخه حسنه وجلس بعده قسطنطيوس ابنه فلم يثبت على الامانه المستقيمه وانما كان يخاف ويحتشم من الناس، وفوجد اريوس حينذ الفرصه ومال الى اخذ الملك وجذبه الى قلبه وافسد قلبه، وحمله على استمال الملك الى مقالته واغواه الى ان انفذ احضر الاكسندروس [اسكندر] من الاسكندريه الى القسطنطينيه، ولم يعلم الملك قدر الاكسندروس [اسكندر] ولا سبب حرمه لاريوس وابعاده له عن

استطعنا الى ذلك سبيلا فمن من السامعين عساه أن يفهم. فالرعية لسبب أو لآخر قد تجدف أو تنشق»[1].

فالخلاف كما يبين من حديث قسطنطين لا يهمه فى شئ قدر ما يعنيه جدل الرعية، فلو أن آريوس واسكندر أغلقا على نفسيهما أبواب الكنيسة وراحا يقلبان ظهر الأرض وباطنها وصولا الى لقاء، ما حرك ذلك شعرة من رأس الامبراطور، أما أن ينفتح باب البيعة وتغشى الجموع حكاية الخلاف فذلك شئ يثير غضب الامبراطور ويؤرقه! فالناس على جهلهم سائرون الى فرقة أو زيغ، ومن ثم أفصح الامبراطور عن دفين غيظه، وراح بلهجة خالية من كل وقار يكيل للرجلين أقذع العبارات، يحملهما تبعة الفوضى، ويحذرهما مغبة ما ورطا فيه نفسيهما والجموع. قال:

«ولنر هل أصبنا حيث أختلفنا فى كلمات العبث والغباوة أن نعادى بعضنا بعضا، وتمزقت جماعتنا لخلف أصابنا بكما. أنتما يا من يتعالى صياحكما حول نقاط كم هى تافهة وضيعة، سوقية هى. وخلة حمق صبيانى، تقف والضد من حصافة الاكليروس والعقلاء، ذلك حديث أقوله لكما دون رغبة فى قهركما على التوافق حول هذه المسألة العقيمة مهما كان كنه

(1) EVSEB. vita Const. II, 69.

البيعه، وكان الاكسندروس [اسكندر] قد شاخ وكبر غير انه ثابت الجنان سالم الحواس، كان اتناسيوس ترجمانه وكاتبه والمتكلم عنه بقوة الروح القدس لمعرفته بالامانه الارتدكسيه، فجلس الاب الاكسندروس بحضرة الملك واحضر اريوس وتكلم كلامه الطمث واكثر الكلام السمج فخصمه اتناسيوس بالاقوال التى اوردها وابطل كلامه، فقلق اريوس وافسخ المجلس وقال: يكون لنا مجلس اخر. ولما علم اريوس انه لا قوة له باتناسيوس دفع مالا

طبيعتها. وفيما يختص بشجاركما على أمور لا جدوى منها، فعليكما ان صعب الوئام، أن تقصرا تلك على دواخل فكركما والعقل»[١].

واختتم قسطنطين رسالته بقوله «أعيدوا الى أياما خوالى. وليالى غفت فيها جفونى حتى ينالنى بهجة الضوء الوهاج ومسرة سكينة الحياة»[٢].

على هذا النحو أبدى قسطنطين رأيه فى أمر الخلاف العقائدى المحتدم بين كنائس الامبراطورية فى قسمها الشرقى، وواضح من حديثه مدى بعده عن هذه المسائل الكريستولوجية وقلقه البالغ لما نجم عن هذا الصراع من فرقة وانقسام بين رعايا المسيحية.

جاء هوسيوس برسالة الامبراطور الى الاسكندرية، وحاول رأب الصدع الذى هز كنيستها وامتد الى الكنائس الأخرى. فدعا الى عقد مجمع دينى فى الاسكندرية عام ٣٢٤ قرر حرم آريوس ورفاقه[٣]. وعاد الى الامبراطور يحمل اليه أنباء اخفاق مسعاه فى التوفيق بين آريوس واسكندر. وفى طريق العودة توقف فى أنطاكية منتهزا فرصة وفاة أسقفها فيلوجون

(1) Ibid. 71.

(2) EVSEB. vita Const. II, 72.

(3) Ibid. 73.

لاصحاب ابواب الملك وقرر معهم ان يمنعو
اتناسيوس من الدخول معهم في المجلس الاخر،
فلما كان بالغداه امر الملك باحضارهم فلما دخل
الاكسندروس [اسكندر] منعو البوابون اتناسيوس
الرسولى من الدخول، فلما جلس الملك والبطرك
بحضرته تكلم اريوس واكثر الكلام، فالتفت الاب
الاكسندروس يمينا وشمالا فلم ير اتناسيوس كاتبه
فسكت فقال له الملك: لم لا تتكلم؟ قال له
الاكسندروس [اسكندر]: كيف اتكلم بلا لسان

Philogonius حيث دعا فى ديسمبر سنة ٣٢٤ الى عقد مجمع كبير ضم الأساقفة من كل الاقاليم التى تنظر الى أنطاكية باعتبارها عاصمتها الروحية، من كيليكيا وميزوبوتاميا فى الشمال حتى فلسطين جنوبا، وكان المجمع فى جملته معاديا للآريوسية فقرر اختيار يوستاتيوس Eutstathius خصم الآريوسية العنيد أسقفا للمدينة خلفا لفيلوجون[١]. وقرر المجمع ايضا أدانة العقيدة الآريوسية[٢] وثلاثة من مؤيدى آريوس هم ناركسيوس Narcissus أسقف Neronias (بانياس)، وثيودوتوس أسقف اللاذقية Laodicea ويوساب أسقف قيسارية Caesarea فلسطين، وبعث المجمع بقراراته هذه لا الى أساقفة الشرق فحسب بل الى اسقف روما أيضا لاذاعتها فى الغرب[٣].

بهذا السلوك نقل أساقفة مجمع أنطاكية صراعا خاصا بالقسم الشرقى من الامبراطورية عدة سنوات الى الغرب، وأضحى الجدال حول العقيدة الآربوسية يغطى كنائس الامبراطورية بضوضائه. وقد انعكس هذا على سلوك الامبراطور ذاته ومحاولته حل هذه المشكلة التى اتسعت حلقة روادها، فقد كانت النية متجهة فى أول الأمر، بعد أن تبين اخفاق هوسيوس فى

---

(1) Jones, Later Roman Emire, I, P. 86.

(2)Downey, op. Cit. p. 351.

(3) Jones, Constantine, P. 150.

مترجم. فعلم الملك انه يعنى اتناسيوس فامر
باحضاره، فلما راى اريوس ان اتناسيوس قد دخل
خرج مسرعا ولم يقف، فقال الاكسندروس
[اسكندر] للملك: اعلم ايها الملك ان قطع هذا
اريوس كان فى المجمع وليس انا قطعته وحدى بل
ابوك المغبوط الملك واهل المجمع كلهم قطعوه
وكتب الملك حرمه بخط يده، واذا نظرت كتب
ابيك وجدته بخط يده، وانا اقول من يقطع الملك
قسطنطين واهل المجمع. فاحله انا فيكون ذلك منى

الاسكندرية، الى عقد مجمع يضم أساقفة الشرق فى مدينة أنقره. وقد ظهرت هذه الفكرة أولا لدى المجمع الذى عقد مؤخرا فى أنطاكية[١]. على اعتبار أن هذا الجدل قائم فى الولايات الشرقية. فلما أنبأ مجمع أنطاكية البابا بحقيقة النزاع، وأصبحت المسألة معلومة لدى الغرب. قرر قسطنطين أن يكون مجمعه المقبل مسكونيا يضم أساقفة الامبراطورية كلها، ليكون قرارهم عاما حازما، ورأى قسطنطين عقد المجمع فى مدينة نيقية Nicaea فى بيثينيا (مكانها الآن قرية ازنيقIsnik التركية)[٢]حتى يتمكن أساقفة أيطاليا وباقى كنائس أوربا من حضور المجمع ولملاءمة مناخها، وفوق هذا وذاك حتى يكون نفسه على مقربة من متابعتهم والاشتراك فى مناقشتهم[٣].

كان مجمع نيقية أول مجمع مسكونى Ecumenical شهدته الكنيسة، وقد عقد بناء على دعوة وجهها الامبراطور قسطنطين الى مختلف كنائس الامبراطورية ويعد يوساب ذلك العمل من جانب الامبراطور اعترافا منه بأيادى المخلص البيضاء عليه[٤]، وكان فى حد ذاته محاولة

(1) Downey, op cit. P. 351; Palanque, Bardy, Labriolle, op. cit, III, P. 80.

(2) Backbouse, op. cit. p. 399.

(3) EVSEHB. vita Const, III, 6, 7.

(4) Ibid. 8.

بدعه، لان اباك بالحقيقه كتب حرمه وقطعه بخط يده فى المجمع الذى كان بنيقيه. فلما سمع الملك هذا القول خاف، من اخيه، ان يحل امر الملك ابيه فيجد اخوه بذلك الحجة للنفاق عليه، فاطلق الاب الاكسندروس واعاده الى كرسيه وبقى اريوس محروما ومربوطا بعدل [لأنه] ظن انه يبلغ بقوته من ا لملك وبذل المال لحاشيته، بغيته.

وتنيح الاب الاكسندروس مع آبايه بعد ان اوصى الكهنه والشعب عند نياحته ان يجلسوا

- -

جديدة وجريئة لحل الخلاف الحادث فى الكنيسة. حقيقة جرت عادة الكنيسة قبلا على عقد المجامع الدينية لادانة «بدعة» جديدة أو القضاء على «انشقاق» ولكنها كانت فى معظمها مجامع محلية Synods يلتقى فيها الأسقف والقسوس والشمامسة فى مركز كل أبروشية، وربما اتسعت قليلا لتشمل كنائس الولاية أو الاقليم(١).

لعل قسطنطين قد أفاد من التجربة التى قاساها فى ولاية أفريقيا، خاصة وان الدوناتيين رفضوا الامتثال لقرارات مجمعى روما وآرل، وعلى الرغم من أن الأخير كان يضم معظم أساقفة الغرب عندئذ، ويمثل عالمية عالم قسطنطين انذاك. الا أن الدوناتيين لم ينصاعوا لما أسفر عنه لقاء الاساقفة، فلا يبعد اذن أن يكون الامبراطور قد أراد بمجمع نيقية المسكونى أن يكون قاضيا جملة وتفصيلا على هذا النزاع المستفحل فى الكنيسة. ولابد أن يكون قسطنطين قد وعى تماما مدى الخطورة التى تهدد وحدة الامبراطورية من جراء هذا الصراع. فاذا كانت المسألة الدوناتية اقتصرت على ولاية أفريقيا وحدها، فأخذت بذلك الطابع الملكانى، فان الاريوسية لم تكن كذلك حيث امتدت من الاسكندرية لتشمل طيبة وليبيا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى، وهى مناطق طالما هفا اليها فؤاد الامبراطور وكم راودته

....

(1) Thompson & Johnson, op. cit. PP. 46 - 47.

اتناسيوس بعده على الكرسى ففرحوا بذلك لمحبتهم له، فلما جلس على الكرسى الرسولى اخرج شيعة اريوس من البيعه(*)، واخرج الحرم الذى فى خط قسطنطين الملك واهل المجمع المقدس وقراه فى البيعه على الجماعه، فلما سمع اريوس بذلك غضب جدا والتهب شيطانه كالنار ومضى الى الملك وقال له: ان قبلنى الاكسندروس بطرك القسطنطينيه بامرك بلغت غرضى. فدعاه الملك وقال: هو دا بطرك اسكندريه قد امتنع من قبول

(*) أى حرمهم من الكنيسة واعتبرهم من الخارجين عن الدين.

آمال هدوء وسلام آمل أن يجدها هناك، ومن ثم فقد أراد الامبراطور أن يحسم الامر دفعة واحدة بهذا المجمع الذى يضم هذا العدد من رجال الكنيسة فى الشرق والغرب، ولعل هذا بين فى خطاب قسطنطين الذى وجهه الى أعضاء المجمع، يقول:

«أحسست وخزا فى روحى، وبدا لى أن الأمر ليس بقليل فى الأهمية، ومن ثم فقد حدتنى الرغبة فى تقديم حل لهذا الشر، وعليه فقد دعوتكم للحضور، وانى أشعر بارتياح عظيمم وأنا أشهد مجمعكم، لعلى يقين بان آمالى ستغدو حقيقة اذا قدر لى أن أرى وحدة قراركم»[١].

ثم ها هو قسطنطين يبتهل الى الاساقفة آمرا أن يجدوا طريقهم على الفور الى الوحدة والوئام قائلا:

«يا رفاقى الاعزاء.. يا رجال الله، يا أتباع من هو سيدنا والمخلص.. بالله لا تتباطأوا.. لا تتوانوا، لتبدؤن على التو فى نبذ دواعى فرقه شاعت بينكم، ولتمحون ركائز جدالكم، وما ذلك الا بأن تحتضنوا أغصان السلام، فان فعلتم كنتم فى ذات الوقت تسلكون طريقا رضى عنه الرب العلى، وتقدمون لشخصى فضلا كبيرا.. أنا وليكم والصفى[٢].

(1) EVSEB. vita Const. III. 12.

(2) Id.

اريوس وخـالفنا وانت تعلم اننا اقـمناك واجلسناك بطركـا على كـرسى القـسطنطينيـه ويجب ان لا تخـالفنا كـغـيـرك وانت طيب وتاخـد اريوس اليك وتقبله. قال له البطرك: ان البيعه لا تقبله ولا يجب ان نقبل الا من هو موافق لامانتها، وهذا [اريوس] قد جعل الثالوث مخلوقا وقد ابعد من البيعه بحق. قال له الملك: لا يفعل بل هو معترف بالثالوث قال له البطرك: فيكتب لى خطه بامانته حتى اعرفها. فـاحـضـره الملك، وكـان ذلك شـيـا من الله تعـالى،

أراد قسطنطين بجمع هذا الحشد من الاساقفة، بناء على دعوته، أن يثبت سلطانه فوق الكنيسة وأن يظهر للرعية المسيحية مدى حرصه على العقيدة وحدبه على تخليصها من أية شائبة، وذلك شئ نلمسه فى رسالته التى دعا فيها الأساقفة لهذا المجمع حيث أبدى رغبته الأكيدة فى الاشتراك فى المناقشات الجدلية العميقة وأصر على متابعة أعمال المجلس[1] رغم عدم المامه بالمسائل الكريستولوجية التى يدور الجدل حولها كما وقفنا على ذلك من رسالته الى اسكندر وآريوس.

على أية حال فقد كان مجمع نيقية فى حد ذاته مظاهرة دينية قصد بها الامبراطور اعلاء شأوه وبسط نفوذه على الكنيسة المسيحية ورجالها، فكما كان الامبراطور فى الدولة الرومانية هو الكاهن لاعظم Pontifix Maximus وهو لقب لم يتخل عنه قسطنطين، فقد أراد بالتالى هنا أن يغدو رجل المسيحية الأول الذى اختارته العناية الالهية ليقر على الأرض السلام، وليمجد الرب فى الأعالى!!

ولم يقف دور قسطنطين عند حد ارسال دعوته الى الاساقفة وحسب، بل تخطاه الى التكفل بنقل المدعوين الى نيقية، فسمح للبعض باستخدام وسائل النقل العامة، وأمد البعض

....

(1) EVSEB. vita Const. III, 6.7.

وكتب خطه بالامانه وهو يضمرخلافها فى نفسه.
ثم استحلفه البطرك، ان ما بقى فى نفسه شك
منها. فحلف له. فقال الملك للبطرك: اى شى تبقى
لك عليه بعد هذا؟. فقال الاب الاكسندروس
بطرك القسطنطينية للملك: ان الاب اتناسيوس
بطرك اسكندريه قد جدد قراة [قراءة] حرم اريوس
المكتوب بخط الملك قسطنطين ابيك المغبوط
وخطوط جماعة نيقيه باسكندريه ونفى شيعته من
بيعته، فان لم يجر على اريوس هذا شى من الافات

الآخر بالخيول اللازمة لسفرتهم حتى لا يشعر رجال الله بضائقة أو مشقة[١]. ولبى الجميع الدعوة وارتحلوا الى هناك يحدوهم جميعاً الامل فى نتائج طيبة يمكن أن يسفر عنها هذا الاجتماع[٢]. ومثل فى المجمع أساقفة من سوريا وكيليكيا وفينيقيا وبلاد العرب وفلسطين ومصر وطيبة وليبيا وميزوبوتاميا وآسيا وفريجيا وجالتيا وباميفايا وكبادوكيا ومقدونيا وأخايا وابيروس وتراقيا واسبانيا، وكما حضره مندوبون من فارس وسكيثيا وبونطس. أما سلفستر أسقف روما فلم يحضر وأرسل فيتو Vito وفيكينتيوس Vicentius مندوبين عنه[٣]، ويذكر سقراط أن قسطنطين دعا الى الاجتماع أكسيوسAcesius أسقف النوفاتيين[٤]، ويضيف أن أحدا قبله لم يذكر هذه الواقعة ولا حتى يوساب نفسه، ويقول انه تلقاها عن رجل طاعن فى السن كان على مقربة من هذه الأحداث[٥].

---

(1) Ibid. 6.

(2) Id.

(3) SOCRAT. hist, eccl. I, 13; SOZOM, hist. eccl. I, 17.

(٤) نسبة الى نوفاتيانوس Novatianus أحد رجال الكنيسة المتطرفين فى روما، الذى ناصب كورنيليوس Cornelius أسقف روما فى خمسينيات القرن الثالث، العداء، للخلاف حول قبول المارقين زمن الاضطهاد ثانية فى الكنيسة، ويطلقون على أنفسهم المتطهرين، شأن الدوناتيين فى أفريقيا والمليتيين فى مصر، وكان سقراط المؤرخ يميل الى هذه الطائفة.

(5) SOCRAT. hist. eccl. I, 10.

من اليوم الى يوم الاحد فأنا اقبله واستدعيه للشركه مع الكهنه. فخرج اريوس وكان منتظرا ليوم الاحد. فلما كان يوم الاحد دخل الى البيعه وقد لبس ثيابا فخره تعطر وتطيب وجلس عند باب الاراديون فى طقس الكهنه، وكان البطريرك ومن معه قد اقامو الجمعه لكها صياما قياما بين يدى السيد المسيح يسألونه ان لا يحسب عليهم خطيه اريوس، لان الملك كان قد اقسم له ان لم تقبل اريوس يوم الاحد بعد يمينه لاخسرن البيعه

ويختلف المؤرخون فى عدد أساقفة المجمع، فيذكر يوساب[١] أنهم حوالى ٢٥٠ أسقفا، على حين يحددهم سقراط بـ ٣٠٠ أسقف [٢]، أما سوزومين فيقول أن عددهم كان ٣٢٠[٣]، ويخبر أثناسيوس أنهم كانوا ٣١٨ أسقفا [٤] وان كان عددهم عند ثيودوريت يصل الى ٢٧٠[٥] ربما كان هذا التفاوت راجعا الى تعمد هؤلاء، وكلهم للآربوسية عدو، اغفال ذكر أسماء الأساقفة الاريوسيين وان كان الشائع أن عددهم ٣١٨ أسقفا [٦]. وكان أغلب الحضور يمثل أساقفة الكنائس الشرقية أما كنائس الغرب فلم يتجاوز عدد مندوبيها الثمانية. وقد شهد مجمع نيقية عدد من الشخصيات البارزة من رجال الدين فى الشرق على غرار اسكندر أسقف الاسكندرية وشماسه أثناسيوس الذى نال شهرة فائقة نتيجة حواره مع الاريوسيين، ويوساب أسقف قيسارية، ويوساب الأسقف النيقوميدى، ويوستاتيوس أسقف أنطاكية، وماركللوس أسقف أنقرة، ومكاريوس أسقف أورشليم[٧].

---

(1) EVSEB. vita Const. III, 8.
(2) SOCRAT. hist. eect. I. 8.
(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 17.
(4) ATHANAS. hist. Arian. 66.
(5) THEOD. hist. eccl. I, 7.
(6) Duchesne, ip. cit. II. 144.
(7) SOCRAT. hist. eccl. I. 13; SOZOM. hist. eccl. I. 17.

مالا كثيرا. فلما اجتمعو الكهنه والشعب في ذلك
اليوم في البيعه واريوس حاضر اهتم الاب البطريرك
بالقداس وهو حزين، فلما قرا القارى تحركت احشا
اريوس عليه فمضى الى زاويه بالبعد يتغوط فنزلت
جميع امعاه [أمعاءه] وكلما في جوفه بره. ولما
غاب عنهم سالو عنه فلم يجدوه ففتشو عليه
فاصابوه وهو قاعد جامدا فارغا خاويا يابسا وكل
ما كان في بطنه قاعد قدامه، فاعلمو الاب
البطريرك بذلك فتعجب منه وسكت وشكر الرب

ويرسم سوزومين صورة حية لما كانت عليه الحال في نيقية عندئذ، ويحدثنا حديثا شيقا عن أولئك الأساقفة شهود المجمع، فبعضهم تحنى له الهام تقديرا لعلمه وفصاحته ووعيه للكتاب المقدس، وبعض ثان تعرف في وجوههم مسحة الزهد وجلال الخشوع، وثالث مع هذا كله، ومن الرجال من مهر في الجدل وبرع في النقاش. ولكن هذا لم يحل دون ارتحال بعض الاساقفة الى هناك لقضاء حاجياته وشئونه الخاصة بعد أن وجدها فرصة سانحة ليتخلص من حيف نزل به أو ظلم آلمه، وغيرهم راح يتلمس أخطاء الآخرين ليقدمها في شكاية الى الامبراطور طالبا منه العدل والقصاص[١].

وفي ٢٠ مايو ٣٢٥ التأم عقد المجمع[٢]، ويصور يوساب اللحظات التي سبقت دخول الامبراطور القاعة ثم تلك اللحظة الحاسمة التي «شرف فيها قسطنطين جموع الحاضرين بمقدمه بكونه رسول السماء». ويمضي المؤرخ الكنسي بعد ذلك يخلع صفات التمجيد على امبراطوره [٣]. ويرسم صورة لأولئك الجلوس الذين أحاطوا به، والذى كان هو أحدهم، ثم يقول ان الاسقف الذى كان يحتل المكان الرئيسي عن يمين الامبراطور نهض وخاطبه شاكرا

(1) SOZOM. hist. eccl. I. 17.

(2) Hefele. op. Cit. I. 1. PP. 416 - 419; Palanque - Bardy .

(3) Labriolle. op. Cit. III. 10.

يسـوع المسـيح ومـجـده الذى حكـم على اريوس
واهلكه عاجـلا لجل [لأجل] يمينه الكاذبه وامـانتـه
الفـاسـده. فـاظهر للملك والجمع جميع صحـة ما
قاله الاب بطرس الشهيد بطريرك اسكندريه، فتمم
الاكـسندروس بطريرك القـسطنطينيـه القـداس فى
ذلك اليـوم بفـرح ومـجـد وتهليل وارسل [الاب].
اتناسـيوس بطريرك الاسكندريه يقـول نحن نمجـد
الله ونعلمك ايها الاخ ان اريوس مات موتا عـجيبـا
وانقطعت مقالته وتبددت شيعته. ولم يكتف الملك

حسن صنيعه الذى اسداه للدين القويم، مثنيا على فضائله وعظيم خلاله وسجاياه [1]. وعلى الرغم من أن يوساب لم يفصح لنا عن شخص ذلك الأسقف، الا أنا نعلم من سوزومين أنه لم يكن سوى يوساب نفسه[2].

انتهى يوساب من القاء كلمة الافتتاح والترحيب بالامبـراطور، فظلت القاعة برهة من الصمت تعلقت فيها كل العيون بالامبراطور الذى ما لبث أن قطع هذا السكون وراح يردد فى نغمة هادئة:

«أعزائى.. لكم داعبنى الأمل منذ أمد أن أحظى برؤياكم والكل متحد. والان وقد تحقق الأمل، أشعر لزاما على أن اتقدم بالشكران لاله الكون، فقد أنعم على بخير جديد، ، ومنحنى من البركات ما فاق ما سبق، فها أنذا أشهدكم وقد جمعكم على الوحدة وئام عاطفة واحدة. الى الله ابتهل أن يكف أيدى السوء والفحشاء عنا وان لا يسمح لخصم أن يعكر صفو سلام بلدنا السعيد واليه أضرع بعد أن زالت بيد الرب مخلصنا، بغضاء الطواغيت الآثمين، الا تقدم نفس أمارة بالسوء تحيك المؤامرات الدنيئة من أجل تعريض شريعة الله للتجديف والزيغ. فالصراع الداخلى فى الكنيسة ـ يعد فى رأيى ـ أشد خطرا من أى حرب أو نزاع . ان

(1) Ibid. 11.

(2) SOZOM. hist. eccl. I, 19.

بذلك لاجل اصـدقـا [ء] اريوس وهم سـوريانوس
وجرجيوس ومن معهما هولا الذين وثبو على بيعة
اسكندرية، وذلك أن الملك دفع لجرجيوس خمس
مـايه فـارس من جنده وانفـدهم معـه ليـصيـروه
بطركـا على اسكندريه. وكـتب كـتبـا الى كل
مدينه وكرر فيها كلام اريوس ان ابن الله مخلوق،
فلم يقبله احد في ارض مصـر. وكانوا يتقـربون
من قسـوس [قساوسه] كـان اتناسيوس اوسمـهم
فـدخل هذا جرجيـوس الى بيعـه اسكندريه بحيلة

خلافاتنا هذه تبدو لى أكثر فاجعة آذا ما قورنت بأى شكل خارجى ، وعليه لما كنت بمشيئة الرب وعونه قد قهرت الاعداء، قدرت أنه لم يعد باقيا الا ان أقدم فرائض الشكر لله والثناء، وأشارك بهجة هؤلاء الذين رد اليهم الله الحرية بى»[١].

ثم راح يحدثهم بعد ذلك عن الأسباب التى حفزته الى توجيه الدعوة اليهم للاجتماع، وأمله الكبير فى أن تلتقى آراؤهم على قول واضح لا خلاف عليه، حتى تتحقق الوحدة ويسود السلام. ورغم أن الحضور كان جلهم من الشرق الذى يتحدث اليونانية، الا أن الامبراطور القى كلمته باللاتينية.

ويبدو هذا أمرا طبيعيا وقلة المامه باليونانية وذلك شئ نعلمه من يوساب وسوزومين[٢]. وان كان المؤرخ جونز يعلق على ذلك بقوله ان قسطنطين فعل ذلك لا لجهله باليونانية ولكن لأنه وجدها الفرصة السانحة ليؤكد رسمية اللاتينية كلغة للامبراطورية[٣]. خاصة وأن اليونانية كانت عندئذ لغة الكنيسة[٤].

(1) EVSEB. vita Const. III, 12.

(2) EVSEB, vita Const. III, 13; SOZOM. hist. eccl. I. 20.

(3) Jones. Constantine. p. 156.

(4) Davis, op. Cit. p. 18.

وقتل بيد الجند الذين جاو [جاءوا] معه خلق كثير من الشعب المسيحى الذى على رأى اتناسيوس حتى انتهى الدم فى البيعه الى الركب، ونهبو انية البيعه وافسدو العذارى اللاى [اللائى] كن فيها. وكان اتناسيوس مخفيا.

واقام الناس زمانا طويلا يتقربون فى المغاير والبرارى والحقول فى جميع اعمال مصر كلها الى الصعيد. وكانو الاريوسيون اصحاب الملك قد انتشرو فى كل مكان، وكان سرابيون اسقف

أعطى قسطنطين بنهاية حديثه اشارة البدء لرجال الكنيسة فى عرض قضاياهم، ولكنهم بدلا من أن يبحثوا بداءة ما لأجله دعوا، راح بعضهم يكيل للآخر الكثير من الاتهامات. واستحالت القاعة الى ميدان يتبارى فيه المتخاصمون[1]، فوقف الامبراطور بذلك على حقيقة ما كان يتمنى رؤياها، ووضح له أن أمل وحدة الامبراطورية عقيديا ليس بالسهولة التى طواها به سياسيا وعسكريا.

ومرت الأيام والامبراطور يشهد كل يوم مزيدا من هذه الشكايات، فلما هاله ما رأى حدد يوما و أمر بالاتهامات وردودها فجئ بها، ثم راح يتفرس وجوه الحاضرين مخاطبا ضمائرهم وعقولهم قائلا:

«ترى.. ما كل هذا؟! ذاك شئ يؤتى به يوم الدينونة للعرض والحساب يفصل فيه القاضى الأعظم.. أما أنا فلست الابشرا مثلكم. وانه لشر لى أن تشملنى فى كل الأمور صلاحية، فما بالكم وكل الخصوم رجال الله !! ما كان لهم أن يقفوا واياهم طرفى نقيض، فلتقتدوا بالمحبة السماوية ورحمة الرب، وليحل بينكم الوئام، اذن.. لنطرح على التو شكاياتنا، ولنعط كل اهتمامنا لشئ من أجله جئنا. ذلكم هو الايمان»[2].

---

(1) SOZOM. hist. eccl. I, 17.

(2) Id.

تمى(*) يكاتب البطرك اتناسيوس وجميع الشعب ان يتحفظوا من الايروسيين.

وبعد ست سنين ظهر اتناسيوس ومضى الى الملك ظنا منه انه يقتله فياخذ اكليل الشهاده، فامر الملك ان يحمل فى مركب صغيره ولا يعطى خبزا ولا ما ولا يكون معه ملاح ولا احد يدبرها، بل ينزل فيها وحده ويطلق فى البحر، ففعل به ذلك وسارت به الامواج والله حافظه ومدبره حتى وصل الى اسكندريه فى اليوم التالت بغته، فخرج اليه

(*) تمى: غالبا تمى الامديد مركز السنبلاوين/ دقهلية. وربما تمى المندثرة من مقاطعة الجيزية.

وعليه فقد أصدر الامبراطور أمرا فجمعت حصيلة الأيام من الاتهامات وأطعمت بها النيران[١].

تفرغ المجمع بعدئذ لمناقشة موضوع العقيدة، ومحاولة التوصل الى صيغة للايمان ترضاها الكنيسة كلها، وعقدت اجتماعات جانبية عديدة دعى اليها اريوس ليوضح عقيدته، وراح كل فريق يعرض حججه وأسانيده، ولكنها لم تسفر عن شئ سوى شهرة اكتسبها بعض الشخصيات منها أثناسيوس السكندرى[٢]. وعادت حمى الجدال والنقاش من جديد تسرى بين أعضاء المجمع. ويمتدح يوساب صبر الامبراطور وسعة صدره لتحمل هذا الفريق أو ذاك. مثنيا على أولئك الذى أحسنوا الحديث، مستهجنا من أبدى ميلا للعناد والمهاترة، وقد أخذ نفسه بالشفقة والرحمة على كل فرد، بل انه قاد أحيانا أشد المتخاصمين وأعتاهم الى التسامح والوئام، وتمكن ببشاشته التى كان يوجه بها حديثهن الى الجميع، أن يظهر بصورة جذبت اليه أفئدة الحضور وازداد حبهم له وتعلقهم[٣].

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 8.

(2) Id.

(3) EVSEB, vita Const. III, 13.

الكهنه وتلقوه بالفرح والقراه [القراءه] الى ان دخل البيعه واخرج منها جرجيوس ومن يعتقد امانته الفاسده، وصنع اتناسيوس فى ذلك اليوم عيد للرب وفرح الشعب فى أعمال مصر كلها.

ومن بعد سبع سنين وصل انسان اسمه اغريغروريوس ومعه الفا رجل من الجند ونهب البيعه واقام اربع سنين اخذ اتناسيوس وسلمه الملك لرجل اسمه فليغريوس كافر وثنى فأراد قتله وقتل ليباريوس [انباريوس] بطريرك رومية وديونوسيوس

أما ما دار فى المجمع وما تمخض عنه، فلنترك الحديث لشيخ مؤرخى الكنيسة يوساب يروى ذلك. كما رواه من قبل لأهل بيعته فى قيساوية فى رسالته التى بعث به اليهم ابان انعقاد المجمع يقول: «لعله قد نمى الى علمكم من مصادر آخرى ما تقرر بشأن ايمان الكنيسة فى مجمع الأساقفة العام فى نيقية. فصيت جليل الأعمال يسبق الرواية عنه. ولكن خشيتى من تسرب شائعات لا تتفق والصدق، قدرت لزاما على أن أوافيكم أولا بصيغة الايمان التى عرضناها، وأثنى بتلك التى نشرت مع الاضافات التى أدخلت على دستورنا، وفيما يلى سأتلو عليكم ما قرأته فى حضرة امبراطورنا الورع، والذى قيل عنه انه على الحق المبين. ذلكم قانون ايماننا.

«وفق ما تعلمنا بادئ ذى بدء، وما لقنا وقت العماد وما تلقينا عن أساقفة سبقونا، وما علمنا من الكتاب المقدس وفق ما يؤمن به القسيسون والأساقفة وبه يبشرون، نؤمن نحن، ونفصح على الأساس عن ايماننا.. نؤمن باله واحد. أب قدير. خالق كل شئ. ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، كلمة الله.. اله من اله. نور من نور. حياة من حياة. الابن الوحيد المولود. أول من ولد دون سائر الخلائق، مولود من الأب قبل كل الدهور. كل شئ به كان، الذى من أجل خلاصنا تجسد، وعاش بين البشر، تالم وقام فى اليوم الثالث، وصعد الى الاب وسيأتى ثانية فى مجده ليدين الأحياء والأموات، نومن بالروح القدس الواحد. نؤمن

---

٢٠ : اتناسيوس ٣٧٣/٣٢٦

بطريك انطاكـــيـــه هولا الذين هم ابا الامـــانة
الارتدكسيـه فـانقـذهم الرب من يده وخلصـهم،
فمضى اتناسيوس مع ليباريوس الى روميه فلم يزل
عنده الى ان مات قسطنطيوس وملك ابنه قسطس
بعده. وكان ارتدكسيا، فساعة جلوسه امر باعادة
اثناسيوس الى كرسيه.

وكان فى ذلك الزمان كيرلس بطريرك اورشليم
وظهر على يده اعجوبه عظيمه، وذلك ان عمود
نور ظهر على قبر السيد المسيح مخلصنا، وشاهده

بوجـود ودوام كل ذلك.الآب فى الحق هو الآب، والابن هو الابن، والروح القـدس هو الروح القدس. كما فعل سيدنا حين بعث تلاميذه ليبشرا بالانجيل قائلا: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨ / ١٩).

نحن مستمسكون بالايمان هذا، وعليه نحيا ونموت، لاعنين كل هرطقة دنسة، ونشهد الله القدير وربنا يسوع المسيح، ا ننا كنا نعتقد هكذا بملء قلوبنا وبروحنا منذ وعت نفوسنا ذواتنا، ونملك من الأدلة ما يريكم بل ويقنعكم أنا بهذا أمنا وكرزنا.

«عندما أفصحنا عن هذه العقيدة، لم يكن هناك من يفندها، بل ان امبراطورنا الحبيب نفسه كان أول الشهود على صدق ايماننا، وتوافقت معها آراؤه، وراح يحث الآخرين على التوقيع عليها وقبول كل ما احتوته من عقيدة على أن تضاف اليها عبارة واحدة هى «من نفس الجوهر» «الهوموسية "Homoousius" (Consubstantial) وأوضح الامبراطور أن هذه الاضافة لاتعنى أية صفات جدية أو تحول، لأن الابن لم يشتق وجوده من الآب بانقسام أو انبثاق، ذلك أن الطبيعة اللامادية المجردة اللاجسدية لا يمكن بحال أن تخضع لصفة جسدية أو تحول، تلك أمور ينبغى ادراكها باعتبارها تعاليم علوية خفية، على هذه الشاكلة حاج امبراطورنا التقى الحكيم. وقد أسفرت اضافة عبارة «من نفس الجوهر» عن ايجاد الصيغة التالية:

جماعه من الروم وكل من فى المدينه وما يجاورها حضروا وشاهدوه، ومكث من الساعه التالتة الى التاسعه والناس يسعون الى نظره من كل مكان، وكتب كيرلس الى قسطنطيوس الملك فعلمه بهذه العجوبه.

وكان الملك يحب اتناسيوس. لما عاد [اتناسيوس] الى كرسيه اقام خمسا وعشرين سنه فى هدو وسلامه وكان له قبل ذلك فى الكرسى اتنان وعشرون سنه فى النفى والجهاد والاضطهاد.

تؤمن باله واحد. الله الاب. ضابط الكل. خالق السماء والأرض مايرى وما لا يرى، نومن برب واحد يسوع المسيح، المولود من الاب قبل كل الدهور. نور من نور. اله حق من اله حق. مولود غير مخلوق. مساو للاب فى الجوهر. الذى كل شئ به كان. هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى. تالم وقبر وقام من بين الاموات فى اليوم التالت كما فى الكتب. وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه، وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه انقضاء».

وعندما سجلوا هذه الصيغة لم نتركها دون فحص فى جزئها القائل بأن الابن من نفس جوهر الآب وبرزت مساءلات ونقاش، وبحث بدقة تامة مضمون هذا القول وعليه فقد اقتيدوا للاعتراف بأن عبارة «من نفس الجوهر» تعنى أن الابن من الاب، وليس جزءا منه، ومن ثم فقد رأينا من الصواب تقبل هذا الرأى حبا فى السلام، وخشية الانحراف عن قويم الايمان. ولنفس العلة قبلنا عبارة «مولود غير مخلوق» فقد قالوا ان كلمة مخلوق تنسحب على سائر الخلائق، ولا يصح أن يكون الابن شبيها بها ، وعلى هذا فهو ليس بشئ مخلوق، ولكنه من جوهر أعلى عن كافة الخلائق. والكتاب المقدس يعلم بأنه مولود من الآب بطريقة يصعب ادراكها ولا يمكن التعبير عنها لبنى البشر. ونفس الشئ يخص عبارة «من نفس الجوهر مع الاب» وعندما

٢٠ : اتناسيوس ٣٧٣/٣٢٦


يوليانوس [چوليان المرتد]

ومات قسطس وملك بعده يوليانوس [چوليان] الكافر الرومى الوثنى، وكان ابن اخت قسطنطين الملك الكبير فبدا من ساعته بفتح البرابى. وكان بانطاكيه مقيما لنه [لأنه] لم يستحق ان يكن فى مسكن العظيم قسطنطين. ومضى الى موضع الاوثان واخذ صقرا دفعه لكاهن الاوثان فقربه للشيطان واخذ هو قلبه فاكله. وكان له ابن اخت اسمه ايضا يوليانوس كافر مثل خاله فاخذ القس تاوضوريتس المومن فقتله، وجا الى خاله

- -

فحصنا ذلك قبلناه لا على معنى اتصاله بالجسد أو مشابهته بالكائنات الفانية، وقد اتضح أيضا أن هذا لا يعنى انقساما فى الجوهر أو انبثاقا أو تحولا أو تغييرا أو تضاؤلا لقدرة الاب، فذلك كله غريب عن طبيعة الغير مولود. ولقد استقر الرأى على أن القول بعبارة «من نفس الجوهر مع الاب» تعنى أن ابن الله لايشبه، بأى حال من الأحوال المخلوقات التى جبلها، ولكنه بالنسبة للآب، الذى ولده، مثيل له تماما فى كل شئ لأنه من جوهر وفحوى الاب. وبعد أن أعطى هذا التفسير للعقيدة، بدا لنا صواب موافقتنا عليه، خاصة وأننا ندرك أن القدامى من مشاهير الأساقفة والكتبة، قد استعملوا عبارة «من نفس الجوهر» للتدليل على الوهية الاب والابن.

«وتلكم هى الظروف التى رأيت لزاما على ابلاغكم اياها حول الصيغة التى نشرت عن الايمان، ولقد وافق عليها جمعنا بعد تمحيص وفحص للآراء دقيق فى حضرة امبراطورنا الحبيب. ومن أجل الدواعى التى سبق لنا ذكرها قبلنا جميعا هذه الصيغة، لانها تحرم استخدام الالفاظ التى لم ترد فى ا لكتاب المقدس، والتى بسببها قام النزاع والشقاق داخل الكنيسة، وحيث أن الكتاب المقدس أو ماهو من شكلها، بدا لنا عدم معقولية تداول هذه العبارات، واقتناعا بهذا الرأى، رأينا صواب الموافقة لاننا لم نسمع من قبل ولا اعتدنا مثل هذه التعبيرات.

واعلمه بقتله فغضب عليه وقال له: ما كنت اريد ان تقتله لان النصارى يفتخرون اذا قتلو ويقولون انهم قد صارو شهدا، لكن انا اقرر ان عدت من قتال الفرس ان يوخد من كل واحد من النصارى تلت اواق بقطا(*). يريد بهذا ان يضيق على النصارى حتى يعبدو اوثانه لانهم لا يقدرون على البقط.

(*) البقط: هو الغرامة والضريبة.

وكانت البيعه يوم اذ [يومئذ] غنيه ولها اربعة اعمده يحملونها وهم اتناسيوس البطرك

وزيادة على ذلك فان ادانة القول بأن «الابن لم يكن قبل أن يولد» لم يرد عبارات من قبيل «من العدم» و«وكان هناك وقت الابن فيه لم يكن» لاتبدو متضمنة عدم تناسب أو ملاءمة، فالجمع متفق على حقيقة أنه ابن الله قبل ولادته بالجسد. ولقد راح امبراطورنا محبوب الرب يفسر أصل الابن الألهى ووجوده قبل كل الدهور، لأنه بحق كان فى الآب دون توالد حتى قبل ولادته، فالآب دوما هو الآب. تماما كما أنه على الدوام الملك المخلص، وبحق هو كل شئ لم يعتوره تغير أو تبديل»(١).

هذه صورة لما دار فى المجمع النيقى المنعقد فى مطلع القرن الرابع للبحث عن قانون للايمان القويم ترتضيه الكنيسة الجامعة، ونعلم من أثناسيوس (٢) أيضا أن مسألة الاتفاق على صيغة لهذا القانون لم تكن سهلة ميسرة. فقد طلب بداءة الى الفريق الاريوسى أن يعرض آراءه، ولما تم ذلك تولى الأساقفة المعارضون الرد عليها وشجبها، واستغرق ذلك فترة من وقت المجمع ليست بالوجيزة، وبعدها راح المؤتمرون يناقشون حول الصيغة التى يبتغونها حتى توصلوا اليها على النحو الذى اعلمنا اياه يوساب.

---

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 8; THEOD. hist, eccl. I, 11.

(2) ATHANAS. de decr. II, 3.

وانطونيوس وبخوم الراهبان بمصر، وباسيليوس اسقف قيساريه كبادوكيه. وكان ليواريوس بطرك روميه، وباسيليوس المذكور كان صديقا ليوليانوس الملك وتربى معه فى المكتب [المدرسة]، فلما سمع مقالته الرديه اخذ اسقفين معه ومضوا اليه فتامل لباسهم ولحاهم ثم قال لهم : ماذا تطلبون؟ قالوا: نطلب راعيا جيدا يرعانا. فقال لباسيليوس: اين خليت ابن النجار وجيت [جئت] الى هاهنا؟. قال له باسيليوس: تركته يعمل تابوتك ليجعلك

يتضح من رسالة يوساب أن أهم نقطتين للخلاف بين الفريقين انحصرت فى مساواة الابن بالآب فى الجوهر والأزلية، فهذه تمسك بها مناهضو الاريوسية التى أصر أتباعها على القول بأن الابن مشابه للأب فى الجوهر «الهومويوسية» Homoiousius وليس مساويا له فى الأزلية لأن الرب سابق عليه فى الوجود وهناك فترة لم يكن فيها الابن[1]. والثانية القول بالخلق أو الولادة. فالآريوسيون لم يفرقوا بين كلمتى مولود ومخلوق، فهم يستخدمون اللفظتين للتعبير عن نفس المعنى، وتلك حقيقة تلمسها من رسالة يوساب القيسارى الى أهل بيعته، ففى قانون ايمانه الذى قدمه الى المجمع النيقى لم يذكر شيئا من هذا القبيل، ولكنا وجدنا عبارة «مولود غير مخلوق» قد احتواها قانون الايمان النيقى، ويذكر يوساب بعد ذلك أن المجمع ارتأى وضع هذه العبارة معللا بأن كلمة مخلوق تنسحب على سائر الأشياء التى خلقت بالابن، ولا يصح أن يكون الابن شبيها بها، وعلى هذا فهو ليس شئ مخلوق شأن ما خلقه بيده، ولكنه من

---

(١) من الطريف أن هذا الخلاف العقيدى بين الفريقين، ينحصر لغويا فى حرف اليوتا "i" اليونانى فالمساواة فى الجوهر «الهوموسية Homoousius» التى أقرها مجمع نيقية، اذا ما ادخلنا عليها حرف "i" تحولت الكملة الى ا لفريق المضاد لتعنى «لتشابه فى الجوهر» الهومويوسية Homoiousius». وان كانت هذه الأخيرة لم تأخذ حظها من الذيوع والانتشار الا فى عهد الامبراطور قسطنطيوسConstantius (٣٣٧ ـ ٣٦١) ابن قسطنطين، عندما أصبحت العقيدة الرسمية لاحدى الفرق التى تشعبت اليها الآريوسية فيما بعد، والتى أصبحت تعرف باسم أنصاف الآريوسيين Semi - Arians.

فيه. قال له الملك: لو لا انك صديقى ولك عندى محبة لضربت الساعه رقبت. قال له باسيليوس: اليس قد كنت محبا للعلم مشتهيا له فكيف تركت الحكمه. قال له الملك: قرائتها وحفظتها ورذلتها. قال له باسيليوس: ما قرائتها جيدا ولا حفظته ولو عرفتها وحفظتها ما رذلتها. قال له الملك: الواجب ان اعتقلكم الى ان اعود من قتال الفرس فتنظرو ما يكون . قال له باسيليوس. ان مضيت وعدت ما تكلم الله فى. قال يوليانوس

جوهر أعلى عن كافة الخلائق[١]. أما الفريق الآريوسى فلا يفرق فى المعنى بين هذه وتلك، وذلك واضح من قول آريوس حيث يذكر «انه قبل أن ولد أو خلق.. لم يكن»[٢].

على أن الذى يعنينا من رسالة يوساب وكتابات المعاصرين ذلك الدور الذى لعبه الامبراطور فى المجمع، فقد أسلفنا أنه أمسك بدفة المناقشة يديرها يستحسن ويستهجن ، ويؤيد هذا ويعارض ذاك ، وكان من قبل قد دعا الحضور الى سحب شكاياتهم ثم أمر بحرقها جميعها، الى هذا الحد يمكن مجاراة قسطنطين فيما قام به، أما أن يتدخل الامبراطور فى شأن العقيدة ذاتها بالاضافة أو الحذف، فذلك شئ يدعو للتساؤل حقا، اذا كان الامبراطور قد سمح لنفسه أن يفعل هذا، فكيف تسمح له الكنيسة اذن أن يقدم على ذلك؟!

لقد وقفنا على عدم المام الامبراطور بأمور العقيدة من رسالته التى بعثها الى اسكندر وآريوس منذ عدة أشهر، وبينما هو ينعت نقاط الجدال بالتفاهة، اذا به يترأس مجمع الأساقفة ويوجه المناقشة، ثم يقترح أيضا نصا فى جوهر العقيدة، يصبح أحد عمد قانون الايمان القويم بعد ذلك، والكنيسة به معتزة له حافظة ! لقد علمنا أن حقيقة الخلاف بين الآريوسيين وخصومهم كامنة فى مساواة الابن بالآب فى الجوهر أو عدمه، ولما عرض يوساب قانون ايمان بيعته، جاء

---

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 8.

(2) THEOD. hist. eccl. I, 4; Lietzmenn, op. cit. p. 109.

الملك: مـاذا اصنع بهـذا الجليلى الكذاب القـايل ساهدم الهيكل الذى هو بنا [بناء] اليهـود، وابنيـه بنا الملك ويظهر لكل احد ان قوله لا يبنى كذب.

ثم انه طرح باسيليوس والاثنين اللذين معه فى الاعـتـقـال، وسـار الى بلاد الفـرس وعـبـر على يروشليم وراى الهـيكل قـد خـرب ولم يبق فـيـه حايط قايم، لانه كان اسباسيانوس الملك قد اخربه لما اهلك اليـهـود وسـباهم وامـر [يوليـانوس] ان يكنس ويبنى جـديدا. وسـار يوليـانوس المذكـور بعد

خلوا من هذه العبارة، ورغم لك فقد ارتضاها الجمع وشهدوا بأرثوذكسيتها، وراح الامبراطور يحثهم على تعضيدها مقترحا فى نفس الوقت اضافة عبارة «من نفس الجوهر» وتلك نقطة على جانب من الأهمية كبير، ذلك أن وثيقة هامة يرتكن اليها أعداء الآريوسية أعنى رسالة اسكندر السكندرى الى زملائه الأساقفة، لم تتضمن شيئا من هذا القبيل، كما أن رسالته الى سميه البيزنطى لم تحوها. يضاف الى هذا أيضا أن مجمع أنطاكية المنعقد سنة ٣٢٤ تحت رئاسة هوسيوس الأسقف الأسبانى، ولم يشر الى هذا النص فى قليل أو كثير. وان كان الحزب المعادى للآريوسية يمتلك سببا وجيها لتجنب مثل هذا القول، فديونيسيوس Dionysius الكبير أسقف الاسكندرية خلال اضطهاد دكيوس Decius وفاليريان Valerianus كان قد رفضها صراحة أثناء محاوراته مع بعض أساقفة ليبيا، ولو أنه احتراما لسميه أسقف روما اضطر أخيرا لقبولها، وان كان قد فعل ذلك على كره منه وبتحفظ شديد[١]. ويقول جونز انه اذا كانت الهوموسية مكروهة تماما فى الشرق لدى عدد كبير من المثقفين، فأنها كانت مقبولة فى الغرب الغير فلسفى لمدة تزيد على قرن. وقد رأينا البابا ديونيسيوس يضطر الأسقف السكندرى للموافقة، ولو مع التحفظ، على هذا المصطلح[٢].

(1) Hefele. op. cit. I. 1. 342 - 346. Jones. Constantine, p. 161; Lietzmenn. op. cit. PP. 95 - 99; Duchesne, op. cit. II, p. 154.

(2) Jones. Constantine, p. 162.

ان استخلف من يتولى العماره، فبدا متولى عمارة الموضع بان هدم بقية الهيكل حتى لم يبق فيه حجر على حجر كما قال الانجيل المقدس، وشرع في البنا الجديد ليبنيه بربا، فكانو الفعله يبنون النهار كله الى الليل وينصرفون فاذا جا[ء]و بالغداه يجدون كلما بنوه مهدوما بغير يد إنسان، بل يجدون الحيطان مقلوعه من اصولها مطروحه على الارض. فمكثو هكذا شهرين لم يقدرو على عمارة شى، فقالو لهم اليهود احرقو هذه القبور

ولكن الذى يدعو للتساؤل حقا، هو انه اذا كان الأساقفة قد أجازوا ايمان كنيسة قيسارية الذى قدمه أسقفها. فما الذى حدا بالامبراطور اذن الى اقتراح مثل هذه الاضافة؟ ولم يكن اقتراح الأمبراطور الا أمرا واجب التنفيذ.

لعله من معقول القول أن نذكر أن الامبراطور كان واثقا تمام الثقة أن أساقفة الشرق وعلى رأسهم اسكندر لن يعارضوا هذه الارادة التى فرضت قولا ما كانوا يقبلونه قبلا، ولما كان الامبراطور غير عالم بمسائل العقيدة الغامضة، وكان هذا المصطلح سائدا فى الغرب، فلا يبعد أن يكون مستشاره لشئون العقيدة هوسيوس الأسقف الغربى هو الذى أوحى اليه بهذا المصطلح (١)، وربما يكون هويسوس قد ضمن سكوت الأسقف السكندرى وعدم احتجاجه على هذا الاقتراح باتفاق أجراه معه خاصة وأن أسكندر كانت أمامه سابقة فى تجاوز سلفه ديونيسيوس الكبير عنها وان كان مرغما(٢).

وكان نفور قسطنطين من غموض المسائل العقيدية دافعا له على تقبل أى اقتراح يوحى به اليه ذلك الأسقف الأسبانى، فقد كان هوسيوس يمثل على الاقل فى هذه الآونة وجهة نظر الغرب. وقد رأى الأمبراطور أن اجابة هوسيوس الى مطلبه كفيلة بأن تجعل كنائس غرب

(1) Hefele. op. Cit. I, 1. pp. 342 - 346; Duchesne, op. cit. p. 155.

(2) Jones, Constantine, p. 162.

التى فيها النصارى وحينذ يثبت لكم البنا الذى تبنونه ففعلو ذلك وطرحو النار فى القبور، وبدو بقبرين فيهما جسد اليشع النبى وجسد يوحنا المعمدانى فلم تتسلط عليهما النار بالجمله، فكثر تعجبهم، واقامت النار عدة ايام تشعل ولم تدن منهما، فمضى بعض المومنين الى الوالى وبذلو له مالا على ان يمكنهم من اخد الجسدين اللذين فى القبرين فاخد المال وفسح [سمح] لهم فى ذلك، فاخدو الجسدين القدسين وانفدوهما الى الاب

الامبراطورية تقف مؤيدة لأى قانون يصدره المجمع بخصوص العقيدة، ومن نفس الزاوية ننظر أيضا الى موافقة الامبراطور والأساقفة على قانون الايمان اليوسابى القيسارى. فقد كان يوساب بعقيدته يمثل الفريق المعتدل بين الأحزاب المتصارعة [١]، وقد اتضح هذا فى موقفه وزملائه أساقفة فلسطين تجاه آريوس واسكندر سنة ٣٢٤.

وهكذا أيقن الامبراطور أن الموافقة على قانون للايمان تقبله كنائس الغرب، ولا ترفضه كنائس الشرق، واضافة نص ترتضيه هذه ولا سبيل لتلك للاعتراض عليه، طريق الى توحيد صفوف الكنيسة فى الشرق والغرب وجمعها على كلمة سواء. وذلك واضح من قول يوساب فى رسالته أن الامبراطور كد لشرح معنى هذه الاضافة وراح يحث جموع الأساقفة على الايمان بها، ولم يجد الامبراطور عناء فى حمل هؤلاء على التصديق على ما يريد خاصة وأن معظم المعادين للآريوسية حاضرى المجمع كانوا على درجة من السذاجة تؤهلهم لعدم معرفة هذه الأمور اللاهوتية العميقة، وذلك شئ نقف عليه من سوزومين نفسه عند حديثه عن صفوف الوافدين [٢]. وان كان هذا لا ينفى وجود بعض المتضلعين من المسائل اللاهوتية. وتفصح رسالة يوساب أن الأساقفة أجبروا على الموافقة، ونلمح فى قوله طوال رسالته نبرة

(1) Latourette, Christianity, 154 - 155.

(2) SOZOM. hist. eccl. I, 17.

اتناسيوس بطرك اسكندريه، فلما وصلا اليه فرح بهما كانه قد شاهدهما حين واخدهما واخفاهما في موضع الى ان يجد السبيل فيبنى عليهما بيعه.

وبينما اتناسيوس جالس ذات يوم وعنده جماعه من المومنين ليسمعوا كلامه الذى به حياة نفوسهم اذا رفع عينيه فنظر اكواما اطلالا مقابل المكان الذى كان فيه فقال: أن وجدت زمانا بنيت هذه الاكوام بيعه ليوحنا المعمدان واليشع النبى. وكان تاوفيلس كاتبه جالسا معه على المايده [المائدة]

امتعاض لما أدخل على عقيدته من أضافات لم تعرفها قبلا. وذلك شئ واضح فى مقدمة رسالته ونهايتها. وكأنه يعتذر لرعيته عن الاسباب الى دفعته الى قبول ذلك «ايثارا للسلام وخشية الانحراف عن قويم الايمان»، ويؤكد هذا القول ما يذكره سوزومين[١] من أن يوساب قد تباطأ قليلاً فى التوقيع على قانون الايمان النيقى.

ولقد كان طبيعيا أن يعترض الفريق الاريوسى على قانون الايمان هذا، ويخبرنا سوزومين أن عدد من وقفوا الى جوار آريوس فى أول الأمر قد بلغ سبعة عشر أسقفا[٢]، استسلمت غالبيتهم حتى وصلوا بعد ذلك الى خمسة أساقفة هم يوساب أسقف نيقوميديا وثيوجنيس Theignis أسقف نيقيه، وماريس Maris أسقف خلقيدونية، وثيوناس Theonasأسقف مارماريكا Marmarica وسكوندوس Secundus أسقف بطوليمايا Ptolemais[٣] وان كان مجمع نيقية فى رسالته الى الاسكندرية بخصوص هذا الأمر قد ذكر أسماء الأساقفة الثلاثة الاخيرين فقط[٤]. إلا أن هؤلاء الاساقفة قد وافقوا فيما بعد على قانون الايمان النيقى وان لم

(1) SOZOM. hist. eccl. I, 24.

(2) Ibid. 20.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 8.

(4) THEOD. hist. eccl. I, 8.

وجماعة من المومنين، فسمعه اذا قال هذا القول وبقى فى نفسه.

فأما يوليانوس الملك الكافر فمضى الى الفرس فاسلمه الله فى يد اعداه لاجل القديسين الذين اعتقلهم قبل مسيره وتواعدهم وكان موته انه نظر فى الليل جندا وقد نزلو عليه من الجو وضربه احدهم برمح فى راسه حتى انتهى إلى بطنه، فعلم انه احد الشهدا فملا يده من الدم ورمى به الى فوق وقال. خد هذا يسوع فقد اخدت المكان

يوافقوا على قرار حرمان آريوس [١]. ولم يعترض على قانون الايمان جملة وتفصيلا سوى آريوس وزميل آخر له يدعى يوزيوس Euzious[٢]. ويخبرنا سوزومين أن الامبراطور قد تهدد بالعقاب والنفى كل من يخالف رأى المجمع [٣]. على هذا النحو ندرك أن مجمع نيقية كانت تمثل فيه اتجاهات ثلاث، حزبان متطرفان يقف كل منهما ضد الآخر، الأول يتزعمه اريوس وثيوناس وسكوندوس ويوساب النيقوميدى، والآخر على رأسه ما ركللوس أسقف أنقره وأثناسيوس الشماس المصرى، وبين هذين الحزبين ثالث معتدل يكره الابتداع[٤].

هكذا أقر المجمع أن الابن مساو للاب فى الجوهر والأزلية، وحرم كل من يقول بغير هذا، أو أنه قبل ولادته لم يكن، أو أنه من العدم وجد[٥] وكذلك تقرر حرمان آريوس ومريديه ومنعه واياهم من دخول الاسكندرية[٦]، كما قرر المجمع اعدام عمله الذى وضعه فى هذا المعنى والمسمى ثاليا Thalia[٧].

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 8.
(2) SOZOM. hist. eccl. I. 20.
(3) Ibid. 25.
(4) F. Jaclson op. cit. pp. 306 - 3/7.
(5) SOZOM. hist. eccl. I, 21.
(6) Id.
(7) ATHANAS. orat. C. Arian. I, 4.

كامل. فلما جدف وقع ميتا ونجى الله شعبه وعاد الروم الى مساكنهم.

وكان ياسيليوس القديس قبل موت يوليانوس بتلته ايام وهو في السجن قد استيقظ من النوم فقال للاتنين اللذين معه: رايت الليله الشهيد ابا مرقوره وقد دخل الى بيعته واخذ رمحه وقال حقا ما اترك هذا الكافر يجدف على الهى ولما قال هذا غاب عنى ولم ارجع ابصره. فقال له كل

وحملت الأنباء هذه الى كنيسة الاسكندرية رسالة بعث بها أساقفة المجمع جاء فيها:

«الى كنيسة الاسكندرية، التى حازت بفضل من الله ونعمة كل عظمة وقداسة، الى الاخوة الأحباء فى مصر وليبيا والمدائن الخمس.. ترسل نحن أساقفه المجمع العظيم المنعقد فى نيقية تحية من عند الرب.

أما وقد انعقد مجمع نيقية بنعمة من الله، ورشد امبراطورنا التقى، الذى دعانا من مختلف الولايات والمدن، وجدناه حريا بنا أن نوافيكم برسالة المجمع المقدس، نعلمكم أى الأمور أثيرت ونوقشت وما تم عليه الاتفاق وتقرر:

بداءة، وفى حضر ة امبراطورنا الدين قسطنطين فحصت عقيدة اريوس الدنسة، وأجمع المجمع على ادانتها ولعنها، سواء مع لغة التجديف التى روج لها زاعما أن ابن الله جاء من عدم، وأنه ما كان قبل أن ولد. وأن هناك وقت لم يكن. وأن بمقدوره، وفق ارادته الحرة أن يتحكم فى الفضيلة والرذيلة.

لقد لعن المجمع المقدس كل هذه المهاترات ورفض السماع لهذه الآراء الدنسة الحمقى التى تفيض تجديفا. ولعلكم تعلمون القرار النهائى المتعلق به، أولعلكم ستسمعونه قريبا، ولكنا

---

٢٠ : اتناسيوس ٣٢٦/ ٣٧٣

واحد منهما: حقا لقد رأيت انا ايضا هكذا سوا.
فقال بعضهم لبعض : نحن نومن بذلك بالحقيقه
انه يكون ، وانفدو الى بيعة الشهيد ابى مرقوره
لينظرو رمحه الذى كان فيها هل هو باق ام لا،
فلم يجدو الرمح فتحققو المنام. ومن بعد تلته ايام
وصلت الكتب والاخبار الى انطاكيه بموته،
فاجتمع وجوه المملكه واجلسو رجلا اسمه
يوبيانوس على المملكه، وكان مومنا قديسا خايفا
من الله منذ صباه. فساعة جلوسه اطلق الابا [ء]

نمسك الآن عن اذاعته حتى لا نبدو فى أعين الناس وكأنا نطأ رجلا نال لأجل خطاياه عادل القصاص»[1].

وقد بدأ الامبراطور فعلا ينفذ تهديداته التى قصد بها الأساقفة المخالفين لعقيدة المجمع الخارجين عن قانون ايمانه. فأمر بنفى آريوس خارج الاسكندرية هو وزميله يوزيوس[2] والحق بهما سكوندوس وثيوناس الى الليريا [3] وامتد قراره ليشمل أيضا يوساب النيقوميدى وثيوجنيس النيقى الى غالة [4] وخلفهما على كرسيى الأسقفيتين أمفيون Amphion وكرستوس Chrestus على التوالى [5]، وذلك راجع لما يذكره سوزومين من أنه بعد مجمع نيقية مباشرة، اشتعلت مرة أخرى المناقشات الجدلية بين الفريقين فى كثير من المناطق وخاصة فى بيثينيا وهلسبونت والقسطنطينية، وراح يوساب وثيوجنس يعلمان، خلافا لما وقعا عليه فى نيقية، بأن الابن ليس من جوهر من الأب واحد، لما اتهم يوساب بذلك صراحة أمام الامبراطور، أصر فى جراة على رأيه وقال موجها حديثه لقسطنطين «هب أن هذا الرداء قد

(1) THEOD, hist. eccl. I, 8.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 25.

(3) Hefele, op. cit. I, 1, p. 450; Duchesne, op. cit II, p. 156.

(4) SOCRAT. hist, eccl. I, 8; Duchesne, op, cit, II, p. 156.

(5) SOZOM. hist, eccl, I, 21.

من السجن. وصح قول عمود الحق باسيليوس ليوليانوس الكافر انه لا يعود، كما كان ميخا النبى. قال لا خاب الملك الكافر ملك بنى إسرائيل لان الله صانع العجايب [العجائب] هو اله الاثنين، اعنى ذلك النبى وهذا الاب القديس الذى قبل قولهما. وقدم يوبيانوس الملك التلته الابا واكرمهم ودفع لهم كرامات كتيره وسيرهم الى كراسيهم. وكان يواصل الصلاه فى البيع فكتب الى اتناسيوس بطريرك اسكندريه كتابا يقول فيه: ايها

انفصم أمام ناظرى شطرين، لعجزت أن أحاج بأن أيا منهما ينتهى الى نفس المادة». فازداد الامبراطور حنقا وتولى حزنا ألا يجد أن المسألة العقائدية الشائكة لم تنته كلية بقرار مجمع نيقية، وهاهو يراهم ثانية ينشقون على أنفسهم[1]. ويضيف أن الامبراطور أسف أشد الأسف لما أقدم عليه كل من يوساب وثيوجنس من قبول بعض السكندريين المعاقبين فى الكنيسة على الرغم من أن المجمع نصحهم بالتوبة على ما ورطوا فيه أنفسهم من «هرطقة»، وعلى الرغم من أن الامبراطور نفسه قد أوصى بنفيهم خارج اراضيهم باعتبارهم داعية الانقسام[2]. ولقد ضمن قسطنطين ذلك كله فى رسالة بعث بها الى أهالى نيقوميديا تقول:

«من تراه لقن الرعية البريئة هذه العقائد؟! من الواضح أنه يوساب شريك الطغاة جبروتهم سبب كل ما أقدم عليه ذلك الطاغوت[3]، ولقد انجلت الحقيقة فأثبتت أن من ذبح من الأساقفة كانوا آخيارا].

ولست هنا بصدد سرد ما لحقنى من اهانات أتاها متآمر الفريق المضاد، بل لقد جاء امر ادا،

(1) Id.
(2) Ibid. II. 22.

(٣) يشير قسطنطين هنا الى ليكين وما كان من أواصر الصداقة التى تربط بين الأسقف وامبراطور النصف الشرقى من الامبراطورية قبل ذلك.

الاب الحقيقى الراعى المامون شهيد المسيح الاله، مملكتى ترتجيك جسدا فوق قلبك، وامسك قضيب الكهنوت واطرد به الدياب [الذئاب] الخاطفه عن الرعية الناطقه، اوليك الذين افواههم مملوه لعنه ومراره سم الأفاعى، وهم قتلة الانفس.

وقرى هذا الكتاب فى بيعه اسكندريه وانفده اتناسيوس البطرك الى اعمال مصر وقرى فى كنايسها تثبيتا للمومنين وتقوية لهم. فانطرد اصحاب اريوس وشتتو وحزنو، ثم مضى بعد هذا

اذا بعث بالعيون ترقبنى، ولم يأل جهدا فى جمع كتائب للجبابرة معضد، ولا يعتقدن أحد انى مدع شيئا أنا على اثباته قادر، عندى الدليل، فقد جئ بالأساقفة والقسيسين من أتباعه وقد قبض عليهم. ولكن لنتخط هذه الحقائق كلها، وماذكرتها الا لأجعل القوم من سلوكهم فى خجل، لا من أجل آثارة شعور بالندم.

غير أن هناك أمرا أخشاه، بات يقض مضجعى، رأيتكم قد جمعكم الاتهام واياه. لقد تأثرتم بعقيدة يوساب فضللتم بذلك طريق الصواب. ولكن ابلالكم يرجى اذا ما غنمتم أسقفا قلبه بقويم الايمان معلق، واذا ما جعلتم على الاله اتكالكم، ذلك شئ أنتم عليه قادرون، وقد كنتم ولا ريب تمنون انتهاجه لولا أن صرفكم عنه ذلك اليوساب، وطغمة تؤيده عاتية، استغلت السلطان فضاع النظام.

وانى لأرى لزاما على أن أحدثكم شيئا ماعن يوساب؛ فلعلكم تذكرون أن مجمعا عقد فى نيقية حضرته استجابة لنداء ضميرى، يدفعنى الرجاء فى الوحدة، وتسوقنى الحمية لاستئصال أذى أوقعته فتنة آريوس السكندرى، التى تأجج لهيبها بفعال يوساب الحمقى، ولكن، اخوتى وأحبابى، لا تدرون كيف أن يوساب ظل سادرا فى غيه الذى من الجمع أدين. ولقد راح يبعث لى خفية أناسا يرجوننى لأجله، وبذاته توسل الى يطلب عونى لوقف قرار عزله من أسقفيته، رغم أن جرائمه للعيان بادية. انى لعلى يقين بأن الله الذى يشملكم واياى بوافر أنعمه شاهد

٢٠ : اتناسيوس ٣٢٦/٣٧٣

بعضهم الى يوبيانوس الملك ودفعو(*) على الاب اتناسيوس فلم يلتفت اليهم لمعرفته بشرهم.

(*) دفعوا هنا بمعنى دسوا له أكاذيب عند يوبيانوس.

ثم ان اتناسيوس شاخ وكبر بعد انت كتب عده ميامر ومقالات وكتب لجل [لأجل] ملكيسداق ولاجل الاب انطونيس وذكر سيرته. وكتب سبعه واربعين ارتستكا. وكتب لاجل الصليب المقدس، وان السيد المسيح عمى به على ابليس حتى ظن انه انسان ساذج فلما تقدم اليه خرمه السيد فى انفه باصبعه التى تلى الخنصر وابهامه لما صيرها

على صدق قولى، ولقد غرر بى يوساب وخدعنى بعدئذ كما ستعلمون جليا، لقد كان يعمل وفق رغائبه، لقد امتلأ عقله بخفى الشرور. وانى وان كنت أحجم عن ذكر بقية أثامه. آراه حسنا انباءكم بخطية مؤخرا جناها، ومتواطئا مع ثيوجنس شريك تآمره، ولقد بعثت الى الاسكندرية بأوامرى فيما يخص أولئك الذين هجروا الايمان القويم وزادوا بوسائلهم نار الفرقة اشتعالا، ولكن هذا النفر من الاساقفة الذين شملتهم رحمة المجمع وعطفى أووا اليهم أولئك، وشاركوهم دنس أعمالهم. ومن ثم فقد قررت عقاب هؤلاء الجاحدين بالقبض عليهم ونفيهم الى مكان قصى(١).

أنه الآن واجبكم أن تتجهوا الى الله بنفس الايمان الذى تمسكتم به دوما. دعونا نسعد بتعيين أساقفه قويمين للخير محبين، واذا ما جرؤ أحد على أن يؤتى من لدنه ذكرا لهؤلاء المخربين فليعلم تماما أن قحته ستقمع بيد سلطة منحت لى لكونى للرب خادم. ليحفظكم الرب اخوتى الأحبة»(٢).

وأرسل الامبراطور الى الأساقفة والأهلين فى كل مكان من الامبراطورية يخبرهم أن آريوس

---

(١) تم هذا الاجراء بعد ثلاثة أشهر من انتهاء مجمع نيقية حيث نفيا الى غالة. راجع:
Lietzmann. op. cit. p. 121; Jones. Constantine. p. 174.

(2) THEOD. hist. eccl. I, 19.

خلفه، أى انه اخرق قوته وشقها واضعفها، وارانا
انه قد غلب قوة ابليس بالضعف، لان الاصبع
الثانية للخنصر لا يعمل الانسان بها شيا وهى
اضعف الاصابع ولم يقتله سريعا بل اضعف قوته
كما قال الكتاب مزمور ٦٧ : يقوم الله ويهلك
اعداه. وكتب تعاليم كثيره واشيا لا تحصى. وكان
يكتب الى باسيليوس ويجاوبه باسيليوس عليها،
وكان يخاطبه بابى. وكتب ايضا رساله الى
ارسانيوس يعزيه بتاودورس اخيه لما تنيح، وقال فيه:

ورفاقه مبتدعون مضللون، وأن عليهم لعنة الله والامبراطور والأساقفة أجمعين(١). أما كتاباتهم «فاذا عثر على أية مقالة لأريوس، فلتقدم طعما للنار، وذلك بغية سحق مبادئه الدنيئة ومحو ذكراه الى الأبد، ومن ثم فانى قد قررت لئن ضبط أحد يخفى كتابا من وضع آريوس، ولم يتقدم به على التو ملقيا آياه فى النار، موتا يموت جزاء هذه الخطيئة، وفور انتهاء المحاكم سوف يلقى المذنب رادع الجزاء»(٢).

هكذا قرت عين الامبراطور بهذا الذى وصل اليه المجمع المسكونى الأول، وخيل اليه أنه بذلك قد كسب الجولة الثانية على أعداء الكنيسة حسب دعايته، فاذا كانت الأولى قد اقتنصها فى ميدان القتال، وضمن بلا ريب سياده منفردة فى طول الامبراطورية وعرضها، فقد نال الثانية لبعض حين وسط صراع جدلى عنيف، وعد الامبراطور هذا الأخير نصره الثانى على أعداء الله (٣). ويقول نورمان بينز تعليقا على ذلك «لقد كان مجمع نيقية فى حد ذاته تتمة ضرورية لنصر خريستوبوليس»(٤). وتدشينا لهذا النصر دعا قسطنطين جموع الأساقفة

(1) SOZOM. hist, eccl. I, 21.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 9.

(3) EVSEB. vita Const; III, 14.

(4) C. A. H. XII, p. 697.

ليت كلا منا ينال موضع تاودورس اخيك، وليت مركبنا ترسى فى مرساه. وكتب مقاله بين فيها ان الشر من ابليس خزاه الله وان ليس عند الله شر بالجمله.

ويقال ان هذا الاب اتناسيوس البطرك حمله ملاك الرب فى بعض اسفاره عندما كان هاربا من الملوك الكفره حتى اوصله إلى حيث اراد ، كما حمل الملاك حبقوق النبى من اورشليم الى بابل، وكما حمل حزقيال النبى من بابل الى يروشليم. وليس ذلك مستصعبا من فعل الله تعالى.

الحضور لحضور احتفاله بالعيد العشرينى Vicennalia لجلوسه على العرش [١]. ويعطينا يوساب صورة رائعة لهذا الاحتفال الذى شارك فيه الأساقفة الامبراطور طعامه وشرابه[٢]، ولما أذن مؤذن الرحيل دعا الامبراطور اليه جموع الأساقفة وطلب اليهم المثابرة للحفاظ على السلام وتجنب المناقشات والجدال الذى يقود الى النزاع والتخاصم، وأوصاهم بالتسامح مع بعضهم البعض، والتغاضى عن أخطائهم والتمسك بالمحبة والوئام[٣]، ثم تفضل الامبراطور فزود كلا منهم بهدية تتفق ومرتبته الكهنوتية، وامتدت نعماؤه لتشمل أيضا أولئك الذين لم يسعدهم قدرهم بحضور المجمع[٤] واتسعت دائرة عطاياه لتشمل كافة الناس فى المدن والقرى ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة، وهى الاحتفال بعيد جلوسه العشرين الذى وافق انتصار الكنيسة فى مجمع نيقية[٥]. وسلم الامبراطور كل أسقف رسالة الى كنيسته تضمنت تمجيدا لشخصه وفضله فى عقد مثل هذا المجمع الكبير واشادة بجميل صنعه[٦]، وحثا للجميع على

(1) ECSEB. vita Const. III. 14.

(2) Ibid. 15.

(3) Ibid. 21.

(4) Ibid. 16.

(5) EVSEB. vita Const. III. 22.

(6) Ibid. 17.

وكـــان باسكندريه صنم يســـمى «زرابل» [زرابيس] فلما توعك اتناسيوس وقربت نياحته قال: ان وجدت عند سيدى المسيح رحمة فانا اسجد بين يديه ولا ارفع وجهى حتى يغلق باب هذا الصنم، فشهدو كهنة اسكندريه ان بعد سبعة ايام من يوم وفاته انفذ الملك وسد باب البربا الذى فـيـه الصنم. [وهذا الاب اول من لبس شكل (تياب) الرهبنه من يد القديس العظيم انطونيوس وجعله رسما لكل البطاركه والاساقفه، وهو الذى

اتخاذ هذه الوحدة التى تمت باجتماع هؤلاء الأساقفة مثلا يحتذى، والانصياع لقرارات المجمع. ثم راح يحدثهم قائلا:

«يقينا بالبرهان. حفاظا على رخاء ورفاهية الامبراطورية، فكم كان فضل الله علينا عظيما. قررت أنه ينبغى أن يكون أول هدف فى مسعاى تحقيق وحدة الايمان وصادق المحبة، وجماعية المشاعر فيما يخص عبادة القدير، وذلك لأنا نبغى أن تحفظ هذه الوحدة بين الرعية الكبيرة التى تكون جماعة الكنيسة الكاثوليكية، ولما كان الحفاظ على هذا لا يتأتى لا اذا تلاقى فى الاساقفة جمع كبير أو على الأقل غالبيتهم فى مجمع واحد، والا اذا تدارسوا كل التفاصيل المتصلة بعقيدتنا المقدسة - لم يكن هناك بد من جمع أكبر عدد ممكن فى مجمع عام. وقد حضرت بنفسى هذا المجمع فردا عاديا وكأنى أحدكم، وأنى لفرح فخور بأن أجد نفسى زميلكم، وقد فحص كل موضوع بعناية فائقة حتى تبين لنا قضاء الله وحكمه الذى أحاط بكل شئ علما، والذى شاء لنا باقرار ما اتفقنا عليه ذلك الأمر الذى يهدى خطانا الى الوحدة والوئام، وعلى مرأى من الجميع انبلج هذا القرار، فلم يعد هناك مكان لجدل ولا محل لنزاع يخص الايمان [1].. فلتقبلوا اذن بكل رغبة وحازم الارادة هذا الايضاح الالهى الحق. ولتنظروه

(1) Id.

اوسم القديس انطونيوس قسا وقمصا. تنيح هذا الاب في السابع من بشنس وقيل في العشرين من توت. بركة صلاته تكون معنا امين].

السيرة التاسعه من سير البيعه المقدسه

بطرس البطرك

[٣٧٣ / ٣٨٠]

وهو من العدد الحادى والعشرون

ولم تنيح اتناسيوس الرسولى البطرك اجتمع

بأنه الحق المبين، ومن عند الله هبة. فما يقره مجمع الآساقفة المقدس لخليق أن يعد تعبيرا لارادة السماء»[1].

واضح من هذه الرسالة مدى الجهد الذى بذله قسطنطين فى سبيل تجميع أكبر عدد ممكن من رجال الكنيسة ومدى الرغبة التى كانت تحدوه من وراء السعى الدائم الى اتخاذ هذا العمل ونجاحه، وهى «وحدة الرغبة» على حد تعبيره، وبالتالى وحدة الدولة، فقد كان هذا هو كل ما يحرص عليه قسطنطين.

واذا كان قد جاء فى رسالة الامبراطور هذه أنه «واحد من الأساقفة» أو أنه «زميل لهم» فهذه النغمة ليست جديدة على قسطنطين ولا تصرفنا عن الحقيقة الواضحة وهى يقينه الكامل بأنه رأس الدولة والكنيسة، والحاكم السياسى والقائد العسكرى والكاهن الأعلى ورئيس الاساقفة، وهذا شئ أنبأتنا عنه الاحداث، وافصحت عنه رسالته الى ملتيادس أسقف روما، وسياسته تجاه الدوناتيين، ورئاسته لمجمع نيقية، «وقهره» الاساقفة فيه على قبول صيغة الايمان التى ارتضاها بوحى من مستشاره الدينى وسوف تكشف عنه أيضا سنوات عمره الاتية.

لم يقف نشاط المجمع عند بحث المشكلة الآريوسية وحدها، بل تعرض لعدد آخر من

---

(1) Ibid. 20.

الاساقفه والكهنه والشعب الارتدكسي ووضعو
ايديهم على رجل قس اسمه بطرس واوسموه
بطركا، فجرى عليه بلايا كثيرة من رجل كافر
اسمه لوكيوس من قبل بلاديوس الكاتب بغير امر
الملك، ومن بعد ايام بلغ الخبر الملك فانفد اميرا
قبض على لوكيوس الكافر وبلاديوس الكاتب
وانفدهما الى النفي ومكثا فيه الى حين وفاتهما.
واقام الاب بطرس بطركا تمانى سنين وتنيح فى
العشرين من امشير.

المسائل الى تهم الكنيسة، مثل مسألتى تحديد عيد الفصح وعماد الهراطقة[1] الا ان هذه الأمور لا يعنينا منها الان ما قر عليه فيها رأى المجمع ولكن الذى يهمنا حقا هو المشكلة الآخرى التى تعرض مجمع الأساقفة لبحثها وهى المسألة المليتية الكامنة فى مصر [2].

تعود جذور هذه المشكلة الى الأيام العصيبة التى عاشتها المسيحية ابان فترة الاضطهاد الأعظم على عهد دقلديانوس وجاليريوس وماكسيمين، فيخبر يوساب أن بطرس أسقف الاسكندرية الذى خلف ثيوناس فى هذا المنصب [3]، قد قبض عليه وسيق مع عدد من القسوس هم فوستوس Phostus وديوس Dius مون Ammonius الى ساحة السجن واقتيد معهم أيضا فيلياسPhileasأسقف كنيسة تمويسThmuis (تمى الأمديد)، وهو رجل اشتهر بعلومه الفلسفية وكريم أصله[4] وهسيكيوس Hesychius وباخوم Pachomius وثيودور Theodore وهم الأساقفة فى الكنائس المصرية المختلفة [5] وفى السنة التاسعة للاضطهاد «كلل بطرس ورفاقه بأكاليل الشهادة» [6].

(1) EVSSB. vita Const, III, 18; Hefelc. op. Cit. I, 1.
(2) Hefele. op. cir. I, 1, p. 488.
(3) EVSEB, hist eccl. VII. 32.
(4) EVSEB, hist. eccl. VIII, 9.
(5) Ibid. 13.
(6) Ibid. VII .32.

السيره العاشره من سير البيعه المقدسه

تيماتاوس [الاول] البطرك

[٣٨٠ / ٣٨٥]

وهو من عدد الابا التانى والعشرون

واجتمع الشعب والاساقفه بعد وفاة الاب بطرس ووضعو ايديهم على قس اسمه تيماتاوس وجلعوه بطركا [على الكرسى الانجيلى المرقسى] وفى ايامه كان المجمع بالقسطنطينيه [سنة ٣٨١م] وعدته مايه وخمسون اسقفا، وقطعو

بايداع أولئك الأساقفة سجن الاضطهاد، آلت العناية الروحية لهذه المحافل الكنيسة الشاغرة الى أيدى جماعة من الأساقفة أو المبشرين الطوافين الذين كانوا لا يتمون عملهم مطلقا، وحتى الاسكندرية ذاتها غدت بلا رئيس روحى مذ أكره بطرس على ترك أسقفيته. فى هذه الظروف العسرة كان هناك رجل واحد أظهر أنه رجل الساعة هو مليتيوس Melitius أسقف أسيوط Lycopolis، فلم يكن ينتقل بين هذه البيع اليتيمة فحسب، بل راح يعين لها أساقفة جددا [١]، غير ان هذا السلوك لم يكن يتفق وتقاليد كنيسة الاسكندرية. فنحن نعلم من سوزومين ان لكل كنيسة فى الاسكندرية قسيسها وكنائس أخرى فى بعض مدن مصر عليها أساقفتها، ولم يكن يحق لأحد الانتقال من أسقفيته أو كنيسة الى غيرها، ثم يقول وتلك حال الاسكندرية دائما [٢] باعتبار أن أسقفها قد احتفظ لنفسه منذ فترة طويلة بهذا الحق فى رياسة كنائس الاقليم كله، وذلك شئ أكده مجمع نيقية فى قوانينه التى أصدرها، ففى القانون الخامس عشر حرم انتقال الأساقفة والقسيسين والشمامسة من كنيسة لأخرى، ونص القانون السادس على اعطاء بطريرك الاسكندرية كل الحقوق التى كانت له من قديم على أساقفة مصر وليبيا والمدائن الخمس[٣].

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 24; Lietzmann, op. cit. p. 103; Hefele. op. cit. I, I. p. 491.

(2) SORAT. hist. eccl. I, 15.

(3) Percival, the seven ecumenical councils. (Nicene and P.N.F.) PP. 15, 32.

مكدونيــوس[*] الكافر بطرك القسطنطينيه مكان المجمع، واخر يسمى اونوميوس لانهما جدفا على روح القدس وقالا بكفرهما انه مخلوق، وذلك فى ايام تاودوسيـوس الملك المومن. واقـام تيمـاتاوس جميع ايامه فى هدو وسلام. وكان مدة مقامه على كرسى الاسكندريه تسع سنين ونصفا، وتوفى فى السادس والعشـرين من ابيب وهو متمسك بالامانه الارتدكسيه [حافظ رعيته بدعة وصار إلى المسيح الذى احبه صلاته معنا امين.

(*) مكدونيـوس: كـان أولا من حـزب الاريوسـيين وتمكن هؤلاء بواسطة نفوذهم عند قسطنس قيصر من أن يرسموه بطريركـا لكرسى القسطنطينيـة سنة ٣٤٣م فـدخل المدينة محفوظا بالجنود وثار شغب بين المؤمنين والاريوسيين قتل فيه كثيرون. وكـان مكدونيـوس يضطهـد أتبـاع بولس البطريرك الشرعى المعزول حتى قيل أنه أرسل فخنقه.
وفيما بعد تغير قسطنس عليه لأنه نقل جثة أبيه قسطنطين من مدفن إلى

وربما يكن مليتيوس قد أراد بهذا العمل أن يجعل من نفسه أسقفا أعلى لمصر وأن ينقل الى أسيوط ما كان للاسكندرية حقا معلوما، أو لعله أراد الانتقال من أسقفيته الى الاسكندرية[١] وينبئنا تيودوريت أن هذه الفعال قد نمت الى علم بطرس وهو بعد فى سجنه، فاستهجن هذا سلوك أسقف أسيوط ومن ثم قرر عزله من منصبه وحرمه[٢]. غير أن الأسقف الأسيوطى لم يذعن لقرار العزل هذا وملأ طيبة والمناطق المجاورة لها فى مصر بالاضطراب والقلاقل على حد قول ثيودوريت[٣] الذى لابد أنه يعنى بذلك استمراره فى تعيين الأساقفة والقسس فى الكنائس الشاغرة، لأنه يضيف قائلا أنه تجاسر على التدخل فى شئون أسقفية الاسكندرية ذاتها، فعزل اثنين من قساوستها ورسم أخرين مكانهما[٤].

تلك رواية نقلناها عن شتات ماتبعثر حول مليتيوس عند مؤرخى الكنيسة، على أن هناك رواية أخرى يذكرها أيفانيوس Epiphanius، وهى تقترب من سابقتها تقول ان بطرس بعد أن قبض عليه، دخل معه السجن مليتيوس وعدد من رجال الاكليروس، واستمر الاضطهاد فترة من الزمن نال فيها فريق من المسيحيين الشهادة بينما اشترى البعض الاخر أنفسهم

(1) Hefele, op. Cit. I, 1, p. 501.
(2) THEOD. hist. eccl. 1, 8.
(3) Id.
(4) Id. ; Duchesne, op. cit. II, PP. 98 - 99.

هذا الاب اطلق اكل اللحم للبطاركه والاساقفه والرهبان بسبب المنانيه لان المذكورين ما ياكلون اللحم، وبركه صلاته معنا امين].

السيره الحاديه عشره من سير البيعه المقدسه

تاوفيلس البطرك

[٣٨٥ / ٤١٢م]

وهو من عدد الابا التالت والعشرون

ولما تنيح الاب تيماتاوس اجتمع الاساقفه والشعب وقسمو تاوفيلس بطركا، وكان كاتب

آخر فامر بطرده من كرسيه فطرد منه سنة ٣٦٠م على أنه لما كان بطريركا لم يكن يعلم الا تعليم اريوس الا أنه لما عزل أراد أن يكون مبتدعا بدعة جديدة. وكان المبتدعون الذين سبقوه قد انكروا لاهوت الآب ولاهوت الابن فاراد هو أن ينكر لاهوت الروح القدس فادعى أن الروح القدس عمل الهى منتشر فى الكون وليس باقنوم متميز عن الآب والابن واعتبره أنه مخلوق يشبه الملائكة لكنه ذو رتبة اسمى منهم.

وأموالهم بأن قدموا الأضحيات على مذبح أرباب الوثنية.وهكذا حرم هؤلاء بسلوكهم أنفسهم من الكنيسة، غير أنهم سرعان ما ندموا بعد بذلك واجتهدوا ليقبلوا فى الكنيسة ثانية عن طريق طلب الشهادة،وكان على رأس هؤلاء مليتيوس الذى أظهر اتجاها متذبذبا ـ على الأقل ـ طوال فترة الاضطهاد، ثم اختط لنفسه طريقا متشددا بعيد الأضطهاد، بينما ترأس بطرس قبل موته وخلفاؤه فريقا آخر تبنى الاتجاه المعتدل، وكانت مسألة الخلاف بين الفريقين هى قبول الخطاة ثانية فى الكنيسة، وهكذا وجدت كنيسة للشهداء يتزعمها مليتيوس تقف والضد من الكنيسة، الكاثوليكية[1] ولما أن راح أسقف أسيوط يرسم الأساقفة من لدنه غافلا بذلك عما جرى عليه العرف فى الكنيسة السكندرية، لم يكن أمام بطرس الا ان يصدر ضده قرارى العزل والحرمان، وتلك كلها مسائل أوقفتنا عليها رسالة مجمع نيقية الى كنيسة الاسكندرية بخصوص هذا الامر[2].

ويمكننا التوفيق بين هاتين الروايتين اذا ذكرنا ما أورده لنا ابيفانيوس عن أصل هذا الخلاف، مما أوجد هذه الهوة العميقة بين بطرس ومليتيوس، فاختط الأخير لنفسه طريقا مخالفا، وأخذ يعين الأساقفة والقسيسين فى بعض الكنائس مما اضطر بطرس الى عزله وحرمانه.

(1) S. M. Jaclson. op. cit. VII, art. Meletianism.

(2) THEOD. hist. eccl. I, 8.

اتناسيوس البطرك، كان مستقيم الحال عند الله والناس. فلما جلس على الكرسى بلغه ان الوثنيين قد مضو الى يروشليم يفتحون بيت اصنامهم، فانفذ رهبانا إلى هناك ليطردوهم فلم يقدرو الرهبان على الوثنيين، فانفذ تاوفيلس البطرك الى دير بخوم بصعيد مصر واحضر السواح الرهبان المتجولين وانفذهم إلى يروشليم، فلما دخلوها صلو فهربت الشياطين من البربا، وصيرو ذلك الهيكل(*) مسكنا لرهبان يورشليم.

(*) الهيكل
كان الهيكل، بعد أن رمّمه هيرودس، ينتصب فى وسط ساحة تقارب مساحتها ٣٠٠× ٥٠٠ متر. إنه المكان المقدس الذى يحضر الله فيه والذى نُظّمت مداخله تنظيماً دقيقاً. كان فيه قدس الأقداس، وهو عبارة عن غرفة مفصولة بستار الهيكل وكانت تحتوى فيما مضى على تابوت العهد، ولا يدخلها إلاّ عظيم الكهنة مرّة فى السنة يوم الكيبور. وكان حول المذبح فناء أوّل مخصص للكهنة، ثمّ

ذلك مشهد ثالث يكاد يطابق تماما ما حدث فى روما وأفريقيا، أعنى المسألتين، النوفاتية والدوناتية، فنقطة ثار حولها الجدل عند هذه الفرق واحدة، وموقف كنيستى روما والاسكندرية تجاه آراء الفريق المضاد متفقة، وما نجم عن هذا الصراع من قيام كنيسة الطهار عند الدوناتيين وكنيسة الشهداء لدى المليتيين وثيق الصلة، لذلك ليس من غريب الحديث أن يقال ان المليتيين كانوا بمثابة دوناتيى مصر[1].

ولاشك أن فترة الاضطهاد التى قاست منها المسيحية لزمن طويل بعامة، ولفترة عنيفة أخيرة بخاصة، قد أحدثت فى الكنيسة كثيرا من أمور الجدل حول العقيدة والتخاصم حول مسائل التنظيم الكنسى، وأورثت الكنيسة الجامعة شقاقا ما بعده شقاق، ورزقتها بعدد لا حصر له من الفرق المخالفة فى الرأى، ساعدت الأحداث على الاتيان بها، فطفرت الى السطح أمور كانت كامنة وتولدت عنها مشاكل ما كانت قائمة.

كان على مجمع نيقية أن يعالج هذا المسألة بحزم حتى لا يستفحل خطرها، أما الامبراطور فلابد أنه قد أفاد مما وقع له فى أفريقيا مع الدوناتيين، فمجمع مكانى الذى عقد فى روما سنة ٣١٣ لم يكن كافيا لشجب النزاع الدوناتى الكاثوليكى، ومجمع يقترب من العالمية فى أول سنة ٣١٤ لم يكن أسعد حظا من سابقه، وقضاء امبراطورى فى القضية فى ميلانو سنة ٣١٦

(1) C.A.H. XII, p. 697; Duchesne, op. cit. II, p. 113.

يأتي فناء اسرائيل (للرجال) وفناء النساء المفصول عن فناء الأمم بدرابزين لا يجوز لأىّ وثنى ان يجتازه تحت طائلة الموت.

على المذبح الواسع الذى يبلغ ضلعه ٢٥ متراً وعلوه ٧,٥٠ متراً، كانوا يذبحون صباحاً ومساءً حَملاً «ذبيحةً دائمة» إلى جانب الذبائح الخاصة التي لا يُحصى عددها. وكان عدد الذبائح يرتفع فى ايام الاعياد، فينهمك اللاويّون وتزدحم الجموع...

ولما عادو ضبطهم [احضرهم] تاوفيلس البطرك ليكونو ياكلون معه وحدهم من يوم الاحد الى يوم الاحد ودفع لهم بستانا كان للاب اتناسيوس البطرك.

ثم ان الاب تاوفيلس البطرك ذكر قول اتناسيوس لما كان ياكل معه وهو كاتبه انه يشتهى ان ينظف الاكوام التى راها ويبنى فى موضعها بيعه على اسم [يوحنا] المعمدانى واليشع النبى، وعند ذلك جات امراه كان لها ولدان فكنست الاكوام

ما ردع الفريق الدوناتى ولا أتى بجديد في عالم الصفاء مع الكنيسة الكاثوليكية، بل كل ما جاء به عنفا بلا هوادة وتحديا صريحا لسلطة الامبراطور ذاته، واضطهادا مسيحيا ضد أشياع كنيسة الطهار لم يثمر ثمرته المرجوة، هكذا أدرك قسطنطين أن لا طريق أمامه سوى الصفح والمهادنة، فأفرج عن الدوناتيين وأعاد اليهم بيعهم علهم بذلك يقدرون له حسن الصنيع.

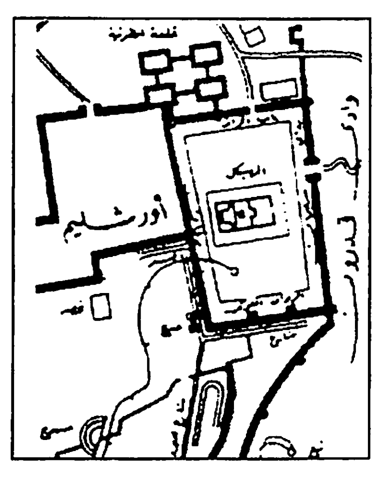
كانت تلك تجربة أفاد منها قسطنطين، فلم يقدم على شئ من هذا على الاطلاق فى معاملته للمليتيين فى مصر، وساعده قدره وفكره بعقد هذا المجمع المسكونى الكبير الذى ضم أساقفة الشرق والغرب، فراح قسطنطين يحث الجمع على اتخاذ سبيل وسط يرضى هذا ولا يغضب ذاك، وعمل الحضور بنصح الامبراطور، وقد حفظ ثيودوريت ما تم بشأن المليتين فى مجمع نيقية فى وثيقة هامة هى رسالة المجمع الى كنيسة الاسكندرية جاء فيها:

«أحباءنا.. هانحن الان نخبركم بما قر عليه رأى المجمع فى هذا الصدد. لقد تقرر بواسطة مجمعنا أن يعامل بالرأفة مليتيوس، مع أنه، وحتى نكون مع أنفسنا صادقين، ما كان يستحق من الشفقة أقلها، لقد سمح له بالبقاء فى مدينته مجردا من كل سلطة تجيز له تعيين الغير أو سيامتهم، محروما حتى الظهور فى اية ولاية أو مدينة لهذه الدواعى. ولكن ليحمل لقبه عاريا من كل نفوذ»[1].

---

(1) THEOD. hist. eccl. I, 8.

على ما يشهد به كاتبه، وظهرت البلاطة المكتوبه عليها تلت تيطات، وشرح حديثها وقصة تاوفيلس مع رفايل الملاك لم تكتب فى هذه السيره، فلما قلع تاوفيلس البلاطه وجد المال تحتها فبنى منه الكنايس، وبنى فى موضعه كنيسه فى جانب البستان وحمل اليها جسد القديس يوحنا المعمدان وجسد اليشع النبى، وظهرت منهما عجايب كتيره فى ذلك اليوم وبرى جماعه من الناس كانو مرضين ومسقومين من امراضهم.



* الهيكل فى أورشليم.

هكذا التقت آراء المجمع على أمر قد قدر، فذلك هو الجزاء الذى تلقاه مليتيوس جزاء خروجه على كنيسة الاسكندرية وأسقفها، تخالف ما شهدناه قبلا فى موقف مجمعى روما وآرل وموقف قسطنطين ازاء الدوناتيين، ولا شك أن هذه السياسة الجديدة التى لجأ اليها مجمع نيقية تجاه المليتيين كانت رد فعل صريحا لفشل السياسة التى سار عليها الامبراطور فى علاجه للمشكلة الدوناتية، ومن ثم فقد منح المجمع مليتيوس من اللقب اسمه وسحب مضمونه، وأعطاه من الوظيفة الكهنوتية رتبتها وحرمه جوهرها!!

وأضافت رسالة المجمع:

«أما أولئك الذين رسموا على يديه فعليهم أن يمروا من جديد برسم تقى، على أن يقبلوا ثانية فى الكنيسة، وتبقى لهم رتبتهم الكهنوتية فى سائر الأبروشيات على أن تكون فى مرتبة أدنى من تلك التى منحت لغيرهم من قبل على يد اسكندر ا لكسندروس ا ، زميلنا الكاهن المبجل، وعليه فليس لأولئك حق اختيار أو تعيين أخرين للكهنوت أو الاقدام على أى شئ دون موافقة أساقفة الكنيسة الكاثوليكية [١] الرسولية المنضوين تحت نفوذ أسكندر.

(١) حتى منتصف القرن الخامس كان لفظا كاثوليكى Catholicus (عالمى) وأرثوذكسى Orthodoxus مستقيم) يطلقان على الكنيسة عامة، على اعتبار أنها كنيسة واحدة جامعة ذات ايمان قويم. وفى سنة ٤٥١ عقد مجمع خلقيدونية وصدر عنه قانون الايمان القائل بكمال الطبيعتين الالهية والبشرية فى المسيح، ورفضت كنيسة الاسكندرية هذا المعتقد، وبقيت على عقيدتها القائلة بطبيعة واحدة من =

وكتب تاوفيلس فى مدة حياته عدة ميامر(*) ومقالات. واقام ولنديانوس الملك اثنتى عشره سنه ومات وملك بعده ولديانوس وكرديانوس ولداه، وكانا مومنين محبين لله جل اسمه. وكان تاوفيلس اذا عمد ينظر قضيب نور يصلب على المعموديه بين يديه، فلما كان فى بعض السنين وقف فى جمعة التنصير يصلى على المعموديه فلم يظهر له عليها صليب النور فحزن فاوحى اليه انه ان لم يحضر ارسانيوس الشماس يصلى معه والا فما

(*) ميامر: جمع ميمر من هذه الميامر ما عرف باسم «ميمر تاوفيلس» يروى فيه أنه توسل إلى العدرا فى صلوات حارة إليها لتكشف له عن سر رحلتها وتنقلاتها فى مصر، فظهرت له فى رؤيا وكشفت له عن ذلك السر. وقد دون تاوفيلس هذه الرحلة فى مخطوط بمكتبة الدير المحرق تحت رقم ١٤/٩. ويقال أن هناك نسخة من هذا المخطوط بمكتبة الفاتيكان بروما وثالثة بالمكتبة الوطنية فى باريس.

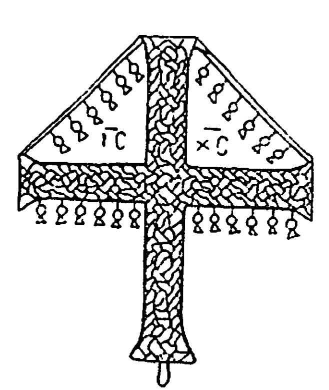
ولكن هؤلاء من بنعمة الله، وفضل صلواتكم، لم يدنسهم تيار الانشقاق، فظلوا طاهرى الذيل فى الكنيسة الرسولية الجامعة، فلهم سلطة اختيار وتعيين من يرون الصلاح فيهم للوظائف الكنيسة، بل ويسمح لهم بما هو أبعد من ذلك فى التصرف فى أى أمر يتفق وقانون الكنيسة وسلطانها، فاذا ما شاء القدر واختطف الموت واحدا ممن يتسنمون الان احدى الوظائف الكنيسة، فليرتق الجدد الى شرف الراحلين إذا كانوا للمنصب مستحقين، وعلى يد الرعية مختارين، ما دام هذا يثبت بموافقة أسقف الاسكندرية الكاثوليكى»[1].

لم يقف قرار المجمع اذن فى هذه المسألة عند حد التعرض للمشكلة المليتية فى حد ذاتها، ولكنه تخطاها، آخذا من أحداثها مدارا لمزيد من قرارات التنظيم الكنسى حول تعيين القسس والأساقفة فى مختلفة الكنائس، ولا شك أن دافعه الى ذلك حرص الحضور على أن لا تتكرر

=طبيعتين، كما آمن بها أسقفها كيرلس Cyrllus وخليفته ديوسقورس، وأختصت منذ ذلك الحين بلقب الأرثوذكسية. وان كانت قد شاركتها فيه كنيسة القسطنطينية أيضا بالأرثوذكسية الخلقيدونية. أما كنيسة روما فقد احتفظت لنفسها بالصفة الكاثوليكية، وتدعم ذلك فى عام ١٠٥٤ عندما وقع الانشقاق الأعظم بين روما والقسطنطينية نتيجة للخلافات العقيدية المتراكمة ومن بينها مسألة الروح القدس التى تعود الى القرن التاسع، عندما أضافت روما على قانون الايمان عبارة «والابن» Filioque.

(1) THEOD. hist. eccl. I.8.

يظهر له شى، فصرف الناس فى ذلك اليوم وانفذ طلبه فوجده فى اعمال اشمون، فاتاه مسرعا ففرح به وطيب نفسه فظهر الصليب النور. ولما رأى تاوفيلس البطرك تواضع الشماس المذكور وفعله اراد ان يصيره قسا فلم يفعل وساله ان يعفيه من ذلك وان يصلى عليه ويدعه يمضى الى وطنه، ففعل له ما التمسه.



صليب على جدار صومعة راهب بدير اسنا

وكان لتاوفيلس البطرك ابن اخت اسمه

فى الاسكندرية أو غيرها من مدن الامبراطورية تلك الحوادث التى جرت من قبل على يد مليتيوس من قيامه بسيامة أساقفة وقسيسين.

ثم تعود الرسالة فتعرج بعد ذلك ثانية على الرجل فتقول «أما عن مليتيوس على أية حال، فهناك استثناء قد وقع، بسبب عصيانه السالف، ونتيجة مزاجة المتهور وطبعه الطائش، ذلك لأنه ان منح أقل سلطان فانه سوف يسئ استغلاله باثارة الاضطراب من جديد»[١].

وبعد أن يخبر المجمع السكندريين فى رسالته بأن أسقفهم سوف يروى عليهم تفاصيل ما دار فى المجمع وما قر عليه رأى رجال الاكليروس حضور نيقية، ويزف اليهم بشرى الاتفاق على تحديد يوم للاحتفال بعيد الفصح تشترك فيه كنائس شرق الامبراطورية والغرب[٢] يختتم المجمع رسالته بقول الأساقفة:

«فلتفرحوا اذن لنجاح ما تعهدنا القيام به، ولتبتهجوا بسلام عام ووفاق، واستئصال دنس الهرطقة، لتستقبلوا بشرف عظيم وبحب متقد اسكندر [الكسندروس] محبوبنا، أسقفكم الذى جلب على مجمعنا البهجة بحضوره، والذى رغم تقدم العمر به قد تحدى المشاق والمتاعب بغية اعادة السلام اليكم.

---

(1) THEOD. hist. eccl. I, 8.

(2) Id.

كيرلس قد علمه ورباه احسن تربيه ثم انفده الى جبل النطرون الى بريه ابى مقار القديس، فاقام هناك خمس سنين فى الديارات يقرأ الكتب العتيقه والحديثه، وكان يوصيه بالمواظبه على التعليم ويقول له: انك بذلك تصل الى اورشليم العلويه التى هى مسكن القديسين. وكان ملازمة فى قلاية البطركية وكان اغنسطسا. ولما انفده للبريه سلمه لسرابيون الحكيم ووصاه ان يعلمه علوم البيعه التى هى علوم الله الحقيقه،

صلوا من أجلنا حتى يبقى ما اتفقنا عليه ثابتا وطيد البنيان بنعمة ربنا يسوع المسيح، ان كل ما أتممناه بنعمة الله الرب وبوحى القدس صار.. له المجد أبد الآبدين» [1].

على هذا النحو أتم مجمع نيقية أعماله وارتحل الأساقفة عائدين الى كنائسهم يسبحون بحمد الامبراطور مبعوث الرب الذى أغدق عليهم نعمه، فجعلهم يرفلون فى رغد من العيش وسعة، ولا شك أن قسطنطين كان يرمى من وراء هذه السياسة الى جعل هؤلاء الأساقفة حملة مشاعل الدعاية لحكمة وتقوية سلطانه فى آرجاء الامبراطورية بما يملكونه من تأثير على نفوس رعاياهم. وقد أتت هذه السياسة أكلها، وآمنت الكنيسة بأن قسطنطين «مبعوث الرب» حاميها، وباعث حياتها، ورفعته مكانا عليا، الى الحد الذى تطوع فيه واحد من أشهر أساقفتها فى زمانه، أعنى يوساب القيسارى، ليضع عنه كتابا يرفعه به الى مصاف الرسل، جاعلا منه الحوارى الثالث عشر كما سبق وذكرنا.

خيل للامبراطور ساعتئذ أنه قد حقق بذلك أعظم انتصاراته، فقد تبدى له أنه حفظ على الامبراطورية وحدتها سياسيا وعقائديا، وأنه أعاد بذلك السلام الى الكنيسة وأنجاها من شر مستطير كاد يؤدى بوحدتها، وبالتالى يهدد أمن الدولة وسلامتها. ولقد تحمل قسطنطين العبء الاكبر. بل العبء كله فى الاعداد لهذا المجمع الكبير، وأثناء انعقاده وبعده، ولعب دورا هاما

---

(1) Id.

فحفظ جميع الكتب وكان يقف قدام معلمه يقرا
وفى يده سيف حديد فاذا نعس ينخسه به
فيستيقظ. وكان فى اكثر لياليه يقرا فى ليلة واحده
الاربعة اناجيل القتاليقون الابركسس، ورسالة بولس
المغبوط الاولى الى اهل روميه. فاذا كان بالغداه
ينظر معلمه وجهه فيعلم ا نه قد وقف ليلته كلها.
وكانت معه نعمة الله حتى انه كان اذا قرا كتابا
دفعه واحده يحفظه فحفظ فى تلك السنين جميع

وشارك مشاركة ايجابية فى كل حركة وسكنة من أداء المجمع، فحقق بذلك رغبته التى أبداها فى رسالته التى بعث بها الى الأساقفة يدعوهم للحضور الى نيقية.

ولقد وضع قسطنطين بسياسته هذه فى الدعوة لعقد المجامع سنة سار عليها خلفاؤه من بعد، فما من مشكلة عقائدية عنت للكنيسة الاووجهت الدعوة لعقد مجمع مسكونى لبحث هذا الأمر، ولم تكن الدعوة بطبيعة الحال صادرة من رأس الكنيسة أو من غيره، بل موجهة من الامبراطور ذاته، حتى بلغ عدد المجامع المسكونية التى عقدت فى الكنيسة الشرقية سبعة على مدى أربعة قرون بين عامى ٣٢٥، ٧٨٧ على عهد الامبراطورة ايرين.

وعلى هذا النحو أيضا وضع قسطنطين قواعد القيصرية البابوية Caesaropapism التى بلغت فى عهد من جاء بعده من الأباطرة شأوا عظيما، وأضحت الكنيسة الشرقية فى هذا السبيل دائرة من دوائر الحكومة أسقفها موظفا كبيرا لدى الامبراطور، وتمتع هذا بسطوة واسعة وسلطان كبير على الكنيسة ورجالاتها الذين أضحوا فى غالب فترات تاريخ الكنيسة لشرقية جند الامبراطور.

واذا كان هذا حال أسقفية القسطنطينية والكنائس التابعة لها بصفة خاصة، فان الكنائس الأخرى فى النصف الشرقى من الامبراطورية، والاسكندرية على رأسها لم تكن كذلك أبدا. فأساقفة الاسكندرية كانوا يعرفون يقينا ويقدرون مركز كنيستهم فى عالم المسيحية، ومدينتهم

الكتب الشرعيه، وبعد هذا انفذ تاوفيلس البطرك اليه واعاده الى اسكندرية، وكان معه فى قلايته ويقرأ بين يديه فتعجب منه الكهنه العلما والفلاسفه ويفرحون به لحسن صورته وطيب جرمه الذى لا يتغير كما هو مكتوب «أنى فتحت فمي واستنشقت روحاً». وكان كل الشعب اذا سمعوه يقرا يشتهون ان لا يسكت لحلاوة قراته وحسن صورته. وكان خاله الاب تاوفيلس يفرح به جدا ويشكر الله اذ رزقه ولد روحانيا قد نشا بالنعمه

فى دنيا الفكر والحضارة. فاذا كانت القسطنطينية تحاج بأنها مقام الأباطرة، وأنها نشأت على المسيحية، ولم تدنس جبهتها لوثن، وأنطاكية تتعالى بأن القديس بطرس هو الذى وضع عمد الكنيسة فيها قبل روما، فان القديس مرقس الانجيلى، ابن بطرس بالتبنى، وتلميذه، ورفيقه، هو الذى رفع القواعد من كنيستها، ولكنها الى جانب كل ذلك كانت تتسامى بمدرستها اللاهوتية الشهيرة، وفكر آبائها، ولم تكن القسطنطينية أو غيرها من مدن الامبراطورية تستطيع أن تتطاول الى هذه المكانة، بل ان عالم المسيحية كله فى هذه القرون الباكرة من عمر المسيحية، كان يسعى الى الاسكندرية ينتظر من أمر العقيدة، القول الفصل من كنيستها.

من أجل هذا، وللخلاف العقيدى الدائم بين القسطنطينية والاسكندرية بخاصة، وقفت كنيسة الاسكندرية تعارض الاباطرة الرأى وترفض تهديداتهم، وشهد تاريخها حتى القرن السابع صراعا عنيفا بين أباطرة بيزنطة وأساقفة الاسكندرية، ولم تستسلم فيه الاسكندرية طيلة هذه الفترة.

احياء الآريوسية وصحوة المليتية

كان قلب قسطنطين يهوى الشرق، ولكن بصره كان معلقا بالغرب. وبين قلب الامبراطور وبصره تأرجحت سياسته، وراح فؤاده والحواس ينتقل بين هذا الجانب أو ذاك، وما كان فى مقدور قسطنطين أن ينظر الى قلبه والنار تأكله لفتنة فى الشرق حادثة، وان كان باستطاعته أن

والحكمه، وكان له سيره حسنه وتواضع ولا يخرج
عن العلوم الروحانيه والنظر فى اقوال الابا معلمى
البيعه الارتدكسيه اتناسيوس، وديونوسيوس،
واكليليوس بطريرك روميه، واوسابيوس وباسيليوس
اسقف ارمنيه، وباسيليوس اسقف كبادوكيه. هولا
الابا الارتدكسيون الذى قرا تعاليمهم. وكان يرفض
مقالة اورجانوس ولم يمسك كتابه بيده يوما
قط فاذا بلغه ان احدا من المومنين قراه رفضه
وابعده.

يغمض عينيه على الغرب لهدوء متقطع فيه باد. وكم حزن الامبراطور ودمى قلبه وهو يرى شرقه ومبتغاه تفتك به حمى جدال اتشح مرضاه بمسوح الدين، وكم طاب خاطرا لغرب آثر أن يقى نفسه عدوى وباء فى الشرق ساد!!

فقسطنطين وان كان لم يخرج الغرب البتة من تفكيره، الا أنه جعل الشرق كل فكره، وكان قد قضى من عمره فى الشرق سنين عددا رهين قصر نيقوميديا، ولمس بنفسه أساليب الحكم فى المنطقة وطرائق الادارة، وكانت نظم الحكم هنا تنحو الى طابع الاستبداد سواء فى الملكيات الهلنستية القديمة أو الامبراطورية الفارسية ، وشاهد قسطنطين بعينى رأسه دقلديانوس وهو يمارس نفس الأنظمة، فلما جاء الى الشرق كان مصمما على أن يكمل خطا سلفه. فترك روما بتقاليدها الجمهورية والغرب بكيانه الاقتصادى المتصدع، وراح يضع على أطلال بيزنطة المدينة الاغريقية القديمة أسس عاصمة جديدة، فأظهر للجميع بذلك عزمه أن يكون الشرق مستقره ومثواه، وأمل أن يجد فى هذه البقاع سكينة كان ينشدها والهدوء، وتعلقت آماله برعاياه المسيحين عله يجد فيهم خير عون لنظم حكومته، ويقول ول ديورنت، لقد كان قسطنطين يأمل أن يكون حاكما مطلق السلطان، وهذا النوع من الحكم يفيد لامحالة من تأييد الدين، وقد بدا له أن النظام الكهنوتى وسلطان الكنيسة الدنيوى يقيمان نظاما روحيا يناسب نظام حكومته، ولعل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة وقساوسة يصبح آداة

وكان كيرلس لما قرا فى الانجيل المقدس: «اسيلو [اسألوا] تعطو اطلبو تجدو» فهم ذلك وطلب من الله العلم فاعطاه اياه. وكان كالنحل الذى يخرج يرعى من على كل النبات والاشجار ويجمع ربح نفسه الى ان يملا وعاه عسلا خالصا بغير دنس.

وسيرة الاب تاوفيلس كثيره جداً، منها ما جرى له فى اسكندريه مع تاودوسيوس الملك الكبير، وعجايب رفايل الملاك معه، وخبر الامراه الارمله



الامبراطور تاودوسيوس الكبير

لتهدئة البلاد وتوحيدها وحكمها[1]. ولعل فى مسلك قسطنطين تجاه أساقفة مجمع نيقية وما أغرقهم فيه من المنح والعطايا خير شاهد على ذلك.

لكن قسطنطين فجع وهو بعد فى الغرب بالصدع الدوناتى، ثم فجع أخرى أشد وأقسى عندما وطئت قدمه الشرق، فسارع الى دعوة أولى الأمر فى العقيدة المسيحية، ولما جمعت نيقية شملهم وقر على قانون الايمان رأيهم، قرت كذلك عين الامبراطور، ونفى مخالفيه وعلى رأسهم زعيمهم آريوس، ثم رجلى الفريق الشهيرين يوساب النيقوميدى وثيوجنس النيقى. وهئ لقسطنطين أنه بذلك قد نجا والامبراطورية من خطر كبير كان يهدد وحدة الدولة وأمنها، ولكن الأحداث سرعان ما أطاحت بكل حلم داعب خيال قسطنطين.

ما كاد المجمع المسكونى الأول ينهى أعماله ويعود أساقفته كل الى بيعته حتى عادت الفتنة ترفع رأسها من جديد، ولقد علمنا مما سبق أن يوساب أسقف نيقوميديا وثيوجنس أسقف نيقية، قد عادا سيرتها الأولى وراحا يبشران بأن الابن ليس من نفس جوهر الأب، مما اضطر الامبراطور الى أن يصدر قرارا بعزلهما ونفيهما، وتعيين بديلين عنهما، وبذلك ضمن قسطنطين - الى حين - هدوء هذه المنطقة.

(١) ديورنت: المصدر السابق، مجلد ٣ جـ٣ ص ٣٨٨.

وولديها اللذين صيرهما اسقفين، والتلت تيطات المكتوبات على بلاطة الكنوز الموجوده باسكندريه. وما اظهره رفايل الملاك من العجايب فى البيعه التى بناها تاوفيلس فى الجزيره(*)، ثم تسليط الملك له على مال البرابى من اسوان الى حدود ارض الشام وما مع ذلك. [وفى زمانه كان يوحنا فم الذهب، بركة صلاة الجميع تكون معنا امين].

(*) لعلها البيعة التى بنيت فى جزيرة الروضه ثم هدمت بعد ذلك.

أما فى مصر فيخبرنا يوساب القيساوى أن الحال فيها كانت غاية السوء عقب المجمع نتيجة انقسام داخلى[1]، آلا أنه لم يوضح سبب ذلك ولا طبيعته مما دفع سقراط الى اتهامه بالمكر والمراوغة، وأنه كان يتجنب ذكر أسباب الانقسامات هذه وذلك لميله الى الفريق الآريوسى[2]. ولكن سوزومين يفسر هذه الأحداث بقوله ان اسكندر [الكسندروس] بعد عودته الى الاسكندرية عقب ارفضاض مجمع نيقية، قام مليتيوس بتسليمه الكنائس التى كان قد أخذها قبلا[3]، وعاد ثانية الى مقره فى أسيوط تنفيذ لقرارات المجمع المسكونى الا أنه لم يمض على ذلك زمن طويل حتى أحس مليتيوس دنو أجله فعين شخصا يدعى يوحنا Iohannes خلفا له كان يعد أقرب أصدقائه، وذلك خلافا لما أقره المجمع النيقى[4]. وهكذا برزت الى الوجود قضية المليتية ثانية وأضحت مثارا للخلاف والشقاق.ويمضى سوزومين قائلا. وعندما علم الآريوسيون بما أبتدعه المليتيون بدأوا هم الآخرون يناوئون الكنيسة السلطان، فتبعهم من جديد أناس كثيرون، بينما مال الى المليتيين جمع رأوا من حقهم ترؤس كنائسهم. وعلى الرغم من أن الفريقين لم يكونا على وئام الا أنه جمعهما شئ واحد هو معارضة الكنيسة الجامعة

(1) EVSEB. vita Const. III, 28.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 23.

(3) SOZOM. hist. eccl. II, 21; ATHANAS. Apol. C. Arian. 71.

(4) SOZOM. hist. eccl .II, 21.

السيرة الثانية عشره من سير البيعه المقدسه
كيرلس الأول البطرك
[٤١٢/ ٤٤٤م]
وهو من العدد الرابع والعشرون

فلمـا تنيح الاب تاوفـيلس البطرك جلس الاب
كـيـرلس على الكرسى الرسـولى ورفع الاسـاقـفـه
الاناجيل الاربعه على راسه وصلو عليه وقالو اللهم
قو هذا الرجل الذى اصطفيته لنا. وبدا فاقام قومه

وعداوتها للاكليروس السكندرى، وبلغ من تقاربهما أن راح البعض يطلق على المليتيين صفة الآريوسيـة [١]. وان كان انشقاقهم، كما يعلق مؤرخنا، يعود الى مسألة تنظيمية بحتة بصدد رئاسة الكنائس فى الوقت الذى كانت فيـه الآريوسيـة مسألة عقائدية، وعلى الرغم من أن كليهما ينكر تعاليم الاخر الا أنهما اصطنعا المداهنة سبيلا يعامل به أحدهما الاخر فى سبيل تحقيق مصلحتهما فى مواجهة خصمهما المشترك[٢]. ومنذ ذلك الزمن تقبل المليتيون، بعد مناقشات حادة، العقيدة الآريوسيـة وحملوا نفس افكار آريوس عن الاله. وقد أحيا هذا من جديد الجدل حول آريوس وعقيدته، وأدى بالتالى الى انشقاق طائفه من العلمانيين ورجال الاكليروس عن غيرهم من الكنيسة، وحمى وطيس الجدل ثانية حول اريوس وعقيدته كثير من مناطق الامبراطورية[٣].

تلك كانت حال المسيحيين عقب انتهاء مجمع نيقية حيث يبدو من أقوال سوزومين أن قرار المجمع فى هذا السبيل لم يؤد الى امانة العقيدة الاريوسيـة أو رأب الصدع المليتى. أدرك قسطنطين بثاقب نظره أن محاولة لحسم الخلاف واعادة الوحدة للامبراطورية لن تؤتى ثمارها اذا بقى زعماء الفريق الاريوسى خارج حظيرة الايمان النيقى، واذا ظل اريوس بالذات يتحدى

(1) Id.
(2) Id.
(3) SOZOM. hist. eccl. II., 21.

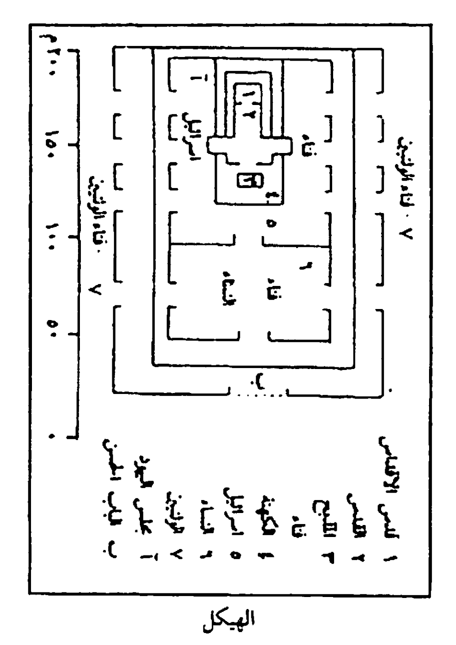
للبيع التى فى جميع الكرسى ليلا [لئلا] تشتغل عن الطعام الروحانى الذى به تتقوى على الامور المرضيه لله وبدا فى الحكمه المحييه.

واما الملك تاودوسيوس الصغير المحب لله فانه اتبع وصية اباية فكان يجمع اليه الرهبان ويتعبد معهم، ولم يكن له ولد وكانت أخته تدبر الملك.

وكان كيرلس البطرك لا يفتر من وضع الميامر والمقالات بقوة الروح القدس الناطقه فيه حتى ان

قرار أساقفة المجمع المسكونى، ومن ثم عزم على استمالته الى آرائه حتى ينجو بذلك من شبح الانقسام المخيف. وتلك كانت سياسة قسطنطين دائما، يمسك بقبضته الذكية عصا التسيار من وسطها، يقرب اليه فريقا من المتصارعين، حتى اذا أدرك أن زعماء هذا الفريق قد بدأوا يحسون بثقل مركزهم ورجحان كفتهم ، قلب لهم ظهر المجن، وعاد الى استمالة الفريق الاخر الذى كال لزعمائه ورجاله الويلات والاضطهاد، بعد أن تكون نفوسهم قد سئمت هذا العنت. لقد كان كل همه أن يظل حاكما قويا فردا فى امبراطورية موحدة، ومن ثم لم يكن ليسمح لفريق بأن تقوى شوكته أو يستشعر السلطان.

وأمامنا الان روايتان لسقراط وسوزومين حول عودة آريوس، تشير أولاهما الى أن الامبراطور قد عفا عن أسقفى نيقوميديا ونيقية المنفيين وأعادهما ال منصبيهما ثانية، وتكفل يوساب بعد ذلك بمحاولة اعادة آريوس الى الكنيسة ثانية، وتبرئة ساحته. ويقول سقراط ان الأسقف النيقوميدى استطاع أن يتحالف مع أحد رجال الدين الضالعين فى الاريوسية كان فى معية قسطنديا أخت قسطنطين وأرملة ليكين، وأوحى اليه يوساب أن ينتهز فرصة أحدى عظاته الودية مع قسطنديا ليخبرها أن قرار المجمع النيقى بادانة آريوس كان بعيدا عن روح العدالة، وأن التقدير الشائع الذى ينسب الى آريوس غير حقيقى. وقد أعطت الأميرة ثقتها الكاملة لهذاالرجل، غير أنها لم تطلع الامبراطور على شئ من ذلك. فلما أحست دنو أجلها وجاء اليها


الهيكل

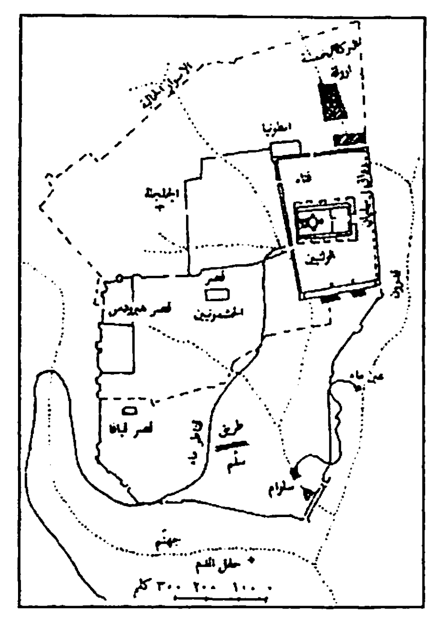
اكتر رويسا اسكندريه قسمو النساخ ينسخون لهم ما يضعه الاب. فقال له قوم من الفلاسفه: ان هناك ميامر وضعها يوليانوس الملك يرذل فيها موسى وجميع الانبيا ويجعل المسيح انسانا ساذجا، وكنا نقراها لان الملك وضعها وقال ان كلام الجليلى ساجعله كذبا لانه قال: لا يبقى حجر على حجر فى هيكل يروشليم الا ينقض، وانا اريد ابنيه وابطل قوله. وهدم يوليانوس المذكور ما كان بقى من الهيكل ليبنيه فمات ولم يبن فيه شيا، فقد

أخوها يعودها راحت تمتدح للامبراطور محاسن ذلك الرجل مثنية على ورعه وتقواه، ولكنها لم تفض اليه بشئ عن آريوس وظلامته. فلما توفاها الموت غدا واعظها أقرب ثقاة الامبراطور، وازداد على الأيام قربا منه، وودا له، فلما أمكن منه قص على مسامعه ما سبق أن ردده على آذان أخته، مؤكدا له أن اريوس ليس لديه أية آراء أخرى غير تلك التى أقرها المجمع، واذا ماسمح له بالمثول أمام الحضرة الامبراطورية فلسوف يقدم موافقته الكاملة على ما أقره الأساقفة فى نيقية. ولما تبدى ذلك عجبا لد الامبراطور انبسطت أساريره وصرح بأنه اذا وقع آريوس مع المؤتمر وتمسك بآرائه، فليسمحن له بالوقوف أمامه وليعيدنه الى الاسكندرية مبجلا. وقام الامبراطور من فوره ليرسل الى آريوس بهذا المعنى(١).

ولكن هذه الرواية لا يمكن قبولها على علاتها، فمجمع نيقية أدان الاريوسية وأشياعها، وتتبع الامبراطور أولئك الأشياع بالنفى والاضطهاد حتى يضمن استقرار الأمور وهدوءها تمشيا مع قرارات رجال الكنيسة وكان من الطبيعى أن يبدأ قسطنطين بتطهير بلاطه وقصره من هذا الفريق، فكيف نفسر اذن بقاء رجل من الضالعين فى العقيدة الاريوسية فى القصر الامبراطورى هاديا لأخت الامبراطور ؟ وما كان هذا براغب فى اثارة الشكوك حول نفسه، ولا أن يجلب

---

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 25.



صح لنا كلام المخلص وعرفنا ربوبيته لانه لم يبطل شى من كلامه.

فلما سمع كيرلس هذا قلق جدا الى ان وجد ما وضعه يوليانوس وقراه فوجده اشد مما وضعه اورجانوس وبرفاريوس [فرفوريوس] فلما لم يقدر الاب كيرلس ان يجمع النسخ التى تفرقت من تلك الكتب فى ايدى الناس كتب الى تاودوسيوس الملك يعلمه بذلك ويقول له: ان شيت [شئت] هلاك ما وضعه يوليانوس وابادة كفره

عليها نفور رجال الكنيسة وهو طالما سعى الى جمع شتاتهم لبلوغ مطمحه، وكان عليه اذا ما نفذ قرارات المجمع، الذى عده فى رسائله يصدر بوحى من الروح القدس(١) أن يبدأ بنفسه أولا وعشيرته الأقربين، هذه ناحية. والأخرى أنه لو كان صادقا ما يرويه سقراط لكانت قسطنديا، بفعل ذلك الرجل، أشد حبا لآريوس وأكثر حماسا لقضيته، ومن ثم يضحى تأثيرها على الامبراطور أوقع. الا أنها لم تخبر أخاها بشئ عن آريوس ولم تطلب منه عنه عفوا ولم تسأله صفحا. وفوق هذا وذاك ما يكنه الامبراطور ليوساب جزاء تحديه للاساقفة وتبجحه فى حضرة الامبراطور. وفى رسالة قسطنطين الى أهالى نيقوميديا نقف على مدى الاتهامات التى يقذف بها الامبراطور أسقف المدينة. ويقول زنوس Zenos أن سقراط ذكر تلك الحادثة فى غير موضعها، والذى نعلمه أن قرار العفو عن يوساب وثيوجنس قد صدر فى سنة ٣٢٨ أى بعد أن أمضيا فى النفى ثلاث سنين سويا (٢).

أما رواية سوزومين فنقف منها على أن الامبراطور قد أعاد آريوس من منفاه أولا، ولكن قرار منعه من دخول الاسكندرية ظل ساريا، وسرعان ما عاد كل من يوساب النيقوميدى وثيوجنس

(1) EVSEB. vita. Const. III, 17.

(2) Zenos, introduction to (SOCRAT. hist eccl. Nicene) II, p. 19, n. 1.

فاجمع هذه الكتب التى وضعها واضل الناس بها واحرقها(*). ففرح الملك بكتابه ومجد الله وفعل كل ما قاله له. وكتب الجواب يساله ان يصلى على مملكته، ففرح الاب كيرلس بذلك ووضع ميامر ومقالات يدحض فيها اقوال يوليانوس الملك، ويبكت افعاله وان الملاك اهلكه فى الحرب مثل شاول، وقال فيه اقوالا كثيره.

(*) كان حرق الكتب فى هذه الفترة وحتى المانيا النازيه من وسائل محاربة الأفكار المخالفة.

وبعد هذا وصل إليه خبر نسطور(*) ومقالته الفاسده، فحزن لذلك وقال: ما مضى بعدكفر

(*) نسطور والانشقاقات المذهبية:

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

النيقى الى كنيستهما بعد أن قدما الى الأساقفة وثيقة توضح عقيدتهما وأنهما انما يتبعان الايمان القويم حسبما قرره مجمع نيقية[1].

ويبدو أن الأمر اختلط على سقراط فعد جهاد يوساب بعد عودته من المنفى لقبول آريوس فى كنيسة الاسكندرية ثانية، وكان الامبراطور قد عفا عنه ولم يعد إلى الاسكندرية بعد، سعيا للعفو عن آريوس الذى كان الامبراطور قد أصدر فعلا قرار عفوه عنه.

والذى نراه أن الامبراطور وقد رأى المجمع لم ينجح فى القضاء على الآريوسية وأن خطرها لازال كامنا فى أفئدة الكثيرين، وهاهم الان يعودون من جديد لجمع صفوفهم فى مصر متضامنين مع الفريق المليتى، فى الوقت الذى أحست فيه الكنيسة الجامعة بقوتها، بعد هذا الاجماع الكبير على صيغة قانون الايمان النيقى، وبعد أن رأت نفى زعماء خصومها على يد الامبراطور، ولهذا أيقن قسطنطين تمشيا مع سياسته أن السبيل الوحيد لايجاد التوازن أن يعيد زعيم الآريوسية الى دائرة الكنيسة، وحتى يضمن أيضا بذلك صمت مشايعيه والتخلص من خطر هذا الانقسام فى الرأى، على هذا النحو بدأ قسطنطين يكاتب آريوس يدعوه للعودة الى حظيرة الايمان القويم. وقد حفظ سقراط رسالة بعث بها الامبراطور الى آريوس جاء فيها:

....

(1) SOZOM . hist. eccl. II, 16.

يوليـانوس حـتى جـا تجـديف نسطور بطريرك القسطنطينيه. فلما تحقق كيرلس فساد مقالة نسطور كتب إليه يقول هكذا: كيرلس بطريرك اسكندريه يكاتب نسطور بطريرك القسطنطينيه بسلام الاخوه في الله الحقيقي الذى وهب لنا النعمه واحده، وجعل جميع المسكونه فى اتفاق وفكر واحد بسفك دمه التى هى الامانه بابن [بأبن] يسوع المسيح. وباقى الرسالة معروف لم يكتب فى هذه السيره. وأعاد [نسطور] اليه

نسطور: ولد بجرمانيقية المعروفة الآن بمرعش فى سورية وأظهر فى مبدأ أمره غيرة ضد الاريوسيين والابوليناريوسيين حتى ارتقى الكرسى القسطنطيني وقال فى خطاب يوم رسامته «سلمنى أيها الملك الأرض خالية من الهراطقة فاسلمك السماء» وقال بعضهم «أن نسطور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل الى هرطقته» فانه ما عتم أن جلس على الكرسى حتى أخذ يعلم أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم

«لزمن مضىٔ بلغ نيافتكم أن فى مقدوركم الوفود الى مقامنا بغية الحصول منا على لقاء، وكم كانت دهشتنا بالغة لتوانيكم فى الاقدام. وعليه اذن.. بادروا بالارتحال مسرعين الى بلاطنا، وعندما تحسون رحمتنا بكم وتقديرنا اياكم تضمنون العودة الى دياركم. دعائى الى الله أن يحفظكم عزيزى»[١].

ويعلق سقراط على هذه الرسالة بقوله: تلكم هى رسالة الامبراطور الى آريوس وما أنا بمستطيع القول شيئا سوى أن أبدى اعجابى لتلك الغيرة والحماسة التى أظهرها الامبراطور من أجل الديانة[٢]!!

ويتضح من رسالة الامبراطور عدة أمور على جانب كبير من الأهمية، فهذه الرسالة لم تكن الوحيدة بين الرجلين، ولكنها كانت الأخيرة كما نعلم من سقراط[٣]. فحديث الامبراطور يوحى أنه بعث الى آريوس قبلا يدعوه للحضور اليه، وآريوس يتجاهل. ويبدى الامبراطور دهشته الكبيرة لذلك الاحجام من جانب آريوس، والرسالة تحمل فى طياتها نغمة عتاب للرجل على توانيه فى المثول أمام الامبراطور رغم أن ذلك عرض عليه أكثر من مرة، كما

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 25.

(2) Id.

(3) Id.

يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى أم الله بل والدة المسيح الإنسان وقصد بذلك أن يمهد السبيل الى أنكار الوهية المسيح الذى قسمه الى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط. وصرح مرة فى خطبة قائلا «كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس» وقال أيضا «كيف يكون لله أم فاذا يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات ألهتهم فى ملاعبهم. وقد كتب الرسول عن

الجواب بتجديف. فكتب انبا كيرلس الى الاساقفه يعلمهم حال نسطور، فاجتمعو اليه وقالو له قد سمعنا خبره وهذه حادثه صعبه لن [لأن] اريوس واشياعه وبولا ومانى وغيرهم من المخالفين ما كانو بطاركه، وقد اضلو جماعه من الناس فكيف هذا بطرك القسطنطينيه. فكتب اليه الاب كيرلس كتابا تانيا [مملو نعمه وحكمه ويحذره ويخوفه] يقول فيه كلاما كتيرا من جملته: اننى ما اصدق ما حكى لى عنك. ويعظه ويخوفه ويعرفه الايمان

يتضح أيضا مدى لهفة قسطنطين على استقبال الرجل وكأنه يغريه بفيض رحمته وسماحته بالاذن له بالعودة الى الاسكندرية، ولعلنا ندرك من قول الامبراطور هذا مدى حرصه على الحفاظ على وحدة الامبراطورية واقرارا السلام بها، وذلك شئ يفسره سقراط بغيرة الامبراطور وحماسته الدينية!!

أمام الحاح الامبراطور جاء آريوس الى القسطنطينية بصحبه يوزيوس الشماس الذى كان اسكندر [الكسندروس] قد حرمه باعتباره نصير اريوس عند بداية الجدال بين الرجلين[1]، وقد استقبلهما الامبراطور وسألهما عما اذا كانا قد وافقا على قانون الايمان النيقى، فأعطياه موافقتهما، فطلب اليهما أن يقدما اليه مكتوبا يؤكد قولهما[2]، فاستجاب آريوس وصحبه لأوامر الامبراطور وقدما اليه الصيغة التالية:

«آريوس ويوزيوس.. الى سيدنا التقى الورع قسطنطين الامبراطور.. أيها السيد الحاكم، وفقا لأمر جنابكم البار ها نحن نعلن ايماننا، ونعترف أمام الله كتابة أنا وأشياعنا نؤمن هكذا.. تؤمن باله واحد.. الآب القدير.. وبالرب يسوع المسيح ابنه المولود منه قبل الدهور. الله الكلمة الذى نزل وتجسد، وتألم، وقام ثانية وصعد الى السماء،وسوف يأتى ثانية ليدين الأحياء

(1) THEOD. hist. eccl. I, 3.
(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 25.

المستقيم ويسيله [يسئله] ان يرجع عن قوله الكفر، ويعلمه انه لا يقدر ان يضاد الله الذى صعد على الصليب من اجلنا. وهذه نسختـه: الى الاخ الشريك فى الخدمه، ما صدقت فيك ما قيل عنك اولا، والكتب التى وصلت إلى وقيل انك كتبتها لم اصدق ايضا ما فيها انه منك، لان الاقوال الكذب قد تنسبت الى القديسين، لانها كتب مملوه تجديفا وانا الان اوصيك ان تبعد عن هذا التجديف وهذه الخصايم فليس لك قدره على محاربة الله الذى

لاهوت المسيح انه بلا أب ولا أم ولا ميلاد. ان مريم لم تلد الهاً بل ما يولد من الجسد ليس الا جسد وما يولد من الروح فهو روح. ان الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت انسانا آله للاهوت».

ولما انتشرت بدعته قاومها البابا كيرلس كما ذكر وقرر حرمه ونفى الى ديرة الأول عله يرعوى عن غيه فلم يقلع عنه بل صار ينفث سمومه برهان ذلك الدير ولذلك نفى إلى أخميم بصعيد مصر وظل منفياً حتى مات.

والأموات . (نؤمن) أيضا بالروح القدس، بقيامة الجسد، بالحياة الاخرة، بملكوت السماوات. بكنيسة لله واحدة تمتد فوق كل أرضين.

هذا الايمان عن الأناجيل المقدسة تلقيناه، حيث يقول السيد لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح والقدس (متى ١٩/٢٨).

وانا ان لم نؤمن ونتقبل بحق الآب والابن والروح القدس كما تبشر الكنيسة الكاثوليكية والكتب المقدسة (التى نؤمن بكل ما جاء فيها) فالله قاضينا كلينا الان ويوم الدينونة، أيها الامبراطور القانت. نضرع الى تقواكم، نحن يا من كرسنا للاكليروس، يا من نتمسك بعقيدة وفكر الكنيسة والكتب المقدسة.. هلا سمح ورعكم وتقواكم بعودتنا ثانية الى أمنا الكنيسه. ولنلق جانبا سطحى المسائل والجدال. عندما نغدو كلانا والكنيسة وقد احتوانا سلام.. لعهدكم الأمين، ولأجل الاسرة كلها نقدم صلواتنا والابتهال»[1].

وأول ما يلفت النظر أن صيغة الايمان هذه جاءت خلوا من عبارة «من نفس الجوهر» (الهوموسية) وهى التى دار حولها الجدل طيلة طرح هذه القضية فى المجمع، وهى العبارة التى أخبر يوساب القيساري ان الامبراطور نفسه هو الذى اقترح اضافتها الى العقيدة. يضاف الى

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 26.

أما أتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا الى نصيبين وشرطنوا لهم رئيسا أطلقوا عليه لقب «جاثليق» واستمروا يذيعون بدعتهم ويوجد منهم لليوم فريق في جبل سنجار على حدود ايران وفي ملبار بالهند.

مجمع أفسس المسكوني الثالث:

انعقد سنة ٤٣١ بأمر ثيودوسيوس قيصر تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندري حضره مائتا أسقف

صلب عنا بالحقيقة ومات بالجسد وهو حي بقوة لاهوته وهو الجالس عن يمين الاب، والملايكه له تسجد والسلاطين والقوات، وهو الملك الازلى الذى اسلم الاب كل شي في يديه، وهو خالق الكل ولا قدرة لك على مقاومته، فاني انا قلت لك ما حل باليهود مقاوميه فليس انت غير عالم به وبما حل بالهراطقة اعنى سيمن [سيمون] الساحر ويوليانوس الملك واريوس.وهو ذا ايوب الصديق يقول: انظرو جراحاتي وخافو ومجدو الله. وانا

هذا خلوها أيضا من عبارة «مولود غير مخلوق» وهي التي ادخلت أيضا برأى المجمع على مرسوم الايمان القيساري. ويقول جونز ان صيغة الايمان التي قدمها آريوس ويوزيوس كانت في جملتها مختصرة ماكرة[١]. وعلى الرغم من كل هذا فان الامبراطور لم يلق بالا الى هذه الموضوعات التي كانت سببا في الانقسام، لعدم ادراكه لعمق هذه الخلافات اللاهوتية، متلهفا على اعادة الوحدة الى الكنيسة والدولة، فعد هذه الصيغة اعترافا من الزعيم الآريوسي بمرسوم الايمانن النيقي، وقبل منه وزميله ذلك، وقد رآه حسنا، واستجاب لنداء الرجلين الذى جاء في نهاية ملتمسها، وأصدر أو امره بالعفو عن آريوس وصاحبه. ولم يلبث الامبراطور أيضا أن قرر استدعاء كل من يوساب وثيوجنس من المنفي، وأمر بعودتهما ثانية كل الى كنيسته بعد أن قدما وثيقة توضح عقيدتها وأنهما يتبعان الايمان القويم[٢]. وكان هذا يعني بداهة عزل الأسقفين البديلين أمفيون وكرستيوس اللذين اختيرا من قبل.

ولعلنا ندرك خلال كل هذه الحوادث دور الامبراطور في تحريكها، فلقد تكفل بمراسلة آريوس ودعوته الى بلاطه وطلبه اليه تقديم صيغة للايمان موافقة الكنيسة، وقبوله بنفسه لهذه

---

(1) Jones, Constantine, p. 175.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 16.

اقول، ان البيعه لا تصبر عليك ان تشتم الاهنا وهى التى ابواب الجحيم لا تقهرها، وانت تعلم ما نالها من التجارب [المحن] ولم يقدر احد عليها لانها هى كالصخرة فى الامانه، فانظر انت ما تفعل الان والسلام.

فلما وصلت هذه الرساله الثانية الى نسطور كتب ايضا رساله مثل الاولى ملانه تجديفا، فلم ان وصلت الى الاب كيرلس كتب اليه رساله تالته من نبوات الانبيا ومن الانجيل والرسايل وارسلها له.

لمحاكمة نسطور الذى أنكر أن السيدة العذراء والدة الاله وعلم باقنومين فى السيد المسيح فحكم المجمع بحرم هذه البدعة وأثبت ان فى السيد المسيح اقنوما واحدا وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الإيمان التى هى «نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا. المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل

الصيغة دون أن يرجع فى شئ من هذا كله الى أى من رجال الكنيسة، ولم يطلب اليها رأيا أو يستمد نصحا. وذلك شئ لم يكن من غير الطبيعى فى شئ ما دامت الكنيسة قد هللت للامبراطور وهو يترأس مجمع أساقفتها ويتدخل بنفسه فى أمور العقيدة بالحذف والاضافة، فلا غرو اذن أن يحرم الامبراطور، ويمنع، وأن يعفو ويصفح دون أن يرهق فكر الكنيسة بشئ من هذا. واستسلمت الكنيسة طوعا وكرها، فوضع قسطنطين بذلك لخلفائه سنة احتساب الكنيسة دائرة من دوائر الحكومة، للأباطرة حق تعيين كبار موظفيها وعزلهم.

غير أن شيئا لم يكن فى الحسبان جاء قسطنطين على غير توقع، وبدد حلم سلامه وأمل الوحدة لديه، ذلك أن كنيسة الاسكندرية رفضت الانصياع لأوامر الامبراطور، ووقفت وحدها، على الأقل، من بين كنائس الامبراطورية تدافع عن الايمان النيقى الأرثوذكسى متحدية الامبراطور، ضاربة بعرض الحائط قراراته ورغبات بطانته الكنسية الجديدة. وذلك فى عهد شخصية تعد من أقوى الشخصيات المصرية هو أثناسيوس، أسقف الاسكندرية، شماس المجمع النيقى الشهير، الذى تولى الأسقفية خلفا لسلفه اسكندر عام ٣٢٨ [٣٢٦ عند ساويرس]، فبدأ بهذا الرجل فصل جديد من فصول الصراع بين الكنيسة والدولة لم يسدل عليه الستار الا فى القرن السابع والمسلمون على أبواب مصر.

يقول: انك لم تكن اسقفا ولم يكن احد يعرفك إلا جيرانك واقرباك، فلما جلست على كرسى ابن الله عرفك كل واحد لجل [لأجل] مجد البيعه فوثبت على الرب بكلام تجديف لاتقدر تثبته ولا تحققه، واذا فتشت [الكتب] العتيقة لم تجد فيها ان المسيح يسمى انسانا محضا كما تزعم، وانما انت تظهر انك تقاوم الله خالقك الذى اشتراك بدمه وهو الله الابن ابن الله الاب كما سمى فى الكتب العتيقه والحديثه، وكما سمى فى انجيل يوحنا انه

الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشّر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب ارحم يارب بارك آمين» ثم أمروا بأن يقرأها كل المسيحيين من الكهنة والشعب شيوخاً وصبيانا ورجالا ونساء فى الصلوات والقداسات وبعد أن ثبتوا الكنيسة بالقوانين انصرفوا إلى بلادهم.

أوطاخى: كان راهبا مترأسا على دير بالقرب من القسطنطينية به ٣٠٠ راهب وكان قد قاوم نسطور وأساقفته برسالة وشكاه لمجمع أفسس حيث

خيل للامبراطور أن سنوات عمره الباقية ستنقضى فى هدوء كان دائما ينشده، فها هو آريوس نفسه قد عاد الى الاعتراف. على الأقل من وجهة نظر الامبراطور، بالايمان النيقى، وها هم صحبه قد سلكوا أيضا نفس السبيل، ولم يبق اذن الا أن يقبل الأسقف السكندرى أثناسيوس آريوس فى الكنيسة ثانية. ولكن الامبراطور كان واهما فى تصوره، فالأساقفة الآريوسيون وان كانوا قد أبدوا موافقتهم وبصورة غامضة على ما قرره أساقفة نيقية الا أن ذلك لم يكن صادرا عن رغبة أكيدة فى اعتناق هذا الايمان فعلا. وذلك شئ برهنت عليه أحداث ما يقرب من قرن من الزمان. ولكنهم كانوا فى حقيقة الأمر يؤمنون تمام الايمان أن آريوس على اليقين وأن خصومه عن الحق بعيدون. ومن ثم راحوا يسعون جاهدين لكسب الامبراطور الى جانبهم لتأيد قضيتهم . وساعدتهم على ذلك الأحداث.

يخبرنا سقراط [١] وسوزومين [٢] أن يوساب النيقوميدى وثيوجنس النيقى قد حظيا لدى الامبراطور وعقب عودتهما من المنفى بمكانة كبيرة وحرية فى القول وتأثير كبير على الامبراطور، وقد يبدو ذلك عجيبا اذا ما عدنا الى الرسالة التى بعث بها الامبراطور الى أهالى

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 27.

(2) SOZOM. hist. eccl. II. 22.

الابن الوحيد الذى فى حضن ابيه، ومتى الانجيلى يقول انه «عمنويل» الذى تفسيره «الله معنا» كما قال اشعيا في نبوته، ومرقس يشهد في انجيله انه لما ساله ريس الكهنه وقال له:انت ابن الله قال له: نعم انا هو ومن الآن ترون ابن الله جالسا عن يمين القوه ومقبلا على السحب ليدين الاحيا والاموات. اليس هذه الشهاده هى التى يشهد بها بولس. انها الاعتراف الحسن الذى به قدام بلاطس البنطى، هذا الاعتراف هو الذى البيعه ثابته عليه، ولاجله

ذهب بشخصه ليشهد على ضلاله ولهذا كان أصدقاء البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الإيمان. وفى سبيل المدافعة عن مقام المسيح ضد نسطور تطرف فى التعبير عن طبيعته فقال أن طبيعته الناسوتية اندمجت فى اللاهوتية وحرم هذا التعليم فى المجمع الافسسى الثانى سنة ٤٩٤م الذى ترأسه البابا ديوسقوروس الا أن أوطاخى اعترف بايمان مجمع نيقية فحل من حرمه وقام بنشر مذهبه الآب بارسوما وتلميذه صموئيل بين الارمن سنة ٤٦٠م.

نيقوميديا يوضح لهم فيها خبائث يوساب ورفيقه، ولكن سرعان ما يزول العجب اذا أدركنا أن الامبراطور كان يبغى كسب ولاء انصارهما، ومن ثم قربهما الامبراطور اليه متغاضيا عن كل ما جرى على قلمه عنهما أنفا. هذا من ناحية، ومن الأخرى فقد قدم الرجلان لقسطنطين وثيقة ايمان عدها قويمة وارتضى بها أرثوذكسيتهما. أما الثالثة فقد كان للاتجاه الذى اتخذه أثناسيوس السكندرى أكبر الأثر فى ايغار صدر الامبراطور عليه وتقريبه بالتالى لخصومه الذين وجدوا فى ذلك أعظم الفرص لبلوغ غاياتهم.

سعى الشيخان لدى الامبراطور لاعادة آريوس ثانية الى كنيسة الاسكندرية، وكان قسطنطين على وعده الذى وعد به آريوس فى رسالته الأخيرة اليه، فكتب الى الأسقف السكندرى يطلب اليه قبول آريوس [١]. كما كتب يوساب النيقوميدى أيضا الى أثناسيوس بهذا المعنى، وان كانت لهجة يوساب تحمل ضمنا معانى التهديد [٢]. غير أن أثناسيوس أرسل الى الامبراطور ما يفيد عدم قبوله الزعيم الاريوسى فى بيعته [٣].

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

(2) SOZOM. hist, eccl. II, 18.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

صارت ربوات شهدا لا يحصى عددهم. الم تسمع جبرايل الملاك يقول للست السيده(*) مرتمريم ان الذى تلدينه هو من روح القدس وابن الله يدعى، الذى على الكل الممجد الى ابد الابدين. من هذا الذى حمل خطايا العالم. اليس هو يسوع المسيح ابن مريم الذى ولدت لنا الله الكلمة متجسدا. ان كنت تعتقد انه نبى كموسى فما قدر موسى ولا احد من الانبيا يحمل خطايا العالم، لكن ريس الصلاح المسيح حمل خطايا

(*) الست السيدة مرتمريم: تعنى الست هنا «إيزت» أى إيزى: ايزيس، وليس معناها كما يتوهم البعض السيدة لأنه، كما هو واضح هنا أن إيزت لحقت بها كلمة السيدة. ومن الملاحظ أن المصريين يطلقون على كل القديسات ونساء آل البيت لقب «الست».

ذلك أمر لم يكن يتوقع الامبراطور حدوثه. فقد حسب أن أحدا من رجالات الكنيسة قل شأنه أو كبر لا يملك المقدرة للاعتراض على أى قرار للامبراطور، ومن ثم استشاط غضبا لهذا الذى يسمع ويرى!! وزاد الطين بله أنه قد بلغه أيضا أن أثناسيوس رفض قبول المليتيين فى الكنيسة، واحتج على اختيار يوحنا المليتى خلفا لمليتيوس[١]. وكان المليتيون قد جأروا بالشكوى للامبراطور من المعاملة التى يلقونها على يد أسقف الاسكندرية، ويصور سوزومين حالة قسطنطين عندئذ أحسن تصوير حيث يقول «أصبح الامبراطور من أمره فى حيرة.. أى الفريقين يصدق؟! لقد كان أمامه كثير من الاتهامات التى الصقوها ببعضهم، وهناك أيضا العديد من البيانات والأدلة التى قدمها الطرفان، فلما عاين الامبراطور ذلك كله استبد به القلق وبلغ به الغضب حدا كبيرا» [٢]. فكتب فى محاولة لاعادة الوئام، الى أثناسيوس متوعدا، وحمل الرسالة اثنان من موظفى القصر هما سينكلتيوس Syncletius وجاودنتس Gaudentius[٣] وجاء فيها:

«أنك ولا شك تعى تماما ارادتنا، لا تحل البتة بين أى فرد ورغبته فى دخول الكنيسة،

(1) SOZOM. hist. eccl. II, 22.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 22.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

العالم بصعوده على الصليب من اجلنا. الم نسمع بولس الرسول يقول: ليس هو انسان بل هو الله صار انسانا. ويقول ايضا بولس: ان ليس ملاك ولا شفيع خلصنا بل يسوع المسيح والله الاب اقامه من الاموات. أرايت الان كيف اعترف انه الاه، وكيف اعترف بالالام التى قبلها بجسده المقدس، فان كان ليس هو الاها فكيف اعترف بولس ان خلاصنا ليس هو من انسان ولا من عند انسان ولا ملاك ولا شفيع لكن من عند الله يسوع المسيح،

ولتدرك جيدا أنه اذا ما نما الى علمنا أن أحدا ممن يرغبون فى العودة الى الكنيسة قد حيل بينه وبين ما يشتهى لأبعثن على التو من يقوم بعزلك انفاذا لمشيئتى ويرسل بكم الى المنفى»[١].

ويبدو أن الامبراطور لم يكن جادا فى تهديده هذه المرة، فقد قصد بذلك مجرد قهر أثناسيوس على الامتثال لأوامره، وذلك شئ دلت عليه الأحداث بعد ذلك وأوضحه تعليق سقراط على هذه الرسالة بقوله ان الامبراطور ما أقدم على ذلك الا مدفوعا بالرغبة فى نشر الخير العام وعدم رؤية الكنيسة ممزقة، فطالما جاهد الامبراطور ليجمع على الوئام صفوفهم»[٢].

ومهما يكن من أمر فقد اتضح الآن أن الفريق الاريوسى قد بدأ يفيق الى حد بعد الكلمة التى كالها له مجمع نيقية، وأخذ الامبراطور بالتالى يدخل هذ الظاهرة فى اعتباره ويحسب بدقة حسابها، الا أن أحداثا أخرى وقعت خارج الاسكندرية جذبت اهتمام الامبراطور الى حين، وكان منشؤها كما يقول سقواط ما تبين خلال الرسائل التى تبودلت بين الأساقفة عقب مجمع نيقية، أن عبارة «من نفس الجوهر» قد سببت المتاعب للكثيرين منهم، ولذلك فانهم شغلوا أنفسهم بفحص دقيق حول فحواها مما أدى بالتالى الى اشعال نيران الجدال بينهم ثانية، ويضيف سقراط، يبدو أن المسألة كانت نزاعا فى ظلام لأن أحدا من الحزبين لم يحاول فهم

(1) SOZOM. hist . eccl. II, 22.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.


السمكة والحمامة رمزا المسيح

واعتـرف ايضـا بموته، اذ قال ان الاب اقامـه من بين الاموات فـرايت الان هذه الحكمه المملوه امانه بسيدنا المسيح، والان فقد انفدنا اليك هذه المكاتبه ايهـا الاخ لتـدخـرها فى وسط البـيـعـه، وليس انت غيرعارف فاقرا الكتب لتعلم منها هداواكثر منه، وقد انفدت اليك الاخوه وسالتهم ان يقيمو عندك لتبحث وتجتهد شهرا وتفحص الكتب وتكتب لنا بما عندك والسلام.

فلمـا وقف نسطور على هذه الرسـاله لم يقـبل

موقف الآخر والأسس التى يعتمد عليها، فهؤلاء الذين يعارضون هذه العبارة يعتقدون أن أنصارها يتحمسون لاراء سابليوس ومونتانوس، ومن ثم أطلقوا عليهم مجدفين أو ملاحدة. هذا على حين يتهم أصحاب هذه العبارة خصومهم بالشرك والقول بتعدد الآلهة معتبرين أياهم وثنيين يؤمنون بالخزعبلات، وعلى هذه الشاكلة أتهم يوستاتيوس Eustathius أسقف انطاكية يوساب أسقف قيساوية بالمروق عن قانون الايمان النيقى، فأنكر يوساب ذلك ورد التهمة اليه بأنه مدافع عن أفكار سابليوس،ونتيجة لذلك أو لسوء الفهم هذا، على حد تعبير سقراط، كتب كل منهما كما لو كان يناضل عدوا لدودا.

الحقيقة أن لدينا عديدا من الروايات عن الاتهامات التى سيقت ضد يوستاتيوس، فيوساب صاحب النزاع معه لا يعطينا أى تفصيلات عن أسباب هذا النزاع، ولعل ذلك قد يبدو متفقا مع نهجه فى كتابه «حياة قسطنطين»، ولا يذكر شيئا عن هذه الحوادث سوى أن «تدابير الشيطان وعيون الحاسدين» هى التى أحدثت هذه الاضطرابات فى أنطاكية بزعامة يوستاتيوس[1]. أما أثناسيوس فانه يثنى على الأسقف الأنطاكى ويمتدح خصاله وقويم ايمانه مما لم يرضى خصومه الآريوسيين فكالوا له التهم عند الامبراطور مدعين بأنه أهان هيلينا[2].

---

(1) EVSEB. vita const. III, 59.

(2) ATHANAS. hist. Arian. 4.

الاخوه الواصلين بها اليه ولا قبلها ولا كتب عنها جوابا. فاقاما شهرا كاملا هناك كما امرهم انبا كيرلس البطرك وهم يترددون الى نسطور فلم ياذن لهم فى الدخول بل قسى قلبه متل فرعون. وكان نسطور صديقا لتاودوسيوس الملك منذ كانا فى المكتب [الكتاب او المدرسة] وكان الملك يقول له: ما سمعت احدا من معلمى البيعه يقول مثل قولك قط. فلم يسمع منه. فعاد الرسل الى الاب كيرلس وأعلموه بما كان، فعند ذلك تقوى

على حين أن ثيودوريت يوسع دائرة الخلاف لتشمل يوساب النيقوميدى معتبرا اياه سبب كل هذا البلاء، ويقول انه أبدى رغبته للامبراطور فى السفر الى أورشليم لحضور الاحتفالات المقامة لتدشين الكنيسة التى أقامها الامبراطور هناك. ولما كان قسطنطين قد اطمأن لأقواله فقد سمح له بذلك وزوده بكل ما يحتاج اليه فى حله وترحاله، ولما كان ثيوجنس أسقف نيقية صديقه الحميم فقد اصطحبه معه فى سفره، فلما وصلا الى الأماكن المقدسة تلاقت وجهتا نظرهما مع من يشاركونهما الرأى فى فكرهما خاصة يوساب أسقف قيساوية، وباتروفيلوس أسقف بيسان، وآيتيوس أسقف اللد وثيودوتوس أسقف اللاذقية، وأخرين غيرهم يتعاطفون مع العقيدة الاريوسية، وقر رأيهم على تدبير «مؤامرة» معينة. ومن ثم رحلوا الى أنطاكية وكان ادعاؤهم الذى زعموه لهذه الرحلة هو رد اعتبار يوساب[1]. ولكن الغموض يكتنف هذه القصة، فالاحتفال بتدشين كنيسة أورشليم تم عام ٣٣٥، بينما وقعت هذه الاحداث سنة ٣٣٠[2]. وعلى الرغم من تعدد هذه الروايات الا أن الاجماع عندهم على أن مسألة العقيدة والخلاف بين الرجلين بشأنها كان السبب الرئيسى فى حدوث هذه الاضطرابات. ولحسم هذا الخلاف

(1) THEOD. hist. eccl. I, 20.

(2) McGiffert, op. cit. p. 21; Latourette, Christianity, p. 158; F. Jaclson, op. cit. p. 316; Palanque, Bardy, Labriolle, op. cit. III, p. 102.

كيـرلس بسـلاح ابويه الاكسندرس واتناسيـوس
ولبس درع الايمان الذى خلفـوه ابهـاته فى بيـعـة
مارى مرقس الانجيلى وخرج الى الحرب مثل داود
وقلبه ثابت بالمسيح الله، وكتب الى بقية الاساقفه
وكاتبو الملك يسالونه ان يكون لهم مجمع للنظر
فيـما قاله نسطور، ويذكرون له ان أبهاتهم الذين
ملكو قـبله كـانو فى كـل وقت وزمـان يرتبـون
البيعه، وكان لهم الصبر الجيد ومساعدة الاساقفه
على تثبيت الامانه المستقيمه لكى يصلوا على

دعا الى عقد مجمع فى أنطاكية[١] ترأسه يوساب القيسارى[٢]. ويسوق ثيودوريت صورة من الاتهامات التى وجهت ضد يوستاتيوس[٣]، ولكن هذه الاتهامات تبدو غير حقيقة لأنها لم ترد فى كتـابات سـقراط أو سـوزومين أو أثناسيـوس. ولكنا نعلم من سـقراط أن كـيروس Cyrus أسقف بيرويا Beroea (حلب) قد تولى مهمة الادعاء ضد يوستاتيوس، فاتهمه بأنه يردد نفس الآراء السـابيليـة[٤]. ولما كانت غالبية الحاضرين فى المجمع من مؤيدى يوساب تم عزل يوسـتـاتيـوس من منصبه[٥]، وأصـدر الامبـراطور أوامـره بنفيـه الـى تـرجـانابوليس فـى تراقـيـا[٦]. وحول ما يقوله سقراط عن عزل أسقف أنطاكية تتضح الحالة التى كانت تسود الكنيسة عندئذ، والعداوات المتاصلة بين رجالها، فبعد أن يسوق حادث العزل يقول ان هذا الاجراء قد اتخذ لأسباب غير مقنعة، وقد كان هذا أمرا شائع الحدوث، فقد اعتاد الأساقفة أن

(1) EVSEB. vita Const. III, 60.

(2)Downey, op. cit. p. 352.

(3) THEOD. hist. eccl. I, 20.

(4) SOCRAT. hist. eccl. I, 24.

(5) EVSEB. vita Const. III, 60; SOCRAT. hist. eccl. I, 24;

(6) HIER. vir. ill. 85.

ملكهم ، والان فهذا نسطور قد شتت البيعه وليس
هو بعيدا من ضلالة عبادة الاوثان بقوله المجدف
المملو تجديفا اذ قال ان المسيح انسان فقط ، وانه
نبى لا غير وقد جا الى العالم انبيا كثير ولم يعبد
احد منهم، فاذا كان هذا يعبد انسانا فقد صار
عابد وثن. ولما قال بطرس لسيدنا المسيح: حسنا يا
معلم ان نكون هاهنا ونتخذ تلت مظال واحده
لك وواحده لموسى وواحدة لايليا لانه خالقهما
والاههما، واظهر مجده لتلاميذه باحضارهما

يفعلوا ذلك فى كثير من الأحوال، يتهمون ويعلنون فساد أولئك الذين يعزلونهم دون أن يقدموا تبريرا لهذا العمل[١].

ما كاد المجمع يصدر قراره بعزل يوستاتيوس حتى شبت الثورة فى انطاكية وانقسم الناس الى فريقين، بين مؤيد للقرار ومعارض، وحمل كلاهما السلاح وأضحت المدينة على شفا الحرب الأهلية، وارتاع الامبراطور لهذه الأحداث، وأصبح الامر فى نظره غاية فى السوء، وامتلأ على حد تعبير سوزومين غيظا وحنقا، وأرسل على الفور من لدنه قائدا كبيرا خوله سلطات ضخمة لاخماد هذه الفتنة[٢] هو موزونيانوس Musonianus[٣] ووضع حد لهذا الاضطراب دون اللجوء الى العنف كلما أمكن ذلك [٤].

وتضطرب الروايات فيمن خلف يوستاتيوس على أسقفية أنطاكية، فسقراط[٥] وسوزومين[٦] يعطيانا اسم يوساب القيسارى مباشرة مرشحا لهذا المنصب، على حين نعلم من

....

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 24.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 19.

(3) Downey, op. cit. p. 352.

(4) SOZOM. hist. eccl. II, 19.

(5) SOCRAT. hist. eccl. I, 24.

(6) SOZOM . hist. eccl. II, 19.

الواحد من السما والاخر من الارض. ونحن نسيل ملكك الضابط ان يكون لنا مجمع للنظر فى هذ، ونصلى عليك وعلى ملكك لتخلص ايها المحب لله. فلما قرا الملك الكتاب تحرك بقوة الرب وجمع الاساقفه الى مدينه افسس هو والبطرك، فاجتمع هناك ما يتا اسقف من ساير المدن كل واحد منهم معه قسيسان وشماس من كرسيه، وانفذو الى نسطور ليحضر وانتظروه عدة ايام فلم يحضر، فكتبو الى الملك واعلموه ان نسطور لم يحضر

رواية أخرى أن باولينوس أسقف صور قد خلف الأسقف الأنطاكى المعزول مدة ستة أشهر فقط[١]، ثم تبعه بعد ذلك يولاليوس Eulalius والذى لم يمض عليه الا زمن يسير وذلك حسب رواية ثيودويت[٢]. ثم رأى الأساقفة بعد ذلك ترشيح يوساب القيسارى لشغل كرسى الأسقفية الشاغر[٣] ويقول سوزومين: لقد دخل فى روع أولئك الأساقفة الذين اجتمعوا فى أنطاكية وأصدروا قرارهم بعزل يوستاتيوس، أن هذا القرار سوف يلقى استحسان الجميع عامة والامبراطور خاصة اذا ما رفعوا الى الكرسى الأسقفى بدلا منه رجلا يميل الى ارائهم معروفا لدى الامبراطور قريبا منه، مرموقا فى علمه وفصاحته. ومن ثم قر رأيهم على يوساب القيسارى، وكتبوا الى الامبراطور بخصوص هذا الموضوع وأكدوا له أن هذا الاقتراح يلقى استحسان الأساقفة ورضاء الرعية[٤]. غير أن يوساب رفض قبول هذا المنصب وكتب الى الامبراطور رسالة بهذا المعنى[٥].

---

(١) مات بالولينوس قبل مجمع نيقية. أنظر:

(2) McGiffert, op. cit. p. 45.

(3) THEOD. hist. eccl. I, 21.

(4) SOZOM. hist. eccl. II, 19.

(5) Id.; SOCRAT. hist eccl. I, 24.

فانهم ينتظرونه. فسال نسطور الملك ان ينفذ معه مقدما يحفظه وقال له انهم كثير وانا خايف ان يقتلونى، فانفذ معه بطريقا يقال له قنطيطيانوس وكان رايه راى نسطور. فلما وصل الى المجمع اخذ كيرلس فى الليل حبسه فى موضع فيه قمح هو واصحابه فقال كيرلس لاصحابه: اى شى تحت ارجلنا؟. قالوا له:قمح. قال الشكر لله المبارك الذى اعطانا الغلبه لانهم جعلونا فى بيت الحياه. وكان فعل قنطيطيانوس هذا مساعدة لنسطور ليخيف

وكان قرار يوساب بعدم قبول هذا الكرسى الشاغر دليل حصافة وحسن رأى من جانبه. فقد رأى أن انقسام الأنطاكيين سوف يزداد حدة اذا ما رأوا أن يوساب خصم يوستاتيوس اللدود قد أصبح أسقف المدينة، وكان يوساب غير راغب فى احداث صدع فى الكنيسة[1]. هذا بالاضافة الى أن هذا المكان الجديد ما كان ليجذب رجلا فى مثل عمر يوساب كان مزاجه آنئذ محبا للسلام وذوقه مدرسيا، ففى قيسارية قضى يوساب الجزء الأكبر من حياته، وبها مكتبة أستاذه بامفليوس تحت تصرفه،و كما أن الفرصة له هنا سانحة لمتابعة أعماله الأدبية والعقائدية. أما فى أنطاكية فلسوف يجد نفسه مرغما على الغوص فى فتن من كافة النواحى.وسوف يجد نفسه ملزما لتكريس انتباهه فى انجاز مهامه الرسمية وحدها.

هذا من ناحية، ومن الأخرى لا يخفى علينا علاقة يوساب بالامبراطور، وكان الأول يعلم مدى حرص قسطنطين على وحدة الكنيسة وبالتالى وحدة والدولة، ويدرك تماما ما انتاب الامبراطور من ضجر وغيظ لدى سماعه بانقسام رجال الكنيسة فى مصر وما جره هذا الانقسام على كنائس الشرق من فرقة وتخاصم. ولذلك ما كان يوساب يرغب مطلقا فى أن يزيد الى اآلام الامبراطور جرحا آخر بالعمل على استفحال الفوضى والاضطراب والشقاق فى أنطاكية. وما كان ليجر على نفسه غضب الامبراطور ونقمته، بل لا شك أن يوساب كان يعلم

(1) McGiflert op. cit. p. 22.

كيـرلس ومن معه من الاساقفه المجتمعين به حتى
يتفرقو فلم يتم له ذلك، فانهم ماكانو اجتمعو الا
وقد ابذلو نفوسهم للموت على الأمانه. فلما تحقق
منهم ذلك اطلق كيـرلس واصحـابه، وخـاف ان
يتصل الامر بالملك فيهلكه فجعل يحفظ الطرقات
ومنع اصحاب الاخبار ان يكتبو بشى من ذلك الى
الملك، ثم اقـامـو الابا عـدة ايام ومـعـهم اسـقف
افسس مجتمعين مصلين ونسطور منفرد عنهم ولم
ياتيهم، فانفذو اليه تلته اساقفه يسالونه ان يحضر

أن الامبـراطور سـوف يرفض مثل هذا الاقتـراح، لهـذا آثر الانسـحاب بنفسـه قبل أن يرغـمه الامبراطور.

تبـدى اهتمـام قسطنطين البـالغ بهـذه المشكلة فى الموقف الذى اتخـذه حيالهـا، فقـد بعث بثلاث رسائل الى شعب أنطاكية ويوساب ومجمع الأساقفة بها، وتعد الأولى أهم هذه الرسائل على الأطلاق لانها تفصح بجلاء عن قلق الامبـراطور واضطرابه ورغبتـه فى حسم هذا الأمر بصورة فعالة. وقد بدأ قسطنطين رسالته بمقدمة طويلة عن السلام والتمسك بالقانون الألهى وضرورة احلال الوئام بين الجميع. ثم يقول:

«لعلكم الآن تقفون مشدوهين، ولعلكم أيضا فى حيرة من أمركم تتساءلون ماذا يعنى بهذا التمهيد ؟! بلا حذر سأجيبكم وبلا تردد. أصدقكم القول.. ما أن طالعت كتاباتكم الى والتى تعلى فى الخافقين ذكر يوساب أسقف قيسـاوية، ذلك الرجل الذى أعرفه حق المعرفـة وأكن لعلمه واعتداله كل تقدير، حتى أدركت أنكم به متعلقون، وفى الاستئثار به راغبون.. اية أفكار اذن تظنون أنى أحملها حول هذا لأمر، وأنتم تعلمون رغبتى فى البحث من أجل الحق وانقاذ مبادئه؟! ألا تدرون أى قلق انتابنى لرغبتكم هذه ؟... ان الذى جعل من الحفاظ على السلام مبتغاه يغدو سيدا على النصر ذاته. وحيث يبدو الطريق عند أى اختيار قويما بيناً، فلن يتردد امرؤ أن يسلك جادته. والآن.. اخوتى، إنى لأتساءل.. لماذا نقدم على اختيار قد يلحق بالاخرين

معهم الصلاة فلم يمكنوهم الجند اصحاب قنطيطيانوس من الدخول اليه فلما احتجب عنهم وطال عليهم الامر لبعدهم عن كراسيهم احتاجو ان يعدو عدو الله من بيعته فاحضرو الاربعة اناجيل واحضرو كتبه المملوه كفرا من كلامه المجدف، وكان لكيرلس كاتب شماس يسمى بطرس عالم فاهم وكان يعرف مواضع تجديف نسطور الذى فى كتبه فجعل يخرجها للمجمع المقدس من مواضعها بسرعه، فلما وقفو عليه اتضح لهم كفره

بالغ الضرار، لماذا تشتهى أمورا لابد ملحقة بسمعتنا الدنس! انى لأكن لهذا الذى أوليتموه كل احترامكم والحب، التقدير. الا أنه بالرغم من ذلك لا يصح بنا أن نغض الطرف عن تلك المبادئ التى يجب على جميعنا مراعاتها، فينال كلنا حقه المشروع، وليس من الصواب عند النظر فى ادعاءات مرشيحين آخرين، افتراض أن واحدا بعينه استحوذ الصلاح كله. فقد يكون هناك كثيرون بالمنصب جديرين. وحيث أن الكنيسة لا تتعرض كرامتها للعنف والغلظة، فان هؤلاء جميعا يصبحون على قدم المساواة ويستحقون اذن منا نفس التقدير»[1].

على هذا النحو راح قسطنطين يرغب أهالى أنطاكية بجميل القول عن اختيار يوساب القيسارى أسقفا خلفا ليوستاتيوس وأوضح لهم بمعسول الحديث أن هناك غير يوساب كثير الكفاءات والقدرات التى يمكن أن تقوم بنفس علمه هذا. على أن الشئ الواضح فى هذا الجزء من الرسالة هو ما عبر عنه قسطنطين صراحة من قلقه الشديد لهذه الرغبة التى تراود أهل البيعة الأنطاكية. وهذا شئ يفيض به الجزء الباقي من الرسالة، وفيه نهج الامبراطور نهج الحزم والصرامة مبديا سخطه وامتعاضه لما ينتوى الأنطاكيون القيام به. يقول:

«اذا كان الأمر كذلك فدعونى أقول لكم أنكم بهذا تضعون أنفسكم موضع الاتهام، لا

(1) EVSEB. vita. Const. III, 60.

فاحرموه وقطعوه وكتبو خطوطهم فى كتاب حرمه
وانفذ اليه فلم يقبله ولم يرجع عن كفره فارادو
انفاذ ما كتبوه الى الملك فلم يقدرو لاجل من
جعله قنطيطيانوس البطريق لحفظ الطريق فتشاورو
الى ان اخد احدهم الكتاب وجعله فى قصبه
غليظه وغير لباسه وسار حتى وصل الى
القسطنطينية وسلم الكتاب لتلميتوس واوتيخيس
السايحين [وانا بقطر (*) السايح رفيقه، سلمته]
للكاتب ليقراه على الملك فلما قراه كان فيه: قال

(*) الراوى هنا بقطر الراهب.

بالاستئثار بهذا الكاهن فحسب، بل بنقله بغير طريق الصواب، وعندها يتسم مسلككم بالعنف لا بالعدل، وعلى أى نحو فكر الآخرون فانى أؤكد لكم صراحة وبلا مواربة أن هذا الاجراء سوف يفجر أسوأ اضطراب حزبى، ذلك أن الرعية حتى ولوكانت مسالمة الا أنه فى مقدورها ابداء سلطان الحق فى قوة عندما تبدأ عناية راعيهم فى التقلص، ويجدوا أنفسهم وقد افتقدوا حسن رعايته.. واذا كانت المسألة اذن بهذا الشكل، واذا لم يخدعنى التقدير، فليكن هذا ايها الأخوة أول الاعتبارات أمامكم، فهناك العديد من هام القضايا لا يلبث أن يفرض نفسه عليكم، اذا أنتم ما ضون على عزمكم.. ولكن أليس معنى هذا أن يتعرض الحب والتناغم القائم فيكم للانحسار، ولتتذكروا ثانية أن هذا الذى حل بينكم يخلص النصح، ينعم الآن بما يستحق من ثواب علوى لأنه تلقى جزاء غير عادى من واقع شهادتكم الصادقة عن مسلكه القويم.

وأخيرا.. وتمشيا مع تقديركم الصائب، هل باختياركم هذا الرجل الذى تشعرون بالحاجة اليه، قد أبديتم الحصافة اللازمة فى هذا الاختيار وانتم تعلمون ما يتبع ذلك من قيام الشغب والفرقة، وهل تعلمون أن هذا هو الخطأ بعينه وان الصدام بين الفرق المختلفة قد يولد شرارا ولهيبا»[1].

---

(1) EVSEB. vita Const. III, 60.

المجمع المجتمع با فسس نحن نعلم ان عمنويل هو
الله المتانس [المتأنس]، قبل ان لا يشاركنا نسطور
فى هذه الامانه فلذلك هو غريب من الاب والابن
والروح القدس، وغريب من ميراث الحواريين
وغريب من البيعه الواحدة [المقدسه] وكل من لا
يقول أن يسوع عمنويل، أى هو الله المتانس، فهو
محروم وكلمن لا يقول ان العذرا مريم ولدت الله
الكلمه متجسدا بالحقيقة فهو محروم [من] يسوع
الخالق يسوع الغالب، يسوع المخلص للكل له المجد

واختتم قسطنطين رسالته بقراره النهائى الذى لا يقبل الجدل أو المناقشة والذى أضحى تنفيذه على الجميع واجبا:

«انى لأحتج بشدة على مسلككم، فذلك شئ لا يرضى الله. وليس من صالحكم فى شئ، كما أنى أرى فى موقفكم هذا تهديدا لمشاعرى التى تبغى الاستمتاع بالسعادة والغبطة التى تجمعنى واياكم وأمنياتكم.. ا نى لأحببكم، خاصة وقد لفظتم من بينكم تلك الضلالة وأقمتم مكانها سامى الخلق والوفاق، فثبتم بذلك عالم السلام المقدس، حتى ليحق للمرء أن يقول انكم محصنون بخوذة حديدية وأنتم تصعدون درج السماوات العلا. ولتحملوا فى سفينكم تجارة لا تفسد، لأنكم قد أفلحتم فى نتح ماء كان يتهددها بالغرق. ولتعنوا من الآن فصاعدا، لضمان الحفاظ على النعم التى تتقلبون فيها، حتى لا يقول عنكم الناس فيما بعد أنكم تمسكتم بنزوة خاطئة أو حماس معيب. أو أنكم أندفعتم فى حمق تتخبطون فى دروب المجهول. لعل الله يحفظكم أيها الاخوة الأحباب».

هكذا أفصح قسطنطين صراحة عن رأيه فى ترشيح يوساب، فقد كان الرجل صديقه الحميم، وكان الامبراطور يحمل له كل تقدير واعجاب، ولكن صالح الدولة العام أهم بكثير من كل هذه الاعتبارات، ومن ثم راح يحذر الرعية الأنطاكية من الاقدام على مثل هذا الاجراء لما سينتهى اليه ذلك من ازدياد حدة الانقسام وعموم الفوضى والاضطراب.

الى الابد امين. فلما قرى هذا الاعتراف على الملك
صرخ كلمن [كل من] فى قصره وقالوا: يسوع
هو عمنويل الله المتانس [المتأنس] فقال
اوطيخيس: تكتب جلالتك حرمه وتكتب للاساقفه
ان يحضرو عندك ويسلمو على رياستك ويباركو
على ملكك. ففعل ذلك فسار الجمع الى
القسطنطينيه، فقبلهم الملك احسن قبول وجلس
دونهم وسجد لهم واخذ بركتهم وامر بان ينفى
نسطور فسير الى النفى وصحبته حاجب يوصله

وكم كانت[*] سعادة الامبراطور عندما أتاه خطاب يوساب يعلن له فيه رفضه قبول هذا الشرف الذى اقترح أهالى أنطاكية والأساقفة خلعه عليه، معلنا تمسكه بالتقاليد الكنيسة التى تحرم انتقال الأساقفة من بيعهم الى أخر. فرد عليه الامبراطور برسالة امتدح فيها خلقه القويم وحسن سلوكه.. جاء فيها:

«لقد طالعت باهتمام كبير رسالتك، وأدركت منها مدى تشبثك بالقاعدة التى ارتضتها الكنيسة. وان التزامك بما يبهج الاله ويتفق والعرف الرسولى لبرهان على تقواك.

وبهذا يحق لك أن تشعر بغبطة أنت بها جدير، لأنك قمين بأن تكون أسقف عالم بأسره. فأنت تملك البصيرة التى تتمناها أية كنيسة. وما من شك فى أن الرغبة التى أبداها الجميع للاحتفاظ بك (راعيا) قد برهنت على مستقبل لك باهر يحسدك الكل عليه.. وعلى الرغم من ذلك، فان نيافتكم، فى اصراركم على مراعاة الشرائع الالهية والقوانين الرسولية، قد فعلت حسنا برفضك أسقفية أنطاكية. ورغبتك البقاء فى بيعتك التى رسمت عليها من قبل بارادة الله.

ولقد كتبت فى هذا الصدد الى شعب أنطاكية، والى زملائك الأساقفة الذين تقدموا الى فى هذا الأمر يطلبون نصحى، واذا ما أطلعتم على هذه الرسائل فلسوف يتبين قد استكم أن العدالة لا تتفق مطلقا وما يرتجيه هؤلاء. لقد كتبت اليهم بوحى من الله. على أنه يحسن

الى ديار مصر وانفذو له الاساقفه قبل مسيره يقولون له: اعترف بان المصلوب اله متجسد ونحن نقبلك ونعفيك من النفى فقسى قلبه مثل فرعون ولم يجبهم بشى. فلما قال للحاجب: نستريح هاهنا قد تعبت. فقال له الحاجب: قد تعب ربك اذ مشى الى السادسه وهو الاله فما تقول انت. قال له نسطور: اجتمع مايتا اسقف يطلبون منى ان يسوع هو الله المتانس فما قلت فاقول لك انت ان الله تعب.

التواجد فى مؤتمرهم حتى يعتمد هذا القرار فى كنيسة أنطاكية.. حفظك الله أخى الحبيب»(١).

اطمأن قسطنطين بذلك الى أن شعب أنطاكية لن يقدم على ما انتواه بعد أن أنذره بالويل والثبور بغوامض الكلم أو صريحه، وازداد اطمئنانه وهو يرى المرشح نفسه يقرر رفض الكرسى الأنطاكى، وبقى على قسطنطين أن يضع بنفسه خاتمة هذا المشهد الأخير على مسرح أنطاكية.ولم تكن تلك هى الأولى من نوعها، بل لقد سبقتها مشاهد أخرى قام فيها قسطنطين بنفس الحق مذ ادعى أن السماء دون البشر هدته، وتقدمت به اليه الكنيسة مذ سمحت له أن يقرر فى العقيدة ما يشاء، فاذا كان هذا شأنه والعقيدة. فما باله والرجال!!

كان الأساقفة المجتمعون فى أنطاكية لا يزالون يقلبون الأمر بحثا عن أسقف جديد يخلف يولاليوس الذى لم يستمر فى منصبه سوى ستة أشهر فقط، وأنقذتهم من حيرتهم رسالة الامبراطور اليهم، أشار فيها قسطنطين الى رسالته التى بعث بها الى أهالى أنطاكية، وأرفق بها صورة هذه الرسالة حتى «يقفوا على رأية فى هذا الخصوص» ثم أو ما الى رسالة يوساب اليه والتى تضمنت اعتذاره عن قبول الأسقفية الأنطاكية، واختتم رسالته بهذا الأمر الصريح.

....

(1) EVSEB. vita. Const. III, 61.

وسار به الحاجب حتى اوصله إلى اخميم(*) من اعمال الصعيد فاقام هناك منفيا محروما مقطوعا الى ان مات. وقد كتب الأب القديس كيرلس عدة رسايل منها رساله الى انبا يوحنا بطرك انطاكيه اولها: تفرح السموات وتتهلل الارض». ورساله الى اكاكيوس اسقف ملطية أولها: «ما احلى اجتماع اخوه كاملين يتذاكرون التعاليم الروحانيه.ورساله الى ولاريانوس اسقف قونيه أولها: «الاخ الحبيب الشريك فى الخدمة».ورساله الى الكهنه والشمامسه

(*) أخميم: شرق سوهاج بصعيد مصر. من مراكز صناعة السجايد فى مصر منذ القدم.

كانت أخميم مركزاً لطائفة من النساك السابقين للمسيحية (انظر الهامش السفلى ص٥٠٨). ومنها الصوفى المصرى ذو النون النوبى الأصل، الذى قامت فلسفته الصوفية على دعامتين اساسيتين هما المعرفة والمحبة مما جلب عليه سخط الفقهاء وقالوا عنه انه احدث علماً لم تتكلم فيه الصحابة، وسعوا به إلى الخليفة

«يحسن بنا أن نطلع نيافتكم فى هذا الأمر رأينا. ذلك أنه قد نمى الى علمنا أن يوفرونيوس Euphronius الكاهن، أحد مواطنى قيسارية كبادوكيا، وجورج كاهن آرثوذا (الرستن).. Geouge of Arethusa الذى رسم قبلا على يد اسكندر [الكسندروس] فى الأسكندرية، انما هما رجلان ذوا ايمان عميق، وعلى هذا فانه يجدر بفخامتكم عند اختيار من يستأهل شرف الأسقفية من بين هذين الرجلين وسواهما، أن تصدروا فى قراركم بوحى من تقاليد الرسل وبهذا يغدو فى مقدوركم توجيه سير الانتخاب بما يتواءم ونظم الكنيسة والعرف الرسولى حتى يتحقق النظام الكنسى.. رعاكم الله اخوتى الأحبة»(١).

لم يكن أمام الأساقفة أن يسلكوا سبيلا غير الذى رسمه لهم قسطنطين. فقد اقترح عليهم أو بتعبير أدق أمرهم بالمفاضلة بين رجلين، وعلى أثر تسلم هذه الرسالة قام الأساقفة برسم بوفرونيوس الكبادوكى أسقفا على أنطاكية (٢). ولكن هذا لم يمكث فيها الا عاما واحدا وبضعة أشهر، فخلفه فلاكيللوس Flaccillus(٣)، ويعلق ثيودوريت على ذلك بأن كل هؤلاء الأساقفة كانوا يدينون بالعقيدة الاريوسية (٤).

(1) EVSEB. vita. Const. III, 62.
(2) SOZOM. hist. eccl. II, 19.
(3) THEOD. hist. eccl. I, 21.
(4) Id.

والرهبان والنساك الثابتين على الامانه المستقيمه بعد قطع نسطور ونفيه. ورساله الى اولوقيوس القس الاسكندرانى الذى كان مقيما بالقسطنطينيه اولها: «ان اناسا واجدون علينا بسبب المقاله التى قالها اساقفة المشرق. ورساله الى انستاسيوس والاكسندروس، ومرتنيانوس، ويوحنا، وبرجوريس القس، ومكسيموس الشماس اولها: انا امدح جدا محبتكم للعلم. وفى كل رساله يذكر الامانه المستقيمه ويبين كفر نسطور وفساد مقالته وانها

العباسى المتوكل، ورموه عنده بالزندقة ولكنه أعجب به وصار من مريديه كان ذى النون ملم باللغة السريانية، والهيروغليفية وقرأها على جدران المعابد المصرية ولازم احد معابد اخميم وأقام بها.

وكان هذا الاجراء الذى أقدم عليه قسطنطين، بتعيين الأساقفة، كما حدث بوضوح عقب عزل يوساب النيقوميدى وثيوجنس النيقى سنة ٣٢٥، أو بترشيح أثنين للمفاضلة بين أحدهما، كما هو حادث فى المشكلة الأنطاكية، وهو ترشيح يحمل صيغة الأمر، كان هذا كله سابقة خطيرة فى تاريخ الكنيسة، لم يتخل عنها خلفاء قسطنطين، وأضحت فى الوقت ذاته مثار جدل عنيف لقرون طويلة من تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، فيما عرف بمشكلة التقليد العلمانى، وما صحبها من نزاع بين الامبراطورية والبابوية.

ولقد كانت أنطاكية تمثل مركزا اغاية فى الأهمية باالنسبة لأباطرة الرومان، فقد كانت دائما مبتغى ملوك فارس فى صراعهم المستمر مع الامبراطورية الرومانية. ولم يكن يغيب عن بال قسطنطين خطط سابور الثانى لاستعادة الأقاليم التى ضاعت أثناء الحرب الأخيرة بين الدولتين على عهد دقلديانوس، كما لم يكن يخفى عليه أيضا مركز أنطاكية الاستراتيجى فى أى حرب مقبلة مع فارس. وقد قدمنا أن الملك الفارسى كان ينتهج سياسة عدائية ازاء الرعايا المسيحيين هناك. وعلى ذلك فمن المحتمل أيضا أن يكون قسطنطين قد سارع جاهدا لحل المشكلة الأنطاكية حتى يجنب المدينة اندلا ع حرب أهلية قد تغرى الملك الفارسى بمحاولة استغلالها. هذا بالطبع الى جوار السبب الرئيسى لدى قسطنطين وهو محاولة القضاء على أى انقسام قد تتعرض له الامبراطورية.

مخالفه لامانة الابا القديسين وما تتضمنه كتب الله العتيقه والحديثه. بين ذلك بشهادات واضحات صحايح من الكتب المقدسه التى نطق بها الروح القدس على السن الانبيا الصادقين والرسل المنتخبين والابا القديسين معلمى البيعه المقدسه الجامعه الرسوليه. سوى رسايله الى نسطور قبل نفيه التى كتبها بلطافه ويعظه ويوفقه ويرشده فلم يسمع منه ولا رجع عن سو رأيه وقساوة قلبه وفساد اعتقاده.

هدأت بهدوء الأحوال فى أنطاكية سريرة الامبراطور، ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة، ذلك أن الفريق الآريوسى، ما كان ليرضخ بصورة نهائية وهو يعتقد أنه يدافع عن عقيدة هى الصواب وحق اليقين، وها هو الآن يتقدم وئيد الخطو محاولا تثبيت أقدامه، فالامبراطور قد عفا عن زعمائه، واستطاع هؤلاء ازاحه خصم لهم لدود من كرسى أسقفية أنطاكية، ولم يبق أمامهم اذن الا الد هؤلاء الخصوم على الأطلاق، أثناسيوس الأسقف السكندرى!

وكان قسطنطين قد بعث برسالة الى الاسكندرية يتوعد أسقفها بالعزل والنفى اذا رفض الامتثال لأوامره فى قبول أولئك الذين يرغبون فى العودة الى الكنيسة، يعنى بذلك الآريوسيين والمليتيين، غير أن أثناسيوس أصر على موقفه متحديا رغبة الامبراطور، وكتب اليه محاولا اقناعه بأن أولئك «المهرطقين» لا يمكن قبولهم فى الكنيسة الكاثوليكية [1]. وكانت تلك اذن فرصة سانحة اهتبلها الفريق الآريوسى ليوغر صدر قسطنطين على أسقف الاسكندرية [2]. وكان يوساب أسقف نيقوميديا هو الذى يتراس الان جماعة الاريوسيين، كما كان من أبرز رجالهم ثيوجنس أسقف نيقية، ماريسMaris أسقف خلقيدونية، أورساكيوس Ursacius أسقف سينجيدونوم Singidunum (بلجراد)، فالنزValens أسقف Mursa (أوسيك فى

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

(2) Id.

السير الثالثه عشره من سير البيعه المقدسه

ديسقرس البطرك

[٤٤٤/ ٤٥٨م]

وهو من العدد الخامس والعشرون

وجعل بعد نياحة انبا كيرلس البطرك القديس ديسقرس بطركا على كرسى مدينة اسكندريه ولقى من الجهاد على الامانه الارتدكسيه شدايد صعبه من مرقيان الملك ومن زوجته، ونفوه عن كرسيه

يوغسلافيا)[١] وراح هذا الفريق يوثق صلاته بجماعة المليتيين فى مصر فى محاولة لتوحيد جهودهما ضد الأسقف السكندرى[٢]. ولخمس سنوات تالية نشب صراع عنيف بين الفريقين، أستخدم كلاهما كل ما لديه من أسلحة الدعاية والاتهام،و الامبراطور ينفذ سياسته بدقة، فتارة ينتصر لهذا الفريق، وأخرى يعدل عن رأيه، وهو فى هذا وذاك تلهث أنفاسه فى محاولة للخلاص من هذا الشقاق فى الكنيسة الذى يهدد الدولة كلها.

رسم الحزب اليوسابى خطته على مرحلتين، الأولى اثارة غضب الامبراطور على أسقف الاسكندرية، والثانية اشاعة روح السخط والتذمر عند الاساقفة جميعا على زعيم الايمان النيقى.

كان يوساب ورفاقه يعلمون تماما مزاج الامبراطور وطبعه الأوتوقراطى ورغبته الجامحة فى الاستبداد بالسلطة، ولم يكن من العسير على أحد عايش قسطنطين فترة من الزمن وعاين الأحداث التى مر بها، أن يدرك على الفور نفسية قسطنطين. لقد كانت سياسته تتبلور حول شئ واحد دلت عليه أحداث عصره مذ كان بعد فى بريطانيا، ذلك هو دولة واحدة وحاكم

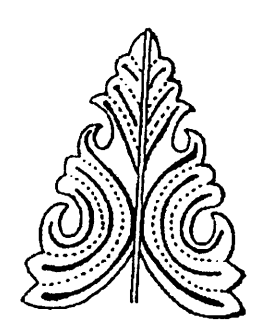
(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

(2) Id.; ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

(3) SOZOM. hist. eccl. II, 22.

بتحامل مجمع خلقدونيه وميلهم الى هوى الملك وزوجته حتى انهم سموا «الملكيه» هم وكلمن يتبع امانتهم الفاسده لاجل اتباعهم راى [رأى] الملك وزوجته في إظهار مقالة نسطور وتجديدها.

وكانت عادة الاوايل ان يكتبو سير المتقدمين فى كل جيل، واما فى زمان بنى اسرايل فكتب فيلون الفارى، ويوستوس ويوسابوس، واكيسبوس بعض سيرة سيدنا يسوع المسيح وخراب اروشليم بيد اسباسيانوس وطيطس ابنه وماكان من بعدهما.



واحد. ولم يكن قسطنطين ليقبل مطلقا بانقسام فى امبراطوريته، كما لم يكن يسمح لانسان مهما بلغت منزلته أن ينازعه السلطان، أو على الأقل ينتقص منه شيئا. من أجل هذا أشاع فى الناس، وروج له مادحه» يوساب القيسارى أنه «مبعوث السماء الى الأرض»، «حوارى المسيح»!!

وعلى أوتار الوحدة الامبراطورية وأنغام السلطان راح الفريق اليوسابى يعزف للامبراطور لحنا واحدا طوال خمس سنوات، حتى استطاع أن يجبره فى النهاية على أن يصفق له ويخرج من حفل الترانيم تلك النغمة الشاذة الصادرة من كنيسة الاسكندرية!!

لما كان من غير المعقول اتهام أثناسيوس بالهرطقة أو الزيغ، فقد كان لابد من البحث عن طريق أخر غير طريق العقيدة، ومن ثم اتهم الأسقف السكندرى بأنه قد فرض ضريبة على المصريين يؤدونها من الكتان لا ستخدامه فى الرداء الكهنوتى[١]. كما وأن هذه الضريبة قد جبيت عنوة ممن تقدموا بهذا الاتهام[٢]. وكان ازيون Ision ويودايمون Eudaemon وكالينيكوس Callinicus وهم من الفريق المليتى أصحاب ذلك الاتهام[٣]. ويجمع

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 22.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

ومن بعد ذلك كتب افريقنوس، واوسابيوس ومينا التجارب والجهاد الذى نال الرعاه والشعوب فى ايام انبا كيرلس الحكيم البطرك، وما جرى بينه وبين نسطور وما لقيه الاب ديسقرس بعده من مجمع خلقدونيه، ثم أفترقت الامانه والكراسى حتى انه لم يبق من يكتب سيره وانقطع ذلك، والرب باق الى الابد، ولذلك لم توجد سيرة القديس ديسقرس البطرك بعد نفيه وحفظ الامانه الارتدكسيه الباقية فى كرسى البشير مارى مرقس

المؤرخون الكنسيون على أن ذلك كان نتيجة اغراء يوساب ورفاقه. ولعلنا نلمس مدى الأهمية التى علقها الامبراطور على هذا الاتهام، فقد كان فى حد ذاته اعتداء على سلطانه. اذا أرسل يستدعى اليه فورا أثناسيوس ليدفع عن نفسه ذلك القول، ما كان أيسر على قسطنطين أن يرسل أحد موظفى البلاط مندوبا عنه لبحث القضية فى المنطقة ذاتها، ولكن استدعاء أثناسيوس اليه يحمل فى طياته مدى نفوذ قسطنطين على رجال الكنيسة ورغبته الجامحة فى اخضاعهم لسلطانه. ويعد فى الوقت ذاته تحذيرا للأسقف السكندرى على مسلكه السابق تجاه الامبراطور، وبرفضه تحقيق قسطنطين فى اعادة آريوس الى شركة كنيسة الاسكندرية.

ولقد تصادف وجود قسيسين مصريين فى العاصمة الامبراطورية عندئذ هما أبيس Apis ومقار Macarius فتقدما الى الامبراطور ينفيان هذا الاتهام عن أسقفهم، ويؤكدان له أن ذلك القول محض افتراء[١]. ولكن ذلك لم يكن ليثنى الامبراطور عن عزمه فى استدعاء أسقف الاسكندرية. وما أن جاء هذا الى البلاط الامبراطورى حتى كان الفريق اليوسابى قد أعد ضده اتهاما جديدا يمس حياة الامبراطور ذاته، فقد أذاع أن أثناسيوس يتآمر ضد الامبراطور، وأنه أرسل صندوقا مملوءا بالذهب الى شخص يدعى فيلومنوس Philumenus كان رئيسا للحرس

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 60.

الى الان والى الابد حتى أخذ اكليل الشهاده
بجزيرة جاجرا من مرقيان الملك وتنيح هناك.

[بعد ان رد اهل تلك البلاد الى الامانه] وصار
الى الرب الذى احبه، صلواته وبركاته معنا امين.

تيماتاوس (الثانى) البطرك

[٤٥٨ / ٤٨٠]

وهو من العدد السادس والعشرون

ومن بعد ان تنيح الاب المجاهد ديسقرس البطرك

لتنفيذ مخططه[١]. وقد قام الامبراطور بفحص هذه القضية، فلما اتضح له فى النهاية كذب الدعوى لام المدعين، وأطلق سراح المدعى عليه وسمح له بالعودة الى بيعته[٢]، وشعيه برسالة الى رعيته يمتدح أسقفهم ويثنى على خلقه ونقاوة روحه معترفا به رجلا من رجال الله، ومبينا أنه لما كان الحسد وحده هو سبب أتهامه الان، فانه بذلك ارتفع فوق مستوى متهميه والشبهات[٣]. ولم ينس قسطنطين فى رسالته أن يحث كلا من الفرق المتنازعة على الانصراف الى تبجيل الاله ورعاية حق أثناسيوس، وأوصاهم بحسن السلوك تجاه بعضهم البعض. ويعلق سوزومين على ذلك قائلا: هكذا كتب الامبراطور الى الرعية يستحثها على الوئام والوحدة ساعيا الى منع حدوث أى انقسام فى الكنيسة[٤].

وعلى الرغم مما يبدو من سياق هذه الأحداث أن الامبراطور قد أعاد أثناسيوس الى كنيسته معززا مكرما، الا أنه قد تأكد لديه أيضا أن وجود الأسقف فى حد ذاته بعدائه الذى يتبادله والفريق الآريوسى يعد مصدر خطر كامن وحقيقى، وكان هذا هو ما يسعى اليه الحزب

(1) Id.

(2) Id.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

(4) SOZOM. hist. eccl. II, 22.

اقام السيد المسيح بطركا يسمى تيماتاوس على
كرسي مدينة الاسكندريه وصبر على الشدايد
وجهاد المخالفين ونفى هو واخوه اناتوليوس
الى جزيرة جاجرا ايضا الى كمال سبع سنين وعاد
بنعمة الله بامر الملك الى اسكندريه، وكان
تكريزه فى ايام لاون الملك. واقام بطركا
أتنين وعشرين سنه وتنيح فى اليوم السابع من
مسرى.

اليوسابى، وكانت تلك هى الخطوة الأولى التى خطاها. وان كان الامبراطور قد أدرك أن الوقت لم يحن بعد للتخلص من أثناسيوس.

بقى اذن أن يثير يوساب ورفاقه الأساقفة ضد أثناسيوس، ولا يتأتى ذلك الا باظهاره فى صورة رجل الدين الذى لا يحترم زملاءه رجال الاكليروس ويحتقر ذوى المرتبة الثانية منهم.

كانت مريوط Mareotes اقليما تابعا للاسكندرية، وكانت تضم قرى عديدة تمتلئ بالسكان وبعدد من الكنائس الزاهرة، وكانت كل هذه الكنائس تحت سلطان أسقف الاسكندرية[١]. الا أن شخصا يدعى اسخيراس Ischyras لم يكن من رجال الاكليروس ادعى لنفسه حق حمل لقب قسيس[٢]. وكان هذا فى حد ذاته اعتداء على نفوذ الأسقف السكندرى، وقد علم أثناسيوس بأنباء هذه الأحداث من قسيس هذه المنطقة عندما كان الأسقف يقوم بزياراته المعتادة للاقليم، فأوفد الأسقف السكندرى قسيسا يدعى مقار بصحبة قسيس المنطقة لاحضار اسخيراس، غير أنهم الفياه يعانى الام المرض، فطلبا الى أبيه تحذير ابنه من التمادى فى غيه، ولكنه ما أن أبل من مرضه ومنع بواسطة والده وأصدقائه من الاستمرار

(1) SOCRAT. hist . eccl. I. 25.

(2) Id.

بطرس [منجوس] البطرك

[٤٨٠ / ٤٨٨م]

وهو من العدد السابع والعشرون

فلما مضى تيماتاوس للرب كرز بامر الله بطرس القس ببيعة اسكندريه وجعل بطركا. وكانت مملكة الروم باقيه ثابته جدا على تجديد ذكر مجمع خلقدونيه الطمث فى كل وقت لانه غير مبنى على اساس الصخره الثابته التى لله الكلمه يسوع

فيما كان يدعيه حتى فر هاربا الى المليتيين[١]. ونعلم من سقراط أنه ارتحل بعد ذلك الى نيقوميديا ليكون على مقربة من زعيم الفريق اليوسابى، ويخبرنا أيضا أن يوساب استقبله لا كأحد رجال الكنيسة فحسب بل وعده أن ينعم عليه شرف الأسقفية كذلك اذا ما استطاع أن يجد اتهاما ضد أثناسيوس[٢]. فاذاع اسخيراس تقريرا يعلن فيه أن مقار وصحبه أثناء حضورهم اليه اندفعوا تجاه المذبح وقلبوا المائدة، وكسروا الأوانى المقدسة وأحرقوا الكتب، وأن أسقفا يدعى أرسنيوس Arsenius قد قتل على يد أثناسيوس أيضا وجاء بيد مقطوعة ادعى أنها لهذا القتيل [٣] ويخبرنا سقراط أن الاتهام الأول الخاص بمقار قد أعد بعد ذلك فى وقت تال، بينما كان الاتهام الأخير هو الذى شغل الاذهان بادئ الامر[٤].

ويذكر سوزومين[٥] أن أرسنيوس هذا أسقف لمدينة Hypselitae (شطب جنوب أسيوط)، لابد أن يكون قد أتى أمورا تخالف العقيدة أو النظام الكنسى، وان كان سوزومين لم يدل الينا بأية تفصيلات فى هذا الخصوص. ثم يضيف أنه خوفا من عقاب أسقفه هرب الى

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 64.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 63, 64, 65.

(4) SOCRAT. hist. eccl. I, 27.

(5) SOZOM. hist . eccl. II, 23.

المسيح. وبعد ذلك بمده كتب اكاكيوس بطرك القسطنطينيه الى بطرس بطرك اسكندريه يساله ان يقبله اليه برسايل كثيره انفذها اليه ومكاتبات لانه رفض مجمع خلقدونيه وسماهم مخالفين، وتومس لاون المملو تجديفا، وكذلك مقالة نسطور رفضها. وكتب له بطرس كتبا ليتحقق من عجوبتها صحة قوله. فلماوصلت اليه قبلها بفرح ومسره واظهرها لمن يريد ممن يعتقد الامانه الارتدكسيه.

مكان ما فاستغل الآريوسيون والمليتيون هذه الفرصة وبحثوا عنه حتى وجدوه وأظهروا له كثيرا من العطف والشفقة ووعدوه بالأمان اذا أطاع أمرهم. هكذا يقول سوزومين[١]. ويبدو أن أرسنيوس كان واحدا من المليتيين، يدل على ذلك موقع المدينة التى كان راعيا لكنيستها، ومن ثم كان على خلاف مع أسقف الاسكندرية، فاعتكف فى أحد الأديرة حيث وجد العطف من الفريق المضاد لاثناسيوس، وراح ينتقل من مكان لاخر هربا من أسقف الاسكندرية الذى جد فى طلبه.

هذه روايات يبدو فيها التوليف، لا تثبت للنقد، جرت بها أقلام مؤرخى الكنيسة، وكلهم يحمل العداء الدفين للآريوسية والمليتية، ولكنا سقناها استكمالا لجو الصراع العقائدى الدائر آنذاك.

عندما شاعت هذه الاتهامات، وملأت آذان الناس أدرك أثناسيوس أنه من العسير عليه تماما أن يدافع عن نفسه أمام أناس حكموا عليه بارتكاب هذا الجرم مسبقا دون انتظار لفحص أو تمحيص، ولكنه أصر على أن لا يضيع الحق وسط زحام الأباطيل[٢]. وفى نفس الوقت علم

(1) Id.

(2) Id.

ثم كـتب سنوديكا(*) وانفـذها الى بطرس المغبوط، وكان بعض الاساقفه لم يحضرو فى وقت ان كـتب الكتب من البطركين بطرس واكاكيوس، وأثار الشيطان خزاه الله السجس فى قلوب اوليك الاساقفه وصار لهم ريسا يعقوب اسقف (صا)(*) ومينا اسقف (منية طامه)(*) وسارو الى مدينة اسكندريه وقالو للبطرك : كيف قبلت اكاكيوس وهو من جملة من حضر المجمع الخلقدونى. فاجابهم بدعة ومسكنه: انما

(*) سنوديكا: رسالة ايمانية.

(*) صا: ربما صا الحجر مركز كفر الزيات.

(*) منية طامه: منية كانه، كانت قرب البرلس واندثرت.

الامبراطور بكل ذلك، فسارع بالكتابة الى دلماتيوس Dalmatius رقيب أنطاكية يأمره ببحث هذه المسألة واستدعاء الأحزاب المختلفة لتمثل أمامه للتحقيق، وطلب اليه معاقبة من تسببوا فى اشاعة هذه الفوضى بالقول وأرسل الى هناك أيضا كلا من يوساب وثيوجنس بعد أن رأى ضرورة مناقشة القضية أمامهما[١]، وقد أرسل دلماتيوس رسالة الى أثناسيوس يستدعيه فيها للذهاب الى أنطاكية للدفاع عن نفسه[٢]. ويقول أثناسيوس أنه على الرغم من علمه أن كل ما جاء فى اتهامات الفريق المضاد باطل وافتراء، الا أن تحرك الامبراطور لبحث المسألة والاهتمام بأمرها جعله يعطى للامر اهتمامه البالغ[٣]. فقد كان الأسقف يعلم جيدا مدى حرص الامبراطور على القضاء على مثل هذه الفوضى، وكان لديه سابقة فيما يختص بموقف الامبراطور لدى سماعه بضربية الكتان والتأمر على حياته.

وعلى هذا الأساس ما أن تسلم الأسقف السكندرى رسالة دلماتيوس حتى سارع بالكتابة الى كل زملائه من رجال الاكليروس فى مصر يستحثهم على الادلاء اليه بأية معلومات عن شخصية أرسنيوس هذا ومكان اختفائه، لأنه على حد تعبيره لم يكن قد رآه لخمس سنوات

(1) SOCRAT. hist. eccl. I. 27.

(2) ATHANAS. Apol. C. Arian. 65.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 65.

قبلته لرجوعه عن ذلك الراى. وعرفهم ما وصل
اليه من رسايله التى تشهد برجوعه واعترافه
بالامانة المستقيمه وذكر لهم انفاذه الاساقفه اليه
يسمعوا لفظه بحكم قانون البيعه. فلم يقبلو قوله
لاستحكام الكبر فى قلوبهم وافرزو نفوسهم من
كرسى الانجيلى مارى مرقس الرسول، وقالو
بجهلهم كما قال بنو اسرايل (اسرائيل): ان ليس
لهم نصيب فى داود ولا ميراث مع ابن يسا.
وافترقو من البطرك القديس بطرس ولم يدخلو

تقريبا[١]، كما قام من ناحيته أيضا بارسال أحد شمامسته للبحث عن أرسنيوس فى كل مكان، وقد جاء هذا الشماس الى طيبة واستطاع أن يعلم من بعض الرهبان أين يختبئ أرسنيوس[٢] فلما وصل لأحد الأديرة هناك، أنكر باترينس Patrines الراهب ويسميه أثناسيوس بينس Pinnes[٣] وجوده لديه، وكان المعتقد أنه مختف هناك[٤]، ذلك أنه كما يقول سوزومين ما أن علم بقرب وصول الشماس حتى ارتحل خفية إلى مصر السفلى، فقام الشماسى بالقبض على بينس وساقه الى الاسكندرية مع زميل له يدعى الياس Elias قيل انه سهل لأرسنيوس مهمة الفرار الى مكان آخر، وسلم الأثنين الى السلطات الامبراطورية فى مصر، فاعترفا أن أرسنيوس لا يزال على قيد الحياة، وأنه يعيش فى مصر[٥].

وهذه الأقوال عينها نعلمها أيضا من رسالة حفظها أثناسيوس بعث بها بينس هذا الى يوحنا الأسقف المليتى ينبئة فيها تفصيلا بكل هذه الاحداث ويعتذر اليه عن اعترافه ببقاء أرسنيوس حيا، لان بعض كهنة الدير مثل بكيسيوس Pecysius وسلفانوس Silvanus أخ الياس،

(1) Id.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 23.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 67.

(4) SOZOM. hist. eccl II, 23.

(5) Id.

تحت طاعته حتى ان الارتدكسيين سموهم الذين لا راس لهم. وكانت الرسايل المكتبه بين البطركين المذكورين خمس عشرة كراسه، وكان هذا بطرس لما صار بطركا على اسكندريه لقى شدايد من المخالفين ونفوه وسلمو كرسيه لرجل يسمى تيماتاوس ويدعى انتونيوس، وتاوغنستس الذى لقانوبوس، ثم يوحنا الدوانيسيادس الذى جعلوه بعد موت انتونيوس.

ثم عاد بطرس البطرك الى كرسيه بمجد عظيم

وبولس Paul راهب Hypselae قد اعترفوا صراحة بأن أرسنيوس كان يقيم بينهم، ثم يحذر يوحنا من التمادى فى اتهام أثناسيوس بهذا الادعاء خاصة بعد تكشف كل هذه الحقائق فى مصر[١]. فلما تم ذلك كتب أثناسيوس الى الامبراطور يطلعه على كل هذه الأمور[٢]. فأصدر قسطنطين أو امره الى دلماتيوس بوقف اجراءات التحقيق فى هذا الحادث[٣]. وأمر يوساب وأعوانه الذين كانوا فى طريقهم الى الشرق للاشتراك فى نظر القضية بالعودة ثانية الى كنائسهم[٤]. وكتب رسالة الى أثناسيوس دعاه فيها الى الالتفات الى شئونه الكنسية والسهر على مصلحة رعيته دون أن يلقى بالا الى ترهات وأباطيل أولئك الحسود[٥].

ويتضح من رسالة الامبراطور مدى الدور الذى لعبه المليتيون فى هذا السبيل، فهو يعزو اليهم كل هذه الأحداث ويتهمهم بالزيغ والضلال خاصة «بعد أن ظهر للجميع أن من ادعوا ذبحه لا يزال حيا باستطاعته أن يحدثهم». ثم أنحى باللائمة على كل من يتبع خطاهم معلنا أن العناية الالهية لا يمكن أن تمد لهم بعد هذه الافتراءات يد العون أوالرشاد، واختتم رسالته

....

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 67.

(2) Ibid. 65.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I. 27.

(4) ATHAMAS. Apol. C. Arian. 65.

(5) Ibid. 65.

وكان مدة جلوسه على الكرسى تمانى سنين وتنيح بسلام وكرامه كثيره فى التانى من هتور. وجميع رسايله ثابته فى دير ابى مقار وفيها رسالة لزينون الملك المغبوط جوابها وفيها جواهر الكلام. وقدس واعترف الامانه المستقيمه.

اتناسيوس [الصغير] البطرك

[٤٨٨/ ٤٩٤م]

وهو من العددالتامن والعشرون

ولما تنيح الاب بطرس القديس قدم اتناسيوس

برغبته الأكيده أن تقرأ على القوم جميعا حتى تصل الى آذان أولئك الذين تسببوا فى اثارة مثل هذه الاضطرابات، ثم صرح بأنه قد قرر محاكمة هؤلاء الناس اذا ما أقدموا ثانية على ارتكاب مثل هذه الفعال لا تبعا للشرائع الكنسية بل حسب القوانين المدنية، لأنهم بذلك لا يتأمرون ضد الانسانية بل ضد العقيدة الالهية ذاتها[١].

ويذكر أثناسيوس أن اسخيراس قد بعث اليه برسالة بعد أن اتضحت كل هذه الأمور[٢] يعلن له فيها أن كل الادعاءات التى ساقها ضده انما صدرت منه قسرا بعد أن أجبره على ذلك الفريق الآريوسى المليتى، ويعين له أسماء رجال منهم مثل اسحق Isac وهيراكليدس Heraclides واسحق أسقف لتوبوليس (أسنا) Letopolis، وأن شيئا من هذه الاتهامات لم يكن صحيحا بالمرة، ثم يرجوه أن يعفو عنه وأنه يقبله ثانية فى جماعته[٣]. ثم عاود اسخيراس الكرة ثانية، فكتب الى الأسقف السكندرى يستعطفه ويعلن له توبته ورغبته فى العودة الى حصن الكنيسة الكاثوليكية، ووعده أن لا يصغى ثانية الى أقوال أولئك الذين

---

(1) Id.

(٢) لابد أن يكون هذا قد حدث بعد مجمع صور سنة ٣٣٥ لأنا نعلم أن أسخيراس كان احد متهمى أثناسيوس فى المجمع.

راجع: SOZOM. hist. eccl. II, 25.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 64.

وكان قيما فى بيعة اسكندريه وصير عليها بطركا، وكان رجلا صالحا مملو امانه وروح القدس وتمم ما اوتمن عليه. ولم يكن فى ايامه شعت ولا اضطهاد فى البيعة المقدسه واقام سبع سنين وتنيح فى العشرين من توت.

يوحنا البطرك الراهب

[٤٩٤ / ٥٠٣م]

وهو من العدد التاسع والعشرون

ولما تنيح اتناسيوس الصغير قدم يوحنا الراهب

جرفوه بادئ الأمر فى تيارهم، وألايشترك معهم فى محفل أو يوافقهم الرأى ورجا أثناسيوس أن يرسل اليه ردا يطمئنه بتحقيق أمانيه، وأن يكتب بالتالى الى الكنائس المختلفة يعلمها أنه قد عفا عنه وأنه عنه راض[١].

وقد أدرك يوحنا رئيس كنيسة الشهداء أن قرار الامبراطور بمحاكمة المليتيين أمام المحاكم المدنية اذا ما استمروا فى عنادهم للاسقف السكندرى، يعد تهديدا خطيرا لكيانهم وأدرك أن الامبراطور لن يتورع فعلا عن تنفيذ ما اعتزمه، ومن ثم بادر بالكتابة الى قسطنطين يخبره أنه قد عاد الى الوئام مع أثناسيوس وأن السلام قد حل بينهما ثانية[٢].

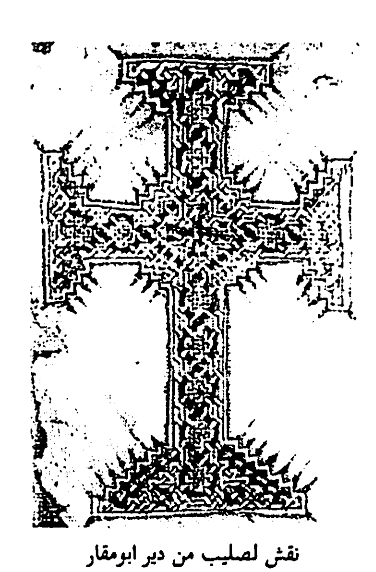
وما أن تلقى الامبراطور هذه الرسالة حتى طرب لها وعد ذلك نهاية المطاف فى هذه الفوضى المستشرية فى مصر، وقد كان قسطنطين ينظر بعين الخوف والريبة الى ما يمكن أن يحدثه النزاع بين المليتيين وكنيسة الاسكندرية. فربما أدى به الأمر فى النهاية الى أن يمسى على شاكلة ذلك الصراع الكبير القائم فى ولاية أفريقيا بين الدوناتيين والكنيسة الكاثوليكية. بل أن هذا الخطر القائم فى مصر يفوق قرينه الغربى، فاذا كان الأخير قد اقتصر على أفريقيا وحدها، الا أن المسألة المصرية شاركت فيها كل كنائس الشرق، وعلى ذلك فقد سارع

(1) Ibid. 69.

(2) Ibid. 70.

وصير بطركا على الكرسى الانجيلى فسلك سيرة من تقدمه من الابا [ء] الفضلا. وكان البيعه والشعب واهل البريه فى ايامه فى امن وسلامه بنعمة السيد المسيح. وكان على عهد القديس زينون الملك المغبوط، ولا مانته وصلاحه امر الملك فى ايامه ان يحمل الى دير ابى مقار بوادى هبيب كلما يحتاجون اليه من قمح وخمر وزيت وجميع ما كان يحتاجونه لعمارة قلاليهم.

وكمل انبا يوحنا البطرك خدمته امنا مطمينا



نقش لصليب من دير ابومقار

الامبراطور بالرد على رئيس الأساقفة المليتيين يعبر له عن سعادته الغامرة حالة معرفته أنباء عودة السلام بينه وأثناسيوس مرة أخرى، تلك الأنباء التى كان يتوق الى سماعها لفترة طويلة مضت، ويثنى على سلوكه، هذا الرأى أدخل السرور على قلب الاله، وأعاد الى الكنيسة وحدتها وأمنها، ولم يتمالك قسطنطين نفسه فدعا يوحنا للشخوص على الفور الى البلاط الامبراطورى حتى تشمله عن كثب بركات الامبراطور ورعايته[١].

هكذا تبدى للجميع وقسطنطين خاصة أن الحال آخذة فى الهدوء فالاتهامات التى سيقت ضد أثناسيوس من جانب خصومه قد ثبت بصورة أو أخرى عدم صحتها، ورئيس الأساقفة المليتيين أعلن للامبراطور عودة الوئام مع الأسقف السكندرى، وها هو الآن يتأهب للرحيل الى العاصمة الامبراطورية لينال حظوة الامبراطور، ولكن على الرغم هذا الهدوء الظاهرى الا أن الفريق الآريوسى كان يؤمن بعدالة قضيته، فأريوس حقا قد شمله عفو الامبراطور وعاد من منفاه، ولكن كنيسة الاسكندرية لا زالت تلفظه خارجها، ولن يتحقق نصر الآريوسية وبالتالى لن يعود السلام الى الكنيسة مابقى آريوس خارجها. ولن يعود هذا الى الكنيسة اذا ظل فى الأسقفية أثناسيوس. والامبراطور بين هؤلاء وأولئك أشبه شئ بقبطان تحطمت على الأمواج دفة سفينته، فراح يضرب بيده يمنه تارة ويسرة أخرى، ليصل بالسفينة الى بر النجاة.

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 69.

[مطمـئنا] فى ايام زينون الملك المغبـوط المومن وتنيح فى الرابع من بشنس بعـد ان اقـام تمانى سنين بطرك ولحق باباية [بآبائه].

يوحنا البطرك

[٥٠٣ / ٥١٥م]

الحبيس ، وهو من العدد التلتين

فلما تنيح انبا يوحنا البطرك جعل عوضه رجل حبيس يسمى يوحنا كان ذلك بامر الله وكان قرابة

عاود الفريق اليوسابى نشاطه ثانية فى دوائر البلاط، وراح يوحى الى الامبراطور أن أثناسيوس لابد وأن يبرئ ساحته أمام مجمع من الأساقفة يدعى لهذا الغرض، ووافقت الفكرة هوى الامبراطور، وحسب أن فى عهد المجمع قضاء أخيرا على هذا الاضطراب، وربما عد ذلك استكمالا لجهود المجمع النيقى، وعلى هذا الأساس وجه قسطنطين الدعوة سنة ٣٣٣ الى الأساقفة للاجتماع فى قيسارية فلسطين لبحث الاتهامات المثارة ضد أسقف الاسكندرية،وطلب الى هذا القدوم الى المجمع «ليدافع عن نفسه فى حضرة رجال الله»[1].

قلنا آنفا أن سياسة الفريق اليوسابى قد قامت على مرحلتين، اثارة غضب الامبراطور على أثناسيوس، واثارة سخط الأساقف ضده، وحتى الآن لا يمكننا القول أنهم أفلحوا فى المرحلة الأولى تماما، وان كانوا قد أدخلوا على الأقل فى روح قسطنطين أن ثمة عقبة تهدد سلام دولته والكنيسة ماثلة فى الأسقف السكندرى، وكانت الدعوة لعقد مجمع الاساقفة فى قيسارية نجاحا تاما للمرحلة الثانية من نضالهم ضد أنصار نيقية، بل ان نجاح هذه الخطوة امتد آثرها ليشمل الامبراطور أيضا. وهكذا وفى جولة واحدة كسب اليوسابيون الى صفهم الأساقفة والامبراطور، وقد ساعدهم على ذلك سلوك أثناسيوس نفسه وموقفه تجاه هذه الدعوة.

كان اختيار مكان المجمع دليلا على سياسة قسطنطين فى ارتضائه الحلول الوسطى فى هذه

(1) THEOD. hist. eccl. I, 28.

للبطرك المتنيح وكتب فى ايامه كتبا وميامر كثيرة،
واظهر الله فى ايامه امرا عجيبا واقام مملكه وكهنوتا
معا للبيعه وهو الملك انسطاسيوس المومن التقى
والبطرك ساويرس الفاضل لابس النور صاحب
كرسى انطاكيه الذى صار قرن خلاص للبيعه
الارتدكسيه الذى جلس على كرسى الكبير
اغناطيوس، وكتب سنوديقا الى الاب يوحنا البطرك
بالاتحاد فى الامانه ويبشر فيها بالاتفاق بينهما
بالامانه الواحده الارتدكسيه التى للابا القديسين،

المشاكل المعقدة، فقيسارية فلسطين كانت تحت رعاية أسقفها يوساب صديق الامبراطور والمعروف بميوله المعتدلة، فلا هو بقلبه يؤيد النيقيين، ولا هو صراحة مالأ الأريوسيين. ولما كان من البدهى أن يصبح يوساب القيسارى رئيسا لهذا المجمع المقترح، فقد أمل قسطنطين أن يجد فى جهده رمزا ما للسلام. ولكن أثناسيوس كان يرى فى يوساب هذا خطرا مباشرا عليه، خاصة وهو يعلم أن يوساب لن يكون صاحب الكلمة العليا الأولى فى المجمع ما دام الى جواره أساقفة آخرون يمثلون العداء الصارخ له على رأسهم النيقوميدى وكثيرون غيره من رجال الآريوسية، فتوجس فى نفسه خيفة أثناسيوس، ورفض دعوة الامبراطور لحضور هذا المجمع وظل على عناده هذا طيلة ثلاثين شهرا رغم الالحاح المستمر فى طلبه[١].

هكذا أضاع الأسقف السكندرى من يده فرصة كسب الامبراطور الى صفة ثانية، فقسطنطين لم يعتد من قبل أن يعترض أحد قراراته، أو يحول دون رغائبه، فعد هذا الرفض من جانب أسقف الاسكندرية تحديا لسلطانه، أما الأساقفة فأيقنوا أن أثناسيوس يسخر بهم ولا يعيرهم اهتماما، وبذلك وفى وقت واحد، ثارت حفيظة الامبراطور والأساقفة ضد أسقف الاسكندرية العنيد.

صمم الامبراطور اذن على أن يسير فى الشوط حتى منتهاه، فوجه الدعوة من جديد لعقد

---

(1) SOZOM. hist. eccl. II, 25.

فقبلها يوحنا البطرك واساقفته وقروها فى كنايسهم وكورة مصر، واصعدو صلوات وشكر للسيد المسيح الذى اعاد الاعضا المقطوعه الى مواضعها. وبفرح عظيم وابتهاج روحانى.

وكتب يوحنا البطرك القديس الى الكبير ساويرس جوابها بكلام قانونى مملو من الامانة المستقيمة التى لمعلمى البيعه، كما كتب اليه المغبوط ساويرس. ولما عاد اليه الرسل بهذه الهديه التى تشبه خلالته، فرح وتهلل جدا. واقام يوحنا

مجمع للأساقفة فى صور نعلم من سقراط أن عددهم بلغ ستين أسقفا[١]. وأرسل قسطنطين الكونت ديونيسيوس Dionysius الى هناك، وكانت مهمته كما يتضح من رسالة الامبراطور الى الأساقفة، «رئاسة وضبط أعمال المجمع والحفاظ على النظام»[٢]. كما كتب الى أثناسيوس يأمره بالذهاب الى صور، ولكن الأسقف على حد تعبيره لم يكن راغبا فى ذلك ، الا أنه امتثل للامر على كره منه[٣]. ويتطوع سقراط للدفاع عنه قائلا ان امتعاض أثناسيوس من الذهاب الى هناك كان صادرا عن ايمانه ببراءته من كل التهم المنسوبة اليه، هذا بالاضافة الى خوفه من حدوث أى اتجاه مضاد لقانون الايمان النيقى [٤]، ثم يفصح سقراط عما حدث صراحة حين يقول« ان أسقف الاسكندرية أكره على الحضور تحت وابل من خطابات التهديد التى كتبها اليه الامبراطور متوعدا اياه بحمله على الحضور عنوة اذا لم يحضر طواعية [٥].

وقد كتب قسطنطين الى الأساقفة المجتمعين فى صور رسالة أبدى لهم فى بدايتها أمله الكبير فى أن تعود الى الكنيسة ثانية وحدتها، ولام أولئك الذين أحدثوا هذا الشقاق والفوضى، وحث

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 28.
(2) EVSEB. vista. Const. IV. 42.
(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 28.
(4) ATHANAS. Apol. C. Arian. 71.
(5) Id.

بطركـا احـدى عـشـره سنه وتنيح فى الســابع
والعشرين من بشنس.

ديسقرس الجديد البطرك

[٥١٥ / ٥١٧م]

وهو الحادى والتلتين من العدد

ولما تنيح الاب يوحنا البطرك كـان له كـاتب
اسمه ديسقرس وكـان رجلا كـاملا فى جميع
اسبابه، وديعا صالحا ليس فى زمانه من يشبهه،

الأساقفة جميعاً على التزام جادة الحق والصواب فى تقصى الحقائق واظهار الحقيقة، ثم اختتم رسالته بتهديد صريح جاء فيه:

«ولئن تجاسر أحد، مع اعتقادى بأن ذلك لن يكون، على عصيان أمرى، ورفض الحضور الى المجمع، فلأرسلن اليه من يطرده بواقع مرسوم امبراطورى ويلقنه أنه لا يليق بمثله أن يعترض قرارات الامبراطور حين يكون عن الحق دفاعه»[١].

ولاشك أن هذا التهديد موجه صراحة الى أثناسيوس. وهكذا أقفل باب سلام ير تجى بين الامبراطور والزعيم السكندرى ، ولم يكن الامبراطور فى حاجة من بعد لمن يملأ قلبه حقدا على أثناسيوس أو كرها له، فمالت كفة القدر مسرعة تجاه الفريق اليوسابى المليتى.

وفى منتصف عام ٣٣٥ التأم عقد مجمع صور، واصطحب أسقف الاسكندرية معه عددا كبيرا من مؤيديه بلغ ثمانية وأربعين[٢]، وسيق مقار من الاسكندرية الى صور مكبلاً فى أغلاله [٣]. ويصف أثناسيوس الحالة فى المجمع عندئذ بقوله: تقاسم المليتيون الذين طردهم بطرس من الكنيسة، والآريوسيون المؤامرة فيما بينهم، وعلى حين وقف فريق منهم ازائى

---

(1) EVSEB. vita. Const. IV. 42.

(2) ATHANAS. Apol. C. Arian. 78.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 28.

فكرزوه بطركـا على الكرسي الانجـيلى، فكتب
سنوديقا الى الاب ساويرس يذكـر له فيـهـا نيـاح
الاب المغبـوط يوحنا وجلوسه بعده على الكرسى
الرسـولى، فكتب اليـه يعـزيه ويتبتـه على الامـانة
المستقيمه ويوصيه بتعليم الشعب وان لا يفتر من
التـعليم، ويوكـد عليـه في ذلك، واقـام ديسـقـرس
بطركا تلت سنين، وفي سيـره اخرى انه اقام سنة
واحـده ونصف وتنيح في السـابع عـشـر من بابه
ولحق باباه.

موقف المدعى، وجلس الحزب الآخر في منصة القضاء، وقد اعترضت لدى يوساب موضحا أنه ليس من العدل أن يكون خصومي قضاتي، وأوضحت للجميع أن اسخيراس الذى اتهمنى قبلا لم يكن في يوم من الأيام قسيسا، واستشهدت على ذلك بتلك القائمة التى كان مليتيوس قد أعدها حسب رغبة اسكندر [الكسندروس] عن أتباعه في أنحاء مصر كلها[١]، ومـــن خلالها لا يظهر اسم اسخيراس على الاطلاق، ولم يبد البتة أنه كان أحد رجال الاكليروس في مريوط. وعلى الرغم من كل ذلك الا أن خصومنا لم يتخلوا عن اتهاماتهم، وكان الكونت على استعداد لاستخدام العنف ضدنا وتسيير جنوده في ذلك[٢].

تولى المليتيون اقامة الدعوى ضد أثناسيوس، فاتهمه كاللينيكوس Callinicus أســـقف بـلـوزيـومPelusium أنه عزل من منصبه، وعين بدلا منه شخصا آخر، ووضعه تحت حراسة عسكرية،، وراح يذيقه العذاب ألوانا حتى يحصل منه على اعترافات تدحض اتهام أثناسيوس بتحطيم الأوانى المقدسة، واتهمه اسخيراس بأنه وضعه في الاغلال رغم مرتبته الكهنوتية، وأذاعوا أيضا أنهم أنبأوا قبلا هيجينوس Hyginus احد موظفى الامبراطور[٣]، في مصر أنه قذف بالأحجار تماثيل الامبراطور وأشيلاس Achillas وباخـوم Pachomius واسـحق Isaac

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 71.
(2) Ibid. 72.
(3) SOZOM. hist. eccl. II, 25.

تيماتاوس التالت البطرك

[٥١٧ / ٥٣٥م]

وهو من العدد التانى والتلتين

وجلس تيماتاوس بطركا عل كرسى اسكندريه وتوفى انستاسيوس الملك المومن واقامو بعده رجلا رديا مخالفا اسمه يوستنيانوس ليدبر المملكه، فلما جلس بذل جهده فى ان يعيد كل المومنين الارتدكسيين الى امانة المجمع الخلقدونى. واول ما

أما يوبلوس Euplus وهرمايون Harmaeon وكلهم أساقفة مليتيون، فقد راحوا يشككون فى الطريقة التى تم بها اختيار أثناسيوس للأسقفية، وأن ذلك تم بطريق غير شرعى بناء على تأمر بعض الأفراد، مما دفع بهؤلاء الأساقفة الى قطع أنفسهم من الكنيسة احتجاجا على ذلك، فكان جزاؤهم أن ألقى بهم فى غيابة السجون[١]. كما أثيرت من جديد مسألة مقتل أرسنيوس[٢].

وفيما يخص هذا الاتهام الأخير، يذكر سقراط أن أرسنيوس، متجاهلا التحذيرات التى وجهت اليه من الفريق اليوسابى المليتى، جاء الى صور متنكرا ليشهد أحداث المجمع، وقد نمى الى علم خدم أرشيلاوس Archelaus حاكم الأقليم، أن أرسنيوس، الذى من المفروض كونه فى عداد الأموات الآن، موجود متخفيا عند أحد المواطنين، فما لبثوا أن نقلوا ذلك الى سيدهم الذى أصدر أوامر بالبحث عن الرجل، فلما عثر عليه وجئ به أنكر شخصه، ولكن بولس أسقف صور تعرف عليه، وعندما أحضر الى المجمع ورأى الجميع أن يديه سليمتان خاطبه أثناسيوس قائلا: «أرسنيوس.. ها أنت كما ترى تمتلك كفين، فدع متهمى يشيرون الى مكان اليد الثالثة التى قطعت»[٣].

---

(1) Id.

(2) Id.

(3) SOCRAT. hist eccl. I, 29; SOZOM. hist. eccl. II, 25; THEOD. hist. eccl. I, 28.

ابتـدا بان اخـذ القـديس سـاويرس البطرك وجـمع
مجمعا فى مدينة القسطنطينيه من نفسه وكان فيه
وكليـوس بطرك روميـه، وابوليناريوس الذى صيـره
الملك بطركـا على مـدينة اسكندريه واوتيـخيـوس
بطرك مدينة القسطنطينيه، والاساقفه الذين تحت
ايديهم، وانفـذ ليـحـضـر الاب سـاويرس البطرك
واسـاقـفـة المشـرق، وكـان يظن انه يطيب قلب
القديس سـاويرس ويستميله الى رايه لكى ينقاد له
الكل ليقينهم به وبامانته فيقولو بمقالته الرديه، فلم

وقد استطاع اثناسيوس أن ينفى عن نفسه كثيرا من هذه الاتهامات التى وجهت اليه. غير أن الحيرة انتابته أمام هذا الجم الغفيـر من الشهود الذين احـضرهم خصومه، ومن ثم أدرك الأسقف السكندرى أن أعداءه عازمون على تحطيمه تماما. وقد عقد المجمع جلساته التى غرق فيها فى بحر من الفوضى والاضطراب، وتعالت صيحات الكثيرين تطالب بعزل اثناسيوس، ولم يحسم الامر الا تدخل ديونسيوس المندوب الامبراطورى[١].

وكانت مسألة اتهامه بتحطيم الأوانى المقدسة الموضوع الذى شغل الأساقفة لفترة طويلة، واحتاج الامر الى تأليف لجنة لتقصى الحقائق تقرر ارسالها الى مريوط لبحث القضية فى موضعها[٢]. وتألفت اللجنة من ثيوجنس، وماريس، وثيودور، وماكيدون، وأورساكيوس وفالنز[٣]. احتج أثناسيوس على تشكيل اللجنة بهذه الصورة لأنها تضم أبرز خصومه، كما احتج أيضا على اصطحاب اسخيراس معهم فى الوقت الذى بقى فيه مقار رهين قيوده[٤]. وكان أثناسيوس قد اعترض بداءة على ايفاد لجنة الى مريوط على الاطلاق مبينا لديونيسيوس

(1) SOZOM. hist. eccl. II, 25.
(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 31.
(3) Id.
(4) ATHANAS. Apol. C. Arian. 72.

يلتفت الكبير ساويرس اليه ومضى هو واساقفته
الى القسطنطينيه ليتبت الامانه، كان يظن ان ذلك
الملك الكافر يرجع عن رأيه الفاسد. فلما وصل
الاب ساويرس الى القسطنطينيه فاكرمه الملك فى
البدايه اكراما عظيما ورفع منزلته وكلمه كلاما
طيبا طالبا منه انه يساعده على طومس لاون ويبلغ
امانته، فاما هو المجاهد فى الله فكان قد جعل فى
قلبه قول بطرس الرسول لسيمون الساحر: ان
كراماتك وأنت يكن فى الهلاك لانى ارى انك مملو

عدم جدواها[١]. ويعلق جونز على ذلك بأن اعتراض الأسقف السكندرى على ارسال اللجنة يشير الى احتمال صحة هذه الأحداث فعلا، يعنى تحطيم الأوانى المقدسة[٢].

وكتبت رسالة الى حاكم مصر، وزودت اللجنة بالعون العسكرى اللازم لحمايتها[٣] أما أعمال اللجنة فى مصر فنقف عليها من رسالة قساوسة مريوط الى الأساقفة المجتمعين فى صور، وقد ذكروا فيها ما سبق أن أوضحه أثناسيوس من أن اسخيراس هذا لم يكن فى يوم من الأيام رجلا من رجال الاكليروس، وأنه انما تم رسمه على يد كوللوثوس Colluthus الكاهن الذى ادعى الأسقفية على عهد اسكندر [الكسندروس] ورسم عددا من القساوسة، وتمت ادانته واعادته الى رتبته الكهنوتية (قسيس) بواسطة المجمع الذى عقد فى الاسكندرية سنة ٣٢٤ تحت رئاسة هوسيوس القرطبى.

أما فيما يختص بعمل اللجنة فذكروا أنها أصطحبت معها فيلاجريوس Philagrius والى مصر وعددا من جنده، ولما تقدم اليهم رجال الاكليروس يطلبون اشراكهم فى اجراءات التحقيق، رفضت اللجنة سماع مقترحهم، وتمكنوا عن طريق القوة والتهديد من جانب

(1) Id.

(2) Jones, Constantione, P. 195.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 72.

مراره امر من التنين. وكان يوستنيانوس الملك مثل نسطور. فلما كان فى بعض الايام امر الملك ان يجتمع الغير اساقفه الى ذلك المجمع فلم يحضر معهم الاب ساويرس الشجاع ولا احد من اساقفته لانه قال ان لم يحرمو اولا طومس لاون والمجمع معهم الخلقدونى الطمث المرذول والا فما اجتمع معهم فى قول الكفر.

ثم جرى من الملك امور يضيق الكتاب عن شرحها ليلا [لئلا] تطول السيره بذكرها. فلما بلغ

الوالى، كما تقول الرسالة، من الحصول على البيانات التى يريدونها، وعادوا أدراجهم ثانية(١). وعلى غرارها كتب هؤلاء القسيسون رسالة الى فيلاجريوس يوضحون له حقيقة الأمر(٢). أما الأساقفة المصريون الذين صحبوا أثناسيوس إلى المجمع فقد كتبوا رسالة الى ديونيسيوس المندوب الامبراطورى أوضحوا له فيها أن المسألة محض مؤامرة حاكها ذلك الفريق اليوسابى بغية تقويض الايمان القويم والتخلص من زعيمه المدافع عنه أثناسيوس، وأضافوا أن مريوط لم يكن بها أحد من المليتيين قبلا، أما الان فهى تفيض بهم بعد أن أرسل المليتييون الموجودون فى المجمع رسولين من لدنهما بعد أن سمعوا بقرب سفر اللجنة لتجمع المليتيين وحشدهم فى مريوط، هذا بالاضافة الى الآريوسيين والكاللوثيين، وحذره من التمادى فى اطاعة هذا الفريق حتى لا يجلب على نفسه غضب الرب ورجاله(٣).

ويبدو أن ديونيسيوس لم يلق بالا الى هذا الاحتجاج فما كان من الأساقفة المصرين هؤلاء الا أن بعثوا اليه خطابا شديد اللهجة جاء فيه:

«أنا نرى أنفسنا مرغمين على الشكوى ثانية، لقد لاحظنا أن تأييدا كبيرا قد أصبح الان فى

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 72.

(2) Id.

(3) Ibid. 78.

ساويرس البطرك امر الملك فلم يجتمع معهم ولا مضى اليهم انزلو عليه البلايا وحلت به الشدايد. ومن بعد سنتين بسوال الملكه تيودوره(*) المومنه افرج عنه وهبه لها فسيرته الى كرسيه.

وكان فى تلك الايام تيماتاوس باسكندريه، فلما اخرج ساويرس البطريرك من انطاكيه واساقفته الذين من الشرق ووصلو الى مصر جا [ء] الاساقفه الى مدينة اسكندريه فطردو رهبانات كتيرا عذارى من الديارات، وكان الاب ساويرس

(*) الملكة تيودوره: يقال أنها من الاسكندرية خرجت مع والدها وأمها فى سيرك متنقل استقر فى القسطنطينية، كان من روادها حاكم برقه وحنا الكابودكى محافظ المدينة و«جستنيان» ابن أخى الامبراطور «جستان» ووارث عرشه. مات ابوها مدرب الدببة على يد أحد الدببة، وماتت أمها بالسل فعملت راقصة فى القسطنطينية مما عرّضها لرغبات

جانب المليتيين، وأن مؤامرة ضد الكنيسة الكاثوليكية فى مصر، فى أشخاصنا، قد دبرت. وعلى ذلك، نقدم هذه الرسالة أليك راجين أن تضع فى عقلك قوتة الاله القدير الذى يحمى مملكه امبراطور نا التقى الورع قسطنطين، وأن تنقل الى مسامع الامبراطور ذاته كل هذه الأمور التى تهمنا. لقد بعثت من قبل عظمته لتعى تماما هذه الأحداث، ولتعلم انا لم نعد نحتمل أن نغدو على الدوام هدفا لخيانات ودسائس أولئك السابق ذكرهم. يوساب وبطانته ،عليه نرجوك أن تعرض قضيتنا على الامبراطور الورع محبوب الرب، أمام ذلك الذى يمكننا أن نعرض عليه شكياتنا والكنيسة ونحن واثقون أنه عند سماعه قضيتنا، لن يديننا. ولذلك ننا شدك ثانية بالاله القدير، وبامبراطورنا المحبوب الذى فاق الصغار فى تقواهم، فكسب النصر وحقق كل هذه النعم طوال هذه السنين، لا ترهقوا أنفسكم فى محاولة عرض أمرنا على المجمع ثانية، بل أبلغ الامبراطور أمرنا»(١).

ولعل هذا القول الأخير يذكرنا بالتيار الذى سارت فيه المشكلة الدوناتية قبلا، عندما رفض زعماؤها الامتثال لأوامر مجمعى روما وآرل واحتكموا للامبراطور شخصيا. وها هم الأساقفة المصريون يسلكون نفس السبيل، بعد أن أصبح واضحا لهم أن الاتجاه السائد فى مجمع صور قد نحا نحوا مضادا لهم. ومن ثم أدركوا أن شيئا من الأنصاف لن يتيسر لهم الحصول عليه،

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 79.

حاكمها فهربت مع حاكم برقه عند عودته إلى مقر حكمه في برقة. ولكنها في الطريق نزلت من سفينته في سوريا وذهبت إلى انطاكيه ثم عادت للقسطنطينية والتقت بجوستنيان وتزوجها بعد فترة عقب وفاة الامبراطورة التي كانت تعارض هذا الزواج. وبعد وفاة الامبراطور تولى جوستنيان العرش وجعل تيودوره شريكة في السلطة سنة ٥٢٧م.

وفي الوقت الذى انصرف فيه جوستنيان إلى اعداد مدونته الشهيرة

في زمان هذا التعب يهرب من مدينه الى مدينه سرا وعلانيه، ومن دير الى دير، وكاتب الاساقفه اصحابه الذين باسكندريه ويعزيهم ويوصيهم ان يتثبتو على الشدايد بشجاعه. وكان معهم غير اسقف اسمه يوليانوس واظهر انه يشارك مجمع خلقدونيه لانه يقسم السيد المسيح الواحد اتنين ويجعله طبيعتين بعد الاتحاد الغير مدروك، فلما وجد هذا [اليوليانوس] زمانا بغيبة الاب سويرس كتب طومار بموامره سو لقوم سكارى مرضى في

فلما لم يصغ ديونيسيوس لرجائهم، لم يجد زعيمهم بدا من عرض الأمر بنفسه على الامبراطور، وعلى هذا النحو شخص أثناسيوس الى القسطنطينية لمقابلة قسطنطين والاحتكام اليه(١).

أدرك ديونيسيوس أن الأمر قد أفلت من يديه، وخاصة بعد أن أرسل اليه اسكندر أسقف سالونيكا رسالة يستنكر فيها سماحة لهؤلاء الأفراد بالذات الذهاب الى مصر، ويحيطه علما أن تلك مؤامرة مدبرة ضد أثناسيوس، ويلومه على هذا التخاذل ازاء الفريق اليوسابى المليثى(٢).

وعلى ذلك فقد كتب ديونيسيوس الى يوساب واتباعه رسالة ينبئهم فيها بقول اسكندر مؤيدا ما جاء فيها، ويبدو من عبارات رسالته أنه يستعطف هذا الفريق لالتزام جادة الصواب حتى لا يكون عملهم محل لوم أو نقد(٣).

أخد يوساب ورفاقه الان بيدهم زمام المبادرة، وانتهزوا فرصة غياب أثناسيوس عن المجمع قبل أن ينهى هذا أعماله، وكانت التقارير التى أعدتها لجنة تقصى الحقائق العائدة من مريوط

---

(1) SOZOM. hist. eccl. II, 25.

(2) ATHANAS. Apol. C. Arian. 80.

(3) ATHANAS. Apol. C. Arian. 81.

«مدونة جوستينيان» انفردت تيودورا بالحكم. توفيت سنة ٥٤٨م.

امانة اوتيخيوس الكافر، وابوليناريوس، وماني، واودكسيس الكفره، وملاه ايضا تجديفا من اعتقاد الذين يعتقدون التخيل وينكرون الام المسيح السيد المحيية. وانفذه الى اعمال مصر والى رهبان البريه فقبلوه ووقعو في الفخ الا سبعة نفر اضا [أضاء] الله قلوبهم فلم يقبلوه وسمعو صوتا يقول هذا الطومار نجس. فقام عليهم الذين وقعو في ضلالة يوليانوس فقتلو منهم اتنين، فتفرقو البقية وصارو يقدسون في قلاليهم بدير ابى مقار وغيره.

قد أعدت واطلع عليها الجميع [١]، فأصدر المجمع قراراته بادانةن أثناسيوس وعزله من منصبه، وحرم عليه الاقامة في الاسكندرية خشية أن يؤدى وجوده فيها الى اشعال نيران الفوضى والانقسام من جديد، كما أعيد يوحنا رئيس الأساقفة وتابعيه ثانية الى الكنيسة ورد الى كل منهم مركزه الاكليروسي [٢].وكان من بين المقبولين ثانية أرسنيوس، وقد وقع على قرار عزل أثناسيوس بوصفه أسقفا لمدينة Hypsaloplis [٣]). وبعث المجمع بتقرير عن عمله الى الامبراطور، وبمثله الى أساقفة مختلف البلدان ناصحين اياهم بعدم قبول أثناسيوس في زمالتهم وأن لا يكتبوا اليه أو يتلقوا منه أية رسائل. وذكر وا في رسالتهم هذه أنهم أضطروا للموافقة على ادانة أسقف الاسكندرية لأنه رفض الامتثال للامر الامبراطورى الصادر اليه قبلا بالحضور أمام الأساقفة في قيسارية، مستخفا بالاساقفة، متحديا أوامر الحاكم، هذا بالاضافة الى أنه حضر الى صور وبصحبته عدد كبير من الاتباع بغية اثارة الاضطراب والفوضى في المجمع، كما أن أثناسيوس رفض في كثير من الأحيان الاجابة عن الاتهامات الموجهة إليه، وأهان بعض الأساقفة، وأوضحوا في نفس الرسالة أنه أذنب ولا شك حين سمح لمقار بتحطيم الأواني المقدسة كما شهد بذلك أعضاء اللجنة[٤].

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 32.
(2) SOZOM. hist. eccl. II, 25.
(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 32.
(4) SOZOM. hist. eccl .II. 25.

وهذا السبب فى تفريقهم وكثرة الضلاله فى الاربعة ديارات وفى الجواسق. فبقوة الروح القدس ونعمته كانت المعونه للخمسة نفر الرهبان الباقين من السبعه، فمنعو الرهبان ان لا يقبلو الطومار. وكان ينبوع هذه الضلالة يوليانوس لا يفتر من انفاد كتبه الى البلاد ليضل الناس ويجذبهم اليه. فلما علم الاب ساويرس ذلك بقوة روح القدس الساكنة فيه كتب الى كل موضع ليتبدد امره ويبدد فكره، واعلم الناس فى كتبه ان يوليانوس



تميمة قبطية تمثل صلب المسيح من القرن ٦ ـ ٧. متحف اللوفر

هكذا اختتم مجمع صور جلساته بعد أن أدان وعزل وطالب بنفى أثناسيوس وقدم فى ذلك تبريراته الى الامبراطور والأساقفة، على أنه ينبغى لنا أن ندرك أن هذه الاتهامات العديدة التى سيقت ضد الأسقف السكندرى وان كان فيها الكثير من الغموض وربما الزيف. الا أنها لا شك أيضا تحمل جانبا ولو يسيرا من الحقيقة، ولعل دليلنا على ذلك أن هذه المعلومات كلها استقيناها، من أقلام أثناسيوس نفسه ومؤرخى الكنيسة الاخرين، وهذا ولا شك شئ يدعو للحذر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان تتبع هذه الأحداث يرينا أن أسقف الاسكندرية كان بلا ريب يتمتع بشخصة قوية ونفوذ كبير، ويبدو من سلوكه طوال هذه الفترة مدى صلابة رأيه وتمسكه الشديد بكل ما تقر عليه ارادته. هذا واضح من تحديه المستمر للفريق الآريوسى، بل ورفضه الفريق المليثى الذى كان اسكندر قد قبلهم ثانية بناء على قرارات المجمع المسكونى الأول فى نيقية، فلا شك اذن أن يؤدى ذلك الى اثارة حفيظة وغيرة كثير من زملائه رجال الاكليروس لافى مصر وحدها بل فى كنائس الشرق الأخرى. وكانت نيقوميديا على رأس هذه الكنائس، واذا أدخلنا فى اعتبارنا أن نيقوميديا قد ظلت لفترة تقترب من نصف قرن عاصمة الامبراطورية، فلا عجب أن يتطلع أسقفها الى شئ من الزعامة على سائر الكنائس الأخرى، بل وأن يتطلع هو نفسه لأسقفية أكبر من نيقوميديا، وسينجح يوساب فعلا فى ذلك عندما يصبح أسقفا للقسطنطينية ، وان كان ذلك قد تم بعد وفاة قسطنطين. ومن ثم

تنين ردى ممتلى تجديفا. وكان القديس ساويرس مهتمابمن ضرب بهذه الضربة ليداويه وتثبيتا لمن لم يتبع الطومار، وكان من ذلك قلق ومقاومه. وعند ذلك تنيح الاب طيماتاوس البطرك المغبوط وهو تابت فى الامانه المستقيمه، وكان مجاهدا عنها متل الاب ساويرس ودحض يوليانوس وجميع مقالاته.وكانت مدة مقامه بطركا على كرسى اسكندريه سبع عشرة سنه وتوفى فى التالت عشر من امشير.

رأينا يوساب يتزعم حركة المعارضة ضد كنيسة الاسكندرية، واذا كانت هذه تعتز بتراثها التليد وفلسفتها ومدرستها اللاهوتية وأثرها الواضح على المسيحية، وما كان لها بكل هذه العظمة أن تقبل الخضوع لمدينة لا تدانيها فى شئ من هذا، فان نيقوميديا وليس لها من هذا شئ، لابد وأن تعتز بأنها مقر الأباطرة عاصمة ملكهم، وأنه ليس من حق أسقفية ولاية أن تنازع أسقفية العاصمة وحتى عندما انتقلت العاصمة الى القسطنطينية فى ١١ مايو سنة ٣٣٠ لم يكن لكنيستها خلال الفترة الباقية من حكم قسطنطين شأن يذكر فى تسيير دفة الأحداث.

لقد تحولت المسألة بعد مجمع نيقية الى صراع على الزعامة تحت ستار العقيدة، ويقول جلانفيل دونى Glanville Downey «ليس غريبا أن يظهر نوع من الأساقفة الدنيويين السياسيين الذين لم يكرسوا أنفسهم لرعاية رعيتهم فى البلدان النائية بقدر ما وجهوا عنايتهم الى المناورات الدبلوماسية فى البلاط الامبراطورى، وذلك عندما قامت الخلافات العقائدية وتدخل الامبراطور لحلها، فأصبح واجبا على الجهات المتخاصمة فى الكنيسة أن تسعى الى كسب الامبراطور ومستشاريه الى صفها[١]. فآريوس صاحب هذه الأحداث منذ البداية أخلد بعد نفيه الى الهدوء، ولم يأت به الى مسرح الأحداث ثانية الا الامبراطور ذاته وربما على كره

---

(١) دونى أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس، ترجمة دكتور البرت بطرس، ص ٨٣. بيروت ١٩٦٨.

تاودوسيوس البطرك

[٥٣٥ / ٥٦٧]

وهو من العدد التالت والتلتون

وبامر الله اجتمع الاساقفه والشعب الارتدكسى بعد نياحة تيماتاوس وبتدبير السيد المسيح قسمو الاب القديس تاودوسيوس بطركا وكان بتولا عارفا بالكتابة البيعيه. وبعد ايام قلايل اقام المبغض للخير تجربه عليه وطرح سجسا بين اقوام اشرار من اهل المدينه اصحاب صنايع مرذوله.

من آريوس نفسه كما اتضح من رسالة الامبراطور اليه، وحتى بعد عودته ظل بعيدا لايشارك فى شئ من هذه الحوادث كلها. لقد كان الرجل شيخا طاعنا، ولم يكن له مطمع فى جاه أو مطمح الى سلطان، بل كل ما كان يرجوه أن يقر الناس عقيدة آمن بها وأيقن أنها الحق المبين، وما عداها افك وضلال. على حين كان يوساب هو المحرك الأول لكل هذه الأحداث بعد مجمع نيقية وطوال عشر سنوات كاملة (٣٢٨ ـ ٣٣٧)، ولم يأت على لسان الأطراف المتنازعة، ولم تسجل أقلامهم خلال هذه المرحلة التى شهدناها بعد نيقية شيئا من أمور العقيدة، ولم تمس الاتهامات التى وجهت الى أثناسيوس طرفا من رداء الدين، ولم يتعرض مجمع الأساقفة فى صور الى العقيدة فى قليل أو كثير، بل حتى لم يطلب اليه بحث مسألة اعادة آريوس الى الكنيسة وهى المشكلة التى كان يجب أن تحتل المكان الأول فى قائمة موضوعات الساعة، وحتى مبرارت الحكم ضد أثناسيوس كانت كلها تدور حول مسائل بعيدة تماما عن الديانة وأسرارها. ولكنها كانت كلها تسير هذين المسارين الواضحين اللذين اختطهما رجال الفريق اليوسابى منذ البداية، أعنى اثارة غضب الامبراطور وجلب حنق الأساقفة. وكان الفريق اليوسابى يعلم مزاج الامبراطور، فعرف كيف يصور له أثناسيوس فى صورة المعترض على قراراته المتحدى لسلطانه، وساعد أثناسيوس بسلوكه وعناده على تثبيت هذه الفكرة لدى الامبراطور.

وكان انسان قد كبر وطعن فى السن اسمه كيانوس(*)[غايانوس] وكان ارشى دياقن البيعه باسكندريه وكان قايما فى وقت قسمة الاب تاودوسيوس بطركا مع الاساقفه والكهنه ومقدمى المدينه حتى قسموه وكتبو تقليده وقدموه لرتبة الرياسه على الكرسى الرسولى وكملوه باتفاق من جميع الشعب المسيحى المحب لله، ومن بعد هذا اضله قوم وغيرو فكره، اعنى الارشى دياقن بسداجته، واشارو عليه قايلين هذه الرتبه والتقدمه

(*) كيانوس: غيانوس: ينسب اليه شيعة مذهبية تسمى الغايانيون ظهرت عام ٥٣٥م. نازع البطرك تاودوسيوس الأول كرسى اسكندرية، وبعد أن أقام فيه مئة وثلاثة أيام نفاه القيصر يستنيانس الاول إلى جزيرة سردينية وفيها مات بعد مدة وجيزة.

وبما أنه كان ميالا إلى الأسقف يوليان الخيالى تمسك حزبه بها وانتشروا فى بعض البلاد المصرية، وفى سنة ٥٤٩م انضمت شيعته إلى

وان كان اليوسابيون قد حرصوا على أن يغلفوا ذلك بستار العقيدة أيضا، ولهذا فانهم رغم سعيهم الدائب لاثارة الامبراطور ضد أثناسيوس، لم يضعوا ذلك فى اطار النزاع الشخصى بين قسطنطين وأثناسيوس، حتى لا يجعلوا من الأسقف السكندرى بطلا فى نظر رعيته يناضل ضد الامبراطور.

ما كاد المجمع ينهى جلساته ويصدر قراره حتى تسلم رجاله رسائل من الامبراطور يدعوهم فيها للتوجه الى أورشليم لحضور حفل تدشين الكنيسة الفخمة التى أقامها الامبراطور هناك، والذى يوافق الاحتفال أيضا بالعيد الثلاثين لحكم الامبراطور[1]. ويصور يوساب ذلك بقوله ان المدينة قد غدت مسرحا ضم عديدا من مختلف الشخصيات الكنسية، فقد جاء الى هناك اسكندر أسقف سالونيكا، ومن بانونيا حضر أورساكيوس وفالنز، وأحد أساقفة فارس، ومن بيثينيا وتراقيا ثيوجنس هذا بالاضافة الى أساقفة كليكيا وكبادوكيا وسوريا وميزوبوتاميا وفينيقيا وبلاد العرب وفلسطين ومصر وليبيا وطيبة، الى جانبى عدد هائل من موظفى القصر الذين أرسلوا للاشراف على هذا الحفل والارتفاع به الى ما يناسب مقام الامبراطور السامى[2]، ثم يخبرنا يوساب بعد ذلك أن أولئك الموظفين قد قاموا بناء على الأوامر الامبراطورية بتوزيع

(1) EVSEB. vita Const. IV, 43.

(2) Id.

شيعة يوليان وأقامو لهم رئيسا واحدا باسم بطرك.

تجب لك ولا يجوز لاحد ان يتقدم عليك. ودخلو في عقله قليلا قليلا بالكلام الردى حتى قبل مشورتهم، فاخذوه ومضو الى بيت قس اسمه تاودورس، وكان ردى الفعل وله مال كتير، فقسمو كيانوس الارشى دياقن بطركا، وكان معهم معاونا لهم يوليانوس الفاسد الامانه باتفاق مع تاودورس القس لان تاودوسيوس المغبوط كان لما صار بطركا قد احرم يوليانوس لانه كا ملجا [ء] للمخالفين. ثم انه مضى الى الوالى والى متولى المعونه

الهدايا والمنح والعطايا التى أنعم بها الامبراطور على رجال الله[1] . وقد قابل الأساقفة ذلك بالقاء عديد من الخطب التى تدور كلها حول تمجيد الامبراطور والاشادة بورعه وتقواه وهذا العمل النبيل الذى أقدم عليه، والدعاء الى الرب بأن يحفظه ويرعاه، ويذكر يوساب أنه شارك هو الآخر فى هذه المباراة وأوضح فى خطبته أن تلك الكنيسة وتمامها فى ذلك الوقت بالذات كانت مما جاء فى نبوءات الأنبياء قبل ذلك[2] !!

ولا شك أن الامبراطور عندما واتته أنباء هذا الاجتماع بهذه الصورة التى كان عليها داعبه من جديد أمل السلام والوحدة، فها هو يشهد أساقفة الشرق جميعا، وقد اتحدت كلمتهم مهما كان نوع هذا الاتحاد، ثم نظر فاذا بآريوس لا يزال خارج الكنيسة، فأيقن أن هذه هى الفرصة المناسبة ليعيد آريوس الى كنيسته فينتهى بذلك من مشكلة آلمته من حكمه سنين عددا، وعلى هذا بعث بآريوس وصحبه يوزيوس الى مجمع الأساقفة فى أورشليم سنة ٣٣٥، وأخبرهم أنه قد اطلع على وثيقة ايمانهما التى قدماها اليه، وأنه مقتنع بكل ما جاء فيها، وحثهم على قبول هذه الوثيقة واعادة آريوس وصحبه الى الكنيسة[3]. ولم يكن الأساقفة فى حاجة الى توصية الامبراطور، فقد كانوا جميعا من مؤيدى آريوس، فأصدروا على الفور قرارهم

(1) Ibid. 44.

(2) Ibid. 45.

(3) SOZOM. hist. eccl. II, 27.

وصانعهم وطيب قلوبهم بكثرة الهدايا حتى اقامو
على الاب تاودوسيوس البطرك وعلى البيعه شرا
عظيما، وطردو تاودوسيوس القديس عن كرسى
الاسكندريه الى حرسانوس، فمكث هناك ستة
شهور، وكتم الوالى عن الملك امره وقسمتهم
غيره، وكلما [كل ما] جرى من يوليانوس
وتاودورس المجتمعين عليه.

وكان الحكيم ساويرس البطرك يسمى
تاودوسيوس اخا ومعينا وشريكا فى الفعل الواحد

بقبول صيغة الايمان التى قدمها الرجلان وهى التى أشرنا اليها آنفا. واعادة قبولهما فى الكنيسة. وعودتهما الى كنيسة الاسكندرية، وكتبوا الى الامبراطور يخبرونه بكل ما حدث[1] . كما أرسلوا أيضا رسائل بهذا المعنى الى عموم الكنائس فى الاسكندرية وطيبة وليبيا ومختلف رجال الاكليروس فى مصر حاثين اياهم على قبول آريوس وشيعته، وشفعوا ذلك بأقوال تضع حديثهم فى صيغة أمر واجب التنفيذ، فذكروا أنهم أقدموا على هذا بعد أن تأكد لديهم صدق ايمان آريوس وصحبه، وأن الامبراطور محبوب الرب التقى الورع، قد شهد فى خطابه لهم بصحة ايمان الرجلين بقبولهما فى الكنيسة[2] .

ويبدو أن رسالة الامبراطور الى المجمع بخصوص قبول آريوس وصحبه فى الكنيسة، قد بعثت قبل أن يلتقى الامبراطور بأثناسيوس الذى انسحب وبعض خاصته أثناء انعقادمجمع صور، وشخص الى القسطنطينية ليعرض على الامبراطور صورة لهذا الحيف الذى وقع به، ذلك أن الأمبراطور ما أن التقى بالأسقف السكندرى وسمع له حتى أرسل رسالة عنيفة الى الأساقفة الذين كانوا قد اجتمعوا فى صور وهاهم الآن فى أورشليم، ويبدو أن الامبراطور قد تأثر الى حد كبير بما سمعه من أثناسيوس، وذلك واضح مما جاء فى مقدمة رسالته حيث يقول:

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 34.

(2) ATHANAS. Apol. C. Arian. 84.

الانجيلى الحقيقى. وكان يعزيه ويقويه على ما ناله لاجل الامانه الارتدكسيه، ويشبهه بالعظيم بولس الرسول فى اول اصطفايه وامانته بالمسيح، وكيف طردوه اهل بيته وخاصته وكيف انزلوه المومنون من الحصن فى قفه حتى هرب من دمشق.

وكان الاب تاودوسيوس تحت القلق من المخالفين واضطهادهم له، كان ذلك فى سنة مايتين واتنين واربعين لديقلاديانوس، وكان ساويرس البطرك مختفيا من يوستنيانوس الملك المخالف فى قريه

«أنى فى واقع الأمر لا أعلم شيئا عما اتخذه مجمعكم من قرارات فى جو عاصف صاخب، غير أنه يبدو لى أن الحق قد تعرض لتحريف نتيجة اجراءات فوضوية مضطربة. ذلك لأنكم، كما يقال، حبافى الجدال، أغفلتم أمورا يرتضيها الاله، وانى الأرجو الله، وكلى ثقة، أن تعمل العناية السماوية على إذابة مآس خلفها التنافس الحاد، وذلك عندما يتم فحص تلك الأمور بدقه، وانى لامل أن توضحوا اذا ما كنتم قد راعيتم فى مجلسكم مضمون الحق، واذا ما كنتم أيضا قد أصدرتم قراراتكم دون ما تحيز أو تعصب»[١].

وبعد أن يخبرهم قسطنطين أن سلوكه قد ادخل البرابرة فى حظيرة المسيحية، ويوجه اليهم اللوم قائلا:

«أما نحن معاشر الذين يتشدقون باحترام العقيدة، وأسرارها المقدسة،(ولا أقول حراسها)، لا نفعل الا ما يبذر بذور الشقاق والعداوة، ولأكون معكم صريح، نعمل على دمار البشرية»[٢].

ولندع قسطنطين الان يحدثنا بنفسه عن المقابلة التى حدثت بينه وبين أثناسيوس، حيث يتضح من حديثه أنه لم يكن لديه الرغبة للقاء الأسقف السكندرى، يقول الامبراطور:

....

(1) SOCRAT. hist. eccl. I, 43.

(2) Id.

محبه للمسيح تعرف بسخا من اعمال مصر عند رجل اسمه دروتاوس المهتم بامور الشيوخ الرهبان الذين رفضو ضلالة يوليانوس الكافر، وكان الرجل المذكور قد امكنه ان يمضى الى والى اعمال مصر وهو ارستاماخوس وساله ان يتراف [يترأف] على شيوخ الرهبان الذين فى البريه بان ينعم عليهم ويمكنهم ان ينو بيعا وجواسق عوضا مماخذ منهم يوليانوس واصحابه، ويسمح للرهبان [بذلك].
فرسم له بذلك وشكر الله تعالى.

«بينما أنا داخل المدينة التى تحمل اسمنا، فى هذه الديار الزاهرة، القسطنطينية. وكنت ساعتها متطيا صهوة جوادى. اعترضنا فجاة الأسقف أثناسيوس، يحيط به بعض من رجال الدين، يبتغون السماح لهم بمقابلتنا، ويعلم الله، الذى أحاط بكل شئ علما، أنى لم اتبين للوهلة الأولى شخصه حتى انبائى عنه بعض خاصتى، بعد أن سألتهم ذلك. وانباونى أيضا كم من الآلام قاسى، وحتى ذلك الحين لم أحادثه، أو أجرى اتصالا معه، ولكنه راح يلح طالبا الأذن له يلقائنا، ورغم أنى رفضت ذلك مرارا، وأمرت بابعاده عن حضرتنا الا أنه أعلن فى جراءة فائقة أنه لا يطلب سوى شئ واحد، هو أن تمثلوا جميعا الى هنا، حتى يجد فى حضرتنا فرصة عادلة لبحث مظلمته» .

وقد وجه قسطنطين أوامره الى هؤلاء الأساقفة بالحضور على وجه السرعة الى بلاطه، ويتضح مدى اهتمامه بهذا الأمر ولهفته على وصول الأساقفة، من أن دعوته اياهم للحضور قد جاءت فى رسالته هذه فى ثلاثة مواضع متقاربة، كلها تتعجل رحيلهم الى القسطنطينية لحسم هذه الأمر فى حضرة الامبراطور.

ويبدو أن هذه الرسالة قد وصلت بعد أن غادر كثير من الأساقفة أورشليم عائدين الى بيعهم بعد أن حصلوا على الهدايا الامبراطورية، وان كان أثناسيوس وسقراط وسوزمين يخلعون

وكان ساويرس البطرك قد وضع كتبا قهر بها الهارسيس اصحاب الطبيعتين واباد اكثر معتقديها بمجد الله وتعاليمه بلسانه السيف الروحانى. وكان يدرس فى كتب الحكمه الالهيه دايما الى ان كبر ودنت ايام انتقاله من التعب الى النياح لانه اقام فى الجهاد والصبر على اضطهاد المخالفين تلتين سنه على كرسى انطاكيه فى عناد وقلق ست سنين، ولم يفتر فى هذه المده من الجهاد على الامانه الارتدكسيه حتى الى الموت، فلما اكمل سعيه وهو

على الأساقفة حالة من الرعب والهلع دفعت بالبعض الى الأسراع بالرحيل عن أورشليم والعودة الى ديارهم. غير أن يوساب النيقوميدى جمع مشاهير رجالاته وسافر لملاقاة الامبراطور فى القسطنطينية. وكان من بين هؤلاء الأساقفة ثيوجنس، وماريس، وباتروفيلوس، وأورساكيوس، وفالنز. ويقول سوزمين ان هذا الجمع قد بين للامبراطور أن مجمع صور لم يقدم على شئ ضد أثناسيوس، وانما توخى العدالة تماما، وأعادوا على مسامعه سابق الاتهام بتحطيم الأوانى المقدسة. وان كان أثناسيوس ينفى ذلك ويقول ان هذا الأمر شئ ثبت بطلانه فلم يجرؤ الأساقفة على ذكره، ولكنهم جاءوا الى الامبراطور باتهام جديد فحواه أن أسقف الاسكندرية هدد بمنع ارسال القمح من الاسكندرية الى القسطنطينية. وأكدوا أن هذا التهديد جاء على شفتى أثناسيوس وسمعته أذان عدد من الأساقفة من بينهم آدامانيوس Adamantius وأنوبيون Anubion، وأرباثيون Arbathion، وبطرس Peter. ويصف أثناسيوس حالة الامبراطور لدى سماعه هذا الاتهام بقوله: «اشتعل على الفور غيظ الامبراطور واشتد حنقه، وبدلا من أن يرسل الى لسماع قولى، أمر بنفيى الى غالة»[١]. ويقول سقراط معلقا على ذلك بأن الامبراطور أصدر هذا القرار بدافع الرغبة فى توحيد الكنيسة حيث أن أثناسيوس رفض المصالحة مع آريوس[٢].

(1) ATHANAS. Apol. C. Arian. 87.

(2) SOCRAT. hist. eccl. I, 35.

حافظ الامانه الصحيحه مضى الى السيد المسيح الذى احبه واخذ اكليل الغلبه مع الابا القديسين فى بيعه الابكار السماويه.



واما الاب المغبوط تاودوسيوس فاقلقوه كثيرا شديدا جدا، اعنى كيانوس المخالف ومن معه. وكان يوحنا مقدم اسكندريه وغيره مجتهدين فى خلاصه منهم فتشاورو مع الابا واخذوه وانزلوه فى مركب فى البحر [النيل] ومضو به الى قريه تسمى مليج من اعمال مصر اقام بها سنتين، فقلق شعب

ولقد أصاب سقراط بقوله هذا كبد الحقيقة، فبالاضافة الى أن الامبراطور كان يتميز غيظا لدى سماعه بهذا الاتهام الجديد، سواء كان هذا الادعاء باطلا أم حدث فعلا، فقسطنطين كان يدرك يقينا الأهمية الاقتصادية لمصر وما تمثله غلالها من أهمية للعاصمة الجديدة، ولم يكن قسطنطين يتصور مطلقا أن يتسبب شخص مهما بلغت مكانته فى احداث مجاعة فى روما الجديدة! هذا من ناحية. والأخرى أنه ضاق ذرعا بعناد أثناسيوس، فقد حاول كثيرا أن يلتقى واياه على طريق وسط، ولكن الأسقف السكندرى لم يكن ممن يقبلون هذه السياسة. فقد كان متشددا فى موقفه لا يقبل المساومة، ووصل به الأمر ذات مرة الى حد رفض الاذعان لأوامر الامبراطور عندما قرر الامتناع عن الظهور أمام مجمع الأساقفة فى قيسارية سنة ٣٣٣، ولم يتراجع عن موقفه تجاه الآريوسيين أو المليتيين، ولم يحاول بذلك اعادة السلام الى الكنيسة والوحدة، وذلك شئ كانت تتوق اليه نفس الامبراطور، وأدرك قسطنطين خلال هذه الرحلة الطويلة الشاقة أن أثناسيوس هو العقبة الوحيدة الباقية فى سبيل اعادة الوحدة الى الكنيسة، ومن ثم قرر التخلص منه بنفيه، وفكسبت الدولة بذلك جولتها الأولى ضد الكنيسة.

على هذا النحو حقق الفريق اليوسابى نصره على زعيم الايمان النيقى، وفى نفس الوقت حقق نصرا أخر، ذلك أن ماركللوس Marcellus أسقف أنقرة كان قد كتب عدة كتابات ضد

اسكندريه وكهنتها ومقدميها لبعده عنهم وقال للوالي: لماذا ابعـــدت عنا الراعى الصـــالح تاودوسيوس. فخاف الوالي منهم وكره ان ينتهى الخبر الى الملك فاخرج كيانوس المخالف من المدينه.

ثم مضى بعض المقدمين لقضا[ء]حوايج له من الملك فاعلم الملكه تاودوره المومنه نفى المغبوط تاودوسيوس من مدينة اسكندريه، لان اصلها منها، فدخلت الى الملك بسكون وحكمه ووداعه

الآريوسية[1] ردا على رسالة كان آستريوس Asterius أحد مواطنى كبادوكيا قد كتبها يدافع عن العقيدة الأريو سية، وراح يذيعها فى عدة مدن وينشرها بين كثير من الأساقفة، ومن ثم أخذ ماركللوس عن عاتقه مهمة دحض هذه الأقوال، فأدى ذلك به سواء بوعى أو بلا وعى الى ترديد آراء بولس السميساطى[2].

وقد عده اليوسابيون خصما لهم، فاتهموه بأنه لم يوافق على القرارات التى أقرها مجمع أورشليم عام ٣٣٥ بخصوص قبول آريوس وصحبه ثانية فى الكنيسة، وأنه رفض حضور تدشين كنيسة أورشليم حتى لا يشترك والأساقفة فى اتخاذ قرارات هو عنها غير راض، ويذكر سوزومين أن الفريق اليوسابى ركز على هذه النقطةبالذات وأثارها لدى الامبراطور مبينا له أن ذلك يعد اهانة كبيرة لشخصه بعد أن رفض هذا الأسقف حضور حفل تدشين كنيسة أورشليم[3]. ولعل هذا يؤكد ما نذهب اليه من أن المسألة كانت فى حقيقة أمرها تستتر برداء العقيدة، ولم تكن سوى نزاع شخصى ولذلك كان الفريق اليوسابى يصور المسألة للأمبراطور باعتبارها تمس شخصه مباشرة ، وتمثل انتقاصا لسيادته، مما يثير بالتالى غضبه. وعلى هذا

---

(1) HIER. vir. ill. 86.

(2) SOZOM. hist. eccl. II, 33.

وراجع أيضا SOCRAT. hist. eccl. I, 36.

(3) SOZOM. hist. eccl II, 33.

واعلمته بكلما جرى على الاب تاودوسيوس
البطرك بمدينة اسكندريه بغير امره. فلما سمع
ذلك فرح في قلبه بما نال الارتدكسيين من القلق
والجهاد اذ لم يرضو ان يشاركوه في امانته الفاسده
الخلقدونيه الطمشه، ثم اراد [الملك] ان يرضى
الملكه ويطيب نفسها فاعطاها السلطان ان تفعل
بامره في ذلك ما تريده فارسلت الى مدينة
اسكندريه لتكشف عن الخبر وتعيد الاب
تاودوسيوس البطرك الى كرسيه وامرت الرسل ان

النحو اجتمع الأساقفة هؤلاء في القسطنطينية وأصدروا قرارهم بعزل ماركللوس من أسقفيته[١].

أما ما كان من أمر آريوس فانه عاد ثانية الى الاسكندرية بعد أن أصدر مجمع أورشليم قراره بقبوله ورفاقه في الكنيسة، الا أن الأساقفة المصريين أنصار أثناسيوس رفضوا الامتثال لقرارات المجمع، فأدى هذا بالتالي الى حدوث الاضطرابات من جديد في الاسكندرية[٢]، ولما كان الامبراطور غير راغب في السماح بوقوع فوضى جديدة تعكر صفو سلامه، فقد أرسل الى آريوس يستدعيه فورا الى القسطينية. وكان أسقف المدينة في هذا الوقت اسكندر [الكسندروس] الذي دخل في صراع مع اريوس منذ وصوله الى العاصمة كما ينبئنا بذلك سقراط[٣]. ولعل ذلك يرجع الى ما يكون قد نمى الى علم آسكندر من رغبة الفريق اليوسابي في أن يقوم أسقف القسطنطينية بقبول اريوس في الكنيسة حتى يكو ذلك أنموذجا تحتذى به بقية كنائس الامبراطورية. وقد تأكد هذا فعلا عندما طلب الامبراطور اليه الاقدام على هذه الخطوة، وهدده يوساب بالسعي لدى الامبراطور لعزله اذا ما رفض قبول آريوس[٤].

(1) SOCRAT. hist, eccl. I, 36.

(2) Ibid. 37.

(3) SOCRAT. hist. eccl. I, 37.

(4) Id.

يعلموها كيف كانت بطركيته عند قسمته وهل هى مكمله بقانون البيعه.

فلما وصلو رسلها الى المدينه على ما امرتهم به كشفو عما امرتهم بكشفه واستوضحو كيف كانت قسمة قيانوس الارشى دياقن، ومن كان منهم الاول. فدس الوالى وصاحب المعونه قوما لاجل ما اخذاه من الهدايا والبراطيل ويصرخون ويقولون: كيانوس اول فى القسمه، فلم يثبت قولهم، وكتب مايه وعشرون رجلا من الكهنه

على هذه الشاكلة انتقلت الفوضى من الاسكندرية الى القسطنطينية، فانقسمت المدنية الى فريقين، أحدهما يتمسك بقانون الايمان النيقى، والآخر يناضل من أجل آريوس . وأدرك الامبراطور خطورة الحال، فدعا اليه اسكندر [الكسندروس] وآريوس وطلب الى الأخير الاعتراف بقرارات مجمع نيقية والقسم على صحة ايمانه[1] ففعل، وقبل الامبراطور من صيغة ايمانه ودعا اسكندر [الكسندروس] الى قبوله فى الكنيسة . ولكن هذا كان غير راغب فى ذلك تماما، وتحرج موقفه أمام الامبراطور الذى حدد يوما يتم فيه ذلك على مرأى من الجميع، وتعقدت المشكلة ولكنها لم تلبث أن حلت فجأة بوفاة آريوس فى نفس اليوم من عام ٣٣٦. وعد خصومه وفاته دليلا على الغضب الالهى، كما جرت بذلك أقلام مؤرخى الكنيسة جميعهم!! وان كانت مسألة موته فجأة تنتظر رأى محكمة التاريخ.

ولعلنا نتساءل الآن عن موقف الغرب الامبراطورى طيلة هذه السنين، الحقيقة أنه أخلد الى الهدوء بعد مجمع نيقية اذا استثنينا احداث ولاية أفريقيا. وقنع بقانون الايمان الذى قر عليه رأى الأساقفة هناك خاصة بعد أن تضمن هذا القانون نصوصا كانت فيه سائدة أو على الأقل معروفة. وبدا أن المشكلة برمتها لم تكن تعنى الغرب فى قليل أو كثير . فوقف من الأحداث

(1) Id.

ومقدمى المدينه خطوطهم بان تاودوسيوس هو اول
فى القسمه،ثم اجتمعو ومعونة السيد المسيح معهم
وحضر امرا [أمراء] الملك وقواده الذين هم رسله
وامناه واجتمع جميع السكندرين معهم فى البيعة
المقدسه وقدموا الانجيل المقدس وسجل [مرسوم]
الملك الذى فيه خاتمه وصورته، وقدمو الاب
تاودوسيوس البطرك المغبوط وجماعة الاساقفه
الذين كانو حاضرين بقسمته، وفرقو بينهم، وسايلو
واحدا واحدا وكتبوا ما قالوه. فصح اعترافهم كل

موقف المتفرج. وكان الامبراطور قرير العين بهذا السلوك. فكفى من الغرب جزء تعصف به رياح الانقسام. ولكن الغرب والامبراطور لم يقدرا أنه لن تمضى على وفاة قسطنطين سنوات قلائل حتى يشمله ذلك الصراع، كان لوجود أثناسيوس هناك منفيا أو من بعد هاربا أكبر الأثر فى ذلك. ولم يكن كلاهما يدرى ما خطته يد القدر من ويلات تنتظر ذلك الغرب الذى أقحمت عليه فى عهد خلفاء قسطنطين المشكلة الآريوسية، حتى يأتى زمان تنعكس فيه الآية، فترحل الاريوسية من الشرق مكرهة لتمكث فى الغرب قرونا للجرمان دينا!!

وكان قد بقى لقسطنطين من عمره عام واحد، قدر له فيه أن يشهد هدوءا مشوبا بالقلق فى أمر العقيدة، وراح يجتر أحلاما داعيته طيلة هذه السنوات عن الوحدة والسلام. لقد حقق الامبراطور بقوته العسكرية وحدة الدولة، ولكن «مبعوث الرب» عجز عن أن يضمن للكنيسة وحدتها، فتركها أكثر انقساما من البدء وأشد فرقة، وراح ليموت والألم يعتصر فؤاده على عمر أفناه فى رجاء تلاشى وأمل تبدد!!

كان قسطنطين على قدر كبير من الذكاء، أدرك من خلاله الى أين يتجه تيار المسيحية وقدرها، فركب أمواج الحماسة لهذه العقيدة، وعرف كيف يفيد منها الى أقصى درجة.

لقد شهد بعينى رأسه وهوبعد فى بلاط نيقوميديا رهينة، اصرار المسيحيين وعنادهم رغم

---

[٣٣] : تاودوسيوس ٥٣٥/٥٦٧م

واحـد بغـيـر خـوف ولا اخـتـلاف فى القـول ان تاودوسيـوس المغبـوط هو المقسـوم اولا باتفـاق من الاساقفه والشعب بحكم قانون البيعه.

وبعد ذلك بشهرين سمعو ان كيانوس صير بطركا، فتقدم كيانوس قدام الجماعه واعترف لهم بصحة ذلك وسال الصفح عنه وطلبت الجماع للاب المغبوط تاودوسيوس ان يقبله ويسالوه قبول توبته على ان يكتب بخط يده انه فعل هذا خارجا عن القانون البيعى، وانه يقى فى شماسيته ارشى

الاضطهاد العنيف الذى تعرضوا له على عهد دقلديانوس وجاليريوس قيصره، وتأكد لديه ذلك بصورة أكثر وضوحا خلال الحملة العسكرية التى قادها دقلديانوس الى مصر، وعلى طول الطريق عبر آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين، ولهذا أيقن بفطنته أن يدا رحيمة تمسح عن هذه القلة المستضعفة جراحاتها، وتخفف عنها ويلات الامها، يمكن أن تجعل منها أنصارا مخلصين وجندا أوفياء.

ولم يتردد فى الاقدام على هذه الخطوة بل سارع اليها على مهل، واهتبل فرصتها فى روية، واستغل أخطاء، بل ربما حماقات خصومه ومنافسيه على العرش الامبراطورى ماكسنتيوس وماكسيمين دازا وليكين، وليسحب الأرض من تحت أقدامهم، لقد عادى هؤلاء جميعا المسيحيين ونكلوا بهم أن عنفا أو فى هوادة، وفى الوقت ذاته لم يقدموا للديانات السابقة جديدا يمكن أن تنهض به، أو يبعثها من الرقاد.

كان قسطنطين حصيف الرأى، يفوق معاصريه من العلمانيين ورجال الدين فطنة وذكاء، فاختار مستشاره للشئون الدينية من الغرب الامبراطورى، هو سيوس أسقف قرطبة، وهو رجل ترضى عنه الأوساط الكنسية على قلتها فى الغرب آنذاك، وانتقى أيضا مادحه ورئيس جهاز دعايته من النصف الشرقى، يوساب أسقف قيسارية فلسطين، صاحب الآراء اللاهوتية المعتدلة، والذى حاز ثقة كل الأطراف والفرق الدينية المتصارعة . ولم تكن الصلة بين الامبراطور

دياقن كما كان، وانه يتضع ويخضع للاب تاودوسيوس ويطيعه الى حين وفاته. ففعل ذلك كله وختم جميعهم ان هدا كله حق وصدق، وفرح الجمع كله ومجدو الله وشكروه اذ عاد اليهم راعيهم الصالح تاودوسيوس البطرك وجلس على كرسيه ليدبر البيعه والشعب بسلام.

واما يوليانوس وتاودورس وماني وجميع من خلف وتبعهم فثبت الاثم عليهم انهم مخالفون ولم يتوبو، فاما كيانوس فصار تحت طاعة

والأسقف القيسارى حديثة عهد عندما انفرد قسطنطين بحكم الامبراطورية ، ولكن يوساب القيسارى ـ كما تشير المصادر المعاصرة ـ تعرف الى قسطنطين وهو فى طريقه الى مصر فى حملة دقلديانوس. ولا شك أن اللقاء الذى تم بين الرجلين فى هذا الوقت المبكر، قد ترك أثره الكبير فى نفس كل منهما ازاء الآخر، وان كان قد أفاد امبراطور الغد كثيرا، فرسم للرجل فى مخيلته صورة تتفق وما يعتمل فى داخله من واسع الطموح.

لقد حرص قسطنطين طوال فترة حكمه التى امتدت ما يزيد على ربع قرن، أن لا يثير شكوك رعيته، والتى تمثل جل امبراطوريته، بل ظل فى نظر هؤلاء الرجل الذى وحد الامبراطورية وأنقذها من ويلات الحروب الأهلية الطاحنه. حقيقة سمح للمسيحيين بممارسة طقوس عبادتهم، وأعاد اليهم أموالهم وأملاكهم المصادرة، وأباح لهم حرية اقامة كنائس جديدة واصلاح ما تهدم من دور العبادة تحت وطأة الاضطهاد، وأعاد المنفيين وأطلق سراح المسجونين، وحقيقة أيضا أصدر أوامر بهدم عدد من المعابد فى كيليكيا وفينيقيا، ولكن قسطنطين مع ذلك كله لم يذهب كما فعل سلفه دقلديانوس فى سياسته تجاه المسيحية، فلم يصدر ضد الديانات القديمة مرسوما عاما بالاضطهاد أو بهدم معابدهم فى كل أنحاء الامبراطورية، وأو باحراق كتبهم المقدسة، أو بسوق كهنتهم الى العذاب زمرا، أو بتعقب جموعهم وحرمانها من ممارسة الطقوس نحو أربابها، بل أن هذه المعابد التى تم هدمها، لم يكن

تاودوسيوس البطرك. فلما استقام امر البيعة والشعب المومن المسيحى فرح الاب تاودوسيوس وكتب كتبا يشكر فيها الملك والملكه وارسلها مع رسلهم وهو ارستيتنس، ونيقيتس، وفيلودورس وشكرهم على ما فعلوه.

فلما وصلو وسلمو الكتب للملك وعرفوه جميع ما جرى كانت افكاره مايله موجعه [أى الملك] وقال: هو دا انا قد سلمت كرسى اسكندريه لتاودوسيوس ولو اضفت له جميع

ذلك بصفتها المخالفة للمسيحية ولكن لأنها كانت قد أمست غير مناسبة للمنحى الدكتاتورى القيصرى بسبب ايمانها بالتعددية وكفرها بالواحدية.

وفى الوقت الذى اختار فيه قسطنطين الأحد المقدس عند المسيحيين وجعل منه عيدا أسبوعيا، دعاه يوم الشمس ولم يدعه أبدا بيوم السيد، وبينما جعل من لابرومة المسيح شعارا له، استمرت العملة تصدر حتى سنة ٣٢٣ تحمل شعار الشمس التى لا تقهر.

لقد سعى قسطنطين إلى دعم إله المسيحيين الذى لا يقبل معه إله آخر، وسعى هو إلى أن يجعل من نفسه ممثلاً لهذا الإله الذى وحّد كل الامبراطورية تحت ظله، وسعى باسمه إلى القضاء على كل الديانات الأخرى، وتستر به فى حربه ضد الفرس وغيرهم من أصحاب الديانات المخالفة.

وكان قسطنطين بارع الدعائية، أغرق الكنيسة فى هباته وخيراته، وأغدق عليها من فيض أنعمه، ويبدى اهتمامه البالغ، بل وقلقه، من أجل الانشقاقات التى تحدث فى الكنيسة، ويدعو لعقد المجامع كى تفصل فى النزاع اللاهوتى، ويحمل الأساقفة على المركبات العامة، ويحمل الخزانة نفقات حلهم وترحالهم، ويشترك فى مناقشاتهم، ويرسل الى ملك فارس يحثه على حسن معاملة رعاياه من المسيحيين، فغدا بذلك فى نظر الكنيسة راعيها وحاميها، والملجأ لها

ولايات ارض مصر [واساقفة] كورتها وافريقيه
وكل البلاد ما ساعدنى على الامانه التى اورثها
لتكون البيعه كلها امانه واحده. ثم انه، اعنى الملك
يوستينيانوس [يستنيانس الاول]، بعد ذلك فكر
وكتب الى والى اسكندريه ومقدميها وللاب
تاودوسيوس يجتذبه اليه وان يقبل طومس لاون
ويساعده على ذلك وتكون له الرياستان البطركيه
والولايه ويكون جميع اساقفه افريقيه تحت طاعته
ويكون له الامر فى جميع ذلك، وان هو لم يطع

والملاذ. ولكن قسطنطين طوال رحلة الحكم التى سارها وفى علاقته بالكنيسة، لم ينس مطلقا أنه امبراطورية، وأن نظرية السياسية الرومانية لا يمكن أن تقبل مطلقا بقيام هيئة مستقلة داخل الدولة، أو بمعنى أكثر دقة، دولة داخل الدولة، ومن ثم ترأس قسطنطين المجامع الكنسية، وصدق على قراراتها، وتدخل فى تعيين الأساقفة وعزلهم. لقد أصبح الامبراطور الآن الاسقف الأعلى، بعد أن كان فى السابق الكاهن الاعظم. وان ظل يحمل هذا اللقب الوثنى طيلة حياته، بل ولم يتخل عنه خلفاؤه المسيحيون حتى عهد الامبراطور جراتيان Gratianus (٣٧٥ ـ ٣٨٣).

وكان كل ما يشغل بال قسطنطين أن يظل سيدا مطلقا لامبراطورية موحدة، قضى ثمانية عشر عاما (٣٠٦ ـ ٣٢٤) فى سبيل جمع شتاتها. ولهذا فان حدوث أى أنقسام، فى هذه الجماعة الجديدة التى ولى أمرها رغم قلة عددها يمكن أن يؤ دى بصورة ما الى التأثير فى وحدة الامبراطورية. ولا تكاد رسالة أو خطبة صدرت عن قسطنطين تخلو من ترديد هذه النغمة، وانطلاقا من ذلك فقد أراد أن يعالج بالحزم منذ البداية أول مشكلة للكنيسة الكاثوليكية ولم يلق بالا لجماعة الدوناتية ولا حتى لسماع دعواهم. فلما فشلت هذه السياسة رأى أن يطبق النظرية السياسية بشكل آخرعن طريق إيجاد التوازن بين مختلف الأطراف،

ولم يرض فيلخرج من البيعه ويمضى الى حيث يشا[ء] لان من لا يوافقنى على امانتى لا تكون له رياسه لا على شعب ولا على بيعه.

فلما سمع الاب المجاهد المغبوط البطرك تاودوسيوس المعترف بالمسيح كتاب الملك وما قاله، قال امام الجمع والوالى والرسل: قال الانجيل المقدس «ان ابليس اخذ السيد المخلص واصعده الى جبل عال وأوراه جميع ممالك العالم ومجده وقال له هذا كله لى وانت ان سجدت لى دفعته لك».

بحيث يصبح الامبراطور الرومانى فى النهاية هو الحكم الفيصل بينهما. ومن ثم نراه يؤيد العقيدة النيقية سنة ٣٢٥ فى المجمع المسكونى الأول، وبعد ثلاث سنوات فقط يعفو عن آريوس وصاحبيه، ويقبل منهم وثيقة ايمانهم دون الرجوع الى الكنيسة، ولعل القرار الذى اتخذه المجمع النيقى ازاء المشكلة المليتية فى مصر، والذى جاء بوحى من الامبراطور، يعد خير دليل على سياسة الحلول الوسطى التى لجأ اليها قسطنطين.

ولقد كان بلاط قسطنطين أنموذجا حيا لهذه السياسة، يجمع أضداد الخلائق وشتى الفكر. فهناك المستشارون العسكريون والمدنيون كلهم من اصحاب الديانات المغايرة للمسيحية. والى جوارهم مستشاره الخاص لشئون الكنيسة، هوسيوس أسقف قرطبة، النيقى المتحمس. وفى الناحية الأخرى يقف يوساب النيقوميدى الآريوسى العنيد، صاحب الحظوة لدى الامبراطور بعد عودته من المنفى. وبين هؤلاء وأولئك صديقه الحميم يوساب القيسارى، رجل الفكر المعتدل. وقد استطاع قسطنطين أن يوحى الى هؤلاء جميعا أنه «مبعوث الرب» الذى عهد اليه بادارة الامبراطورية، وأن عليه أن يقود سفينها وسط الأنواء الى شطان النجاة. ولقد حاول قسطنطين الكثير، ونجح فى أن يضع لخلفه أسس العلاقة بين الدولة والكنيسة. ولكن مشاكل الكنيسة وخلافاتها اللاهوتية كانت أشد تعقيدا مما توقع قسطنطين.

هكذا ما وعدتمونى به وهو هلاك نفسى ان فعلته
واصير به غريبا من المسيح الملك الحقيقى. ورفع
يديه قدام الرسول المنفذ من الملك والوالى وذلك
الجمع العظيم وقال: بالحقيقه احرم طومس لاون
ومجمع خلقدونيه وكلمن يعترف به فهو محروم
من الان والى الابد امين. ثم قال للوالى ولجميع
جيش الملك: ليس للملك سلطان الا على جسدى
والسيد يسوع المسيح الملك الحقيقى العظيم له
السلطان على نفسى وجسدى جميعا. والان هو ذا

الاحتلال البيزنطى لمصر

أدت الإصلاحات التى قام بها دقلديانوس إلى تغيير جوهرى فى نظام مصر الادارى؛ فقد أصبحت البلاد وقتئذ تنتظم ثلاث ولايات بعد أن كانت ولاية واحدة، وحدث فصل تام بين السلطتين المدنية والعسكرية، ونظمت جباية الضرائب وطريقة تقديرها على أسس جديدة.

وكانت النتيجة النهائية التى تمخضت عنها هذه التغييرات هى أن أصبحت مصر أكثر شبهاً بولايات الامبراطورية الأخرى عما كانت من قبل، برغم أن العوامل الجغرافية وغيرها أبقت على قسط معين من الاختلاف. والواقع أن أهم هدف سعى إليه دقلديانوس من وراء إصلاحاته كان توحيد النظام الادارى وتبسيطه، الأمر الذى يؤدى بطبيعته إلى تدعيم قوى الامبراطورية. وتحقيقاً لهذا الهدف اتخذت خطوة أخرى نرى آثارها واضحة فى وثائقنا البردية، تلك هى اعتبار اللاتينية لغة رسمية حتى فى الولايات التى كانت الاغريقية لا تزال تحتل فيها هذه المكانة مثل مصر. لكن التغيير الفعلى كان تافهاً.

الجدل حول طبيعة المسيح

ولم ينقطع الاضطهاد تماما بعد ذلك، لكنه كان منقطعا ومحليا إزاء سياسة التسامح التى انتهجها كل من قسطنطين (Constantius) وماكسنتيوس (Maxentius) فى الغرب. وفى عام ٣١٢ قص قسطنطين بنفسه، وكان عندئذ قد اختلف مع ماكسنتيوس وتأهب لمحاربته،

البيع قدامكم وكلما فيها، فمهما اردتم فافعلوه، واما انا فتابع لاباى الذين تقدمونى معلمى البيعه الرسوليه اتناسيوس، وكيرلس، وديسكرس وتيماتاوس، وما كان قبلهم الذين صرت انا لهم نايبا بغير استحقاق. فقام خرج وقال: من كان يحب الله فليتبعنى لانى خرجت من بطن امى عريانا وامضى اليه عريانا والذى يهلك نفسه في هذا الزمان لاجل الامانه فهو يخلصها. فمضو به الى الايوان محتاطا عليه يوما وليله. فلما كان

رؤياه الشهيرة على مؤرخ الكنيسة يوسيبيوس (Eusebius): فقد رأى صليباً على قرص الشمس وعليه عبارة (Toutw Vika) أى «بهذا انتصر». وطبيعى أن يرفض عالم متشكك مثل سيك (O. Seeck) قبول قصة كهذه باعتبارها «فرية واضحة»، وأن يعزو التغيير الذى طرأ على موقف قسطنطين إلى دوافع سياسية خالصة. لكن هذا المؤرخ، بصرف النظر عن مكانته وشهرته، رجل متحرر يحاول تفسير تاريخ القرن الرابع على الأسس العقلية المنطقية الحديثة. وليس هناك سبب كاف يحدونا الى الشك فى أن قسطنطين قد اعتقد أن وحياً هبط عليه. وبرغم أن الاعتبارات السياسية كانت، فيما يدو، توحي باتباع سياسة التسامح الديني، فإننا بلا ريب نجانب الصواب إذا افترضنا أن قسطنطين ـ وقد عبد إله الشمس الذى لا يقهر ـ لم يتأثر بالأفكار الدينية أيضا. وليس من شك فى أنه كان على ثقة تامة من إحراز النصر حتى لقد غزا إيطاليا وأقدم على اقتحام حصن روما المنيع بقوات غير كافية دون أن يعبأ بنصيحة قادته أو نبوءات عرافيه. وكان الصليب مرسوماً على دروع رجاله عندما خاضوا غمار معركة جسر ملفيا (pons Mulvia) التى اتاحت له السيادة على الغرب. وفى عام ٣١٣ أعلن هو وحليفه ليكينيوس (Licinius) وفقا لشروط اتفاقية «ميلان»، مبدأ التسامح الدينى. وعندما انتصر على ليكينيوس فى سبتمبر عام ٣٢٤، ووجد نفسه الامبراطور الوحيد، أصبح الطريق معبداً أمام المسيحية كى تصبح أولا ديانة الامبراطورية الرئيسية، ثم الديانة الرسمية الوحيدة فى جميع ارجائها وتحريم وتدمير كل الديانات المخالفة.

بالغداه اطلقوه كما امر الملك فى كتابه ليمضى
الى حيث يشا. فخرج من المدينه وقوة السيد
المسيح ترشده، فاهتم ارستاماخس [والى اعمال
مصر] بامره واعد له ما يحتاج اليه وحمله فى
مركب الى صعيد مصر ، فاقام هناك يعلم الناس
والرهبان فى ا لديارات ويثبتهم على الامانه
الارتدكسيه و يصبرهم على الجهاد حتى الموت،
واما رسول الملك فانه عاد اليه وعرفه جميع ما
جرى وكيف خرج تاودوسيوس البطرك من المدينه

ولكن فى وسعنا مع ذلك أن نشعر أن اعتناق الامبراطور للمسيحية لم يكن خيراً كله. فلم يعد اعتناق هذا الدين يعنى مجرد الأمان وإنما أصبح بدعة العصر، واسرع كثير من منتهزى الفرص إلى اعتناق الدين الجديد.

وفضلا عن ذلك، فقد أصبحت الكنيسة حرة فى تشجيع هذا الميل إلى الجدل الدينى الذى سبب لها المتاعب حتى فى أيام الاضطهاد. وليست قصة المهاترات الدينية التى شهدها القرن الرابع والقرون التالية بما تخللها من أحقاد مريرة، وأطماع وخصومات فردية، وأساليب تنطوى على الخداع والتضليل والتى سبق ذكرها، ليست هذه القصة التى لا نجد فيها أثراً لتعاليم المحبة المسيحية بالقصة المحببة إلى النفوس. وقد نتسامح فنعتبر هذه المهاترات بمثابة آلام المخاض المتزايدة التى عانت منها الكنيسة وهى تبذل جهدها المضنى لتصوغ هذه الديانة الجديدة، التى قامت على تعاليم وسيرة فرد بعينه، فى قالب فلسفى تجريدى. ولم تكن البدع التى انكرها المتزنون من رجال الكنيسة سوى محاولات لهذه الصياغة. وحتى هؤلاء الذين ينكرون مذهب الطبيعة الواحدة لابد أن يعترفوا لرجال الكنيسة الأوائل بقدر كبير من الذكاء الفطرى، فقد كانت معظم البدع التى أنكروها أشبه شيء بالطريق المسدود، الذى لا يؤدى إلى شيء، أو كانت صوراً من الانحراف الفكرى.

ولم يقبل من جميع مواعيد [وعود] الملك شيا.
فلما سمع ذلك الملك هو وجميع جيشه تعجبو
من رفضه هذه المملكه ومخالفته لامره وثبوته على
الامانه، ثم فكر فى نفسه وقال ان تركته بحيث هو
فجميع الناس يتبعون امانته فلا يدعهم يقبلو
طومس لاون. فكتب كتابا مملو ايمانا وعهودا
للبطرك تاودوسيوس انه لا يلحقه منه الم ولا اذيه،
بل كل صلاح وخير، وارسله مع كاتب وقال له
الطف به الى ان تاتينى به، قل له غرض الملك

وينبغى أن نلحق بالفئة الأولى بدعة أو «هرطقة» آريوس (Arius) التى أحتلت مكانا بارزا فى تاريخ مصر والامبراطورية كلها فى خلال القرن الرابع. وكان آريوس الذى ابتدع هذا المذهب قسا فى كنيسة الاسكندرية. أما أكبر معارضيه فكان القديس أثناسيوس (Athanasius) أحد أبناء الاسكندرية وأسقفها خلال أعوام كثيرة. ولابد من الاعتراف بأن أثناسيوس لم يكن الطف شخصية بين آباء الكنيسة الأوائل. لقد كان رجلا حر التفكير، محباً للسلطة، طموحاً، لا يطيق المعارضة.

وبرغم ذلك فانه كان يقل صلابة ويزداد تسامحاً كلما تقدمت به الأعوام، ولقد استطاع آريوس بإنكاره مذهب الطبيعة الواحدة أن يقطع هذا الاتصال الذى أوجدته المسيحية بين تعالى الإله وتفاهة الانسان. ومن ثم فانه عندما كانت الأوامر الامبراطورية تصدر متوعدة الاساقفة المتمردين، وكانت المجامع الكنسية تجتمع من أطراف الإمبراطورية، وعندما كان بعض رجال الكنيسة يصدرون قرارات الحرمان ضد البعض الآخر، وكان الدهماء يسطون على الكنائس فيخربونها ويحطمون رؤوس معارضيهم، لم يكن الجدل حول طبيعة المسيح وهل هى نفس طبيعة الأب (homoousios) أو مشابهة لها (homoiousios)، لم يكن كما قيل عنه مجرد مهاترة حول حرف واحد من حروف الأبجدية اليونانية، هو أصغرها جميعاً؛ وذلك برغم أن الكثيرين ممن اشتركوا فى هذا الجدل لم يفهموا من خفاياه اللاهوتية إلا النزر اليسير. وأياً

مشافهتك. فلما وقف البطرك المغبوط على كتاب الملك استعان بقوة السيد المسيح واخذ معه من الكهنه رجالا حكما [ء] عارفين فضلا[ء]، وركبو وسارو حتى وصلو قسطنطينيه ودخل الى الملك والملكه، فلما عاينو سكينته وتواضعه وفضله استقبله [استقبالا] حسنا فانزلوه في موضعا اعدوها له ومن معه، ثم استدعاه الملك دفعه تانيه وتالته الى سادس دفعه وهو في كل دفعه يخاطبه بلطف يريد منه ان يساعده على تتبيت مجمع

كانت الأطماع التى جالت بخاطر اثنا سيوس، وسواء أكانت شخصية أم سعياً وراء كرسى أسقفية، فقد كان اثنا سيوس فى خضم المعركة، وكان يعرف أنه يقاتل لتقرير مبدأ خطير فى الديانة المسيحية، وكان حتماً عليه أن يحتمل الكثير من الآلام بسبب صلابته وشدة عناده[1]. ولقد نفى ثلاث مرات، ولكن الأقدار أبقت على حياته ليشهد انتصار مبدئه. وبرغم وجود معارضين له فى مصر نفسها. وهم أتباع مذهب آريوس والمنشقون من أتباع ميليتيوس (Meletius)، إلا أنه كان يستطيع أن يطمئن إلى معونة صادقة من جمهور الكنيسة المصرية.

(١) لدينا بردية محفوظة بالمتحف البريطانى (P. Lond. 1914) وهى خطاب أرسله أحد المنشقين أتباع ميليتيوس فى الاسكندرية الى زميل من زملائه. ويمدنا هذا الخطاب بصورة واضحة لاعمال أثناسيوس ضد هؤلاء المارقين اذ جاء فيه: «لقد قبض على أحد أساقفة مصر السفلى واحتجزه فى سوق اللحوم، كما سجن أسقفا من نفس الجهة وشماسا فى السجن الرئيسي. وحتى الثامن والعشرين من شهر بشنس (Pachôn). ظل هيرايسكوس أيضا (الذى يحتمل أنه أسقف من الاسكندرية نادى به اتباع مبليتيوس بدلا من أثناسيوس) حبيسا فى المعسكر ـ والحمد لله ربنا أن انتهت الآلام التى قاساها ـ وكان (اثناسيوس) فى السابع والعشرين قد طرد سبعة أساقفة من البلاد». كما يصور لنا الخطاب أيضا تردده عندما استدعاه قسطنطين لمجمع صور فى عام ٣٣٥ «أن أثاسيوس لشديد اليأس، فكثيرا ما استدعوه، لكنه لم يغادر البلاد حتى الآن، فقد كان يضع أمتعته فى السفينة كما لو كان ينوى الرحيل، ثم لا يلبث أن يسترد أمتعته غير راغب فى ترك البلاد».

خلقدونيه، واعطاه كرامات كتيره وتقدمة ورياسه، وهو يقول: لا حياة ولا موت ولا غلا ولا تعرى ولا سيف يصد قلبى عن امانة أباى ولا ارفض يوطه ولا خط مما كتبه ابا المعلمون المويدون قبلى رعاة القطيع الناطق الذى للمسيح من مرقس الانجيلى الى اليوم الذى جعلنى فيه الاب تيماتاوس شماسا وصرت انا بعده بطركا بتدبير الله. فلما لم يقدر الملك على اجتذابه الى مقالته توجه وارسله الى النفى مزعجا. وارضى كهنة اسكندريه ووسم لهم

قيام الرهبة وانبعاث القومية وظهور القبطية:

وفى تلك الآونة طرأ على الموقف عامل جديد أدى إلى حدوث تغيير كبير فى طابع هذه الكنيسة. ونعنى به ظهور الرهبنة التى تعتبر أهم نظام استحدثته مصر فى الديانة المسيحية. ومن الممكن أن نربط هذا النظام بنظام الزهد أو التنسك الذى عرف فى عبادة سرابيس، ومقتضاه أن بعض الناسكين كانوا ينقطعون لخدمة هذا الإله، فيقيمون داخل معبده الكبير فى منف أو غيرها. وكان ذلك يحدث بطريقة غامضة، فلعلهم كانوا يستجيبون لوحى مقدس هبط عليهم فى صورة حلم.

ومنذ وقت قريب لفت الدكتور ويلز (C.B. Welles) الأنظار إلى احتمال وجود شبه بين حياة جماعة دينية ورد ذكرها فى نقش من بانوبوليس Panoplis [إخميم]، وبين الرهبنة التى عرفتها المسيحية فيما بعد، ولا مراء فى أن المسيحية قد داخلها على الدوام لون من ألوان الزهد، وأن الميول الرهبانية قد وضحت فى الكنيسة المصرية منذ فجر تاريخها؛ ومن الأمور ذات الدلالة أن أول راهب مصرى نسمع عنه ـ وهو القديس بولس الطيبى ـ كان أحد أبناء الصعيد. وفى وسعنا أن نلمس بين أسباب حركة الرهبنة، ظهور لون من التفكير ذى طابع مصرى خاص. لقد كانت منطقة طيبة، كما أسلفت، أكبر معقل للقومية المصرية وللعبادات الكهنوتية التى تعبر عن هذه القومية تعبيراً صادقا؛ وعاش أهل هذه المنطقة ـ بعيدين عن

٣٣: تاودوسيوس ٥٣٥/ ٥٦٧م

انسانا يسمى بولس التنيسى(*) بطركا على كرسى اسكندريه بيد مينا بطرك القسطنطينيه، وارسله وصحبته عسكرا الى مدينة اسكندريه، فلما وصل اليها لم يقبله احد من اهلها وكانو يقولون هذا يودس الجديد. فاقام سنه وهو لا يسمع احد منه ولا يتقرب من يده احد الا الرسول الذى جا صحبته والواصلون معه والوالى ومن معه فقط. وكانو اهل المدينه يشتمونه ويقولون هذا يودس الدافع.

فكتب الى الملك يعلمه بما جرى عليه وهروبهم

(*) تنيس: نسبة إلى الفرع التنيسى وهو أحد فروع النيل الذى كان يصب قديما فى بحيرة تنيس (المنزلة) وحيث توجد مدينة داخل البحيرة بنفس الاسم.

البحر الذى اصطبغ بالحضارة الهيلينة - فى واديهم الضيق تحف بهم الصخور التى دفعت عنهم غائلة الصحارى المترامية، فأدى ذلك إلى إحتفاظهم أكثر من غيرهم بالذكريات القديمة. ويميل البعض، ميلا شديداً إلى أعتبار الرهبنة جبناً وهروباً من مواجهة الحياة القاسية والضرائب الباهظة ومسئولياتها، ولعل بولس الطيبى كان كغيره من الذين لجأوا إلى الصحراء فرارا من اضطهاد الامبراطور ديكيوس (Decius).

وذلك عكس الرهينة الاوزيرية القديمة التى كانت تهاجر إلى الصحراء لمحاربة اله الشر ست = شت = شيطان وتتخذ من المعابد مواقع متقدمة فى هذه الصحراء لمحاربته ومحاربة اعوانه من البدو. ذلك بأن الصحراء كانت تعتبر من قديم الزمن مأوى الأرواح الشريرة، ومملكة الاله ست عدو أوزيريس؛ فإذا ما اتخذ منها أحد الرهبان سكناً، فقد كان يجازف باقتحام معقل العدو ليحارب كتائب الشيطان ست من البدو الطامعين فى أرض اوزير الخضراء (مصر) غير معتمد إلا على عون الاله. وهناك فى كنف هذه الوحدة الرهيبة حيث تلفح شمس النهار صخور الصحراء بشواظها المحرقة، وتتراقص فوق الرمال أشعتها التى تخطف الأبصار، وحيث ترسل نجوم الليل أشعتها الناصعة من قلب السماء الصافية إلى ظلام الصحراء البهيم، كان الرهبان الاوزيريين والمسيحيين من بعدهم يصارعون قوى الشر مجتمعة. ولقد يرى عالم النفس الحديث فى معركتهم هذه صراعاً باطنيا ضد شهوات الجسد ووساوس النفس الأمارة بالسوء. لكنهم والمعجبين بهم كانوا يتمثلون عدوهم واضحاً ملموساً فى شياطين الجحيم. وينبغى أن

منه كهروب الضان من الديب، وارسله مع بطريق
فحنق الملك وارسل كتابا مع بطريق اخر يامر فيه
ان تغلق ابواب البيع التى بمدينه اسكندريه ويختم
عليها بخاتمه ويجعل عليها حراس حتى لا يدخل
احد بالجمله. فلما وصل ذلك الكتاب المملو اثاما
الى المدينه كان منه حزن عظيم وضيق ونوح لاحد
له ولا صفه على الشعب الارتدكسى، ومكثو على
هذا سنه كامله بلا قربان ولا بيعه يصلون فيها ولا
موضع يعمدون فيه، لكن كانت كتب ابيهم

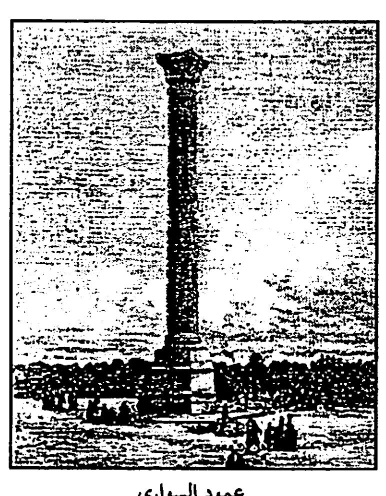
نذكر أنهم لم يحاولوا مجرد حماية أنفسهم فحسب عن طريق عزلة تنطوى على الأنانية والأثرة، فقد صلوا دون ملل من أجل الآخرين، وفى وسعنا أن نقول إنهم كانوا جند الفداء المجاهدين فى سبيل وطنهم ثم الكنيسة، الذين كانت صلواتهم سلاحاً فعالا فى المعركة المريرة التى خاضتها ضد قوى الشر والظلام.

وقبل منتصف القرن الرابع، وضع باخوم (Pachomius) نظامه الجديد، فأصبح فى الواقع منشىء الرهبنة الجماعية فى ظل المسيحية، وهى النظام الشائع فى الغرب، وإن كان هناك أيضاً عدد كبير من الرهبان المعتزلين. وبرغم ذلك بقيت الرهبنة الانفرادية محتفظة بمكانتها الهامة إلى جانب الرهبنة الجماعية فترة طويلة.

لكن الباحثين فى الطبيعة البشرية قد يرون أن أزدهار حركة الرهبة المسيحية فى القرن الرابع لم يكن على أحسن الفروض خيراً خالصاً: ذلك أنها كانت تعنى اعتزال آلاف الناس ميدان الحياة العملية، وغالباً ما كان هؤلاء ذوى همة عالية وإرادة قوية، بينما كانت البلاد تعانى نقصاً خطيراً فى الأيدى العاملة، كما كانت تعنى أيضاً تبديداً شديداً لميدان النشاط البشرى وإقفاراً بالغاً فى الحياة الثقافية. وفى وسعنا ونحن ندرس تاريخ مصر البيزنطية أن نستبين بجلاء هذا الاطراد فى ضيق الأفق، وهذا الجمود العقلى والفكرى. ونجد حتى فى سيرة أثناسيوس نفسه نذر الخطر الكامن فى اعتماده على عون جماعات من الكهنة المتعصبين، وهو خطر ازداد وضوحاً فيما بعد: فأمثال هؤلاء الكهنة هم الذين حرضهم البطريرك كيرلس

تاودوسيوس السعيد تتواصل اليهم من النفى تذكرهم بالامانه وتعزيهم وتصبرهم.

فلما زاد قلقهم اجتمع جماعة الارتدكسين كهنه وعلمانيون فتشاور فى ان ينو بيعه يلتجو اليها لكيلا يصيرو مثل اليهود، ففعلو ذلك وبنوها بقوة المسيح فى غرب اسكندريه فى الموضع المعروف بالسوارى والصربيون [السرابيون] وهى الانجيليون، سرا فى المايه وخمس درج. وقوم اخر من الشعب بنوا ايضا بيعه اخرى على اسم قزمان



عمود السوارى

(Cyrillus) على مهاجمة يهود الاسكندرية وطردهم من المدينة، وهم الذين قتلوا الفيلسوفة الفاضلة هوپاتيا (Hypatia) بعد ذلك بأعوام قليلة (٤١٥م)، وهم أيضاً الذين يبرز نشاطهم فى كثير من الأحداث المماثلة التالية.

ولقد وفق كليمنس (Clemens) وأوريجينيس (Origenes) فى المزج بين الفكر الإغريقى والعقيدة المسيحية، وبرهن الأول على أن المسيحى المخلص لابد أن يقدر الأدب اليونانى تقديراً عظيماً. لكن حركة الرهبنة المصرية كانت تناهض، بصفة عامة، الحضارة الهلينية وكل ما تتمثل فيه هذه الحضارة.

ولا يصح الإعتقاد بأن مصر كانت بلداً يتكلم الإغريقية، فنغفل الثقافة الوطنية التى تكشفها لنا الوثائق الديموطيقية القانونية، وإيصالات الضرائب القليلة المحررة بالديموطيقية، أو التأشيرات الديموطيقية على الإيصالات الإغريقية، وكذلك بعض شذرات من الأدب الديموطيقى. لكن الحياة المصرية الوطنية ظلت قائمة طوال الوقت، برغم أنها كانت مكبوتة لا تلقى من الرعاية إلا قليلا، تناصب الحضارة الهلينية عداء خافياً وتعتز بكبريائها القومى.

فمن المرجح أن الكتابة الديموطيقية الصعبة لم تكن معروفة لغير عدد قليل من الأفراد، ثم بدأ الناس فى القرن الثالث يستعملون الأبجدية الإغريقية لكتابة اللغة المصرية، بعد إضافة ستة أحرف إليها فى كتابة النصوص المصرية. ومن الجائز جداً أن الأبجدية الإغريقية، بحروفها

ودميان شرقى الملعب [الرومانى] وغربى العمد قليلا، وكملوها وذلك فى سنة مايتين وتمان وسبعين لديقلاديانوس.

فعلم الملك بذلك فانفذ وضع جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلقدونيين. فلما علم الاب المغبوط تاودوسيوس انه لم يبق له غير هاتين البيعتين المستجدتين، بيعه الانجيليون وبيعة قزمان ودميان الشهدا تنهد وبكى لانه كان عارفا بشعب

اللينة، قد حلت أول الأمر محل الديموطيقية التى لا تعرف هذه الحروف، فى كتابة النصوص السحرية التى تستلزم صياغتها دقة بالغة[1]. لكن سرعان ما أدرك المسيحيون إمكان الأخذ بهذا التجديد للكتابة. وقد بدأت ترجمة الأناجيل إلى القبطية أولا على شكل شروح بهذه اللغة على الهوامش بين السطور، وبعدئذ ترجمت نصوصها كاملة إلى القبطية، وهو الإسم الذى أطلق على الكتابة الجديدة التى تعتبر صورة من صور كتابة اللغة المصرية[2]. وقبل نهاية

(١) المقصود بالحروف اللينة حروف الحركة (vowels) وعدد الحروف المضافة الى الحروف اليونانية فى اللغة القبطية هو سبعة فى بعض اللهجات.

(٢) كان للغة المصرية القديمة ثلاث صور أو خطوط هى الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية؛ و القبطية. وكان دكيوس (Decius) الذى حدث فى أيامه اضطهاد للمسيحيين (حوالى ٢٥٠م) هو آخر امبراطور رومانى يدون اسمه بالهيروغليفية على المعابد المصرية. ويرجع آخر نقش هيروغليفى معروف الى عام ٣٩٤م، وآخر نص ديموطيقى معروف الى عام ٤٥٢م.
ويمكن ارجاع اللغة القبطية الى تاريخ يتراوح بين ٢٥٠ ، ٣٥٠م. وأهم لهجاتها هى البحيرية، والصعيدية (من منف الى أسيوط) والاخميمية، والفيومية. وحروفها هى حروف اللغة اليونانية مضافا اليها ستة (وأحيانا سبعة) حروف أخرى مأخوذة من الديموطيقية للتعبير عن أصوات خاصة باللغة المصرية لم توجد فى اللغة اليونانية.
ويبدأ التقويم القبطى بيوم ٢٩ أغسطس عام ٢٨٤ م (فهو ذكرى استشهاد كثير من المسيحين فى أيام اضطهاد دقلديانوس). ويلاحظ أن يوم ٢٩ أغسطس يوافق أول شهر تحوت (توت) وهو بداية السنة المصرية القديمة.

اسكندريه وانهم محبون الفخر والكرامه وخاف ان يرجعو عن الامانه المستقيمه طلبا لكرامة الملك، فكان يصلى ويقول: يا ربى يسوع المسيح انت اشتريت هذا الشعب بدمك الشريف وانت المهتم بهم فلا تدع يدك عنهم بل تكون ارادتك.

واقام تمانيه وعشرين سنه فى النفى وغيره، وفى صعيد مصر اربع سنين وهو حافظ الامانه الارتدكسيه. ووضع من الميامر والتعاليم فى مدة

القرن الرابع كان الكتاب المقدس كله فى متناول أيدى القراء المصريين، وأصبح عدد الذين يستطيعون قراءة الخط أضخم بكثير من قراء الديموطيقية. فضلا عن ذلك فإن الكتاب الأقباط كانوا يستخدمون من صور اللغة المصرية صورة تعتبر أحدث وأوسع انتشاراً من تلك التى كان يستعملها كتاب الديموطيقية. وظهرت تبعاً لذلك مجموعة وافرة من الأدب القبطى تناولت مواضيع إنجيلية ولا هوتية وشعائرية، وقلما كانت تتناول الموضوعات غير الدينية. وهكذا وجد المصريون للمرة الأولى منذ القرن الثالث قبل الميلاد، متنفساً للتعبير عن مشاعرهم. ولقد كان كثير من الرهبان والنساك ينحدرون من أصل مصرى. والواقع، كما أسلفت، أن الرهبنة كانت ابتكاراً مصريا يعود للأوزيرية. وكانت نتيجة ذلك أن اكتسبت الكنيسة المصرية طابعا قوميا قويا ولا شك أن الرهبان الذين تبعوا بطارقتهم إلى المجاميع الكنيسة كانوا لا يفهمون المشاكل اللاهوتية المعروضة على بساط البحث إلا فهماً ضئيلا، أما الأمر الذى استطاعوا فهمه حقاً فكان معارضة مصر السياسية للحكومة الإمبراطورية؛ لقد كان طبيعياً أذن أن تعتنق مصر المذهب الكاثوليكى عندما كانت القسطنطينية ـ العاصمة الجديدة ـ تدين بالهرطقة كما حدث على أيام الامبراطور قسطنطيوس الآريوسى.

النزاع الكنسى:

وشهد القرن الخامس حدوث النزاع الكنسى الذى قطع الأسباب بين الكنيسة المصرية

بطركيته وهى اتنين وتلتين سنة ما لا يحصى. وانتقل بسلام السيد المسيح الذى يحبه فى اليوم التامن والعشرين من بوونه واخذ اكليل الغلبه مع جماعه القديسين فى كورة الحيا الى الابد. ونحن المومنين الباقين على الامانه الارتدكسيه الذين استحقينا ان ندعى تاودوسيين كاسمه، نتضرع ونتوسل الى الله الاب والابن والروح القدس ان تكون لنا ضماير روحانيه وتثبيت حافظين الامانه المستقيمه بلا تعب كما حفظها هذا الاب القديس

والكنيسة الكاثونيكية، وبدا أن الخلاف يدور حول مسائل تتصل بجوهر العقيدة. والواقع أن الفكر اللاهوتى كان لا يزال منصباً على محاولة توضيح الغموض الذى اكتنف مشكلة «التجسد». لقد كان المسيح إلها وبشراً فى آن واحد، فهل هو ذو طبيعتين؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هى حقيقة العلاقة بين هاتين الطبيعتين؟ وقد أنكر آريوس أن «الابن» و«الأب» من طبيعة واحدة، وإن لم ينكر الوهية المسيح إنكاراً مطلقاً ولقد كان وجه الخطأ عند معارضيه يكمن فى إنكار الطبيعة البشرية أو التهوين من شأنها. وبرغم أن مذهب الطبيعة الواحدة، فى أقصى درجات تطرفه كان لا ينكر وجود طبيعتين قبل إندماجهما فى «التجسد» فقد ذهب إلى وجود طبيعة واحدة فقط بعد حدوثه، وبناء على ذلك تلاشت الطبيعة البشرية تماما أمام الطبيعة الإلهية، أى أن هذه الأخيرة لم تتضمن الأولى، وهكذا انمحت للمرة الثانية تلك الوسيلة التى تصل ما بين الله والناس.

وتربع على كرسى كنيسة الاسكندرية بين عامى ٤١٢ ، ٤٤٤ القديس كيرلس الذى ظل يزعم تأكيده ألوهية المسيح بصفة خاصة، ملتزما بالمذهب الأرثوذكسى. وبينما كان يفتقر إلى فضائل سلفه العظيم أثناسيوس، فقد ارتكب نفس أخطائه بصورة أفحش فهو الذى حرض الرهبان والسوقة على طرد اليهود من الاسكندرى، وهو الذى بذل غاية جهده للقضاء على المدرسة الفلسفية فى جامعة الاسكندرية وعلى رجالها. وإذا لم يكن قد أوحى بالاضطرابات

الريس المعترف امام الهراطقه المخالفين والملوك
والرويسا السلاطين الذين كانو فى ذلك الزمان
الردى، وتكون سيرتا امامه بلا عيب ولا نحيد عن
ارادته،ويكون لنا اتفاق معه فى النصيب الاوفر فى
ملكوت السما بنعمه ورحمه ورافه [رأفة]، الهنا
محب البشر يسوع المسيح، ربنا ومخلصنا له المجد
مع الاب والروح القدس المحيى الان وكل اوان
والى دهر الداهرين امين.

التى أدت إلى مقتل هيباتيا، فقد أبدى على الأقل موافقته عليها بموقفه السلبى منها. وفى مجمع أفسوس (Ephesus) الذى عقد عام ٤٣١، كان المسئول الأول عن إدانة ونفى نسطوريوس (Nestôrius) بطريرك القسطنطينية. أما خليفته ديوسقورس (Dioscorus) فقد ارتكب نفس الأخطاء، لكنه كان دون سلفه كياسة ولباقة، فقيد نفسه بمذهب الطبيعة الواحدة. وقد حالفه النصر فى مجمع أفسوس الذى عقد عام ٤٤٩، غير أنه اتبع لكسب هذا النصر وسائل العنف والاستفزاز، فتألف ضده تحالف قوى. وعندما عقد مجمع خلقيدونية فى عام ٤٥١، وصدر القرار الشهير الذى جاء فيه أن المسيح «يتفق فى الطبيعة مع أبيه بوصفه إلها، كما يتفق معنا بوصفه بشراً» و «أننا عرفناه صاحب طبيعتين»، أدين ديوسقورس وخلع من منصبه، وخلفه بروتيريوس (Prôterius). لكن تيموثيوس الملقب آيلورس (Timotheos Ailouros) أى «تيموثيوس القط»، وهو واحد من خصومه، أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، أثار عليه جماعة من السوقة مزقته إرباً. ومنذ ذلك الحين ظلت الغالبية العظمى من المسيحيين المصريين فى نزاع طائفى مع الكنيسة الكاثوليكية.

وبرغم أن النزاع الدينى قد يكون ضروريا فى بعض الأحيان، إلا انه شر فى كل الأحيان: ذلك لأنه يبرز نقط الخلاف ويؤكدها، ومن ثم يؤدى إلى ضيق الأفق حتى بين أقطاب النزاع وأتباعهم، والى حصر التفكير فى المجال الطائفى وحده. والى مثل ذلك أدى النزاع الدينى فى

السيره الرابعة عشر من سير البيعه المقدسه
بطرس البطرك
[٥٦٧ / ٥٦٩]
وهو من العدد الرابع والتلتون

وكان لما نفى الاب تاودوسيوس البطرك بيد يوستيانوس [يستنيانس الاول] الملك وجعل عوضه قبل وفاته بولس التنيسى الذى اصلح بالقسطنطينيه فصار هذا الرسم لبطاركه الملكيه ان يقسمو بالقسطنطينيه ويسيرو لاسكندريه.

مصر: فالكاثوليك أو الملكانيون (Melkites)[١]، كما كانوا يدعون، كانوا يعتمدون على تأييد الحكومة الامبراطورية، ولهذا كرهتهم الغالبية العظمى من الناس، فتضاءلت مكانتهم ولم يظفروا بغير قليل من الاتباع. أما الاقباط، أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، فكان يؤيدهم الرهبان الذين ناصبوا جميع صور الحضارة الهلينية عداء شديدا، ولهذا لم يكن فى وسعهم أن يسهموا بأى نصيب يذكر فى النشاط الفكرى حينئذ. وهكذا غدت مصر، كولاية فى الإمبراطورية، أشبه شيء بتيار مضاد فى مجرى الحركة الثقافية، مركزا لمدرسة مسيحية ذائعة الصيت، وأنجبت فى القرن الرابع شخصية لها مكانتها العظيم فى التاريخ الكنسى، هى شخصية أثنا سيوس.

لقد عجز كيرلس عن القضاء على مدرسة الاسكندرية الفلسفية. وظلت جامعة الاسكندرية حتى النصف الثانى من القرن الخامس تضم طائفة من الفلاسفة. ولدينا وثيقة بردية[٢]

---

(١) أى ملكيون نسبة الى تبعيتهم للحكومة الامبراطورية واعتمادهم عليها، وكان يرأسهم بطارقة يرسمون فى الخارج ثم يرسلون الى مصر.

(٢) انظر: P.Cairo Masp. III, 67295
I. 12- 16, 18-20

حيث جاء ما ترجمته: «فى وسعى أن أقول ـ اذا لم يكن ثمة خطأ فى أن يمتدح المرء نفسه ـ اننى=

وبعـد زمـان قليل اهلك الرب بولس التنيـسى
بموت سـو، وجـعلو عـوضـه ابوليناريوس. فـتـسلط
ايضـا على البيع بامر الملك وامر ان لا يظهر احـد
من الاساقفة المومنين فى مدينة اسكندريه.

وكان اتحاد بين بيعة انطاكيه وبيعة اسكندريه فى
الامانة والارتدكسيه والمحبـه المسيـحيه لن [لأن]
تاودوسيوس اعترف هو ومن معه قدام الملك باتحاده
مع الاب سويرس بطرك انطاكيـه، وقـال: انا اقبل

تتضمن شكوى تمدنا بطرف شائق عن حياة هؤلاء الفلاسفة الذين تأصلت الروح القومية فى نفوسهم برغم أن ثقافتهم كانت بلا ريب مصطبغة بالحضارة الهلينية، وقد كان أحدهم هو المؤلف الشهير لبحث لا يزال موجوداً عن الكتابة الهيروغليفية. والواقع أن الحضارة الهلينية كانت تتهددها الأخطار حتى فى الاسكندرية نفسها، أما فى باقى أنحاء مصر، فإن التيارات المضادة لهذه الحضارة، وهى التيارات التى أحدثتها حركة الرهبنة وحركات المقاومة الوطنية، قد ازدادت حدة نتيجة للتدهور الاقتصادى الذى عجزت إصلاحات دقلديانوس عن وقفه.

نظام الضرائب ونظام الحماية:

وكان تبسيط النظام الضريبى من أبرز مظاهر تلك الاصلاحات، غير أن المزايا التى انطوى

= حظيت خلال فترة طويلة بسمعة طيبة بين سكان مدينة الاسكندر العظيمة حيث أشرفت على ادارة احدى مدارس جامعتها. وكنت أعيش دائما عيشة فاضلة، وقد كرست مواهبى الفطرية للنشاط الثقافى، وعلمت الفلسفة للراغبين فيها. والواقع أننى ورثت اهتمامى بالفلسفة عن آبائي وأجدادى، فقد علمنيها أبى مثلث الرحمات أسكليبياديس الذى قضى حياته كلها فى الجامعة يدرس للشبان وفقا للمنهج القديم.. ولقد جهدت فى أن أجعل حياتى فى نفس المدينة صورة من حياة أبى... وكنت وزوجتى، وهى ابنة عمى، أبناء لشقيقتين، وعشت واياها سويا مع أبوينا متفقين فى المشرب والمسكن وتقوى الآلهة، وفى شغفنا جميعا بالفلسفة، حتى لقد شك الكثيرون فيمن يكون والدينا: فهل كنت أنا ابنا لوالدها أم كانت هى ابنة والدى» وكاتب هذه العبارات هورابولون (Hôrapollôn) الذى ألف كتابا عن آثار مدينة الاسكندرية، ولعله أيضا صاحب البحث الموجود بين أيدينا عن اللغة الهيروغليفية.

جميع ما قاله مار يوحنا فم الذهب والحكيم كيرلس.

ولما تنيح تاودسيوس فرح ابو ليناريوس المنافق بذلك جدا، وعمل وليمه عظيمه للكهنه واهل المدينه وظن انهم يوافقونه على ما هو عليه لن [لأن] الابا [ء] الاساقفه ما كان احد منهم يستطيع الظهور باسكندريه وانطاكيه لجل ما امر به الملك المخالف.

عليها كانت وهمية. صحيح ان الاصلاح قد راعى عند تحديده وحدات الانتاج، اختلاف نوع الأراضى، ولم يغفل الجزئيات، غير أن طريقة تقدير الضريبة لم تكن مع هذا محكمة بحيث يمكن الإطمئنان عند حدوث ضائقة إقتصادية.

وقد ترتب على ذلك أن الأراضى بدأت تجدب فى أنحاء كثيرة من إفريقية وسوريا وكذلك مصر. وفى وسعنا أن نتبين أثر ذلك التطور بوضوح وخاصة فى الفيوم، حيث أقفرت قرى فى أوائل القرن الرابع من معظم سكانها، بعد أن كانت مزدهرة وآهلة بالسكان فى القرن الثانى، وكانت لا تزال حتى القرن الثالث مراكز عمرانية هامة، ولم ينته القرن الرابع حتى كانت هذه القرى قد أضمحلت وتحولت، كما تبدو اليوم، إلى تلال رملية كبيرة تغطى أطلال المساكن المهجورة. وقد أخذ دخل الولايات التى أجدبت أراضيها فى الانكماش بينما لم تقل نفقات الحكومة، إذا اقتضت الحالة على الحدود الشمالية مرابطة قوات عسكرية ضخمة لتعرضها باستمرار لغزو البرابرة التيوتون، كما أن الفرس لم ينقطعوا عن تهديد الحدود الشرقية للامبراطورية. وفضلا عن ذلك فقد استلزمت إصلاحات دقلديانوس إنشاء جهاز بيروقراطى محكم، وابتكرت الحكومة منعاً للاختلاس والابتزاز نظاماً دقيقاً حافلا بالمراقبات والمراجعات، يراقب فيه الموظفون بعضهم بعضا. وكان على الحكومة أن تدفع مرتبات هؤلاء الموظفين

وبرحمة ربنا يسوع المسيح ولى اسكندريه
انسان فاضل محب للناس كان له نصيب فى
الارتدكسيين فامر ان يقسمو لهم بطركا فى السر
عوضا من الاب تاودوسيوس، فقال لهم: اخرجو
الى دير الزجاج [بالاسكندرية] كانكم تريدون
الصلاة فيه فقدمو عليكم من تختارونه بطركا.
فشكرو الله ومجدو السيد المسيح وارسلو الى بلاد
ارض مصر البحريه، واحضرو تلتة اساقفه وخرجو
معهم الى دير الزجاج وقسمو رجلا قسا اسمه

- -

جميعاً والمكافآت الإضافية (sportula) التى كان جميعهم يطالبون بها. وقد أصبحت هذه المكافآت حقاً مسلماً به حتى صارت تجبى آخر الأمر مع الضرائب، ولم يعد فى وسع الحكومة، حتى إذا شاءت، أن تحد من نفقاتها، واضطرت مجالس [الشورى] البلدية ولجانها التنفيذية، وهى المسئولة عن تحصيل ضرائب المناطق التابعة لها كاملة، إلى اغتصاب أموال الفلاحين فاذا عجزت عن تحصيل المقدار المطلوب أخذ من ثروة أعضائها الخاصة ما يغطى العجز. وهكذا لم يقع العبء الاقتصادى على فريق دون الآخر، بل وجدت كل من طبقة الفلاحين وطبقة أعضاء المجالس البلدية نفسها مهددة بالخراب الشامل.

وقد رأت السلطات، إزاء إرتباط الدخل بإنتاج الأرض إرتباطاً شديداً، أنه لابد من أن تمنع المزارعين من مبارحتها، وأن تربطهم إليها، ولابد من أن تبقى الطبقة التى يختار منها أعضاء مجالس الشورى، قوية حافظة لكيانها، فهى المسئولة آخر الأمر عن نصاب الضريبة، وأن يخلف الابن أباه فى عضوية المجلس ليحمل أعباءه، وبالمثل يتحتم على ابن الملاح، المنوط بنقل القمح والضرائب النقدية إلى القسطنطينية، أن يخلف أباه فى حرفته، وأن يرث ابن المكارى مهنة أبيه. وهكذا أفضى ذلك الجمود فى التفكير إلى قيام دولة الأذلاء البيزنطية، حيث كان المجتمع يتألف من طوائف إحداها فوق الأخرى، ولكل منها مهنتها الوراثية التى لا سبيل

بطرس بطركا وتعزى به الشعب وقويت امانتهم، لكن ما كانو يقدرون يدخلون به المدينه ظاهرا خوفا من الملك ومن ابوليناريوس بطرك المخالفين. وكان مقامه خارجا عن اسكندريه مقدار تسعة اميال فى البيعه التى هى على اسم يوسف، وكانو يحملون اليه جميع ما يحتاج، ولم يعلم الملك به. وبعد هذا ظهر الامر ان بطرس صار بطركا عوضا عن المتنيح تاودوسيوس، فلما علم ابوليناريوس غضب جدا وكتب الى الملك يعلمه

إلى التملص منها[1]. وقد يقال إن ذلك الجمود لم يكن مطلقاً، لأننا نسمع عن أشخاص من

(١) انظر:

A.E.R. Boak, "An Egyptian Farmer of the Age of Diocletian and Constantine", Byzantina Metabyzantina I, 1946, PP. 39-53.

حيث يقول ملخصا دراسته لبعض برديات من ثيادلفيا [هريت] بالفيوم: «ويمكننا أن نستخلص من دراستنا السالفة لحياة اسيدوروس ومقارنتها بحياة سكاوون، نتيجتين هامتين، الأولى أن الزراعة فى الفيوم، كما سبق أن ألمعنا، كانت لا تزال فى أوائل القرن الرابع مهنة رابحة، طالما كانت أعمال الرى منتظمة. ولما كان الرى قد أهمل فى ثيادلفيا، فقد أجدبت الأرض وأقفر المكان من سكانه. وأما فى كرانس [كوم أوشيم حاليا] حيث لم تنقطع العناية بالقنوات، فقد ظلت القرية عامرة بالسكان مدة قرن آخر. والنتيجة الثانية هى أن ملاك الأراضى فى القرية كان عليهم وهم فى سن متقدمة أن يوطنوا أنفسهم على تولى ست وظائف الزامية مختلفة أو ازيد، وبعضها لاكثر من فترة واحدة. ولا شك فى أن ذلك كان عبئا ثقيلا فى زمن الرخاء، فاذا ما أضفنا الى ذلك عبء الضرائب فى وقت استنزفت خلاله نفقات الحكومة موارد البلاد الأخرى حتى آخر قطرة، فلا عجب أن جاوز العبء بمرور الزمن حد الاحتمال. وتنهض سيرة اسيدوروس دليلا جديدا على صحة الرأى السند بأن نظام الالزام كان هو المسئول الى حد كبير عن القضاء على طبقة الملاك فى عواصم الاقاليم والقرى المصرية فى فجر العصر البيزنطى». لا ريب أن العبء المالى وما ترتب عليه من فرار الذين ناء كاهلهم به، وتناقص الأيدى العاملة تبعا لذلك، زاد مشكلة العناية بالرى تعقيدا، كما أدى اهمال الرى بدوره الى اشتداد الضائقة المالية.

أنظر أيضا:

A. E.R. Boak, "A Fourth Century Petition for Relief from.

بما كــــان. ومن قــبل ان يصل كــتــابه الى يوستينيانوس الملك فى القسطنطينيه ضربه ملاك الرب فمات موتة سو مثل موت هيرودس.

فـامـا بطرس فكان رجـلا حـسن الصـورة بهى المنظر مزينا بكل فعل جميل محبا لمن فيه علم الله، ومن اجل ذلك طلب انسـانا فـاضـلا عـالما بالقـوانين المقـدسه ليكون له كـاتبـا فـارشـدوه الى راهب شـماس اسمه دميـانوس فى دير تابور وكان عـارفا بالكتـابة، فـمضى الاب بطرس البطرك الى

أصل وضيع يبلغون أرفع المناصب، وخاصة عن طريق الانخراط فى سلك الجندية، أو الالتحاق بسلك الوظائف المدنية، أو الكنسية. غير أن هؤلاء الأشخاص كانوا ذوى مواهب نادرة لا تعوزهم ملكة الابتكار. وأما عامة الناس فكانوا مقيدين طيلة حياتهم برباط المهن التى فرضت عليهم منذ نشأتهم.

وكان فى استطاعة الفلاح على عهد البطالمة، إذا ضاق ذرعاً بحالته، أن يلوذ بحمى مذبح الملك أو ساحته (bômos-temenos= skepê) أو بأحد المعابد العديدة (hieron) التى كانت تتمتع بحق حماية المستجيرين، ولا يبرح مكانه إلا بعد أن تزول أسباب شكايته. فلما جاء الرومان حصروا هذا الحق فى أضيق نطاق، فلم يعد أمام الفلاح إلا الفرار إلى الأدغال أو الصحراء أو الانضمام إلى أحدى عصابات اللصوص. على أنه كان هناك مخرج آخر؛ فقد ظهر حتى فى القرن الثالث، رجال استغلوا حالة التدهور لصالحهم، واستطاعوا بفضل إقدامهم ونشاطهم وما لديهم من رؤوس أموال، أن يجعلوا من مصائب غيرهم فوائد لهم. وقد أخذت الضياع الكبيرة تتكون فى ذلك الوقت. وكان فى مقدور أصحاب هذه الضياع، بموازنة خسائر بعض ضياعهم بأرباح الأخرى، أن يستجيبوا دون تعريض أنفسهم لارتباكات مالية خطيرة، إلى مطالب جباة الضرائب، وليس ثمة شك فى أن الأثرياء كانوا لا يعدمون وسيلة فى عصر فسدت فيه الذمم لحمل السلطات على معاملتهم معاملة خاصة. فقبل نهاية القرن الرابع

الدير فتحدث معه وساله ان يسامحه ويتعب معه
في اعمال البيعه، وطلب اليه وطيب قلبه ان يقيم
معه في الدير كانه اسقف، اذ كان لا يقدر يظهر
انه بطرك ولا يتمكن من الدخول الى مدينة
اسكندريه جهرا. فاجابه الشماس الراهب دميانوس
الى ذلك واطاع البطرك فيما امره به.

وكان في ذلك الموضع ستمايه دير عامرة كلها
بالارتدكسيين وجميعهم رهبان ورهبانات مثل
خلايا النحل [فلم يق] من عمارتهم سوى اتنين

حصل أثرياء الملاك (potentiores) من الحكومة على حق عرف باسم «أوتوبراجيا» (autopragia)، الذى يخول لهم جباية الضرائب المستحقة على ضياعهم الخاصة، ودفعها لخزانة الولاية مباشرة، دون وساطة الجباة المحليين؛ ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى أن الحكومة قد تعذر عليها تحصيل النصاب المطلوب بغير هذا السبيل. ولذلك كان المالك الصغير عندما يتهدده الخراب يلتجيء إلى أحد جيرانه الأقوياء لحمايته. على أن يتنازل له عن أرضه، ويزرعها له كمستأجر، ويقوم خدمة سيده وحاميه (patronus)، الذى يأخذ على عاتقه فى مقابل ذلك مسئولية دفع كافة الضرائب. وهكذا تحول المالك الصغير إلى مستأجر مربوط إلى الأرض، التى آلت حينئذ إلى غيره، أى أصبح "colonus adscripticius" لا يختلف وضعه فى الواقع عن أقنان الأرض.

ولم تكن الحكومة راضية عن انتشار نظام الحماية (patrocinium) فأصدرت المرسوم تلو المرسوم لحظره، ولكن من غير طائل. فقد كانت النواهى غير مجدية إزاء حالة الضيق الاقتصادى التى لم يكن هناك سبيل إلى علاجها. وأخيراً سلمت الحكومة فى عام ٤١٥م. بالأمر الواقع، فأصدرت مرسوما فى نفس العام ينص على أن يبقى جميع من اقتنوا أراضى قبل سنة ٣٩٧ بمقتضى نظام الحماية، محتفظين بها، على أن يتعهدوا بأداء كافة الالتزامات المفروضة على مؤاجريهم (coloni) وأن يلغى لقب «حامى» (patronus). وقد أكسب هذا

وتلتين ضيعه تسمى سكاتينا جمعيهم ارتدكسيون
وكان الاب البطرك بطرس مدبر جميع احوالهم.
فلما سمع شعب انطاكيه الارتدكسيون بما فعله
اهل اسكندريه عمدو هم ايضا الى انسان اسمه
تاوفانيوس فجعلوه بطركا عوض الاب المغبوط
ساويرس واجلسوه فى دير يعرف بدير امونيوس لان
الهراطقه منعو الاساقفه الارتدكسيين ان يدخل احد
منهم الى مدينة انطاكيه كما فعل باسكندريه.
فكانا البطركان على هذه القضيه مقيمين فى

المرسوم المؤاجرين المربوطين إلى الأرض صفة قانونية، ولكنه لم يحل، كما قصد منه، دون تفشى نظام الحماية.

النظام الادارى الجديد:

فإذا ما بلغنا القرن السادس الحافل بالوثائق، يسترعى انتباهنا التغيير الإدارى الجديد، وأول ما نلحظه هو اختفاء المراكز (Pagi) التى كانت تنقسم إليها المنطقة الريفية (territorium) أو الاقليم (nomos)، والتى كان على رأس كل منها مدير يسمى (Praepositus) وأصبحت المنطقة الريفية كلها تؤلف وقتئذ مقاطعة واحدة (pagarchia) يدير شئونها المالية موظف يسمى باجارك (pagarchês)، ومن المقطوع به أن هذا التغيير حدث فى القرن الخامس، وفيما يرجح على عهد الإمبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧ ـ ٤٧٤). ولم يكن إشراف الباجارك يشمل، فى الأحوال العادية، كافة أنحاء المقاطعة، لأن ضياع كبار الملاك المتمتعة بحق جباية ضرائبها لم تكن تدفعها عن طريقه، وإنما لأمين خزانة الولاية (chrysônês) مباشرة. وقد منح نفس الحق لأديرة وكنائس عديدة وذلك بعد أن حرمت معابد الديانات المخالفة من أوقافها واملاكها. وكذلك لبعض القرى الكبيرة (وذلك دون شك لإيجاد نوع من التوازن بينهما وبين النبلاء الأقوياء. وكان الباجارك موظفاً تابعاً للامبراطور، معينا من قبله، ومسئولا أمامه. ولم ت

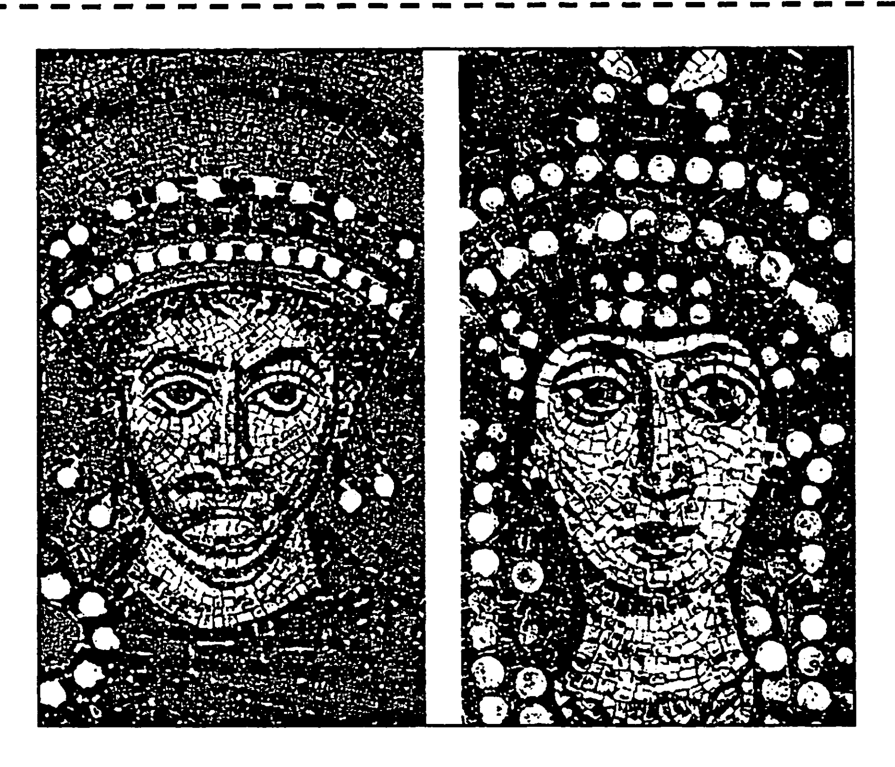
ديرين خارجا عن مدينتهما. ثم ان بطرس بطرك مدينة اسكندريه اعتل وتنيح بعد ان اكمل سعيه وخدمته المرضيه لله. وكان مدة مقامه بطركا سنتين وكانت نياحته فى الخامس والعشرين من بوونه صلواته معنا امين.

داميانوس البطرك

[٥٦٩ / ٦٠٥م]

وهو فى العدد الخامس والتلتون

ولما تنيح الاب القديس بطرس اجلسو عوضا



الامبراطوره تيودورا والامبراطور جوستنيان. تفصيل من لوحة بالفسيفساء سنة ٥٤٧. كنيسة القديس فينالي. راڤنا

منه كاتبه داميانوس الشماس الراهب وكان قويا بالفعل والكلام، ونعمة الرب حاله عليه لانه كان راهبا من صباه داخلا فى برية وادى هبيب(*)، ورباه قديسوه فى دير ابى يحنس، واقام هناك ست عشره سنه يتعبد كعبادة السواح القديسين قبل ان يجى بهاناطون [دير طور تابور] اى دير الابا[ء] فى زمان عمارة الاربع ديارات بوادى هبيب، وكان بنيانها ينمو مثل نبات الحقل فى الامن والهدو واهلها ياتيهم جميع ما يحتاجون اليه، وكانو يينون

(*) وادى هبيب: يسمى كذلك برية شيهات وهو اسم قبطى معناه ميزان القلوب. وتسمى كذلك اسقيط وهى قبطية تعنى دار النساك. واطلق عليها فى العصور المتاخرة وادى حبيب، وهو شيخ قبيلة بدوية من قطاع الطرق نزلت وسكنت فى ذلك الوادى.

تكن له سلطة على المدينة أو البلدية (civitas) التى لم تعد منذ انشاء منصبه، مسئولة عن الشئون المالية للمنطقة الريفية.

وقد حدث تغيير آخر فى الإدارة على جانب كبير من الأهمية فى عام ٥٥٤، عندما أصدر جستنيان (يوستنيانوس) (Iustinianus) مرسومه الثالث عشر، الذى وصلنا فى صورة مبتورة، وإن كان من الميسور استكمال مواده الرئيسية فى ضوء الجزء المتبقى. وكانت ولايات مصر، حسب تقسيم دقلديانوس، قد أدخلت عليها تعديلات كثيرة، وانفصلت فى عام ٣٨٢ عن الإدارة الشرقية (dioecêsis Orientis)، وأصبحت إدارة مستقلة بذاتها، وصار لوالى مصر، الذى منح لقب الأغسطس "Augustalis" السيطرة التامة على جميع البلاد. وقد ظلت نظرية دقلديانوس الخاصة بفصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية مرعية حتى ذلك الوقت، ولكن حكومة جستنيان تخلت عن هذه النظرية عندئذ، فتمزقت بمقتضى التنظيم الجديد وحدة مصر لأول مرة: فلم يعد لوالى مصر الأغسطى "Augustalis"، أى سيطرة على الولايات الأخرى التى وضعت كلها تحت الاشراف المباشر لحاكم عام الشرق (praefectus praetorio per Orientem) وزود كل حاكم فى ولايته بسلطات عسكرية ومدنية: فقد انقسمت مصر (فيما عدا ليبيا) منذ ذلك الحين إلى أربع ولايات، متساوية فى المركز، وهى آيجوبتوس "Aegyptus" أى مصر [غربى الدلتا بما فى ذلك الاسكندرية] وعلى رأسها دوق (Dux) يحمل لقب الأغسطى (Augustalis)؛ وأغسطامنيكا "Augustamnica" [شرقى

مداومين. وكان معهم المليتيانيون اعنى اصحاب مليتيوس الذين كانو ياخذون الكاس دفعات كثيرا فى الليل قبل ان يحضرو الى البيعه [يحتجو بذلك ان سيدنا له المجد قد فعله عدة مرات فى العشا السرى ليلة الصلب ولم يقول هذا هو دمى الا فى اخر مره].

لجل [لأجل] هذا لما استحق الاب داميانوس البطرك الجلوس على الكرسى الانجيلى كتب الى الجبل المقدس وامر ان ينفى منه المليتيانيون.

الدلتا حتى الفرما والعريش) وعلى رأسها دوق؛ وأركاديا "Arcadia" [مصر الوسطى حتى البهنسا] ويرأسها كونت (Comes) ثم منطقة طيبة "Thebais" [من الأشمونين حتى أقصى الجنوب] ويديرها دوق يحمل هو الآخر لقب الأغسطى (Augustalis). وقسمت كل ولاية من الولايات المذكورة، فيما عدا أركاديا "Arcadia" إلى ولايتين فرعيتين على رأس كل منهما مدير ذو سلطات مدنية بحتة يسمى برايسيس (praeses)، بمعنى رئيس أو حاكم.

أخطار تحدق بالامبراطورية: الغزو العربي:

فى عام ٦٠٨، أعلن هرقل (Hêraclius)، حاكم إفريقية، الثورة على فوكاس (phôcas)، ذلك المغتصب المتحجر القلب الذى اغتال الإمبراطور موريس (Mauricius) بعد أن أطاح بعرشه. وكان هرقل نفسه رجلا طاعناً فى السن، لا تسمح له شيخوخته بتحمل أعباء الإمبراطورية. وكان القدر قد كتب لابنه هرقل الأصغر أن يعتلى العرش. وقد وضعت خطة تقضى بأن يقوم نيكيتاس (Nicêtas)، ابن القائد الثانى لهرقل، بمحاولة غزو مصر، بينما يزحف هرقل الأصغر على سالونيك (Thessalonica). وتقدم نيكيتاس [من برقة] على الساحل الشمالى [لإفريقية]، واستطاع بعد قتال عنيف أن يستولى على مصر فى أواخر عام ٦٠٩. وكان هرقل فى تلك الأثناء قد عاد ادراجه، فأبحر فى سنة ٦١٠ متجها صوب القسطنطينية، وظهر اسطوله أمام المدينة فى ٣ أكتوبر من السنة عينها. واذ كان طغيان فوكاس قد ألب عليه السواد الأعظم من الشعب، فانه لم يمض يومان حتى وقع أسيراً فى يد هرقل

ومن بعد زمان يسير جا صوت من السما على تلك البرية يقول الهرب الهرب، فلما خرجو اهل الاربعة ديارات منها خربت. ولما اتصل ذلك بدميانوس البطرك حزن جدا، وكان هذا الاب القديس البطرك منفردا فى دير طور تابور كما قلنا بديا [بداية]. وبطقس اسقف وحكمة الله الموهوبه له كان كتب اللوغس وهو كلام حكمه، وكتب ايضا مستاغوجيات خارجا عن الارتستيكات وعن القاتكسيسيات وكان اصحاب الهارسيس

الذى أمر بقتله. وهكذا آل اليه عرش الإمبراطورية. ولكن كان هناك فى الواقع من الأسباب ما يكفى لإثباط همته: فقد منيت جيوش الامبراطورية خلال السنوات الأخيرة بعدة هزائم وغزا خسرو (Chosroês) ملك الفرس، الإمبراطوية من الشرق، ولم تنقطع قبائل الآفار والسلاف والصقالبة عن تهديدها من الشمال، وحامت الشبهات حول إخلاص بريسكوس (Priscus)، القائد الاعلى للجيش، ونضبت الخزانة من نصف ما فيها، وتناقص عدد الرجال اللائقين للخدمة العسكرية تناقصا شديدا. وفضلا عن ذلك فقد خيم على كافة أرجاء الامبراطورية شعور باقتراب النهاية، وسرت فى أوصالها روح التخاذل والاستسلام.

وقد أخذت الأحوال فى بادىء الأمر تسير من سىء الى أسوأ برغم ما بذله هرقل من جهود مضنية، ولكن خسرو كان لا يفتأ يتوغل فى قلب الامبراطورية. ثم وقعت الطامة الكبرى وسقطت أورشليم فى ٦١٤. وغزا الفرس مصر واستولوا عليها ٦١٦، وكان معظم آسيا الصغرى قد سقط هو الآخر فى أيديهم وقتئذ، وأصبح فى وسع جنودهم أن يروا عاصمة الامبراطورية من الضفة الأخرى لمضيق البسفور متألقة على سفوح تلالها. وبدا كما لو كانت الامبراطورية مشرفة على الهلاك. ولو كان للفرس فى البحر أسطول فى قوة جيشهم، لسقطت القسطنطينية ولتجردت أوروبا من حصنها الشرقى المنيع. وفى ٦٢٢ عبر هرقل البحر الى آسيا الصغرى بعد أن وكل القسطنطينية فى حفل دينى لعناية المسيح ومريم؛ وقد انتهت حملته الموفقة بتحرير جميع أراضيها. ثم خرج فى ٦٢٣ غازياً فارس نفسها وأحرز انتصارات باهرة.

النجسه ياتون اليه يجادلونه على الامانه، وبنعمة الرب التى معه كان يحل موامرتهم مثل العنكبوت ويلطف بهم ويفهمهم بالاقوال العجيبه ويجعلهم مثل اخاب قدام ابينا ايليا النبى.

ولما كان في السنة التامنه من بطركيته وقع في قلوب الذين لا راس لهم(*)، وكانوا يسكنون شرقى مصر، فكر شيطانى وكانو اربعة اقسا [قساوسه] قد فضلو من ذلك المجمع الطمث

(*) هم اتباع الاسقف يعقوب المصرى اصله من مدينة منفيس (بالجيزة) ذهب الى اسبانيا وتلمذ له أولا امرأة اسمها أجايا ثم جذبت تلك المرأة أحد معلمى الفصاحة اسمه

لكن في ٦٢٣ ظهر خطر جديد عندما تدفقت جحافل الأقار من الشمال وحاصرت القسطنطينية براً وبحراً. وأشرفت الامبراطورية مرة أخرى على الهلاك وساد الذعر في كل مكان، وبدا كما لو كانت العناية الربانية وحدها هى القادرة على إنقاذ المدينة؛ فانطلقت الدعوات من جميع الكنائس تبتهل الى أم المسيح أن تأتى لنصرة عبادها؛ وكان من بين كراماتها أنه بينما التهمت النيران كنائس القديسين كوسماس ودميان ونيقولا، فقد نجا معبدها في بلاكرناى (Blachernae) من الدمار. واستجابت السماء للدعوات؛ فردت سفن السلاف على أعقابها وأغرقت، وتقهقر جيشهم شمالا. وفى ٣ أبريل عام ٦٢٨ وفدت على هرقل سفارة فارسية لتبلغه نبأ موت خسرو، واعتلاء ابنه العرش، ورغبة الفرس فى عقد الصلح. وقد نصت شروط الصلح على انسحاب القوات الفارسية من جميع أراضى الامبراطورية، وبذلك تم الجلاء عن مصر أيضا فعادت ادراجها الى حظيرة الامبراطورية البيزنطية.

وفى تلك الأثناء كان هرقل، رغبة فى تدعيم أركان الامبراطورية، قد بذل قصارى جهده لرد أقباط مصر إلى الكنيسة الكاثوليكية. وقد قبل مرضاة لهم بدعة أو الإرادة الواحدة (monothelêma) التى تقول ـ خلافا لمذهب الطبيعة الواحدة ـ إن للمسيح فى الواقع طبيعتين، ولكن له إرادة واحدة فقط. وقد اعتقد أن ذلك قد يؤدى الى التقريب بين أصحاب مذهب الطبيعتين وأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة (monophusitai). غير أن المصريين كانوا غير مستعدين للتفاهم؛ فقد انحصرت رغبتهم فى معارضة القسطنطينية. وفى ٦٣١ عين

فقالو: ماذا نصنع قد فنينا ولم يبق لنا اسقف فانهضو بنا نجعل واحد منا اسقفا ليلا [لئلا] يبيد ذكرنا من على الارض . ثم انهم اختارو اكبرهم وكان اسمه بارسنوفه فاخذوه التلتة اقسا وجعلوه اسقفا وسميت مقالته المخالفه كاسمه، فلما سمع اهل غربى مصر بذلك غضبو جدا لجل انهم فعلو ذلك ولم يشاوروهم. فافترقو منهم ولم يساعدوهم.وبهذا الحكم لم يكن لهم من يعمدهم ولا يقربهم ولا يصلى بهم، فوسمو الاخر

البديوس وهذان الاثنان علما بريشيليانوس الذى سميت البدعة باسمه فيما بعد. أما تعليمهم فكانوا يقولون أن النفوس من جوهر الله وانها تنحدر باختيارها الى الارض جايزة فى السموات السبع بواسطة درجات قوات للمحاربة ضد الملك الشرير الذى كان يضعها فى اجساد لحمية مختلفة.

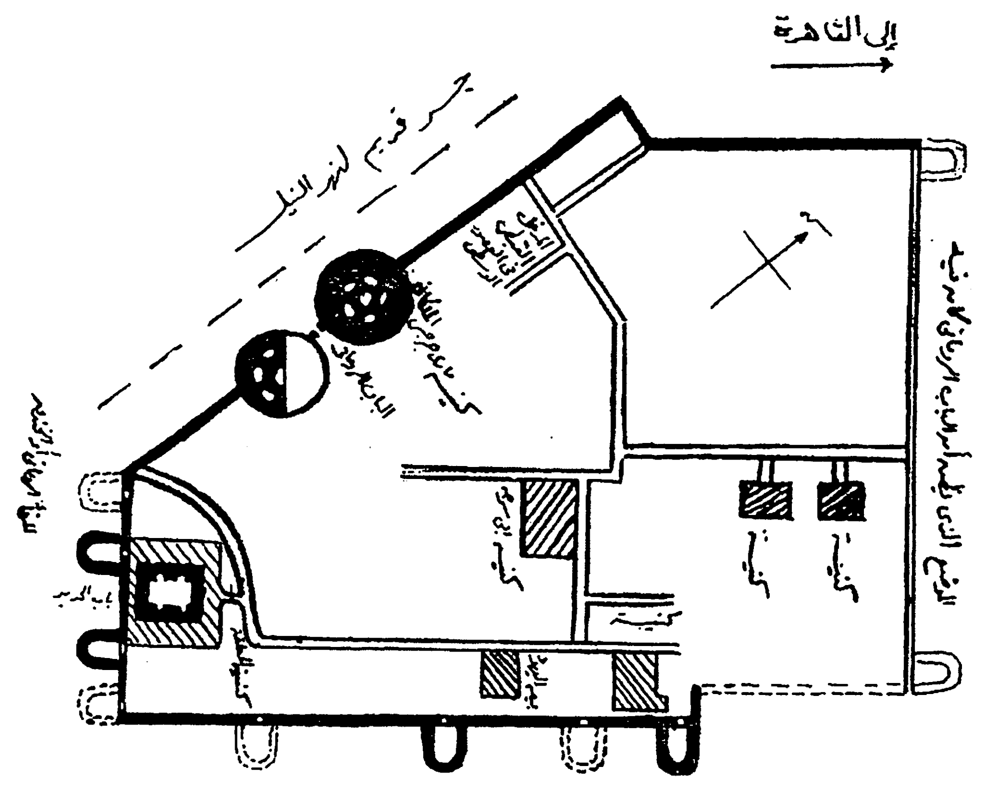
هرقل بطريركا على الاسكندرية وحاكما أغسطيا (Praefectus Augustalis) على مصر فى نفس الوقت، أسقفا يدعى قيرس Cyrus [المقوقس] وهو من الذين اعتنقوا مذهب الارادة الواحدة. ولم يكن هرقل موفقاً فى اختياره لان قيرس هذا، الذى تجعلنا قلة المصادر فى حيرة من شخصيته الغامضة، كان فيما يبدو رجلا ضيق الصدر. فلما وجد أن من العسير عليه استمالة الأقباط الى المذهب الجديد، أخذ يضطهدهم اضطهاداً رهيباً، مما نفر منه هؤلاء الذين أوفد ليعمل على استرضائهم، هذا فى وقت اشتدت فيه الحاجة إلى الولاء حيثما كان مستطاعاً.

وفى ٦٣٩ استطاع عمرو بن العاص، أحد كبار قواد العرب الذين قاموا بدور هام فى غزو سوريا، أن يحصل بعد الحاح من عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين، على إذن بغزو مصر.

ولم يكن فتح مصر على يد العرب معجزة كما يعتقد بعض الناس. صحيح أن عمرو لم يكن تحت إمرته سوى أربعة آلاف جندى عندما اجتاز الحدود، غير أنه تلقى من الخليفة قبل معركة هليوبوليس الحاسمة مدداً يبلغ حوالى اثنى عشر ألف رجل هذا غير آلاف البدو الذين كانوا فى جنوب الشام وسيناء والذين قدموا معه من أجل الغنائم. وقد بالغ المؤرخون كثيراً فى عدد القوات الرومانية التى يرجح انها لم تزد فى مجموعها عن حوالى ثلاثين ألف رجل، موزعين فى أنحاء البلاد بين الحاميات المختلفة، ولم يكن كثير منهم، فيما يرجح، جنودا من

لهم اسقفا. وكان الملك ذلك الزمان موريق وكان محبا للمال جدا وكان يطرد الارتدكسيين.

ولما تنيح الاب البطرك تاوفانيوس ومضى الى الرب عمد اهل انطاكيه الى رجل من كهنة البيعه اسمه بطرس فجعلوه بطركا وكان غليظ القلب مظلما فى افكاره مضطرب العقل مقاوما للامانه المستقيمه، كما قال الحكيم فى الله كيرلس البطرك القديس لجل اصحاب اناتوليوس «انهم مظلمو الافكار» ومن اجل الاتحاد الذى بين الكرسيين



حصن بابليون (قصر الشمع) نقلاً عن البقايا التى كانت موجودة عام ١٨٨٢م

كتب بطرس رساله سنوديقا(*) الى الاب داميانوس البطرك كما جرت العاده، فلما وصلت السنوديقا اليه فرح بها وجمع الاساقفه، وفيما هو يميزكلامه المنصوص فيها وجد فيه عثره فى الاعتراف بالثالوث المقدس، وطلب بحكمته ودعته ان يجذب اليه بطرس المذكور برفق حتى لا تنقسم البيعه و لا يفترق الاتحاد الذى بين الكرسيين، فكتب اليه ميمرا يذكر فيه جميع المخالفين والتعليم الذى وضعه ساويرس البطرك غرضا فى ان يفهمه

الطراز الأول، وفضلا عن ذلك كان من المستحيل تركيزهم بسرعة فى مكان المعركة، وقد ظهرت حينئذ العواقب الوخيمة لسياسة چستنيان فى تمزيق وحدة مصر وتخويل جميع حكام ولاياتها سلطات متساوية، إذ حصر كل منهم همه فى ولايته، حتى لقد قيل إن دوق طيبة، عندما سمع باقتراب العرب، جمع الضرائب على وجه السرعة وفر بها إلى الاسكندرية.

وبعد أن هزم عمرو الرومان عند هليوپوليس (Hêliopolis) ضرب الحصار على بابليون (Babylôn)، الحصن المنيع الواقع عند رأس الدلتا.

ولكن بابليون صمدت لهجومهم. وشرع عمرو فى مفاوضة المقوقس، الذى وافق على مشروع معاهدة تنص على استسلام الرومان. وسافر المقوقس إلى القسطنطينية ليعرضها على الامبراطور الذى رفضها على الفور وأمر بنفيه. ولكن هرقل كان فى ذلك الوقت يخطو الى قبره، فلما قضى نحبه فى ١١ فبراير ٦٤١، حالت الخلافات التى نشبت بين المجالس الامبراطورية دون إرسال الامدادات الى مصر، فسقط حصن بابليون فى ابريل ٦٤١، وزحف العرب على الاسكندرية ولاقوا فى طريقهم مقاومة شديدة من جانب جنود الامبراطورية الذين أبدوا على نقيض قوادهم روحا معنوية عالية. وكان المقوقس قد أعيد آنئذ الى منصبه، فوجد الاسكندرية نهباً للمنازعات، وقد تطرق اليأس بسرعة إلى نفوس أهليها، فعقد مع العرب معاهدة تنص على أن يدفع سكان المدينة الجزية، وأن تجلو القوات الرومانية عنها خلال أحد عشر شهراً، وأن تؤمن حياة المسيحيين واليهود. ولم يصل من القسطنطينية أى مدد فغادر

الامـانه ليـدبر عـقله، لان بطرس قـال بحكمـتـه
الربانيه ان لا حاجه الى ذكر الثالوث، وكانو معلمو
البـيعه اجـمعـون وكـيرلس الحكيم ومن جا بعده
الى ايام دميـانوس فى كـتبـهم يعتـرفـون بالثـالوث
المقدس انه تلت اقانيم، طبيعه واحده لاهوت وحد.
خالق ليس فيه مخلوق، وانه مفترق بالاقانيم متحد
بالجـوهر والاسم بـوحـدانيـه، وان الله خـالق النيـرين
العظيـمين، فـالشـمس لسلطان النهـار والقـمـر النيـر

الجيش الامبراطورى ميناء الاسكندرية فى ١٧ سبتمبر ٦٤٢، ودخل العرب المدينة العظيـمة فى ٢٩ من نفس الشهر، وقد بهرت أنظارهم بواكيها المرمرية وقصورها الفاخرة(*).

اليهود فى بنتابوليس (برقه)
قبل المسيحية

مقدمة

من الراجح ان اليـهـود قد بدءوا يتـوافـدون على ليـبيـا مع الاسكندر الاكـبـر، حينمـا زحـف بجيشـه على بمصـر، من فلسطين (٣٣٢ ق. م.). وقد ازدادت أعدادهم باضطراد ـ فى مـصـر وبنتابوليس ـ فى عهد خلفائه البطالمة.

يروى المؤرخ اليهودى يوسيفرس ان بطليموس الاول (المدعو سوتير): «قد أرسل فريقا من اليهود، ليستقروا فى سيرين [سرينيكا]، لانه كان مهتما بتشديد قبضته عليها، وعلى مدن ليبيا «الخمس الأخرى»[١] .

كـما نقل يوسيفـوس عن استرابون اشـارته الى: «وجود جماعات منتظمة (Syntagmata) من اليـهـود فى سيـرن». ونفـهـم من هذا النص بأن العناصـر التى توافـدت على بنتابـوليس (فى

(*) انظر : هـ. آيدرس بل، مصـر من الاسكندر حتى الفتح العربى. ترجمة: د. عبداللطيف احمد على. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٦٨.

(1) Josephus, Antiquities of the Jews, II. 44.

الاصــغــر لسلطان الليل، وكــان الفــعل يســبق التسميــه.

وقال الله: لتجتمع المياه ويظهر اليبس [اليابس] فسمى الله موضع اجتماع المياه بحور وسمى اليبس ارضـا، ان الفـعل يسبق التـسـمـيـه. وهكذا يجب عليك ان تفـهـم هذا ان طبـيـعـة الخـالق الواحـده الفاعله لكل شى. فمن الذى عرف ضمير الرب، و من كان له مشيرا، من يدفع له حتى يطلب منه العـوض، لان كل شى من عنده، والمجـد للثـالوث

النصف الأول من القرن الرابع ق. م) كانت على ما يبدو ذات صبغة عسكرية[١]، والراجـح انهم كانوا من أسرى بطليموس الاول، نتيجة لغزواته المتكررة لفلسطين، ونجاحه فى السيطرة على سيـرين، بعـد ذلك[٢]. ولم يحل وضعهم ـ كأسرى حرب دون استخدامهم كـجند للحاميات[٣]وقيل ان أعداد هؤلاء قد وصلت الى نحو ٣٠,٠٠٠ يهودى، فى بنتابوليس[٤]. والغالب أن اليهود قد وجدوا فى سيرينيكا بيئة صالحة للحفاظ على الشريعة اليهودية، وهربوا اليها من محاولات الملك أنطيوخوس على حملهم على التأغرق[٥] والوثنية.

ويشـهـد الكاتب اليـهـودى سلوش (Slousch) بأن منطقـة البنتـابوليس كـانت لهـا أهميـة كبرى، فى تاريخ بنى اسرائيل، عن بقية مناطق الشتات (Diaspora) الاخرى[٦]، وربما يعنى

(١) كمال عبدالعليم دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، ص١٧١.
(٢) ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عهد البطالمة (١٩٦٠) جـ١ ص٦٦ ـ ٧٣ وراجع ايضا:
- Diodor Sicul., XvIII, 18.
- Tichericover & Funks, Corpus Papyrorum Judaicarum (1957), vol. I, 2 seg.

(3) Josephus, Antiquities, xiv, 99.
(4) Morio Dall'Arche, Scomparsa del Cristianesimo, (Roma 1964) p. 29.
(5) Spadafora, Corpus Iscriptionum Judaicurum del Vaticano (Roma 1915), tom. II. p. 352.
(6)Slousch, Jewish Monuments & Judaism in Ancient Cyrenaica; an Appendix to the Report on the work of the commission sent by the Jewish Organisation, London 1909.
ـ (عن كمال عبدالعليم. المصدر السابق ص٢٠٨ حاشية رقم ٦).

المقـدس المسـاوى الكامل فى كل شى، الذى لا يقبل شـيـا جديدا ولا اسـمـا جـديدا بالجمله، بل اساميه ثابته وافعاله معا.

هذا الكلام كتب به الاب دميانوس البطرك الى بطرس بطرك انطاكيه، وكان بطرس بطرك انطاكيه مثل الافعى الصـمـا التى تسـد اذنيـهـا فـلا تسـمـع كـلام الحـاوى، ولا دوا يصنعـه حكيم . بل بقى مـدمنا على فكره الضـال يعتـرف ويقـول بلسـانه الذى يسـتـحق القطع: مـا الحـاجـه الى تسـمـيـة

بذلك أهميـتهـا كـمـوطن لعدد كبيـر من المهاجـرين، أو لانـهـا كانت مكانا صـالحـا لممارسـة شعائرهم الدينية بحرية، أو للقيام بأعمالهم المدنية (التجايرة)، لازدهارها حينذاك.

هذا وقد أكثر البطالمة الآخرون من ايفاد اليهود الى سائر مدن بنتابوليس، وخاصة طوكرة وبرنيس، على نحـو مـا تؤكـده الشـواهد الاثرية هناك. ومن مـشـاهيـر اليـهـود فى تلك الفـتـرة «جاسون» (Jason) القوريني (القرن ٢ ق. م)، كاتب سفر المكابين الثانى[١].

وقد عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو على عملة من البرونز (من فئة الربع شاقل) بطلميتة [٢]، من النوع الذى اصدره سمعان المكابى بفلسطين (١٣٩ ـ ١٣٥ ق. م)، مما يؤكد وجود بعض اليهود بهذا الميناء التجارى الهام فى تلك المرحلة من التاريخ.

ومن قراءة الشـواهد الخاصة بالقبـور (Eqitaphs) اليهودية والاضرحة التى عثر عليها فى سيرينيكا، وخاصة فى مدينة طوكرة. يتضح لنا أن بعضهم قد ولدوا فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد، وقد استخدمت الشهور المصرية (القبطية) فى كتابة هذه الشواهد[٣]، كـمـا نرى، من النماذج التالية، (وهى مترجمة عن اليونانية).

(1) Duchesne, Early Church History (London 1950), vol. I. p. 350.

(2) Kraeling, op. cit. p. 268.

Gray, The Jewish Inscriptions in Greek & Hebrew at Tocra, Cyrene and Barca (1955) p. 43.

(٣) ظللت الشهور «القبطية» (المصرية) مستعملة فى سيرينيكا، حتى دخول العرب، وقد استمرت أيضا فترة طويلة الى أن حلت محلها الشهور العربية.

الثالوث. وكان يقسم الثالوث الغير منقسم، فصار بين المصريين والمشرقين خصومه بهذا السبب، واقامو هكذا عشرين سنه مختلفين بغير اتفاق حتى رحم الله شعبه الذى هو يهتم به فى كل حين وقصف عمر المخالف واباده من العالم.

وكان دميانوس البطرك المغبوط مهتما فى كل ايامه بما يقهر به المخالفين بكتبه وميامره واقاويله. وكان فى زمانه اساقفه يتعجب منهم ومن طهارتهم

أ ـ «فى السنة ١١، ٨٠ من (شهر) برمودة، جوليات ابنة نيكايوس، عمرها ٢٠ سنة». ويرجح الآن روى[١] (Rowe) ان السنة الحادية عشر هذه تحسب بعد معركة أكتيوم البحرية الشهيرة (٢١ ق. م.)، وعلى ذلك يكون تاريخ النقش سنة ٢١ ق. م.

ب ـ «السنة الرابعة، ٢٠ طوبة، ثيئودورا ابنة جيمالوس (غمالائيل) عمرها ٥٠ سنة» (ويرجع النص الى عام ٢٧ ق. م)[٢].

جـ ـ «السنة ٢٠، ٢٠ بؤونة، مارين ابنة كاسيوس ٧٠ عاما» (نحو ١١ ق. م)[٣].

د ـ «سنة ١١١، ٣٠ توت، اكسينيتا ابنة أريماس (احيرام أو ارميا) عمرها ٣٥ سنة[٤]، ويرجع هذا الشاهد لعام ٧٩م.

هـ ـ «السنة الثامنة (٨ أو ٣ من شهر) مسرى، غايوس بن ارتيوس عمره (...) ـ ويرجح الاثرى تود Tod ان هذا الاثر يرجع لعام ١٠٠م[٥].

(1) Alan. Rowe, Cyrenaican Expedition of. Univ. of Univ. of Manchester (1952) p. 43.

(2) Idem., p. 44.

(3) Idem., p. 44.

(4) Idem., p. 44.

Cfr. Oliverio, Iscrizioni di Tocra, Documenti Antiche dell'A-Frica Ital. tom. II.

(5)Cyrenaican Expedition, Ibid. p. 44.

وفضلهم، فمنهم يوحنا البرلسى، ويوحنا تلميذه، وقسطنطين الاسقف، واكليستس، واخرون كثير مهتمون بكرم رب الصباو[ء]ت ولم يكن دميانوس البطرك يفتر من التعليم كل ايام حياته، ومن كثرة صومه وصلاته ومجاهدته وتكميل سعيه اعتل وتنيح بسلام الرب بعد ان اقام بطركا ستاوتلتين سنه حافظا للامانه الصحيحه فى شيخوخه حسنه، ومضى الى السيد المسيح الذى احبه فى اليوم التامن عشر من بوونه.

هذا ونظفر بأدلة اثرية أخرى على وجود اليهود فى مدن سيرين [سرينيكا] وطليمثة وبرنيس. وقد وجدت فى الاخيرة جالية يهودية كبيرة وقوية، فى أوائل العصر الرومانى. فقد تم الكشف عن نقشين فى «برنيس»، يتضمن كلاهما قرارات أصدرتها الجالية اليهودية هناك، ويرجع القرار الاول الى عام ١٠٠ م، ويتضح منه أنه كان لتلك الجالية سبعة «أراخنه» Archon ، والقرار الثانى اقدم عهداً (نحو ٢٥ ق. م)، ويفيد بأنه كان يحكم الطائفة تسعة[١] أراخنة (كبار رجال الطائفة).

كما وجدت لوحة رخامية سنة ١٩٤٠ بشارع عمر المختار ببنغازى، أثناء حفر أساس أحد المبانى، وتسجل قائمة بأسماء مجموعة من اليهود المتبرعين لترميم «مجمع يهودى» Sinagogue عام ٥٦ م (فى عهد نيرون)، وهم ١٦ رجلا وسيدتين. ويحمل الاوائل لقب أرخون، أما الحادى عشر فقد حمل لقب «حبر»[٢]. ومنها يتبين أنه كان هناك رجل دين كبير، لاقامة الشعائر الدينية الموسوية، كما تدل المبالغ الواردة فى القائمة على ثراء اليهود هناك فى تلك الفترة.

---

(1) Roux, Un Décret en Cyrenaique au Musée de la Pidaire de Carpentra, p. 286.

(عن كمال عبدالعليم، المصدر السابق ص٢٩ حاشية ١٤).

(2) Caputo, La Sinagoga di Berenice, in Una Iscrizione Greca inedita, La Parola del Passato, F. LIII (Roma 1957) p. 132-34.

انستاسيوس البطرك

[٦٠٥ / ٦١٦م][*]

وهو من عدد الابا السادس والتلتون

(*) يرى الفريد بتلر أن مدته كانت من يونيو ٦٠٤ إلى ١٨ ديمسبر ٦١٦.

والسيد المسيح نظر الى شعبه،اذ هو ريس الرعاه وهاديهم، واقام انسانا حكيما مزينا بالفضايل اسمه انستاسيوس من اهل اسكندريه من اقسا بيعتها عارفا بالكتب وحقيقه الامانه، فاجلس باحكام الله الغير مدركه على الكرسى الرسولى، وكان يصلح

وقد عثرت بعثة جامعة منشستر الاثرية عن آثار يهودية أخرى، منها مصباح عبرى، نقش عليه شكل «المنارة ذات السبع شعب» المقدسة[١]، الوارد وصفها فى سفر الخروج (٢٥: ٣١ـ ٤١)، بالاضافة الى عملة من فئة الربع شاقل[٢]، نقش على احدى وجهيها بالعبرية كلمتى «العام الثانى» (من الثورة اليهودية ٧٠م)، وعلى الوجه الآخر عبارة «خلاص صهيون».

كما اكتشف أثر اخر (بطوكرة)، يشير الى تمجيد جماعة من اليهود للحاكم الرومانى المدعو مرقس سيكستوس، لحسن ادارته (ويرجع لنحو عام ٢٤ أو ٢٥م)، وربما كان الهدف منه شكره على وقوفه بجانبهم، فى صدام ضد الاغريق هناك[٣].

كما أثبتت الدراسات الاثرية وجود عدد آخر من السكان اليهود بمدينة أبولونيا، فى العصر الرومانى الاول، وكان لهم فيها مجمع، يرجع أن مرقس الرسول تحدث فيه عندما نزل الى الساحل الليبى[٤] حيث كان من أهل هذه المنطقة.

---

(1) Rowe, Cyrenaican Exped. (Manchester 1959) p. 31.

(2) Oliverio, Iscrizioni Cirenaiche, in Quad. di. Arch. della Libia (Roma 1961) pp. 33-4, N. 7.

(3) Goodchild, Benghazi, op. cit. p. 3.
Romanelli, La Cirenaica Romana, p. 182.

(4) Oliverio, Carratelli & Morelli, Supplemento Epigraphico Cirenaico, in Ann. della scola Arch. di Atona (1961) tom. 39. p. 219.

الاسـاقـفـه والكهنه كـقـانون البـيـعـه. وكـان قـوى القلب يمضى الى المدينه فى كل وقت ويدخلهـا ويقـسـم فـيـهـا الكهنه. وقـد ذكـرنا فـيـمـا تقـدم ان الاسـاقـفـه الارتدكـسـيين كـانو ممنوعين من الدخـول الى اسكندريه وكـان يجذب اليه كـتيرا من الشـعب بحكمته لانه كان انسانا عالما معروفا بالتقدمه فى الديوان، وكـان قـسـا مـقـدمـا فى البـيـعـتين اللتين ذكرناهما اعنى الإنجيليون، وقزمان ودميان وديارات العذارى، واكثر الديارات، وبدا يبنى بيعه بعد بيعه،

وعلى ذلك ترى بعثة جامعة مانشستر أن المدن الساحلية (أبولونيا، بتوليمايس، وطوكرة، وبرنيس) كـانت كـمراكـز تجارية أنسب من غيـرها لسكنى اليـهـود، لانهم اشـتغلوا بالتـجـارة والاعمال الحرة، وكذلك أعمال الشحن والتفريغ فى الموانىء[١].

ويذكر جلوفر Glover انه نظرا لان اليهود كانوا يستقرون فى العواصم التجارية الكبرى، فقد استوطنوا ـ بأعداد كبيرة ـ فى سيرين، وعملوا على تطوير تجارتها[٢]، وكـان لهم بهـا مجمعا كبيرا.

ومن وثائق العصر البطلمى، يتضح ان البطالمة كانوا يمنحون جندهم المرتزقة اقطاعيـات زراعيـة، فى مـصـر[٣]، ولا نستبعد أنهم فعلوا نفس الشيء بالنسبة للجنود اليهود فى ريف بنتابوليس. ومن الثابت أن هذه المنطقة كانت تضم عددا قليلا من المدن، وعددا كبيـرا من القرى الكبرى، فوق هضبة الجبل الاخضر، التى ضمت عدة مساحات زراعية واسعة تابعة مباشرة لملوك البطالمة فى مصر[٤].

(1) Rowe, Ibid, p. 31.

(2) Glover, Life& Letters in the Fourth Century (1910) p. 321.

(٣) ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عهد البطالمة (القاهرة ١٩٦٦) جـ٢ ص٤٩٢.

(4)Rostovtzeff; Social & EconomicHistory of the. Hellenistic World (Oxford 1960), p. 139.

واخذ البيعه التى هى بربوة اثارات، وبيعه على اسم ميكايل.

وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وابلساريوس اللذين صار عليهم اسم كيانوس واصحاب المجمع الخلقدونى الطمث، واخر كان يدعى اولوكيوس هذا كان حنق على الاب انستاسيوس جدا وكان يشتهى ان يوقع به كل الاسوا والعذاب فلم يسلمه الله فى يديه.

وتشير البرديات البطلمية أيضا الى تشغيل اليهود فى الادارة المالية. وخاصة فى وظائف الحكومة، المتعلقة بجباية الضرائب، وادارة الاقطاعيات المملوكة للبطالمة، وقد أكد ذلك العثور سنة ١٩٠٩ على اثار لمستوطنات يهودية كثيرة فى قرى بنتابوليس[١].

ويقول الاستاذ د. كمال عبدالعليم: «... واذا سلمنا بذلك، فهذا يعنى أن اليهود كانوا يشكلون عنصرا هاما من عناصر سكان القرى المنتشرة فى ريف بنتابوليس»[٢]. وهذا يفسر ـ فى رأيه ـ انتشار المسيحية على نطاق واسع فى القرى (كما سنرى فيما بعد)، كما يفسر أيضا ظاهرة وجود «أساقفة قرى» بكثرة فى ريف سيرينيكا.

ومن المؤكد أنه كانت ليهود بنتابوليس صلة قوية بفلسطين، وبهيكل أورشليم، وكانت الزيارة سهلة، سواء عن طريق دلتا النيل، أو عن طريق البحر. وقد هاجرت أعداد من يهود ليبيا الى الارض المقدسة، فى القرن الاول الميلادى[٣]، واستقروا بها، ثم شيدوا لهم مجمعا فى أورشليم (أ ع ٦ : ٩). ومن هؤلاء المهاجرين أسرة القديس «مرقس» الرسول.

....

(١) كمال عبدالعليم، المصدر السابق ص١٨١.

(٢) المصدر نفسه ص١٨١.

(3) Schurer, Gechichte des Judischen Volkes in Zeitalter Jesud Christi. (Leipzig 1909) vol. III, p. 79.

وفى تلك الايام قـام انســان من الايوان ريس
بطاركه اسمه فوكا وقتل الملك وجلس موضعه
وفعل افعالا قبيحه، وكان محبا للشهوه افسد
جميع بنات البطاركه ، وكان ميالا للشقاق بغير
خوف، فلما علم هذا اولوكيوس وسمع خبره
كتب فى الاب انستاسيوس سعايه [دعوى] الى
الملك [فوكا] مملوه كذبا وباطلا وقال: انه لما كرز
انستاسيوس فى بيعة يوحنا المعمدانى احرمه هو
والملوك الغالبين والمجمع الخلقدونى، ولقد عجبت

ويذكر المطران سينسيوس الليبى أنه أحصى المسافرين معه، فى السفينة المتجهة من مدينة الاسكندرية الى بتوليمايس، فوجد أن نصفهم من اليهود، وكان منهم القبطان نفسه[1].

والخلاصة أن يهود بنتابوليس قد تغلغلوا فى كافة أوجه النشاط الاقتصادى، واتصلوا بغيرهم من الدول الاخرى، فى حوض البحر المتوسط، وقد ساعدهم فى ذلك اتقانهم للغة اليونانية، واستعمالهم الزى، والاسماء الاغريقية[2].

أما بالنسبة للوضع الاجتماعى ليهود سيرينكا فى تلك الفترة: فقد روى المؤرخ يوسيفوس عن استرابون قوله: «ان سكان سيرين (اليهود)، فى عهد أغسطس قيصر (٣٠ق. م - ١٤م)، كانوا يشكلون جالية مستقلة واضحة عن غيرها[3]. ويذكر الاستاذ البرغوتى أنهم لم يكونوا قد اكتسبوا بعد حقوق المواطنة الكاملة (الجنسية الرومانية)، ويؤيد هذا الرأى، ان الامبراطور كراكلا قد منح هذا الحق لليهود رسميا سنة ٢١٢م[4].

هذا وقد تمتع اليهود - دون سواهم من الاجانب - ببعض الامتيازات الطائفية[5] منذ عهد

(1) Synesius, Epist. 4.

(٢) ابراهيم نصحى، المصدر السابق، جـ٢ ص١٥١.

(3) Josephus, Antiquities, xiv, vII, vII, II, p. 295.

(٤) البرغوتى، المصدر السابق ص٤٠٤ - ٤٠٥.

(5) Cambridge Ancient History, Vol. xI, p. 671.

إذ لم تجف العيون والمياه. هذا كتب به الى الملك
ليثير على الارتدكسيين البلا. فلما سمع فوكا
المتغلب على الملك هذا قلق، وكتب الى الوالى
الذى باسكندريه ان ياخـــذ من الاب البطرك
انستاسيوس بيعة قزمان دميان وجميع رباعها
وكلما لها ويدفعها لاولوكيوس الضال، فاخذو
البيعه، وحزن الاب انستاسيوس المغبوط وعاد الى
الدير بحزن شديد وتنهد عظيم، وكان يشتهى ان
يجمع الله اعضا البيعه التى فرقها الشيطان، اعنى

يوليوس قيصر، بسبب مساعدتهم له، فى حروبه ضد مصر. ومن هذه الامتيازات اشتراكهم ـ كأعضاء ـ فى مجلس الشيوخ الرومانى (Senato) كما أصبح لهم نفس حقوق الاغريق، فى التمثيل فى المجالس المحلية، واصبحت لهم مؤسساتهم الثقافية المستقلة. وقد عثر على نقش بسيرين، يرجع الى عهد المسيح، ويتضمن قائمة بأسماء أعضاء (منظمة رياضية للشباب اليهودى)[١] ..وبذلك اكتسبت الجالية اليهودية ـ فى كل مدن سيرينيكا ـ صفة الثبات والاستقرار[٢] الى أن قرر هؤلاء الثورة على الرومان، أسوة بزملائهم فى فلسطين، فحل بهم الهلاك، وفقدوا امتيازاتهم.

وقد سمح الرومان للقائمين بالاشراف على الجالية اليهودية فى بنتابوليس بتحصيل العشور التى حددتها التوراة[٣]، وكانوا يداومون على ارسالها الى هيكلهم بأورشليم، كما قال يوسيفوس، الذى يشير أيضا الى السماح لهم بتطبيق الشريعة الموسوية على أحوالهم الشخصية، منذ عهد البطالمة[٤].

(1) Mario dall'Arche. Scomparsa del Cristianesiom, p. 30.

(2) Romanelli, La Cirenaica Romana, p. 39.

(٣) راجع سفر الخروج ٢٣ : ١٩. ونحميا ١٠ : ٣٣ ـ ٣٤.

(4)Josephus, ibid, xlv, p. 214.

Juster, Les Juifs dans L'Empire Roman (1914) p. 378.

فرقة انطاكيه واسكندريه التى كان سببها بطرس بطرك انطاكيه فسمع الله صلواته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسى ساويرس بانطاكيه انسان راهب قس عالم اسمه اتناسيوس حكيم جدا طاهر القلب، وهو الذى قال ميمرا يذكر فيه القديس ساويرس، وكلمن قراه علم ان السيد المسيح معه وحكمته فيه.

فلما سمع الاب انستاسيوس بجلوس اتناسيوس بطركا على كرسى انطاكيه سبق وكتب اليه

الثورات اليهودية في بنتابوليس ونتائجها:

أ ـ نقل يوسيفوس عن استرابون روايته بأن الدكتاتور الرومانى سيلا (تولى الحكم عام ٨١ ق. م) قد بعث بقوة حربية بقيادة لوكللوس Locullus، لاخماد فتنة قام بها يهود سيرين. ولكن المؤرخ بلوتارك Plutarch، وهو أقدم عهدا من استرابون، يشير الى هذه الحادثة دون ذكر لليهود[١]، ويروى أيضا ان هذا القائد جاء يطلب سفنا حربية، يستيعن بها على حماية السفن التجارية، من القرصنة التى سادت الساحل الجنوبى للبحر المتوسط، فى تلك الفترة. وهو أقرب الى الحقيقة فى نظر الكثير من الباحثين[٢] وبالتالى لا نعتبرها الثورة اليهودية الاولى، طبقا لرواية استرابون، المجافية لحقيقة.

ب. الثورة اليهودية الأولى (٧٠م)

اضطربت العلاقة بين اليهود والرمان فى فلسطين بسبب امعان الرومان فى اذلالهم، على أساس انهم شعب مغلوب[٣]..وقد أجبرهم الرومان على دفع «ضريبة» للاله الوثنى «جوبتر»، ابتداء من سن الثالثة (Denarii Judecorum) كانت فى الاصل هى «العشور» (نصف

---

(١) البرغوتى، ص٤٧، وكمال عبدالعليم، المصدر السابق ص١٨١، ١٨٢.

(٢) البرغوتى، الصمدر السابق ص٤٧، وكمال عبدالعليم، ص١٨٢.

(٣) البرغوتى، ص٤٠٩.


مارى مرقص

سنوديقا مملوه حكمه وجعله فيها شريكا له واخا وصاحبا ومدبرا، غرضا فى الامانه واصلاح ما افسده بطرس الضال المتوفى وجميع اسرايل الروحانى قطيع واحد وتوحده لكى تاخد اكليل الشهاده والاتحاد.

وكان اتناسيوس ارضا جيده مثمره، فقبل البذر الروحانى بفرح واخذ السنوديقا الواصله اليه وجمع الاساقفه الذين فى كرسيه وقال لهم: اعلموا ان المسكونه اليوم تفرح بالسلامه والمحبه

الشاقل) التى كانت تدفع لهيكل أورشليم. مما عده اليهود نوعا من الامتهان لكرامتهم، والاحتقار لدينهم[(١)].

فثاروا فى الارضى المقدسة، ضد روما، ثم اندلعت ثورة مكثفة فى مدينة أورشليم سنة ٧٠ م (وقدساهم فيها يهود من سيرين). وقد نجم عنها خراب الهيكل، وموت عدة آلاف، وتشتت اليهود فى العالم، كما فر بعض غلاة اليهود الى سيرين، وعلى رأسهم ثلاثة من أبناء رئيس الكهنة، المدعو اسماعيل، وهناك لقوا مصرعهم شنقا، طبقا لرواية يوسيفوس[(٢)].

وكان من هؤلاء الفارين - الى بنتابوليس - يهودى متعصب يدعى «يوناثان (Jonathan) النساج. وقد أثار ثائرة اليهود فى سيرين، مناديا بضرورة الثورة ضد الرومان، لانقاذ فلسطين من يدهم (ولم يغفر اليهود للرومان ما فعلوه بمدينتهم المقدسة، وكانوا بذلك معبئين للشرارة، التى أشعلها يوناثان، ويقول يوسيفوس انه حرض الطبقة الوسطى بالذات، (دون الأغنياء)، ونجح فى استمالة عدد ليس بقليل، وقادهم الى جوف الصحراء الليبية، بزعم أنهم سيريهم بعض الظهورات الالهية (apparitions).

---

(1) Tchericover & Funks, Corpus. Corpus Papyrorum Judalcarum (Tlervard Univ. 57) vodl. I, p. 81.

(2) Josephus, Wars of the Jews, vll, xl, pp. 604-5.

لان الظلمه الخلقدونيه قد جازت وقد بقى هذا الغصن الواحد المنير المثمر من الكرمه الحقيقيه الذى هو كرسى مرقس الانجيلى وكورة مصر، وقد كنا نحن مختلفين مبددين من بعد البطرك ساويرس الذى كان لنا مرشدا وطريقا للخلاص، وقد عرفتم ان بطرس الرسول ومرقس الانجيلى كانت بشارتهما واحده وبها كانا يبشران، وكذلك ساويرس وتاودوسيوس ان لهما امانه واحده واتحاد واحد وصبروا على النفى والجهاد الى التمام.

الا أن بعض الشخصيات اليهودية، التى خافت على ثروتها، ابلغت لحاكم كاتوللوس (Catollus). فأرسل لهم الفرسان والمشاة، وقهرهم حيث هم، ثم استدار الى أثرياء سيرين، من اليهود، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وصادر أملاكهم، واستطاع أن يقبض على يوناثان، وساقه مقيدا الى روما. الا أنه اراد أن يفر من قدرة المحتوم، فزعم ان بعض كبار اليهود، فى روما والاسكندرية وأورشليم (ومنهم المؤرخ يوسيفوس نفسه)، هم الذين حرضوه على الثورة ضد الرومان. وبعدما ثبت كذب دعواه، أحرقه الامبراطور الرومانى فبيسيان حيا[1]. وبذلك وضعت هذه الثورة حدا لما تمتع به اليهود ـ سيرينيكا ـ من امتيازات، خلال الفترة السابقة، من العهد الرومانى الاول.

جـ. الثورة اليهودية الثانية (١١٥-١١٧م):

لا شك أن اليهود قد حولوا الانتقام من الرومان، بأية وسيلة، بعد تخريبهم لهيكلهم بالقدس سنة ٧٠ م، ودفنوا غيظهم فى قلبهم، منذ أن انتقم الرومان من يهود سيرينيكا، فى ثورتهم ضدهم. بالاضافة الى حقدهم الشديد على منافسيهم، من اغريق بنتابوليس. ونلمس ذلك مثلا فى كتابات سينسيوس، الذى نقرأ قوله (عن اليهود): «انهم مقتنعون تماما بأنه

(1) Josephus, Wars, op. cit. VII, xl, p 505.
Hyslop & Applebaum, Cyrene, pp. 9 - 10.

فلمـا سـمع الابا الاسـاقـفـه كـلامـه فـرحـو جـدا واتفقـو على قبـول السنوديقـا وان تكون البيعتـان واحده ويكون البطركان روحا واحده وسراجا منيرا للارتدكسيين. فقام المغبوط اتناسيوس واخذ معه خمسة اساقفه فضلا[ء] معلمين وسار فى مركب الى اسكندريه، فلمـا وصلو اعلمـوهم ان الاب انستاسيوس البطرك فى الديارات فخرجو اليه، فلما سمع ان بطرك انطاكيه قد جا [ء] اليه جمع الاساقفه والكهنه والرهبان وقام بتواضع كثير

ينبغى ارسال جميع الاغريق الى الجحيم»، ويضيف رأيه الشخصى، بقوله: «انهم جنس خال من النعمـة[1]. ويوضح هذا النص وجود عداوة بين اليونايين واليهود، الذين كانوا ينافسونهم فى التجارة، وفى الحرف الاخرى، فى بنتابوليس، حتى هذا الوقت المتأخر.

وقد انتهز يهود سيرين فرصة انشغال الامبراطور تراجان، فى حربه ضد مملكة بارثيا (قرب بحر قزوين)، وقيامه بسحب بعض الحاميات من ليبيا (سنة ١١٥ م)، لتعزيز قواته فى آسيا، وانفجروا فى غضبهم ضد الرومان فى سيرينيكا.

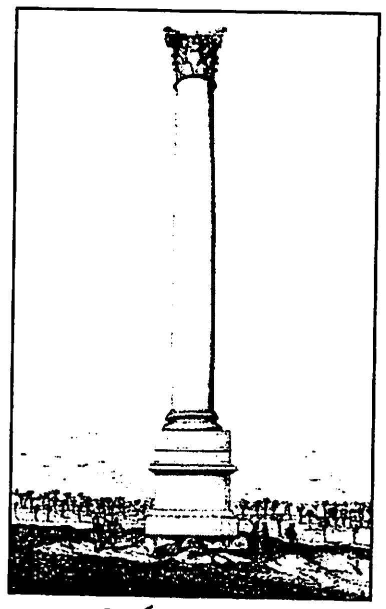
وقد بدأت هذه الثورة على شكل «فتنة» (Statis)، لا تخرج عن كونها صداما عاديا بين اليهود وجماعة من الاغريق، كما كان يحدث مرارا. ولكنه سرعان ما تطور الموقف الى «حرب حقيقية» (Polémos) ضد الحكومة الرومانية نفسها. وكان زعيمهم «اندرية Andreas» (حسب رواية دوكاسيوس)[2]، أو «لوقا» Lucas (حسب ما ذكره يوسابيوس القيصرى)[3]، قد استطاع الاستيلاء على سيرين واستباحها أتباعه، الذين ظنوه المسيح المنتظر، فأطاعوه طاعة عمياء.

هذا وقد أخبرنا المؤرخ «ديوكاسيوس» ان تراجان قد ارسل قائده «تيربو» Turbo على رأس

(1) Synesius, Epist. 16.

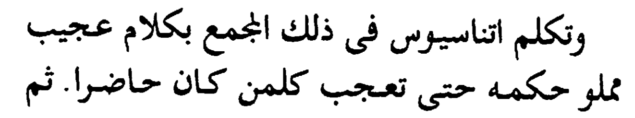
(2) Dio Cassius, Mistory, LxIII, 32,20

(3) Eusebius, Eccles. History, Iv. 2, 116.



عمود بمبى بالاسكندرية
(رسم من القرن ١٨)

عظيم وخرج ماشيا حتى تلقاه بالقراه [بالقرأة] والتسبيح والفرح والبهجه، ودخلو جميعا الى الدير الذى هو [على] ساحل البحر شرقى بحرى الديارات وجلسو فيه هناك بسلامه وفرح، وانفذ الاب انستاسيوس للوقت واحضر كهنة اسكندريه كلهم ليحضرو اجتماع الابا وليكملو القداس معهم ويتناولو من السراير المقدسه.



وتكلم اتناسيوس فى ذلك المجمع بكلام عجيب مملو حكمه حتى تعجب كلمن كان حاضرا. ثم

حملة ضخمة، نزلت فى ميناء أبولونيا، ولكن الثوار اليهود استطاعوا أن يقطعوا عليها الطريق، وتحصنوا على مشارف سيرين، حيث دارت معركةرهيبة ولكنه أمكن - فى النهاية - التغلب على الثائرين، والتنكيل بهم، واعادة المنطقة مرة أخرى الى سيادة روما (سنة ١١٧م).

ويذكر ديوكاسيوس أن الرومان قتلوا ٢٢٠,٠٠٠ يهودى فى سيرين[١] !!، وهو رقم كبير جدا بلا شك، والراجح ان هذا العدد قد قتل فى كل أنحا بنتابوليس، استنادا الى قول المؤرخ الرومانى أورسيوس بأن «الثورة قد عمت كل ليبيا»[٢]، ومن الجدير بالذكر أن هذه الثورة قد امتدت ايضا الى مصر وقبرص، وأماكن اخرى لتجمعات اليهود فى مناطق الشتات).

وهكذا نشر اليهود الذعر فى الجبل الاخضر كله، وخربوا معظم المنشآت الاغريقية والرومانية فى سيرينيكا. ويرى الباحثون[٣] أن المنطقة كان يمكن أن تظل مجرد صحراء

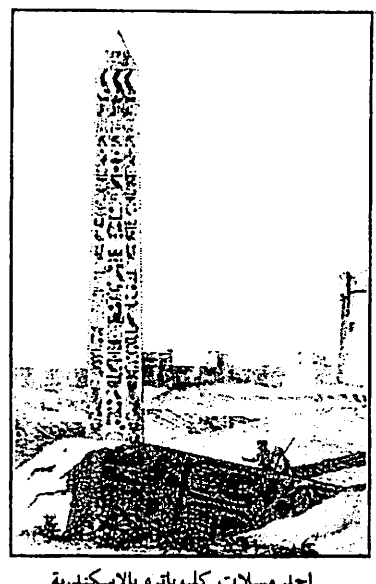
---

(1) Dio Cassius, op. cit., l. LxIII, p. 1148.
Goodchild, Cyrene, op. cit. p. 21.
Salomn, History of the Roman World (1936) p. 289.
Gibbon, op. cit. II, p. 73, note 1.

(2) Orosus, History, VII, 126, quoted by Applebaum, The Jewish Revolution, pp. 180-2.

(3) Alexander Funks, Aspects of the Jewish Revolt, A. D. 115-17, in the Journal of the Roman Studies, LXVIII (London 1961) pp. 28-104.

قال: فى هذه الساعه يا احباى [احبائى] يجب ان ناخذ قيثارة داود ونرتل بصوت المزمور ونقول بالرحمه والحق تلاقيا اتناسيوس وانستاسيوس [و] قبلا بعضهما بعضا. الحق من ارض مصر ظهر، والبر من الشرق اشرق وصارت مصر والشام مقاله واحده، وصارت اسكندريه وانطاكيه بيعه واحده وعدرا واحدة لعريس واحد طاهر نقى هو الرب يسوع المسيح الابن الوحيد كلمة الاب.


احد مسلات كليوباتره بالاسكندرية
(رسم من القرن ١٨)

قاحلة، بعدما قتل معظم مزارعيها، لولا قيام الامبراطور هدريان (١٣٤ م) ببذل جهود كبيرة فى محاولة لتعميرها واصلاحها.

وقام ببناء مدينة جدية سميت باسم «Hadrianopolis» على بعد ٢٩ كيلو مترا شمال بنغازى) وأسكن فيها جنوده المسرحين من الحرب. وقد عثر على نقش فى أبولونيا (حاليا بمتحفها)، يخاطب فيه أهلها الامبراطور الرومانى بـ«معمرى ليبيا»، ومعنى ذلك أنه أمر ـ كما يقول البعض ـ باحلال عناصر جديدة من السكان فى أبولونيا، بدلا من الذين ماتوا من اليهود، والسكان المحليين، ويؤيد ذلك العثور على نقش أثرى آخر، يفهم منه أن ثلاثة آلاف من الجند والرومان من الفرقة السيرينية الثالثة قد سكنوا سيرين[١]. ولذا كان من المنطقى أن نجد على نقود هدريايت عبارة «مصلح ليبيا» (Restituter-Libyae).

(1) Applebaum, Hadrian & Cyrene, p. 87.

(عن كمال عبدالعليم، المصدر السابق ص٢١٦ حاشية رقم ١٦٨).

Kraeling, op. cit. p. 17.

Goodchil, Roman Milestones in Cyrenaica, in the Papers of the Brit. School at Rome, XVII (1950) p. 89.

Stucchi, L'Agora di Cirene (Roma 55), pp. 221-2.

Gra, Cyrenaican Exped. of Univ. of Manchester, (1953) p. 143.

واقام الاب اتناسيوس عند الاب انستاسيوس شهرا واحدا ينظران كلاهما فى الكتب المقدسه والكلام المربح ويتكلمان على ذلك ويتحدثان فيه. ثم عاد الى كورته بسلام وكرامه عظيمه.

ومن ذلك اليوم صار الاتفاق بين كرسى انطاكيه وكرسى اسكندريه الى يومنا هذا. وكان الاب انستاسيوس مهتما بامور البيعة يحرص عليها،و بالعلوم الروحانيه لان [لأن] الرب انعم عليه بهدو.



تميمة مصرية لصلب المسيح بين اللصين (من القرن ٦ ـ ٧)

وقد لاذت بقية اليهود الناجين ـ بعد فشل ثورتهم ـ الى خارج حدود سيرينيكا، بينما التجأت أعداد محدودة منهم، من المدن الخمس، الى ريف برقة، بناء على عدة شواهد أثرية. فقد عثرت بعثة جامعة مانشسترسنة ١٩٥٢، على حجر، ارتفاعه ١٠٣ سم، تدل كتابته على أنه شاهد مقبرة يهودية (ويوجد حاليا بمتحف سيرين)، ونصه العبرى يترجم هكذا: متان بن الرابى سليمان، ليت (روحه) تستريح فى أرض الاحياء، ليته يقوم سريعا، من بين الاموات»[1] ويعتقد الاثرى روى (Rowe) انه يرجع للعصر الرومانى المتأخر (أوائل القرن الرابع). كما عثر أيضا على نص مشابه لشخص يهودى، يدعى (حسان بن الرابى اسحق»[2]، ويرجع ايضا لفترة متأخرة (سنة ٣٠٠ م).

وقد قطن بعض اليهود، فى مدينة منعزلة، تدعى «بوريوم» جنوب بنغازى، (على خليج سيرت)، وقد أفادنا المؤرخ البيزنطى «بوركوبيوس»» ان الامبراطور جستنيان حول مجمعهم، الذى كان بها، الى كنيسة، بعدما آمن يهودها بالمسيحية، وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى.

وقدهرب يهود سيرينيكا الى الواحات الليبية الجنوبية، والى بقية الشمال الافريقى. وقد أشار

(1) Rowe, Cyrenaican Expedd. p. 57.

(2) Idem. p. 57.

ومن اول سنة جلس على الكرسى بدا من اول الحروف AB وجعله اول حرف يكتب به فى كل سنة فى كتاب مستاغوجى وسنوديكا وستاتيكا وارتستكا وميمر.

واقام على الكرسى اثنتى عشره سنه ضابطا الامانه المستقيمه الارتدكسيه وكتب فيها اثنتى عشر كتابا. فلما كان فى اربعين يوم ا لصوم لذى للميلاد نظر السيد المسيح اليه المتفقد للمومنين به صانع

ابن خلدون إلى وجود قبائلى يهودية بين البربر[1] (مثل قبائل الكاهنة، وزناتة، ونفوسة، وبهلول)، وقد أسهمت فى مقاومة الفتح العربى، فى شمال افريقيا[2]، وقد ذكر المؤرخون العرب الكثير مما عاناه الفاتحون المسلمون من الزعيمة اليهودية، التى تدعى «كاهنة» (فى منطقة تونس).

ومن ناحية أخرى، فان الباحثين يرون ان هولاء اليهود الفارين، قد التجأوا الى القبائل البربرية المناهضة للرومان، فى جوف الصحراء الليبية، وأسهموا فى تنظيمها وتدريبها على مقاومة الرومان، لفترة طويلة من التاريخ[3].

وكان تقارب العادات بين اليهود والبربر سببا فى وجود علاقات تزاوج بينهما. وقد نجحت الجاليات اليهودية، فى نشر الشريعة الموسوية بين البربر، فى وقت مبكر، وهذا يفسر لنا ظاهرة أشتراك أعداد كبيرة من الثوار، فى الثورة اليهودية الثانية،فى بنتابوليس[4]، وبالتالى يقرب الى الاذهان الارقام الكبيرة، التى قضى عليها الرومان، فى اخمادها.

....

(1) Romanelli, p. 222 & Mario dall'Arche, p. 34.

(2) Wrught, The Nations of the Moodern World (1969) p. 70.

(٣) البرغوتى، المصدر السابق ص٤١٥، ومحمد سليمان أيوب، المصدر السابق ص١٨٨.

(4) Oric Bates, The Eastern Libyans, p. 208, 237.=

العجايب فى قديسيه واراد ان ينقله الى كورة الاحيا الى الابد فتنيح فى التانى والعشرين يوما من كهيك سنة تلتميه وتلتين لديقلاديانوس قاتل الشهدا الابرار شفاعتهم معنا امين.

ويبدو من كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب انه قد وجدت اعداد قليلة من اليهود، فى المدن الليبية (برقة)، بعد الفتح العربى. فقد قال الادريسى (١١٥٥م): «ان أغلب سكان أجدابية (جنوب بنغازى) من اليهود، والمسلمين التجار»[١]. وذكر الرحالة ابن سعيد (١٢٨٦م) «ان بدرنة جالية يهودية، وكلهم على جزيتهم»[٢].

ويقول أبو الفدا: «ان طلميتا مرسى برقة على البحر، وعلى طرف الغابة (الجبل الاخضر)، وهى فرضة مشهورة، وبها قصر فيه يهود، تحت خفارة العرب، ومنها تحمل المراكب الشعير والعسل الى غيرها. وقصر اليهود المذكور على هيئة برج كبير، وعدة اليهود الذين به الى يومنا هذا (أى عام ١٣٣١ م)ما يزيد عن مايتى يهودى. وطلميتة عن الاسكندرية على نحو مسافة شهر، والمراكب ترسى قبالة قصر اليهود، وبالقرب منه، وتحضر العرب، وتبايعهم بالبضائع مقايضة.

= وفى «تلمود أورشليم» نجد مناقشة بخصوص الليبيين (البربر) المتهودين حديثا، وكان السؤال المطروح للمناقشة يتعلق بالمدة التى يجب أن تقضيها العائلة البربرية فى تفهم وتعلم العقيدة اليهودية قبل أن يوافق على قبولها.

Jerusalem Talmud, Killim, vVIII, and Sabbath, V. quoted by Bates, Ibid. p. 208.

(١) الأدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جـ٣ الاقليم الثالث، فصل ٩٩.

(٢) ابن سعيد، بسط الأرض بالطول والعرض، فصل ٨٠.

فهرس الجزء الأول

• رقم الإيداع: ٢٦٤٣/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 978-977-704-939-9

شركة الأمل للطباعة والنشر

(موريفيتلى سابقاً)

ت: 23904096 - 23952496